

نأملات ابن زبنة في

سورة الأعراف

رقبة خرايبة

تأملات شيخ الإسلام ابن تيمية
في
القرآن الكريم
سورة الاعراف
رقية محمود الغرايبة

الفهرس

29	الأعراف 9-1
61	الأعراف 33-10
327	الأعراف 58-34
543	الأعراف 102-59
621	الأعراف 137-103
770	الأعراف 171-155
912	الأعراف 206-172

الفهرس (2)

الاعراف 1-9	11
الأعراف 10-33	43
الأعراف 34-58	309
المشروع المستحب فى ذكر الله ودعائه	475
الأعراف 59-102	525
الاعراف 103-137	603
الاعراف 155-171	752
الأعراف 172-206	894

مقدمة سورة الاعراف

* أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم وكتابيههم وأنزل عليه كتاب أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم به إلى صراط مستقيم صراط الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله و أنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيئنا عليه فصدق كتابه ما بين يديه من كتب السماء وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء وهيمن على ما بين يديه من الكتاب وذلك يعم الكتب كلها شاهدا وحاكما ومؤتمنا يشهد بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة وقرر ما في الكتاب الأول من أصول الدين وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام وأول الأعراف¹

* أن جماع الحسنات العدل وجماع السيئات الظلم وهذا أصل جامع عظيم وتفصيل ذلك أن الله خلق الخلق لعبادته فهذا هو المقصود المطلوب لجميع الحسنات وهو إخلاص الدين كله لله وما لم يحصل فيه هذا المقصود فليس حسنة مطلقة مستوجبة لثواب الله في الآخرة وإن كان حسنة من بعض الوجوه له ثواب في الدنيا وكل ما نهى عنه فهو زيغ وإنحراف عن الإستقامة ووضع للشئ في غير موضعه فهو ظلم ولهذا جمع بينهما سبحانه في قوله {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ

¹ لب الجواب الصحيح ج: 1 ص: 68

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ { الأعراف 29 فهذه الآية في

سورة الأعراف المشتملة على أصول الدين والإعتصام بالكتاب ودم الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وتحريم الطيبات أو خالفوا ما شرعه الله من أمور دينهم كإبليس ومخالفى الرسل من قوم نوح إلى قوم فرعون والذين بدلوا الكتاب من أهل الكتاب فإشتملت السورة على ذم من أتى بدين باطل ككفار العرب ومن خالف الدين الحق كله كالكفار بالأنبياء أو بعضه ككفار أهل الكتاب وقد جمع سبحانه في هذه السورة وفي الأنعام وفي غيرهما ذنوب المشركين في نوعين أحدهما أمر بما لم يأمر به كالشرك ونهى عما لم ينهاه الله عنه كتحریم الطيبات فالأول شرع من الدين ما لم يأذن به الله والثانى تحريم لما لم يحرمه الله وكذلك فى الحديث الصحيح حديث عياض بن حمار عن النبى عن الله تعالى إني خلقت عبادى حنفاء فاجتالهم الشياطين فحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ولهذا كان إبتداع العبادات الباطلة من الشرك ونحوه هو الغالب على النصارى ومن ضاهاهم من منحرفة المتعبدة والمتصوفة وإبتداع التحريمات الباطلة هو الغالب على اليهود ومن ضاهاهم من منحرفة المتفهمة بل أصل دين اليهود فيه آصار وأغلال من التحريمات ولهذا قال لهم المسيح { وَلَا جِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } آل عمران 50 وأصل دين النصارى فيه تأله بألفاظ متشابهة وأفعال مجملة فالذين فى قلوبهم زيغ اتبعوا ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وإبتغاء تأويله وما قررتة فى غير هذا الموضع بأن توحيد الله الذى هو إخلاص الدين له والعدل الذى نفعه نحن هو جماع الدين يرجع إلى ذلك فإن إخلاص الدين لله أصل العدل كما أن الشرك بالله ظلم عظيم²

فان اقواما استحلوا بعض ما حرمه الله واقواما حرموا بعض ما احل الله تعالى وكذلك اقواما احدثوا عبادات لم يشرعها الله بل نهى

² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 86-87

عنها و اصل الدين ان الحلال ما احله الله ورسوله
والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين ما شرعه الله ورسوله ليس
لاحد ان يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به ورسوله قال
الله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {الأنعام 153
وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه خط خطأ وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال
هذه سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه
ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} {الأنعام 153} وقد ذكر الله تعالى في سورة
الانعام **والاعراف** وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرّموا ما لم
يحرمه الله تعالى كالبحيرة والسائبة واستحلوا ما حرمه الله كقتل
اولادهم وشرعوا ديناً لم يأذن به الله فقال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ
شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ} {الشورى 21} ومنه اشياء
هي محرمة جعلوها عبادات كالشرك والفواحش مثل الطواف
بالبيت عراة وغير ذلك³

* قال الله تعالى { بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ
عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {البقرة 112} وقد فسر
إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصد العبد لله بالعبادة له وحده
وهو محسن بالعمل الصالح المشروع المأمور به وهذان
الأصلان جماع الدين أن لا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع لا
نعبد بالبدع وقال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} {الكهف 110} وكان
عمر بن الخطاب يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا
واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا قال الفضيل بن
عياض في قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا قال أخلصه
وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أصوبه وأخلصه قال إن العمل إذا كان

³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 389

خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وهذان الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الألوهية له فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا إجلال ولا إكبار ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد أن يكون الدين كله لله كما قال تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} البقرة 193 فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغيره كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من أحب لله وأبغض لله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان فالمؤمنون يحبون الله والله والمشركون يحبون مع الله كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} البقرة 165 والشهادة بأن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر فما أثبتته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه كما يجب على الخلق أن يثبتوا ما أثبتته الرسول لربه من الأسماء والصفات وينفوا عنه ما نفاه عنه من مماثلة المخلوقات فيخلصون من التعطيل والتمثيل ويكونون على خير عقيدة في إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل وعليهم أن يفعلوا ما أمرهم به وأن ينتهوا عما نهاهم عنه ويحللوا ما أحله ويحرموا ما حرمه فلا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله ولهذا ذم الله المشركين في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما لكونهم حرموا ما لم يحرمه الله ولكونهم شرعوا ديناً لم يأذن به الله كما في قوله تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِثْلَ ذَرَأٍ مِّنَ الْحَرْتِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا} الأنعام 136 إلى آخر السورة وما ذكر الله في صدر سورة الأعراف وكذلك قوله

تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ
{ الشورى 21⁴

*ثبت فى الصحيح انه صلى فى المغرب بالأعراف ولكن لم يكن
يذاوم على ذلك ومرة أخرى قرأ فيها بالمرسلات ومرة أخرى قرأ
فيها بالطور وهذا كله فى الصحيح والله أعلم⁵

⁴اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 451-453

⁵مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 445

الاعراف 1-9

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المص {1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ
مِّنْهُ لَتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {3}
وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ
قَائِلُونَ {4} فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا
إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {5} فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ {6} فَلَنَقْصِنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ {7}
وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ {8} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلُمُونَ {9}

الواجب على المسلمين الإعتصام بالكتاب والسنة

* أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله ووجوب اتباعه وبيان
الاهتداء به في كل ما يحتاج إليه الناس من دينهم وأن النجاة
والسعادة في اتباعه والشقاء في مخالفته وما دل عليه من اتباع
السنة والجماعة قال الله تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ
تُنْسَى {126} طه 123-126 قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ

القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم
قرأ هذه الآية وقال تعالى {المص} {1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا
يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ {2} اتَّبِعُوا مَا
أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ {3} الاعراف 1-3 وقال تعالى {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ
جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران 103⁶

*فالا اعتقاد المطابق للحق ينفع صاحبه ويثاب عليه ويسقط به
الفرض إذا لم يقدر على أكثر منه لكن ينبغي أن يعرف أن عامة
من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو
لتفريطه في إثبات ما جاء به الرسول وترك النظر والاستدلال
الموصل إلى معرفته فلما عرضوا عن كتاب الله ضلوا كما قال
تعالى ليني آدم { فَأَمَّا يَا تِيبُكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} طه 123-124 قال ابن
عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة وقرأ هذه الآية وكما في الحديث الذي رواه
الترمذي وغيره عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب
الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس
بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره
أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط
المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن ولا
تنقض عجايبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنسج منه العلماء وهو
الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا { إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا } {1}
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ {2} الجن 1-2 من قال به صدق ومن عمل به أجر
ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم قال
تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

⁶ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 77 و منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 553

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ {الأنعام 153} وقال تعالى {المص 1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ {الأعراف 1-2} إلى قوله {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ **أَوْلِيَاءَ** {الأعراف 3} وقال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } {155} أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ } {156} أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَن آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } {157} الأنعام 155-157} وقوله سبحانه أنه سيجزي الصادف عن آياته مطلقا سواء كان مكذبا أو لم يكن سوء العذاب بما كانوا يصدفون يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو أعرض عنه اتباعا لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به فكل مكذب بما جاء به فهو كافر وقد يكون كافرا من لا يكذبه اذا لم يؤمن به ولهذا أخبر الله في غير موضع من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك اتباع ما أنزله وإن كان له نظر وجدل واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين قال تعالى {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {الأحقاف 26}

**"والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هوأه
تبعأ لما جئت به"**

⁷الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 456 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 315

*ومن أصر على فعل شيء من البدع وتحسينها فإنه ينبغي أن يعزر تعزيراً يردعه وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل خطأ فإنه يعرف فإن لم ينته عوقب ولا يحل لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ما ليس منه وأما قول القائل كل يعمل في دينه الذي يشتهي فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها وإلا عوقب بل الإصرار على مثل هذه الكلمة يوجب القتل فليس لأحد أن يعمل في الدين إلا ما شرعه الله ورسوله دون ما يشتهيهِه ويهواه قال الله تعالى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } {القصص} 50 وقال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بغيرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } {الأنعام} 119 { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ } {ص} 26 وقال { وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ } {المائدة} 77 وقال تعالى { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ الْهَوَاهُ أَقَانَتْ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا } {43} { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } {44} { الفرقان 43-44 } وقال تعالى { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } {النساء} 65 وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جنت به قال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } {60} { وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا } {61} { النساء 60-61 } وقال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } {الشورى} 21 وقال تعالى { المص } {1} { كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } {2} { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } {3} { الأعراف 1-3 } وقال تعالى

{وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ
 {المؤمنون} 71 وأمثال هذا في القرآن كثير فتيين أن على العبد
 أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعاً لهواه و
 الله أعلم⁸

*قال الامام أحمد في خطبته في الرد على الجهمية و الزنادقة
 الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل
 العلم يدعون من ضل الى الهدى و يصبرون منهم على الأذى
 يحيون بكتاب الله الموتى و يبصرون بنوره أهل العمى فكم من
 قتيل لإبليس قد احبوه و كم ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم
 على الناس و أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف
 الغالين و إنتحال المبطلين و تأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية
 البدعة و أطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون
 للكتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله و في الله و
 في الكتاب بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام و يخذعون جهال
 الناس بما يشبهون عليهم فنعود بالله من فتن المضلين
 و الثانية طريقة هشام و أتباعه يحكى عنهم أنهم أثبتوا ما قد نزه الله
 نفسه عنه من إتصافه بالنقائص و مماثلته للمخلوقات فأجابهم الإمام
 أحمد بطريقة الأنبياء و اتباعهم و هو الإعتصام بحبل الله الذي قال
 الله فيه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
 مُسْلِمُونَ} {102} {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} {103} آل
 عمران 102- 103 و قال {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ
 النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ
 النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا
 جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ
 الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} البقرة 213
 وقال تعالى { **المص** {1} **كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ**

⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 4

حَرَجٌ مِّنْهُ لِنُذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {3}

الاعراف 1-3 وقال تعالى { فَمَا يَتَّبِعْكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } {125} قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَتَانَا

فَنَسِيئَتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } {126} طه 123-126 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } النساء 59 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } {1} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } {2} الحجرات 1-2 وقال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى

الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } {60} وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } {61} فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } {62} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ

فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ وَقَالَ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } {63} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا } {64} فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا } {65} النساء 60-65 وقوله تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } {153} والأنعام 153 وقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَّسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

{ الأنعام 159 و قوله تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } 30 { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 31 { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } 32 { الروم 30-32 و قوله { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الشورى 13 فهذه النصوص و غيرها تبين أن الله أرسل الرسل و أنزل الكتب لبيان الحق من الباطل و بيان ما اختلف فيه الناس و أن الواجب على الناس اتباع ما أنزل اليهم من ربهم و رد ما تنازعوا فيه الى الكتاب و السنة و ان من لم يتبع ذلك كان منافقا و ان من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل و لا يشقى و من أعرض عن ذلك حشر أعمى ضالاً شقياً معذباً و أن الذين فرقوا دينهم قد برىء الله و رسوله منهم فاتبع الإمام أحمد طريقة سلفه من أئمة السنة و الجماعة المعتصمين بالكتاب و السنة المتبعين ما أنزل الله اليهم من ربهم و ذلك أن ننظر فما و جدنا الرب قد أثبتة لنفسه فى كتابه أثبتناه و ما و جدناه قد نفاه عن نفسه نفينا و كل لفظ و جد فى الكتاب و السنة بالإثبات أثبت ذلك اللفظ و كل لفظ و جد منفي نفي ذلك اللفظ و أما الألفاظ التى لا توجد فى الكتاب و السنة بل و لا فى كلام الصحابة و التابعين لهم باحسان و سائر أئمة المسلممين لا إثباتها و لا نفيها و قد تنازع فيها الناس فهذه الألفاظ لا تثبت و لا تنفى إلا بعد الإستفسار عن معانيها فان و جدت معانيها مما أثبتة الرب لنفسه أثبت و ان و جدت مما نفاه الرب عن نفسه نفيت و ان و جدنا اللفظ أثبتت به حق و باطل أو نفى به حق و باطل أو كان مجملاً يراد به حق و باطل و صاحبه أراد به بعضها لكنه عند الاطلاق يوهم الناس أو يفهمهم ما أراد و غير ما أراد فهذه الألفاظ لا يطلق اثباتها و لا نفيها كلفظ الجوهر و الجسم و التحيز و الجهة و نحو ذلك من الألفاظ التى تدخل فى هذا المعنى فقل من تكلم بها نفيًا أو إثباتًا إلا

و أدخل فيها باطلا و أن أراد بها حقا و السلف و الأئمة و كرهوا هذا الكلام المحدث لاشتماله على باطل و كذب و قول على الله بلا علم و كذلك ذكر أحمد في رده على الجهمية أنهم يفترون على الله فيما ينفونه عنه و يقولون عليه بغير علم و كل ذلك مما حرمه الله و رسوله و لم يكره السلف هذه لمجرد كونها اصطلاحية و لا كرهوا الإستدلال بدليل صحيح جاء به الرسول بل كرهوا الأقوال الباطلة المخالفة للكتاب و السنة و لا يخالف الكتاب و السنة إلا ما هو باطل لا يصح بعقل و لا سمع ولهذا لما سئل أبو العباس ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد المسلمين و قال و أما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في الجواهر و الأعراض و إنما بعث الله النبي صلى الله عليه و سلم بانكار ذلك و لم يرد بذلك أنه أنكر هذين اللفظين فإنهما لم يكونا قد أحدثا في زمنه و إنما أراد إنكار ما يعنى بهما من المعاني الباطلة فإن أول من أحدثهما الجهمية و المعتزلة و قصدهم بذلك إنكار صفات الله تعالى أو أن يرى أو أن يكون له كلام يتصف به و أنكرت الجهمية أسماءه أيضا و أول من عرف عنه إنكار ذلك الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبدالله القسري بواسط و قال يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا و لم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم نزل فذبحه و كلام السلف و الأئمة في ذم هذا الكلام و أهله مبسوط في غير هذا الموضع⁹

*ومن نسب إلى رسول الله الباطل خطأ فإنه يعرف فإن لم ينته عوقب ولا يحل لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ما ليس منه فليس لأحد أن يعمل في الدين إلا ما شرعه الله ورسوله دون ما يشتهي ويهواه قال الله تعالى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } {القصص 50} وقد روى عنه أنه قال والذي نفسي بيده لا

⁹مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 300-304

يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال تعالى
 {المص} {1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ
 بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا
 مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {3} الاعراف 1-3¹⁰

ليس لأحد أن يخرج عن شيء مما شرعه الرسول

* والرسول هو الواسطة والسفير بينهم وبين الله عز وجل فهو
 الذى يبلغهم أمر الله ونهيه ووعده ووعيده وتحليله وتحريمه
 فالحلال ما حلله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين
 ما شرعه الله ورسوله وليس لأحد أن يخرج عن شيء مما شرعه
 الرسول وهو الشرع الذى يجب على ولادة الأمر إلزام الناس به
 ويجب على المجاهدين الجهاد عليه ويجب على كل واحد إتباعه
 ونصره وليس المراد بالشرع اللازم لجميع الخلق حكم
 الحاكم ولو كان الحاكم أفضل أهل زمانه بل حكم الحاكم العالم
 العادل يلزم قوما معينين تحاكموا إليه فى قضية معينة لا يلزم
 جميع الخلق ولا يجب على عالم من علماء المسلمين أن يفقد حاكما
 لا فى قليل ولا فى كثير إذا كان قد عرف ما أمر الله به ورسوله بل
 لا يجب على آحاد العامة تقليد الحاكم فى شيء بل له أن يستفتى
 من يجوز له إستفتاءه وإن لم يكن حاكما ومتى ترك العالم ما علمه
 من كتاب الله وسنة رسوله واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله
 ورسوله كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة فى الدنيا والآخرة قال
 تعالى {المص} {1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ
 مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ
 وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {3} الاعراف 1-3
 ولو ضرب وحبس و أودى بأنواع الأذى ليدع ما علمه من شرع
 الله ورسوله الذى يجب إتباعه وإتبع حكم غيره كان مستحقا لعذاب
 الله بل عليه أن يصبر وإن أودى فى الله فهذه سنة الله فى الأنبياء

¹⁰مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 241

وَأَتْبَاعَهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {الم} {1} أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ {2} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ {3} العنكبوت 1-3 وقال تعالى {وَلَنَبِّئُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبِّئُوا أَخْبَارَكُمْ} محمد 31 وقال تعالى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} البقرة 214 وهذا إذا كان الحاكم قد حكم فى مسألة إجتهدية قد تنازع فيها الصحابة والتابعون فحكم الحاكم بقول بعضهم وعند بعضهم سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تخالف ما حكم به فعلى هذا أن يتبع

ما علم من سنة رسول الله ويأمر بذلك ويفتى به ويدعو إليه ولا يقلد الحاكم هذا كله باتفاق المسلمين وإن ترك المسلم عالماً كان أو غير عالم ما علم من أمر الله ورسوله لقول غيره كان مستحقاً للعذاب قال تعالى {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} النور 63 وإن كان ذلك الحاكم قد خفى عليه هذا النص مثل كثير من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم تكلّموا فى مسائل بإجتهدهم وكان فى ذلك سنة لرسول الله تخالف إجتهدهم فهم معذورون لكونهم إجتهدوا و {لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} البقرة 286 ولكن من علم سنة رسول الله لم يجز له أن يعدل عن السنة إلى غيرها قال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} الأحزاب 36 ومن اتبع ما بعث الله به رسوله كان مهدياً منصوراً بنصرة الله فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} غافر 51 وقال تعالى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} {171} {إِنَّهُمْ لَهُمُ

{الْمَنْصُورُونَ} {172} وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ} {173}
 الصفات 171-173¹¹

*فالأمر باتباع الكتاب والسنة فكثير جدا كقوله {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ
 مِنْ رَبِّكُمْ} {الأعراف 3} {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا
 {الأنعام 155} {وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ} {الأعراف 157} و
 {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} {الأعراف 157} {وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} {المائدة 92} {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ
 بِإِذْنِ اللَّهِ} {النساء 64} {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ
 بَيْنَهُمْ} {النساء 65}¹²

*في الإكتفاء بالرسالة والإستغناء بالنبي عن إتباع ما سواه إتباعا
 عاما وأقام الله الحجة على خلقه برسله فقال تعالى {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
 كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} {النساء 163} الى قوله {
 لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} {النساء 165}
 فدللت هذه الآية على أنه لا حجة لهم بعد الرسل بحال وأنه قد يكون
 لهم حجة قبل الرسل ف الأول يبطل قول من أوجج
 الخلق الى غير الرسل حاجة عامة كالأئمة و الثاني يبطل قول
 من أقام الحجة عليهم قبل الرسل من المتفلسفة والمتكلمة وقال
 تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ
 {النساء 59} فأمر بطاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء إذا لم
 يتنازعا وهو يقتضى أن إتفاقهم حجة وأمرهم بالرد عند التنازع
 الى الله والرسول فأبطل الرد الى امام مقلد أو قياس عقلى فاضل
 وقال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا
 فِيهِ} {البقرة 213} فبين أنه بالكتاب يحكم بين أهل الأرض فيما

¹¹ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 374

¹² مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 504

اختلفوا فيه وقال تعالى { كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ } {2} { أَنْتَبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } {3} { الاعراف 2-3 }
 ففرض اتباع ما أنزله من الكتاب والحكمة وحظر إتباع أحد من دونه¹³

*فإن الله تعالى أمر المسلمين بالصلاة والزكاة فالصلاة حق الحق في الدنيا والآخرة والزكاة حق الخلق فالرسول أمر الناس بالقيام بحقوق الله وحقوق عباده بأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً فالذى شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعاد وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه فيه شرك وظلم وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعاد فإن الله تعالى أمر المؤمنين بعبادته والإحسان الى عباده كما قال تعالى { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ } النساء 36 وهذا أمر بمعالي الأخلاق وهو سبحانه يحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها وقد روى عنه أنه قال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق رواه الحاكم في صحيحه وقد ثبت عنه في الصحيح صلى الله عليه وسلم أنه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وقال اليد العليا هي المعطية واليد السفلى السائلة وهذا ثابت عنه في الصحيح فأين الإحسان الى عباد الله من إيذائهم بالسؤال والشحاذة لهم وأين التوحيد للخالق بالرغبة اليه والرجاء له والتوكل عليه والحب له من الإشراف به بالرغبة الى المخلوق والرجاء له والتوكل عليه وأن يحب كما يحب الله وأين صلاح العبد في عبودية الله والذل له والافتقار اليه من فساده في عبودية المخلوق والذل له والافتقار اليه فالرسول صلى الله عليه وسلم أمر بتلك الأنواع الثلاثة الفاضلة المحمودة التي تصلح أمور أصحابها في الدنيا والآخرة ونهى عن الأنواع الثلاثة التي تفسد أمور أصحابها ولكن الشيطان يأمر بخلاف ما يأمر به الرسول

¹³ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 67

قال تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } {36} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ } {37} حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ } {38} الزخرف 36-38 وذكر الرحمن هو الذكر الذي أنزل الله على رسوله الذي قال فيه { **المص** } {1} **كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } {3} {الاعراف 1-3}**¹⁴

ليس لأحد أن يجعل شيئا عبادة أو قرابة الا بدليل

شرعى

* أن باب العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن الله ورسوله فليس لأحد أن يجعل شيئا عبادة أو قرابة الا بدليل شرعى قال تعالى { **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ** } {الشورى 21} وقال تعالى { **وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ** } {الأنعام 153} وقال تعالى { **1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِيُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } {3} {الاعراف 1-3}** ونظائر ذلك فى الكتاب كثير يأمر الله فيه بطاعة رسوله واتباع كتابه وينهى عن اتباع ما ليس من ذلك و**البدع** جميعها كذلك فان البدعة الشرعية أى المذمومة فى الشرع هى ما لم يشرعه الله فى الدين أى ما لم يدخل فى أمر الله ورسوله وطاعة الله ورسوله فاما إن دخل فى ذلك فإنه من الشرعة لا من البدعة الشرعية وإن كان قد فعل بعد موت النبي بما عرف من أمره كاخراج اليهود والنصارى بعد موته وجمع المصحف وجمع الناس على قارىء واحد فى قيام رمضان ونحو ذلك وعمر بن الخطاب الذى أمر

بذلك وإن سماه بدعة فإنما ذلك لأنه بدعة في اللغة إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى في اللغة بدعة وليس مما تسميه الشريعة بدعة وينهى عنه فلا يدخل فيما رواه مسلم من صحيحه عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة فإن قوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة حق وليس فيما دلت عليه الأدلة الشرعية على الاستحباب بدعة كما قال في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذي عن العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعظنا رسول الله موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال أوصيكم بتقوى الله وعلينكم بالسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وفي رواية فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وفي رواية وكل ضلالة في النار ففي هذا الحديث أمر المسلمين باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين وبين أن المحدثات التي هي البدع التي نهى عنها ما خالف ذلك فالتراويح ونحو ذلك لو لم تعلم دلالة نصوصه وأفعاله عليها لكان أدنى أمرها أن تكون من سنة الخلفاء الراشدين فلا تكون من البدع الشرعية التي سماها النبي بدعة ونهى عنها¹⁵

*وأمرنا الله سبحانه وتعالى ان لا نكون { كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } آل عمران 105 واخبر رسوله { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159 وذكر انه جعله على شريعة من الامر وامره ان يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون وقال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا

¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 35-37

لَمَّا بَيَّنَّ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمِنَا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {48} وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ {49} المائدة 48-49 فأمره ان لا يتبع اهواءهم عما جاءه من الحق وان كان ذلك شرعا او طريقا لغيره من الانبياء انه قد جعل لكل نبي سنة وسبيلا وحذره ان يفتنوه عن بعض ما انزل الله اليه فاذا كان هذا فيما جاءت به شريعة غيره فكيف بما لا يعلم انه جاءت به شريعة بل هو طريقة من لا كتاب له وأمره وايانا فى غير موضع ان نتبع ما انزل الينا دون ما خالفه فقال { المص {1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {3} الاعراف 1-3¹⁶

*فمن أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمدا من الكتاب والحكمة ولا تخلطه بغيره ولا تلبس الحق بالباطل كفعل أهل الكتاب فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديننا وقد قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله خطأ وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ قوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وجماع ذلك بحفظ أصليين أحدهما تحقيق ما جاء به الرسول فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة

¹⁶مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 127-128

والتفسيرات الباطلة بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته والثانى أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأياً ولا رواية قال الله تعالى فيما يأمر به بنى إسرائيل وهو لنا {وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} {41} وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {42} البقرة 41-42 فلا يكتم الحق الذي جاء به الرسول ولا يلبس بغيره من البطل ولا يعارض بغيره قال الله تعالى {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} {الأعراف 3} وقال تعالى {وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} {الأنعام 93} وهؤلاء الأقسام الثلاثة هم أعداء الرسل فإن أحدهم إذا أتى بما يخالفه إما ان يقول إن الله أنزله علي فيكون قد افترى على الله أو يقول أوحى إليه ولم يسم من أوحاه أو يقول أنا انشأته وأنا أنزل مثل ما أنزل الله فأما ان يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلى أحد وهذه الأقسام هم من شياطين الإنس والجن الذين {يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا} {الأنعام 112} قال الله تعالى {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} {30} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} {31} الفرقان 30-31 والله أعلم والحمد لله¹⁷

من لم يفعل المأمور فعل بعض المحظور

وعطف الشيء على الشيء فى القرآن وسائر الكلام يقتضى مغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع اشتراك المعطوف والمعطوف عليه فى الحكم الذى ذكر لهما والمغايرة على مراتب أعلاها أن يكونا متباينين ليس أحدهما هو الآخر ولا جزأه ولا يعرف لزومه له كقوله { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 152

فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ { الفرقان 59 ونحو ذلك وقوله { وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ
 { البقرة 98 وقوله { نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ {3} مِنْ قَبْلِ هُدَىٰ لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ
 الْفُرْقَانَ {4} آل عمران 3-4 وهذا هو الغالب ويليهِ أن يكون
 بينهما لزوم كقوله { وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ { البقرة 42 وقوله { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
 لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ { النساء 115 وقوله { وَمَنْ
 يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ { النساء 136 فان من كفر بالله
 فقد كفر بهذا كله فالمعطوف لازم للمعطوف عليه وفي الآية التي
 قبلها المعطوف عليه لازم فانه من يشاقق الرسول من بعد ما تبين
 له الهدى فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وفي الثانى نزاع قوله { وَلَا
 تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ { البقرة 42 هما
 متلازمان فان من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوسا به خفى من
 الحق بقدر ما ظهر من الباطل فصار ملبوسا ومن كتم الحق احتاج
 ان يقيم موضعه باطلا فيلبس الحق بالباطل ولهذا كان كل من كتم
 من أهل الكتاب ما أنزل الله فلا بد أن يظهر باطلا وهكذا
 أهل البدع لا تجد أحدا ترك بعض السنة التي يجب التصديق بها
 والعمل الا وقع فى بدعة ولا تجد صاحب بدعة الا ترك شيئا من
 السنة كما جاء فى الحديث ما ابتدع قوم بدعة الا تركوا من
 السنة مثلها رواه الامام أحمد وقد قال تعالى { فَتَسُوا حَظًّا مِمَّا
 ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ { المائدة 14 فلما
 تركوا حظا مما ذكروا به اعتاضوا بغيره فوقعت بينهم العداوة
 والبغضاء وقال تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ
 شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ { الزخرف 36 أى عن الذكر الذى أنزله
 الرحمن وقال تعالى { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا
 يَشْقَى {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
 وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} طه 123-124 وقال { اتَّبِعُوا مَا
 أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
 { الأعراف 3 فأمر باتباع ما أنزل ونهى عما يضاد ذلك وهو اتباع

أولياء من دونه فمن لم يتبع احدهما اتبع الآخر ولهذا قال { وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ } النساء 115 قال العلماء من لم يكن متبعا سبيلهم كان متبعا غير سبيلهم فاستدلوا بذلك على أن اتباع سبيلهم واجب فليس لأحد أن يخرج عما أجمعوا عليه وكذلك من لم يفعل المأمور فعل بعض المحذور ومن فعل المحذور لم يفعل جميع المأمور فلا يمكن الانسان أن يفعل جميع ما أمر به مع فعله لبعض ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر فان ترك ما حظر من جملة ما أمر به فهو مأمور ومن المحذور ترك المأمور فكل ما شغله عن الواجب فهو محرم وكل ما لا يمكن فعل الواجب الا به فعليه فعله¹⁸

* وكل من دعا إلى شيء من الدين بلا أصل من كتاب الله وسنة رسوله فقد دعا إلى بدعة وضلالة والإنسان في نظره مع نفسه ومناظرته لغيره إذا اعتصم بالكتاب والسنة هداة الله إلى صراطه المستقيم فإن الشريعة مثل سفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وقد قال تعالى اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء سورة الأعراف 3 وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في سياق حجة الوداع إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله تعالى وفي الصحيح أنه قيل لعبدالله بن أبي أوفى هل وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء قال لا قيل فلم وقد كتب الوصية على الناس قال وصى بكتاب الله¹⁹

¹⁸ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 173-174

¹⁹ درة التعارض ج: 1 ص: 234-235

"من وجد خيراً فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"

*و يجب أن يعلم العبد أن عمله من الحسنات هو بفضل الله و رحمته و من نعمته كما قال أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ {الأعراف43 و قال تعالى { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ {الحجرات7 و قال تعالى {أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ {الزمر22 و قال {أَوْ مَن كَانَ مِنبَأً فَأَحْبَبْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا {الأنعام122 و قال تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا {الشورى52 وكذلك إضافة السيئات إلى نفسه هو الذي ينبغي أن يفعله مع علمه بأن الله خالق كل موجود من الأعيان و الصفات و الحركات و السكنات كما قال آدم { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {الأعراف23 و قال موسى { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي {القصص16 و قال الخليل {وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {الشعراء82 و قال لخاتم الرسل {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ {محمد19 و قد قال تعالى في حق من عذبهم {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ {هود101 {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ {الأعراف5 و أمثال هذا كثير في الكتاب و السنة و في الحديث الصحيح الإلهي الذي رواه مسلم و غيره عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه و سلم فيما يروى عن ربه تعالى يا عبادي انى حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعاً و لا أبالي فاستغفروا نى أغفر لكم يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته

فاستهدو نى أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمو
 نى أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم
 يا عبادى لو أن أو لكم و آخركم و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى
 قلب رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم و
 آخركم و إنسكم و جنكم إجتمعوا فى صعيد و احد فسألونى
 فأعطيت كل إنسان منهم مسألته لم ينقص ذلك من ملكي إلا كما
 ينقص البحر إذ يغمس فيه المخيط غمسة و احدة يا عبادي إنما هي
 أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن و جد خيرا فليحمد الله و
 من و جد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه فقد بين هذا الحديث أن من
 و جد خيرا بالعمل الصالح فليحمد الله فإنه هو الذي أنعم بذلك و إن
 و جد غير ذلك إما شرا له عقاب و إما عبثا لافائدة فيه فلا يلومن
 إلا نفسه فإنه هو الذي ظلم نفسه و كل حادث بفقدرة الله و مشيئته

20

الله سبحانه شهيد على العباد

* قال الله تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ
 الْخَلْقِ غَافِلِينَ} المؤمنون 17 و قال تعالى { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ
 إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } 6 { فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا
 غَائِبِينَ } 7 { الأعراف 6-7 } و قد قال تعالى { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ }
 البقرة 3 قال طائفة من السلف الغيب هو الله أو من الايمان
 بالغيب الايمان بالله ففي موضع نفى عن نفسه أن يكون غائبا و فى
 موضع جعله نفسه غيبا ولهذا اختلف الناس فى هذه المسألة
 فطائفة من المتكلمين من أصحابنا و غيرهم كالقاضي و ابن عقيل
 و ابن الزاغونى يقولون بقياس الغائب على الشاهد و يريدون
 بالغائب الله و يقولون قياس الغائب على الشاهد ثابت بالحد و العلة
 و الدليل و الشرط كما يقولون

فى مسائل الصفات فى إثبات العلم و الخبرة و الإرادة و غير ذلك
 و أنكر ذلك عليهم طائفة منهم الشيخ أبو محمد فى رسالته إلى أهل
 رأس العين و قال لا يسمى الله غائبا و استدل بما ذكره و فصل
 الخطاب بين الطائفتين أن اسم الغيب و الغائب من الأمور
 الاضافية يراد به ما غاب عنا فلم ندركه و يراد به ما غاب عنا فلم
 يدركنا و ذلك لأن الواحد منا إذا غاب عن الآخر مغيبا مطلقا لم
 يدرك هذا هذا و لا هذا هذا و الله سبحانه شهيد على العباد رقيب
 عليهم مهيمن عليهم لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض و لا فى
 السماء فليس هو غائبا وإنما لما لم يره العباد كان غيبا و لهذا
 يدخل فى الغيب الذى يؤمن به و ليس هو بغائب فإن الغائب
 اسم فاعل من قولك غاب يغيب فهو غائب و الله شاهد غير غائب و
 أما الغيب فهو مصدر غاب يغيب غيبا و كثيرا ما يوضع
 المصدر موضع الفاعل كالعدل و الصوم و الزور و موضع
 المفعول كالخلق و الرزق و درهم ضرب الأمير و لهذا يقرن
 الغيب بالشهادة و هي أيضا مصدر فالشهادة هي المشهود أو
 الشاهد و الغيب هو إما المغيب عنه فهو الذى لا يشهد نقيض
 الشهادة و إما بمعنى الغائب الذى غاب عنا فلم نشهده فتسميته باسم
 المصدر فيه تنبيه على النسبة الى الغير أي ليس هو بنفسه غائبا
 وإنما غاب عن الغير أو غاب الغير عنه و قد يقال اسم الشهادة
 و الغيب يجمع النسبتين فالشهادة ما شهدنا و شهدناه و الغيب ما
 غاب عنا و غبنا عنه فلم نشهده و على كل تقدير فالمعنى فى كونه
 غيبا هو انتفاء شهود ناله و هذه تسمية قرآنية صحيحة فلو قالوا
 قياس الغيب على الشهادة لكانت العبارة موافقة و اما قياس الغائب
 ففيه مخالفة فى ظاهر اللفظ و لكن موافقة فى المعنى فلماذا حصل
 فى اطلاقه التنازع²¹

²¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 51-52

*فإنه لا بد للعبد من لقاء الله ولا بد أن الله يحاسب عبده كما قال تعالى {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} {الأعراف6}

22

الرد على ما انكرت الجهمية من ان الله كلم موسى

* وقال الامام أحمد في الجزء الذي فيه الرد على الجهمية والزندقة وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير ان نقول جوف ولا فم ولا شفطان وقال بعد ذلك بل نقول ان الله لم يزل متكلماً اذا شاء ولا نقول انه كان ولا يتكلم حتى خلق وكلامه فيه طول قال باب ما انكرت الجهمية من ان الله كلم موسى فقلنا لم انكرتم ذلك قالوا ان الله لم يتكلم ولا يتكلم انما كون شيئاً فعبر عن الله وخلق صوتاً فأسمعه وزعموا ان الكلام لا يكون الا من جوف ولسان وشفنتين فقلنا هل يجوز ان يكون لمكون غير الله ان يقول { يَا مُوسَى {11} اِنِّي اَنَا رَبُّكَ {12} طه11-12 او يقول { اِنِّي اَنَا اللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدْنِي وَاَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي } طه14 فمن زعم ان ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية ولو كان كما زعم الجهمي ان الله كون شيئاً كان يقول ذلك المكون يا موسى ان الله رب العالمين ولا يجوز ان يقول اني انا الله رب العالمين وقد قال جل ثناؤه { وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً } النساء164 وقال {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} {الأعراف143} وقال { اِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي } {الأعراف144} فهذا منصوص القرآن واما ما قالوا ان الله لم يتكلم ولا يكلم فكيف يصنعون بحديث الاعمش عن خيثمة عن عدى بن حاتم الطائي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان واما قولهم ان الكلام لا يكون الا من جوف وفم وشفنتين ولسان فنقول ليس الله قال للسموات والارض { اُنْتِيَا طَوْعاً اَوْ كَرْهًا قَالَتَا اُنْتِيَا طَائِعِيْنَ

{ فصلت 11 أتراها انها قالت بجوف وفم وشفنتين ولسان
وقال { إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ } ص 18
اتراها انها يسبحن بجوف وفم ولسان وشفنتين ولكن الله انطقها
كيف شاء وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير ان نقول جوف ولا فم
ولا شفتان ولا لسان فلما خنقته الحجاج قال ان الله كلم موسى
الا ان كلامه غيره فقلنا وغيره مخلوق قال نعم قلنا هذا مثل قولكم
الاول الا انكم تدفعون عن انفسكم الشنعة وحديث الزهرى قال لما
سمع موسى كلام ربه قال يا رب هذا الذى سمعته هو كلامك
قال نعم يا موسى هو كلامى وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان
ولى قوة الالسن كلها وانا اقوى من ذلك وانما كلمتك على قدر ما
يطيق بدنك ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت قال فلما رجع
موسى الى قومه قالوا له صف لنا كلام ربك فقال سبحان الله
وهل استطيع ان اصفه لكم قالوا فشبهه قال سمعتم اصوات
الصواعق التى تقبل فى احدى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله
وقلنا للجهمية من القائل يوم القيامة { يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ } المائدة 116 اليس
الله هو القائل قالوا يكون الله شيئا فيعبر عن الله كما كونه فعبر
لموسى قلنا فمن القائل { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ } {6} فَلَنَقُصِّصَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ {7} الأعراف 6-7 اليس الله
هو الذى يسأل قالوا هذا كله انما يكون شيئا فيعبر عن الله فقلنا
قد اعظمت على الله الفرية حين زعمتم انه لا يتكلم فشبهتموه
بالاصنام التى تعبد من دون الله لان الاصنام لا تتكلم ولا تتحرك
ولا تزول من مكان الى مكان²³

الرسول هو المعصوم

²³ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 153-155

* وأيضا فإن المعصوم تجب طاعته مطلقا بلا قيد ومخالفة يستحق الوعيد والقرآن إنما أثبت هذا في حق الرسول خاصة قال تعالى { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } النساء 69 وقال { وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ } النساء 14 فدل القرآن في غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار وبين الأبرار والفجار وبين الحق والباطل وبين الغي والرشاد والهدى والضلال وجعله القسيم الذي قسم الله به عباده إلى شقى وسعيد فمن اتبعه فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقى وليست هذه المرتبة لغيره ولهذا اتفق أهل العلم أهل الكتاب والسنة على أن كل شخص فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل أمر فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهو الذي يسأل الناس عنه يوم القيامة كما قال تعالى { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } الأعراف 6 وهو الذي يمتحن به الناس في قبورهم فيقال لأحدهم من ربك وما دينك ومن نبيك ويقال ما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول هو عبد الله ورسوله جاءنا بالبينات والهدى فأما به واتبعناه ولو ذكر بدل الرسول من ذكره من الصحابة والأئمة والتابعين والعلماء لم ينفعه ذلك ولا يمتحن في قبره بشخص غير الرسول²⁴

كان الصحابة إذا تكلموا بإجتهادهم ينزهون شرع الرسول من خطئهم

²⁴ منهاج السنة النبوية ج: 6 ص: 190- 191

*وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال إذا اجتهد الحاكم فاصاب
 فله أجران وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وثبت عنه في
 الصحيح أنه كان يقول لمن بعثه أميراً على سرية وجيش وإذا
 حاصرت أهل حصن فسألوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم
 على حكم الله فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم ولكن أنزلهم على
 حكمك وحكم أصحابك وهذا يوافق ما ثبت في الصحيح أن سعد
 بن معاذ لما حكمه النبي في بنى قريظة وكان النبي قد حاصرهم
 فنزلوا على حكمه فأنزلهم على حكم سعد بن معاذ لما طلب منهم
 حلفاً وهم من الأنصار أن يحسن إليهم وكان سعد بن معاذ خلاف
 ما يظن به بعض قومه كان مقدماً لرضى الله ورسوله على رضى
 قومه ولهذا لما مات إهتر له عرش الرحمن فرحاً بقدم روحه
 فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى حريمهم وتقسم أموالهم فقال
 النبي لقد حكمت فيهم بحكم الملك وفي رواية لقد حكمت
 فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات والعلماء ورثة الأنبياء وقد
 قال تعالى { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ
 عَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا
 حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا
 فَاعِلِينَ } {79} الانبياء 78-79 فهذان نبيان كريمان حكما في
 حكومة واحدة فخص الله أحدهما بفهمها مع ثنائه على كل منهما
 بأنه أتاه حكما وعلما فكذلك العلماء المجتهدون رضى الله عنهم
 للمصيب منهم أجران وللآخر أجر وكل منهم مطيع لله بحسب
 استطاعته ولا يكلفه الله ما عجز عن علمه ومع هذا فلا يلزم
 الرسول قول غيره ولا يلزم ما جاء به من الشريعة شيء من
 الأقوال المحدثه لاسيما إن كانت شنيعة ولهذا كان الصحابة إذا
 تكلموا بإجتهادهم ينزهون شرع الرسول من خطئهم وخطأ غيرهم
 كما قال عبد الله بن مسعود في المفوضة أقول فيها برأى فان يكن
 صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله
 بريئان منه وكذلك روى عن الصديق في الكلالة وكذلك عن عمر
 في بعض الأمور مع أنهم كانوا يصيبون فيما يقولونه على هذا

الوجه حتى يوجد النص موافقا لإجتهادهم كما وافق النص إجتهادا
ابن مسعود وغيره وإنما كانوا أعلم بالله ورسوله وبما يجب من
تعظيم شرع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضيفوا إليه إلا ما
علموه منه وما أخطوا فيه وإن كانوا مجتهدين قالوا إن الله ورسوله
بريئان منه وقد قال الله تعالى { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
النور 54 } وقال { فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ } النور 54
وقال { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } الأعراف 6

25

الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه

* أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه إذ العلم
يطابق المعلوم فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه لا يفعل هذا ليس فيه
تعرض لأنه كتب هذا على نفسه وحرّم هذا على نفسه كما لو أخبر
عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن في هذا بيان
لكونه محمودا ممدوحا على فعل هذا وترك هذا ولا في ذلك ما
يبين قيام المقتضى لهذا والمانع من هذا فإن الخبر المحض كاشف
عن المخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعو إلى الفعل ولا إلى الترك
بخلاف قوله { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 12 وحرّم
على نفسه الظلم فإن التحريم مانع من الفعل وكتابتها على
نفسه داعية إلى الفعل وهذا بين واضح إذ ليس المراد بذلك مجرد
كتابتها أنه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت في الصحيح أنه
قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف
سنة وكان عرشه على الماء فإنه قال { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ
الرَّحْمَةَ } الأنعام 12 ولو أريد كتابة التقدير لكان قد كتب على
نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة إذ كان المراد مجرد
الخبر عما سيكون وكان قد حرّم على نفسه كل ما لم يفعله من

²⁵ب مجموع الفتاوى ج: 33 ص: 40-42

الإحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق ثابت في حقنا بين قوله
 { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى } البقرة 178 وبين قوله
 { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ } القمر 52 وقوله { مَا أَصَابَ مِنْ
 مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا
 { الحديد 22 وقوله فيبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال
 له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فهكذا الفرق أيضا
 ثابت في حق الله ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم
 قوله تعالى { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } الروم 47 وقول
 النبي في الحديث الصحيح يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده
 قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به
 شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله
 اعلم قال حقهم عليه ألا يعذبهم ومنه قوله في غير حديث
 كان حقا على الله أن يفعل به كذا فهذا الحق الذي عليه هو أحقه
 على نفسه بقوله ونظير تحريمه على نفسه وإيجابه على نفسه
 ما أخبر به من قسمه ليفعلن وكلمته السابقة كقوله { وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ } طه 129 وقوله { لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ } السجدة 13
 و { أَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } إبراهيم 13 { فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ
 دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
 وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } آل عمران 195
 { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } الأعراف 6
 ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الإيجاب والمعنى
 بخلاف القسم المتضمن للخبر المحض
 ولهذا قال الفقهاء اليمين إما أن توجب حقا أو منعا أو تصديقا أو
 تكذيبا²⁶

الاعمال توزن بموازين

²⁶ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 148-155

*وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلا وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق فتتصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد {وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {8} وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ} {9} الاعراف 8-9 وتنتشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وتعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ويحاسب الله الخلاق ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقررون بها²⁷

* وفي الصحيحين عن النبي أنه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال عن ساقى عبد الله بن مسعود لهما في الميزان أثقل من أحد وفي الترمذى وغيره حديث البطاقة وصحيحه الترمذى والحاكم وغيرهما في الرجل الذى يؤتى به فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر فيوضع فى كفة ويؤتى له ببطاقة وفيها شهادة أن لا اله الا الله قال النبي فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وهذا وأمثاله مما يبين أن الاعمال توزن بموازين تبين بها رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس فهو ما به تبين العدل والمقصود بالوزن العدل كموازين الدنيا وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب²⁸

²⁷ العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 33

²⁸ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 302

حزب الله المفلحون هم اهل العلم النافع والعمل

الصالح

*والحق المبين أن كمال الانسان ان يعبد الله علما وعملا كما امره ربه وهؤلاء هم عباد الله وهم المؤمنون والمسلمون وهم اولياء الله المتقون وحزب الله المفلحون وجند الله الغالبون وهم اهل العلم النافع والعمل الصالح وهم الذين زكوا نفوسهم وكملوها كملوا القوة النظرية العلمية والقوة الارادية العملية كما قال تعالى {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {الأعراف} 29²⁹

لطائف لغوية

1- ما يقوله بعضهم إنه قد يعطف الشيء لمجرد تغاير اللفظ كقوله فألقى قولها كذبا و مينا فليس في القرآن من هذا شيء و لا يذكر فيه لفظ زائدا إلا لمعنى زائد و إن كان في ضمن ذلك التوكيد و ما يجيء من زيادة اللفظ في مثل قوله {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهْمُ} {آل عمران} 159 و قوله {عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصِجْحَنَّ نَادِمِينَ} {المؤمنون} 40 و قوله {قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} {الأعراف} 3 فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه فزيادة اللفظ لزيادة المعنى و قوة اللفظ لقوة المعنى³⁰

2- عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} {الأعراف} 3 وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 وقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} {الأنعام} 153 وقد يقرن به غيره كقوله {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

²⁹مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 97

³⁰مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 541

مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ { الأنعام 155 } وقوله { اتَّبِعْ }
 مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ
 { الأنعام 106 } وقوله { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصَّكَ
 اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } يونس 109³¹

3- لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي
 فيها الحال والمحال كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على
 الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر
 يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت
 الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال
 تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً { النحل 112
 وقوله { وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ
 قَائِلُونَ } 4 { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا
 ظَالِمِينَ } 5 { الأعراف 4-5 } وقال في آية أخرى { أَفَأَمِنَ أَهْلُ
 الْقَرْيَةِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } الأعراف 97 فجعل
 القرى هم السكان وقال { وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ
 الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } محمد 13 وهم السكان
 وقال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا
 { البقرة 259 } فهذا المكان لا السكان لكن لابد أن يلحظ أنه كان
 مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من
 القرى وهو الجمع ومنه قولهم قريرت الماء في الحوض اذا جمعته
 فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم
 الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا
 عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب أحدهما
 من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما و
 قال تعالى { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا

³¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 169

{يوسف82 مثل قوله { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً { النحل112
فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا حذف³²

4- كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائماً وإما غالباً فيطلق
الإسم عليهما ويغلب هذا تارة وهذا تارة وقد يقع على أحدهما
مفردا كلفظ النهر و القرية و الميزاب ونحو ذلك
مما فيه حال ومحل فالإسم يتناول مجرى الماء والماء الجاري
وكذلك لفظ

القرية يتناول المساكن والسكان ثم تقول حفر النهر فالمراد به
المجرى و تقول جرى النهر فالمراد به الماء وتقول جرى الميزاب
تعنى الماء ونصب الميزاب تعنى الخشب و قال تعالى { وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ
فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ { النحل112 والمراد السكان فى المكان وقال تعالى

**{ وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ
{ الأعراف4 و قال تعالى { وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا**

ظَلَمُوا { الكهف59 و قال تعالى { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ
الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ { هود102 وقال تعالى { لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ
وَمَنْ حَوْلَهَا { الشورى7 وقال تعالى { فَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا
وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبُرُّ مُعْتَلِّةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ
{ الحج45 و الخاوي على عروشه المكان لا السكان لما كان
المقصود بالقرية هم السكان كان إرادتهم أكثر فى كتاب الله وكذلك
لفظ النهر لما كان المقصود هو الماء كان إرادته أكثر كقوله {
وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ { الأنعام6 وقوله { وَفَجَّرْنَا
خِلَالَهُمَا نَهْرًا { الكهف33 فهذا كثير أكثر من قولهم حفرنا النهر
و كذلك إطلاق لفظ القرآن على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على
نفس التكلم وكذلك لفظ الكلام والقول والقصص و سائر أنواع

³²مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 113

الكلام يراد بها نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم وهذه
الأمر لبسطها موضع آخر³³

5- تفصيل مجمل كقوله {وَكَمْ مِّنْ قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنَا
بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} الأعراف³⁴

³³ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 37-39

³⁴ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 353

الأعراف 10-33

{ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا
مَا تَشْكُرُونَ } 10 { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ
السَّاجِدِينَ } 11 { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا
خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } 12 { قَالَ
فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ
الصَّاغِرِينَ } 13 { قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ } 14 { قَالَ
إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ } 15 { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } 16 { ثُمَّ لَا تَجِدُ لَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ
شَاكِرِينَ } 17 { قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذُومًا مَّدْحُورًا لِّمَنِ تَبِعَكَ
مِنْهُمْ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ } 18 { وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } 19 { فَوَسَّوَسَ لَهُمَا
الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا
وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } 20 { وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا
لَمِنَ النَّاصِحِينَ } 21 { فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ
بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفَقَا يَخْصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ
الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ
لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ } 22 { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا
أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ } 23 { قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } 24 { قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ

وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ {25} يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا
 عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ
 خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ {26} يَا بَنِي آدَمَ لَا
 يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا
 لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ
 حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ {27} وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا
 وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ لَّمْ يَأْمُرِ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى
 اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {28} قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا
 وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا
 بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ {29} فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ
 الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ
 وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ {30} يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ
 عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْرِفِينَ {31} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
 وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَعْلَمُونَ {32} قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
 وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا
 لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
 تَعْلَمُونَ {33}

لا ينظر إلى نقص البداية ولكن ينظر إلى كمال
النهاية

*قال تعالى { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } الأعراف 12 فإن الله خلق آدم من تراب وخلط التراب بالماء حتى صار طينا وأبيس الطين حتى صار صلصالا كالخفار³⁵

* قال تعالى { وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } {10} { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ } {11} { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } {12} { الأعراف 10-12 } والإنسان ينتقل من نقص إلى كمال فلا ينظر إلى نقص البداية ولكن ينظر إلى كمال النهاية فلا يعاب الإنسان بكونه كان نطفة ثم صار علقة ثم صار مضغة إذا كان الله بعد ذلك خلقه في أحسن تقويم ومن نظر إلى ما كان فهو من جنس إبليس الذي قال { أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } ص 76 وقد قال تعالى { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ } {71} { فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } {72} ص 71-72 فأمرهم بالسجود له إكراما لما شرفه الله بنفخ الروح فيه وإن كان مخلوقا من طين والملائكة مخلوقون من نور وإبليس مخلوق من نار كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق الله الملائكة من نور وخلق إبليس من مارح من نار وخلق آدم مما وصف لكم³⁶

آدم والأنبياء والأولياء أفضل من جميع الملائكة

³⁵ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 147

³⁶ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 430

* اسجد له جميع الملائكة كما نطق بذلك القرآن فى قوله تعالى
 { فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ } ص73 فهذه ثلاث صيغ مقررّة
 للعموم وللإستغراق فإن قوله { الْمَلَائِكَةُ } ص73 يقتضى
 جميع الملائكة فان اسم الجمع المعروف بالألف واللام يقتضى
 العموم كقوله رب الملائكة والروح فهو رب جميع الملائكة
 الثانى { كُلُّهُمْ } ص73 وهذا من ابلغ العموم
 الثالث قوله { أَجْمَعُونَ } ص73 وهذا تأكيد للعموم ولم
 يكن فى المأمورين بالسجود أحد من الشياطين لكن أبوهم إبليس هو
 كان مأمورا فامتنع وعصى وجعله بعض الناس من الملائكة
 لدخوله فى الأمر بالسجود وبعضهم من الجن لأن له قبيلة وذرية
 ولكونه خلق من نار والملائكة خلقوا من نور والتحقيق أنه كان
 منهم باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله ولا باعتبار مثاله
 ولم يخرج من السجود لأدم أحد من الملائكة لا جبرائيل ولا
 ميكائيل ولا غيرهما وهذا ما استدل به أهل السنة على أن آدم
 وغيره من الأنبياء والأولياء به أهل السنة على ان آدم وغيره من
 الأنبياء والأولياء أفضل من جميع الملائكة لأن الله أمر الملائكة
 بالسجود له إكراما له ولهذا قال إبليس { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي
 كَرَّمْتِ عَلَيَّ { الإسراء 62 فدل على ان آدم كرم على من سجد له

37

فإن الإسم المجموع المعرف بالألف واللام يوجب إستيعاب الجنس
 قال تعالى { **ثُمَّ قَلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا** } الأعراف 11
 فسجود الملائكة يقتضى جميع الملائكة هذا مقتضى اللسان الذى
 نزل به القرآن فالعدول عن موجب القول العام إلى الخصوص لا بد
 له من دليل يصلح له وهو معدوم³⁸

³⁷ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 345-347

³⁸ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 363

الله يتكلم بمشيئته فى وقت بكلام معين

* أن الكلام معانيه وحروفه تنقسم إلى خبر وإنشاء والإنشاء منه الطلب والطلب ينقسم إلى أمر ونهي وحقيقة الطلب غير حقيقة الخبر فكيف لا تكون هذه أقسام الكلام وأنواعه بل هو موصوف بها كلها وأيضا فانه تعالى يخبر أنه لما أتى موسى الشجرة ناداه فناداه في ذلك الوقت لم يناده في الأزل وكذلك قال {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} {الأعراف 11} وقال {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} آل عمران 59 وقال {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ {البقرة 30} إلى مواضع كثيرة من القرآن تبين أنه تكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت فكيف يكون أزليا أبديا ما زال ولا يزال وكيف يكون لم يزل ولا يزال قائلا {يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا} {هود 48} {يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} آل عمران 55 {يَا مُوسَىٰ} طه 11 إلى قوله {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا} طه 14 {يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ} {1} {فَمِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا} {2} {المزمل 1-2} ³⁹

* والجهمية والمعتزلة مشتركون فى نفي الصفات وابن كلاب ومن تبعه كالأشعري وأبي العباس القلانسي ومن تبعهم أثبتوا الصفات لكن لم يثبتوا الصفات الاختيارية مثل كونه يتكلم بمشيئته ومثل كون فعله الاختيارى يقوم بذاته ومثل كونه يحب ويرضى عن المؤمنين بعد ايمانهم ويغضب ويبيغض الكافرين بعد كفرهم ومثل كونه يرى أفعال العباد بعد أن يعملوها كما قال تعالى {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} {التوبة 105} فاثبت رؤية مستقبلية وكذلك قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} {يونس 14} ومثل كونه

³⁹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 418

نادى موسى حين أتى لم يناده قبل ذلك بنداء قام بذاته فان المعتزلة والجهمية يقولون خلق نداء فى الهواء والكلابية والسالمية يقولون النداء قام بذاته وهو قديم لكن سمعه موسى فاستجدوا سماع موسى والا فما زال عندهم مناديا والقرآن والأحاديث وأقوال السلف والأئمة كلها تخالف هذا وهذا وتبين أنه ناداه حين جاء وأنه يتكلم بمشيئته فى وقت بكلام معين كما قال **{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}** الأعراف 11 وقال تعالى **{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** آل عمران 59 والقرآن فيه مئون من الآيات تدل على هذا الأصل واما الأحاديث فلا تحصى وهذا قول أئمة السنة والسلف وجمهور العقلاء ولهذا قال عبدالله بن المبارك والامام أحمد بن حنبل وغيرهما لم يزل متكلمًا اذا شاء وكيف شاء وهذا قول عامة أهل السنة فلماذا اتفقوا على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ولم نعرف عن أحد من السلف أنه قال هو قديم لم يزل والذين قالوا من المتأخرين هو قديم كثير منهم من لم يتصور المراد بل منهم من يقول هو قديم فى علمه ومنهم من يقول قديم أى متقدم الوجود متقدم على ذات زمان المبعث لا أنه أزلى لم يزل ومنهم من يقول بل مرادنا بقديم أنه غير مخلوق وقد بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضوع ⁴⁰

* وقد قال الامام أحمد رضى الله عنه وغيره من الأئمة لم يزل الله متكلمًا إذا شاء وهو يتكلم بمشيئته وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء كما قال تعالى **{فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ}** طه 11 فناداه حين أنها ولم يناده قبل ذلك وقال تعالى **{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفَقَا يَخْصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ}** الأعراف 22 فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم ينادهما قبل ذلك وكذلك قال تعالى **{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا**

لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ { الأعراف 11 } بعد أن خلق آدم وصوره ولم يأمرهم قبل ذلك وكذا قوله { إِنَّ مَثَلِ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } آل عمران 59 فأخبر أنه قال له كن فيكون بعد أن خلقه من تراب ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر أنه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين وقد ثبت في الصحيحين عن النبي أنه لما خرج إلى الصفا قرأ قوله تعالى { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ } البقرة 158 وقال نبداً بما بدأ الله به فأخبر أن الله بدأ بالصفا قبل المروة ⁴¹

* فإن الله سبحانه أخبر أن القرآن منزل منه و أنه تنزيل منه و أنه كلامه و أنه قوله و أنه كفر من قال أنه قول البشر و أخبر أنه قول رسول كريم من الملائكة و رسول كريم من البشر و الرسول يتضمن المرسل فيبين أن كلا من الرسولين بلغه لم يحدث هو منه شيئاً و أخبر أنه جعله قرآناً عربياً و قال عما ينزل منه جديداً بعد نزول غيره قديماً { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } الأنبياء 2 و أخبر أن للكلام المعين و قتا معينا كما قال تعالى { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ } طه 11 و قال { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } الأعراف 11 ⁴²

الصفات الاختيارية

* وقال تعالى { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } الأعراف 11 فأخبر سبحانه أنه قال لهم ذلك بعد أن خلق آدم وصوره لا قبل ذلك ⁴³

⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 598

⁴² مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 28

⁴³ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 64

*والآيات التي تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جدا وهذا كقوله تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} {الأعراف 11} فهذا بين في أنه إنما امر الملائكة بالسجود بعد خلق آدم لم يأمرهم في الأزل والصفات الاختيارية هي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فنقوم بذاته بمشيبته وقدرته مثلا كلامه وسمعه وبصره وارادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه ومثل خلقه واحسانه وعدله ومثل استوائه ومجيئه واتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة⁴⁴

*طائفة من الجمهور قالت بل الخلق والتكوين حادث إذا أراد الله خلق شيء وتكوينه وهذا قول أكثر أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام والفقه والتصوف قالوا لأن الله ذكر وجود أفعاله شيئا بعد شيء كقوله تعالى { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } {الأعراف 54} وقوله {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} {فصلت 11} وقوله {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} {الأعراف 11} وقوله {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ} {12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ} {13} ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} {14} المؤمنون 12- 14 وأمثال ذلك وهو لاء يلتزمون أنه تقوم به الأمور الاختيارية كخلقهم ورضاه وغضبه وكلامه وغير ذلك مما دلت عليه النصوص وفي القرآن أكثر من ثلاثمائة موضع توافق قولهم وأما الأحاديث فكثيرة جدا والآثار عن السلف بذلك متواترة وهو قول أكثر الأساطين من الفلاسفة⁴⁵

⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 222

⁴⁵ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 391

حجة إبليس باطلة لأنه عارض النص بالقياس

* حجة إبليس في قوله { **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** } الأعراف 12 هي باطلة لأنه عارض النص بالقياس ولهذا قال بعض السلف أول من قاس إبليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس ويظهر فسادها بالعقل من وجوه خمسة أحدهما أنه ادعى أن النار خير من الطين وهذا قد يمنع فإن الطين فيه السكينة والوقار والإستقرار والثبات والإمساك ونحو ذلك وفي النار الخفة والحدة والطيش والطين فيه الماء والتراب الثاني أنه وإن كانت النار خيرا من الطين فلا يجب أن يكون المخلوق من الأفضل أفضل فإن الفرع قد يختص بما لا يكون في أصله وهذا التراب يخلق منه من الحيوان والمعادن والنبات ما هو خير منه والإحتجاج على فضل الإنسان على غيره بفضل أصله على أصله حجة فاسدة احتج بها إبليس وهي حجة الذين يفتخرون بأنسابهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من قصر به عمله لم يبلغ به نسبه الثالث أنه وإن كان مخلوقا من طين فقد حصل له بنفخ الروح المقدسة فيه ما شرف به فلماذا قال { **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** } ص 72 فعلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه فالموجب للتفضيل هذا المعنى الشريف الذي ليس لا بليس مثله الرابع أنه مخلوق بيدي الله تعالى كما قال تعالى { **مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ** } ص 75 وهو كالأثر المروى عن النبي مرسلا وعن عبد الله بن عمرو في تفضيله على الملائكة حيث قالت الملائكة يارب قد خلقت لنبي آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون وينكحون فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا فقال لا أفعل ثم أعادوا فقال لا أفعل ثم أعادوا فقال وعزتي لا أجعل صالح من خلقت بيدي

كمن قلت له كن فكان الخامس أنه لو فرض أنه أفضل فقد يقال إكرام الأفضل للمفضول ليس بمستنكر⁴⁶

*والغلط في القياس يقع من تشبيه الشيء بخلافه وأخذ القضية الكلية باعتبار القدر المشترك من غير تمييز بين نوعيها فهذا هو القياس الفاسد كقياس الذين قالوا { إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا } البقرة 275 وقياس ابليس ونحو ذلك من الأقيسة الفاسدة التي قال فيها بعض السلف أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس يعنى قياس من يعارض النص ومن قاس قياسا فاسدا وكل قياس عارض النص فانه لا يكون الا فاسدا وأما القياس الصحيح فهو من الميزان الذي أنزله الله ولا يكون مخالفا للنص قط بل موافقا له⁴⁷

* وأما قوله (الملحدون مثل ابن عربي) رآه غيرا فلم يسجد فهذا شر من الإحتجاج بالقدر فان هذا قول أهل الوحدة الملحدين وهو كذب على ابليس فان ابليس لم يمتنع من السجود لكونه غيرا بل قال { أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } ص76 { قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } الأعراف 12 ولم تؤمر الملائكة بالسجود لكون آدم ليس غيرا بل المغايرة بين الملائكة و آدم ثابتة معروفة والله تعالى { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 31 { قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } 32 { البقرة 31-32 وكانت الملائكة و آدم معترفين بأن الله مباين لهم وهم مغايرون له ولهذا دعوه دعاء العبد ربه فآدم يقول { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا

⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 5-6

⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 300

{الأعراف 23 والملائكة تقول {لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} {32}
البقرة 32⁴⁸

"لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر"

*وقد قال في الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقال تعالى {وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} {العلق 19} والمراد القرب من الداعي في سجوده كما قال وأما السجود فأكثرها فيه من الدعاء فقم أن يستجاب لكم فأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود مع قرب العبد من ربه وهو ساجد وقد أمر المصلي أن يقول في سجوده سبحان ربى الأعلى رواه اهل السنن وكذلك حديث ابن مسعود اذا سجد العبد فقال في سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاثا ثم سجوده وذلك أدناه رواه أبو داود وفي حديث حذيفة الذى رواه مسلم أنه صلى بالليل صلاة قرأ فيها بالبقرة والنساء وآل عمران ثم ركع ثم سجد نحو قراءته يقول في ركوعه سبحان ربى العظيم وفي سجوده سبحان ربى الأعلى وذلك أن السجود غاية الخضوع والذل من العبد وغاية تسفيله وتواضعه بأشرف شىء فيه لله وهو وجهه بأن يضعه على التراب فناسب فى غاية سفوله ان يصف ربه بأنه الاعلى والاعلى أبلغ من العلى فان العبد ليس له من نفسه شىء هو باعتبار نفسه عدم محض وليس له من الكبرياء والعظمة نصيب وكذلك فى والعلو فى الأرض ليس للعبد فيه حق {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ} {القصص 83} فانه سبحانه ذم من يريد العلو فى الأرض كفرعون وابليس وأما المؤمن فيحصل له العلو بالايمان لا بارادته له كما قال تعالى {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران 139 فلما كان السجود غاية سفول العبد وخضوعه سبح اسم ربه الأعلى فهو

سبحانه الأعلى والعبد الأسفل كما أنه الرب والعبد العبد وهو الغنى
 والعبد الفقير وليس بين الرب والعبد الا محض العبودية فكلمها
 كملها قرب العبد اليه لأنه سبحانه بر جواد محسن يعطى العبد ما
 يناسبه فكلمها عظم فقره اليه كان أغنى وكلمها عظم ذله له كان أعز
 فان النفس لما فيها من أهوائها المتنوعة وتسويل الشيطان لها تبعد
 عن الله حتى تصير ملعونة بعيدة من الرحمة واللعنة هي
 البعد ومن أعظم ذنوبها ارادة العلو في الأرض والسجود فيه غاية
 سفولها قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
 جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 وفي الصحيح لا يدخل الجنة من في
 قلبه مثقال ذرة من كبر وقال لابليس { فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ
 لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } الأعراف 13⁴⁹

المعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله كان عذابا على صاحبه

*فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم
 ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم لا رب لهم غيره ولا مالك لهم
 سواه ولا خالق إلا هو سواء اعترفوا بذلك أنكروه وسواء علموا
 ذلك أو جهلوه لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك واعترفوا به
 بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له مستكبرا على ربه ولا
 يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق إذا
 كانت مع الاستكبار عن قبوله والجد له كان عذابا على صاحبه
 كما قال تعالى { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } النمل 14 وقال تعالى { الَّذِينَ
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ
 لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } البقرة 146 وقال تعالى { فَإِنَّهُمْ لَا
 يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام 33 فإن

اعترف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه محتاج إليه عرف
العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه فيتضرع إليه
ويتوكل عليه لكن قد يطيع أمره وقد يعصيه وقد يعبد مع ذلك وقد
يعبد الشيطان والأصنام ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة
والنار ولا يصير بها الرجل مؤمناً كما قال تعالى { وَمَا يُؤْمِنُ
أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } يوسف 106 فإن المشركين كانوا
يقرون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى { وَلَئِن
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } لقمان 25 وقال
تعالى { قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 84 {
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } 85 { المؤمنون 84-85 إلى
قوله { قُلْ فَأَنى تُسْحَرُونَ } المؤمنون 89 وكثير ممن يتكلم في
الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهي الحقيقة الكونية التي
يشترك فيها وفي شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر البر والفجر
وإبليس معترف بهذه الحقيقة وكذلك أهل النار قال إبليس {
أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } الأعراف 14 وقال { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي
لَأَرِيَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَأَلْغُوِيَتَّهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39 وقال
{ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 82 وقال { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي
كَرَّمْت عَلَيَّ } الإسراء 62 وأمثال هذا من الخطاب الذي يقر فيه
بأن الله ربه وخالقه وخالق غيره وكذلك أهل النار { قَالُوا رَبَّنَا
عَلَبْتَ عَلَيْنَا شِفُونَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ } المؤمنون 106 وقال تعالى
{ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا
قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } الأنعام 30 فمن وقف عند هذه
الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية التي
هي عبادته المتعلقة بالهيته وطاعة أمره وأمر رسوله كان من
جنس إبليس وأهل النار وإن ظن مع ذلك أنه من خواص أولياء الله
وأهل المعرفة والتحقيق الذين يسقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان
كان من أشر أهل الكفر والإلحاد⁵⁰

⁵⁰الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 365

الفرق بين الكبر الذي يمقته الله وبين الجمال الذي

يحبه الله

*إنما يسكن في جنته من يناسبها ويصلح لها وكذلك النار قال تعالى { طِبُّنُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ } الزمر 73 وفي الصحيح أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية كما قال تعالى { طِبُّنُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ } الزمر 73 ولما قال إبليس { أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ } 12 { قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } 13 { الأعراف 12- 13 فبين سبحانه أنه ليس لمن في الجنة أن يتكبر وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان قال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذاك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس_ وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال قاله جوابا للسائل في بيان ما يحبه الله من الأفعال وما يكرهه فإنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ومعلوم أن هذا الكبر من كسب العبد الداخل تحت قدرته ومشيتته وهو منهى عنه ومأمور بضده فخاف السائل أن يكون ما يتجمل به الإنسان

فيكون أجمل به ممن لم يعمل مثله من الكبر المذموم فقال إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنا أفمن الكبر ذاك وحسن ثوبه ونعله هو مما حصل بفعله وقصده ليس هو شيئا مخلوقا فيه بغير كسبه كصورته فقال له لنبي صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال ففرق بين الكبر الذي يمقته الله وبين الجمال الذي يحبه الله ومعلوم أن الله إذا خلق شخصا أعظم من شخص وأكبر منه في بعض الصفات إما في جسمه وإما في قوته وإما في عقله وذكائه ونحو ذلك لم يكن هذا مبغضا فإن هذا ليس باختيار العبد بل هذا خلق فيه بغير اختياره بخلاف ما إذا كان هو متكبرا على غيره بذلك أو بغيره فيكون هذا من عمله الذي يمقته الله عليه كما قال لإبليس { فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا } الأعراف 13⁵¹

الجنة التي اسكنها آدم وزوجته هي جنة الخلد

* الجنة التي اسكنها آدم وزوجته عند سلف الامة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد ومن قال أنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة أو غير ذلك فهو من المتفلسفة والملحدين أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة والكتاب والسنة يرد هذا القول وسلف الامة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول قال تعالى { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } {34} وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ {35} البقرة 34-35 الى قوله { وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } {36} البقرة 36 فقد أخبر أنه سبحانه أمرهم بالهبوط وأن بعضهم عدو لبعض ثم قال { وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } {36} البقرة 36 وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض وإنما أهبطوا الى الارض فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا الى

⁵¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 314- 319

أرض أخرى كإنتقال قوم موسى من أرض الى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم الى حين فى الأرض قبل الهبوط وبعده وكذلك قال فى الأعراف لما قال ابليس { **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ** } 12 { **قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ** } 13 { **الأعراف 12-13** فقله } **فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ** } 13 { **الأعراف 13** يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم فان الضمير فى قوله { **مِنْهَا** } 13 { **الأعراف 13** عائد الى معلوم غير مذكور فى اللفظ وهذا بخلاف قوله { **اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ** } البقرة 61 فإنه لم يذكر هناك ما اهبطوا فيه وقال هنا { **اهْبِطُوا** } البقرة 61 لان الهبوط يكون من علو الى سفلى وعند أرض السراة حيث كان بنوا اسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذى يهبطون اليه ومن هبط من جبل الى واد قيل له هبط وأيضا فإن بنى اسرائيل كانوا يسيرون ويرحلون والذى يسيرون ويرحل اذا جاء بلدة يقال نزل فيها لأن فى عادته انه يركب فى سيره فإذا وصل نزل عن دوابه يقال نزل العسكر بأرض كذا ونزل القفل بأرض كذا لنزولهم عن الدواب ولفظ النزول كلفظ الهبوط فلا يستعمل هبط الا اذا كان من علو الى سفلى وقوله { **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } 23 { **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ** } 24 { **الأعراف 23-24** فقله هنا قوله { **قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ** } 24 { **الأعراف 24** يبين انهم هبطوا الى الأرض من غيرها و { **قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ** } 25 { **الأعراف 25** دليل على انهم لم يكونوا قبل ذلك فيه بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون وانما صاروا اليه لما اهبطوا من الجنة والنصوص فى ذلك كثيرة وكذلك كلام السلف والأئمة وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك

من روحه واسجد لك ملائكته فلماذا اخرجتنا وذريتك من الجنة فقال له آدم انت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه فهل تجد فى التوراة وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فلماذا تلومنى على أمر قدره الله على قبل أن أخلق فقال فحج آدم موسى وموسى انما لام آدم لما حصل له وذريته بالخروج من الجنة من المشقة والنكد فلو كان ذلك بستانا فى الارض لكان غيره من بساتين الارض يعوض عنه وادم عليه السلام احتج بالقدر لان العبد مأمور على أن يصبر على ما قدره الله من المصائب ويتوب اليه ويستغفره من الذنوب والمعائب والله أعلم⁵²

لبنى آدم سبيل الى نجاتهم وسعادتهم مما يوقعهم الشيطان فيه بالاغواء وهو التوبة

*قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} {11} قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ {12} قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ {13} قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {14} قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {15} قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {16} ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمُ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {17} قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ {18} وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ {19} فَوسَّوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ {20} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ {21} فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا

⁵²مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 347-349

الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ
وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لَكُمْ أَعْدُوٌّ مُّبِينٌ {22} قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {23} قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ {24} قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ {25} الأعراف 11-24 فإن
إبليس إمتنع من السجود لآدم وأبغضه فصار عدوه فوسوس له
حتى يأكل من الشجرة فيذنب آدم أيضا فإنه قد تآلى أنه ليغوينهم
أجمعين وقد سأل الانظار الى يوم يبعثون فهو حريص على إغواء
آدم وذريته بكل ما أمكنه لكن آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه
واجتباه ربه وهداه بتوبته فصار لبني آدم سبيل الى نجاتهم
وسعادتهم مما يوقعهم الشيطان فيه بالاغواء وهو التوبة قال تعالى
{لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً} الأحزاب 73
وقدر الله قد أحاط بهذا كله قبل أن يكون وإبليس أصر على الذنب
واحتمج بالقدر وسأل الانظار ليهلك غيره وآدم تاب واناب وقال هو
وزوجته {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 فتاب الله عليه فاجتباه وهداه وأنزله
إلى الأرض ليعمل فيها بطاعته فيرفع الله بذلك درجته ويكون
دخوله الجنة بعد هذا اكمل مما كان فمن أذنب من أولاد آدم فاقتدى
بأبيه آدم فى التوبة كان سعيدا وإذا تاب وآمن وعمل صالحا بدل الله
سيئاته حسنات وكان بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة كسائر
أولياء الله المتقين ومن اتبع منهم إبليس فأصر على الذنب واحتج
بالقدر وأراد أن يغوي غيره كان من الذين قال فيهم {لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85⁵³

⁵³ب مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 383

إن القدر يجب الإيمان به ولا يجوز الاحتجاج به

*فإن القدر يجب الإيمان به ولا يجوز الاحتجاج به على مخالفة أمر الله ونهيه ووعدته ووعيده والناس الذين ضلوا في القدر على ثلاثة أصناف قوم آمنوا بالأمر والنهي والوعد والوعيد وكذبوا بالقدر وزعموا أن من الحوادث ما لا يخلقه الله كالمعتزلة ونحوهم وقوم آمنوا بالقضاء والقدر ووافقوا أهل السنة والجماعة على أنه ما شاء الله كان وما لم يثأ لم يكن وأنه خالق كل شئ وربهم ومليكه لكن عارضوا هذا بالأمر والنهي وسموا هذا حقيقة وجعلوا ذلك معارضا للشريعة وفيهم من يقول إن مشاهدة القدر تنفي الملام والعقاب وإن العارف يستوى عنده هذا وهذا وهم في ذلك متناقضون مخالفون للشرع والعقل والذوق والوجد فإنهم لا يسيرون بين من أحسن إليهم وبين من ظلمهم ولا يسيرون بين العالم والجاهل والقادر والعاجز ولا بين الطيب والخبيث ولا بين العادل والظالم بل يفرقون بينهما ويفرقون أيضا بموجب أهوائهم وأغراضهم لا بموجب الأمر والنهي ولا يقفون لا مع القدر ولا مع الأمر بل كما قال بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى أى مذهب يوافق هواك تمذهبت به ولا يوجد أحد يحتج بالقدر فى ترك الواجب وفعل المحرم إلا وهو متناقض لا يجعله حجة فى مخالفة هواه بل يعادى من آذاه وان كان محقا ويحب من وافقه على غرضه وان كان عدوا لله فيكون حبه وبغضه وموالاته ومعاداته بحسب هواه وغرضه وذوق نفسه ووجده لا بحسب أمر الله ونهيه ومحبته وبغضه وولايته وعداوته إذ لا يمكنه أن يجعل القدر حجة لكل أحد فإن هذا مستلزم للفساد الذى لا صلاح معه والشر الذى لا خير فيه اذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا اقتص من ظالم باغ ولا أخذ لمظلوم

حقه من ظالمه ولفعل كل أحد ما يشتهي من غير معارض يعارضه فيه وهذا فيه من الفساد ما لا يعلمه إلا رب العباد فمن المعلوم بالضرورة أن الأفعال تنقسم الى ما ينفع العباد والى ما يضرهم والله قد بعث رسوله صلى الله عليه وسلم يأمر المؤمنين بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فمن لم يتبع شرع الله ودينه تبع ضده من الأهواء والبدع وكان احتجاجة بالقدر من الجدل بالباطل ليدحض به الحق لا من باب الاعتماد عليه ولزمه أن يجعل كل من جرت عليه المقادير من أهل المعاذير وان قال أنا أعذر بالقدر من شهوده وعلم أن الله خالق فعله ومحركه لا من غاب عن هذا الشهود أو كان من أهل الجحود قيل له فيقال لك وشهود هذا وجحود هذا من القدر فالقدر متناول لشهود هذا وجحود هذا فإن كان هذا موجبا للفرق مع شمول القدر لهما فقد جعلت بعض الناس محمودا وبعضهم مذموما مع شمول القدر لهما وهذا رجوع الى الفرق واعتصام بالأمر والنهى وحينئذ فقد نقضت أصلك وتناقضت فيه وهذا لازم لكل من دخل معك فيه ثم مع فساد هذا الاصل وتناقضه فهو قول باطل وبدعة مضلة فمن جعل الإيمان بالقدر وشهوده عذرا في ترك الواجبات وفعل المحظورات بل الإيمان بالقدر حسنة من الحسنات وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات فلو أشرك مشرك بالله وكذب رسوله ناظرا الى أن ذلك مقدر عليه لم يكن ذلك غافرا لتكذيبه ولا مانعا من تعذيبه فان الله لا يغفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقرا بالقدر وناظرا اليه أو مكذبا به أو غافلا عنه فقد قال ابلّيس

{ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {16} ثُمَّ لَأَنْبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {17} } الاعراف 16-17 و{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ { الحجر 39 فاصر واحتج بالقدر فكان ذلك زيادة في كفره وسببا لمزيد عذابه وأما آدم عليه السلام فانه قال **{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ { الاعراف 23** قال تعالى **{ فَتَلَقْنَا**

أَدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ { البقرة 37
 فمن استغفر وتاب كان آدميا سعيدا ومن أصر واحتج بالقدر كان
 ابليسيا شقيا وقد قال تعالى لإبليس {لَأْمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ
 مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 وهذا الموضوع ضل فيه كثير من الخائضين
 فى الحقائق فانهم يسلكون أنواعا من الحقائق التى يجدونها
 ويدوقونها ويحتجون بالقدر فيما خالفوا فيه الأمر فيضاهون
 المشركين الذين كانوا يبتدعون دينا لم يشره الله ويحتجون بالقدر
 على مخالفة أمر الله⁵⁴

إبليس إعتل بالقدر

*قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علما و قدرة و حكما و
 وسع كل شيء رحمة و علما فما من ذرة فى السموات و الأرض و
 لا معنى من المعاني إلا و هو شاهد لله تعالى بتمام العلم و الرحمة
 وكمال القدرة و الحكمة و ما خلق الخلق باطلا و لا فعل شيئا عبثا
 بل هو الحكيم فى أفعاله و أقواله سبحانه و تعالى ثم من حكمته ما
 أطلع بعض خلقه عليه و منه ما إستأثر سبحانه بعلمه
 إرادته قسما إرادة أمر و تشريع و إرادة قضاء و تقدير
 فالقسم الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصي سواء وقعت أو
 لم تقع كما فى قوله { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ } النساء 26 و قوله { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا
 يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 وأما القسم الثانى و هو إرادة
 التقدير فهى شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الأحداث و قد
 أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى الأول كما فى
 قوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ

⁵⁴ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 302-303

أَنْ يُضَلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا { الأنعام 125 } و في قوله
 { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ
 يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ } هود 34 و في قول المسلمين ما شاء الله كان
 و ما لم يشأ لم يكن نظائره كثيرة و هذه الإرادة تتناول ما حدث
 من الطاعات و المعاصي دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول
 الطاعات حدثت أو لم تحدث و السعيد من أراد منه تقديرا ما أراد
 به تشريعا و العبد الشقي من أراد به تقديرا ما لم يرد به تشريعا و
 الحكم يجري على و فق هاتين الإرادتين فمن نظر الى الأعمال
 بهاتين العينين كان بصيرا و من نظر الى القدر دون الشرع أو
 الشرع دون القدر كان أعور مثل قريش الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ
 مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } { الأنعام 148 } قال الله
 تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَأَبُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ
 مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ
 } { الأنعام 148 } فإن هؤلاء إعتقدوا أن كل ما شاء الله و جوده و
 كونه و هي الإرادة القدرية فقد أمر به و رضيه دون الإرادة
 الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله و جوده
 قالوا فيكون قد رضيه و أمر به قال الله { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ
 قَبْلِهِمْ } { الأنعام 148 } بالشرائع من الأمر و النهي { حَتَّى دَأَبُوا
 بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
 أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } { الأنعام 148 } { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ
 لَنَا } { الأنعام 148 } بأن الله شرع الشرك و تحريم ما حرمتوه {
 إِنْ تَتَّبِعُونَ } { الأنعام 148 } في هذا { إِلَّا الظَّنَّ } { الأنعام 148 } و
 هو توهمكم أن كل ما قدره فقد شرعه { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ
 } { الأنعام 148 } أي تكذبون و تفترون بإبطال شريعته { فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ
 الْبَالِغَةُ } { الأنعام 149 } على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم
 إلى توحيدته و شريعته و مع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين الى
 متابعة شريعته لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلا منه و إحسانا
 و يحرم من يشاء لأن المتفضل له أن ينفضل له أن لا يتفضل فترك
 تفضله على من حرمه عدل منه و قسط و له في ذلك حكمة بالغة

وهو يعاقب الخلق على مخالفة أمره و إرادته الشرعية و إن كان ذلك بإرادته القدرية فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراضا تعقبه الآما فالمرض بقدره و الألم بقدره فإذا قال العبد قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعاقب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم و قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجي أو قد تقدمت بالضرب فلا يتألم المضروب و هذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل إعتلاله بالقدر ذنب بان يعاقب عليه أيضا و إنما إعتل بالقدر إبليس حيث { قَالَ فِيمَا أَعُوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } {16} ثُمَّ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {17} { الأعراف 16-17 } و { قَالَ رَبِّ بِمَا أَعُوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعُوَيْتَهُمْ أَجْمَعِينَ } { الحجر 39 } و أما آدم فقال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } { الأعراف 23 } فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه و من أراد شقاوته إعتل بعله إبليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار مثله مثل رجل طار الى داره شرارة نار فقال له العقلاء أطفئها لئلا تحرق المنزل فأخذ يقول من أين كانت هذه ريح ألقتهأ و أنا لا ذنب لي في هذه النار فما زال يتعلل بهذه العلل حتى استعرت و انتشرت و احترقت الدار و ما فيها هذه حال من شرع يحيل الذنوب على المقادير و لا يردھا بالإستغفار و المعاذير بل حاله أسوأ من ذلك بالذنب الذي فعله بخلاف الشرارة فإنه لا فعل له فيها و الله سبحانه يوفقنا و إياكم و سائر إخواننا لما يحبه و يرضاه فإنها لا تنال طاعته إلا بمعونته و لا تترك معصيته إلا بعصمته و الله أعلم⁵⁵

*فقوله { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } النساء 79 حق من كل وجه ظاهرا و باطنا على مذهب أهل السنة و أما السيئة فلا

تكون إلا بذنب العبد وذنبه من نفسه وهو لم يقل إنني لم أقدر ذلك ولم أخلقه بل ذكر للناس ما ينفعهم فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر الله فزاده الله من فضله عملا صالحا ونعما يفيضها عليه وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه استغفر وتاب فزال عنه سبب الشر فيكون العبد دائما شاكرا مستغفرا فلا يزال الخير يتضاعف له والشر يندفع عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الحمد لله فيشكر الله ثم يقول نستعينه ونستغفره نستعينه على الطاعة ونستغفره من المعصية ثم يقول ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فيستعيذ به من الشر الذي في النفس ومن عقوبة عمله فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه فيستعيذ الله من شر النفس أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا ثم إذا عمل استعاذ بالله من سيئات عمله ومن عقوبات عمله فاستعانه على الطاعة وأسبابها واستعاذ به من المعصية وعقابها فعلم العبد بأن ما أصابه من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه يوجب له هذا وهذا فهو سبحانه فرق بينهما هنا بعد أن جمع بينهما في قوله { قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ } النساء 78 ثم بين فرق الذي ينتفعون به وهو أن هذا الخير من نعمة الله فاشكروه يزدكم وهذا الشر من ذنوبكم فاستغفروه يدفعه عنكم والمذنب إذا تاب واستغفر تأسى بالانبياء كادم والمؤمنين كادم وغيره وإذا أصر واحتج بالقدر فقد تأسى بالأشقياء كإيليس ومن اتبعه من الغاوين فكان من ذكره أن السيئة من نفس الإنسان بذنوبه بعد أن ذكر أن الجميع من عند الله تتبها على الاستغفار والتوبة والاستعاذة بالله من شر نفسه وسيئات عمله والدعاء بذلك في الصباح والمساء وعند المنام كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أبا بكر الصديق أفضل الأمة حيث علمه أن يقول اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم فيستغفر مما مضى ويستعيذ مما يستقبل فيكون من حزب السعداء وإذا علم أن الحسنه من الله

الجزاء والعمل سأله أن يعينه على فعل الحسنات بقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وأما إذا أخبر أن الجميع من عند الله فقط ولم يذكر الفرق فإنه يحصل من هذه التسوية إعراض العاصي والمذنب عن ذم نفسه وعن التوبة من ذنوبها والاستعاذة من شرها بل وقام في نفسه أن يحتج على الله بالقدر وتلك حجة داحضة لا تنفعه بل تزيده عذابا وشقاء كما زادت إبليس لما قال {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} {الأعراف 16} 56

* فمن احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه و أعرض عما أمر الله به من التوبة و الاستغفار و الاستعانة بالله و الاستعاذة به و استهدائه كان من أخسر الناس في الدنيا و الآخرة 57

القدرية الإبليسية

* القدرية الإبليسية فهم الذين يقرون بوجود الأمر و النهي من الله و يقرون مع ذلك بوجود القضاء و القدر منه لكن يقولون هذا فيه جهل و ظلم فإنه يتناقضه يكون جهلا و سفها و بما فيه من عقوبة العبد بما خلق فيه يكون ظلما وهذا حال إبليس فإنه {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} {16} { ثُمَّ لَا تَبْيَهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } {17} { الأعراف 16-17 } و {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {الحجر 39} فأقر بأن الله أغواه ثم جعل ذلك عنده داعيا يقتضي أن يغوى هو ذرية آدم و إبليس هو أول من عادى الله و طغى في خلقه و أمره و عارض النص بالقياس و لهذا يقول بعض السلف أول من قاس إبليس فإن الله أمره بالسجود لآدم فاعترض على هذا الأمر بأنى خير منه و إمتنع من السجود فهو أول من عادى الله و هو الجاهل الظالم

⁵⁶الحسنة والسبيئة ج: 1 ص: 43

⁵⁷مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 265

الجاهل بما فى أمر الله من الحكمة الظالم بإستكباره الذي جمع فيه بين بطر الحق و غمط الناس ثم قوله لربه فيما أغويتني لأفعلن جعل فعل الله الذي هو إغواؤه له حجة له و داعيا إلى أن يغوى ابن آدم و هذا طعن منه في فعل الله و أمره و زعم منه أنه قبيح فأنا أفعل القبيح أيضا ففاس نفسه على ربه و مثل نفسه بربه و لهذا كان مضاهيا للربوبية كما ثبت فى صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه و سلم إن إبليس ينصب عرشه على البحر ثم يبعث سراياه فأعظمهم فتنة أقربهم إليه منزلة فيجيء الرجل فيقول ما زلت به حتى فعل كذا ثم يجيء لآخر فيقول ما زلت به حتى فرقت بينه و بين زوجته فيلتزمه و يدينه منه و يقول أنت أنت و القدرية قصدوا تنزيه الله عن السفه و أحسنوا فى هذا القصد فإنه سبحانه مقدس عما يقول الظالمون من إبليس و جنوده علوا كبيرا حكم عدل لكن ضاق ذرعهم و حصل عندهم نوع جهل إعتقدوا معه أن هذا التنزيه لا يتم إلا بأن يسلبوه قدرته على أفعال العباد و خلقه لها و شمول إرادته لكل شيء فناظروا إبليس و حزبه فى شيء و استحوذ عليهم إبليس من ناحية أخرى و هذا من أعظم آفات الجدال فى الدين بغير علم أو بغير الحق و هو الكلام الذي ذمه السلف فإن صاحبه يرد باطلا بباطل و بدعة ببدعة

58

الغى هو اتباع الهوى

* وليس الغي مختصا بشهوات البطون والفروج فقط بل هو في شهوات البطون والفروج وشهوات الرئاسة والكبر والعلو وغير ذلك فهو اتباع الهوى وإن لم يعتقد أنه هوى بخلاف الضال فإنه يحسب أنه يحسن صنعا ولهذا كان إبليس أول الغاوين كما قال { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ } {16} ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ

مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ
أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ {17} الأعراف 16-17-59

الله سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون

* قال تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} القمر 49 وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده و علمه وإرادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما فى قوله { قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} الأعراف 18⁶⁰

* فإن الله قد أخبر عما يكون من أفعال العباد قبل أن تكون بل أعلم بذلك من شاء من ملائكته و غير ملائكته و قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} 96 {وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} 97 {يونس 96-97} و قال {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} البقرة 6 و هذا خبر عن المستقبل و أنهم لا يؤمنون و قال تعالى { قَالَ أَخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} الأعراف 18 و قال تعالى {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 و قال {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} السجدة 13 و هذا قسم منه على ذلك و هو الصادق البار في قسمه و صدقه مستلزم لعلمه بما أقسم عليه و هو دليل على أنه قادر على ذلك و قد يستدل به على أنه خالق أفعال العباد إذ لو كانت أفعالهم غير مقدورة له لم يمكنه أن يملأ جهنم بل كان ذلك إليهم إن شاؤا عصوه فملأها و إن شاؤا أطاعوه فلم يملأها لكن قد يقال أنه علم أنهم يعصونه فأقسم على جزائهم على ذلك و قد يجاب عن ذلك بأن علمه بالمستقبل قبل أن يكون مستلزم لخلق له فإنه سبحانه لا يستفيد العلم من غيره كالملائكة و

⁵⁹رسالة في التوبة ج: 1 ص: 234

⁶⁰مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 382

البشر و لكن علمه من لوازم نفسه فلو كانت أفعاله خارجة عن مقدوره و مراده لم يجب أن يعلمها كما يعلم مخلوقاته و بسط هذا له موضع آخر⁶¹

اتباع الشيطان هم اصحاب النار

* أن إبليس أكثر من كل كافر وكل من دخل النار فمن أتباعه كما قال تعالى {لَأْمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص85⁶²

* وقال تعالى لإبليس {لَأْمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص85 فقد أقسم سبحانه أنه يملؤها من إبليس وأتباعه وإنما أتباعه من أطاعه فمن لم يعمل ذنباً لم يطعه فلا يكون ممن تملأ به النار وإذا ملئت بأتباعه لم يكن لغيرهم فيها موضع وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقي في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية فيضع قدمه عليها فتقول قط قط وينزوي بعضها إلى بعض أي تقول حسبي حسبي وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضول الجنة هكذا روي في الصحاح من غير وجه ووقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه وأما النار فيبقى فيها فضل والبخاري رواه في سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوي كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواة غلط في لفظ ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم والبخاري قد أنكر عليه

⁶¹مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 495

⁶²منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 507

بعض الناس تخريج أحاديث لكن الصواب فيها مع البخاري والذي
أنكر على الشيخين أحاديث قليلة جدا وأما سائر متونهما فمما اتفق
علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول لا
يستريبون في ذلك⁶³

*فالذي دل عليه الكتاب والسنة ان الله لا يدخل النار الا من عصاه
كما قال {لَأْمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص85
فلا بد أن يملأ جهنم من اتباع ابليس فإذا امتلأت لم يكن لغيرهم فيها
موضع فمن لم يتبع ابليس لم يدخل النار⁶⁴

*فإن الله تعالى لا يضعف السيئات بغير عمل صاحبها ولا يجزي
الانسان في الآخرة الا بما عملت نفسه ولا تمتلىء جهنم الا من
أتباع ابليس من الجنة والناس كما قال تعالى {قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا
مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأْمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ
{الأعراف18 ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة
وأنس أن الجنة يبقى فيها فضل فينشىء الله لها أقواما في الآخرة
وأما النار فإنه ينزوي بعضها الى بعض حتى يضع عليها قدمه
فتمتلىء بمن دخلها من أتباع ابليس⁶⁵

*الذي عليه السلف والأئمة إنه لا يعذب إلا من بلغته الرسالة ولا
يعذب إلا من خالف الرسل كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى
لإبليس {قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأْمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} {الأعراف18⁶⁶

⁶³ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 100-102

⁶⁴ مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 372 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 50

⁶⁵ الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 168

⁶⁶ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 297

القرآن أخبر بالعلم بالله والعمل له

*وأما المقاصد فالقرآن أخبر بالعلم به والعمل له فجمع بين قوتي الإنسان العلمية والعملية الحسية والحركية الإرادية الإدراكية والإعتماذية القولية والعملية حيث قال {اعْبُدُوا رَبَّكُمْ} البقرة 21 فالعبادة لا بد فيها من معرفته والإنابة اليه والتذلل له والإفتقار اليه وهذا هو المقصود وإذا حصل الاعتراف بالرب والاقرار به من غير عبادة وإنابة كان وبالاً على صاحبه وشقاء له كما جاء في الحديث أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه كإبليس اللعين فإنه معترف بربه مقر بوجوده لكن لما لم يعبده كان رأس الأشقياء وكل من شقى فباتباعه له كما قال {قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} الأعراف 18 فلا بد أن يملأ جهنم منه ومن أتباعه مع أنه معترف بالرب مقر بوجوده وإنما أبى واستكبر عن الطاعة والعبادة والقوة العلمية مع العملية بمنزلة الفاعل والغاية ولهذا قيل العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر والمراد بالعمل هنا عمل القلب الذي هو انابته الى الله وخشيته له حتى يكون عابداً له فالرسل والكتب المنزلة أمرت بهذا وأوجبته بل هو رأس الدعوة ومقصودها وأصلها والطريقة النبوية القرآنية السننية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين ففاتحة دعوة الرسل الأمر بالعبادة قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة 21 وقال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وذلك يتضمن الإقرار به وعبادته وحده فإن الإله هو المعبود ولم يقل حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فإن اسم الله أدل على مقصود العبادة له التي لها خلق الخلق وبها أمروا وكذلك قوله لمعاذ إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وقال

نوح عليه السلام {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا نوح} 3
وكذلك الرسل في سورة الأعراف وغيرها⁶⁷

القسم الممدوح من الناس

*والقسم الممدوح من الناس وهم الذين يدعونه ويتوبون إليه
ويثبتون على عبادته والتوبة إليه في حال السراء فيعبدونه
ويطيعونه في السراء والضراء وهم أهل الصبر والشكر كما ذكر
ذلك عن أنبيائه عليهم السلام قال تعالى {وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ الظَّالِمِينَ} {19} فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ
عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءِهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةَ إِلَّا أَنْ
تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} {20} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
النَّاصِحِينَ} {21} فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا
سَوَاءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا
أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ
مُّبِينٌ} {22} قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ
مِنَ الْخَاسِرِينَ} {23} الأعراف 19-23

وقال تعالى {وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُعَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ} {87} فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي
الْمُؤْمِنِينَ} {88} الأنبياء 87-88⁶⁸

جنس ترك المأمور به أعظم من جنس فعل المنهى

عنه

⁶⁷ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 12

⁶⁸ الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 122 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 375

* أن جنس فعل المأمور به أعظم من جنس ترك المنهى عنه وان جنس ترك المأمور به أعظم من جنس فعل المنهى عنه وان مثوبة بني آدم على أداء الواجبات أعظم من مثوبتهم على ترك المحرمات وان عقوبتهم على ترك الواجبات أعظم من عقوبتهم على فعل المحرمات

أن أول ذنب عصى الله به كان من أبى الجن وابى الانس وابوي الثقلين المأمورين وكان ذنب أبى الجن أكبر وأسبق وهو ترك المأمور به وهو السجود إباء واستكبارا وذنب أبى الانس كان ذنبا صغيرا {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} البقرة 37 وهو إنما فعل المنهى عنه وهو الأكل من الشجرة وإن كان كثير من الناس المتكلمين فى العلم يزعم أن هذا ليس بذنب وان آدم تأول حيث نهى عن الجنس بقوله {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} البقرة 35 فظن أنه الشخص فاخطأ أو نسى والمخطيء والناسي ليسا مذنبين وهذا القول يقوله طوائف من أهل البدع والكلام والشيعه وكثير من المعتزلة وبعض الأشعرية وغيرهم ممن يوجب عصمة الأنبياء من الصغائر وهؤلاء فروا من شيء ووقعوا فيما هو اعظم منه فى تحريف كلام الله عن مواضعه وأما السلف قاطبة من القرون الثلاثة الذين هم خير قرون الأمة وأهل الحديث والتفسير وأهل كتب قصص الأنبياء والمبتدأ وجمهور الفقهاء والصوفية وكثير من أهل الكلام كجمهور الأشعرية وغيرهم وعموم المؤمنين فعلى ما دل عليه الكتاب والسنة مثل قوله تعالى {وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} طه 121 وقوله {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 بعد أن قال لهما { أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} الأعراف 22 وقوله تعالى {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} البقرة 37 مع أنه عوقب باخراجه من الجنة وهذه نصوص لا ترد إلا بنوع من تحريف الكلم عن مواضعه والمخطيء والناسي إذا كانا مكلفين فى تلك الشريعة فلا فرق وإن لم يكونا مكلفين امتنعت العقوبة ووصف العصيان والاخبار بظلم

النفس وطلب المغفرة والرحمة وقوله تعالى { **أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ** } {الأعراف 22} وإنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعا لدرجاتهم بالتوبة وتبليغا لهم الى محبته وفرحه بهم فان { **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** } {البقرة 222} ويفرح بتوبة التائب اشد فرح فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية فان العبد تكون له الدرجة لا ينالها إلا بما قدره الله له من العمل او البلاء وليس المقصود هنا هذه المسألة وإنما الغرض أن ينظر تفاوت ما بين الذنبيين اللذين احدهما ترك المأمور به فانه كبير وكفر ولم يتب منه والآخر صغير تيب منه ⁶⁹

آدم عليه السلام أراد ما أطمعه الشيطان من الخلد

والملك

*قال تعالى { **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** } {الأعراف 20} آدم عليه السلام أراد ما أطمعه الشيطان من الخلد والملك ⁷⁰

*وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبعض نفسه لها وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالما علما نافعا بأن فعل هذا يضره ضررا راجحا لم يفعله فإن هذا خاصية العاقل ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضررا راجحا كالسقوط من مكان عال أو في نهر يغرقه أو المرور بجانب حائط مائل أو دخول نار متأججة أو رمى ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه ومن لم يعلم أن هذا يضره

⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 88- 90

⁷⁰ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 449

كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك ومن أقدم
 على ما يضره مع علمه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة
 فأما أن يجزم بضرر مرجوح أو يظن أن الخير راجح فلا بد من
 رجحان الخير إما في الظن وإما في المظنون كالذي يركب البحر
 ويسافر الأسفار البعيدة للربح فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما
 سافر لكنه يترجح عنده السلامة والربح وإن كان مخطئاً في هذا
 الظن وكذلك الذنوب إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم
 يسرق وكذلك الزاني إذا جزم بأنه يرحم لم يزن والشارب يختلف
 حاله فقد يقدم على جلد أربع وثمانين ويديم الشرم مع ذلك ولهذا
 كان الصحيح أن عقوبة الشارب غير محددة بل يجوز أن تنتهي
 إلى القتل إذا لم ينته إلا بذلك كما جاءت بذلك الأحاديث كما هو
 مذكور في غير هذا الموضع وكذلك العقوبات متى جزم طالب
 الذنب بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله بل إما أن لا يكون
 جازماً بتحريمه أو يكون غير جازم بعقوبته بل يرجو العفو
 بحسنات أو توبة أو بعفو الله أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر
 تحريماً ولا وعيداً فيبقى غافلاً غير مستحضر للتحريم والغفلة من
 أضداد العلم فالغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى {وَاصْبِرْ
 نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
 عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن
 ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } الكهف 28 والهوى وحده لا
 يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل وإلا فصاحب الهوى إذا علم
 قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع فإن
 الله تعالى جعل في النفس حياً لما ينفعها وبغضاً لما يضرها فلا
 تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً بل متى فعلته كان
 لضعف العقل ولهذا يوصف هذا بأنه عاقل وذو نهى وذو حجي
 ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان لا من مجرد النفس فإن
 الشيطان يزين لها السيئات ويأمرها بها ويذكر لها ما فيها من
 المحاسن التي هي منافع لا مضار كما فعل إبليس بأدم وحواء فقال
 {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا}

وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا
 مِنَ الْخَالِدِينَ {الأعراف 20} وقال { يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى
 شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى } {120} فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا
 {121} طه 120-121⁷¹

"ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن"

*في الصحيح عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن قالوا وإياك يا رسول الله قال وإيائي ولكن ربي أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير وفي الصحيح عن عائشة قالت يا رسول الله أو معي شيطان قال نعم قالت ومع كل إنسان قال نعم ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم والمراد في أصح القولين استسلم وانقاد لي ومن قال حتى أسلم أنا فقد حرف معناه ومن قال الشيطان صار مؤمنا فقد حرف لفظه وقد قال موسى لما قتل القبطي { هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ } القصص 15 وقال فتى موسى { وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } الكهف 63 وذكر الله في قصة آدم وحواء { فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ } البقرة 36 وقوله { فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا } {الأعراف 20}⁷²

*فإن الله تعالى قد أخبر أنه جعل { لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } {الأنعام 112} وإحاؤهم هو وسوستهم وليس من شرط الموسوس أن يكون مستترا عن البصر بل قد يشاهد قال تعالى { فَوَسْوَسَ }

⁷¹الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 61 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 287

⁷²منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 272

لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ {20} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِئَنٌ

النَّاصِحِينَ {21} الأعراف 20-21 و هذا كلام من يعرف قائله ليس شيئاً يلقي في القلب لا يدري ممن هو و إبليس قد أمر بالسجود لأدم فأبى و إستكبر فلم يكن ممن لا يعرفه آدم و هو و نسله يرون بني آدم من حيث لا يرونهم و أما آدم فقد رآه و قد يرى الشياطين و الجن كثير من الإنس لكن لهم من الإجتنان و الإستتار ما ليس للإنس و قد قال تعالى {وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ {الأنفال 48 وفي التفسير و السيرة أن الشيطان جاءهم في صورة بعض الناس و كذلك قوله {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {الحشر 16} ⁷³

*وكذلك الوسواس في النفس يكون من الشيطان تارة و من النفس تارة قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ق16 وقال {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ طه 120 وقال

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا {الأعراف 20} والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة

ومنه وسوسة الحلي وهو الكلام الخفي والصوت الخفي وقد قال تعالى { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ {1} مَلِكِ النَّاسِ {2} إِلَهِ النَّاسِ {3} مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ {4} الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {5} مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ {6} الناس 1-6 وقد قيل إن المعنى من الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة و من الناس وأنه جعل الناس أولاً تتناول الجنة والناس فسامهم ناساً كما سماهم رجالاً قاله الفراء وقيل المعنى من شر الوسوس في صدور الناس من الجن و من شر الناس مطلقاً قاله الزجاج و من المفسرين

كأبي الفرج بن الجوزي من لم يذكر غيرهما وكلاهما ضعيف
والصحيح أن المراد القول الثالث وهو أن الإستعاذة من شر
الموسوس من الجنة ومن الناس في صدور الناس فأمر بالإستعاذة
من شر شياطين الإنس والجن كما قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ
{ الأنعام 112 وفي حديث أبي ذر الطويل الذي رواه أبو حاتم بن
حبان في صحيحه بطوله قال يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس
والجن فقال يا رسول الله أو للإنس شياطين قال نعم شر من
شياطين الجن⁷⁴

*وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على
قلبه بعض ما يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان
وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قالت الصحابة يا رسول الله إن أحد
ليجد في نفسه ما لئن يخبر من السماء الى الأرض أحب اليه من أن يتكلم به فقال
ذاك صريح الايمان وفي رواية ما يتعاضم ان يتكلم به قال الحمد لله
الذي رد كيده الى الوسوسة أى حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة
له ودفعه عن القلب هو من صريح الايمان كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى
غلبه فهذا أعظم الجهاد و الصريح الخالص كاللبن الصريح وانما صار
صريحا لما كرهوا تلك الوسواس الشيطانية ودفعوها فخلص الايمان فصار
صريحا ولا بد لعامة الخلق من هذه الوسواس فمن الناس من يجيئها فصير
كافرا أو منافقا ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات والذنوب فلا يحس بها الا اذا
طلب الدين فإما أن يصير مؤمنا واما أن يصير منافقا ولهذا يعرض للناس من
الوسواس في الصلاة ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا لأن الشيطان يكثر تعرضا
للعبد إذا أراد الانابة الى ربه والتقرب اليه والاتصال به فلهذا يعرض للمصلين
لا يعرض لغيرهم ويعرض لخاصة أهل العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة
ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوسواس والشبهات ما ليس عند غيره

⁷⁴ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 186

لانه لم يسلك شرع الله ومنهجه بل هو مقبل على هواه فى غفلة عن ذكر رب
وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين الى ربهم بالعلم والعبادة فانه عدوه
يطلب صدهم عن الله قال تعالى { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا }
{ فاطر 6 } ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم فان قراء
القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الايمان العظيم وتزيده يقينا وطمأنينة
وشفاء وقال تعالى { وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ
الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } { الإسراء 82 } وقال تعالى { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِّلْمُتَّقِينَ } { آل عمران 138 } وقال تعالى { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } { البقرة 2 } وقال تعالى { فَالَّذِينَ
الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا } { التوبة 124 } وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه
فالشيطان يريد بوساوسه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن فأمر الله القارئ
قرأ القرآن أن يستعيز منه قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ } { 98 } { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } { 99 }
سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } { 100 } { النحل 98-100 } فار
المستعيز بالله مستجير به لاجىء اليه مستغيث به من الشيطان فالعائد بغيره
مستجير به فاذا عاذ العبد بربه كان مستجيرا به متوكلا عليه فيعيذه الله من
الشيطان ويجيره منه ولذلك قال الله تعالى { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ
وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } { 34 } { وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا لِلَّذِينَ
حَظُّ عَظِيمٌ } { 35 } { وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ } { 36 } فصلت 34-36 وفى الصحيحين عن النبى أنه قال انى لأ
كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فأمر سبحانه
بالاستعاذة عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه الشيطان عنه وعندما يعرض عليه
الشر ليدفعه عنه عند إرادة العبد للحسنة وعندما يأمره الشيطان بالسيئات ولا
قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلق
من خلق كذا حتى يقول من خلق الله فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته فأمر
بالاستعاذة عندما يطلب الشيطان أن يوقعه فى شر أو يمنعه من خير كما يفعل
العدو مع عدوه وكلما كان الإنسان أعظم رغبة فى العلم والعبادة واقدر على
ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته وإرادته فى ذلك أتم كما
ما يحصل له أن سلمه الله من الشيطان أعظم وكان ما يفتتن به إن تمكن منه
الشيطان أعظم ولهذا قال الشعبى كل أمة علمؤها شرارها إلا المسلمين فإن

علماءهم خيارهم وأهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل وذلك ان كان
أمة غير المسلمين فهم ضالون وانما يضلهم علماءهم فعلماءهم شرارهم
والمسلمون على هدى وانما يتبين الهدى بعلمائهم فعلماءهم خيارهم وكذلك أهل
السنة أنتمهم خيار الأمة وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب ولهذا
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاة الظلمة وأولئك
لهم نهمة في العلم والعبادة فصار يعرض لهم من الوسوس التي تضلهم وهم
يظنونها هدى فيطيعونها ما لا يعرض لغيرهم ومن سلم من ذلك منهم كان من
أئمة المتقين مصابيح الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لأصحابه كونوا
ينابيع العلم مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب احلاس البيوت خلقان الثياب
تعرفون في أهل السماء وتخفون على أهل الأرض⁷⁵

الرد على احتجاجهم بقوله {إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} بآبِ الْمَلَائِكَةِ أَفْضَل

* وها نحن نذكر ما احتجوا به (بقصد الذين يقولون ان الملائكة
افضل من البشر) قول ابليس لأدم وحواء { **إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ**
أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} الأعراف 20 تقديره كراهة أن تكونا أو لئلا
تكونا فلولاً ان كونهما ملكين حالة هي أكمل من كونهما بشرين لما
أغراهما بها ولما ظنا أنها هي الحالة العليا ولهذا قرنهما بالخلود
والخالد أفضل من الفانى والملك أطول حياة من الأدمى فيكون
أعظم عبادة وأفضل من الأدمى والجواب من وجوه احدها
ما ذكره القاضى ان قوله { **إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ} الأعراف 20**
ظن ان الملائكة خير منها كما ظن انه خير من آدم وكان مخطئاً
وقوله { **أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} الأعراف 20** ظنا منه انها
يؤثران الخلود لما في ذلك من السلامة من الامراض والاسقام

⁷⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 282-285

والاوجاع والآفات والموت لان الخالد فى الجنة هذه حاله ولم يخرج هذا مخرج التفضيل على الانبياء الا ترى ان الحور والولدان المخلوقين فى الجنة خالدون فيها وليسوا بأفضل من الأنبياء وثانيها ان الملك افضل من بعض الوجوه وكذلك الخلود أثر عندهما فمالا إليه وثالثها ان حالهما تلك كانت حال ابتداء لا حال انتهاء فانهما فى الإنتهاء قد صارا الى الخلود الذى لا حظر فيه ولا معه ولا يعقبه زوال وكذلك يصيران فى الإنتهاء الى حال هى أفضل وأكمل من حال الملك الذى أرادها أولا وهذا بين⁷⁶

جميع الذنوب تدخل فى ظلم العبد نفسه

* ظلم النفس فانه اذا أطلق تناول جميع الذنوب فانها ظلم العبد نفسه قال آدم عليه السلام { **قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } الأعراف 23⁷⁷

* والتحقق أن ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب وفى الصحيحين أن أبا بكر قال يا رسول الله علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى فقال قل اللهم إني ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم وفى صحيح مسلم وغيره أن النبى كان يقول فى استفتاحه اللهم أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبي فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدنى لأحسن الأخلاق فانه لا يهدى لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها إلا أنت وقد قال أبو البشر وزوجته { **قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** } الأعراف 23 وقال موسى { **رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي** } القصص 16 وقال ذوالنون يونس { **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**

⁷⁶ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 384

⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 62

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ { الأنبياء 87 } وقالت بلقيس { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { النمل 44 } وفي الصحيحين عن إبي هريرة رضى الله عنه عن النبي وقد قال عن أهل القرى المعذبين { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ } هود 101 وفي صحيح البخاري سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد عليه أن يعترف بعدل الله وإحسانه فإنه لا يظلم الناس شيئاً فلا يعاقب أحداً إلا بذنبه وهو يحسن إليهم فكل نعمة منه عدل وكل نعمة منه فضل ⁷⁸

* فجميع الذنوب تدخل فى ظلم العبد نفسه و أول من اعترف بهذا أبو البشر لما تلقى من ربه الكلمات فقال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } { الأعراف 23 } فكان فى هذه الكلمات إعترافه بذنبه و طلبه ربه على و جه الافتقار و المغفرة و الرحمة فالمغفرة إزالة السيئات و الرحمة إنزال الخيرات فهذا ظلم لنفسه ليس فيه ظلم لغيره و قال موسى عليه السلام لما ذكر الذي هو من عدوه { فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ } { 15 } قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } { 16 } { القصص 15-16 } فاعترف بظلمه نفسه فيما كان من جنابة على غيره لم يؤمر بها و قال يونس عليه السلام { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } { الأنبياء 87 } و في الصحيح الدعاء الذي علمه النبي صلى الله عليه و سلم أبا بكر ان يدعو به في صلاته اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً و لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة

⁷⁸ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 693 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 364

من عندك و ارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم فهذا الدعاء مطابق لدعاء آدم فى الاعتراف بظلم النفس و مسألة المغفرة و الرحمة و كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا استوى على الدابة فحمد و سبح و كبر قال لا إله الا أنت سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي ثم يضحك و هو محفوظ من حديث على بن أبى طالب⁷⁹

قولهما { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا } لما حصل من التفريط لا لأجل هوى وحظ يزاحم الإلهية

* حال العبد المحض لله الذى يعبده ويستعينه فيعمل له ويستعينه ويحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة⁵ توحيد الالهية وتوحيد الربوبية وان كانت الالهية تتضمن الربوبية تستلزم الالهية فان احدهما اذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع ان يختص بمعناه عند الاقتران كما فى قوله { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } {1} مَلِكِ النَّاسِ {2} إِلَهِ النَّاسِ {3} الناس 1-3 وفى قوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة² فجميع بين الاسمين اسم الاله واسم الرب فان الاله هو المعبود الذى يستحق ان يعبد و الرب هو الذى يرب عبده فيدبره ولهذا كانت العبادة متعلقة باسمه الله والسؤال متعلقا باسمه الرب فان العبادة هى الغاية التى لها خلق الخلق والالهية هى الغاية والربوبية تتضمن خلق الخلق وانشاءهم فهو متضمن ابتداء حالهم والمصلى اذا قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة⁵ فبدأ بالمقصود الذى هو الغاية على الوسيلة التى هى البداية فالعبادة غاية مقصوده والاستعانة وسيلة اليها تلك حكمة وهذا سبب والفرق بين العلة الغائية والعلة الفاعلية معروف ولهذا يقال اول الفكرة آخر العمل واول البغية آخر الدرك فالعلة الغائية متقدمة فى التصور والارادة وهى متأخرة فى الوجود

⁷⁹ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 277-278

فالمؤمن يقصد عباده الله ابتداء وهو يعلم ان ذلك لا يحصل الا
 باعانتة فيقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ولما كانت
 العبادة متعلقة باسمه الله تعالى جاءت الأذكار المشروعة بهذا الاسم
 مثل كلمات الأذان الله اكبر الله اكبر ومثل الشهادتين اشهد ان لا اله
 الا الله اشهد ان محمدا رسول الله ومثل التشهد التحيات لله
 ومثل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير سبحان الله والحمد لله ولا
 اله الا الله والله اكبر واما السؤال فكثيرا ما يجيء باسم الرب
 كقول آدم وحواء { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
 لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقول نوح { رَبِّ إِنِّي
 أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ } هود 47 وقول موسى
 { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 وقول الخليل
 { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
 رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ } إبراهيم 37 الآية وقوله مع اسماعيل { رَبَّنَا
 تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } البقرة 127 وكذلك قول الذين
 قالوا { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ
 النَّارِ } البقرة 201 ومثل هذا كثير وقد نقل عن مالك انه قال
 اكره للرجل ان يقول في دعائه ياسيدى ياسيدى يا حنان يا حنان
 ولكن يدعو بما دعت به الأنبياء ربنا ربنا ربنا نقله عنه العتبي في
 العتبية وقال تعالى عن اولى الألباب { الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا
 وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا
 مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } آل عمران 191
 الآيات فإذا سبق الى قلب العبد قصد السؤال ناسب ان يسأله
 باسمه الرب وان سأله باسمه الله لتضمنه اسم الرب كان حسنا واما
 اذا سبق إلى قلبه قصد العبادة فاسم الله اولى بذلك اذا بدأ بالثناء ذكر
 اسم الله واذا قصد الدعاء دعا باسم الرب ولهذا قال يونس { لَا إِلَهَ
 إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 وقال آدم
 { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }
 { الأعراف 23 فان يونس عليه السلام ذهب مغاضبا وقال تعالى
 { فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ } القلم 48 وقال

تعالى {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ} الصافات 142 ففعل ما يلام عليه فكان المناسب لحاله ان يبدأ بالثناء على ربه والاعتراف بانه لا اله الا هو فهو الذى يستحق ان يعبد دون غيره فلا يطاع الهوى فإن اتباع الهوى يضعف عبادة الله وحده وقد روى ان يونس عليه السلام ندم على ارتفاع العذاب عن قومه بعد ان اظلم وخاف ان ينسبوه الى الكذب فغاضب وفعل ما اقتضى الكلام الذى ذكره الله تعالى وان يقال {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ} الأنبياء 87 وهذا الكلام يتضمن براءة ما سوى الله من الالهية سواء صدر ذلك عن هوى النفس او طاعة الخلق او غير ذلك ولهذا قال {سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} الأنبياء 87 والعبد يقول مثل هذا الكلام فيما يظنه وهو غير مطابق وفيما يريده وهو غير حسن واما آدم عليه السلام فانه اعترف اولا بذنبه فقال {ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} الأعراف 23 ولم يكن عند آدم من ينازعه الارادة لما امر الله به مما يزاحم الالهية بل ظن صدق الشيطان الذى {قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} {21} فذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ {22} الأعراف 21-23 فالشيطان غرهما واطهر نصحهما فكانا فى قبول غروره وما اظهر من نصحه حالهما مناسبا لقولهما {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا} الأعراف 23 لما حصل من التقریط لا لأجل هوى وحظ يزاحم الالهية وكانا محتاجين الى ان يربهما لا ربوبية تكمل علمهما وقصدهما حتى لا يعترا بمثل ذلك فهما يشهدان حاجتهما الى الله ربهما الذى لا يقضى حاجتهما غيره وذو النون شهد ما حصل من التقصير فى حق الالهية بما حصل من المغاضبه وكرهه انجاء اولئك ففى ذلك من المعارضة فى الفعل لحب شىء آخر ما يوجب تجريد محبته لله وتألّفه له وان يقول {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ} الأنبياء 87 فإن قول العبد لا اله الا انت يحو ان يتخذ الهه هواه وقد روى ما تحت اديم السماء الله يعبد اعظم عند الله من هوى متبع فكمل يونس صلوات الله عليه تحقيق الهيته لله ومحو الهوى الذى يتخذها من دونه فلم يبق له صلوات الله عليه وسلامه عند تحقيق قوله {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ} الأنبياء 87 ارادة تراحم الهية الحق بل كان مخلصا لله

الدين اذ كان من افضل عباد الله المخلصين و ايضا فمثل هذه الحال تعرض لمن تعرض له فيبقى فيه نوع مغاضبة للقدر ومعارضة له في خلقه وامره ووساوس في حكمته ورحمته فيحتاج العبد ان ينفي عنه شيئين الآراء الفاسدة والآهواء الفاسدة فيعلم ان الحكمة والعدل فيما اقتضاه علمه وحكمته لا فيما اقتضاه علم العبد وحكمته ويكون هواه تبعاً لما امر الله به فلا يكون له مع امر الله وحكمه هوى يخالف ذلك قال الله تعالى {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} النساء 65 وقد روى عنه انه قال والذي نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به رواه ابو حاتم فى صحيحه وفى الصحيح ان عمر قال له يارسول الله والله لأنت احب الى من نفسى قال الآن يا عمر وفى الصحيح عنه انه قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين⁸⁰

اثبات العصمة للانبياء من الاقرار على الذنوب

مطلقاً

* واما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل او السمع ومنتازعون فى العصمة من الكبائر والصغائر او من بعضها ام هل العصمة انما هي فى الاقرار عليها لا فى فعلها ام لا يجب القول بالعصمة الا فى التبليغ فقط وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث ام لا والكلام على هذا مبسوط فى غير هذا الموضوع والقول الذى عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقاً والرد على من يقول انه يجوز اقرارهم عليها وحجج القائلين بالعصمة اذا حررت انما تدل على

⁸⁰ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 286-288 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 331-334

هذا القول وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب اقر عليه الانبياء فان القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسى بهم مشروع وذلك لا يجوز الا مع تجويز كون الافعال ذنوبا ومعلوم ان التأسى بهم انما هو مشروع فيما اقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه كما ان الامر والنهي انما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه فأما ما نسخ من الامر والنهي فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهيًا عنه فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه وكذلك ما احتجوا به من ان الذنوب تنافى الكمال او انها ممن عظمت عليه النعمة اقبح او انها توجب التنفير او نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا انما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع والا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها الى اعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة وقال آخر لو لم تكن التوبة احب الاشياء اليه لما ابتلى بالذنب اكرم الخلق عليه وقد ثبت في الصحاح حديث التوبة لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا الخ وقد قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة 222 وقال تعالى { إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } الفرقان 70 وقد ثبت في الصحيح حديث الذي يعرض الله صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها وهو مشفق من كبارها ان تظهر فيقول الله له اني قد غفرت لك وابدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول اى رب ان لي سيئات لم ارها اذا رأى تبديل السيئات بالحسنات طلب رؤية الذنوب الكبار التي كان مشفقا منها ان تظهر ومعلوم ان حاله هذه مع هذا التبديل اعظم من حاله لو لم يقع السيئات ولا التبديل وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة وقد قال تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } {72} لِيُعَذَّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً {73} الأحزاب 72-
 73 فغاية كل انسان ان يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب
 الله عليهم وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي انزلت
 قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذر إحصاؤه والرادون
 لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية
 لنصوص الاسماء والصفات ونصوص القدر
 ونصوص المعاد وهي من جنس تأويلات القرامطة الباطنية
 التي يعلم بالاضطرار انها باطلة وانها من باب تحريف الكلم عن
 مواضعه وهؤلاء يقصد ادهم تعظيم الانبياء فيقع في تكذيبهم
 ويريد الايمان بهم فيقع في الكفر بهم ثم ان العصمة المعلومة
 بدليل الشرع والعقل والاجماع وهي العصمة في التبليغ لم
 ينتفعوا بها اذ كانوا لا يقرون بموجب ما بلغته الانبياء وانما يقرون
 بلفظ حرفوا معناه او كانوا فيه كالاميين الذين لا يعلمون الكتاب الا
 امانى والعصمة التي كانوا اعوها لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا
 حاجة بهم اليها عندهم فانها متعلقة بغيرهم لا بما امروا بالايمان به
 فيتكلم ادهم فيها على الانبياء بغير سلطان من الله ويدع ما يجب
 عليه من تصديق الانبياء وطاعتهم وهو الذي تحصل به السعادة
 وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى { عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا
 حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
 {النور 54 والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من
 الانبياء الا مقرونا بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجته **{ رَبَّنَا
 ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**
{الأعراف 23} وقول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ
 لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47
 وقوله الخليل عليه السلام { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ
 يَقُومُ الْحِسَابُ } إبراهيم 41 وقوله { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
 خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } الشعراء 82 وقول موسى { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ
 لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } {155} وَكَاتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ {156} الأعراف 155-156

وقوله { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } {القصص} 16 وقوله {
 فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } {الأعراف} 143
 وقوله تعالى عن داود { فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } {24}
 فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ } {25} ص 24- 25
 وقوله تعالى عن سليمان { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي
 لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } ص 35 ⁸¹

ليست التوبة نقصا بل هي من أفضل الكمالات

* قوله تعالى { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ }
 {التوبة} 117 الآية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون
 من الإقرار على الذنوب كبارها وصغارها وهم بما أخبر الله به
 عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم فإن الله يحب
 التوابين ويحب المتطهرين وليست التوبة نقصا بل هي من أفضل
 الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق كما قال تعالى { وَحَمَلَهَا
 الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } {72} {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } {73} {الاحزاب} 72-73 فغاية
 كل مؤمن هي التوبة ثم التوبة تتنوع كما يقال حسنات الأبرار
 سيئات المقربين والله تعالى قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة
 والإستغفار عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم فقال آدم { قَالَا
 رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
 } {الأعراف} 23 وقال نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ
 لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ } {هود} 47
 وقال الخليل { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
 الْحِسَابُ } {إبراهيم} 41 وقد قال الله تعالى { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ
 وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } {محمد} 19 فتوبة المؤمنين واستغفارهم هو
 من أعظم حسناتهم وأكبر طاعاتهم وأجل عباداتهم التي ينالوا بها

⁸¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 293- 296 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 336-339

أجل الثواب ويندفع بها عنهم ما يدفعه من العقاب فإذا قال القائل أي حاجة بالأنبياء إلى العبادات والطاعات كان جاهلاً لأنهم إنما نالوا ما نالوه بعبادتهم وطاعتهم فكيف يقال إنهم لا يحتاجون إليها فهي أفضل عبادتهم وطاعتهم وإذا قال القائل فالتوبة لا تكون إلا عن ذنب والإستغفار كذلك قيل له الذنب الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة كما قال بعض السلف كان داود بعد التوبة أحسن منه حالاً قبل الخطيئة⁸²

* أن آدم قد تاب الله عليه قبل ان ينزل الى الارض قال تعالى { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى {121} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى {122} طه 122-121 وقال { فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ { البقرة 37 وقد ذكر انه قال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ { الأعراف 23 }⁸³

إن لم يجد العريان للصلاة ألا حشيشاً أو ورقاً يربطه عليه لزمه الستر به

* و إن لم يجد العريان للصلاة ألا حشيشاً أو ورقاً يربطه عليه لزمه الستر به لأنه مغط للبشرة من غير ضرر فأشبهه الجلود و الثياب و قد اخبر الله تعالى عن آدم و حواء أنهما { وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ { الأعراف 22 } و امر النبي صلى الله عليه و سلم بمصعب بن عمير يوم أحد إن يجعل على

⁸² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 53-54

⁸³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 319 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361

رجليه شيء من الاذخر فإذا كان الاذخر كالثوب في ستر الميت
فكذلك في ستر الحي⁸⁴

الله عز وجل ينادى بصوت ويتكلم بالوحي بصوت

* هذا وقد أخبر سبحانه عن نفسه بالنداء في أكثر من عشرة مواضع فقال تعالى {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَفَلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} الأعراف 22 وقال تعالى {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} القصص 62 {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} القصص 65 وذكر سبحانه نداءه لموسى عليه السلام في سورة طه و مريم و الطس الثلاث وفي سورة و النازعات وأخبر أنه ناداه في وقت بعينه فقال تعالى {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} القصص 30 وقال تعالى {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} 15 {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} 16 {النازعات 15-16} وقال تعالى {وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا} القصص 46 {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ} الصافات 104 واستفاضت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادى بصوت نادى موسى وينادى عباده يوم القيامة بصوت ويتكلم بالوحي بصوت ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف ولا أنه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف كما لم يقل أحد منهم أن الصوت الذي سمعه موسى قديم ولا أن ذلك النداء قديم ولا قال أحد منهم أن هذه الأصوات

⁸⁴ شرح العمدة ج: 4 ص: 340

المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به بل الآثار
مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين
أصوات العباد 85

* وقد أخبر الله تعالى في القرآن بنداؤه لعباده في أكثر من عشرة
مواضع والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة وسائر الناس
والله أخبر أنه نادى موسى حين جاء الشجرة فقال { فَلَمَّا جَاءَهَا
نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
النمل 8 } { فَلَمَّا آتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى { 11 } إني أنا ربك
{ 12 } طه 11 - 12 } وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ { الشعراء 10 } فمن قال إنه لم يزل مناديا من الأزل إلى
الأبد فقد خالف القرآن والعقل ومن قال إنه بنفسه لم يناد ولكن خلق
نداء في شجرة أو غيرها لزم أن تكون الشجرة هي القائلة إني أنا
الله وليس هذا كقول الناس نادى الأمير إذ أمر مناديا فإن المنادي
عن الأمير يقول أمر الأمير بكذا ورسم السلطان بكذا لا يقول أنا
أمرتكم ولو قال ذلك لأهانته الناس والمنادي قال لموسى { إِنِّي
أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي } طه 14 { إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
{ القصص 30 } وهذا لا يجوز أن يقوله ملك إلا إذا بلغه عن الله كما
نقرأ نحن القرآن والملك إذا أمره الله بالنداء قال كما ثبت في
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله عبدا
نادى جبريل إني أحب فلانا فأحبه ثم ينادى جبريل في السماء إن
الله يحب فلانا فأحبه والله إذا نادى جبريل في السماء قال إن الله يحب
فلانا فأحبه والله إذا نادى جبريل يقول يا جبريل إني أحب فلانا
ولهذا لما نادى الملائكة زكريا قال تعالى { فَنادتُهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ
قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى } آل عمران 39 وقال
{ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ } آل عمران 42 ولا يجوز قط لمخلوق أن

يقول إني أنا الله رب العالمين ولا يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له والله تعالى إذا خلق صفة في محل كان المحل متصفا بها فإذا خلق في محل علما أو قدرة أو حياة أو حركة أو لونا أو سمعا أو بصرا كان ذلك المحل هو العالم به القادر المتحرك الحي المتلون السميع البصير فإن الرب لا يتصف بما يخلقه في مخلوقاته وإنما يتصف بصفاته القائمة به بل كل موصوف لا يوصف إلا بما يقوم به لا بما يقوم بغيره ولم يقم به فلو كان النداء مخلوقا في الشجرة لكانت هي القائلة إني أنا الله وإذا كان ما خلقه الرب في غيره كلاما له وليس له كلام إلا ما خلقه لزم أن يكون إنطاقه لأعضاء الإنسان يوم القيامة كلاما له وتسبيح الحصى كلاما له وتسليم الحجر على الرسول كلاما له بل يلزم أن يكون كل كلام في الوجود كلامه لأنه قد ثبت أنه خالق كل شيء⁸⁶

* وقد قال الامام أحمد رضى اله عنه وغيره من الأئمة لم يزل الله متكلمًا إذا شاء وهو يتكلم بمشيئته وقدرته يتكلم بشيء بعد شيء كما قال تعالى {فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِي يَا مُوسَىٰ} طه 11 فناداه حين أنها ولم يناده قبل ذلك وقال تعالى {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} الأعراف 22 فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم ينادهما قبل ذلك وكذلك قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} الأعراف 11 بعد أن خلق آدم وصوره ولم يأمرهم قبل ذلك وكذا قوله {إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} آل عمران 59 فأخبر انه قال له كن فيكون بعد أن خلقه من تراب ومثل هذا الخبر في القرآن كثير يخبر انه تكلم في وقت معين ونادى في وقت معين وقد ثبت

⁸⁶ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 423-425

في الصحيحين عن النبي أنه لما خرج إلى الصفا قرأ قوله تعالى {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ} البقرة 158 وقال نبدأ بما بدأ الله به فأخبر ان الله بدأ بالصفا قبل المروة ⁸⁷

*فقول القائل لا يثبت لله صفة بحديث واحد عنه أجوبة احدها أن يقال لا يجوز النفي الا بدليل كما لا يجوز الاثبات الا بدليل فاذا كان هذا القائل ممن لا يتكلم في هذا الباب الا بأدلة شرعية ويرد الاقوال المبتدعة قيل له قول القائل ان الله لا يتكلم بصوت ونحو ذلك كلام لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها وليس فيه حديث لا صحيح ولا ضعيف وأما الاثبات ففيه عدة أحاديث في الصحاح والسنن والمسند وأثار كثيرة عن السلف والأئمة فأى القولين حينئذ هو الذي جاءت به السنة قول المثبت أو النافي وان كان ممن يتكلم بالأدلة العقلية في هذا الباب تكلم معه في ذلك وبين له أنها تدل على الاثبات لا على النفي وان قول النفاة معلوم الفساد بدلائل

العقل كما اتفق على ذلك جمهور العقلاء الوجه الثاني أن يقال هذه الصفة دل عليها القرآن فان الله أخبر بمناداته لعباده في غير آية كقوله تعالى {وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ} مريم 52 وقوله {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} القصص 62 وقوله { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ } الأعراف 22 و النداء لى لغة العرب هو

صوت رفيع لا يطلق النداء على ما ليس بصوت لا حقيقة ولا مجازا واذا كان النداء نوعا من الصوت فالدال على النوع دال على الجنس بالضرورة كما لو دل دليل على أن هنا انسانا فانه يعلم أن هنا حيوانا وهذا كما أنه اذا أخبر أن له علما وقدرة دل على أن له صفة لأن العلم والقدرة نوع من الصفات واذا كان لفظ القرآن لم يذكر فيه ان العلم صفة ولا القدرة صفة وكذلك اذا أخبر في القرآن أنه يخلق ويرزق ويحيى ويميت دل على أنه فاعل فان هذه أنواع تحت جنس الفعل وان كان ثبوت هذه الصفة بما قد دل عليه

⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 588-586

القرآن في غير موضع كان ما جاء من الاحاديث موافقا لدلالة القرآن ولم تكن هذه الصفة ثابتة بمجرد هذا الخبر⁸⁸

*فان وصفه سبحانه وتعالى بالاستواء الى السماء وهى دخان كوصفه بأنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش ووصفه بالأتیان والمجىء فى مثل قوله تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ } البقرة 210 وقوله { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } الأنعام 158 وقوله { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } الفجر 22 وكذلك قوله تعالى { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 وقوله { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } الذاريات 47 وقوله { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } الروم 40 وقوله { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } السجدة 5 وأمثلة ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميها النحاة أفعالا متعدية وهى غالب ما ذكر فى القرآن أو يسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به بل لا تتعدى اليه الا بحرف الجر كالاستواء الى السماء وعلى العرش والنزول الى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الأفعال ووصف نفسه بالأقوال اللازمة والمتعدية فى مثل قوله { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ } ص 71 وقوله { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } النساء 164 وقوله تعالى { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا } الأعراف 22 وقوله { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ } القصص 65 ونحو ذلك مما وصف به نفسه فى كتابه وما صح عن رسوله فان القول فى جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله فى النفى والاثبات والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ {1} {الله الصَّمَدُ} {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} {4} {فبين أنه لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} {مريم 65} فأنكر أن يكون له سمي وقال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} {البقرة 22} وقال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} {النحل 74} وقال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} {الشورى 11} ففيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفو والسمي والمثل والند وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله⁸⁹

وصف الله نفسه بالمناداة ووصف عباده بالمناداة وليس المناداة كالمناداة

*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثل شئء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلدنون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} {وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} {وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} {الصفات 180- 182} فسيح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص

⁸⁹مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 323

والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين
 النفس والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به
 المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من
 النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة
 ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن
 وقوله سبحانه { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ
 { الأعراف 22⁹⁰

*سمى الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الاسماء
 مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض
 مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الاسماء اذا
 قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين
 وتمائل مساهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة
 والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص
 فضلا عن ان يتحد مساهما عند الاضافة والتخصيص فقد
 سمي الله نفسه حيا فقال { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
 { البقرة 255 وسمى بعض عباده حيا فقال { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
 الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ
 تُخْرَجُونَ { الروم 19 وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي
 إسم لله مختص به وقوله { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ { الروم 19 اسم
 للحي المخلوق مختص به وإنما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن
 التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن
 العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند
 الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق
 عن الخالق ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم
 منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والإتفاق وما دل عليه بالإضافة
 والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من
 خصائصه سبحانه وتعالى وكذلك سمي صفاته بأسماء وسمى

⁹⁰ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 137 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 17

صفات عبادته بنظير ذلك فوصف نفسه بالمناداة فقال **{وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا}** الأعراف 22 ووصف عبادته بالمناداة فقال **{إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}** الحجرات 4 وليس المناداة كالمناداة⁹¹

*والصفات الاختيارية هي الأمور التي يتصف بها الرب عز وجل فنقوم بذاته بمشيئته وقدرته مثلا كلامه وسمعه وبصره وارادته ومحبته ورضاه ورحمته وغضبه وسخطه ومثل خلقه واحسانه وعدله ومثل استوائه ومجيئه واتيانه ونزوله ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة والآيات التي تدل على الصفات الاختيارية كثيرة جدا وهذا كقوله تعالى **{فَلَمَّا دَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}** الأعراف 22 وهذا يدل على أنه لما أكلا منها ناداهما لم ينادهما قبل ذلك⁹²

الدعاء دعاء عبادة ودعاء مسألة

*لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى **{فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ}** الشعراء 213 قال الله تعالى **{وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** يونس 10 وفي الحديث افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره دعوة أخي ذي النون **{لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ}** الأنبياء 87 ما دعا بها

⁹¹مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 14

⁹²مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 224

مكروب الا فرج الله كربته سماها دعوة لانها تتضمن نوعي الدعاء فقوله لا اله الا انت اعتراف بتوحيد الالهية وتوحيد الالهية يتضمن احد نوعي الدعاء فان الاله هو المستحق لان يدعى دعاء عبادة ودعاء مسألة وهو الله لا اله الا هو وقوله { اِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 اعتراف بالذنب وهو يتضمن طلب المغفرة فان الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة يسأل بصيغة الخبر اما بوصف حاله واما بوصف حال المسؤول واما بوصف الحاليين كقول نوح عليه السلام { قَالَ رَبِّ اِنِّي اَعُوذُ بِكَ اَنْ اَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَاِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي اَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 فهذا ليس بصيغة طلب وانما هو إخبار عن الله انه ان لم يغفر له ويرحمه خسر ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة وكذلك قول آدم عليه السلام { رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَاِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 هو من هذا الباب ومن ذلك قول موسى عليه السلام { رَبِّ اِنِّي لِمَا اَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيْرٌ } القصص 24 فان هذا وصف لحاله بانه فقير الى ما انزل الله اليه من الخير وهو متضمن لسؤال الله انزال الخير اليه وقد روى الترمذى وغيره عن النبي انه قال من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين رواه الترمذى وقال حديث حسن ورواه مالك بن الحويرث وقال من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين وأظن البيهقى رواه مرفوعا بهذا اللفظ وقد سئل سفيان بن عيينة عن قوله افضل الدعاء يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير فذكر هذا الحديث وأنشد قول أمية بن ابى الصلت يمدح ابن جدعان أذكر حاجتى ام قد كفانى حباؤك ان شيمتك الحياء اذا اثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء قال فهذا مخلوق يخاطب مخلوقا فكيف بالخالق تعالى ومن هذا الباب الدعاء المأثور عن موسى عليه السلام اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان فهذا خبر

يتضمن السؤال ومن هذا الباب قول ايوب عليه السلام { أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأنبياء 83 فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمن سؤال رحمته بكشف ضره وهي صيغة خبر تضمنت السؤال وهذا من باب حسن الأدب فى السؤال والدعاء فقول القائل لمن يعظمه ويرغب إليه انا جائع انا مريض حسن ادب فى السؤال وان كان فى قوله اطعمنى وداونى ونحو ذلك مما هو بصيغة الطلب حازم من المسؤول فذاك فيه اظهار حاله وإخباره على وجه الذل والافتقار المتضمن لسؤال الحال وهذا فيه الرغبة التامة والسؤال المحض بصيغة الطلب وهذه الصيغة صيغة الطلب والاستدعاء إذا كانت لمن يحتاج اليه الطالب او ممن يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك فإنها تقال على وجه الأمر إما لما فى ذلك من حاجة الطالب واما لما فيه من نفع المطلوب فاما اذا كانت منة الفقير من كل وجه للغنى من كل وجه فانها سؤال محض بتذلل وافتقار واطهار الحال ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال وهو ابلغ من جهة العلم والبيان وذلك اظهر من جهة القصد والارادة فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثانى لأن الطالب السائل يتصور ومقصوده ومراده فيطلبه ويسأله فهو سؤال بالمطلوب والقصد الأول وتصريح به باللفظ وان لم يكن فيه وصف لحال السائل والمسؤل فان تضمن وصف حالهما كان اكمل من النوعين فانه يتضمن الخبر والعلم المقتضى للسؤال والإجابة ويتضمن القصد والطلب الذى هو نفس السؤال فيتضمن السؤال والمقتضى له والاجابة كقول النبى صلى الله عليه وسلم لأنى بكر الصديق رضى الله عنه لما قال له علمنى دعاء ادعو به فى صلاتى فقال قل اللهم انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك انت الغفور الرحيم اخرجاه فى الصحيحين فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضى حاجته الى المغفرة فيه وصف ربه الذى يوجب انه لا يقدر على هذا المطلوب غيره وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه وفيه بيان المقتضى للاجابة وهو وصف الرب

بالمغفرة والرحمة فهذا ونحوه اكمل انواع الطلب وكثير من الادعية يتضمن بعض ذلك كقول موسى عليه السلام { أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ } الأعراف 155 فهذا طلب ووصف للمولى بما يقتضى الاجابه وقوله { رَبِّ اِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 فيه وصف حال النفس والطلب وقوله { اِنِّي لِمَا اَنْزَلْتَ اِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيْرٌ } القصص 24 فيه الوصف المتضمن للسؤال بالحال فهذه انواع لكل نوع منها خاصة يبقى ان يقال فصاحب الحوت ومن اشبهه ومن اشبهه لماذا ناسب حالهم صيغة الوصف والخبر دون صيغة الطلب فيقال لان المقام مقام اعتراف بان ما اصابني من الشر كان بذنبي فأصل الشر هو الذنب والمقصود دفع الضر والاستغفار جاء بالقصد الثاني فلم يذكر صيغة طلب كشف الضر لاستشعاره انه مسيء ظالم وهو الذي ادخل الضر على نفسه فناسب حاله ان يذكر ما يرفع سببه من الاعتراف بظلمه ولم يذكر صيغة طلب المغفرة لانه مقصود للعبد المكروب بالقصد الثاني بخلاف كشف الكرب فانه مقصود له في حال وجوه بالقصد الاول اذ النفس بطبعها تطلب ما هي محتاجة اليه من زوال الضرر الحاصل من الحال قبل طلبها زوال ما تخاف وجوده من الضرر في المستقبل بالقصد الثاني والمقصود الاول في هذه المقام هو المغفرة وطلب كشف الضر فهذا مقدم في قصده وارادته وابلغ ما ينال به رفع سببه فجاء بما يحصل مقصوده وهذا يتبين بالكلام على قول { سُبْحَانَكَ اِلهُ الْاَنْبِيَاءِ 87 } فانه هذا اللفظ يتضمن تعظيم الرب وتنزيهه والمقام يقتضي تنزيهه عن الظلم والعقوبة بغير ذنب يقول انت مقدس ومنزه عن ظلمي وعقوبتي بغير ذنب بل انا الظالم الذي ظلمت نفسي قال تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ } النحل 118 وقال تعالى { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ } هود 101 وقال { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِيْنَ } الزخرف 76 وقال آدم عليه السلام { رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَاِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الْخَاسِرِيْنَ } الأعراف 23 وكذلك قال

النبي في الحديث الصحيح الذي في مسلم في دعاء الاستفتاح
 لا اللهم انت الملك لا اله الا انت انت ربي وانا عبدك ظلمت نفسي
 واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعا فانه لا يغفر الذنوب الا
 انت وفي صحيح البخاري سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم
 انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك
 ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي
 وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا
 اصبح موقنا بها فمات من يومه دخل الجنة ومن قالها اذا امسى
 موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فالعبد عليه ان يعترف
 بعدل الله واحسانه فانه لا يظلم الناس شيئا فلا يعاقب احدا الا بذنبه
 وهو يحسن اليهم فكل نعمة منه عدل وكل نعمة منه فضل⁹³

من تاب اشبه اباه آدم ومن اصر واحتج بالقدر اشبه

ابليس

*قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علما وقدرة وحكما ووسع
 كل شيء رحمة وعلما فما من ذرة في السموات والأرض ولا
 معنى من المعاني إلا وهو شاهد لله تعالى بتمام العلم والرحمة
 وكمال القدرة والحكمة وما خلق الخلق باطلا ولا فعل شيئا عبثا بل
 هو الحكيم في أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى ثم من حكمته ما أطلع
 خلقه بعضهم ومنه ما استأثر سبحانه بعلمه وإرادته قسما
 إرادة أمر وتشريع وإرادة قضاء وتقدير فالقسم الأول إنما يتعلق
 بالطاعات دون المعاصي سواء وقعت أو لم تقع كما في قوله
 { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ } النساء 26 وقوله { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
 الْعُسْرَ } البقرة 185 وأما القسم الثاني وهو إرادة التقدير فهي
 شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات وقد أراد من العالم

⁹³ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 308-314 ومجموع الفتاوى ج: 10 ص: 244-246 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 361

ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى الأول كما في قوله تعالى
 {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ
 يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام125 وفي قوله {وَلَا يَنْفَعُكُمْ
 نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ
 رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} هود34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان
 وما لم يشأ لم يكن ونظائره كثيرة وهذه الإرادة تتناول ما حدث من

الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول
 الطاعات حدثت أو لم تحدث والسعيد من أراد منه تشريعا ما أراد
 به تقديرا والعبد الشقي من أراد به تقديرا ما أراد به تشريعا والحكم
 يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن نظر إلى الأعمال بهاتين
 العينين كان بصيرا ومن نظر إلى القدر دون الشرع أو الشرع دون
 القدر كان أعور مثل قريش الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا
 وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام148 قال الله تعالى {
 كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ
 فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ
 } الأنعام148 فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده

وكونه وهي الإرادة القدرية فقد أمر به ورضيه دون الإرادة
 الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله وجوده قالوا
 فيكون قد رضيه وأمر به قال الله هكذا كذب الذين من قبلهم
 بالشرائع من الأمر والنهي حتى ذاقوا بأسنا {قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مَنْ
 عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا} الأنعام148 بأن الله شرع الشرك وتحريم ما
 حرمتوه إن تتبعون في هذا إلا الظن وهو توهمكم أن كل ما قدره
 فقد شرعه {وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} الأنعام148 أي تكذبون
 وتفرون بإبطال شريعته {قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ} الأنعام149
 على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم إلى توحيدِهِ وشريعته
 ومع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى متابعة شريعته لكنه يمن
 على من يشاء فيهديه فضلا منه وإحسانا ويحرم من يشاء لأن
 المتفضل له أن يتفضل وله أن لا يتفضل فترك تفضله على من
 حرمه عدل منه وقسط وله في ذلك حكمة بالغة وهو يعاقب الخلق

على مخالفة أمره وإرادته الشرعية وإن كان ذلك بإرادته القدرية فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراضا تعقبه ألاما فالمرض بقدره والألم بقدره فإذا قال العبد قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعاقب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم أو قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجي أو قد تقدمت بالضرب فلا يتألم المضروب وهذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل اعتلاله بالقدر ذنب ثان يعاقب عليه أيضا وإنما اعتل بالقدر إبليس حيث قال { **بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** الحجر 39 وأما آدم فقال { **رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** { الأعراف 23 فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه ومن أراد شقاوته اعتل بعلة إبليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ومثله مثل رجل طار إلى داره شرارة نار فقال له العقلاء أطفئها لئلا تحرق المنزل فأخذ يقول من أين كانت هذه ريح ألقتها وأنا لا ذنب لي في هذه النار فما زال يتعلل حتى انتشرت وانتشرت الدار وما فيها هذه حال من شرع يحيل الذنوب على المقادير ولا يردها بالاستغفار والمعاذير بل حاله أسوأ من زلات الذنب وكان الله بخلاف الشررة فإنه لأفعل له فيها و الله سبحانه يوفقنا وإياكم وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه ولا تنال طاعته إلا بمعونة وتترك معصيته إلا بعصمته و الله أعلم⁹⁴

*الحق الذي جاءت به الشريعة أنه إذا أحسن شكر نعمة الله عليه وحمده إذ أنعم عليه بأن جعله محسنا ولم يجعله مسيئا فإنه فقير محتاج في ذاته وصفاته وجميع حركاته وسكناته إلى ربه ولا حول ولا قوة إلا به فلو لم يهده لم يهتد كما لو قال أهل الجنة { **وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ**

⁹⁴الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 30-32

جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ {الأعراف43} وإذا أساء إعترف بذنبه
 وإستغفر ربه وتاب منه وكان كإبيه آدم الذى قال {رَبَّنَا ظَلَمْنَا
 أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
 {الأعراف23} ولم يكن كإبليس الذى قال {قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي
 لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
 الْمُخْلِصِينَ {40} الحجر39-40 ولم يحتج بالقدر على ترك مأمور
 ولا فعل محظور مع إيمانه بالقدر خيره وشره وإن الله خالق كل
 شىء وربّه ومليكه وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه
 يهدى من يشاء ويضل من يشاء ونحو ذلك⁹⁵

*وخير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من
 المعائب كما قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
 {غافر55} وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ
 وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرِأَهَا إِن دَلَّكَ عَلَى اللَّهِ
 بِسِيرٍ {22} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا
 يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {23} الحديد22-23} وقال تعالى {مَا
 أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ
 {التغابن11} قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها
 من عند الله فيرضى ويسلم قال تعالى {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً أَوْ
 ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا
 اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ {آل عمران135}
 وقد ذكر الله تعالى عن ادم عليه السلام انه لما فعل من فعل قال
 {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
 {الأعراف23} وعن ابليس انه قال {بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ {الحجر39} فمن تاب اشبه اياه
 ادم ومن اصر واحتج بالقدر اشبه ابليس⁹⁶

⁹⁵ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 205

⁹⁶ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 108

*وقد كثر في كثير من المنتسبين الى المشيخة والتصوف شهود القدر فقط من غير شهود الأمر والنهي والاستناد اليه في ترك المأمور وفعل المحذور وهذا أعظم الضلال ومن طرد هذا القول والتزم لوازمه كان أكفر من اليهود والنصارى والمشركين لكن أكثر من يدخل في ذلك يتناقض ولا يطرد قوله وقول هذا القائل هو من هذا الباب فقوله آدم كان أمره بكل باطنا فأكل وابليلس كان توحيديه ظاهرا فأمر بالسجود لآدم فرآه غيرا فلم يسجد فغير الله عليه وقال **{ أَخْرَجْ مِنْهَا { الأعراف 18** الآية فان هذا مع ما فيه من الالحاد كذب على آدم وابليلس فإن آدم اعترف بانه هو الفاعل للخطيئة وانه هو الظالم لنفسه وتاب من ذلك ولم يقل إن الله ظلمنى ولا أن الله أمرنى فى الباطن بالأكل قال تعالى **{ قَتَلَقَىٰ أَدَمُ مِّن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ { البقرة 37** وقال تعالى **{ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ { الأعراف 23** وابليلس أصر واحتج بالقدر فقال **{ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ { الحجر 39** وأما قوله رآه غيرا فلم يسجد فهذا شر من الإحتجاج بالقدر فان هذا قول أهل الوحدة الملحدين وهو كذب على ابليلس فان ابليلس لم يمتنع من السجود لكونه غيرا بل قال **{ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ { ص 76** **{ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ { الأعراف 12** ولم تؤمر الملائكة بالسجود لكون آدم ليس غيرا بل المغايرة بين الملائكة وآدم ثابتة معروفة والله تعالى **{ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ { 31** **{ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ { 32** البقرة 31-32 وكانت الملائكة وآدم معترفين بأن الله مباين لهم وهم مغايرون له ولهذا دعوه دعاء العبد ربه فآدم يقول **{ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا { الأعراف 23** والملائكة تقول **{ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا { 32** البقرة 32 وتقول **{ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ**

وَقِيهِمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ { غافر 7 وقد قال تعالى { قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ
تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ { الزمر 64 وقال تعالى { قُلْ أَغَيَّرَ
اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ
إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
{ الأنعام 14⁹⁷

* وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع وبالعلوم العقلية الضرورية
إثبات غير الله تعالى وأن كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله
تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله ولهذا أنكر الله على
من عبد غيره ولو لم يكن هناك غير لما صح الإنكار قال تعالى
{ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ أَلْبَتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا
{ الأنعام 114⁹⁸

* والإنسان قد يظلم نفسه بالذنوب فيقول { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
{ الأعراف 23 لكون نفسه أمرته بالسوء والنفس أمارة بالسوء
لكن جهة أمرها ليست جهة فعلها بل لا بد من نوع تعدد اما في
الذات واما في الصفات وكل أحد يعلم بالحس والاضطرار ان هذا
الرجل الذي ظلم ذاك ليس هو اياه وليس هو بمنزلة الرجل الذي
ظلم نفسه⁹⁹

⁹⁷ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 328

⁹⁸ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 353

مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 353

⁹⁹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 357

الرد على المتفلسفة والمعتزلة الذين يقولون الجنة التي اسكنها آدم وزوجته أنها جنة في الأرض

* الجنة التي اسكنها آدم وزوجته عند سلف الامة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد ومن قال أنها جنة في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة أو غير ذلك فهو من المتفلسفة والملحدين أو من إخوانهم المتكلمين المبتدعين فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة والكتاب والسنة يرد هذا القول وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول قال تعالى { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } {34} وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ {35} البقرة 34-35 الى قوله { وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ } {36} البقرة 36 فقد أخبر أنه سبحانه أمرهم بالهبوط وأن بعضهم عدو لبعض ثم قال { وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } {36} البقرة 36 وهذا يبين أنهم لم يكونوا في الأرض وإنما أهبطوا الى الارض فإنهم لو كانوا في الأرض وانتقلوا الى أرض أخرى كإنتقال قوم موسى من أرض الى أرض لكان مستقرهم ومتاعهم الى حين في الأرض قبل الهبوط وبعده وكذلك قال في الأعراف لما قال ابليس { أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } {12} قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ } {13} الأعراف 12-13 فقوله { فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ } الأعراف 13 يبين اختصاص السماء بالجنة بهذا الحكم فان الضمير في قوله { مِنْهَا } الأعراف 13 عائد الى معلوم غير مذكور في اللفظ وهذا بخلاف قوله { اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ } البقرة 61 فإنه لم يذكر هناك ما اهبطوا فيه وقال هنا { اهْبِطُوا } البقرة 61 لان الهبوط يكون من علو الى سفل وعند أرض السراة حيث كان بنوا اسرائيل حيال السراة المشرفة على المصر الذي يهبطون اليه ومن هبط من جبل

الى واد قيل له هبط وأيضا فإن بنى إسرائيل كانوا يسكرون ويرحلون والذي يسير ويرحل اذا جاء بلدة يقال نزل فيها لأن في عادته انه يركب في سيره فإذا وصل نزل عن دوابه يقال نزل العسكر بأرض كذا ونزل القفل بأرض كذا لنزولهم عن الدواب ولفظ النزول كلفظ الهبوط فلا يستعمل هبط الا اذا كان من علو الى سفلى وقوله {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {23} قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {24} {الأعراف 23-24} فقولها هنا قوله {قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} {الأعراف 24} يبين انهم هبطوا الى الأرض من غيرها و {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} {25} {الأعراف 25} دليل على انهم لم يكونوا قبل ذلك فيه بمكان فيه يحيون وفيه يموتون ومنه يخرجون وانما صاروا اليه لما أهبطوا من الجنة والنصوص في ذلك كثيرة وكذلك كلام السلف والأئمة وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي قال احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته فلماذا اخرجتنا وذريتك من الجنة فقال له آدم انت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وكلامه فهل تجد في التوراة وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال فلماذا تلومنى على أمر قدره الله على قبل أن أخلق فقال فحج آدم موسى وموسى انما لام آدم لما حصل له وذريته بالخروج من الجنة من المشقة والنكد فلو كان ذلك بستانا في الارض لكان غيره من بساتين الارض يعوض عنه وآدم عليه السلام احتج بالقدر لان العبد مأمور على أن يصبر على ما قدره الله من المصائب ويتوب اليه ويستغفره من الذنوب والمعائب والله أعلم¹⁰⁰

جميع ما يفعل الله بعبده من الخير من مقتضى اسمه الرب

*فالنور والمعرفة الذى هو أصل المحبة والإرادة ما تتميز به المحبة الإيمانية المحمدية المفصلة عن المجملة المشتركة وكما يقع هذا الإجمال فى المحبة يقع أيضا فى التوحيد قال الله تعالى فى أم الكتاب التى هى مفروضة على العبد وواجبة فى كل صلاة أن يقول { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {5} وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن الله يقول قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {2} قال الله حمدنى عبدى وإذا قال { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } {3} قال الله أثنى على عبدى وإذا قال { مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ } {4} قال مجدنى عبدى أو قال فوض الى عبدى وإذا قال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {5} قال فهذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} قال فهو لاء لعبدى ولعبدى ما سأل ولهذا روى أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها فى القرآن ومعانى القرآن فى المفصل ومعانى المفصل فى أم الكتاب ومعانى أم الكتاب فى هاتين الكلمتين { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {5} وهذا المعنى قد ثناه الله فى مثل قوله { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } {هود 123} وفى مثل قوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } {الرعد 30} وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } {الشورى 10} وكان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقول فى نسكه اللهم هذا منك ولك فهو سبحانه مستحق التوحيد الذى هو دعاؤه واخلاص الدين له دعاء العبادة بالمحبة والإنابة والطاعة والإجلال والإكرام والخشية والرجاء ونحو ذلك من معانى تأله وعبادته ودعاء المسئلة والإستعانة بالتوكل عليه والإلتجاء اليه والسؤال له ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته وهو سبحانه الاول والآخر والباطن

والظاهر ولهذا جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله وفي السؤال بإسم الرب فيقول المصلى والذاكر الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وكلمات الأذان الله أكبر الله أكبر الى آخرها ونحو ذلك وفي السؤال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا } { الأعراف 23 } { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي } الأعراف 151 { قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ } القصص 17 { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي } القصص 16 { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } آل عمران 147 { رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } المؤمنون 118 ونحو ذلك¹⁰¹

* فالسؤال كقول السائل لله أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض إذا الجلال والإكرام وأسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك فهذا سؤال الله تعالى بأسمائه وصفاته وليس ذلك إقساماً عليه فإن أفعاله هي مقتضى أسمائه وصفاته فمغفرته ورحمته من مقتضى اسمه الغفور الرحيم وعفوه من مقتضى اسمه العفو ولهذا لما قالت عائشة للنبي إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول قال قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني وهدايته ودلالته من مقتضى اسمه الهادي وفي الأثر المنقول عن أحمد بن حنبل أنه أمر رجلاً أن يقول يا دليل الحيارى دلى على طريق الصادقين واجعلنى من عبادك الصالحين وجميع ما يفعل الله بعبده من الخير من مقتضى اسمه الرب ولهذا يقال في الدعاء يارب يارب كما قال آدم { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } { الأعراف 23 } وكذلك سائر الأنبياء وقد كره مالك وابن أبى

¹⁰¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 455

عمران من أصحاب أبي حنيفة وغيرهما أن يقول الداعي يا سيدي يا سيدي وقالوا قل كما قالت الأنبياء رب رب واسمه الحى القيوم يجمع أصل معانى الأسماء والصفات كما قد بسط هذا فى غير هذا الموضوع ولهذا كان النبى يقوله إذا اجتهد فى الدعاء فإذا سئل المسئول بشىء والباء للسبب سئل بسبب يقتضى وجود المسئول فإذا قال أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السموات والأرض كان كونه محمودا منانا بديع السموات والأرض يقتضى أن يمن على عبده السائل¹⁰²

لا يذكر الشر إلا على أحد وجوه ثلاثة

*قالت طوائف من المسلمين و أهل الكلام و الفقه و غيرهم من الحنفية و الحنبلية و غيرهم و من الكرامية و الصوفية و كثير من المتفلسفة جميع ما يحدثه الله عز وجل فى الوجود من الضرر فلا بد فيه من حكمة قال الله تعالى { صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ { النمل 88 و قال { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ { السجدة 7 و الضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شرا مطلقا و إن كان شرا بالنسبة إلى من تضرر به و لهذا لا يجيء فى كلام الله تعالى و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم إضافة الشر و حده إلى الله بل لا يذكر الشر إلا على أحد وجوه ثلاثة إما أن يدخل فى عموم المخلوقات فإنه إذا دخل فى العموم أفاد عموم القدرة و المشيئة و الخلق و تضمن ما إشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم و إما أن يضاف إلى السبب الفاعل و إما أن يحذف فاعله فالأول كقوله تعالى { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ { الزمر 62 و نحو ذلك و من هذا الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع و الضار النافع المعز المذل الخافض الرافع

فلا يفرد الإسم المانع عن قرينه و لا الضار عن قربنه لإن إقترانهما يدل على العموم و كل ما فى الوجود من رحمة و نفع و مصلحة فهو من فضله تعالى و ما فى الوجود من غير ذلك فهو من عدله فكل نعمة منه فضل و كل نقمة منه عدل كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال يمين الله ملأى لا يغيضاها نفقة سحاء الليل و النهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات و الأرض فإنه لم يغيض ما فى يمينه و بيده الأخرى القسط يخفض و يرفع فأخبر أن يده اليمنى فيها الإحسان إلى الخلق و يده الأخرى فيها العدل و الميزان الذى به يخفض و يرفع فحفضه و رفعه من عدله و إحسانه إلى خلقه من فضله و أما حذف الفاعل فمثل قول الجن { وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } الجن 10 و قوله تعالى فى سورة الفاتحة { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 و نحو ذلك و إضافته إلى السبب كقوله { مِن شَرِّ مَا خَلَقَ } الفلق 2 و قوله { فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا } الكهف 79 مع قوله { فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا } الكهف 82 و قوله تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 و قوله { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا } الأعراف 23 و قوله تعالى { أَوْلَمَّا أَصَابَكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ } آل عمران 165 و أمثال ذلك ¹⁰³

*و يجب أن يعلم العبد أن عمله من الحسنات هو بفضل الله و رحمته و من نعمته كما قال أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لَنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } الأعراف 43 و قال تعالى { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 و قال تعالى

{ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ { الزمر 22 و قال { أَوْ مِّنْ كَانَ مِثْنًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا { الأنعام 122 و قال تعالى { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا { الشورى 52 وكذلك إضافة السيئات إلى نفسه هو الذي ينبغي أن يفعله مع علمه بأن الله خالق كل موجود من الأعيان و الصفات و الحركات و السكنات كما قال آدم { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ { الأعراف 23 و قال موسى { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي { القصص 16 و قال الخليل { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ { الشعراء 82 }¹⁰⁴

الظلم ثلاثة أنواع

* فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذى هو شرك لا شفاعه فيه وظلم الناس بعضهم بعضا لابد فيه من اعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعه ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا انما نفعه فى الحقيقة اخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعه وأما الظلم المقيد فقد يختص بظلم الانسان نفسه وظلم الناس بعضهم بعضا كقول آدم عليه السلام وحواء { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا { الأعراف 23 و قول موسى { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي { القصص 16 وقوله تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ { آل عمران 135 لكن قول آدم وموسى إخبار عن واقع لا عموم فيه

¹⁰⁴ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 442

وذلك قد عرف والله الحمد أنه ليس كفرا واما قوله {وَالَّذِينَ إِذَا
 فَعَلُوا فَاِحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} آل عمران 135 فهو نكرة في
 سياق الشرط يعم كل ما فيه ظلم الانسان نفسه وهو اذا أشرك ثم
 تاب تاب الله عليه وقد تقدم ان ظلم الانسان لنفسه يدخل فيه كل
 ذنب كبير أو صغير مع الاطلاق وقال تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ
 الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ} فاطر 32 فهذا ظلم
 لنفسه مقرون بغيره فلا يدخل فيه الشرك الأكبر¹⁰⁵

ان الله قد أخبر عما يكون من أفعال العباد قبل أن تكون

* فإن الله قد أخبر عما يكون من أفعال العباد قبل أن تكون بل
 أعلم بذلك من شاء من ملائكته و غير ملائكته قال تعالى {وَإِذْ
 قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا
 مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ
 إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} البقرة 30 فالملائكة حكموا بان الآدميين
 يفسدون و يسفكون الدماء قبل أن يخلق الإنس و لا علم لهم إلا ما
 علمهم الله كما قالوا {لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا} البقرة 32 ثم قال
 {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} البقرة 30 و تضمن هذا ما يكون فيما
 بعد من آدم و إبليس و ذريتهما و ما يترتب على ذلك و دلت
 هذه الآية على أنه يعلم أن آدم يخرج من الجنة فإنه لولا خروجه
 من الجنة لم يصير خليفة في الأرض فإنه أمره أن يسكن الجنة و لا
 يأكل من الشجرة بقوله {وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ
 وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
 الظَّالِمِينَ} 35 البقرة 35 و قال تعالى {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا
 عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} 117 {إِنَّ لَكَ الْأَلَّا

تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى {118} وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى {119} طه 117-119 نهاه أن يخرجها من الجنة و هي نهي عن طاعة إبليس التي هي سبب الخروج و قد علم قبل ذلك أنه يخرج من الجنة و أنه إنما يخرج منها بسبب طاعته إبليس و أكله من الشجرة لأنه قال قبل ذلك {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} البقرة 30 و لهذا قال من قال من السلف أنه قدر خروجه من الجنة قبل أن يأمره بدخولها بقوله {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} البقرة 30 و قال بعد هذا {قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} {36} البقرة 36 و قال تعالى { قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} {24} قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ} {25} الاعراف 24-25 و هذا خبر عما سيكون من عداوة بعضهم بعضا و غير ذلك و قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ} {96} وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} {97} يونس 96-97 و قال {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} البقرة 6 و هذا خبر عن المستقبل و أنهم لا يؤمنون و قال تعالى {لَأْمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 و قال {وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأْمَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} السجدة 13 و هذا قسم منه على ذلك و هو الصادق البار في قسمه و صدقه مستلزم لعلمه بما أقسم عليه و هو دليل على أنه قادر على ذلك و قد يستدل به على أنه خالق أفعال العباد إذ لو كانت أفعالهم غير مقدورة له لم يمكنه أن يملأ جهنم بل كان ذلك إليهم إن شاؤا عصوه فملأها و إن شاؤا أطاعوه فلم يملأها لكن قد يقال أنه علم أنهم يعصونه فأقسم على جزائهم على ذلك و قد يجاب عن ذلك بأن علمه بالمستقبل قبل أن يكون مستلزم لخلقه له فإنه سبحانه لا يستفيد العلم من غيره كالملائكة و البشر و لكن علمه من لوازم نفسه فلو كانت أفعاله

خارجة عن مقدوره و مراده لم يجب أن يعلمها كما يعلم مخلوقاته
و بسط هذا له موضع آخر ¹⁰⁶

الروح تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى وتفارقه متى شاء الله تعالى

*عود الروح الى بدن الميت فى القبر ليس مثل عودها اليه فى هذه
الحياة الدنيا وإن كان ذلك قد يكون أكمل من بعض الوجوه كما أن
النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة وان كانت أكمل منها بل كل
موطن فى هذه الدار وفى البرزخ والقيامة له حكم يخصه ولهذا
أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الميت يوسع له فى قبره ويسئل
ونحو ذلك وان كان التراب قد لايتغير فالأرواح تعاد إلى بدن
الميت وتفارقه وهل يسمى ذلك موتا فيه قولان قيل يسمى
ذلك موتا وتولوا على ذلك قوله تعالى { رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا
اثْنَتَيْنِ } غافر 11 قيل إن الحياة الأولى فى هذه الدار والحياة الثانية
فى القبر والموتة الثانية فى القبر والصحيح أن هذه الآية كقوله {
كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } البقرة 28 فالموتة
الأولى قبل هذه الحياة والموتة الثانية بعد هذه الحياة وقوله تعالى
{ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ } البقرة 28 بعد الموت قال تعالى { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } طه 55 وقال { قَالَ فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ } الأعراف 25 فالروح
تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى وتفارقه متى شاء الله تعالى لا
يتوقت ذلك بمرة ولا مرتين والنوم أخو الموت ولهذا كان النبى
يقول اذا أوى الى فراشه باسمك اللهم اموت وأحيا وكان اذا
استيقظ يقول الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور فقد
سمى النوم موتا والاستيقاظ حياة وقد قال تعالى { اللَّهُ يَتَوَفَّى
الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى

عَلَيْهَا الْمَوْتُ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى { الزمر 42 فبين
 انه يتوفى الانفس على نوعين فيتوفاها حين الموت ويتوفى الانفس
 التي لم تمت بالنوم ثم اذا ناموا فمن مات فى منامه أمسك نفسه
 ومن لم يمت ارسل نفسه ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا
 اوى الى فراشه قال باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه فإن
 أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
 الصالحين¹⁰⁷

أن ما ذكر من الإستحالة لا ينافى أن يكون البدن الذى يعاد فى النشأة الثانية هو هذا البدن

* والقول الذي عليه السلف و جمهور العقلاء من أن الأجسام
 تتقلب من حال إلى حال إنما يذكره عن الفلاسفة و الأطباء و هذا
 القول و هو القول فى خلق الله للأجسام التى يشاهد حدوثها أنه
 يقبلها و يحيلها من جسم إلى جسم هو الذي عليه السلف و الفقهاء
 قاطبة و الجمهور و لهذا يقول الفقهاء فى النجاسة هل
 تطهر بالإستحالة أم لا كما تستحيل العذرة رمادا و الخنزير و
 غيره ملحا و نحو ذلك و المنى الذي فى الرحم يقبله الله علقة ثم
 مضغة و كذلك الثمر يخلق بقلب المادة التى يخرجها من الشجرة
 من الرطوبة مع الهواء و الماء الذي نزل عليها غير ذلك من
 المواد التى يقبلها ثمرة بمشيئته و قدرته و كذلك الحبة يفلقها و
 تتقلب المواد التى يخلقها منها سنبله و شجرة و غير ذلك و هكذا
 خلقه لما يخلقه سبحانه و تعالى كما خلق آدم من الطين فقلب حقيقة
 الطين فجعلها عظما و لحما و غير ذلك من أجزاء البدن و كذلك
 المضغة يقبلها عظاما و غير عظام قال الله تعالى { وَلَقَدْ خَلَقْنَا
 الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ {12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ
 مَّكِينٍ {13} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

¹⁰⁷ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 275

الْمُضَعَّةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
 أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {14} ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ {15} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ {16} المؤمنون 12-16 و كذلك النار يخلقها بقلب
 بعض أجزاء الزناد نارا كما قال تعالى {الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ
 الْأَخْضَرِ نَارًا} يس 80 فنفس تلك الأجزاء التي خرجت من
 الشجر الأخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون كان في الشجر
 الأخضر نار أصلا كما لم يكن في الشجرة ثمرة أصلا و لا كان في
 بطن المرأة جنين أصلا بل خلق هذ الموجود من مادة غيره بقلبه
 تلك المادة إلى هذا و بما ضمه إلى هذا من مواد آخر و كذلك
 الإعادة يعيده بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت في
 الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال كل ابن آدم
 يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم و منه يركب
 وهو إذا أعاد الإنسان فى النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة
 لهذه فإن هذه كائنة فاسدة و تلك كائنة لا فاسدة بل باقية دائمة و
 ليس لأهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم كما ثبت فى الصحيح
 عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال أهل الجنة لا يبولون و
 لا يتغوطون و لا و لا يبصقون و لا يتمخطون و إنما هو رشح
 كرشح المسك و فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم
 أنه قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ {يَوْمَ كَمَا بَدَأْنَا
 أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} الأنبياء 104 فهم
 يعودون غلفا لا مختونين وقال الحسن البصري و مجاهد
 كما بدأكم فخلقكم فى الدنيا و لم تكونوا شيئا كذلك تعودون يوم
 القيامة أحياء و قال قتادة بدأهم من التراب و إلى التراب يعودون
 كما قال تعالى {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً
 أُخْرَى} طه 55 و قال {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا
 تُخْرَجُونَ} الأعراف 25 وهو قد شبه سبحانه إعادة الناس فى النشأة
 الأخرى بإحياء الأرض بعد موتها فى غير موضع كقوله و
 {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ
 سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ

الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {الأعراف 57} و
 قال {وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ} ق7 إلى قوله
 {وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} ق11 وقال تعالى
 {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ
 مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَاقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ
 وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ
 لِنَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ
 لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا
 الْمَاءَ اهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} {5} ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ
 هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {6} {الحج 5} -
 6 وقال تعالى {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنِّيْرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ
 بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} {فاطر 9
 وهو سبحانه مع إخباره أنه يعيد الخلق وأنه يحيى العظام و هي
 رميم و أنه يخرج الناس من الأرض تارة أخرى هو يخبر أن
 المعاد هو المبدأ كقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي بِيَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ
 {الروم 27} و يخبر أن الثاني مثل الأول كقوله تعالى {
 وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلْنَا لَمْبَعُوْنُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} {98} أَوْلَمْ
 يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ
 مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ} {99} {الاسراء 98-99} وقال
 تعالى { وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلْنَا لَمْبَعُوْنُونَ خَلْقًا
 جَدِيدًا} {49} قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا} {50} أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي
 صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ
 قَرِيبًا} {51} يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا
 قَلِيلًا} {52} {الاسراء 49-52} وقال تعالى {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ
 الْعَلِيمُ} {يس 81} وقال تعالى {أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ
 بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {الأحقاف 33} وقال {أَفَرَأَيْتُمْ مَا

تَمُنُونَ {58} أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ {59} نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ
الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ {60} عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي
مَا لَا تَعْلَمُونَ {61} وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ {62}

الواقعة 58-62 و المراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على
إعادتهم كما أخبر بذلك في قوله {أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ
{الأحقاف 33 فإن القوم ما كانوا يبنازعون في أن الله يخلق في
هذه الدار ناسا أمثالهم فإن هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرنا بعد
قرن يخلق الولد من الوالدين و هذه هي النشأة الأولى و قد علموها
و بها إحتج عليهم على قدرته على النشأة الآخرة كما قال {وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ { الواقعة 62 و قال
{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ
{78} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {79}

يس 78-79 و قال {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ
فَأَنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ
وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ {الحج 5 و لهذا قال {عَلَىٰ أَنْ
نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ { الواقعة 61 قال
الحسن بن الفضل البجلي الذي عندي في هذه الآية {
وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ {61} وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ {62}

الواقعة 61-62 أي أخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون
كيف شئت و ذلك أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت في بطون
الأمهات و ليست الأخرى كذلك و معلوم أن النشأة الأولى كان
الإنسان نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة ثم ينفخ فيه الروح و تلك
النطفة من منى الرجل و المرأة و هو يعذبه بدم الطمث الذي يربي
به الجنين في ظلمات ثلاث ظلمة المشيمة و ظلمة الرحم و ظلمة
البطن و النشأة الثانية لا يكونون في بطن امرأة و لا يغذون بدوم و
لا يكون أحدهم نطفة رجل و امرأة ثم يصير علقة بل ينشئون نشأة
أخرى و تكون المادة من التراب كما قال {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ {طه 55 و قال تعالى {فِيهَا

تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ {الأعراف 25} {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ
مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا} {17} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

إِخْرَاجًا} {18} {نوح 17-18} و في الحديث أن الأرض تمطر
مطرا كمنى الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات كما قال
تعالى { كَذَلِكَ الْخُرُوجُ } {ق 11} { كَذَلِكَ النُّشُورُ } {فاطر 9} {
كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {الأعراف 57} فعلم أن
النشأتين نوعان تحت جنس يتفقان و يتماثلان و يتشابهان من وجه
و يفترقان و يتنوعان من وجه آخر و لهذا جعل المعاد هو المبدأ و
جعل مثله أيضا فباعتبار إتفاق المبدأ و المعاد فهو هو و باعتبار ما
بين النشأتين من الفرق فهو مثله و هكذا كل ما أعيد فلفظ الإعادة
يقضي المبدأ و المعاد سواء في ذلك إعادة الأجسام و الأعراض
كإعادة الصلاة و غيرها فإن النبي صلى الله عليه و سلم مر برجل
يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة و يقال للرجل أعد
كلامك و فلان قد أعاد كلام فلان بعينه و يعيد الدرس فالكلام هو
الكلام و إن كان صوت الثاني غير صوت الأول و حركته و لا
يطلق القول عليه أنه مثله بل قد قال تعالى { قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } {الإسراء 88}
و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا
وإن كان يسمى مثلا مقيدا حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال
فلان أي مثل هذا قال و يقال فعل هذا عودا على بدء إذا فعله مرة
ثانية بعد أولى و منه البئر البدي و البئر العادي فالبدي التي ابتدئت
و العادي التي أعيدت و ليست بنسبة إلى عاد كما قيل و يقال
إستعدته الشيء فأعاده إذا سألته ان يفعله مرة ثانية و منه سميت
العادة يقال عادة و إعتاده و تعوده أي صار عادة له و عود كلبه
الصيد فتعوده و هو المعاودة و المعاودة الرجوع إلى الأمر الأول
و يقال الشجاع معاود لأنه لا يمل المراس و عاودته الحمى و
عاوده بالمسألة أي سأله مرة بعد مرة و تعاود القوم في الحرب و
غيرها إذا عاد كل فريق إلى صاحبه و العواد بالضم ما أعيد من
الطعام بعد ما أكل منه مرة أخرى و عواد بمعنى عد مثل نزال

بمعنى أنزل ففي جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الإعادة باعتبار الحقيقة فإن الحقيقة الموجودة في المرة الثانية هي الأولى وإن تعدد الشخص و لهذا يقال هو مثله و يقال هذا هو هذا و كلاهما صحيح و أعني بالحقيقة الأمر الذي يختص بذلك الشخص ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين فإن من فعل مثل فعل غيره لا يقال أعاده و إنما يقال حاكاه و شابهه بخلاف ما إذا فعلا ثانيا مثل ما فعل أولا فإنه يقال أعاد فعله و كذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده و لا يقال لمن أنشأ مثله قد أعاده و يقال قريء على هذا و أعاد على هذا و هذا يقرأ أي يدرس و هذا يعيد و لو كان كلاما آخر مما يماثله لم يقل فيه يعيد و كذلك من كسر خاتما أو غيره من المصوغ يقال أعده كما كان و يقال من هدم دارا أعدها كما كانت بخلاف من أنشأ أخرى مثلها فإن هذا لا يسمى معيدا و المعاد يقال فيه هذا هو الأول بعينه و يقال هذا مثل الأول من كل وجه و نحو ذلك من العبارات الدالة على أنه هو من و جه و هو مثله من و جه و بهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضع كقول من قال الإعادة لا تكون إلا مع إعادة ذلك الزمان و نحو ذلك مما يمنع إعادته في صريح العقل و إنما يعاد بالإتيان بمثله و إن قال بعض المتكلمين أنه لا مغايرة أصلا بوجه من الوجوه و الإعادة التي أخبر الله بها هي الإعادة المعقولة في هذا الخطاب و هي الإعادة التي فهمها المشركون و المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي التي يدل عليها لفظ الإعادة و المعاد هو الأول بعينه و إن كان بين لوازم الإعادة و لوازم البداية فرق فذلك الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الأول ليس الجسد الثاني مباينا للأول من كل وجه كما زعم بعضهم و لا أن النشأة الثانية كالأولى من كل وجه كما ظن بعضهم و كما إنه سبحانه خلق الإنسان و لم يكن شيئا كذلك يعيده بعد أن لم يكن شيئا و على هذا فالإنسان الذي صار ترابا و نبت من ذلك التراب نبات آخر أكله إنسان آخر و هلم جرا و الإنسان الذي أكله إنسان أو حيوان و أكل ذلك الحيوان إنسانا آخر ففي هذا كله قد عدم هذا الإنسان و هذا الإنسان و صار كل

منهما ترابا كما كان قبل أن يخلق ثم يعاد هذا و يعاد هذا من التراب و إنما يبقى **عجب الذنب منه خلق و منه يركب** و أما سائره فعدم فيعاد من المادة التي إستحال إليها فإذا إستحال في القبر الواحد ألف ميت و صاروا كلهم ترابا فإنهم يعادون و يقومون من ذلك القبر و ينشئهم الله تعالى بعد أن كانوا عدما محضا كما أنشأهم أولا بعد أن كانوا عدما محضا و إذا صار ألف إنسان ترابا في قبر أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن يحتاج أن يخلقهم كما خلقهم في النشأة الأولى التي خلقهم منها من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة و جعل نشأتهم بما يستحيل إلى أبدانهم من الطعام و الشراب كما يستحيل إلى بدن أحدهم ما يأكله من نبات و حيوان و كذلك لو أكل إنسانا أو أكل حيوانا قد أكل إنسانا فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الإستحالة بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة و من غير أن يغذوها بدم الطمث و من غير أن يغذوها بلبن الأم و بسائر ما يأكله من الطعام و الشراب فمن ظن أن الإعادة تحتاج إلى إعادة الأغذية التي إستحالت إلي أبدانهم فقد غلط وحينئذ فإذا أكل إنسان إنسانا فإنما صار غذاء له كسائر الأغذية و هو لا يحتاج إلى إعادة الأغذية و معلوم أن الغذاء ينزل إلى المعدة طعاما و شرابا ثم يصير كلوسا كالثرثرة ثم كيموسا كالحريرة ثم ينطبخ دما فيقسمه الله تعالى في البدن كله و يأخذ كل جزء من البدن نصيبه فيستحيل الدم إلى شبيه ذلك الجزء العظم عظما و اللحم لحما و العرق عرقا و هذا في الرزق كإستحالتهم في مبدأ الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة و كما أنه سبحانه لا يحتاج في الإعادة إلى أن يحيل أحدهم نطفة ثم علقة ثم مضغة فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها خبزا و فاكهة و لحما ثم يجعلها كلوسا و كيموسا ثم دما ثم عظما و لحما و عروقا بل يعيد هذا البدن على صفة أخرى لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة كما قال {وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} الواقعة 61 و لا يحتاج مع ذلك إلى شيء من هذه الإستحالات التي كانت في النشأة الأولى و بهذا يظهر الجواب عن قوله البدن دائما في التحلل فإن

تحلل البدن ليس بأعجب من إنقلاب النطفة علقة و العلقة مضغة و حقيقة كل منهما خلاف حقيقة الأخرى و أما البدن المتحلل فالأجزاء الثانية تشابه الأولى و تماثلها و إذا كان في الإعادة لا يحتاج إلى إنقلابه من حقيقة إلى حقيقة فكيف بإنقلابه بسبب التحلل و معلوم أن من رأي شخصاً و هو شاب ثم رآه و هو شيخ علم أن هذا هو ذلك مع هذه الإستحالة و كذلك سائر الحيوان و النبات كمن غاب عن شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي الأولى مع أن التحلل و الإستحالة ثابت في سائر الحيوان و النبات كما هو في بدن الإنسان و لا يحتاج عاقل في إعتقاده أن هذه الشجرة هي الأولى و أن هذه الفرس هي التي كانت عنده من سنين و لا أن هذا الإنسان هو الذي رآه من عشرين سنة إلى أن يقدر بقاء أجزاء أصلية لم تتحلل و لا يخطر هذا ببال أحد و لا و لا يقتصر العقلاء في قولهم هذا هو ذلك على تلك الأجزاء التي لا تعرف و لا تتميز عن غيرها بل إنما يشيرون إلى جملة الشجرة و الفرس و الإنسان مع أنه قد يكون كان صغيراً فكبر و لا يقال إنما كان هو ذلك باعتبار أن النفس الناطقة و احدة كما زعمه من ادعى أن البدن الثاني ليس هو ذلك الأول و لكن المقصود جزاء النفس بنعيم أو عذاب ففي أي بدن كانت حصل المقصود فإن هذا أيضاً باطل مخالف للكتاب و السنة و إجماع السلف مخالف للمعقول من الإعادة فإننا قد ذكرنا أن العقلاء كلهم يقولون هذا الفرس هو ذلك و هذه الشجرة هي تلك التي كانت من سنين مع علم العقلاء أن النبات ليس له نفس ناطقة تفارقه و تقوم بذاتها و كذلك يقولون مثل هذا في الحيوان و في الإنسان مع أنه لم يخطر بقلوبهم أن المشار إليه بهذا و ذلك نفس مفارقة بل قد لا يخطر هذا بقلوبهم فدل على أن العقلاء كانوا يعلمون أن هذا البدن هو ذلك مع وجود الإستحالة و علم بذلك أن ما ذكر من الإستحالة لا ينافى أن يكون البدن الذي يعاد في النشأة الثانية هو هذا البدن و لهذا يشهد البدن المعاد بما عمل في الدنيا كما قال تعالى {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} يس65 و قال

تعالى { حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 20 { وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا
قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ } 21 { فصلت 21- 22 }¹⁰⁸

بعض الاحكام المتعلقة بلباس

1-أخبر سبحانه بنعمته على بنى آدم بما انزله من

اللباس

* قال تعالى { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ
وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ } {الأعراف 26} الآية وفيها قراءتان أحدهما
بالنصب فيكون لباس التقوى أيضا منزلا وأما على قراءة الرفع فلا
وكلاهما حق لفظ النزول اشكل على كثير من الناس وقد قيل فيه
خلفناه وقيل أنزلنا أسبابه وقيل ألهمناهم كيفية صنعته وهذه الأقوال
ضعيفة فإن النبات الذى ذكروا لم يجيء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل
فى كل مايصنع أنزلنا فلم يقل أنزلنا الدور وأنزلنا الطبخ ونحو ذلك
وهو لم يقل أنا أنزلنا كل لباس ورياش وقد قيل أن الريش والرياش
المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى واحد مثل اللبس واللباس
وقد قيل هما المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حالته
والصحيح أن الريش هو الاثاث والمتاع قال أبو عمر
والعرب تقول أعطانى فلان ريشه أى كسوته وجهازه وقال غيره
الرياش فى كلام العرب الاثاث وما ظهر من المتاع والثياب
والفرش ونحوها وبعض المفسرين أطلق عليه لفظ المال والمراد
به مال مخصوص قال بن زيد جمالا وهذا لأنه مأخوذ من ريش
الطائر وهو ما يروش به ويدفع عنه الحر والبرد وجمال الطائر
ريشه وكذلك ما يبىيت فيه الانسان من الفرش وما يبسطه تحته
ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذى يلبس على البدن
وفى البيوت كما قال تعالى { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا

{ النحل 80 الآية فامتن سبحانه عليهم بما ينتفعون به من الانعام في اللباس والاثاث وهذا والله أعلم معنى انزاله فانه ينزله من ظهور الانعام وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار وينتفع به بنو آدم من اللباس والرياش فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل الأرض كسوتهم من جلود الدواب فهي لدفع الحر والبرد وأعظم مما يصنع من القطن والكتان والله تعالى ذكر في سورة النحل انعامه على عباده فذكر في أول السورة أصول النعم التي لا يعيش بنو آدم إلا بها وذكر في أثنائها تمام النعم التي لا يطيب عيشهم إلا بها فذكر في أولها الرزق الذي لا بد لهم منه وذكر ما يدفع البرد من الكسوة بقوله { وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } { النحل 5 ثم في اثناء السورة ذكر لهم المساكن والمنافع التي يسكنونها مساكن الحاضرة والبادية ومساكن المسافرين فقال تعالى { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا } { النحل 80 الآية ثم ذكر انعامه بالظلال التي تقيهم الحر والبأس فقال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا } { النحل 81 إلى قوله { كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } { النحل 81 ولم يذكر هنا ما بقي من البرد لأنه قد ذكره في أول السورة وذلك في أصول النعم لأن البرد يقتل فلا يقدر أحد ان يعيش في البلاد الباردة بلا دفء بخلاف الحر فانه أذى لكنه لا يقتل كما يقتل البرد فان الحر قد يتقى بالظلال واللباس وغيرهما وأهله أيضا لا يحتاجون إلى وقاية كما يحتاج إليه البرد بل أدنى وقاية تكفيهم وهم في الليل وطرفي النهار لا يتأذون به تأذيا كثيرا بل لا يحتاجون إليه احيانا حاجة قوية فجمع بينهما في قوله { سَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ } { النحل 81 ولا حذف في اللفظ ولا قصور في المعنى كما يظنه من لم يحسن حقائق معاني القرآن بل لفظه أتم لفظ ومعناه أكمل المعاني فإذا كان اللباس والرياش ينزل من ظهور الأنعام وكسوة الأنعام منزلة من الاصلاب والبطون كما تقدم فهو منزل من الجهتين فانه على ظهور الأنعام لا ينتفع به بنوا آدم حتى ينزل فقد تبين أنه ليس في القرآن ولا في السنة لفظ نزول إلا وفيه معنى

النزول المعروف وهذا هو اللائق بالقرآن فانه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى ولو أريد غير هذا المعنى لكان خطابا بغير لغتها ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى فى معنى آخر بلا بيان وهذا لا يجوز بما ذكرنا وبهذا يحصل مقصود القرآن واللغة الذى أخبر الله تعالى أنه بينه وجعله هدى للناس وليكن هذا آخره والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا¹⁰⁹

*قال الله تعالى لما اهبط آدم ومن معه الى الارض { قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ {24} قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ {25} يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ {26} يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ {27} الاعراف 24- 27

فأخبر سبحانه بنعمته على بني آدم بما انزله من اللباس الذي يوارى سوااتهم ومن الريش وانزله له كما قال وانزلنا الحديد سورة الحديد 25 وانزل لكم من الانعام سورة الزمر 6 وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ما انزل الله داء الا انزل له شفاء واخبر سبحانه ان لباس التقوى خير من هذا اللباس كما قال لما امرهم بالزاد فقال وتزودوا فإن خير الزاد التقوى سورة البقرة 197 فهما لباسان وزادان ثم قال يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما من سوءاتهما سورة الاعراف 27 فهى بنى آدم أن يفتنوا بفتنة الشيطان كما فتن أبويهما وذلك بمعصية الله وطاعة الشيطان فى خلاف أمر الله ونهيه وأنه لما نزع عن الأبوين لباسهم فكذلك قد ينزع عن الذرية لباس التقوى ولباس البدن ليريهما

سوءاتها قال تعالى أنه يراكم هو وقبيلة من حيث لا يرونهم إنا جعلنا الشيطان أولياء للذين لا يؤمنون سورة الأعراف 27 فأخبر ان الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بهدى الله الذي بعث به رسله

110

* اللباس له منفعتان إحداهما الزينة بستر السوءة والثانية الوقاية لما يضر من حر أو برد أو عدو فذكر اللباس في سورة الأعراف لفائدة الزينة وهي المعتبرة في الصلاة والطواف كما دل عليه قوله { خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 31 وقال { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ آتِكُمْ } الأعراف 26 وقال { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } الأعراف 32 ردا على ما كانوا عليه في الجاهلية من تحريم الطواف في الثياب الذى قدم بها غير الحمس ومن أكل من سلوه من الأدهان وذكره في النحل لفائدة الوقاية في قوله { وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَفِيكُمُ الْحَرِّ وَسَرَائِيلَ تَفِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } النحل 81 ولما كانت هذه الفائدة حيوانية طبيعية لاقوام للإنسان إلا بها جعلها من النعم ولما كانت تلك فائدة كمالية قرنها بالأمر الشرعى وتلك الفائدة من باب جلب المنفعة بالتزوين وهذه من باب دفع المضرة فالناس إلى هذه احوج

111

* واللباس الذى يوارى السوءة هو كل ما ستر العورة من جميع أصناف اللباس المباح وقد صح عن النبى انه قال لا يطوف بالبيت عريان وقد قال الله تعالى { خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 31 نزلت لما كانوا يطوفون بالبيت عراة الا الحمس فإنهم كانوا يطوفون فى ثيابهم وغيرهم لا يطوف فى ثيابه يقولون ثياب عصينا الله فيها فإن وجد ثوب أحمسى طاف فيه والا

¹¹⁰ الاستقامة ج: 2 ص: 169-171

¹¹¹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 217

طاف عربانا فان طاف فى ثيابه ألقاها فسميت لقاء وكان هذا مما ابتدعه المشركون فى الطواف وابتدعوا أيضا تحريم أشياء من المطاعم فى الاحرام فأنزل الله { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } {31} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ {32} {الأعراف 31-32} وقوله { وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً } {الأعراف 28} كالطواف بالبيت عراة { قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ } {الأعراف 28} فما ثبت بالنص من ايجاب الطهارة والستارة فى الطواف متفق عليه وأما ما ثبت باللزوم من كون ذلك شرطا فيه كالصلاة ففيه نزاع¹¹²

2- {وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ}

* ومن كان له صورة حسنة ففعل عما حرم الله تعالى وخالف هواه وجمل نفسه بلباس التقوى الذي قال الله فيه { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ } {الأعراف 26} كان هذا الجمال يحبه الله وكان من هذا الوجه أفضل ممن لم يؤت مثل هذا الجمال ما لا يكساه وجه العاصي فإن كانت خلقته حسنة ازدادت حسنا وإلا كان عليها من النور والجمال بحسبها وأما أهل الفجور فتعلو وجوههم ظلمة المعصية حتى يكسف الجمال المخلوق قال ابن عباس رضي الله عنه إن للحسنة لنورا فى القلب وضياء فى الوجه وقوة فى البدن وزيادة فى الرزق ومحبة فى قلوب الخلق وإن للسيئة اظلمة فى القلب وغبرة فى الوجه وضعفا فى البدن ونقصا فى الرزق وبغضة فى قلوب الخلق وهذا يوم القيامة يكمل حتى يظهر لكل احد كما قال تعالى { يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ

¹¹² مجموع الفتاوى ج: 26 ص: 222 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 88

تَكْفُرُونَ {106} وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {107} آل عمران 106-107 113

*قد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وقد قال تعالى عن المنافقين {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ} المنافقون 4 وقال تعالى {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاً وَرِثِيًا} مريم 74 والأثاث المال من اللباس ونحوه والرثى المنظر فأخبر أن الذين أهلكتهم قبلهم كانوا أحسن صوراً وأحسن أثاثاً وأموالاً ليبين أن ذلك لا ينفع عنده ولا يعبا به وقال النبي لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى وفي السنن عنه أنه قال البذاذة من الإيمان وأيضا فقد حرم علينا من لباس الحرير والذهب وأنية الذهب والفضة ما هو من أعظم الجمال في الدنيا وحرّم الله الفخر والخيلاء واللباس الذي فيه الفخر والخيلاء كإطالة الثياب حتى ثبت في الصحيح عنه أنه قال من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة ومثل ذلك ما في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا وفي الصحيح عن ابن عمر أن النبي قال بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة وقال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ أَنْفُسِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ} {الأعراف 26} فأخبر أن لباس التقوى خير من ذلك وقال تعالى {أَوْ مَن يُنْسَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} الزخرف 18 وقال تعالى في حق قارون {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} القصص 79 قالوا بثياب الأرجوان ولهذا ثبت عن عبدالله ابن عمرو قال رأى رسول الله على ثوبين معصفرين فقال إن هذه

من ثياب الكفار فلا تلبسهما قلت أغسلهما قال أحرقهما ولهذا
كره العلماء الأحمر المشبع حمرة كما جاء النهي عن الميثرة
الحمراء وقال عمر بن الخطاب دعوا هذه البراقات للنساء والآثار
فى هذا ونحوه كثيرة وقال تعالى {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ
أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} النور 30 إلى قوله { وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ
جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} النور 31 وقال النبى فى
الحديث الصحيح عن جرير بن عبدالله قال سألت رسول الله عن
نظرة الفجأة فقال أصرف بصرك وفى السنن أنه قال لعلى يا
على لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة
وقد قال تعالى {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ
زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى
{طه 131} وقال {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا
تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} الحجر 88 وقال
{زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ} آل عمران 14 إلى قوله
{قُلْ أَوْبِتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ تَجْرِي مِّنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} آل عمران 15 وقد قال تعالى مع ذمه لما ذمه
من هذه الزينة {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
{الأعراف 32} فنقول اعلم أن ما يصفه النبى من محبته
للأجناس المحبوبة وما يبغضه من ذلك هو مثل ما يأمر به من
الأفعال وينهى عنه من ذلك فإن الحب والبغض هما اصل الأمر
والنهى وذلك نظير ما يعده على الأعمال الحسنة من الثواب
ويتوعده به على الأعمال السيئة من العقاب فأمره ونهيه ووعد
ووعيده وحبه وبغضه وثوابه وعقابه كل ذلك من ((ملاحظة
الموضوع غير مكتمل يرجع الى نفس المرجع من مصدر اخر))
وقد بسطنا الكلام على ما يتعلق بهذه القاعدة فى غير موضع
لتعلقها بأصول الدين وفروعه فإن من أكبر شعبها¹¹⁴

* أن الأعمال الصالحة من ذكر الله وغيره تسمى جنة ولباسا كما قال تعالى {وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ} {الأعراف 26} في أشهر القولين وكما قال في الحديث خذوا جنتكم قالوا يا رسول الله من عدو حضر قال لا ولكن جنتكم من النار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله و الله أكبر¹¹⁵

3-سمى الله سبحانه نزع الثياب فتنه وفاحشة

* قال تعالى { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ} {26} يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} {27} وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ لَّمْ يَأْمُرْ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {28} قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {29} فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} {30} يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

المُسْرِفِينَ} {31} {الأعراف 26-31} قال ابن عباس كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوفا تجعله على فرجها وتقول اليوم يبدوا بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله فنزلت هذه الآية { خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } {الأعراف 31} رواه مسلم وروى أيضا عن هشام بن عروة عن أبيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحمس والحمس قريش وما ولدت كانوا يطوفون عراة إلا أن يعطيهم الحمس ثيابا فيعطي الرجال

¹¹⁵الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 222 و مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 254

الرجال والنساء النساء فقد سمي الله سبحانه نزع الثياب فتنة وفاحشة وأمر بأخذ اللباس عند كل مسجد وعن أبي هريرة أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان متفق عليه¹¹⁶

4- فرض ستر العورة و ذم من يتدين بغير ذلك في حال من الأحوال

*بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم فأمر أن ينادي أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكان المشركون يحجون وكانوا يطوفون بالبيت عراة فيقولون ثياب عصينا الله فيها فلا نطوف فيها إلا الخمس ومن دان دينها وفي ذلك أنزل الله { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 31 وقوله { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً } الأعراف 28 مثل طوافهم بالبيت عراة { قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 ومعلوم أن ستر العورة يجب مطلقا خصوصا إذا كان في المسجد الحرام والناس يرونه فلم يجب ذلك لخصوص الطواف لكن الاستتار في حال الطواف وأكد لكثرة من يراه وقت الطواف¹¹⁷

*ستر العورة بما لا يصف البشرية أما ستر العورة عن أعين الناظرين بما لا يصف البشرية فواجب في الجملة في الصلاة و خارج الصلاة و قد تقدم بعض هذا في باب الغسل لقوله تعالى

¹¹⁶ شرح العمدة ج: 3 ص: 590

¹¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 276 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 61-62

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} النور 30
و حفظ الفرج يعم حفظة من مس من لا يحل له مسه بجماع و غير
جماع و من النظر إليه بل قد قال بعض التابعين أنه عنى به هنا
النظر لأنه قرنه بغض البصر و لأنه ذكر معه استتار النساء عن
رؤية الرجال و لقوله سبحانه {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ النَّفَقَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأعراف 26 إلى قوله {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
سَوْءَاتِهِمَا} الأعراف 27 و قوله {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
{الأعراف 28 يريد كشف السوءة و نحوه {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 28 و هذه الآيات كلها
تتضمن فرض ستر العورة و ذم من يتدين بغير ذلك في حال من
الأحوال و قال النبي صلى الله عليه و سلم لمعاوية بن حيدة
القشيري جد بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري احفظ
عورتك ألا من زوجتك أو ما ملكت يمينك

قال القوم يكون بعضهم في بعض قال إن استطعت إن لا يرينها
أحد فلا يرينها و امر من كشف فخذها إن يغطيه و قال الفخذ عورة
فعلم إن العورة يجب سترها و فرض على داخل الحمام إن لا
يدخل إلا بمنزر و هذا كثير تقدم بعضه و يجب سترها في
الخلوة و غيرها ألا من حاجة و قال القاضي يكره التعري في
الخلوة و لا يحرم و من أصحابنا من يحكيها على روايتين و الأول
أبين في كلام احمد و أشبه بظاهر السنة لأن النبي صلى الله عليه و
سلم قال لمعاوية ابن حيدة فالله أحق إن يستحيا منه لما قال له فان
كان أحدنا خاليا و نهى إن يحتبئ الرجل في ثوب واحد يفضي
بفرجه إلى السماء و في لفظ ليس على فرجه منه شيء رواه
الجماعة و عن ابن عمر إن النبي صلى الله عليه و سلم قال إياكم و
التعري فان معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط و حين يفضي
الرجل إلى أهله فاستحيوهم و أكرموهم رواه الترمذي و عن عتبة

بن عبد الرحمن السلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أتى أحدكم أهله فليستتر و لا يتجردا تجرد العيرين رواه ابن
ماجة و لأن الله أحق إن يستحيا منه من الناس و كذلك ملائكته و
غيرهم من خليقته فتجب السترة في الخلوة كما تجب عن أعين
الناس و لهذا وجبت في الصلاة خلوة و ليس الاستتار لأجل
الاستخفاء من الله تعالى إذ هو سبحانه بصير لا تخفى عليه خافية و
إنما ذلك ظن الذين كفروا و الذين اخبر الله عنهم بقوله { أَلَا إِنَّهُمْ
يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لَيَسْتَكْفُوا مِنْهُ أَلَا جِئْنَا بِسِتْرَيْنَ لِيَاْبَهُمْ يَعْلَمَ مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } هود5 و لكن يعني
الاستحياء منه مبلغ الجهد كما اخبر الله تعالى عن آدم و حواء حين
بدت سواتهما أنهما طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و كما
كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول أيها الناس استحيوا من
الله فإني لأدخل الخلاء فاحني ظهري حياء من ربي و كذلك قال
أبو موسى في الاغتسال¹¹⁸

5- عورة الرجل ما بين السرة و الركبة

أحدها إن عورة الرجل ما بين السرة و الركبة و هذا اشهر
الروايتين و الأخرى أنها القبل و الدبر لأن ذلك هو مفهوم من قوله
تعالى { لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ } الأعراف26 و في قوله
{ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } النور30 و لما روى انس بن مالك رضي
الله تعالى عنه إن النبي صلى الله عليه وسلم يوم خبير حسر
الإزار عن فخذة قال حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ النبي صلى
الله عليه وسلم رواه احمد و البخاري و كذلك روي عنه من حديث
عائشة و حفصة رضي الله عنهما إن أبا بكر و عمر رضي الله
عنهما دخلا عليه و هو كاشف عن فخذة فلم يغطها فلما دخل
عثمان غطاها و قال ألا استحي من رجل و الله إن الملائكة
لتستحي منه رواه احمد و وجه الأول ما روى جرهد الاسلمي

¹¹⁸ شرح العمدة ج: 4 ص: 255-256

قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم و علي بردة و قد انكشف فخذني فقال غط فخذك فان الفخذ عورة رواه احمد و أبو داود و الترمذي و قال حديث حسن و عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبرز فخذك و لا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت رواه أبو داود و ابن ماجة و عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي رجل و فخذة خارجة فقال غط فخذك فان فخذ الرجل من عورته رواه احمد و روى الترمذي قوله الفخذ عورة و قال حديث حسن غريب و روي ذلك من وجوه أخرى يشد بعضها بعضا و لأن ستر العورة إنما وجب لما في كشفها من الفحش و القبح و هذا يشترك فيه الفخذ و غيره و لأن ما حول السوءتين من حريمهما و ستره تمام سترهما و المجاورة لها تأثير في مثل ذلك فوجب إن يعطى حكمهما و ما نقل من كشف فخذة فهو و الله اعلم أما إن يكون منسوخا لأن أحاديثنا ناقلة حاضرة أو يكون حصل بغير قصد أو يكون المكشوف أوائل الفخذ من جهة الركبة و فوق ذلك بقليل فان الركبة و السرة ليستا من العورة و كذلك ما دون السرة بقليل و فوق الركبة بقليل نص عليه في مواضع و حكى عنه انها من العورة لأنها تمام الحد و لا يحصل تمام السترة إلا بهما فوجب سترهما كما وجب غسل جزء من الرأس و إمساك جزء من الليل و الأول اصح لأن العمدة في ذلك على أحاديث الفخذ و هي لا تتناول الركبة و السرة و قد روى الدارقطني عن أيوب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسفل السرة و فوق الركبتين من العورة و عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين السرة و الركبة عورة و هذا صريح بأنهما ليستا من العورة و قوله هما تمام الحد غير مسلم بل إذا نزل عن السرة قليلا و صعد عن الركبة قليلا جاز نص عليه لأن عادة الصحابة و العرب في زمانه صلى الله عليه وسلم كانت الاكتفاء بالمآزر و العادة انحطاطها عن السرة و قد ذكر الإمام احمد عن ابن عمر أنه

كان يشد إزاره تحت السرة و سواء في ذلك الحر و العبد
لعموم الأدلة¹¹⁹

6- النظر إلى العورات حرام

*والنظر إلى العورات حرام داخل في قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ} {الأعراف 33} وفي قوله {وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ} {الأنعام 151} فإن الفواحش وإن كانت ظاهرة في المباشرة بالفرج أو الدبر وما يتبع ذلك من الملامسة والنظر وغير ذلك وكما في قصة لوط {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ} {الأعراف 80} {أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} {النمل 54} وقوله {وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً} {الإسراء 32} فالفاحشة أيضا تتناول كشف العورة وإن لم يكن في ذلك مباشرة كما قال تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا} {الأعراف 28} وهذه الفاحشة هي طوافهم بالبيت عراة وكانوا يقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها إلا الحمس فإنهم كانوا يطوفون في ثيابهم وغيرهم إن حصل له ثياب من الحمس طاف فيها وإلا طاف عريانا وإن طاف بثيابه حرمت عليه فألقاها فكانت تسمى لقاء وكذلك المرأة إذا لم يحصل لها ثياب جعلت يدها على فرجها ويدها الأخرى على دبرها وطافت تقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدأ منه فلا أحله وقد سمي الله ذلك فاحشة وقوله في سياق ذلك {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} {الأعراف 33} يتناول كشف العورة أيضا وإبداءها ويؤكد ذلك أن إبداء فعل النكاح باللفظ الصريح يسمى فحشاء وتفحشا فكشف الأعضاء والفعل للبصر ككشف ذلك للسمع وكل واحد من الكشفيين يسمى وصفا كما قال عليه السلام لا تتعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها ويقال فلان

¹¹⁹ شرح العمدة ج: 4 ص: 261-264

يصف فلانا وثوب يصف البشرة ثم إن كل واحد من إظهار ذلك للسمع والبصر بباح للحاجة بل يستحب إذا لم يحصل المستحب أو الواجب إلا بذلك كقول النبي لما عز أنكتها وكقوله من تعزى الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا والمقصود أن الفاحشة تتناول الفعل القبيح وتتاول إظهار الفعل واعضائه وهذا كما أن ذلك يتناول ما فحش وإن كان بعقد نكاح كقوله تعالى {وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} النساء 22 فأخبر أن هذا النكاح فاحشة وقد قيل أن هذا من الفواحش الباطنة فظهر أن الفاحشة تتناول العقود الفاحشة كما تتناول المباشرة بالفاحشة فإن قوله {وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ} النساء 22 يتناول العقد والوطء وفي قوله { مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } الأعراف 33 عموم لأنواع كثيرة من الأقوال والأفعال وأمر تعالى بحفظ الفرج مطلقاً بقوله { وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } النور 30 وبقوله { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } {5} {إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} {6} المؤمنون 5-6 الآيات وقال { وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ } الأحزاب 35 حفظ الفرج مثل قوله { وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ } التوبة 112 وحفظها هو صرفها عما لا يحل¹²⁰

7- كثير من المنتسبين إلى القبلة يستحلون من

الفواحش وكثير منهم يجعل ذلك ديناً

*قال تعالى {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} يوسف 24 فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء والفحشاء ومن السوء عشقها ومحبتها ومن الفحشاء الزنا وقد يزني بفرجه من لا يكون عاشقاً وقد يعشق من لا يزني بفرجه والزنا بالفرج أعظم من

¹²⁰ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 381-385

الإمام بصغيرة كنظرة وقبلة وأما الإصرار علي العشق ولوازمه من النظر ونحوه فقد يكون أعظم من الزنا الواحد بشيء كثير والمخلصون يصرف الله عنهم السوء والفحشاء ويوسف عليه السلام كان من المخلصين حيث كان يعبد الله لا يشرك به شيئاً وحيث توكل علي الله واستعان به كما قال تعالي { وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ } {33} فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {34} يوسف 33-34 وهذا تحقيق قوله تعالي { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } {98} إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100} النحل 98-100 المتولون للشيطان هم الذين يحبون ما يحبه فأخبر سبحانه أن المتوكلين علي الله ليس للشيطان عليهم سلطان وإنما سلطانه علي المتولين له والمتولي من الولاية وأصله المحبة والموافقة كما أن العداوة أصلها البغض والمخالفة فالمتولون له هم الذين يحبونه ما يحبه الشيطان ويوافقه فهم مشركون به حيث أطاعوه وعبدوه بامتنال أمره كما قال تعالي { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } {61} يس 60-61 والشياطين شياطين الإنس والجن والعبادة فيها الرغبة والرغبة قال تعالي { قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ } {75} قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ } {76} قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ } {77} وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ } {78} قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } {79} قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ } {80} إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ } {81} قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {83} قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ } {84} لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } {85} ص 75-85 فأقسم الشيطان { لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {83} ص 82-83 وقد أخبر الله أنه ليس له سلطان علي هؤلاء فقال في الحجر { قَالَ

فَأَخْرُجُ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ
 الدِّينِ {35} الحجر 34-35 إلى قوله { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَرِيَنَّ
 لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
 الْمُخْلِصِينَ {40} الحجر 39-40 قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
 عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 وقوله {
 إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 استثناء منقطع في أقوى
 القولين إذ العباد هم العابدون لا المعبودون كما قال تعالى
 وقال تعالى { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } الإنسان 6
 وقال تعالى { الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } {67}
 يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } {68} الَّذِينَ آمَنُوا
 بآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ } {69} الزخرف 67-69 وقال تعالى { وَآنَهُ لَمَّا
 قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ } الجن 19 وقال تعالى { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى
 بِعَبْدِهِ لَيْلًا } الإسراء 1 وقال تعالى { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ } ص 45 عباد الله
 المخلصون ليس للشيطان عليهم سلطان وإذا كان عباد الله
 المخلصون ليس له عليهم سلطان وأن سلطانه علي الذين يتولونه
 والذين هم به مشركون وقد أقسم أن يغويهم إلا عباد الله المخلصين
 وأخبر الله أن سلطانه ليس علي عباد الله بل علي من اتبعه من
 الغاوين والغي اتباع الأهواء والشهوات وأصل ذلك أن الحب
 لغير الله كحب الأنداد وذلك هو الشرك قال الله تعالى فيه { إِنَّمَا
 سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } النحل 100
 فبين أن صاحب الإخلاص ما دام صادقاً في إخلاصه فإنه يعتصم
 من هذا الغي وهذا الشرك وإن الغي هو يضعف الإخلاص ويقوي
 هواه الشرك فأصحاب العشاق يتولون الشيطان ويشركون به
 العشق الذي يحبه الشيطان فيهم من تولى الشيطان والإشراك به
 بقدر ذلك لما فاتهم من إخلاص المحبة لله والإشراك بينه وبين
 غيره في المحبة حتى يكون فيه نصيب من اتخاذ الأنداد وحتى
 يصيروا عبيداً لذلك المعشوق فيفنون فيه ويصرحون بأنا عبيد له
 فيوجد في هذا الحب والهوي واقتراف ما يبغضه الله وما حرمه من

الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن
 يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون
 فيوجد فيه من الشرك الأكبر والأصغر ومن قتل النفوس بغير حق
 ومن الزنا ومن الكذب ومن أكل المال بالباطل إلي غير ذلك ما
 يننظم هذه الأصناف التي يكرمها الله تعالى لأن أصله أن يكون حبه
 كحب الله وهو من ترك إخلاص المحبة ومن الإشراف بينه وبين
 غيره أو من جعل المحبة لغير الله فإذا عمل موجب ذلك كان ذلك
 هو اتباع الهوي بغير هدي من الله وفي الأثر ما تحت أديم
 السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوي متبع قال تعالى { أَرَأَيْتَ
 مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا } {43} أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
 أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ
 سَبِيلًا } {44} الفرقان 43-44 ولهذا لا يبطل بهذا العشق إلا من فيه
 نوع شرك في الدين وضعف إخلاص لله وسبب هذا ما ذكره
 بعضهم فقال إنه ليس شيء من المحبوبات يستوعب محبة القلب إلا
 محبة الله أو محبة بشر مثلك أما محبة الله فهي التي خلق لها العباد
 وهي سعادتهم وقد تكلمنا عليها في غير هذا الموضوع وأما
 البشر المتماثل من ذكر أو أنثى فإن فيه من المشاكلة والمناسبة ما
 يوجب أن يكون لكل شيء من الحب نصيب من المحبوب يستوعبه
 حبه ولهذا لا يعرف لشيء من المحبوبات التي تحب لغير الله من
 الاستيعاب ما يعرف لذلك حتى يزيل العقل ويفقد الإدراك ويوجب
 انقطاع الإرادة لغير ذلك المحبوب ويوجب مرض الموت وإنما
 يعرض هذا كله لضعف ما في القلب من حب الله وإخلاص الدين
 له عبادة واستعانة فيكون فيه من الشرك ما يسلب الشيطان عليه
 حتى يغويه هذا بهذا الغي الذي فيه من تولي الشيطان والإشراف به
 ما يتسلط به الشيطان ولهذا قد يطبع هذا المحب لغير الله
 محبوبة أكثر مما يطبع الله حتى يطلب القتل في سبيله كما يختار
 المؤمن القتل في سبيل الله وإذا كان محبوبة مطيعه من وجه وعبدا
 له فهو أولي بأن يكون هو مطيعه وعبدا له من وجه آخر وإذا
 كان النبي قال شارب الخمر كعابد وثن ومر علي رضي الله عنه

يقوم يلعبون بالشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون
 وأظنه قلب الرقعة وذلك أن الله جمع بين الخمر والميسر وبين
 الأنصاب والأزلام في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ
 وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } {90} إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ
 وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } {91} المائدة 90- 91 مع أن الخمر إذا سكر بها
 الشارب كان سكره يوماً أو قريبا من يوم أو بعض يوم وأما سكر
 الشهوة والمحبة الفاسدة من العشق ونحوه فسكره قوي دائم قال
 تعالى في قوم لوط { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } الحجر 72
 فكيف إذا خرج عن حد السكر إلي حد الجنون بل كان الجنون
 المطبق لا الحمق كما أنشد محمد بن جعفر في كتاب اعتلال
 القلوب قال أنشدني الصيدلاني قالت جننت علي رأسي فقلت لها
 العشق أعظم مما بالمجانين العشق ليس يفيق الدهر صاحبه
 وإنما يصرع المجنون في الحين وقال الآخر سكران سكر
 هوي وسكر مدامة ومتي إفاقة من به سكران فصاحبه
 أحق بأن يشبه بعباد الوثن والعاكفين علي التماثيل يعملونها علي
 صورة آدمي وقد قال سبحانه وتعالى { وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ
 امْرَأَةٌ الْعَرِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا } يوسف 30 أي
 شغفها حبه أي وصل حبه إلي شغاف القلب وهي جلدة في داخله
 فهذا يكون قد اتخذ ندا يحبه كحب الله يوقع الشيطان العداوة
 والبغضاء بين المؤمنين بالعشق وإذا كان الشيطان يريد أن
 يوقع بين المؤمنين العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدهم
 عن ذكر الله وعن الصلاة فالعداوة والبغضاء التي يريد أن يوقعها
 بالعشق وصدته عن ذكر الله وعن الصلاة بذلك أضعاف غيره كما
 قد تكلمنا عليه في غير هذا الموضع وبيننا أن جميع المعاصي
 يجتمع فيها هذان الوصفان وأن ذكر ذلك في الخمر والميسر اللذين
 هما من أواخر المحرمات ينبه علي ما في غيرهما من ذلك مما
 حرم قبلهما كقتل النفوس بغير حق والفواحش ونحو ذلك ومما

يبين هذا أن الفواحش التي أصلها المحبة لغير الله سواء كان المطلوب المشاهدة أو المباشرة أو الإنزال أو غير ذلك هي في المشركين أكثر منها في المخلصين ويوجد فيهم ما لا يوجد في المخلصين لله قال الله تعالى {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } 27 { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ } 28 { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } 29 { فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ } 30 { الأعراف 27-30 } فأخبر سبحانه أنه

جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون وهو قوله تعالى { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } {الكهف 50} وقال تعالى { إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {النحل 100} وإذا كان سلطانه علي أوليائه الذين تولوه والذين هم به مشركون وهم الذين لا يؤمنون بالله وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } {الحجر 42} فيكون هؤلاء هم الغاوين وهم الذين قال الشيطان { لأَعُوْبِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ } {83} { ص 82-83 } ولهذا أخبر سبحانه عن أوليائه أنهم { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ } { الأعراف 28 } فأخبر عن أولياء الشيطان وهم الذين يتولونه والذين هم به مشركون أنهم إذا فعلوا فاحشة احتجوا بالتقليد لأسلافهم وزعموا مع ذلك أن الله أمرهم بها فيتبعون الظن في قولهم إن الله أمرهم بها وما تهوي الأنفس في تقليد أسلافهم وأتباعهم وهذا الوصف فيه بسط كثير لكثير من المنتسبين إلي القبلية من الصوفية والعباد والأمراء والأجناد والمتكلمة والمتفلسفة والعامية وغيرهم يستحلون من الفواحش ما

حرمة الله ورسوله وأصله العشق الذي يبغضه الله وكثير منهم يجعل ذلك ديناً ويرى أنه يتقرب بذلك إلى الله إما لزعمه أنه يزكي النفس ويهدها وإما لزعمه أنه يجمع بذلك قلبه على آدمي ثم ينتقل إلى عبادة الله وحده وإما لزعمه أن الصور الجميلة مظاهر الحق ومشاهده وربما اعتقد حلول الرب فيها واتحاده بها ومنهم من يخص ذلك بها ومنهم من يقول بإطلاق وهؤلاء إذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها وكل هؤلاء فيهم من الإشراف بقدر ذلك ولهذا يظهر الافتتان بالصور وعشقها فيمن فيهم شرك كالنصارى والرهبان والمنتسبين بهم من هذه الأمة من كثير من المتفلسفة والمتصوفة الذين يفتنون بالأحداث وغيرهم فتجد فيهم قسطاً عظيماً من اتخاذ الأنداد من دون الله يحبونهم كحب الله إما تديناً وإما شهوة وإما جمعاً بين الأمرين ولهذا تجد بين أغنيائهم وفقرائهم وبين ملوكهم وأمرائهم تحالفاً على اتخاذ أنداد من دون الله من هذين الوجهين ولهذا تجدهم كثيراً ما يجتمعون على سماع الشعر والأصوات التي تهيج الحب المشترك الذي يجتمع فيه محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصليبان ومحب الأخوان ومحب الأوطان ومحب المردان ومحب النسوان وهذا السماع هو سماع المشركين كما قال تعالى { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً } الأنفال 35 وسبب ما ذكرنا أن الله خلق عباده لعبادته التي تجمع محبته وتعظيمه فإذا كان في القلب ما يجد حلاوته من الإيمان والتوحيد له احتاج إلى أن يستبدل بذلك ما يهواه فيتخذ إلهه هواه فيتخذ الشيطان وذريته أولياء من دون الله وهم لهم عدو بنس للظالمين بدلاً ولهذا كان هذا ونحوه من تبديل الدين وتغيير فطرة الله التي فطر الناس عليها قال تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيْمُ } الروم 30 وقال تعالى { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً } 116 { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِناناً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً } 117 { لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً } 118 { ولأضلنهم ولأمنينهم ولأمرتهم فليبتكن

آدَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيُعَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ {119} النساء 116-119
 قال تعالى {لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ} الروم 30 ونفس ما خلقه الله لا
 تبديل له لا يمكن أن توجد المخلوقات علي غير ما يخلقها الله عليها
 ولا أن تخلق علي غير الفطرة التي خلقها الله عليها لكن بعض
 الخلق قد يغير بعضها كما قال النبي كل مولود يولد علي الفطرة
 فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء
 هل تحسون فيها من جدعاء¹²¹

*و أما المبتدعون في الزهد و العبادة السالكون طريق الرهبان
 فانهم قد يزهدون في النكاح وفضول الطعام و المال ونحو ذلك و
 هذا محمود لكن عامة هؤلاء لا بد أن يقعوا في ذنوب من هذا
 الجنس كما نجد كثيرا منهم يبئلى بصحبة الأحداث و ارفاق النساء
 فيبتلون بالميل

الى الصور المحرمة من النساء و الصبيان ما لا يبئلى به أهل السنة
 المتبعون للشريعة المحمدية و حكاياتهم في هذا أكثر من أن
 يحكى بسطها في كتاب و عندهم من الفواحش الباطنة و الظاهرة
 ما لا يوجد عند غيرهم و خيار من فيهم يميل الى الأحداث و الغناء
 و السماع لما يجدون في ذلك من راحة النفوس و لو اتبعوا السنة
 لاستراحوا من ذلك قال أبو سعيد الخراز لما قال له الشيطان
 في المنام لي فيكم لطيفتان السماع و صحبة الأحداث قال أبو سعيد
 قل من ينجو منها من أصحابنا حتى لقوة محبة نفوسهم صار ذلك
 ممترجا بطريقهم الى الله فان أحدهم يجد في نفسه عند مشاهدة
 الشاهد من الرغبة فيما اعتاده من العبادة و الزهادة ما لا يجدها
 بدون ذلك و عنده في نفسه عند سماع القصائد من الشوق و الرغبة
 و النشاط ما لا يجده عند سماع القرآن فصاروا في شبهة و شهوة لم
 يكتف الشيطان منهم بوقوعهم في الأمور المحرمة التي تفتنهم حتى
 جعلهم يعتبرون ذلك عبادة كالذين قال الله فيهم {وإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً

¹²¹قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 77-86

قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا {الأعراف 28 الآية
وهؤلاء هم الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات 122

8-الرد على قول القائل ان النظر إلى وجه الأمر

عبادة

* وقول القائل إن النظر إلى وجه الأمر عبادة كقوله إن النظر إلى وجوه النساء أو النظر إلى وجوه محارم الرجل كبنت الرجل وأمه وأخته عبادة ومعلوم أن من جعل هذا النظر المحرم عبادة كان بمنزلة من جعل الفواحش عبادة قال تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {الأعراف 28 جعل مثل هذا النظر عبادة فإنه كافر مرتد يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو بمنزلة من جعل إعانة طالب الفواحش عبادة أو جعل تناول يسير الخمر عبادة أو جعل السكر بالحشيشة عبادة فمن جعل المعاونة على الفاحشة بقيادة أو غيرها عبادة أو جعل شيئاً من المحرمات التي يعلم تحريمها من دين الإسلام عبادة فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل وهو مضاه للمشركين {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {الأعراف 28 وفاحشة أولئك إنما كانت طوافهم بالبيت عراة وكانوا يقولون لا تطوف في الثياب التي عصينا الله فيها فهؤلاء إنما كانوا يطوفون عراة على وجه اجتناب ثياب المعصية وقد ذكر عنهم ما ذكر فكيف بمن يجعل جنس الفاحشة المتعلقة بالشهوة عبادة والله سبحانه قد أمر في كتابه بغض البصر وهو نوعان غض البصر عن العورة وغضها عن محل الشهوة فالأول كغض الرجل بصره عن عورة غيره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ويجب على الإنسان

أن يستر عورته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية بن
 حيدة احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك قلت
 فإذا كان أحدنا مع قومه قال إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا
 يرينها قلت فإذا كان أحدنا خاليا قال ف الله أحق أن
 يستحيي منه الناس ويجوز أن يكشف بقدر الحاجة كما يكشف
 عند التخلي وكذلك إذا اغتسل الرجل وحده بجنب ما يستر فله أن
 يغتسل عريانا كما اغتسل موسى عريانا وأيوب وكما في اغتساله
 صلى الله عليه وسلم يوم الفتح واغتساله في حديث ميمونة وأما
 النوع الثاني من النظر الجواب كالنظر إلى الزينة الباطنة من
 المرأة الأجنبية فهذا أشد من الأول كما أن الخمر أشد من الميتة
 والدم ولحم الخنزير وعلى صاحبها الحد وتلك المحرمات إذا
 تناولها غير مستحل لها كان عليه التعزير لأن هذه المحرمات لا
 تشتهيها النفوس كما تشتهي الخمر وكذلك النظر إلى عورة الرجل
 لا يشتهي كما يشتهي النظر إلى النساء ونحوهن وكذلك النظر إلى
 الأمرد بشهوة هو من هذا الباب وقد اتفق العلماء على تحريم ذلك
 كما اتفقوا على تحريم النظر إلى الأجنبية وذوات المحارم لشهوة
 والخالق سبحانه يسبح عند رؤية مخلوقاته كلها وليس خلق الأمرد
 بأعجب في قدرته من خلق ذي اللحية ولا خلق النساء بأعجب في
 قدرته من خلق الرجال بل تخصيص الإنسان التسبيح بحال نظره
 إلى الأمرد دون غيره كتخصيصه التسبيح بنظره إلى المرأة دون
 الرجل وما ذاك إلا أنه دل على عظمة الخالق عنده ولكن لأن
 الجمال يغير قلبه وعقله وقد يذهله ما رآه فيكون تسبيحه بما
 يحصل في نفسه من الهوى كما أن النسوة لما رأين يوسف
 { أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ اللَّهُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا
 مَلَكٌ كَرِيمٌ } يوسف 31 وقد ثبت في الصحيح عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله لا ينظر إلى صوركم
 وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وإذا كان الله لا ينظر
 إلى الصور والأموال وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال فكيف
 يفضل الشخص بما لم يفضله الله به وقد قال تعالى { وَلَا تَمُدَّنَّ

عَيْنِيكَ إِلَى مَا مَتَّعَنَا بِهِ زَوْجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ
وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى {طه 131} وقال في المنافقين {وَإِذَا
رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمْ خُشِبٌ
مُّسَدَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى
يُؤْفَكُونَ {المنافقون 4} فإذا كان هؤلاء المنافقون الذين تعجب
الناظر أجسامهم لما فيهم من البهائم والرواء والزينة الظاهرة
وليسوا ممن ينظر إليه لشهوة قد ذكر الله عنهم ما ذكر فكيف بمن
ينظر إليه لشهوة وذلك أن الإنسان قد ينظر إليه لما فيه من الإيمان
والتقوى وهنا الاعتبار بقلبه وعمله لا بصورته وقد ينظر إليه لما
فيه من الصورة الدالة على المصور فهذا حسن وقد ينظر من جهة
استحسان خلقه كما ينظر إلى الجبل والبهائم وكما ينظر إلى
الأشجار فهذا أيضا إذا كان على وجه استحسان الدنيا والرياسة
والمال فهو مذموم لقوله تعالى {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ
زَوْجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى
{طه 131} وأما إن كان على وجه لا ينفص الدين وإنما فيه راحة
النفس فقط كالنظر إلى الأزهار فهذا من الباطل الذي يستعان به
على الحق وكل قسم من هذه الأقسام متى كان معه شهوة كان
حراما بلا ريب سواء كانت شهوة تمتع بنظر الشهوة أو كان نظرا
بشهوة الوطء وفرق بين ما يجده الإنسان عند نظره الأشجار
والأزهار وما يجده عند نظره النسوان والمرد فلهذا الفرقان افترق
الحكم الشرعي فصار النظر إلى المرد ثلاثة أقسام أحدها ما يقرب
به الشهوة فهو حرام بالاتفاق والثاني ما يجزم أنه لا شهوة معه
كنظر الرجل الورع إلى ابنه الحسن وابنته الحسنة وأمه فهذا لا
يقرب به شهوة إلا أن يكون الرجل من أفقر الناس ومتى اقترنت
به الشهوة حرم وعلى هذا من لا يميل قلبه إلى المرد كما كان
الصحابية وكالأمم الذين لا يعرفون هذه الفاحشة فإن الواحد من
هؤلاء لا يفرق بين هذا الوجه وبين نظره إلى ابنه وابن جاره
وصبي أجنبي ولا يخطر بقلبه شيء من الشهوة لأنه لم يعتقد ذلك
وهو سليم القلب من مثل ذلك وقد كانت الإمام على عهد الصحابة

يمشيين في الطرقات وهن متكشفات الرؤوس وتخدم الرجال مع سلامة القلوب فلو أراد الرجال أن يترك الإماء التركيات الحسان يمشين بين الناس في مثل هذه البلاد والأوقات كما كان أولئك الإماء يمشين كان هذا من باب الفساد وكذلك المرد الحسان لا يصلح أن يخرجوا في الأمكنة والأزمنة التي يخاف فيها الفتنة بهم إلا بقدر الحاجة فلا يمكن الأمرد الحسن من التبرج ولا من الجلوس في الحمام بين الأجانب ولا من رقصه بين الرجال ونحو ذلك مما فيه فتنة للناس والنظر إليه كذلك وإنما وقع النزاع بين العلماء في القسم الثالث من النظر وهو النظر إليه لغير شهوة لكن مع خوف ثورانها فيه وجهان في مذهب أحمد أصحهما وهو المحكي عن نص الشافعي إنه لا يجوز والثاني يجوز لأن الأصل عدم ثورانها فلا يحرم بالشك بل قد يكره والأول هو الراجح كما أن الراجح في مذهب الشافعي وأحمد إن النظر إلى وجه الأجنبية من غير حاجة لا يجوز وإن كانت الشهوة منتفية لكن لأنه يخاف ثورانها ولهذا حرمت الخلوة بالأجنبية لأنها مظنة الفتنة والأصل أن كل ما كان سببا للفتنة فإنه لا يجوز فإن الذريعة إلى الفساد يجب سدها إذا لم يعارضها مصلحة راجحة ولهذا كان النظر الذي يفضي إلى الفتنة محرما إلا إذا كان لمصلحة راجحة مثل نظر الخاطب والطبيب وغيرهما فإنه يباح النظر للحاجة لكن مع عدم الشهوة وأما النظر لغير حاجة إلى محل الفتنة فلا يجوز ومن كرر النظر إلى الأمرد ونحوه أو أدامه وقال إنني لا أنظر لشهوة كذب في ذلك فإنه إذا لم يكن معه داع يحتاج معه إلى النظر لم يكن النظر إلا لما يحصل في القلب من اللذة بذلك وأما نظرة الفجأة فهي عفو إذا صرف بصره كما ثبت في الصحيح عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال صرف بصرك وفي السنن إنه قال لعلي عليه السلام يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية وفي الحديث الذي في المسند وغيره النظرة سهم مسموم من سهام إبليس وفيه من نظر إلى محاسن امرأة ثم غض

بصره عنها أورت الله قلبه حلاوة عابدة يجدها إلى يوم القيامة أو كما قال ولهذا يقال إن غض البصر عن الصورة التي نهى عن النظر إليها كالمرأة والأمرد الحسن يورث ذلك ثلاث فوائد جليلة القد الجواب إحداها حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب مما تركه الله فإن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه والنفس تحب النظر إلى هذه الصور لا سيما نفوس أهل الرياضة والصفاء فإنه يبقى فيها رقة تجتذب بسببها إلى الصور حتى تبقى تجذب أحدهم وتصصره كما يصصره السبع ولهذا قال بعض التابعين ما أنا على الشاب التائب من سبع يجلس إليه بأخوف عليه من حدث جميل يجلس إليه وقال بعضهم اتقوا النظر إلى أولاد الملوك فإن لهم فتنة كفتنة العذارى وما زال أئمة العلم والدين كشيوخ الهدى وشيوخ الطريق يوصون بترك صحبة الأحداث حتى يروى عن فتح الموصلية أنه قال صحبت ثلاثين من الأبدال كلهم يوصيني عند فراقه بترك صحبة الأحداث وقال بعضهم ما سقط عبد من عين الله إلا بصحبة هؤلاء الأتنان ثم النظر يؤكد المحبة فيكون علاقة لتعلق القلب بالمحبيب ثم صباية لانصباب القلب إليه ثم غراما للزومه للقلب كالغريم الملازم لغريمه ثم عشقا إلى أن يصير تنيما والمتميم المعبد وتيم الله عبدالله فيبقى القلب عبدا لمن لا يصلح أن يكون أخا بل ولا خادما وهذا إنما يبتلى به أهل الإعراض عن الإخلاص لله كما قال تعالى في حق يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 فامرأة العزيز كانت مشرقة فوقعت مع تزوجها فيما وقعت فيه من السوء ويوسف عليه السلام مع عزوبته ومرادتها له واستعانتها عليه بالنسوة وعقوبتها له بالحبس على العفة عصمه الله بإخلاصه لله تحقيقا لقوله { وَلَا غُورِيَّتُهُمْ } أجمعين {39} { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {40} الحجر 39- 40 قال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 والغى هو اتباع الهوى وهذا الباب من أعظم أبواب اتباع الهوى ومن أمر بعشق الصور من المتفلسفة

كابن سينا وذويه أو من الفرس كما يذكر عن بعضهم أو من جهال المتصوفة فإنهم أهل ضلال وغي فهم مع مشاركة اليهود في الغي والنصارى في الضلال زادوا على الأمتين في ذلك فإن هذا وإن ظن أن فيه منفعة للعاشق كتطبيق نفسه وتهذيب أخلاقه وللمعشوق من الشفاء في مصالحه وتعليمه وتأديبه وغير ذلك فمضرة ذلك أضعاف منفعته وأين إثم ذلك من منفعته وإنما هذا كما يقال إن في الزنا منفعة لكل منهما بما يحصل له من التلذذ والسرور ويحصل لها من الجعل وغير ذلك وكما يقال إن في شرب الخمر منافع بدنية ونفسية وقد قال في الخمر والميسر { قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا } البقرة 219 وهذا قبل التحريم دع ما قاله عند التحريم وبعده وباب التعلق بالصور هو من جنس الفواحش وباطنه من باطن الفواحش وهو من باطن الإثم قال تعالى { وَذُرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ } الأنعام 120 وقال تعالى { إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } الأعراف 33 وقد قال { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 وليس بين أئمة الدين نزاع في أن هذا ليس بمستحب كما أنه ليس بواجب فمن جعله ممدوحا وأثنى عليه فقد خرج من إجماع المسلمين بل اليهود والنصارى بل وعماد عليه عقل بني آدم من جميع الأمم وهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } القصص 50 وقد قال تعالى { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ } {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } {41} النازعات 40-41 وقال تعالى { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } ص 26 وأما من نظر إلى الأمر دظانا أنه ينظر إلى الجمال الإلهي وجعل هذا طريقا له إلى الله كما يفعله طوائف من المدعين للمعرفة فقوله هذا أعظم كفرا من قول عباد الأصنام ومن كفر قوم لوط فهؤلاء من شر الزنادقة

المرتدين الذين يجب قتلهم بإجماع كل الأمة فإن عباد الأصنام قالوا
{ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر 3 وهؤلاء يجعلون
الله موجودا في نفس الأصنام وحالا فيها فإنهم لا يريدون بظهوره
وتجليه في المخلوقات أنها داله عليه وآيات لهم بل يريدون أنه
سبحانه هو ظهر فيها وتجلي فيها ويشبهون ذلك بظهور الماء في
الزجاجة والزبد في اللبن والزيت في الزيتون والدهن في السمسم
ونحو ذلك مما يقتضي حلول نفس ذاته في مخلوقاته أو اتحاده بها
في جميع المخلوقات نظير ما قالته النصارى في المسيح خاصة
يجعلون المرد مظاهر الجمال فيقرون هذا الشرك الأعظم طريقا
إلى استحلال الفواحش بل إلى استحلال كل محرم كما قيل لأفضل
متأخريهم التلمساني إذا كان قولكم بأن الوجود واحد هو الحق فما
الفرق بين أمي وأختي وابنتي تكون هذه حلالا وهذه حراما فقال
الجميع عندنا سواء لكن هؤلاء المحجوبون قالوا حرام فقلنا حرام
عليكم ومن هؤلاء الحلولية والاتحادية من يخص الحلول والاتحاد
ببعض الأشخاص إما ببعض الأنبياء كالمسيح أو ببعض الصحابة
كقول الغالية في علي أو ببعض { وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا
قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ }
{ الأعراف 28 } ومعلوم أنه قد يكون في صور النساء الأجنبية
وذوات المحارم من الاعتبار والدلالة على الخالق من جنس ما في
صورة المرد فهل يقول مسلم إن للإنسان أن ينظر بهذا الوجه إلى
صور نساء العالم وصور محارمه ويقول إن ذلك عبادة بل من
الشيوخ كالحلاجية ونحوهم أو ببعض الملوك أو ببعض الصور
كصور المرد ويقول أحدهم أنا أنظر إلى صفات خالقي وأشهدها
في هذه الصورة والكفر في هذا القول أبين من أن يخفى على من
يؤمن ب الله ورسوله ولو قال مثل هذا الكلام في نبي كريم لكان
كافرا فكيف إذا قاله في صبي أمرد ففبح الله طائفة يكون معبودها
من جنس موطنها وقد قال تعالى { وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا
الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } آل
عمران 80 فإذا كان من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا مع

اعترفهم بأنهم مخلوقون لله كفارا فكيف بمن اتخذ بعض
المخلوقات أربابا مع قوله إن الله فيها أو متحد بها فوجودها وجوده
ونحو ذلك من المقالات وأما الفائدة الثانية في غض البصر فهو
أنه يورث نور القلب والفراسة قال تعالى عن قوم لوط {لَعَمْرُكَ
إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} الحجر 72 فالتعلق في الصور يوجب
فساد العقل وعمى البصيرة وسكر القلب بل جنونه كما قيل سكران
سكر هوى وسكر مدامة فمتى إفاقة من به سكران وقيل قالوا
جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين العشق لا
يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في الحين وذكر
سبحانه آية النور عقيب آيات غض البصر فقال {اللَّهُ نُورُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} النور 35 وكان شاه بن شجاع الكرمانى لا
تخطئ له فراسة وكان يقول من عمر ظاهره باتباع السنة وباطنه
بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات
وذكر خصلة خامسة إنما هو أكل الحلال لم تخطيء له فراسة و
الله تعالى يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله فغض
بصره عما حرم يعوضه الله عليه من جنسه بما هو خير منه
فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف
ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب والفائدة الثالثة قوة القلب وثباته
وشجاعته فيجعل الله سلطان النصره مع سلطان الحجة وفي الأثر
الذي يخالف هواه يفرق الشيطان من ظله ولهذا يوجد في المتبع
لهواه من الذل ذل النفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه
فإن الله جعل العزة لمن أطاعه والذلة لمن عصاه قال تعالى
{يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} المنافقون 8 وقال تعالى {وَلَا تَهِنُوا
وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران 139
ولهذا كان في كلام الشيوخ الناس يطلبون العز من أبواب الملوك
ولا يجدونه إلا في طاعة الله وكان الحسن البصري يقول وإن
هملجت بهم البراذين وطققت بهم البغال فإن ذل المعصية في
رقابهم يأبى الله إلا أن يذل من عصاه ومن أطاع الله فقد والاه فيما

أطاعه فيه ومن عصاه ففيه قسط من فعل من عاداه بمعاصيه وفي دعاء القنوت إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت والصوفية المشهورون عند الأئمة الذين لهم لسان صدق في الأمة لم يكونوا يستحبون مثل هذا بل ينهاون عنه ولهم في الكلام في ذم صحبة الأحداث وفي الرد على أهل الحلول وبيان مبيانة الخالق للمخلوق ما لا يتسع هذا الموضوع لذكره وإنما استحسنته من تشبه بهم ممن هو عاص أو فاسق أو كافر فتظاهر بدعوى الولاية لله وتحقيق الإيمان والعرفان وهو من شر أهل العداوة لله وأهل النفاق والبهتان والله تعالى يجمع لأوليائه المتقين خير الدنيا والآخرة ويجعل لأعدائه الصفة الخاسرة والله أعلم¹²³

*وأما صحبة المردان وعلى وجه الاختصاص بأحدهم كما يفعلونه (بعض الفرق الضالة) مع ما ينضم إلى ذلك من الخلوة بالأمرد الحسن ومبيته مع الرجل ونحو ذلك فهذا من افحش المنكرات عند المسلمين وعند اليهود والنصارى وغيرهم فإنه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ودين سائر الأمم بعد قوم لوط تحريم الفاحشة اللوطية ولهذا بين الله في كتابه انه لم يفعلها قبل قوم لوط احد من العالمين وقد عذب الله المستحلين لهما بعذاب ما عذبه أحدا من الأمم حيث طمس ابصارهم وقلب مدائنهم فجعل عاليها سافلها واتبعهم بالحجارة من السماء ولهذا جاءت الشريعة بان الفاحشة التي فيها القتل يقتل صاحبها بالرجم بالحجارة كما رجم النبي صلى الله عليه وسلم اليهوديين وما عز بن مالك والاسلمى والغامدية وغيرهم ورجم بعده خلفاؤه الراشدون والرجم شرعه الله لأهل التوراة والقرآن وفي السنن عن النبي من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ولهذا اتفق الصحابة على قتلها جميعا لكن تنوعوا في صفة القتل فبعضهم قال يرمى من أعلى جدار فى القرية

¹²³ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 58-66 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 413-416

ويتبع بالحجارة وبعضهم قال يحرق بالنار ولهذا كان مذهب جمهور السلف والفقهاء انهما يرجمان بكرين كانا أو ثيبين حرين كانا أو مملوكين أو كان أحدهما مملوكاً للآخر وقد اتفق المسلمون على ان من استحلها بمملوك أو غير مملوك فهو كافر مرتد وكذلك مقدمات الفاحشة عند التلذذ بقبلة الامرء ولمسه والنظر اليه هو حرام باتفاق المسلمين كما هو كذلك فى المرأة الاجنبية كما ثبت فى الصحيح عن النبى انه قال العينان تزنيان وزناهما النظر والاذن تزنى وزناهما السمع واليد تزنى وزناها البطش والرجل تزنى وزناها المشى والقلب يتمنى ويشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه فاذا كان المستحل لما حرم الله كافراً فكيف بمن يجعله قرابة وطريقاً إلى الله تعالى قال الله تعالى { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 وسبب نزول الآية أن غير الحمس من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة فجعل الله كشف عورتهم فاحشة وبيّن أن الله لا يأمر بالفحشاء ولهذا لما حج أبو بكر الصديق قبل حجة الوداع نادى بأمر النبى وكان يحج المسلم والمشرك لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فكيف بمن يستحل اتیان الفاحشة الكبرى أو ما دونها ويجعل ذلك عبادة وطريقاً وان كان طائفة من المتفلسفة ومن وافقهم من ضلال المتتكسة جعلوا عشق الصور الجميلة من جملة الطريق التى تزكى بها النفوس فليس هذا من دين المسلمين ولا اليهود ولا النصرى وإنما هو دين أهل الشرك الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله وان كان اتباع هؤلاء زادوا على ما شرعه ساداتهم وكبراً وهم زيادات من الفواحش التى لا ترضاها القروء فانه قد ثبت فى صحيح البخارى أن أبا عمران رأى فى الجاهلية قرداً زناً بقردة فاجتمعت عليه القروء فرجمته ومثل ذلك قد شاهدته الناس فى زماننا فى غير القروء حتى الطيور فلو كانت صحبة المردان المذكورة خالية عن الفعل المحرم فهى مظنة لذلك وسبب له ولهذا كان المشائخ العارفون بطريق الله

يحذرون من ذلك كما قال فتح الموصلى ادركت ثلاثين من الأبدال كل ينهاني عند مفارقتى إياه عن صحبة الأحداث وقال معروف الكرخى كانوا يبهون عن ذلك وقال بعض التابعين ما أنا على الشاب الناسك من سبع يجلس إليه بأخوف منى عليه من حدث يجلس إليه وقال سفيان الثورى وبشر الحافى ان مع المرأة شيطاناً ومع الحدث شيطانين وقال بعضهم ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه الله بصحبة هؤلاء الأحداث وقد دخل من فتنة الصور والأصوات على النساك ما لا يعلمه إلا الله حتى اعترف اكابر الشيوخ بذلك وتاب منهم من تداركه الله برحمته ومعلوم أن هذا من باب اتباع الهوى بغير هدى من الله { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } القصص 50 ومن استحل ذلك أو اتخذه ديناً كان ضالاً مضاهياً للمشركين والنصارى ومن فعله مع اعترافه بأنه ذنب أو معصية كان عاصياً أو فاسقاً وكذلك مؤاخاة المرأة الأجنبية بحيث يخلو بها وينظر منها ما ليس للاجنبى ان ينظره حرام باتفاق المسلمين واتخاذ ذلك ديناً وطريقاً كفر وضلال والمال الذى يؤخذ لأجل إقرارهم ومعونة على محادثة الرجل الأمر دى من جنس جعل القوادة ومطالبتهم له بالصحبة من جنس العرس على البغى والله سبحانه أباح النكاح غير مسافحين ولا متخذى اخدان فالمرأة المسافحة تزنى بمن اتفق لها وكذلك الرجل المسافح الذى يزنى مع من اتفق له واما المتخذ الخدن فهو الرجل يكون له صديقة والمرأة يكون لها صديق فالأمرد المخادن للواحد من هؤلاء من جنس المرأة المتخذة خدنا وكذلك الجعل والمال الذى يؤخذ على هذا من جنس مهر البغى وجعل القوادة ونحو ذلك¹²⁴

¹²⁴ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 544-546

9- إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط

الناس

* وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان قال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذاك قال لا إن الله جميل يحب

الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس وقوله جميل يحب الجمال أي يحب أن يتجمل العبد له ويتزين كما قال تعالى { **خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ { الأعراف 31** } وهو يكره أن يصلي العبد له عريانا بل يكره سبحانه أن تصلي المرأة له مكشوفة الرأس وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار ولهذا لما كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ويقولون إن الله أمرنا بهذا قال تعالى { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ { الأعراف 28** } فتحسين النعل والثوب لعبادة الله هو من التجميل الذي يحبه الله ولو تزين به لمعصية لم يحب ذلك والمؤمن الذي نور الله قلبه بالإيمان يظهر نور الإيمان على وجهه ويكسى محبة ومهابة والمنافق

والمنافق بالعكس وأما الصورة المجردة سواء كانت حسنة مشتهة كشهوة الرجال للنساء والنساء للرجال أو لم تكن مشتهة فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ويقال ولا إلى لباسكم وقد قال تعالى { **وَإِذَا تَنَلَىٰ عَنْهُمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا {73}** } وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاتًا وَرِئِيًّا {74} } مريم 73- 74 والأثاث اللباس والمال والرئى المنظر والصورة وقال تعالى عن المنافقين { **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ خُشْبٌ مُّسَدَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ**

هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ { المنافقون 4 فبين أن لهم أجساما ومناظر قال ابن عباس كان ابن أبي جسيما فصيحاً طلق اللسان قال المفسرون وصفهم الله بحسن الصورة وإبانة المنطق ثم أبان أنهم في عدم الفهم والإستغفار بمنزلة الخشب المسندة الممالة إلى الجدار والمراد أنها ليست بأشجار تثمر بل هي خشب مسندة إلى حائط ثم عابهم بالجبن فقال { يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ { المنافقون 4 أي

لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أتوا لما في قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارههم فصاحب الصورة الجميلة إذا كان من أهل هذه الأعمال التي يبغضها الله كان الله يبغضه ولا يحبه لجماله فإن الله لا ينظر إلى صورته وإنما ينظر إلى قلبه وعمله ويوسف الصديق وإن كان أجمل من غيره من الأنبياء وفي الصحيح أنه أعطى شطر الحسن فلم يكن بذلك أفضل من غيره بل غيره أفضل منه كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ويوسف وإن كانت صورته أجمل فإن إيمان هؤلاء وأعمالهم كانت أفضل من إيمانه وعمله وهؤلاء أودوا على نفس الإيمان والدعوة إلى الله فكان الذين عادوهم معادين لله ورسوله وكان صبرهم صبراً على توحيد الله وعبادته وطاعته وهكذا سائر قصص الأنبياء التي في القرآن ويوسف عليه السلام إنما آذاه إخوته لتقريب أبيه له حسداً على حظ من حظوظ الأنفس لا على دين ولهذا كان صبره على التي راودته وحبس الذين حبسوه على ذلك أفضل له من صبره على أذى إخوته فإن هذا صبر على تقوى الله باختياره حتى لا يفعل المحرم وذلك صبر على أذى الغير الحاصل بغير اختياره فهذا من جنس صبر المصاب على مصيبته وذلك من جنس صبر المؤمن على الذين يأمرونه بالمعاصي ويدعونه إليها فيصبر على طاعة الله وعن معصيته ويغلب هواه وشهوته وهذا أفضل فأما صبر إبراهيم وموسى وعيسى ونبينا صلوات الله وسلامه عليهم على أذى الكفار وعدواتهم على الإيمان بالله ورسوله فذاك أفضل من هذا كله كما

أن التوحيد والإيمان أفضل من مجرد ترك الزنا وكما أن تلك الطاعات أعظم فالصبر عليها وعلى معاداة أهلها أعظم وأيضا فهؤلاء كانوا يطلبون قتل من يؤمن وإهلاكه بكل طريق لا يحبون المؤمنين أصلا بخلاف يوسف فإنه إنما ابتلى بالحبس وكانت المرأة تحبه فلم تعاقبه بأكثر من ذلك وقوله تعالى نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ {يوسف3 سواء كان القصص مصدر قص يقص قصصا أو كان مفعولا أي أحسن المقصوص فذاك لا يختص بقصة يوسف بل قصة موسى أعظم منها قدرا وأحسن ولهذا كرر ذكرها في القرآن وبسطها قال تعالى { فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ { القصص25 ولهذا قال { بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ {يوسف3 وقد قرىء { أَحْسَنَ الْقَصَصِ {يوسف3 بالكسرة ولا تختص بقصة يوسف بل كل ما قصه الله فهو أحسن القصص فهو أحسن مقصوص وقد قصه الله أحسن قصص وقوله صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال قاله جوابا للسائل في بيان ما يحبه الله من الأفعال وما يكرهه فإنه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ومعلوم أن هذا الكبر من كسب العبد الداخل تحت قدرته ومشيبته وهو منهي عنه ومأمور بضده فخاف السائل أن يكون ما يتجمل به الإنسان فيكون أجمل به ممن لم يعمل مثله من الكبر المذموم فقال إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنا أفمن الكبر ذاك وحسن ثوبه ونعله هو مما حصل بفعله وقصده ليس هو شيئا مخلوقا فيه بغير كسبه كصورته فقال له لنبي صلى الله عليه وسلم إن الله جميل يحب الجمال ففرق بين الكبر الذي يمقته الله وبين الجمال الذي يحبه الله ومعلوم أن الله إذا خلق شخصا أعظم من شخص وأكبر منه في بعض الصفات إما في جسمه وإما في قوته وإما في عقله وذكائه ونحو ذلك لم يكن هذا مبغضا فإن هذا ليس باختيار العبد بل هذا خلق فيه بغير اختياره بخلاف ما إذا كان هو متكبرا على غيره بذلك أو بغيره فيكون هذا من عمله الذي يمقته الله عليه كما قال لإبليس { فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ

تَتَكَبَّرَ فِيهَا { الأعراف 13 } كذلك من خلقه الله حسن اللون معتدل القامة جميل الصورة فهذا ليس من عمله الذي يحمد عليه أو يذم أو يثاب أو يعاقب ويحبه الله ورسوله عليه أو يبغضه عليه كما أنه إذا كان أسود أو قصيرا أو طويلا ونحو ذلك لم يكن هذا من عمله الذي يحمد عليه أو يذم ويثاب أو يعاقب ويحبه الله ورسوله عليه أو يبغضه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا للأسود على أبيض إلا بالتقوى ولهذا لما كان المنافقون لهم جمال في الصورة وليس في قلوبهم إيمان شبههم الله سبحانه بالخشب المسندة اليابسة التي لا تثمر فالخشبية اليابسة إذا كانت لا ثمر فيها لا تمدح ولو كانت عظيمة وهكذا الصورة مع القلب نعم قد تكون الصورة عونا على الإيمان والعمل الصالح كما تكون القوة والمال وغير ذلك فيحمد صاحبها إذا استعان بها في طاعة الله وعف عن معاصيه ويكون حينئذ في الجمال الذي يحبه الله ولو كان أسود وفعل ما يحبه الله من الجمال كان أيضا فيه الجمال الذي يحبه الله والمقصود هنا ذكر ما يحبه الله ويرضاه وهو الذي يثاب أصحابه عليه ويدخلون الجنة ¹²⁵

10-جماع الدين أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما

شرع ولا نعبده بالبدع

*وجماع الأمر في ذلك انه إذا كان الكلام في السماع وغيره هل هو طاعة وقربة فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك وإذا كان الكلام هل هو محرم أو غير محرم فلا بد من دليل شرعي يدل على ذلك إذ ليس الحرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه الله والله سبحانه وتعالى ذم المشركين على انهم ابتدعوا ديننا لم يشرعه الله لهم وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله تعالى فقال تعالى أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى { وَإِذَا

¹²⁵ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 315-321

فَعَلُوا فَاَحْسَنَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللّٰهُ اَمَرَنَا بِهَا قُلْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ اَتَقُولُوْنَ عَلٰى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ {28} قُلْ اَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَاَقِيْمُوا وُجُوْهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوْهُ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُوْدُوْنَ {29} الاعراف 28-29 وكثير من الناس يفعل في السماع وغيره ما هو من جنس الفواحش المحرمة وما يدعو إليها وزعمهم أن ذلك يصلح القلوب فهو مما أمر الله به فهو لاء لهم نصيب من معنى هذه الآية قال تعالى **{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي اَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَاطْيِبَاتٍ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فِي الْحَيٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كَذٰلِكَ نَفِصَلُ الْآيٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ {32} قُلْ اِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْاِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاَنْ تَشْرِكُوْا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطٰنًا وَاَنْ تَقُولُوْا عَلٰى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ {33} الاعراف 32-33** وقد كان المشركون يحرمون من الطعام واللباس أشياء ويتخذون ذلك ديناً وكان بعض الصحابة قد عزموا على الترهيب فأنزل الله تعالى **{يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَحْرِمُوْا طَيِّبَاتٍ مَّا اَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوْا اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِيْنَ {87} وَكُلُوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ حَلٰلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْ اَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُوْنَ {88} المائدة 87-88** وجماع الدين أن لا نعبد إلا الله ولا نعبده إلا بما شرع ولا نعبد بالبدع كما قال تعالى **{ لِيُبْلُوْكُمْ اَيْكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا {الملك} 2** قال الفضيل بن عياض أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً ولم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وهذا الذي ذكره الفضيل مما اتفق عليه أئمة المشائخ كما قال أبو سليمان الداراني إنه لتمر بقلبي النكته من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين اثنين الكتاب والسنة وقال الشيخ أبو سليمان أيضاً ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فإذا سمع بأثر كان نوراً على نور وقال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لم يصح له أن يتكلم في علمنا هذا وقال سهل ابن عبد الله

التستري كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل وقال كل عمل على ابتدع فانه عذاب على النفس وكل عمل بلا اقتداء هو غش النفس وقال أبو عثمان النيسابوري من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله يقول { وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا } النور 54 مثل هذا كثير في كلامهم وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يسلك إلى الله إلا بما شرعه الرسول لأُمَّته فهو الداعي إلى الله بأذنه الهادي إلى صراطه الذي من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار فهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغى آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وصحبه وسلم ¹²⁶

* قسم من الناس يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم إليه ويستعينون به لكن على اهوائهم واذواقهم غير ناظرين الى حقيقة امره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتفكرة والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التي يتصرفون بها في الوجود ولا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما يغلطون فيظنون ان معصيته هي مرضاته فيعودون الى تعطيل الامر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويظنون ان هذه الحقيقة القدرية يجب الاسترسال معها دون مراعاة الحقيقة الأمرية الدينية التي هي تحوى مرضاة الرب ومحبته وامره ونهيه ظاهرا وباطنا وهؤلاء كثيرا ما يسلبون احوالهم وقد يعودون الى نوع من المعاصي والفسوق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لان العقاب للتعقوى ومن لم يقف عند امر الله ونهيه فليس من المتقين فهم يقعون فى بعض ما وقع المشركون فيه تارة بدعة يظنونها شرعة وتارة فى الاحتجاج بالقدر على الامر والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركين فى سورة الانعام والاعراف ذكر ما ابتدعوه من الدين وجعلوه شرعه كما قال تعالى { وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً قَالُوا وَجَدْنَا

عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {الأعراف 28} وقد ذمهم على ان حرموا ما لم يشرعه الله وان شرعوا ما لم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر في قوله تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ {الأنعام 148} ونظيرها في النحل ويس والزخرف وهؤلاء يكون فيهم شبهه من هذا وهذا ¹²⁷

يدخل في هذه الآية كل من تعبد بفاحشة وامر منكر

* اخبر الله سبحانه وتعالى ان الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بهدى الله الذي بعث به رسله ثم اخبر عن اولياء الشيطان الذين لا يؤمنون فقال {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {الأعراف 28} فقولهم والله امرنا بها يقتضي انهم متدينون بها يرونها عبادة وطاعة كما كان مشركو العرب يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا تطوف في الثياب التي عصينا الله فيها إلا الحمس قریش وحلفاؤها فكانوا يطوفون في ثيابهم وكان غيرهم قد يطوف في ثياب احمسي ان حصل له ذلك والا طاف عريانا حتى كانت المرأة تطوف عريانة وربما سترت فرجها بيدها وتقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وكان من طاف في ثيابه من الحمس القاها فسميت لقي وحرمت عليه وكانوا ايضا في الاحرام لا يأكلون من الدهن الذي في الانعام ولهذا لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة وغزا تبوك انزل الله براءة وامره الله بالبراءة الى اهل العهد المطلق من الشرك وبسيرهم في الارض اربعة اشهر فكان اولياء الشيطان اذا فعلوا هذه الفاحشة وهي ابداء السوءات في الطواف يحتجون بشيئين يقولون وجدنا عليها آباءنا وهذا هو الرجوع الى العادة والاتباع والتقليد

¹²⁷ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 36 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 51 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 51

للأسلاف ويقولون والله امرنا بها وهذا قول بغير علم ولهذا
 قال تعالى { قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } {الأعراف 28} فان
 الفحشاء قبيحة منكرة تنكرها القلوب بفطرتها والله لا يأمر بمنكر
 وهذا يقتضي ان الافعال القبيحة السيئة تكون على صفات تمنع
 معها ان الله يأمر بها وفي هذا نزاع معروف بين الناس بينه في
 غير هذا الموضع ثم قال { أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
 {الأعراف 28} أي اتقولون انه امر بهذا وانتم لا تعلمون انه
 امر به اذ ليس معكم الا عادة ابائكم ودينكم وانتم لا تعلمون ان الله
 انزل بهذا سلطانا فهذه الآية يدخل فيها كل من تعبد بفاحشة
 وامر منكر وان احتج بالعادة التي لسلفه او زعم ان الله يأمر بذلك
 او لما يذكره من الاسباب كقول مشركي العرب هذه الثياب عصينا
 الله فيها فلا نطوف له فيها يريدون وقت العبادة ان يجتنبوا ثياب
 المعصية وكذلك تقسيمهم الناس الى قسمين حمس وغير حمس
 وابعادهم للحمس ما يحرم على غيرهم من الطواف في الثياب ومن
 الطعام وعدم دخول البيوت المنقوبة في الاحرام من ابوابها
 واسقاطهم عن الحمس الافاضة من عرفة بالافاضة من مزدلفة
 فمن هذا الباب ما يدعي قوم من اشراف بني هاشم ومن يزعمون
 انهم منهم لموافقهم لهم على رأي كالتشيع وغيره انهم مختصون
 به في العبادات والمحظورات فهذا نظير ما كانت الحمس تدعيه
 ومن هذا الباب ما يفعله قوم من المتزهدة من كشف سوءاتهم في
 سماعاتهم وحماماتهم او غير ذلك ويقولون هذا طريقنا وهذا في
 طريقنا فهذا مثل قولهم وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها
 وابلغ من ذلك تعبد طوائف من المتزهدة والمتعبدة بمعاشرة
 الاحداث المردان والنساء الاجانب والنظر اليهم والخلو بهم
 والمحبة والهوى فيهم وبما قد يكون وقد لا يكون وراء ذلك من
 الفاحشة الكبرى وهذا ابتداء المشركون من الصابئة وغير
 الصابئة الذين هم اولياء الشياطين الذين هم مشركون كما ذكر ابن
 سينا في اشاراته وزعم انه مما يعين على السلوك والتأله العشق
 العفيف واستماع الاصوات الملحنة كما ذكر ايضا الشرك بعبادة

الصور ويذكر هو وطائفته عبادة الكواكب وهذا في النصارى
ايضا منه جانب قوي وهم ايضا قد ابتدعوا شركا لم ينزل الله به
سلطانا كما قال تعالى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ
اللَّهِ وَالْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } التوبة 31 ولهذا كثر هذا في طوائف
الزهاد والعباد من هذه الامة من المبتدعة الخارجين عن الشريعة
ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الوجه وان كانوا من
وجه اخر داخلين فيها فهذا شأن الطرائق المبتدعة كلها يجتمع
فيها الحق والباطل ومن المعلوم ان هذا الذي يفعلونه من الفواحش
الظاهرة او الباطنة وقد قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ
مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
{ الأعراف 33 وقال تعالى { وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ
{ الأنعام 120 وقد قال في الصحيحين عن ابن عباس ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان وزناهما
النظر الاذنان تزنيان وزناهما السمع واللسان يزني وزناه النطق
والقلب يتمنى ذلك ويشتهي والفرج يصدق ذلك ويكذبه فما كان
من السمع والبصر واللسان في هذا الباب فهو من زناه والزنا من
الفواحش والله لا يأمر بالفحشاء فالله تعالى لا يأمر ان يعبد
ويتقرب اليه بالعشرة للمردان الصباح والنظر اليهم والاصغاء الى
كلامهم ونحو ذلك { أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28
بل قد حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وان اتي هذه الفواحش
معتقدا تحريمها فهو من المسلمين الذين قال فيهم النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث ابي ذر من مات لا يشرك بالله شيئا دخل
الجنة وان زنا وان سرق فإن المسلم الذي يأتي بفاحشة اما ان
يتوب الى الله ويستغفره فيدخل في قوله { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ
ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا
اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } {135} أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ
مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ

أَجْرُ الْعَامِلِينَ {136} ال عمران 135-136 والمسلم اذا اتى
 الفاحشة لا يكفر وان كان كمال الايمان الواجب قد زال عنه كما
 في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزني
 الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو
 مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب نهبة
 ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مؤمن فأصل
 الايمان معه وهو قد يعود الى المعصية ولكنه يكون مؤمنا اذا فارق
 الدنيا كما في الصحيح عن عمر ان رجلا كان يدعي حمارا وكان
 يشرب الخمر وكان كلما اتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم امر
 بجلده فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى النبي صلى الله
 عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله
 ورسوله فشهد له بأنه يحب الله ورسوله ونهى عن لعنته كما تقدم
 في الحديث الاخر الصحيح وان زنا وان سرق وذلك ان معه
 اصل الاعتقاد ان الله حرم ذلك ومعه خشية عقاب الله ورجاء
 رحمة الله وايمانه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر الله له به
 كما في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
 وقال اذنب عبد ذنبا فقال أي رب اني اذنبت ذنبا فاغفر لي فقال
 ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم
 اذنب ذنبا اخر فقال أي رب اذنبت ذنبا فاغفره لي فقال ربه علم
 عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم اذنب ذنبا
 آخر فقال أي رب قد اذنبت ذنبا فاغفره لي فقال علم عبدي ان له
 ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء
 وكذلك في الصحاح من غير وجه حديث الذي لم يعمل خيرا قط
 وقال لأهله اذا انا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في يوم
 ريح الحديث فقال الله له ما حملك على ما فعلت قال خشيتك يا رب
 فغفر الله له بتلك الخشية¹²⁸

¹²⁸ الاستقامة ج: 2 ص: 172-183

* ومنهم من يتدين يحب الصور الجميلة من النساء الأجانب والمردان وغير ذلك ويرى هذا من الجمال الذي يحبه الله ويحبه هو ويلبس المحبة الطبيعية المحرمة بالمحبة الدينية ويجعل ما حرمه الله مما يقرب إليه { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 فإذا كان الجمال متضمنا لعدم ما هو أحب إليه أو لوجوده ما هو أبغض له لزم من ذلك فوات ما في الجمال المحبوب فإذا كان في جمال الثياب بطر وفخر وخيلاء وسرف فهو سبحانه لا يحب كل مختال فخور وقال تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا } الفرقان 67 بل هو يبغض البطر الفخور المختال والمسرف وقال { وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } غافر 43 فلهذا قال ص لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر أزاره خيلاء و بطرا فإنه ببغضه فلا ينظر إليه و إن كان فيه جمال فإن ذلك غرق في جانب ما يبغضه الله من الخيلاء و البطر و كذلك الحرير فيه من السرف و الفخر و الخيلاء ما يبغضه الله و ينافي التقوى التي هي محبوب الله كما ثبت في الصحيحين عنه أنه نزع فروج الحرير و قال لا ينبغي هذا للمتقين و كذلك سائر ما حرمه الله و كرهه مما فيه جمال فإن ذلك لاشتماله على مكروه ألحق على ما فيه مما يبغضه الله أعظم مما فيه من محبوبه و لتقويته ما هو أحب إليه منه و كذلك القوة و إن كانت من صفات الكمال التي يحبها الله فإذا كانت الإعانة على الكفر و الفجور الذي بغض الله له ومقته عليه و تقويته لما يحبه من الإيمان والعمل الصالح أعظم بكثير من مجرد ما في القوة من الامر المحبوب ترجح جانب البغض بقدر ذلك فإذا كانت القوة في الإيمان كان الأمر كما قال النبي ص المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ومن المعلوم أن الله يحب الحسنات وأهلها ويبغض السيئات وأهلها فهو يحب كل ما أمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب وكل ما حمده وأثنى عليه من الصفات مثل العلم والإيمان والصدق والعدل والتقوى والإحسان وغير ذلك ويجب

المقسطين ويحب التوايين ويحب المتطهرين ويحب المحسنين
والذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ويغض
الكفر وأنواعه والظلم والكذب والفواحش ما ظهر منها وما بطن
ولا أحد أغير منه وكل ما حرمه يبغضه¹²⁹

وهو سبحانه يبغض الفواحش ولا يحبها ولا يأمر بها كما قال تعالى
{ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ { الأعراف 28** }¹³⁰

* فمن جعل شيئاً من التخنت ديناً أو طلب ذلك من الصبيان مثل
تحسين الصبي صورته أو لباسه لأجل نظر الرجال واستمتاعهم
بذلك في سماع وغير سماع أليس يكون مبدلاً لدين الله من جنس
الذين { **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ**
إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
{ **الأعراف 28** } وإذا كانت الفاحشة العرب المشركين كشف
عوارتهم عند الطواف لئلا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها فكيف
بما هو أعظم من ذلك¹³¹

الذين يحتجون بالقدر فيهم شبه من المشركين إما أن يبتدعوا وإما أن يحتجوا بالقدر

*ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب
الإمكان والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق فيجتهدون في إقامة
دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين
بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الإنسان الجوع الحاضر بالأكل
ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك إذا آن أو ان البرد دفعه باللباس
وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه كما قالوا للنبي صلى الله عليه

¹²⁹ الاستقامة ج: 1 ص: 444-446

¹³⁰ الاستقامة ج: 1 ص: 443

¹³¹ الاستقامة ج: 1 ص: 371

وسلم يا رسول الله أرأيت أدوية ننداوى بها ورقى نسترقى بها
وتقاة نتقى بها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي من قدر الله
وفي الحديث إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء
والأرض فهذا حال المؤمنين ب الله ورسوله العابدين وكل ذلك
من العبادة وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهي ربوبيته
تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره الديني الشرعي
على مراتب في الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما
فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة وقول هؤلاء شر
من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين
قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ
{الأنعام148} {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} {الزخرف20
وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا بل كل من احتج بالقدر
فإنه متناقض فإنه لا يمكن أن يقر كل آدمي على ما فعل فلا بد إذا
ظلمه ظالم أو ظلم الناس ظالم وسعى في الأرض بالفساد وأخذ
يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك الحرث والنسل ونحو
ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها أن يدفع هذا القدر
وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوان أمثاله فيقال له إن كان القدر
حجة فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وإن لم يكن حجة بطل
أصل قولك حجة وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة
الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونونه وإنما هم بحسب أرائهم
وأهوائهم كما قال فيهم بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند
المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به ومنهم صنف
يدعون التحقيق والمعرفة فيزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن
شهد لنفسه فعلا وأثبت له صنعا أما من شهد أن أفعاله مخلوقة أو
أنه مجبور على ذلك وأن الله هو المتصرف فيه كما تحرك سائر
المتحركات فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد وقد
يقولون من شهد الإرادة سقط عنه التكليف ويزعم أحدهم أن
الخصر سقط عنه التكليف لشهوده الإرادة فهؤلاء لا يفرقون بين
العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن الله خالق

أفعال العباد وأنه يدبر جميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علماً وبين من يراه شهوداً فلا يسقطون التكليف عن من يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن عن يشهده فلا يرى لنفسه فعلاً أصلاً وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعاً من التكليف على هذا الوجه وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب ذلك أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤجر بما يقدر عليه خلافه كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر الذي هو إرادة الله العامة وخلقه لأفعال العباد وهؤلاء أثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد القدر إذ لم يمكنهم نفي ذلك مطلقاً وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء أحد وهؤلاء يجعلون الأمر والنهي للمحجوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل إلى شهود هذه الحقيقة يسقط عنه الأمر والنهي وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} {الحجر 99} وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء كفر صريح وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازم لكل عبد ما دام عقله حاضراً إلى أن يموت لا يسقط عنه الأمر والنهي لا شهوده القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فإن أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي فإنه يقتل وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستأخرين وأما المستقدمون من هذه الأمة فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هي محادة ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتكذيب لرسله ومضادة له في حكمه وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية أو أن الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر أو أن الفاحشة حلال له

لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو ذلك ولا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسل يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله فهؤلاء الأصناف فيهم شبه من المشركين إما أن يبتدعوا وإما أن يحتجوا بالقدر وإما أن يجمعوا بين الأمرين كما قال تعالى عن المشركين { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 وكما قال تعالى عنهم { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشرعها الله يمثل قوله تعالى { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } الأنعام 138 إلى آخر السورة وكذلك في سورة الأعراف في قوله { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ } الأعراف 27 إلى قوله { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } الأعراف 28 إلى قوله { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 29 إلى قوله { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } {31} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ {32}

الأعراف 31-32 إلى قوله { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33

وهؤلاء قد يسمون ما أحدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجده ونحو ذلك وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقاً بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم وجعلهم لما يرونه ويهوونه حقيقة وأمرهم باتباعها دون اتباع أمر الله ورسوله نظير بدع أهل الكلام من

الجهمية وغيرهم الذين يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة إما أن يحرفوه عن مواضعه وإما أن يعرضوا عنه بالكلية فلا يتدبرونه ولا يعقلونه بل يقولون نفوض معناه إلى الله مع اعتقادهم نفيض مدلوله وإذا حقق على هؤلاء ما يزعمونه من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة وكذلك أولئك إذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق أولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله لا أولياؤه وأصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله واختيار الهوى على اتباع أمر الله فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم فقال أنسيت قوله تعالى { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 93 أو نحو هذا من الكلام فعباد الاصنام يحبون آلهتهم كما قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 وقال { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } القصص 50 وقال { إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى } النجم 23 ولهذا يميل هؤلاء إلى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب

الصلبان ومحب الأوطان ومحب الأخوان ومحب المردان ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون أنواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته رسوله لا يكون متبعا لدين شرعه الله كما قال تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } {18} { إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } {19} الجاثية 18-19 إلى قوله { وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } الجاثية 19 بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله قال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } { الشورى 21 وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتجون بالقدر الكوني على الشريعة كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم قدرا وهم مستمسكون بالدين في أداء الفرائض المشهورة واجتناب المحرمات المشهورة لكن يغلطون في ترك ما أمروا به من الأسباب التي هي عبادة ظانين أن العارف إذا شهد القدر أعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على أن من شهد القدر علم أن ما قدر سيكون فلا حاجة إلى ذلك وهذا غلط عظيم فإن الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الجنة أهلا خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بأن الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعلموا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة فما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } {هود 123} وفي قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب } {الرعد 30} وقول شعيب عليه السلام { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } {هود 88} ومنهم

طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات فتنقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل أحدهم عما أمر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيراً ما تعرض لأهل السلوك والتوجه وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان أحدهما ألا يعبد إلا الله والثاني أن يعبد بما أمر وشرع لا بغير ذلك من البدع قال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } {الكهف 110} وقال تعالى { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {البقرة 112} وقال تعالى { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } {النساء 125} فالعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر بإيجاب أو استحباب فما كان من البدع في الدين التي ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من العمل الصالح كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح وأما قوله { وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } {الكهف 110} وقوله { أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ } {البقرة 112} فهو إخلاص الدين وحده وكان عمر بن الخطاب يقول اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } {هود 7} قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون

خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على
السنة 132

*واما المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم الذين هم اهل
الكتاب كما قال النبي ان لله اهلين من الناس قيل من هم يا
رسول الله قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته فهؤلاء يعلمون
ان الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وان الخالق سبحانه مبين
للمخلوق ليس هو حالا فيه ولا متحدا به ولا وجوده وجوده و
النصاري كفرهم بأن قالوا بالحلول والاتحاد بالمسيح خاصة
فكيف من جعل ذلك عاما في كل مخلوق ويعلمون مع ذلك ان
الله امر بطاعته وطاعة رسوله ونهى عن معصيته ومعصية
رسوله وانه لا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر وان على
الخلق ان يعبدوه فيطيعوا امره ويستعينوا به على ذلك كما قال
{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ومن عبادته وطاعته الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان والجهاد في سبيله
لاهل الكفر والنفاق فيجتهدون في اقامة دينه مستعينين به دافعين
مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك
كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالاكل ويدفع به الجوع المستقبل
وكذلك اذا ان اوان البرد دفعه باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به
مكروه كما قالوا للنبي يا رسول اله ارايت ادوية نتداوى بها
ورقى نسترقى بها وتقاة نتقى بها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي
من قدر الله وفي الحديث ان الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان
بين السماء والارض فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين
لله وكل ذلك من العبادة وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة
الكونية وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعا من
اتباع امره الديني الشرعي على مراتب في الضلال فغلاتهم
يجعلون ذلك مطلقا عاما فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه

¹³²الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 369-375

الشيعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس
 قول المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا
 حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 وقالوا { لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا
 عَبَدْنَاهُمْ } الزخرف 20 وهؤلاء من اعظم اهل الارض تناقضا
 بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض فانه لا يمكن ان يقر كل آدمى
 على ما فعل فلا بد اذا ظلمه ظالم او ظلم الناس ظالم وسعى فى
 الارض بالفساد واخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك
 الحرث والنسل ونحو ذلك من انواع الضرر التى لا قوام للناس بها
 ان يدفع هذا القدر وان يعاقب الظالم بما يكف عدوان امثاله يقال له
 ان كان القدر حجة فدع كل احد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وان لم
 يكن حجة بطل اصل قولك حجة واصحاب هذا القول الذين
 يحتجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه وانما
 هم بحسب آرائهم واهوائهم كما قال فيهم بعض العلماء انت عند
 الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى اى مذهب وافق هواك
 تمذهبت به ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة
 فيزعمون ان الامر والنهى لازم لمن شهد لنفسه فعلاً واثبت له
 صنعا اما من شهدا أن افعالة مخلوقة او انة مجبور على ذلك وان
 اللة هو المتصرف فية كما تحرك سائر المتحركات فانة يرتفع عنة
 الأمر والنهى والوعد والوعيد وقد يقولون من شهد الارادة
 سقط عنة التكليف ويزعم احدهم ان الخضر سقط عنة التكليف
 لشهودة الارادة فهؤلاء لا يفرق بين العامة والخاصة الذين شهدوا
 الحقيقة الكونية فشهدوا ان الله خالق أفعال العباد وانه يدبر جميع
 الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علماً وبين من يراة شهوداً
 فلا يسقطون التكليف عن من يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن عن
 يشهده فلا يرى لنفسه فعلاً أصلاً وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات
 القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه وقد وقع فى هذا
 طوائف من المنتسبين الى التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب
 ذلك أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يقدر عليه خلافة
 كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك ثم المعتزلة

اثبتت الامر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر الذي هو إرادة
 اللة العامة وخلقة لأفعال العباد وهؤلاء اثبتوا القضاء والقدر ونفوا
 الأمر والنهي فى حق من شهد القدر إذا لم يمكنهم نفي ذلك مطلقا
 وقول هؤلاء شر من قولة المعتزلة ولهذا لم يكن فى السلف من
 هؤلاء احد وهؤلاء يجعلون الامر والنهي للمجوبين الذين لم
 يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل الى شهود هذه
 الحقيقة يسقط عنه الامر والنهي وصار من الخاصة وربما
 تأولوا على ذلك قولة تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ
 {الحجر 99 وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء
 كفر صريح وان وقع فيه طوائف لم يعلموا انه كفر فانه قد علم
 بالاضطرار من دين الاسلام ان الأمر والنهي لازم لكل عبد ما دام
 عقله حاضرا الى ان يموت لا يسقط عنه الامر والنهي لا بشهوده
 القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فإن اصر
 على اعتقاد سقوط الأمر والنهي فانه يقتل وقد كثرت مثل هذه
 المقالات فى المستأخرين واما المستقدمون من هذه الأمة فلم
 تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هي محادة لله
 ورسوله ومعادة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتكذيب لرسوله
 ومضادة له في حكمه وان كان من يقول هذه المقالات قد يجهل
 ذلك ويعتقد ان هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق
 اولياء الله المحققين فهو فى ذلك بمنزلة من يعتقد ان الصلاة لا
 تجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية او ان
 الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر
 او ان الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو
 ذلك ولا ريب ان المشركين الذين كذبوا الرسل يترددون بين
 البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة امر
 الله فهؤلاء الأصناف فيهم شبه من المشركين اما ان يبتدعوا واما
 ان يحتجوا بالقدر واما ان يجمعوا بين الأمرين كما قال تعالى عن
 المشركين {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا
 بِهَا قُلْ إِنْ لَأَنْتُمْ بِالْمُحْسِنِينَ فَالْحِشَاءُ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

{الأعراف 28} وكما قال تعالى عنهم {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} {النحل 35} وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشرعها الله بمثل قوله تعالى وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ {الأنعام 138} الى آخر السورة وكذلك في سورة الاعراف في قوله {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ} {الأعراف 27} الى قوله {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} {الأعراف 28} الى قوله {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} {الأعراف 29} الى قوله {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} {31} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ {32} {الأعراف 31-32} الى قوله {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33} وهؤلاء قد يسمون ما احدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بامر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجده ونحو ذلك وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم اتباع آرائهم واهوائهم وجعلهم لما يرونه ويهوونه حقيقة وامرهم باتباعها دون اتباع امر الله ورسوله نظير بدع اهل الكلام من الجهمية وغيرهم الذين يجعلون ما ابتدعه من الاقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة اما ان يحرفوه عن مواضعه واما ان يعرضوا عنه بالكلية فلا يتدبرونه ولا يعقلونه بل يقولون نفوض معناه الى الله مع اعتقادهم نفيض مدلوله واذا حقق على هؤلاء ما يزمونه من العقلية المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات

واعتقادات فاسدة وكذلك اولئك اذا حقق عليهم ما يزعمونه من حقائق اولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الالهواء التي يتبعها اعداء الله لا اولياؤه واصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله واختياره الهوى على اتباع امر الله فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فى الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره ان يرجع فى الكفر بعد اذا انقذه الله منه كما يكره ان يلقى فى النار وقال فى الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم فقال أنسيت قوله تعالى { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 93 أو نحو هذا من الكلام فعباد الاصنام يحبون الهتهم كما قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 وقال { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } القصص 50 وقال { إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى } النجم 23 ولهذا يميل هؤلاء الى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الايمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصلبيان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعا لدين شرعه الله كما قال تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } {18} إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ

مِنَ اللَّهِ شَيْئاً {19} الجاثية 18-19 الى قوله { وَاللَّهُ وَلِيٌّ
 الْمُتَّقِينَ } {19} الجاثية 19 بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله
 قال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ
 { الشورى 21 وهم فى ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة
 يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتجون بالقدر الكونى على
 الشريعة كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم ومن هؤلاء
 طائفة هم اعلاهم قدرا وهم مستمسكون بالدين فى اداء الفرائض
 المشهورة واجتتاب المحرمات المشهورة لكن يغلطون فى ترك ما
 امروا به من الاسباب التى هي عبادة ظانين ان العارف اذا شهد
 القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم او الدعاء
 ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على ان من شهد
 القدر علم ان ما قدر سيكون فلا حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم
 فان الله قدر الاشياء باسبابها كما قدر السعادة والشقاوة باسبابها كما
 قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم
 وهم فى اصلاب آبائهم ويعمل اهل الجنة يعملون وكما قال
 النبى لما أخبرهم بان الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله افلا ندع
 العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما
 من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة واما من كان
 من اهل الشقاوة فسييسر لعمل اهل الشقاوة فما امر الله به عباده من
 الاسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما فى قوله تعالى
 { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وفى قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب } الرعد 30 وقول شعيب عليه السلام
 { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 ومنهم طائفة قد تترك
 المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتتقص بقدر ذلك ومنهم
 طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة او
 استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل احدهم عما
 امر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها
 كثيرا ما تعرض لاهل السلوك والتوجه وانما ينجو العبد منها
 بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله فى كل وقت كما قال

الزهري كان من مضي من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجا
وذلك ان السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها
نجا ومن تخلف عنها غرق¹³³

اخبر سبحانه أنه جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون

*فان الانس يؤنسون أى يشهدون ويرون انما يحتجب الانسى
أحيانا لا يكون دائما محتجبا عن أبصار الانس بخلاف الجن فانهم
كما قال الله { **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا**
تَرَوْنَهُمْ } **الأعراف 27** فالشياطين لا سلطان لهم على قلوب
الموحدين¹³⁴

*قوله تعالى { **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**
{ **الأعراف 27** الذى فى القرآن أنهم يرون الإنس من حيث لا يراهم
الإنس وهذا حق يقتضى أنهم يرون الإنس فى حال لا يراهم الإنس
وهذا حق يقتضى أنهم يرون الانس فى حال لا يراهم الإنس فيها
وليس فيه أنهم لا يراهم أحد من الإنس بحال بل قد يراهم
الصالحون وغير الصالحين أيضا لكن لا يرونهم فى كل حال
والشياطين هم مرده الإنس والجن وجميع الجن ولد إبليس والله
أعلم¹³⁵

* الإنسان لا يفعل الحرام إلا لضعف إيمانه ومحبته وإذا فعل
مكروهات الحق فلضعف بغضها في قلبه أو لقوة محبتها التي تغلب
بغضها فالإنسان لا يأتي شيئا من المحرمات كالفواحش ما ظهر
منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق والشرك بالله ما لم ينزل به
سلطانا والقول على الله بغير علم إلا لضعف الإيمان في أصله أو
كماله أو ضعف العلم والتصديق وإما ضعف المحبة والبغض

¹³³ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 163-172

¹³⁴ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 218

¹³⁵ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 7

لكن إذا كان أصل الإيمان صحيحا وهو التصديق فإن هذه المحرمات يفعلها المؤمن مع كراهته وبغضه لها فهو إذا فعلها لغلبة الشهوة عليه فلا بد أن يكون مع فعلها فيه بغض لها وفيه خوف من عقاب الله عليها وفيه رجاء لأن يخلص من عقابها إما بتوبة وإما حسنات وإما عفو وإما دون ذلك وإلا فإذا لم يبغضها ولم يخف الله فيها ولم يرج رحمته فهذا لا يكون مؤمنا بحال بل هو كافر أو منافق فكل سيئة يفعلها المؤمن لا بد أن تقترن بها حسنات له لكن قوة شهوته للسيئة وما زين له فيها حتي ظن أنها مصلحة له أوجب وقوعها وهو اتباع الظن وما تهوي الأنفس وهذا القدر عارض بعض إيمانه فترجح عليه حتي ما هو ضد لبعض الإيمان فلم يبق مؤمنا بالإيمان الواجب كما قال النبي لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن وهو فيما يفعله متبع للشيطان فيما زينه له حتى رآه حسنا وفيما أمره به فأطاعه وهذا من الشرك بالشيطان كما قال تعالى { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا } الكهف 50 وقال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } {61} يس 60-61 ولهذا لم يخلص من الشيطان إلا المخلصون لله كما قال تعالى عن ابليس { وَلَا غَوِيَّ لَهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ } {40} الحجر 39-40 وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 وقال تعالى { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100} النحل 99-100 فإذا كان الشيطان ليس له سلطان إلا علي من أشرك به فكل من أطاع الشيطان في معصية الله فقد تسلط الشيطان عليه وصار فيه من الشرك بالشيطان بقدر ذلك والشيطان يوالي الإنسان بحسب عدم إيمانه كما قال تعالى { إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } {الأعراف 27} وقال تعالى { وَمَنْ يَعْشُ

عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ {36} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهُتَدُونَ {37} حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ {38} الزخرف 36-38 وقال تعالى في قصة يوسف عليه السلام { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 ويشهد لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي إن الشيطان ينتصب عرشه علي البحر ويبعث سراياه فجميع ما نهى الله عنه هو من شعب الكفر وفروعه كما أن كل ما أمر الله به هو من الإيمان والإخلاص لدين الله ولهذا قال تعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } البقرة 193¹³⁶

الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

*وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ان لله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } {63} يونس 62-63 وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة أو فقد أذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألتني لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنِ اسْتَعَاذَ بِي لَأُعِذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا

¹³⁶قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 105-106

فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وهذا أصح حديث يروي في الأولياء فبين النبي أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله بالمحاربة وفي حديث آخر وإنني لأتأر لأوليائي كما يتأر الليث الحرب أي أخذ ثأرهم ممن عادهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره وهذا لأن أولياء الله هم الذين أمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمروا بما أمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي أنه قال أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وفي حديث آخر رواه أبو داود قال ومن أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان والولاية ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد وقد قيل أن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أي متابعته لها والأول اصح والولي القريب فيقال هذا يلي هذا أي يقرب منه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ألقوا الفرائض بأهلها فما ابقت الفرائض فلأولى رجل ذكر أي لأقرب رجل إلى الميت وأكده بلفظ الذكر ليبين انه حكم يختص بالذكر ولا يشترك فيها الذكور والاناث كما قال في الزكاة فابن لبون ذكر فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادى لوليه معاديا له كما قال تعالى { لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ لِقُفُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ } الممتحنة 1 فمن عادى اولياء الله فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه فلهذا قال ومن عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة

137

من الأمور ما لا يجوز أن يضاف إلى الله الأمر به

* أن الله بين في كتابه و على لسان رسوله حكمته في خلقه و أمره كقوله { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } الإسراء 32 فعلل التحريم بأنها فاحشة بدون النهي و أن ذلك علة للنهي عنها و قوله { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } الأعراف 28 فذكر براءته من هذا

على وجه المدح له بذلك و تنزيهه عن ذلك فدل على أن من الأمور ما لا يجوز أن يضاف إلى الله الأمر به ليست الأشياء كلها مستوية في أنفسها ولا عنده وأنه لا يخصص المأمور على المحذور لمجرد التحكم بل يخصص المأمور بالأمر والمحذور بالحظر لما اقتضته حكمته¹³⁸

* قال تعالى { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 و الفاحشة أريد بها كشف السوءات فيستدل به على

أن في الأفعال السيئة من الصفات ما يمنع أمر الشرع بها فإنه اخبر عن نفسه في سياق الإنكار عليهم أنه لا يأمر بالفحشاء فدل ذلك على أنه منزه عنه فلو كان جائزا عليه لم يتنزه عنه فعلم أنه لا يجوز عليه الأمر بالفحشاء وذلك لا يكون إلا إذا كان الفعل في نفسه سيئا فعلم أن كلما كان في نفسه فاحشة فإن الله لا يجوز عليه الأمر به وهذا قول من يثبت للأفعال في نفسها صفات الحسن والسوء كما يقوله أكثر العلماء كالتميمين وأبي الخطاب خلاف قول

من يقول إن ذلك لا يثبت قط إلا بخطاب وكذلك قوله { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } الإسراء 32 علل النهي عنه بما إشتمل عليه من أنه فاحشة وأنه ساء سبيلا فلو كان إنما صار فاحشة وساء سبيلا بالنهي لما صح ذلك لأن العلة تسبق المعلول لا تتبعه ومثل ذلك كثير في القرآن وأما في الأمر فقوله { كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ { البقرة 216 دليل على أنه أمر به لأنه خير لنا ولأن الله علم فيه ما لم نعلمه ومثله قوله في آية الطهور {وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} { المائدة 6 دليل على أنه أمر بالطهور لما فيه من الصلاح لنا وهذا أيضا في القرآن كثير

139

* أن الأحكام للأفعال ليست من الصفات اللازمة بل هي من العارضة للأفعال بحسب ملاءمتها ومنافرتها فالحسن والقبح بمعنى كون الشيء محبوبا ومكروها ونافعا وضارا وملائما ومنافرا وهذه صفة ثبوتية للموصوف لكنها تتنوع بتنوع أحواله فليست لازمة له ومن قال إن الأفعال ليس فيها صفات تقتضي الحسن والقبح فهو بمنزلة قوله ليس في الأجسام صفات تقتضي التسخين والتبريد والإشباع والإرواء فسلب صفات الأعيان المقتضية للآثار كسلب صفات الأفعال المقتضية للآثار وأما جمهور المسلمين الذين يثبتون طبائع الأعيان وصفاتها فهكذا يثبتون ما في الأفعال من حسن وقبح باعتبار ملاءمتها ومنافرتها كما قال تعالى { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } الأعراف 157 فدل ذلك على أن الفعل في نفسه معروف ومنكر والمطعم طيب وخبث ولو كان لا صفة للأعيان والأفعال إلا بتعلق الأمر والنهي لكان التقدير يأمرهم بما يأمرهم وينهاهم عما ينهاهم ويحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم والله منزه عن مثل هذا الكلام وكذلك قوله تعالى { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا } الإسراء 32 وقال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } الأعراف 28 ونظائر هذا كثيرة¹⁴⁰

139 مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 8

140 منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 178

*وهناك من قال إن الأفعال لم تشتمل على صفات هي أحكام و لا على صفات هي علل للأحكام بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر لمحض الإرادة لا لحكمة و لا لرعاية مصلحة فى الخلق و الأمر و يقولون أنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله و ينهى عن عبادته و حده و يجوز أن يأمر بالظلم و الفواحش و ينهى عن البر و التقوى و الأحكام التى توصف بها الأحكام مجرد نسبة و إضافة فقط و ليس المعروف فى نفسه معروفا عندهم و لا المنكر فى نفسه منكرا عندهم بل إذا قال يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن المنكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث فحقيقة ذلك عندهم أنه يأمرهم بما يأمرهم و ينهاهم عما ينهاهم و يحل لهم ما يحل لهم و يحرم عليهم ما يحرم عليهم بل الأمر و النهي و التحليل و التحريم ليس فى نفس الأمر عندهم لا معروف و لا منكر و لا طيب و لا خبيث الا أن يعبر عن ذلك بما يلائم الطباع و ذلك لا يقتضى عندهم كون الرب يحب المعروف و يبغض المنكر فهذا القول و لوازمه هو أيضا قول ضعيف مخالف للكتاب و السنة و لإجماع السلف و الفقهاء مع مخالفته أيضا للمعقول الصريح فإن الله نزه نفسه عن الفحشاء فقال **{ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } { الأعراف 28** كما نزه نفسه عن التسوية بين الخير و الشر فقال تعالى **{ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } { الجاثية 21** و قال **{ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } {35} { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } {36} { القلم 35-36** و قال **{ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } { ص 28** و على قول النفاة لا فرق فى التسوية بين هؤلاء و هؤلاء و بين تفضيل بعضهم على بعض ليس تنزيهه عن أحدهما بأولى من تنزيهه عن الآخر و هذا خلاف المنصوص و المعقول و قد قال الله تعالى **{ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } { الأنعام 124** و عندهم تعلق الإرسال بالرسول كتعليق الخطاب بالأفعال لا يستلزم ثبوت صفة لا قبل التعلق و لا بعده و الفقهاء و جمهور المسلمين

يقولون الله حرم المحرمات فحرمت و أوجب الواجبات فوجبت
فمعنا شيان إيجاب و تحريم و ذلك كلام الله و خطابه و الثاني و
وجوب و حرمة و ذلك صفة للفعل و الله تعالى عليم حكيم علم بما
تتضمنه الأحكام من المصالح فأمر و نهى لعلمه بما فى الأمر و
النهي و المأمور و المحظور من مصالح العباد و مفسدهم¹⁴¹

*قد استفاض عن النبي في الصحيح من غير وجه أنه قال لا أحد
أغبر من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن
وفي بعض الأحاديث الصحاح لا أحد أغبر من الله أن يزني عبده
أو تزني أمته وفي بعضها إن الله يغار و غيرته أن يأتي العبد ما
حرم عليه و الغيرة فيها من البغض و الغضب ما يدفع به الإنسان
ما غار منه فالزنا وإن كان صادرا عن الشهوة و المحبة منهما أو
من أحدهما فإن ذلك مقابل بضرورة التنزه عن الفواحش و التورع
عن المحرمات فأمر الله أن لا تأخذنا بهما رافة في دين الله فنهاننا
عن أن تكون منا رافة تدفع العذاب عنهما فضلا عن أن يكون
محبة لذلك الفعل ولهذا أخبرنا به بأنه لا يجب ذلك أصلا فقال
تعالى { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ { الأعراف 28** } وما لا يأمر به
لا أمر إيجاب ولا أمر استحباب لا يحبه قال لوط عليه السلام {
إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنْ أَلْقَالِينَ { الشعراء 168 } و القلي بغضه و هجره
و الأنبياء أولياء الله يحبون ما يحب الله و يبغضون ما يبغض
و ربما قيل القلي أشد البغض فالله سبحانه يبغض ذلك و هو سبحانه
يبغض كل ما نهى عنه كما أنه يحب كل ما أمر به بل الغيرة
مستلزمة لقوة البغض إذ كل من يغار يبغض ما غار منه و ليس كل
من يبغض شيئا يغار منه فالغيرة أحض و أقوي¹⁴²

¹⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 433

¹⁴² قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 199-201

أكثر ديانات الخلق إنما هي عادات

*وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم وتقليدهم في التصديق والتكذيب والحب والبغض والموالاة والمعاداة كما قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ} لقمان 21 وقال تعالى {يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ} {66} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا {67} الأحزاب 66- 67 وقال تعالى {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُّريبٍ} الشورى 14¹⁴³

ومن إتباع خطوات الشيطان القول على الله بلا علم

*ونحن علينا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا من الكتاب والحكمة ونلزم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ونعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق ونأمر بما أمر الله به وهو المعروف وننهى عما نهى عنه وهو المنكر وأن نتحرى الاخلاص لله في أعمالنا فان هذا هو دين الإسلام قال الله تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {28} قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {29} فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا

¹⁴³قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 142

الشَّيَاطِينِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ {30}
الأعراف 28-30¹⁴⁴

*ومن إتباع خطوات الشيطان القول على الله بلا علم { قُلْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28

145

هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا ؟

*وسئل فأجاب لفظ الإرادة مجمل له معنيان فيقصد به
المشيئة لما خلقه ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به فإن كان
مقصود السائل أنه أحب المعاصي ورضيها وأمر بها فلم يردها
بهذا المعنى فإن الله لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا
يأمر بالفحشاء بل قال لما نهى عنه {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ
رَبِّكَ مَكْرُوهًا} الإسراء 38 وإن أراد أنها من جملة ما شاءه
وخلقها فالله خالق كل شيء وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن
ولا يكون في الوجود إلا ما شاء وقد ذكر الله في موضع أنه
يريدها وفي موضع أنه لا يريد لها والمراد بالأول أنه شاءها خلقاً
وبالثاني أنه لا يحبها ولا يرضاها أمرا كما قال تعالى {فَمَنْ يُرِدِ
اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وقال نوح {وَلَا يَنْفَعُكُمْ
نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ
رَبُّكُمْ} هود 34 وقال في الثاني {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ
بِكُمُ الْعُسْرَ} البقرة 185 وقال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ
وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} {26}
وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا
مَيْلًا عَظِيمًا} {27} يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ
ضَعِيفًا} {28} النساء 26-28 وقال {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ

¹⁴⁴مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 515

¹⁴⁵مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 350

حَرَاجَ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُبَيِّنَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
 {المائدة 6} وقال {إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
 وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً} الأحزاب 33¹⁴⁶

التوحيد أصل العدل

* أن جماع الحسنات العدل وجماع السيئات الظلم وهذا أصل جامع عظيم وتفصيل ذلك أن الله خلق الخلق لعبادته فهذا هو المقصود المطلوب لجميع الحسنات وهو إخلاص الدين كله لله وما لم يحصل فيه هذا المقصود فليس حسنة مطلقة مستوجبة لثواب الله في الآخرة وإن كان حسنة من بعض الوجوه له ثواب في الدنيا وكل ما نهى عنه فهو زيغ وإنحراف عن الإستقامة ووضع للشئء في غير موضعه فهو ظلم ولهذا جمع بينهما سبحانه في قوله {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} الأعراف 29¹⁴⁷

* قال تعالى {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} الأعراف 29 القسط الذي أرسل الله له الرسل و أنزل له الكتب وهو مقابلة الحسنة بمثلها و السيئة بمثلها كما قال تعالى {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} الرحمن 60 وقال {وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا} النساء 86 وقال {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} الشورى 40 وقال {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ} البقرة 178 وقال {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} البقرة 194 وقال {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} النحل 126 لكن مقابلة الحسنة بمثلها عدل و اجب و الزيادة إحسان مستحب و النقص ظلم محرم و مقابلة السيئة بمثلها عدل جائز و الزيادة محرم و النقص إحسان مستحب فالظلم

¹⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 159-160

¹⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 86

للظالم و العدل للمقتصد و الاحسان المستحب للسابق بالخيرات
و الأمة ثلاثة ظالم لنفسه و مقتصد و سابق بالخيرات¹⁴⁸

*والعدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال وإنما أرسل الله
الرسول وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط¹⁴⁹

* فإخلاص الدين له والعدل واجب مطلقا في كل حال وفي كل
شرع فعلى العبد أن يعبد الله مخلصا له الدين ويدعوه مخلصا له
لا يسقط هذا عنه بحال ولا يدخل الجنة إلا أهل التوحيد وهم أهل
لا إله إلا الله فهذا حق الله على كل عبد من عباده كما في
الصحيحين من حديث معاذ أن النبي قال له يامعاذ أتدري ما
حق الله على عبادة قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم ان
يعبدوه لا يشركوا به شيئا الحديث فلا ينجون من عذاب الله إلا
من اخلص لله دينه وعبادته ودعاه مخلصا له الدين ومن لم يشرك
به ولم يعبده فهو معطل عن عبادته وعبادة غيره كفرعون وأمثاله
فهو أسوأ حالا من المشرك فلا بد من عبادة الله وحده وهذا واجب
على كل أحد فلا يسقط عن احد البتة وهو الاسلام العام الذي لا يقبل
الله ديننا غيره ولكن لا يعذب الله احدا حتى يبعث اليه رسولا
وكما أنه لا يعذبه فلا يدخل الجنة الا نفس مسلمة مؤمنة ولا يدخلها
مشرك ولا مستكبر عن عبادة ربه فمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا
امتحن في الآخرة ولا يدخل النار الا من اتبع الشيطان فمن لا ذنب
له لا يدخل النار ولا يعذب الله بالنار أحدا إلا بعد أن يبعث اليه
رسولا فمن لم تبلغه دعوة رسول اليه كالصغير والمجنون والميت
في الفترة المحضة فهذا يمتحن في الآخرة كما جاءت بذلك الآثار

150

¹⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 521

¹⁴⁹ الصغدية ج: 2 ص: 328

¹⁵⁰ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 476-477

*قوله في الحديث القدسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا فإنها تجمع الدين كله فإن ما نهى الله عنه راجع الى الظلم وكل ما أمر به راجع إلى العدل ولهذا قال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} الحديد 25 فأخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق فالكتاب يهدى والسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب وأهل الحديد كما قال من قال من السلف صنفان إذا صلحوا صلح الناس الأمراء والعلماء وقالوا في قوله تعالى { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} النساء 59 أقوالا تجمع العلماء والأمراء ولهذا نص الإمام أحمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية إذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله في حياته كعلي ومعاذ وأبي موسى وعتاب بن أسيد وعثمان بن أبي العاص وأمثالهم يجمعون الصنفين وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي و نوابهم ولهذا كانت السنة أن الذي يصلى بالناس صاحب الكتاب والذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد إلى أن تفرق الأمر بعد ذلك فإذا تفرق صار كل من قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بجمع الأموال وقسمها يجب أن يطاع فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ أخباره وأوامره وبيانها يجب أن يصدق ويطاع فيما أخبر به من الصدق في ذلك فيما يأمر به من طاعة الله في ذلك والمقصود هنا أن المقصود بذلك كله هو أن يقوم الناس بالقسط ولهذا لما كان المشركون يحرمون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ويأمرون بأشياء ما أنزل الله بها من سلطان أنزل الله في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما يذمهم على ذلك وذكر ما أمر به هو وما حرمه هو فقال {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ {الأعراف29} وقال
 تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ
 وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ
 تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {الأعراف33} وهذه الآية تجمع
 أنواع المحرمات كما قد بيناه في غير هذا الموضوع وتلك الآية
 تجمع أنواع الواجبات كما بيناه أيضا وقوله {أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ
 وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ

الدِّينَ {الأعراف29} أمر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة الله
 وحده لا شريك له وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذي لا يغفر
 قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ
 يَشَاءُ} النساء48 وهو الدين الذي أمر الله به جميع الرسل
 وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
 رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء25 وقال
 تعالى {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ
 الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ} الزخرف45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا
 فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل36
 وقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
 إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا
 تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} الشورى13 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} {51} وَإِنَّ هَذِهِ
 أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} {52} المؤمنون51-52

ولهذا ترجم البخارى فى صحيحه باب ما جاء فى أن دين
 الأنبياء واحد وذكر الحديث الصحيح فى ذلك وهو الإسلام العام
 الذى إتفق عليه جميع النبيين قال نوح عليه السلام {وَأُمِرْتُ أَنْ
 أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} يونس72 وقال تعالى فى قصة إبراهيم {إِذْ
 قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {131} وَوَصَّى بِهَا
 إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
 وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {132} البقرة131-132 {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ
 كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} يونس84 وقال تعالى

{ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران 52 وقال في قصة بلقيس { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44 وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ } المائدة 44 وهذا التوحيد الذي هو اصل الدين هو أعظم العدل وضده وهو الشرك أعظم الظلم كما أخرجاه في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود قال لما أنزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله أى الذنب أعظم قال إن تجعل الله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزاني بحليلة جارك فأنزل الله تصديق ذلك { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا } الفرقان 68 الآية وقد جاء عن غير واحد من السلف وروى مرفوعا الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يغفر الله منه شيئا ودوان لا يترك الله منه شيئا ودوان لا يعبا الله به شيئا فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئا فهو الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئا فهو ظلم العباد بعضهم بعضا فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذى لا يعبا الله به شيئا فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أى مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فإن شاء عذب وهذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له وقد بسطنا الكلام فى هذه الأبواب الشريفة والأصول الجامعة فى القواعد وبيننا أنواع الظلم وبيننا كيف كان الشرك أعظم أنواع الظلم ومسمى الشرك جليله ودقيقه فقد جاء فى الحديث الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل وروى أن هذه الآية نزلت فى أهل الرياء { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }

{الكهف 110} وكان شداد بن أوس يقول يا بقايا العرب يا بقايا العرب إنما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قال أبو داود السجستاني صاحب السنن المشهورة الخفية حب الرياسة وذلك أن حب الرياسة هو أصل البغى والظلم ما أن الرياء هو من جنس الشرك أو مبدأ الشرك والشرك أعظم الفساد كما أن التوحيد أعظم الصلاح ولهذا قال تعالى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} {القصص 4} إلى أن ختم السورة بقوله {تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَىٰ نَجَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} {القصص 83} وقالت الملائكة {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} {البقرة 30} فاصل الصلاح التوحيد والإيمان وأصل الفساد الشرك والكفر كما قال عن المنافقين {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} {11} {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ} {12} {البقرة 11-12} وذلك أن صلاح كل شيء أن يكون بحيث يحصل له وبه المقصود الذي يراد منه ولهذا يقول الفقهاء العقد الصحيح ما ترتب عليه أثره وحصل به مقصوده والفاسد ما لم يترتب عليه أثره ولم يحصل به مقصوده والصحيح المقابل للفاسد اصطلاحهم هو الصالح وكان يكثر في كلام السلف هذا لا يصلح أو يصلح كما كثر في كلام المتأخرين يصح ولا يصح والله تعالى إنما خلق الإنسان لعبادته وبدنه تبع لقلبه كما قال النبي في الحديث الصحيح ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب وصلاح القلب في أن يحصل له وبه المقصود الذي خلق له من معرفة الله ومحبته وتعظيمه وفساده في ضد ذلك فلا صلاح للقلوب بدون ذلك قط والقلب له قوتان العلم والقصد كما أن للبدن الحس والحركة الإرادية فكما أنه متى خرجت قوى الحس والحركة عن الحال الفطرى الطبيعى فسدت فإذا خرج القلب عن الحال الفطرية التي يولد عليها كل مولود وهي

أن يكون مقرا لربه مريدا له فيكون هو منتهى قصده وإرادته وذلك هي العبادة إذ العبادة كمال الحب بكمال الذل فمتى لم تكن حركة القلب ووجهه وإرادته لله تعالى كان فاسدا إما بأن يكون معرضا عن الله وعن ذكره غافلا عن ذلك مع تكذيب أو بدون تكذيب أو بأن يكون له ذكر وشعور ولكن قصده وإرادته غيره لكون الذكر ضعيفا لم يجتذب القلب إلى إرادة الله ومحبته وعبادته وإلا فمتى قوى علم القلب وذكره أوجب قصده وعلمه قال تعالى { فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } {29} { ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ } {30} النجم 29-30 فأمر نبيه بأن يعرض عن كان معرضا عن ذكر الله ولم يكن له مراد إلا ما يكون في الدنيا وهذه حال من فسد قلبه ولم يذكر ربه ولم ينب إليه فيريد وجهه ويخلص له الدين ثم قال { ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ } النجم 30 فأخبر أنهم لم يحصل لهم علم فوق ما يكون في الدنيا فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم وأما المؤمن فأكبر همه هو الله وإليه إنتهى علمه وذكره وهذا الآن باب لواسع عظيم قد تكلمنا عليه في مواضعه وإذا كان التوحيد أصل صلاح الناس والإشراك أصل فسادهم والقسط مقرون بالتوحيد إذ التوحيد أصل العدل وإرادة العلو مقرونة بالفساد إذ هو أصل الظلم فهذا مع هذا وهذا مع هذا كالمزوزين في قرن فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات وهو البر وهو العدل والذنوب التي فيها تفريط أو عدوان في حقوق الله تعالى وحقوق عباده هي فساد وظلم ولهذا سمي قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقا لله تعالى لإجتماع الوصفين والذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ إذ ليس كونك عاليا عليه بأولى من كونه عاليا عليك وكلاهما من جنس واحد فالقسط والعدل أن يكونوا أخوة كما وصف الله المؤمنين بذلك والتوحيد وإن كان أصل الصلاح فهو أعظم العدل ولهذا قال تعالى { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا نَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ { آل عمران 64 ولهذا كان تخصيصه بالذكر في مثل قوله
{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ { الأعراف 29 لا يمنع أن يكون داخلا في
القسط كما أن ذكر العمل الصالح بعد الإيمان لا يمنع أن يكون
داخلا في الإيمان كما في قوله { وَمَلَأْنَاهُ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ
{ البقرة 98 و { مِنَ النَّبِيِّينَ مِمَّنْ آمَنُوا وَمِنْكَ { الأحزاب 7 هذا إذا
قيل إن إسم الإيمان يتناوله سواء قيل إنه في مثل هذا يكون داخلا
في الأول فيكون مذكورا مرتين أو قيل بل عطفه عليه يقتضى أنه
ليس داخلا فيه هنا وأن كان داخلا فيه منفردا كما قيل مثل ذلك في
لفظ الفقراء والمساكين وأمثال ذلك مما تتنوع دلالاته بالإفراد
والإقتران لكن المقصود إن كل خير فهو داخل في القسط والعدل
وكل شر فهو داخل في الظلم ولهذا كان العدل أمرا واجبا في
كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرما في كل شيء ولكل أحد فلا
يحل ظلم أحد أصلا سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظالما بل
الظلم إنما يباح أو يجب فيه العدل عليه أيضا قال تعالى { يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ
{ المائدة 8 أى لا يحملنكم شَنَاَنُ أى بغض قوم وهم الكفار على
عدم العدل { قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
{ المائدة 8 وقال تعالى { فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا
اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ { البقرة 194 وقال تعالى { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ
مَا عُوِّقْتُمْ بِهِ { النحل 126 وقال تعالى { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
مِّثْلُهَا { الشورى 40 وقد دل على هذا قوله في الحديث يا عبادى
إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا
فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا يظلم أحدا أحدا وأمر العالم فى
الشرعية مبنى على هذا وهو العدل فى الدماء والأموال والإبضاع
والأنساب والأعراض ولهذا جاءت السنة بالقصاص فى ذلك
ومقابلة العادى بمثل فعله لكن المماثلة قد يكون علمها أو عملها
متعذرا ومتعسرا ولهذا يكون الواجب ما يكون أقرب إليها بحسب
الإمكان ويقال هذا أمثل وهذا أشبه وهذه الطريقة المثلى لما كان

أمثل بما هو العدل والحق في نفس الأمر إذ ذلك محجوز عنه ولهذا قال تعالى { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام 152 فذكر أنه لم يكلف نفساً إلا وسعها حين أمر بتوفية الكيل والميزان بالقسط لأن الكيل لا بد له أن يتفضل أحد المكيلين على الآخر ولو بحبة أو حبات وكذلك التفاضل في الميزان قد يحصل بشيء يسير لا يمكن الاحتراز منه فقال تعالى { لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام 152¹⁵¹

إقامة الوجه ضد ازاعته وهو الصراط المستقيم

* وأما قول بعض الفقهاء ان الوجه مشتق من المواجهة فلا دليل عليه بل قد عارضه من قال هو مشتق من الواجهة وكلاهما ضعيف وإنما المواجهة مشتق من الوجه كما أن المشافهة مشتق من الشفة والمناظرة بمعنى المقابلة مشتقة من النظر والمعابنة من العين وأما اشتقاق الوجه الذي هو المتوجه من الوجه الذي هو التوجه فهذا اشبه لأن توجهه هو فعله المختص به الذي لا يفتقر فيه الى غيره بخلاف المواجهة فإنها تستدعي اثنين والانسان هو حارث همام وهمه هو توجهه وإنما يتوجه بهذا العضو الى أى شيء أراده وتوجه اليه ومن هذا الباب قوله تعالى { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ } البقرة 112 وقوله تعالى { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا } النساء 125 وقول الخليل ونبينا والمؤمنين في الصلاة { وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 79 وقوله تعالى { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } الأعراف 29 قال الزجاج في قوله { وَجَّهْتُ وَجْهِيَ } الأنعام 79 أى جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله رب العالمين وكذلك قوله { وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ } الأعراف 29 فان

¹⁵¹ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 157- 165 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 401-420

الوجوه التي هي المقاصد والنيات التي هي عمل القلب وهي أصل الدين تارة تقام وتارة تزاع كما قال النبي ما من قلب من قلوب العباد الا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاغه فإقامة الوجه ضد ازاعته وامالته وهو الصراط المستقيم فإذا قوم قصده وسدده ولم ينحرف يمينا ولا شمالا كان قصده الله رب العالمين كما قال لا شرقية ولا غربية وكذلك قال الربيع بن أنس اجعلوا سجدكم خالصا لله فلا تسجدوا الا لله وروى عن الضحاك وابن قتيبة اذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم أصلى في مسجدي كأنه أراد صلوا لله عند كل مسجد لا تخصصوا مسجدا دون مسجد وعلى هذين القولين يتوجه ما ذكرناه وروى عن مجاهد والسدي وابن زيد توجهوا حيث كنتم في الصلاة الى الكعبة وعلى هذا فإقامة الوجه استقبال الكعبة وهذا فيه نظر فإن هذه الآية مكية والكعبة انما فرضت في المدينة الا أن يراد بإقامة الوجه الاستقبال المأمور به وانما وقع النزاع هنا لقوله تعالى {عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} الأعراف 29 بخلاف قوله تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا} الروم 30¹⁵²

*قال تعالى {وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {111} بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {112} البقرة 111-112 وقوله {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} النساء 125 فقد انكر أن يكون دين أحسن من هذا الدين وهو اسلام الوجه لله مع الاحسان وأخبر ان كل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يخزنون أثبتت هذه الكلمة الجامعة والقضية العامة ردا لم زعم من زعمه أن لا يدخل الجنة الا متهود او منتصر وهذا الوصفان

وهما اسلام الوجه لله والاحسان هما الأصلان المتقدمان وهما كون العمل خالصا لله صوابا موافقا للسنة والشريعة وذلك ان اسلام الوجه لله هو متضمن للقصد ونية الله كما قال بعضهم استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل وقد استعمل هنا أربعة ألفاظ إسلام الوجه واقامة الوجه كقوله تعالى { وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 29 وقوله { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } الروم 30 وتوجيه الوجه كقول الخليل { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 79 وكذلك كان النبي يقول فى دعاء الاستفتاح فى صلاته وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وفى الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول اذا أوى الى فراشه اللهم اسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك فالوجه يتناول المتوجه اليه ويتناول المتوجه نحوه كما يقال أى وجه تريد أى أى وجهة وناحية تقصد وذلك أنهما متلازمان فحيث توجه الإنسان توجه وجهه ووجهه مستلزم لتوجهه وهذا فى باطنه وظاهره جميعا فهذه أربعة أمور والباطن هو الأصل والظاهر هو الكمال والشعار فاذا توجه قلبه الى شئ تبعه وجهه الظاهر فاذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه الى الله فهذا اصلاح ارادته وقصده فاذا كان مع ذلك محسنا فقد اجتمع أن يكون عمله صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهو قول عمر رضى الله عنه اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا والعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به والذى أمر الله به هو الذى شرعه الله وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله فقد أخبر الله تعالى انه من أخلص قصده لله وكان محسنا فى عمله فانه مستحق للثواب سالم من العقاب ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذين الأصلين كقول الفضيل ابن عياض فى قوله تعالى { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } هود 7 قال أخلصه وأصوبه فقيل يا

أبا على ما اخلصه وأصوبه فقال ان العمل اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل واذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وقد روى ابن شاهين واللالكائى عن سعيد بن جبير قال لا يقبل قول وعمل الا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة ورويا عن الحسن البصرى مثله ولفظه لا يصلح مكان يقبل وهذا فيه رد على المرجئة الذين يجعلون مجرد القول كافيا فأخبر أنه لا بد من قول وعمل اذ الايمان قول وعمل لا بد من هذين كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع وبيننا أن مجرد تصديق القلب واللسان مع البغض والاستكبار لا يكون ايمانا باتفاق المؤمنين حتى يفترن بالتصديق عمل وأصل العمل عمل القلب وهو الحب والتعظيم المنفى للبغض والاستكبار ثم قالوا ولا يقبل قول وعمل الا بنية وهذا ظاهر فان القول والعمل اذا لم يكن خالصا لله تعالى لم يقبله الله تعالى ثم قالوا ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة وهى الشريعة وهى ما أمر الله به ورسوله لأن القول والعمل والنية الذى لا يكون مسنونا مشروعا قد أمر الله به يكون بدعة ليس مما يحبه الله فلا يقبله الله ولا يصلح مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب ولفظ السنة فى كلام السلف يتناول السنة فى العبادات وفى الإعتقادات وان كان كثير ممن صنف فى السنة يقصدون الكلام فى الاعتقادات وهذا كقول ابن مسعود وأبى بن كعب وأبى بن كعب وأبى الدرداء رضى الله عنهم اقتصاد فى سنة خير من اجتهاد من اجتهاد فى بدعة وأمثال ذلك والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله الطاهرين وأصحابه أجمعين

153

صلاة الجماعة أعظم شعائر الاسلام

*فإن المساجد هي بيوت الله في الأرض¹⁵⁴

*وأما العبادات في المساجد كالصلاة والقراءة والدعاء ونحو ذلك فقد قال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } البقرة 114 وقال تعالى { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } التوبة 18 الاية وفي الترمذي عن النبي اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمن فان الله تعالى يقول { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } التوبة 18 الاية وقال تعالى { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } الأعراف 29 وقال تعالى { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } الجن 18 وقال تعالى { فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } النور 36 الاية وقال تعالى { وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ } البقرة 187 وفي الصحيحين عنه أنه قال صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين درجة وفي لفظ صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم بخمس وعشرين درجة وفي الصحيح عنه أنه قال انقل الصلاة على المنافقين صلاة

¹⁵⁴الجواب الصحيح ج: 2 ص: 219

العشاء وصلاة الفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق برجال معي معهم حزم من حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال أتى النبي رجل أعمى فقال يا رسول الله إنه ليس لى قائد يقودنى الى المسجد فسأل رسول الله أن يرخص له فيصلى فى بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال هل تسمع النداء بالصلاة قال نعم قال فأجب وفيه أيضا عن أبى سعيد رضى الله عنه قال من سره أن يلقى الله غدا مسلما فيحافظ على هذه الصلوات حيث ينادى بهن فان الله شرع لنبىكم سنن الهدى وانهن من سنن الهدى ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبىكم ولو تركتم سنة نبىكم لضللتم وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد الى مسجد من هذه المساجد الا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها خطيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام فى
الصف¹⁵⁵

*اتفق العلماء على أن صلاة الجماعة من أوكد العبادات وأجل الطاعات وأعظم شعائر الاسلام وعلى ما ثبت فى فضلها النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال تفضل صلاة الرجل فى الجماعة على صلاته وحده بخمس وعشرين درجة هكذا فى حديث أبى هريرة وأبى سعيد بخمس وعشرين ومن حديث ابن عمر بسبع وعشرين والثلاثة فى الصحيح وقد جمع بينهما بأن حديث الخمس والعشرين ذكر فيه الفضل الذى بين صلاة المنفرد والصلاة فى الجماعة والفضل خمس وعشرون وحديث السبعة والعشرين ذكر فيه صلاته منفردا وصلاته فى الجماعة

155 مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 524-525 و مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 78

والفضل بينهما فصار المجموع سبعا وعشرين ومن ظن من المنتسكة أن صلاته وحده أفضل إما في خلوته وإما في غير خلوته فهو مخطئ ضال وأضل منه من لم ير الجماعة إلا خلف الإمام المعصوم فعطل المساجد عن الجمع والجماعات التي أمر الله بها ورسوله وعمر المشاهد بالبدع والضلالات التي نهى الله عنها ورسوله وصار مشابها لمن نهى عن عبادة الرحمن وأمر بعبادة الأوثان فإن الله سبحانه شرع الصلاة وغيرها في المساجد كما قال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا } البقرة 114 وقال تعالى { وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ } البقرة 187 وقال تعالى { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 29 وقال تعالى { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ } التوبة 17 إلى قوله { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامِ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } التوبة 18 وقال تعالى { فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } 36 { رَجَالٌ لَا لُتْهِمَهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } 37 { النور 36- 37 وقال تعالى { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } الجن 18 وقال تعالى { وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا } الحج 40 وأما مشاهد القبور ونحوها فقد اتفق أئمة المسلمين على أنه ليس من دين الإسلام أن تخص بصلاة أو دعاء أو غير ذلك ومن ظن أن الصلاة والدعاء والذكر فيها أفضل منه في المساجد فقد كفر بل تواترت السنن بالنهي عن اتخاذها لذلك كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة ولولا ذلك ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجدا وفي الصحيحين أيضا أنه ذكر له كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الحسن والتصاوير فقال أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على

قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاویر أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وثبت عنه في صحيح مسلم من حديث جندب أنه قال قبل أن يموت بخمس أن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك وفي المسند عنه أنه قال أن من شرار الخلق من تدرکهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد وفي موطأ مالك عنه أنه قال اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد أشد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي السنن عنه أنه قال لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني والمقصود هنا أن أئمة المسلمين متفقون على أن إقامة الصلوات الخمس في المساجد هي من أعظم العبادات وأجل القربات ومن فضل تركها عليها إثارة للخلوّة والانفراد على الصلوات الخمس في الجماعات أو جعل الدعاء والصلاة في المشاهد أفضل من ذلك في المساجد فقد انخلع من ربة الدين واتبع غير سبيل المؤمنين { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } النساء 115 ولكن تنازع العلماء بعد ذلك في كونها واجبة على الأعيان أو على الكفاية أو سنة مؤكدة على ثلاثة أقوال فقيل هي سنة مؤكدة ولكن تنازع العلماء بعد ذلك في كونها واجبة على الأعيان أو على الكفاية أو سنة مؤكدة على ثلاثة أقوال فقيل هي سنة مؤكدة فقط وهذا هو المعروف عن أصحاب أبي حنيفة وأكثر أصحاب مالك وكثير من أصحاب الشافعي ويذكر رواية عن أحمد وقيل هي واجبة على الكفاية وهذا هو المرجح في مذهب الشافعي وقول بعض أصحاب مالك وقول في مذهب أحمد وقيل هي واجبة على الأعيان وهذا هو المنصوص عن أحمد وغيره من أئمة السلف وفقهاء الحديث وغيرهم وهؤلاء تنازعوا فيما إذا صلى منفرداً لغير عذر هل تصح صلاته على قولين أحدهما لا تصح وهو قول طائفة من قدماء أصحاب أحمد ذكره القاضي أبو يعلى في شرح المذهب عنهم وبعض

متأخريهم كابن عقيل وهو قول طائفة من السلف واختاره ابن حزم وغيره والثاني تصح مع إثمه بالترك وهذا هو المأثور عن أحمد وقول أكثر أصحابه والذين نفوا الوجوب احتجوا بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة على صلاة الرجل وحده قالوا ولو كانت واجبة لم تصح صلاة المنفرد ولم يكن هناك تفضيل وحملوا ما جاء من هم النبي صلى الله عليه وسلم بالتحريق على من ترك الجمعة أو على المنافقين الذين كانوا يتخلفون عن الجماعة مع النفاق وأن تحريقهم كان لأجل النفاق لا لأجل ترك الجماعة مع الصلاة في البيوت وأما الموجبون فاحتجوا بالكتاب والسنة والآثار أما الكتاب فقوله تعالى { وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتُنْفِئَهُ مِّنْهُم مَّعَكَ } النساء 102 الآية وفيها دليلان أحدهما أنه أمرهم بصلاة الجماعة معه في حال الخوف وذلك دليل على وجوبها حال الخوف وهو يدل بطريق الأولى على وجوبها حال الأمن الثاني أنه سن صلاة الخوف جماعة وسوغ فيها ما لا يجوز لغير عذر كاستدبار القبلة والعمل الكثير فإنه لا يجوز لغير عذر بالاتفاق وكذلك مفارقة الإمام قبل السلام عند الجمهور وكذلك التخلف عن متابعة الإمام كما يتخلف الصف المؤخر بعد ركوعه مع الإمام إذا كان العدو أمامهم قالوا وهذه الأمور تبطل الصلاة لو فعلت لغير عذر فلو لم تكن الجماعة واجبة بل مستحبة لكان قد التزم فعل محذور مبطل للصلاة وتركت المتابعة الواجبة في الصلاة لأجل فعل مستحب مع أنه قد كان من الممكن أن يصلوا وحدانا صلاة تامة فعلم أنها واجبة وأيضا فقول تعالى { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِيْنَ } البقرة 43 إما أن يراد به المقارنة بالفعل وهي الصلاة جماعة وإما أن يراد به ما يراد بقوله { وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِيْنَ } التوبة 119 فإن أريد الثاني لم يكن فرق بين قوله صلوا مع المصلين وصوموا مع الصائمين واركعوا مع الراكعين والسياق يدل على اختصاص الركوع بذلك فإن قيل فالصلاة كلها تفعل في الجماعة قيل خص الركوع بالذكر لأنه تدرك به الصلاة فمن أدرك الركعة فقد أدرك السجدة

فأمر بما يدرك به الركعة كما قال لمريم { اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي
وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } آل عمران 43 فإنه لو قيل اقنتي مع
القانتين لدل على وجوب إدراك القيام ولو قيل اسجدي لم يدل على
وجوب إدراك الركوع بخلاف قوله { وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ } آل
عمران 43 فإنه يدل على الأمر بإدراك الركوع وما بعده دون
ماقبله وهو المطلوب وأما السنة فالأحاديث المستفيضة في هذا
الباب مثل حديث أبي هريرة المتفق عليه عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم أمر رجلاً فيصلي
بالناس ثم انطلق إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم
بالنار فهم بتحريق من لم يشهد الصلاة وفي لفظ قال أثقل
الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما
لأتوهما ولو حبوا ولقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام الحديث
وفي المسند وغيره لولا ما في البيوت من النساء والذرية
لأمرت أن تقام الصلاة الحديث فبين أنه هم بتحريق البيوت على
من لم يشهد الصلاة وبين أنه إنما منعه من ذلك من فيها من النساء
والذرية فإنهم لا يجب عليهم شهود الصلاة وفي تحريق البيوت قتل
من لا يجوز قتله وكان ذلك بمنزلة إقامة الحد على الحبلى وقد قال
سبحانه وتعالى { وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمُ
أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُنصِبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةً بَغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ
يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً } الفتح 25 ومن
حمل ذلك على ترك شهود الجمعة فسياق الحديث يبين ضعف قوله
حيث ذكر صلاة العشاء والفجر ثم أتبع ذلك بهمه بتحريق من لم
يشهد الصلاة وأما من حمل العقوبة على النفاق لا على ترك
الصلاة فقوله ضعيف لأوجه أحدها أن النبي صلى الله عليه وسلم
ما كان يقتل المنافقين إلا على الأمور الباطنة وإنما يعاقبهم على ما
يظهر منهم من ترك واجب أو فعل محرم فلولا أن في ذلك ترك
واجب لما حرقهم الثاني أنه رتب العقوبة على ترك شهود الصلاة
فيجب ربط الحكم بالسبب الذي ذكره الثالث أنه سيأتي إن شاء الله
حديث ابن أم مكتوم حيث استأذنه أن يصلي في بيته فلم يأذن له

وابن أم مكتوم رجل مؤمن من خيار المؤمنين أثنى عليه القرآن وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستخلفه على المدينة وكان يؤذن للنبي صلى الله عليه وسلم الرابع إن ذلك حجة على وجوبها أيضا كما قد ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود أنه قال من سره أن يلقي الله غدا مسلما فليصل هذه الصلوات الخمس في المساجد التي ينادى بهن فإن الله شرع سنة من سنن الهدى وإن هذه الصلوات الخمس في المساجد التي ينادى إليها بعض من سنة الهدى وإنكم لو صليتم في بيوتكم كما صلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف الإيجاب للجماعة مع كون الرجل مؤمنا وأما احتجاجهم بتفضيل صلاة الرجل في الجماعة على صلاته وحده فعنه جوابان مبنيان على صحة صلاة المنفرد لغير عذر فمن صحح صلاته قال الجماعة واجبة وليست شرطا في الصحة كالوقت فإنه لو أجز العصر إلى وقت الاضطرار كان أثما مع كون الصلاة صحيحة بل وكذلك لو أخرها إلى أن يبقى مقدار ركعة كما ثبت في الصحيح من أدرك ركعة من العصر فقد أدرك العصر قال والتفضيل لا يدل على أن المفضل جائر فقد قال تعالى { إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ } الجمعة 9 فجعل السعي إلى الجمعة خيرا من البيع والسعي واجب والبيع حرام وقال تعالى { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } النور 30 ومن قال لا تصح صلاة المنفرد إلا لعذر احتج بأدلة الوجوب قال وما ثبت وجوبه في الصلاة كان شرطا في الصحة كسائر الواجبات وأما الوقت فإنه لا يمكن تلافيه فإذا فات لم يكن فعل الصلاة فيه فنظير ذلك فوت الجمعة وفوت الجماعة التي لا يمكن استدارتها فإذا فوت الجمعة الواجبة كان أثما وعليه الظهر إذ لا يمكن سوى ذلك وكذلك من فوت الجماعة الواجبة التي يجب عليه شهودها وليس هناك جماعة أخرى فإنه

يصلي منفردا لغير عذر وتصح صلاته هنا لعدم امكان صلاته
جماعة كما يصح الظهر ممن تفوته الجمعة وليس وبالجمعة وإنما
الكلام فيمن صلى في بيته منفردا لغير عذر ثم أقيمت الجماعة فهذا
عندهم عليه أن يشهد الجماعة كمن صلى الظهر قبل الجمعة عليه
أن يشهد الجمعة واستدلوا على ذلك بحديث أبي هريرة الذي في
السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم من سمع النداء ثم لم يجب
من غير عذر فلا صلاة له ويؤيد ذلك قوله لا صلاة لجار
المسجد إلا في المسجد فإن هذا معروف من كلام علي وعائشة
وأبي هريرة وابن عمر وقد رواه الدارقطني وغيره مرفوعا إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وقوى ذلك بعض الحفاظ قالوا ولا
يعرف في كلام الله ورسوله حرف النفي دخل على فعل شرعي إلا
لترك واجب فيه كقوله لا صلاة إلا بأمر القرآن ولا إيمان
لمن لا أمانة له ونحو ذلك وأجاب هؤلاء عن حديث التفضيل
بأن قالوا هو محمول على المعذور كالمريض ونحوه فإن هذا
بمنزلة قوله صلى الله عليه وسلم صلاة القاعد على النصف من
صلاة القائم وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد وأن
تفضيله صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده كتفضيله صلاة
القائم على صلاة القاعد ومعلوم أن القيام واجب في صلاة الفرض
دون النفل كما أن الجماعة واجبة في صلاة الفرض دون النفل
وتمام الكلام في ذلك أن العلماء تنازعوا في هذا الحديث هل
المراد بهما المعذور أو غيره على قولين فقالت طائفة المراد بهما
غير المعذور قالوا لأن المعذور أجره تام بدليل ما ثبت في
الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان
يعمله وهو صحيح مقيم قالوا فإذا كان المريض والمسافر يكتب
لهما ما كانا يعملان في الصحة والإقامة فكيف تكون صلاة
المعذور قاعدا أو منفردا دون صلاته في الجماعة قائما وحمل
هؤلاء تفضيل صلاة القائم على النفل دون الفرض لأن القيام في
الفرض واجب ومن قال هذا القول لزمه أن يجوز تطوع الصحيح

مضطجعا من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له ويؤيد ذلك قوله لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد فإن هذا معروف من كلام علي وعائشة وأبي هريرة وابن عمر وقد رواه الدارقطني وغيره مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقوى ذلك بعض الحفاظ قالوا ولا يعرف في كلام الله ورسوله حرف النفي دخل على فعل شرعي إلا لترك واجب فيه كقوله لا صلاة إلا بأمر القرآن ولا إيمان لمن لا أمانة له ونحو ذلك وأجاب هؤلاء عن حديث التفضيل بأن قالوا هو محمول على المعذور كالمريض ونحوه فإن هذا بمنزلة قوله صلى الله عليه وسلم صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد وأن تفضيله صلاة الرجل في جماعة على صلاته وحده كتفضيله صلاة القائم على صلاة القاعد ومعلوم أن القيام واجب في صلاة الفرض دون النفل كما أن الجماعة واجبة في صلاة الفرض دون النفل وتام الكلام في ذلك أن العلماء تنازعوا في هذا الحديث هل المراد بهما المعذور أو غيره على قولين فقالت طائفة المراد بهما غير المعذور قالوا لأن المعذور أجره تام بدليل ما ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قالوا فإذا كان المريض والمسافر يكتب لهما ما كانا يعملان في الصحة والإقامة فكيف تكون صلاة المعذور قاعدا أو منفردا دون صلاته في الجماعة قائما وحمل هؤلاء تفضيل صلاة القائم على النفل دون الفرض لأن القيام في الفرض واجب ومن قال هذا القول لزمه أن يجوز تطوع الصحيح مضطجعا لأنه قد ثبت أنه قال ومن صلى قاعدا فله نصف أجر القائم وقد طرد هذا الدليل طائفة من متأخري أصحاب الشافعي وأحمد وجوزوا أن يتطوع الرجل مضطجعا لغير عذر لأجل هذا الحديث ولتعدر حمله على المريض كما تقدم ولكن أكثر العلماء أنكروا ذلك وعدوه بدعة وحدثا في الإسلام وقالوا لا يعرف أن أحدا قط صلى في الإسلام

على جنبه وهو صحيح ولو كان هذا مشروعا لفعله المسلمون على عهد نبيهم صلى الله عليه وسلم أو بعده ولفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولو مرة لتبيين الجواز فقد كان يتطوع قاعدا ويصلي على راحلته قبل أي وجه توجهت به ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة فلو كان هذا سائغا لفعله ولو مرة أو لفعله أصحابه وهؤلاء الذين أنكروا هذا مع ظهور حجتهم قد تناقض من لم يوجب الجماعة منهم حيث حملوا قوله تفضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين درجة على أنه أراد غير المعذور فيقال لهم لم كان التفضيل هنا في حق غير المعذور والتفضيل هناك في حق المعذور وهل هذا إلا تناقض وأما من أوجب الجماعة وحمل التفضيل على المعذور فطرد دليله وحينئذ فلا يكون في الحديث حجة على صحة صلاة المنفرد لغير عذر وأما ما احتج به منازعهم من قوله إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم فجوابهم عنه أن هذا الحديث دليل على أنه يكتب له مثل الثواب الذي كان يكتب له في حال الصحة والإقامة لأجل نيته له وعجزه عنه بالعذر وهذه قاعدة الشريعة أن من كان عازما على الفعل عازما جازما وفعل ما يقدر عليه منه كان بمنزلة الفاعل فهذا الذي كان له عمل في صحته وإقامته عزمه أن يفعله وقد فعل في المرض والسفر ما أمكنه فكان بمنزلة الفاعل كما جاء في السنن فيمن تطهر في بيته ثم ذهب إلى المسجد ليدرك الجماعة فوجدها قد فاتت أنه يكتب له أجر صلاة الجماعة وكما ثبت في الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم إن بالمدينة لرجالا ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم العذر وقد قال تعالى {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} النساء 95 الآية فهذا ومثله يبين أن المعذور يكتب له مثل ثواب الصحيح إذا كانت نيته أن يفعل وقد عمل ما يقدر عليه وذلك لا يقتضي أن يكون نفس عمله مثل عمل الصحيح فليس في

الحديث أن صلاة المريض نفسها في الأجر مثل صلاة الصحيح
ولا أن صلاة المنفرد المعذور في نفسها مثل صلاة الرجل في
الجماعة وإنما فيه أن يكتب له من العمل ما كان يعمل وهو صحيح
مقيم كما يكتب له أجر صلاة الجماعة إذا فاتته مع قصده لها وأيضا
فليس كل معذور يكتب له مثل عمل الصحيح وإنما يكتب له إذا
كان يقصد عمل الصحيح ولكن عجز عنه فالحديث يدل على أنه
من كان عادته الصلاة في جماعة والصلاة قائما ثم ترك ذلك
لمرضه فإنه يكتب له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم وكذلك من
تطوع على الرحلة في السفر وقد كان يتطوع في الحضر قائما
يكتب له ما كان يعمل في الإقامة فأما من لم تكن عادته الصلاة في
جماعة ولا الصلاة قائما إذا مرض فصلى وحده أو صلى قاعدا
فهذا لا يكتب له مثل صلاة المقيم الصحيح ومن حمل الحديث على
غير المعذور يلزمه أن يجعل صلاة هذا قاعدا مثل صلاة القائم
وصلاته منفردا مثل الصلاة في جماعة وهذا قول باطل لم يدل
عليه نص ولا قياس ولا قاله أحد وأيضا فيقال تفضيل النبي صلى
الله عليه وسلم لصلاة الجماعة على صلاة المنفرد ولصلاة القائم
على القاعد والقاعد على المضطجع إنما دل على فضل هذه
الصلاة على هذه الصلاة حيث يكون كل من الصلاتين صحيحة أما
كون هذه الصلاة المفضولة تصح حيث تصح تلك أو لا تصح
فالحديث لم يدل عليه بنفي ولا إثبات ولا سيق الحديث لأجل بيان
صحة الصلاة وفسادها بل وجوب القيام والعود وسقوط ذلك
وجوب الجماعة وسقوطها يتلقى من أدلة أخرى وكذلك أيضا
كون هذا المعذور يكتب له تمام عمله أو لا يكتب له لم يتعرض له
هذا الحديث بل يتلقى من أحاديث أخرى وقد بينت سائر النصوص
أن تكميل الثواب هو لمن كان يعمل العمل الفاضل وهو صحيح
مقيم لا لكل أحد وبينت نصوص أخر وجوب القيام في الفرض
كقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فإن
لم تستطع فاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب وبين جواز التطوع
قاعدا لما رآهم وهم يصلون قعودا فأقرهم على ذلك وكان يصلي

قاعدا مع كونه كان يتطوع على الرحلة في السفر كذلك تثبت نصوص آخر وجوب الجماعة فيعطي كل حديث بينت حقه فليس بينها تعارض ولا تناف وإنما يظن التعارض والتنافي من حملها ما لا تدل عليه ولم يعطها حقه بسوء نظره وتأويله والله أعلم¹⁵⁶

أن مسجد الرسول وغيره من المساجد فضيلتها بكونها بيوت الله التي بنيت لعبادته والمساجد الثلاثة لها فضل على ما سواها فإنها بناها أنبياء ودعوا الناس إلى السفر إليها فالخليل دعا إلى المسجد الحرام وسليمان دعا إلى بيت المقدس ونبينا دعا إلى الثلاثة إلى مسجده والمسجدين ولكن جعل السفر إلى المسجد الحرام فرضا والآخريين تطوعا وإبراهيم وسليمان لم يوجبا شيئا ولا أوجب الخليل الحج ولهذا لم يكن بنوا إسرائيل يحجون ولكن حج موسى ويونس وغيرهما ولهذا لم يكن الحج واجبا في أول الإسلام وإنما وجب في سورة آل عمران بقوله تعالى {وَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

الْبَيْتِ { آل عمران 97¹⁵⁷

المشاهد المبنية على القبور من البدع المحدثه المحرمة

*في صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله قال سمعت رسول النبي قبل أن يموت بخمس وهو يقول إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد إلا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقد اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء هذه المشاهد على القبور ولا يشرع إتخاذها مساجد ولا يشرع الصلاة عندها ولا يشرع قصدتها لأجل التعبد عندها بصلاة أو إعتكاف أو إستغاثه أو إبتهاه أو نحو ذلك وكرهوا الصلاة عندها ثم إن كثيرا منهم قال إن

¹⁵⁶الفتاوى الكبرى ج: 2 ص:432- 440 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 113 و مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 222

¹⁵⁷مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 264

الصلاة عندها باطله لأجل نهى النبي عنها وإنما السنة لمن زار قبر مسلم ميت إما نبي أو رجل صالح أو غيرهما أن يسلم عليه ويدعو له بمنزلة الصلاة على جنازته كما جمع الله بين هذه حيث يقول في المنافقين { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } التوبة 84 فكان دليل الخطاب أن المؤمنين يصلى عليهم ويقام على قبورهم وفي السنن أن النبي إذا دفن الميت من أصحابه يقوم على قبره ثم يقول سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل وفي الصحيح أنه كان يعلم أصحابه أن يقولوا إذا زاروا القبور السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم وإغفر لنا ولهم وإنما دين الله تعظيم بيوت الله وحده لا شريك له وهى المساجد التى تشرع فيها الصلوات جماعة وغير جماعة والإعتكاف وسائر العبادات البدنية والقلبية من القراءة والذكر والدعاء لله قال الله تعالى { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } الجن 18 وقال تعالى { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } الأعراف 29 وقال تعالى { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } التوبة 18 وقال تعالى { فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } 36 { رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } 37 { لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } 38 { النور 36-38 وقال أيضا في الحديث الصحيح من تطهر في بيته فأحسن الطهور ثم خرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة كانت خطواته إحداها ترفع درجة والأخرى تحط خطيئة فإذا جلس ينتظر الصلاة فالعبد في صلاة ما دام ينتظر الصلاة والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه

اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث فهذا دين المسلمين الذين يعبدون الله مخلصين له الدين وأما إتخاذ القبور أوثانا فهو دين المشركين الذي نهى عنه سيد المرسلين والله تعالى يصلح حال جميع المسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد ¹⁵⁸

*كان السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وغيرهم من أئمة المسلمين منفقين على ما دل عليه الكتاب والسنة من أحوال الأنبياء لا يعرف عن أحد منهم القول بما أحدثته المعتزلة والرافضة ومن تبعهم في هذا الباب بل كتب التفسير والحديث والآثار والزهد وأخبار السلف مشحونة عن الصحابة والتابعين بمثل ما دل عليه القرآن وليس فيهم من حرف الآيات كتحريف هؤلاء ولا من كذب بما في الأحاديث كتكذيب هؤلاء ولا من قال هذا يمنع الوثوق أو يوجب التفسير ونحو ذلك كما قال هؤلاء بل أقوال هؤلاء الذين غلوا بجهل من الأقوال المبتدعة في الإسلام وهم قصدوا تعظيم الأنبياء بجهل كما قصدت النصارى تعظيم المسيح وأحبارهم ورهبانهم بجهل فأشركوا بهم واتخذوهم أربابا من دون الله وأعرضوا عن اتباعهم فيما أمرهم به ونهواهم عنه وكذلك الغلاة في العصمة يعرضون عما أمروا به من طاعة أمرهم والإقتداء بأفعالهم إلى ما نهوا عنه من الغلو والإشراك بهم فيتخذونهم أربابا من دون الله يستغيثون بهم في مغيبهم وبعد مماتهم وعند قبورهم ويدخلون فيما حرمه الله تعالى ورسوله من العبادات الشركية التي ضاهوا بها النصارى وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوه قالت عائشة رضي الله عنها ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره أن يتخذ مسجداً وفي الصحيحين أيضاً أنه ذكر له في مرضه كنيسة بأرض الحبشة وذكر حسنهما وتساوير فيها فقال إن أولئك إذا مات فيهم الرجل

الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة وفي صحيح مسلم عن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل أن يموت بخمس ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك وإني أبرأ إلى كل خليل من خليله ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله يعنى نفسه وفي السنن عنه أنه قال لا تتخذوا قبوري عيداً وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني وفي الموطأ وغيره أنه قال اللهم لا تجعل قبوري وثناً يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وفي المسند وصحيح أبي حاتم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد وفي صحيح مسلم عن أبي هياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن لا أدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأرسل علي في خلافته من يفعل مثل ما أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يسوى القبور المشرفة ويطمس التماثيل فإن هذه وهذه من أسباب الشرك وعبادة الأوثان قال الله تعالى { لَا تَدْرُسْ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُسْ وَدّاً وَلَا سُوءاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسراً } {23} وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالاً } {24} نوح 23 24 قال غير واحد من السلف كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا وعكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم من دون الله فالمشاهد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين من العامة ومن أهل البيت كلها من البدع المحدثه المحرمة في دين الإسلام وإنما أمر الله أن يقصد لعبادته وحده لا شريك له المساجد لا المشاهد قال الله تعالى { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } الأعراف 29 وقال تعالى { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ

أَنْ يَعْمرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ
 أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ {17} إِنَّمَا يَعْمرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ
 أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ {18} التوبة 17- 18 وقال تعالى
 {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} الجن 18 ومثل هذا في
 القرآن كثير وزيارة القبور على وجهين زيارة أهل التوحيد
 المتبعين للرسول وزيارة أهل البدع والشرك فالأولى مقصودها
 أن يسلم على الميت ويدعى له وزيارة قبره بمنزلة الصلاة عليه إذا
 مات يقصد بها الدعاء له والله سبحانه يثيب هذا الداعي له عند قبره
 كما يثيب الداعي إذا صلى عليه وهو على سريره والثانية
 مقصودها أن يطلب منه الحوائج أو يقسم على الله أو يظن أن دعاء
 الله عند قبره أقرب إلى الإجابة فهذا كله من البدع المنكرة باتفاق
 أئمة المسلمين ولم يكن شيء من هذا على عهد الرسول صلى الله
 عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان بل كان المسلمون لما
 فتحوا أرض الشام والعراق وغيرهما إذا وجدوا قبرا يقصد الدعاء
 عنده غيبوه كما وجدوا بتستر قبر دانيال فحفروا له بالنهار ثلاثة
 عشر قبرا ودفنوه بالليل في واحد منها وكان مكشوفاً وكان الكفار
 يستسقون به فغيبه المسلمون لأن هذا من الشرك وفي صحيح
 مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تجلسوا على القبور ولا
 تصلوا إليها فنهى عن الصلاة إليها لما فيه من مشابهة المشركين
 الذين يسجدون لها وفي السنن والمسند قال الأرض كلها مسجد إلا
 المقبرة والحمام والسبب الذي من أجله نهى عن الصلاة في
 المقبرة في أصح قولي العلماء هو سد ذريعة الشرك كما نهى عن
 الصلاة وقت طلوع الشمس وقت غروبها فإنها تطلع بين قرني
 شيطان والمشركون يسجدون لها حينئذ فنهى عن قصد الصلاة في
 هذا الوقت لما في ذلك من المشابهة لهم في الصورة وإن اختلف
 القصد كذلك نهى عن الصلاة في المقبرة لله لما فيه من مشابهة
 من يتخذ القبور مساجد وأن المصلى الله لا يقصد ذلك سدا للذريعة
 فأما إذا قصد ليصلي هناك ليدعوا عند القبور ظنا أن هذا الدعاء

هناك أجوب فهذا ضلال بإجماع المسلمين وهو مما حرمه الله
ورسوله وأبلغ من ذلك أن يدعى ويقسم على الله بالميت وأبلغ
من ذلك أن يسأل الله به ونحو ذلك وأبلغ من ذلك أن يسافر إليه من
مكان بعيد لهذا القصد أو ينذر له أو لمن عنده دهن أو شمع أو
ذهب أو فضة أو قناديل أو ستور فهذا كله من نذور أهل الشرك
ولا يجوز مثل هذا النذر باتفاق المسلمين ولا الوفاء به كما ثبت في
صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من نذر أن
يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه ولا يجوز أن
ينذر أحد إلا طاعة ولا يجوز أن ينذرها إلا لله فمن نذر لغير الله
فهو مشرك كمن صام لغير الله وسجد لغير الله ومن حج إلى قبر
من القبور فهو مشرك بل لو سافر إلى مسجد لله غير المساجد
الثلاثة ليعبد الله فيها كان عاصيا لله ورسوله فكيف إذا سافر إلى
غير الثلاثة ليشرك بالله وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد وأبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشدوا الرحال إلا
إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا
ولهذا قال غير واحد من العلماء إن السفر لزيارة المشاهد سفر
معصية ومن لم يجوز القصر في سفر المعصية منهم من لم يجوزه
لا سيما إذا سمي ذلك حجا وصنفت فيه مصنفات وسميت مناسك
حج المشاهد ومن هؤلاء من يفضل قصد المشاهد وحجها والسفر
إليها على حج بيت الله الحرام الذي فرض الله حجه على الناس
وهذا أمر قد وقع فيه الغلاة في المشايخ والأئمة المنتسبين إلى
السنة وإلى الشيعة حتى أن الواحد من هؤلاء في بيته يصلى الله
الصلاة المفروضة بقلب غافل لاه ويقرأ القرآن بلا تدبر ولا خشوع
وإذا زار قبر من يغلو فيه بكى وخشع واستكان وتضرع وانتحب
ودمع كما يقع إذا سمع المكاء والتصديّة الذي كان للمشركين عند
البيت وكثير من هؤلاء لا يحج لأجل ما أمر الله به ورسوله من
حج البيت العتيق بل لقصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم كما
يزور شيوخه وأئمة ونحو ذلك والأحاديث المأثورة عن النبي
صلى الله عليه وسلم في زيارة قبره كلها ضعيفة بل موضوعة فلم

يخرج أهل الصحيحين والسنن المشهورة شيئا منها ولا استدل بشيء منها أحد من أئمة المسلمين وإنما اعتمدوا على ما رواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من رجل يسلم على إلا رد الله على روعي حتى أُرِدَ عليه السلام وقد ذكر ابن عبد البر هذا عاما مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبينه فقال ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وفي النسائي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله وكل بقبري ملائكة تبلغني عن أمتي السلام وفي السنن سنن أبي داود وغيره عن أوس الثقفي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي قالوا كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي قد صرت رميما فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء فهذا المعروف عنه في السنن هو الصلاة والسلام عليه كما أمر الله تعالى بذلك في كتابه بقوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } الأحزاب 56 وقد ثبت في الصحيح أنه قال من صلى علي مرة صلى الله عليه عَشْرًا لكن إذا صلى وسلم عليه من بعيد بلغ ذلك وإذا سلم عليه من قريب سمع هو سلام المسلم عليه ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم إذا أتى أحدهم قبره سلم عليه وعلى صاحبيه كما كان ابن عمر يقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أباه ولم يكن أحد منهم يقف يدعو لنفسه مستقبل القبر ولهذا اتفق الأئمة الأربعة وغيرهم على أنه إذا سلم عليه وأراد أن يدعو استقبال القبلة ودعا ولا يدعو مستقبل القبر ثم قالت طائفة كأبي حنيفة إذا سلم عليه يستقبل القبلة أيضا ويستدير القبر ويجعله عن يساره وقال الأكثرون مالك والشافعي وأحمد وغيرهم بل عند السلام يستقبل القبر ويستدير الكعبة وأما عند الدعاء فإنما يدعو الله وحده كما يصلي لله وحده فيستقبل القبلة كما يستقبل القبلة إذا دعا بعرفة والصفاء والمروة وعند الجمرات وكره مالك بن أنس وغيره أن يقول القائل زرت قبر النبي صلى

الله عليه وسلم وذلك أن هذا اللفظ قد يراد به ما هو منهي عنه من الزيارة البدعية كالزيارة لطلب الحوائج منه فكرهوا أن يتكلم بلفظ يتضمن شركاً أحدثه الناس في هذا اللفظ من المعاني الفاسدة وإن كان لفظ الزيارة إذا عني به الزيارة الشرعية لا بأس به وذكر مالك أنه لم ير أحداً من السلف يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لنفسه وغير هذا من البدع وقال إنما يصلح آخر هذه الأمة ما أصح أولها ومالك قد أدرك التابعين بالمدينة وغيرها وهم كانوا أعلم خلق الله إذ ذاك بما يجب من حق الله وحق رسوله فإذا كان هذا في حق خير خلق الله وأكرمهم على الله وسيد ولد آدم وصاحب لواء الحمد الذي آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة وهو خطيب الأنبياء إذا وفدوا على ربهم وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وهو صاحب المقام المحمود يوم القيامة الذي يغبطه به الأولون والآخرين¹⁵⁹ واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي ولا يقبله وهذا كله محافظة على التوحيد فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى {وَقَالُوا لَا تَدْرُسْ إِلَهَتِكُمْ وَلَا تَدْرُسْ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} نوح 23 قالوا هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا على صورهم تماثيل ثم طال عليهم الأمد فعبدوها وقد ذكر البخاري في صحيحه هذا المعنى عن ابن عباس وذكره محمد بن جرير الطبري وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف وذكره وثيمة وغيره في قصص الأنبياء من عدة طرق وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع وأول من وضع هذه الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور أهل البدع من الرافضة ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد يدعون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه ويعبد وحده لا شريك له ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً فإن

¹⁵⁹ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 435-445

الكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد كما قال تعالى
{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } {الأعراف 29} وقد ثبت عنه
 في الصحيح أنه كان يقول إن من كان قبلكم كانوا يتخذون
 القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك
 160

الرافضة بدلوا دين الله فعمرُوا المشاهد وعللوا المساجد

*وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا
 تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها وقد ثبت في صحيح مسلم
 وغيره عن أبي الهياج الأسيدي قال قال لي علي بن أبي طالب ألا
 أبعتك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أدع
 قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته فقرن بين طمس
 التماثيل وتسوية القبور المشرفة لأن كليهما ذريعة إلى الشرك كما
 في الصحيحين أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا النبي صلى الله عليه
 وسلم كنيسة رأيتها بأرض الحبشة وذكرتا من حسناتها وتصاوير
 فيها فقال إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره
 مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير أولئك شرار الخلق عند الله يوم
 القيامة والله أمر في كتابه بعمارة المساجد ولم يذكر المشاهد
 فالرافضة بدلوا دين الله فعمرُوا المشاهد وعللوا المساجد مضاهاة
 للمشركين ومخالفة للمؤمنين قال تعالى **{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**
وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } {الأعراف 29} لم يقل عند كل
 مشهد وقال **{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ**
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ
خَالِدُونَ } {17} **{ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ {18} التوبة 17- 18 ولم يقل إنما يعمر مشاهد الله بل عمار المشاهد يخشون بها غير الله ويرجون غير الله وقال تعالى {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} الجن 18 ولم يقل وأن المشاهد لله وقال {وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا} الحج 40 ولم يقل ومشاهد وقال { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } {36} رَجَالٌ لَا لُتُهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ } {37} النور 36- 37 وأيضا فقد علم بالنقل المتواتر بل علم بالإضطرار من دين الإسلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرع لأئمة عمارة المساجد بالصلوات والاجتماع للصلوات الخمس ولصلاة الجمعة والعديد وغير ذلك وأنه لم يشرع لأئمة أن يبنوا على قبر نبي ولا رجل صالح لا من أهل البيت ولا غيرهم لا مسجدا ولا مشهدا ولم يكن على عهده صلى الله عليه وسلم في الإسلام مشهد مبني على قبر وكذلك على عهد خلفائه الراشدين وأصحابه الثلاثة وعلي بن أبي طالب ومعاوية لم يكن على عهدهم مشهد مبني لا على قبر نبي ولا غيره لا على قبر إبراهيم الخليل ولا على غيره بل لما قدم المسلمون إلى الشام غير مرة ومعهم عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهم ثم لما قدم عمر لفتح بيت المقدس ثم لما قدم لوضع الجزية على أهل الذمة ومشارطتهم ثم لما قدم إلى سرغ ففي جميع هذه المرات لم يكن أحدهم يقصد السفر إلى قبر الخليل ولا كان هناك مشهد بل كان هناك البناء المبني على المغارة وكان مسدودا بلا باب له مثل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم لم يزل الأمر هكذا في خلافة بني أمية وبني العباس إلى أن ملك النصارى تلك البلاد في أواخر المائة الخامسة فبنوا ذلك البناء واتخذوه كنيسة ونقبوا باب البناء فلهذا تجد الباب منقوبا لا مبنيا ثم لما استنقذ المسلمون منهم تلك الأرض اتخذها من اتخذها مسجدا بل كان الصحابة إذ رأوا أحدا بني مسجدا على قبر نهوه عن ذلك ولما ظهر قبر دانيال

بتستر كتب فيه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ألى عمر رضي الله عنه فكتب إليه عمر أن تحفر بالنهار ثلاثة عشر قبراً وتدفنه بالليل في واحد منها لئلا يفتتن الناس به وكان عمر بن الخطاب إذا رآهم يتناوبون مكاناً يصلون فيه لكونه موضع نبي ينهاهم عن ذلك ويقول إنما هلك من كان قبلكم باتخاذ آثار أنبيائهم مساجد من أدركته الصلاة فيه فليصل وإلا فليذهب فهذا وأمثاله مما كانوا يحققون به التوحيد الذي أرسل الله به الرسول إليهم ويتبعون في ذلك سنته صلى الله عليه وسلم والإسلام مبني على أصليين أن لا تعبد إلا الله وأن نعبد بما شرع لا نعبد بالبدع

161

*وما أحدث في الإسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهو من البدع المحدثه في الإسلام من فعل من لم يعرف شريعة الإسلام وما بعث الله بها محمداً من كمال التوحيد وإخلاص الدين لله وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد وإخلاص الدين لله ومعرفة دين الإسلام هم أكثر تعظيماً لمواضع الشرك فالعارفون بسنة رسول الله وحديثه أولى بالتوحيد وإخلاص الدين لله وأهل الجهل بذلك أقرب إلى الشرك والبدع ولهذا يوجد ذلك في الرافضة أكثر مما يوجد في غيرهم لأنهم أجهل من غيرهم وأكثر شركاً وبدعاً ولهذا يعظمون المشاهد أعظم من غيرهم ويخربون المساجد أكثر من غيرهم فالمساجد لا يصلون فيها جمعة ولا جماعة ولا يصلون فيها أن صلوا إلا أفراداً وأما المشاهد فيعظمونها أكثر من المساجد حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ويسمونها الحج الأكبر وصنف ابن المفيد منهم كتاباً سماه مناسك حج المشاهد وذكر فيه من الأكاذيب والأقوال ما لا يوجد في سائر الطوائف وإن كان في غيرهم أيضاً نوع من الشرك والكذب والبدع لكن هو فيهم

¹⁶¹ منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 478-483 والجواب الصحيح ج: 1 ص: 367 وزيارة القبور ج: 1 ص: 29

أكثر وكلما كان الرجل اتبع لمحمد كان أعظم توحيدا لله وإخلاصا له في الدين وإذا بعد عن متابعة نقص من دينه بحسب ذلك إذا كثرت بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع مالا يظهر فيمن هو أقرب منه إلى اتباع الرسول والله إنما أمر في كتابه وسنة رسوله بالعبادة في المساجد والعبادة فيها هي عمارتها قال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ } البقرة 114 ولم يقل مشاهد الله وقال تعالى { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } الأعراف 29 ولم يقل عند كل مشهد فإن أهل المشاهد ليس فيهم إخلاص الدين لله بل فيهم نوع من الشرك وقال تعالى { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ } {17} إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ {18} {التوبة 17-18} الآيات وفي الترمذي عن النبي أنه قال إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان ثم قرأ هذه الآية فإن المراد بعمارته عمارتها بالعبادة فيها كالصلاة والإعتكاف يقال مدينة عامرة إذا كانت مسكونة ومدينة خراب إذا لم يكن فيها ساكن ومنه قوله تعالى { أَجْعَلْتُمْ مَسَاجِدَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } {التوبة 19} وأما نفس بناء المساجد فيجوز أن يبنيتها البر والفاجر والمسلم والكافر وذلك يسمى بناء كما قال النبي من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة فبين الله تعالى إن المشركين ما كان لهم عمارة مساجد الله مع شهادتهم على أنفسهم بالكفر وبين إنما يعمرها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله وهذه صفة أهل التوحيد وإخلاص الدين لله الذين لا يخشون إلا الله ولا يرجون سواه ولا يستعينون إلا به ولا يدعون إلا إياه وعمار مشاهد الله فإن المشاهد ليست بيوت الله إنما هي بيوت الشرك ولهذا ليس في القرآن آية فيها مدح المشاهد ولا عن النبي في ذلك حديث وإنما ذكره الله عن كان قبلنا أنهم بنوا مسجدا

على قبر أهل الكهف وهؤلاء من الذين نهانا الله أن نتشبه بهم حيث قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك ففي هذا الحديث ذم أهل المشاهد وكذلك سائر الأحاديث الصحيحة كما قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا وقال أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة¹⁶²

* والشرك وسائر البدع ميناها على الكذب والافتراء ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركا فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه فيعطلونها عن الجمعات والجماعات ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها والله سبحانه في كتابه إنما أمر بعمارة المساجد لا المشاهد وهذا مما علم بالتواتر والضرورة من دين الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه أمر بعمارة المساجد والصلاة فيها ولم يأمرنا ببناء مشهد لا على قبر نبي ولا على غير قبر نبي ولا على مقام نبي ولم يكن على عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم في بلاد الإسلام لا الحجاز ولا الشام ولا اليمن ولا العراق ولا خراسان ولا مصر ولا المغرب مسجد مبني على قبر ولا مشهد يقصد للزيارة أصلا ولم يكن أحد من السلف يأتي قبر نبي أو غير نبي لأجل الدعاء عنده¹⁶³

¹⁶² مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 497-503 مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 78

¹⁶³ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 394

* ولم يكن في العصور المفضلة مشاهد على القبور وإنما ظهر ذلك وكثر في دولة بني بويه لما ظهرت القرامطة بأرض المشرق والمغرب وكان بها زنادقة كفار مقصودهم تبديل دين الإسلام وكان في بني بويه من الموافقة لهم على بعض ذلك ومن بدع الجهمية والمعتزلة والرافضة ما هو معروف لأهل العلم فبنوا المشاهد المكذوبة كمشهد علي رضي الله عنه وأمثاله وصنف أهل القرية الأحاديث في زيارة المشاهد والصلاة عندها والدعاء عندها وما يشبه ذلك فصار هؤلاء الزنادقة وأهل البدع المتبعون لهم يعظمون المشاهد ويهينون المساجد وذلك ضد دين المسلمين ويستترون بالتشيع في الأحاديث المتقدمة المتواترة عنه من تعظيم الصديق ومن النهى عن إتخاذ القبور مساجد ما فيه رد لهاتين البدعتين اللتين هما أصل الشرك وتبديل الإسلام ومما يبين ذلك أن الله لم يذكر المشاهد ولا أمر بالصلاة فيها وإنما أمر بالمساجد فقال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا } البقرة 114 ولم يقل مشاهد الله بل قد أمر النبي علياً أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه ونهى عن إتخاذ القبور مساجد ولعن من فعل ذلك فهذا أمر بتخريب المشاهد لا بعمارتها سواء أريد به العمارة الصورية أو المعنوية وقال تعالى { وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ } البقرة 187 ولم يقل في المشاهد وقال تعالى **{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 29** ولم يقل عند كل مشهد وقال تعالى { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ } التوبة 17 ولم يقل مشاهد الله إذ عمار المشاهد هم مشركون أو متشبهون بالمشركين إلى قوله تعالى { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ } التوبة 18 ولم يقل إنما يعمر مشاهد الله بل عمار المشاهد يخشون غير الله فيخشون الموتى ولا يخشون

الله إذ عبده عبادة لم ينزل بها سلطاناً ولا جاء بها كتاب ولا سنة كما قال الخليل عليه السلام في مناظرته للمشركين لما حاجوه

وخوفه آلهتهم { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ
 أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ
 إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } الأنعام 81 قال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا
 إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } الأنعام 82 وفى
 الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا
 وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله اينما لم يظلم نفسه فقال النبي
 صلى الله عليه وسلم إنما هو الشرك الم تسمعوا قول العبد الصالح
 { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13 قال تعالى { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا
 آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ } الأنعام 83 قال
 زيد بن اسلم وغيره بالعلم وقال تعالى { وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا
 مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } الجن 18 ولم يقل وإن المشاهد لله بل أهل المشاهد
 يدعون مع الله غيره ولهذا لم يكن بناء المساجد المساجد على
 القبور التى تسمى المشاهد وتعظيمها من دين المسلمين بل من
 دين المشركين لم يحفظ ذلك فإن الله ضمن لنا أن يحفظ الذكر الذى
 أنزله كما قال { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } الحجر 9 فما
 بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة محفوظ وأما أمر المشاهد
 فغير محفوظ بل عامة القبور التى بنيت عليها المساجد إما مشكوك
 فيها وإما متيقن كذبها مثل القبر الذى بكرك الذى يقال إن به نوح
 والذى بظاهر دمشق الذى يقال إنه قبر أبى بن كعب والذى من
 الناحية الأخرى الذى يقال أنه قبر أويس القرنى والقبور التى هناك
 التى يظن أنها قبر عائشة أو أم سلمة زوج النبي أو أم حبيبة أو قبر
 على الذى بباطنة النجف أو المشهد الذى يقال إنه على الحسين
 بالقاهرة والمشهد الذى بحلب وأمثال هذه المشاهد فهذه كلها كذب
 باتفاق أهل العلم¹⁶⁴

الدعاء لله وحده

*لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} القصص 88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} الجن 19 وقال {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاتًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا} النساء 117 ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر اولاً لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعاً بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب وراهب فهو عابد للمسئول وكل عابد له فهو ايضاً راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضاً راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} الأنبياء 90 وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ

رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا { السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع ¹⁶⁵

* والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسئلة والإستعانة كما قال تعالى {وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} الأعراف 29¹⁶⁶

* فتوحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة وإستعانة هي قطب رحى الدين وذلك أن العبد بل كل حى بل وكل مخلوق سوى الله هو فقير محتاج الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة للحي هي من جنس النعيم واللذة والمضرة هي من جنس الألم والعذاب فلا بد له من أمرين أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب الذى ينتفع ويلتذ به والثانى هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكروه وهذان هما الشيطان المنفصلان الفاعل والغاية فهنا أربعة أشياء أحدها أمر هو محبوب مطلوب الوجود والثانى أمر مكروه مبغض مطلوب العدم والثالث الوسيلة الى حصول المطلوب المحبوب والرابع الوسيلة الى دفع المكروه فهذه الأربعة الأمور ضرورية للعبد بل ولكل حى لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها وأما ما ليس بحى فالكلام فيه على وجه آخر إذا تبين ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه أحدها أن الله تعالى هو الذى يحب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب وهو المعين على المطلوب وما سواه هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه فهو سبحانه الجامع للأمور الأربعة دون ما سواه وهذا معنى قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن على أكمل الوجوه والمستعان هو الذى يستعان به على المطلوب فالأول من معنى الألوهية والثانى من معنى الربوبية إذ الاله هو الذى يؤله فيعبد

¹⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 239-240

¹⁶⁶ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 69

محبة وإنابة وإجلالا وإكراما والرب هو الذى يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه الى جميع أحواله من العبادة وغيرها وكذلك قوله تعالى { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود-88 وقوله { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود-123 وقوله { عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } الممتحنة-4 وقوله تعالى { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ } الفرقان-58 وقوله تعالى { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ } الرعد-30 وقوله { وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتْتَبِلًا } {8} رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا } {9} المزمع 8-9 فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصلين الجامعين¹⁶⁷

قطب رحي الدين

وتوحيد الله وإخلاص الدين له فى عبادته وإستعانته فى القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبى صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبى إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهى أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا

¹⁶⁷ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 21

عبده ورسوله ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصرى ما يقوله فى قصائده فى مدح الرسول من الإستغائة به مثل قوله بك أستغيث وأستعين وأستنجد ونحو ذلك وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استنجاد الصالحين والمتشبهين بهم والإستعانة بهم أحياء وأمواتا فإنى أنكرت ذلك فى مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة والعامة وهو دين الإسلام العام الذى بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء 25 وقال النبى لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله¹⁶⁸

* النية لها ركنان احدهما ان ينوي العبادة و العمل و الثاني ان ينوي المعبود المعمول له فهو المقصود بذلك العمل و المراد به الذي عمل العمل من اجله كما بينه النبى صلى الله عليه و سلم بقوله إنما الاعمال بالنيات و إنما لكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله و رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر اليه فميز صلى الله عليه و سلم بين من كان عمله لله و من كان عمله لمال أو نكاح و الذي يجب ان يكون العمل له هو الله سبحانه وحده لا شريك له فان هذه النية فرض فى جميع العبادات بل هذه النية اصل جميع الاعمال و منزلتها منها منزلة القلب من البدن و لا بد فى جميع العبادات ان تكون خالصة لله سبحانه كما قال تعالى {وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} الأعراف 29 قال تعالى {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ

الدِّينِ {2} أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا
 نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ
 يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ {3} {الزمر 2-3} و
 قال تعالى {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ
 {الزمر 11} {قُلْ لِلَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} {الزمر 14} و
 قال تعالى {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ
 {غافر 14} و قال سبحانه {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {غافر 65} و قال {إِلَّا
 عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ} {الصافات 40} في عدة مواضع و قال تعالى
 {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ
 فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا
 {النساء 146} و قال تعالى {وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
 الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِینُ الْقَیْمَةِ
 {البینة 5} و هذه الآيات كما دلت على فرض العبادة ففرضت
 العبادة و ان تكون لله خالصة و هذه حقيقة الاسلام و ما في القران
 من قوله اعبدوا الله و لا تشركوا به شیئا و قوله {وَمَا خَلَقْتُ
 الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} {الذاریات 56} و قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ
 وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} {الفاتحة 5} إلى غیر ذلك من الآيات كلها تدل على
 هذا الاصل بل جماع مقصود الكتاب و الرسالة هو هذا و هو معنى
 قول لا اله الا الله و هو دين الله الذي بعث به جميع المرسلین و
 ضد هذه النية الرياء و السمعة و هو ارادة ان يرى الناس عمله و
 ان یسمعوا ذكره و هؤلاء الذین ذمهم الله تعالى في قوله { فَوَيْلٌ
 لِلْمُصَلِّينَ {4} الذِّينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ } {5} الذِّينَ هُمْ
 يُرَاؤُونَ } {6} الماعون 4-6} و قال { وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا
 كُسَالَىٰ يُرَاؤُونَ النَّاسَ } {النساء 142} و من صلى بهذه النية فعمله
 باطل يجعله الله هباء منثورا و كذلك من ادى شیئا من الفرائض
 و الكلام في هذه النية و تفاصيلها لا يختص بعبادة دون عبادة اذ
 الفعل بدون هذه النية ليس عبادة اصلا الركن الثاني ان ينوي
 ما تتميز به عبادة عن عبادة فينوي الصلاة لتتميز عن سائر اجناس

العبادات وبنوي صلاة الظهر مثلا لتمييز عن صلوات سائر الاوقات و هكذا في كل ما يميز تلك العبادة من غيرها سواء كانت مفروضة ام مستحبة و هذه النية هي التي يتكلم عليها في هذه المواضع اذ الكلام هنا في فروع الدين و شرائعه و تلك النية متعلقة باصل الدين و جماعه و الفقه في شرائع الدين و فروعه إنما هو بعد تحقيق اصوله اذ الفروع كمال الاصول و اتمامها ¹⁶⁹

الدين الحق هو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله

* الحمد لله رب العالمين الدين الذى بعث الله به رسله و أنزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له و إستعانته و التوكل عليه و دعاؤه لجلب المنافع و دفع المضار كما قال تعالى { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } 1 { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } 2 { أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } 3 { الزمر 1-3 } وقال تعالى { وَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا } الجن 18 وقال تعالى { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } الأعراف 29 وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } 56 { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } 57 { الاسراء 56-57 } قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح و عزيرا و الملائكة قال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم عبادى كما أنتم عبادى و يرجون رحمتى كما ترجون

¹⁶⁹ شرح العمدة ج: 4 ص: 576-578

رحمتى ويخافون عذابي كما تخافون عذابي ويتقربون إلى كما
تتقربون إلى فإذا كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة فكيف
بمن دونهم¹⁷⁰

* أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين
يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا
أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم
وكتابيهم وأنزل عليه كتاب أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى
النور بإذن ربهم ويهديهم به إلى صراط مستقيم صراط الذي له ما
في السموات وما في الأرض وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من
الذبيبين والصديقين والشهداء والصالحين وهو دين الله الذي بعث به
الرسل قبله و أنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من
الكتاب ومهيئنا عليه فصدق كتابه ما بين يديه من كتب السماء
وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء وهيمن على ما بين يديه من الكتاب
وذلك يعم الكتب كلها شاهدا وحاكما ومؤتمنا يشهد بمثل ما فيها من
الأخبار الصادقة وقرر ما في الكتاب الأول من أصول الدين
وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في
آخر الأنعام وأول الأعراف وسورة سبحان ونحوها من السور
المكية قال تعالى {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ
كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {29}
فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ} {30} يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ
عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ} {31} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} {32} الأعراف الآيات 29 32

171

¹⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 65 و زيارة القبور ج: 1 ص: 7

¹⁷¹ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 68

*فان الله سبحانه دلنا على نفسه الكريمة بما أخبرنا به فى كتابه العزيز وعلى لسان نبيه وبذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل فقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} الشورى 13 وقال {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ} الزخرف 45 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء 25 وقد ثبت عن النبى أنه قال انا معاشر الأنبياء ديننا واحد والشرائع مختلفة فجميع الرسل متفقون فى الدين الجامع فى الأصول الاعتقادية والعلمية كالايمان بالله ورسله واليوم الآخر والعملية كالأعمال العامة المذكورة فى سورة الأنعام والأعراف وبنى إسرائيل وهو قوله تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} الأنعام 151 الآيات الثلاث وقوله {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} الأعراف 29 الآية وقوله {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} الأعراف 33 الآية وقوله {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} الإسراء 23 إلى آخر الوصايا وقوله {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} يوسف 108 الآية فالدعوة والعبادة اسم جامع لغاية الحب لله وغاية الذل له فمن ذل له من غير حب لم يكن عابدا بل يكون هو المحبوب المطلق فلا يحب شيئا إلا له ومن أشرك غيره فى هذا وهذا لم يجعل له حقيقة الحب فهو مشرك وإشراكه يوجب نقص الحقيقة كقوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} البقرة 165 الآية والحب يوجب الذل والطاعة والاسلام أن يستسلم لله لا لغيره فمن إستسلم له ولغيره فهو مشرك ومن لم يستسلم له فهو متكبر وكلاهما ضد الاسلام والقلب لا يصلح إلا بعبادة الله وحده وتحقيق هذا تحقيق الدعوة

النبوية ومن المحبة الدعوة إلى الله وهي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم بما أمروا به فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله النهي عنه ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله ويترك ما أبغضه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة بما أخبر به الرسول من أسماء الله وصفاته ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي والملائكة والأنبياء وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما¹⁷²

*الدين هو التعاهد والتعاقد وإذا كان كذلك فالأمور التي يحتاجون إليها يحتاجون أن يوجبوها علي أنفسهم والأمور التي تضرهم يحتاجون أن يحرموها علي نفوسهم وذلك دينهم وذلك لا يكون إلا باتفاقهم علي ذلك وهو التعاهد والتعاقد ولهذا جاء في الحديث لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بني آدم من التزام واجبات ومحرمات وهو الوفاء والعهد وهذا قد يكون باطلا فاسدا إذا كان فيه مضرة لهم راجحة علي منفعته وقد يكون دين حق إذا كانت منفعة خاصة أو راجحة كما قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} {1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6} الكافرون 1-6 وقال تعالى { مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ } يوسف 76 وقال تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } التوبة 29 الدين الحق هو طاعة الله وعبادته والدين الحق هو طاعة الله وعبادته كما بينا أن الدين هو الطاعة المعتادة التي صارت خلقا وبذلك يكون المطاع محبوبا مرادا إذ أصل ذلك المحبة والإرادة ولا يستحق أحد أن يعبد ويطاع علي الإطلاق إلا الله وحده لا شريك له ورسله

¹⁷² مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 6-7 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 161

وأولو الأمر أطيعوا لأنهم يأمرون بطاعة الله كما قال النبي في الحديث المتفق عليه من أطاعني فقد أطاع الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصي الله ومن عصي أميري فقد عصاني وأما العبادة فله وحده ليس فيها واسطة فلا يعبد العبد إلا الله وحده كما قد بينا ذلك في مواضع وبيننا أن كل عمل لا يكون غايته إرادة الله وعبادته فهو عمل فاسد غير صالح باطل غير حق أي لا ينفذ صاحبه وقد قال سبحانه { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } البينة 5 وقال تعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } البقرة 193 وقال تعالى { ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } التوبة 36 وقال تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 161 وقال تعالى { فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ } التوبة 122 وفي الصحيحين عن النبي انه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وقال تعالى { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة 217 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } المائدة 54 وهو الدين الحق الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله دينا غيره كما قال تعالى { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ } آل عمران 19 وقال تعالى { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } آل عمران 85 وقال تعالى { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } آل عمران 83 وقال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }

كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ { الشورى 13 } وقال تعالى
{ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
{ الأنعام 159 } كل دين سوي الإسلام باطل فإذا كان لا بد
لكل آدمي من اجتماع ولا بد في كل اجتماع من طاعة ودين وكل
دين وطاعة لا يكون لله فهو باطل فكل دين سوي الإسلام فهو
باطل وأيضاً فلا بد لكل حي من محبوب هو منتهى محبته
وإرادته وإليه تكون حركة باطنه وظاهره وذلك هو إلهه ولا يصلح
ذلك إلا لله وحده لا شريك له فكل ما سوي الإسلام فهو باطل
والمتفرقون أيضاً فيه الذين أخذ كل منهم ببعضه وترك بعضه
وافترقت أهواؤهم قد بريء الله ورسوله منهم لا بد في كل دين
من شيئين العقيدة والشريعة أو المعبود والعبادة ولا بد في كل
دين وطاعة ومحبة من شيئين أحدهما الدين المحبوب المطاع وهو
المقصود المراد والثاني نفس صورة العمل التي تطاع ويعبد
بها وهو السبيل والطريق والشريعة والمنهاج والوسيلة كما قال
الفضيل بن عياض في قوله تعالى { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا
{ هود 7 } قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه
وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا
كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً
والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون علي السنة فهكذا
كان الدين يجمع هذين الأمرين المعبود والعبادة والمعبود اله واحد
والعبادة طاعته وطاعة رسوله فهذا هو دين الله الذي ارتضاه كما
قال تعالى { وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا } المائدة 3 وهو دين
المؤمنين من الأولين والآخرين وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد
غيره لأنه دين فاسد باطل كمن عبد من لا تصلح عبادته أو عبد بما
لا يصلح أن يعبد به ¹⁷³

¹⁷³ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 36-40

لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله

* واما العبادات فان اصل الدين انه لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله فان الله سبحانه في سورة الانعام والاعراف عاب على المشركين انهم حرموا ما لم يحرمه الله وانهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله كما قال ابن عباس اذا أردت ان تعرف جهل العرب فاقرأ من قوله { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ { الأنعام 136 الاية وذلك ان الله ذم المشركين على ما ابتدعوه من تحريم الحرث والانعام وما ابتدعوه من الشرك وذمهم على احتجاجهم على بدعهم بالقدر قال تعالى { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا { الأنعام 148 الاية وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي انه قال يقول الله تعالى انى خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا وذكر في سورة الاعراف ما حرموه وما شرعوه وقال تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ { الأعراف 33 الاية وقال { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ { الأعراف 29 الاية فبين لهم ما أمرهم به وما حرمه هو وقال ذما لهم { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ { الشورى 21 الاية وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع والمقصود انه ليس لاحد ان يحرم الا ما جاءت الشريعة بتحريمه والا فالاصل عدم التحريم سواء فى ذلك الاعيان والافعال وليس له ان يشرع ديناً واجبا او مستحبا ما لم يقم دليل شرعى على وجوبه واستجابته¹⁷⁴

{ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ }

*وقد نطق القرآن بأنه سبحانه يعيدهم ويعيد امثالهم إذا شاء
 وكلاهما واحد فقال { كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } {الأعراف 29
 {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ
 وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } {الأعراف 29

175

قال تعالى {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
 وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً
 وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا
 رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
 فَاسْقُونَ } {الحديد 27 فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها الله وللناس في
 قوله ورهبانية قولان أحدهما أنها منصوبة يعني ابتدعوها
 إما بفعل مضمر يفسره ما بعده أو يقال هذا الفعل عمل في المضمر
 والمظهر كما هو قول الكوفيين حكاه عنهم ابن جرير وثعلب
 وغيرهما ونظيره قوله {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ
 لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } {الإنسان 31} وقوله {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ
 عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ
 أَنََّّهُم مُّهْتَدُونَ } {الأعراف 30} وعلى هذا القول فلا تكون الرهبانية
 معطوفة على الرأفة والرحمة والقول الثاني إنها معطوفة عليها
 فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة
 ويكون هذا جعلاً فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها الله¹⁷⁶

أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو الذي يقرب قلوب

العباد

¹⁷⁵ دقائق التفسير ج: 3 ص: 26

¹⁷⁶ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 189-190

*ففي القرآن من ذكر تفصيل أفعال العباد التي بقلوبهم وجوارحهم وأنه هو تبارك وتعالى يحدث من ذلك ما يطول وصفه كقوله تعالى **{فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ}** {الأعراف30} وقوله تعالى **{فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَفَوْا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** البقرة213 وقوله **{وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ}** {الحجرات7} ومعلوم أنه لم يرد بذلك الهداية المشتركة بين المؤمن والكافر مثل إرسال الرسل والتمكين من الفعل وإزاحة العلل بل أراد ما يختص به المؤمن كما دل عليه القرآن في مثل قوله تعالى **{وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** {الأنعام87} وقوله **{وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ}** {117} **{وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** {118} الصفات 117-118 ومنه قولنا في الصلاة **{5}** **{أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** {6} **{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}** {7} الفاتحة 6-7 فإن الهداية المشتركة حاصلة لا تحتاج أن تسأل وإنما تسأل الهداية التي خص بها المهتدين ومن تأول ذلك بمعنى زيادة الهدى والتنشيت وقال كان ذلك جزءا كان متناقضا فإنه يقال هذا المطلوب إن لم يكن حاصلا باختيار العبد لم يثب عليه فإنه إنما يثاب على ما فعله باختياره وإن كان باختياره فقد ثبت أن الله يحدث الفعل الذي يختاره العبد وهذا مذهب أهل السنة وكذلك ما أخبر الله في القرآن من إضلال وهدى ونحو ذلك فإنهم قد يتأولون ذلك بأنه جزء على ما تقدم وعامة تأويلاتهم مما يعلم بالاضطرار أن الله ورسوله لم يردوها بكلامه مع أن هذا الأجزاء مما يثاب الفاعل عليه وإن جوزوا أن الله يثيب العبد على ما ينعم به على العبد من فعله الاختياري جاز أن ينعم عليه ابتداء باختياره الطاعة وإن لم يجز عندهم الثواب والعقاب على ما يجعل العبد فاعلا له بطل أن يريد هدى أو ضلالة يثاب عليها أو يعاقب عليها وامتنع أن يكون ما أخبر أنه فعله من جعل الأغلال في أعناقهم وجعله من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ونحو ذلك هو مما

يعاقبون عليه وقد قال تعالى {إِنْ تَحْرَصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} النحل 37 فأخبر أنه من أضله الله لا يهتدي وفي الجملة ففي القرآن من الآيات المبينة أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو الذي يقلب قلوب العباد فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وأنه هو المنعم بالهدى على من أنعم عليه ما يتعذر استقصاؤه في هذه المواضع وكذلك فيه ما يبين عموم خلقه لكل شيء كقوله {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الرعد 16 وغير ذلك وفيه ما يبين أنه فعال لما يريد وفيه ما يبين أنه لو شاء لهدى الناس جميعا وأمثال ذلك مما يطول وصفه ¹⁷⁷

*أن التعليم والتذكير والإنذار والهدى ونحو ذلك له فاعل وله قابل فالمعلم المذكر يعلم غيره ثم ذلك الغير قد يتعلم ويتذكر وقد لا يتعلم ولا يتذكر فإن تعلم وتذكر فقد تم التعليم والتذكير وإن لم يتعلم ولم يتذكر فقد وجد أحد طرفيه وهو الفاعل دون المحل القابل فيقال في مثل هذا علمته فما تعلم وذكرته فما تذكر وأمرته فما أطاع وقد يقال ما علمته وما ذكرته لأنه لم يحصل تاما ولم يحصل مقصوده فينفى لإنتفاء كماله وتمامه وإنتفاء فائدته بالنسبة إلى المخاطب السامع وإن كانت الفائدة حاصلة للمتكم القائل المخاطب فحيث خص بالتذكير والإنذار ونحوه المؤمنون فهم مخصوصون بالتام النافع الذي سعدوا به وحيث عمم فالجميع مشتركون في الإنذار الذي قامت به الحجة على الخلق سواء قبلوا أو لم يقبلوا وهذا هو الهدى المذكور في قوله {وَأَمَّا نُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ} فصلت 17 فالهدى هنا هو البيان والدلالة والإرشاد العام المشترك وهو كالإنذار العام والتذكير العام وهنا قد هدى المتقين وغيرهم كما قال {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} الرعد 7 وأما قوله {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 فالمطلوب الهدى الخاص التام الذي يحصل معه الإهداء كقوله {هُدَىٰ لِلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 وقوله {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ}

{ الأعراف 30 } وقوله { فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ } { النحل 37 }
وقوله { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ } { المائدة 16 }
وهذا كثير في القرآن¹⁷⁸

العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه

*قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون¹⁷⁹

سنته صلى الله عليه وسلم في اللباس والطعام

*وأما الأكل واللباس فخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وكان خلقه في الأكل أنه يأكل ما تيسر إذا اشتهاه ولا يرد موجودا

¹⁷⁸ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 156-157

¹⁷⁹ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

ولا يتكلف مفقودا فكان إن حضر خبز ولحم أكله وإن حضر فاكهة وخبز ولحم أكله وإن حضر تمر وحده أو خبز وحده أكله وإن حضر حلو أو عسل طعمه أيضا وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد وكان يأكل القثاء بالرطب فلم يكن إذا حضر لوانان من الطعام يقول لا أكل لونين ولا يمتنع من طعام لما فيه من اللذة والحلاوة وكان أحيانا يمضي الشهران والثلاثة لا يوقد في بيته نار ولا يأكلون إلا التمر والماء وأحيانا يربط على بطنه الحجر من الجوع وكان لا يعيب طعاما فإن اشتهاه أكله وإلا تركه وأكل على مائدته لحم ضب فامتنع من أكله وقال إنه ليس بحرام ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه وكذلك اللباس كان يلبس القميص والعمامة ويلبس الإزار والرداء ويلبس الجبة والفروج وكان يلبس من القطن والصوف وغير ذلك لبس في السفر جبة صوف وكان يلبس مما يجلب من اليمن وغيرها وغالب ذلك مصنوع من القطن وكانوا يلبسون من قباطي مصر وهي منسوجة من الكتان فسنته في ذلك تقتضي أن يلبس الرجل ويطعم مما يسره الله ببلده من الطعام واللباس وهذا يتنوع بتنوع الأمصار وقد كان اجتمع طائفة من أصحابه على الامتناع من أكل اللحم ونحوه وعلى الامتناع من تزوج النساء فأنزل الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } {87} وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ } {88} المائدة 87-88 وفي الصحيحين عنه أنه بلغه أن رجلا قال أحدهم أما أنا فأصوم لا أفطر وقال الآخ الجواب أما أنا فأقوم لا أنام وقال الآخ الجواب أما أنا فلا أتزوج النساء وقال الآخ الجواب أما أنا فلا أكل اللحم فقال لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني وقد قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } {البقرة 172} فأمر بأكل الطيبات والشكر لله فمن حرم الطيبات كان معنديا ومن لم يشكر كان مفرطا مضيعا لحق الله وفي

صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر فهذه الطريق التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أعدل الطرق وأقومها والانحراف عنها إلى وجهين قوم يسرفون في تناول الشهوات مع إعراضهم عن القيام بالواجبات وقد قال تعالى **{ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } الأعراف 31** وقال تعالى **{ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا } مريم 59** وقوم يحرمون الطيبات ويبتدعون رهبانية لم يشرعها الله تعالى ولا رهبانية في الإسلام وقد قال تعالى **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } المائدة 87** وقال تعالى **{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } المؤمنون 51** وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى **{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ } المؤمنون 51** وقال تعالى **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ } البقرة 172** ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك وكل حلال طيب وكل طيب حلال فإن الله أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث لكن جهة طيبه كونه نافعا لذينا والله حرم علينا كل ما يضرنا وأباح لنا كل ما ينفعنا بخلاف أهل الكتاب فإنه بظلم منهم حرم عليهم طيبات أحلت لهم فحرم عليهم طيبات عقوبة لهم ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يحرم علينا شيئا من الطيبات والناس تنتوع أحوالهم في الطعام واللباس والجوع والشبع والشخص الواحد ينتوع حاله ولكن خير الأعمال ما كان فيه أطوع ولصاحبه أنفع وقد يكون ذلك أيسر العملين وقد يكون

أشدهما فليس كل شديد فاضلا ولا كل يسير مفضولا بل الشرع إذا أمرنا بأمر شديد فإنما يأمر به لما فيه من المنفعة لا لمجرد تعذيب النفس كالجهاد الذي قال فيه تعالى { كُنْتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ } البقرة 216 والحج هو الجهاد الصغير ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في العمرة أجرك على قدر نصبك وقال تعالى في الجهاد { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّوُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } التوبة 120 وأما مجرد تعذيب النفس والبدن من غير منفعة راجحة فليس هذا مشروعا لنا بل أمرنا الله بما ينفعنا ونهاننا عما يضرنا وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين وقال لمعاد وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وقال هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فاستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وروي عنه أنه قال أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة فالإنسان إذا أصابه في الجهاد والحج أو غير ذلك حر أو برد أو جوع ونحو ذلك فهو مما يحمد عليه قال الله تعالى { وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } التوبة 81 وكذلك قال صلى الله عليه وسلم الكفارات إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط وأما مجرد بروز الإنسان للحر والبرد بلا منفعة شرعية واحتفاؤه وكشف رأسه ونحو ذلك مما يظن بعض الناس أنه من مجاهدة النفس فهذا إذا لم يكن فيه منفعة للإنسان وطاعة لله فلا خير فيه بل قد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس فقال ما هذا قالوا هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال مروه فليجلس وليستظل

وليتكلم وليتم صومه ولهذا نهى عن الصمت الدائم بل المشروع ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه والسكوت عن الشر خير من التكلم به¹⁸⁰

وجوب العدل والصدق

*قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} {87} وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا {88} المائدة 87-88 الآية نهى سبحانه عن تحريم ما أحل من الطيبات و عن الاعتداء في تناولها و هو مجاوزة الحد و قد فسر الاعتداء في الزهد و العبادة بأن يحرموا الحلال و يفعلوا من العبادة ما يضرهم فيكونوا قد تجاوزوا الحد و أسرفوا و قيل لا يحملنكم أكل الطيبات على الإسراف و تناول الحرام من أموال الناس فإن أكل الطيبات و الشهوات المعتدى فيها لا بد أن يقع في الحرام لأجل الإسراف في ذلك و المقصود بالزهد ترك ما يضر العبد في الآخرة و بالعبادة فعل ما ينفع في الآخرة فإذا ترك الإنسان ما ينفعه في دينه و ينفعه في آخرته و فعل من العبادة ما يضر فقد اعتدى و أسرف و إن ظن ذلك زهداً نافعاً و عبادة نافعة قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و النخعي {وَلَا تَعْتَدُوا} المائدة 87 أي لا تجبوا أنفسكم و قال عكرمة لا تسيروا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء و دوام الصيام و القيام و قال مقاتل لا تحرموا الحلال و عن الحسن لا تأتوا ما نهى الله عنه و هذا ما أريد به لا تحرموا الحلال و لا تفعلوا الحرام فيكون قد نهى عن النوعين

¹⁸⁰ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 502-504 و مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 311-315

لكن سبب نزول الآية و سياقها يدل على قول الجمهور و قد يقال
هذا مثل قوله { **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** } {الأعراف 31} 181

*والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء و معلوم أن الحي العالم لا يختار أن يحب ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية وإن كان كل من جهلها وظلمها لا يكاد يخلو عن شبهة يشتبه بها الحق وشهوه هي في الأصل محمودة إذا وضعت في محلها كحال الذي يحب لقاء قريبه فإن هذا محمود وهو أصل صلة الرحم التي هي شجنة من الرحمن لكن إذا اتبع هواه حتى خرج عن العدل بين ذوي القربى وغيرهم كان هذا ظلماً كما قال تعالي { **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** } {الأنعام 152} وقال تعالي { **كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ** } إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا } النساء 135 وكذلك الذي يحب الطعام والشراب والنساء فإن هذا محمود وبه يصلح حال بني آدم ولولا ذلك لما استقامت نفس الأنساب ولا وجدت الذرية ولكن يجب العدل والقصد في ذلك كما قال تعالي { **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** } {الأعراف 31} وكما قال تعالي { **إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ** } أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ } {6} فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } {7} المؤمنون 6-7 فإذا تجاوز حد العدل وهو المشروع صار ظالماً عادياً بحسب ظلمه وعدوانه وقد ذكرنا في مواضع أن المشروع والنافع والصالح والعدل والحق والحسن أسماء

متكافئة مسماها واحد بالذات وإن تنوعت صفاته بمنزلة أسماء الله الحسني فأسماءه تعالي وأسماء كتابه ودينه ونبيه مسمي كل صنف من ذلك واحد وإن تنوعت صفاته فكل عمل صالح هو نافع لصاحبه وبالعكس وكل نافع صالح فهو مشروع وبالعكس وكل ما كان صالحا مشروعا فهو حق وعدل وبالعكس¹⁸²

* أن بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا وهذا أصل متفق عليه بين العلماء ومن خرج عن ذلك كان سفيها وحجر عليه عند جمهور العلماء الذين يحجرون على السفیه وكان مبدرا لماله وقد نهى الله في كتابه عن تبذير المال { وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا } الإسراء 26 وهو انفاقه في غير مصلحة وكان مضيعا لماله وقد نهى النبي عن اضاءة المال في الحديث المتفق عليه عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاءة المال¹⁸³

الاحلال قد يكون سعة وقد يكون عقوبة وفتنة

* أن الحسنات سبب للتليل دينا وكونا والسيئات سبب للتحريم دينا وكونا فان التحريم قد يكون حمية وقد يكون عقوبة والاحلال قد يكون سعة وقد يكون عقوبة وفتنة قال تعالي { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 الآية وهي بينة في الاصلاح والتقوى والاحسان موجبة لرفع الحرج وان المؤمن العامل الصالحات المحسن لا حرج عليه ولا جناح فيما طعم فان فيه عوننا له وقوة على الايمان والعمل الصالح والاحسان ومن سواهم على الحرج والجناح لان النعم إنما خلقها الله ليستعان بها على الطاعة والآية

¹⁸² قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 17

¹⁸³ مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 33

مدنية وهي من آخر ما نزل من القرآن وقال تعالى عن إبراهيم {
 وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 } البقرة 126 واما كون الاحلال والاعطاء فتنة فقوله {يَا بَنِي آدَمَ
 خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُسْرِفِينَ} الأعراف 31 ¹⁸⁴

التزين للصلاة أمر زائد على ستر العورة

* و أما التزين للصلاة فأمر زائد على ستر العورة و الأصل
 فيه الكتاب و السنة و الإجماع أما الكتاب فقوله سبحانه و تعالى
 {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} الأعراف 31 أنزله الله
 سبحانه لما كان المشركون يطوفون بالبيت عراة ألا الحمس و
 يقولون ثياب عصينا الله فيها لا نطوف فيها ألا الحمس لفضلهم في
 أنفسهم و هم قريش و من دان دينها و كان من حصل له ثوب
 احمسي طاف فيه و من لم يحصل له ثوب احمسي طاف عريانا
 فان طاف في ثوبه حرم عليه فحرم الله ذلك و امر بأخذ الزينة و
 هي اللباس و لو كان عباءة و امر النبي صلى الله عليه و سلم أبا
 بكر إن ينادي بالناس عام حج ألا لا يطوفن بالبيت عريان متفق
 عليه و كل محل للسجود فهو مسجد و هذا يدل على إن السترة
 للصلاة و الطواف امر مقصوده التزين لعبادة الله و لذلك جاء باسم
 الزينة لا باسم السترة ليبين إن مقصوده إن يتزين العبد لا إن
 يقتصر على مجرد الاستتار و أما السنة فقول النبي صلى الله
 عليه و سلم لا يقبل الله الصلاة حائض ألا بخمار و قوله إذا ما
 اتسع الثوب فتعاطف به على منكبيك ثم صل و إذا ضاق عن ذلك
 فشد به حقويك ثم صل من غير رداء و غير ذلك من الأحاديث و
 سنذكر إن شاء الله تعالى بعضها و أما الإجماع فقال أبو بكر
 ابن المنذر اجمع أهل العلم على أن على المرأة الحرة البالغة إن
 تخمر رأسها إذا صلت و على أنها إذا صلت و جميع رأسها

مكشوف إن عليها إعادة الصلاة و كذلك حكى غيره الإجماع على اشتراط السترة في الجملة و إذا كان مقصود السترة في الصلاة إن يتزين العبد لربه في الصلاة لأنه يناجيه فإنه يجب عليه السترة عن نفسه و عن غيره فلو صلى في قميص واسع الجيب و لم يزره و لا شد وسطه بحيث يرى عورته منه في قيامه أو ركوعه لم تصح صلاته و إن كان يجوز إن يرى عورة نفسه و يمسها لما روى سلمة بن الاكوع قال قلت يا رسول الله إنني أكون في الصيد و اصلي و ليس علي الا قميص واحد قال فزره و إن لم تجد إلا شوكة رواه احمد و أبو داود و النسائي و عن أبي هريرة قال نهى النبي صلى الله عليه و سلم إن يصلي الرجل حتى يحتزم رواه احمد و أبو داود و لذلك وجب إن تستر المرأة رأسها و إن كان يجوز إن تقعد خالية مكشوفة الرأس و لذلك وجب ستر المنكبين كما سيأتي إن شاء الله تعالى فليس كل ما جاز كشفه خارج الصلاة جاز في الصلاة إذ هي أشد و سواء سترها بنفسه أو بغيره مثل إن يكون ذو الجيب الواسع عريض اللحية أو غليظ الرقبة لا يرى عورته من جيبه لذلك أو يضع يده على خرق في السترة يستتره بيده لأن المقصود السترة و قد حصل¹⁸⁵

حكم استعمال آنية الذهب والفضة

*لا يجوز استعمال آنية الذهب والفضة في طهارة ولا غيرها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة هذا التحريم يستوي فيه الرجال والنساء بخلاف التحلي فإنه يختص بالرجال ويباح لهم منه أشياء مستثناه وكل ما يلبس فهو من باب الحلية سواء كان سلاحا أو لباسا وما لم يلبس فهو من باب الآنية مثل المكحلة والمحبرة والمرود والإبريق والاصل في ذلك ما

¹⁸⁵ شرح العمدة ج: 4 ص: 258-260

روت أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الذي يشرب في إناء الفضة إنما يجر جر في بطنه نار جهنم متفق عليه وفي لفظ لمسلم إن الذي يأكل أو يشرب في أنية الذهب والفضة وعن حذيفة بن اليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا بشربوا في أنية الذهب والفضة ولا تأكوا في صحافها فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة متفق عليه فنهى صلى الله عليه وسلم عن الأكل والشرب لانهما أغلب الأفعال وفي التطهير منها والاستمداد والاكتمال والاستصباح ونحو ذلك لأن ذلك مظنة السرف باستعمال النقدين في غير ما خلقا له والله لا يحب المسرفين ومظنة الخيلاء والكبر لما في ذلك من امتهانهما ومظنة الفخر وكسر قلوب الفقراء والله لا يحب كل مختال فخور وكذلك يحرم اتخاذها في المشهور من الروائتين فلا يجوز صنعها ولا استصياغها ولا اقتنائها ولا التجارة فيها لانه متخذ على هيئة محرمة الاستعمال فكان كالطنبور وآلات اللهو ولان اتخاذها يدعو الى استعمالها غالبا فحرم كافتناء الخمر والخلوة بالاجنبية¹⁸⁶

إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس

* والنبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذلك فقال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس فأخبر أن تحسين الثوب قد يكون من الجمال الذي يحبه الله كما قال تعالى قال

¹⁸⁶ شرح العمدة ج: 1 ص: 115

تعالى { خُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ { الأعراف 31 فلا يكون
حينئذ من الكبير 187

*قال تعالى { زِيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِيْنَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ {14} قُلْ
أَوْتَيْنَاكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ {15} آل عمران 14- 15 وقد قال مع ذمه لمذامه من

هذه الزينة { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ
كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ { الأعراف 32 فنقول أعلم أن ما

يصفه به النبي ص من محبة الأجناس المحبوبة من الأعيان
والصفات والأفعال وما يبغضه من ذلك هو مثل ما يأمر به من
الأفعال وينهى عنه من ذلك فإن الحب والبغض هما أصل الامر
والنهي وذلك نظير ما يعده على الاعمال الحسنة من الثواب
ويتوعد به على الأعمال السيئة من العقاب فأمره ونهيه ووعد
وحبه وبغضه وثوابه وعقابه كل ذلك من جنس واحد والنصوص
النبوية تأتي مطلقة عامة من الجانبين فتعارض في بعض الأعيان
والأفعال التي تندرج في نصوص المدح والذم والحب والبغض
والأمر والنهي والوعد والوعيد وقد بسطنا الكلام على ما يتعلق
بهذه القاعدة في غير موضع لتعلقها بأصول الدين وفروعه
وأما الجمال الخاص فهو سبحانه جميل يحب الجمال والجمال الذي
للخلق من العلم والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي للخلق
وهو الصورة الظاهرة وكذلك الجميل من اللباس الظاهر فلباس
التقوى أعظم واكمل وهو يحب الجمال الذي للباس التقوى أعظم
مما يحب الجمال الذي للباس الرياش ويحب الجمال للخلق أعظم
مما يحب الجمال الذي للخلق كما ثبت عنه في الصحيح أنه قال

أكمل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا وفي صحيح مسلم عن
النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في نفسك وكرهت
أن يطلع عليه الناس وفي السنن عنه انه قال أثقل ما يوضع في
الميزان الخلق الحسن وروى عنه أنه قال لأم سلمة يا أم سلمة
ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ومن المعلوم أن أحب
خلقه إليه المؤمنون فإذا كان أكملهم إيماننا أحسنهم خلقا كان
أعظمهم محبة له أحسنهم خلقا والخلق الدين كما قال الله تعالى
وإنك لعلی خلق عظیم سورة القلم 4 قال ابن عباس على
دين عظيم وبذلك فسره سفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وغيرهما
كما قد بيناه في غير هذا الموضع وهو سبحانه يبغض الفواحش
ولا يحبها ولا يأمر بها كما قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
{الأعراف 28 فإذا كان الجمال متضمنا لعدم ما هو أحب إليه أو
لوجوده ما هو أبغض له لزم من ذلك فوات ما في الجمال المحبوب
فإذا كان في جمال الثياب بطر وفخر وخيلاء وسرف فهو سبحانه
لا يحب كل مختال فخور وقال تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا { الفرقان 67 بل هو يبغض
البطر الفخور المختال والمسرف وقال { وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُسْرِفِينَ { الأعراف 31 فلهذا قال صلى الله عليه وسلم لا ينظر
الله يوم القيامة إلى من جر أزاره خيلاء و بطرا فإنه ببغضه فلا
ينظر إليه و إن كان فيه جمال فإن ذلك غرق في جانب ما يبغضه
الله من الخيلاء و البطر و كذلك الحرير فيه من السرف و
الفخر و الخيلاء ما يبغضه الله و ينافي التقوى التي هي محبوب الله
كما ثبت في الصحيحين عنه أنه نزع فروج الحرير و قال لا ينبغي
هذا للمتقين¹⁸⁸

عامة ما ذم الله به المشركين هو الشرك والتحرير

¹⁸⁸ الاستقامة ج: 1 ص: 441-444

* ان عامة ما ذم الله به المشركين فى القرآن من الدين المنهى عنه
انما هو الشرك والتحريم وكذلك حكى عنهم فى قوله {سَيَقُولُ
الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ
{الأنعام 148 ومثل ذلك فى النحل} وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ
شَيْءٍ {النحل 35 وفى الزخرف} وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا
عَبَدْنَاهُمْ { الزخرف 20} وَقَالَ {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} الشورى 21 وقال {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ
رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ
{يونس 59 وقال {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا
حَامٍ {المائدة 103 وقال {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ {الأعراف 32} وأما من ترك المأمور به فقد
ذمهم الله كما ذمهم على ترك الايمان به وبأسمائه وآياته وملائكته
وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وترك الصلاة
والزكاة والجهاد وغير ذلك من الاعمال والشرك قد تقدم أن أصله
ترك المأمور به من عبادة الله واتباع رسله وتحريم الحلال فيه
ترك ما أمروا به من الاستعانة به على عبادته ولما كان أصل
المنهى عنه الذي فعلوه الشرك والتحريم روى فى الحديث
بعثت بالحنيفية السمحة فالحنيفية ضد الشرك والسماحة ضد
الحجر والتضييق وفى صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروونه عن ربه انى خلقت عبادي
حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم
وامرتهم ان يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا وظهر اثر هذين
الذنبين فى المنحرفة من العلماء والعباد والملوك والعامة بتحريم ما
أحلله الله تعالى والتدين بنوع شرك لم يشرعه الله تعالى والأول
يكثُر فى المتفهمة والمتورعة والثانى يكثُر فى المتصوفة والمتفكرة

فتبين بذلك أن ما ذمه الله تعالى وعاقب عليه من ترك الواجبات
أكثر مما ذمه الله وعاقب عليه من فعل المحرمات ¹⁸⁹

لا طريق الى الله طريق المفرطين وطريق المعتدين

* قال تعالى { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا
طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ
اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 الآية وهي بينة
في الاصلاح والتقوى والاحسان موجبة لرفع الحرج وان المؤمن
العامل الصالحات المحسن لا حرج عليه ولا جناح فيما طعم فان
فيه عوناً له وقوة على الايمان والعمل الصالح والاحسان ومن
سواهم على الحرج والجناح لان النعم إنما خلقها الله ليستعان بها
على الطاعة والآية مدنية وهي من آخر ما نزل من القرآن وقال
تعالى عن ابراهيم { وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } البقرة 126 وقال { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي
أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ } الأعراف ¹⁹⁰ 32

* هناك من رأوا من الطريق الى الله ترك ما تختاره النفس وتريده
وأن لا يكون لأحدهم ارادة أصلاً بل يكون مطلوبه الجريان تحت
القدر كائناً من كان وهذا هو الذي أدخل كثيراً منهم في الرهبانية
والخروج عن الشريعة حتى تركوا من الأكل والشرب واللباس
والنكاح ما يحتاجون اليه وما لا تتم مصلحة دينهم الا به فإنهم رأوا
العامّة تعد هذه الأمور بحكم الطبع والهوى والعاده ومعلوم أن
الأفعال التي على هذا الوجه لا تكون عبادة ولا طاعة ولا قربة
فرأى أولئك الطريق الى الله ترك هذه العبادات والأفعال الطبيعية

¹⁸⁹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 114 - 115

¹⁹⁰ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 153

فلازموا من الجوع والسهر والخلوة والصمت وغير ذلك مما فيه ترك الحظوظ واحتمال المشاق ما أوقعهم في ترك واجبات ومستحبات وفعل مكروهات ومحرمات وكلا الأمرين غير محمود ولا مأمور به ولا طريق الى الله طريق المفرطين الذين فعلوا هذه الأفعال المحتاج اليها على غير وجه العبادة والتقرب الى الله وطريق المعتدين الذين تركوا هذه الأفعال بل المشروع أن تفعل بنية التقرب الى الله وأن يشكر الله قال الله تعالى {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} الأعراف 32 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} البقرة 172 فأمر بالأكل والشرب فمن أكل ولم يشكر كان مذموماً ومن لم يأكل ولم يشكر كان مذموماً وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد انك لن تنتفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى اللقمة تضعها في في امرأتك وفي الصحيح أيضاً أنه قال نفقة المؤمن على أهله يحتسبها صدقة¹⁹¹

ما احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش

* في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه وفي رواية لمسلم وليس احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك انزل الكتاب وارسل الرسل جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين وصفة سبحانه بأكمل المحبة للمادح واكمل البغض

¹⁹¹ الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 146

للمحارم وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبه قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لأضربنه بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيرة سعد والله لأننا اغير منه والله اغير منى ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله من اجل ذلك وعد الله الجنة وقال البخاري وقال عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك لا شخص اغير من الله وترجم البخاري على ذلك باب وفي الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله يغار وغيره الله ان يأتي المؤمن ما حرم عليه وفي الصحيح عن اسماء انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا شيء اغير من الله وفي الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا امة محمد ما احد اغير من اله ان يزني عبده او تزني امته¹⁹²

* ونحن نعلم بالاضطرار انا اذا قدرنا موجودين أحدهما عنده قوة يدفع بها الفساد والآخر لا فرق عنده بين الصلاح والفساد كان الذى عنده تلك القوة أكمل ولهذا يذم من لا غيرة له على الفواحش كالديوث ويذم من لا حمية له يدفع بها الظلم على المظلومين ويمدح الذى له غيرة يدفع بها الفواحش وحمية يدفع بها الظلم ويعلم ان هذا أكمل من ذلك ولهذا وصف النبي الرب بالاكملية فى ذلك فقال فى الحديث الصحيح لا أحد اغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال اتعجبون من غيرة سعد انا اغير منه والله اغير منى وقول القائل ان هذه انفعالات نفسانية فيقال كل ما سوى الله مخلوق منفعل ونحن وذواتنا منفعة فكونها انفعالات فينا لغيرنا نعجز عن دفعها لا يوجب ان يكون الله منفعلا لها عاجزا عن دفعها وكان كل

¹⁹² الاستقامة ج: 2 ص: 3-4 و مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 437 و مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 184

ما يجرى فى الوجود فانه بمشيئته وقدرته لا يكون الا ما يشاء ولا يشاء الا ما يكون له الملك وله الحمد¹⁹³

الشريعة تأمر بالمصالح الخالصة والراجحة

* والشريعة تأمر بالمصالح الخالصة والراجحة كالإيمان والجهاد فإن الإيمان مصلحة محضة والجهاد وإن كان فيه قتل النفوس فمصالحته راجحة وفتنة الكفر أعظم فسادا من القتل كما قال تعالى { وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ } البقرة 217 ونهى عن المفاصد الخالصة والراجحة كما نهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعن الإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذه الأمور لا يبيحها قط فى حال من الأحوال ولا فى شرعة من الشرائع وتحريم الدم والميتة ولحم الخنزير والخمر وغير ذلك مما مفسدته راجحة وهذا الضرب تبيحه عند الضرورة لأن مفسدة فوات النفس أعظم من مفسدة الإغتذاء به¹⁹⁴

* أن المحرمات قسمان أحدهما ما يقطع بأن الشرع لم يبيح منه شيئا لا لضرورة ولا لغير ضرورة كالشرك والفواحش والقول على الله بغير علم والظلم المحض وهي الأربعة المذكورة فى قوله تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33 فهذه الأشياء محرمة فى جميع الشرائع وبتحريمها بعث الله جميع الرسل ولم يبيح منها شيئا قط ولا فى حال من الأحوال ولهذا أنزلت فى هذه السورة المكية ونفى التحريم عما سواها فانما حرمه بعدها كالدّم والميتة ولحم الخنزير حرمه فى حال دون حال وليس تحريمه

¹⁹³ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 120

¹⁹⁴ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 230

مطلقا وكذلك الخمر يباح لدفع الغصة بالاتفاق ويباح لدفع العطش في أحد قولي العلماء ومن لم يبيحها قال إنها لاتدفع العطش وهذا مأخذ أحمد فحينئذ فالأمر موقوف على دفع العطش بها فان علم أنها تدفعه أبيحت بلا ريب كما يباح لحم الخنزير لدفع المجاعة وضرورة العطش الذي يرى أنه يهلكه أعظم من ضرورة الجوع ولهذا يباح شرب النجاسات عند العطش بلا نزاع فان اندفع العطش وإلا فلا إباحة في شيء من ذلك وكذلك الميسر فان الشارع أباح السبق فيه بمعنى الميسر للحاجة في مصلحة الجهاد وقد قيل إنه ليس منه وهو قول من لم يبيح العوض من الجانبين مطلقا إلا المحلل ولا ريب أن الميسر أخف من أمر الخمر وإذا أبيحت الخمر للحاجة فالميسر أولى والميسر لم يحرم لذاته إلا لأنه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقع العداوة والبغضاء فإذا كان فيه تعاون على الرمي الذي هو من جنس الصلاة وعلى الجهاد الذي فيه تعاون وتتألف به القلوب على الجهاد زالت هذه المفسدة وكذلك بيع الغرر هو من جنس الميسر ويباح منه أنواع عند الحاجة ورجحان المصلحة وكذلك الربا حرم لما فيه من الظلم وأوجب أن لا يبيع الشيء إلا بمثله ثم أبيع ببيعه بجنسه خرسا عند الحاجة بخلاف غيرها من المحرمات فانهم تحرم في حال دون حال ولهذا والله أعلم نفي التحريم عما سواها وهو التحريم المطلق العام فان المنفي من جنس المثبت فلما أثبت فيها التحريم العام المطلق نفاه عما سواها و المقام الثاني أن يفرق بين ما يفعل في الانسان ويأمر به ويبيحه وبين ما يسكت عن نهي غيره عنه وتحريمه عليه فاذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما هو أشد تحريما لم ينه عنه ولم يبيحه أيضا ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن ما يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب واذا كان قوم على بدعة أو فجور ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك ولم يمكن

منعهم منه ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه بخلاف ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من دعوة الخلق فان دعوتهم يحصل بها مصلحة على مفسدتها كدعوة موسى لفرعون ونوح لقومه فانه حصل لموسى من الجهاد وطاعة الله وحصل لقومه من الصبر والاستعانة بالله ما كانت عاقبتهم به حميدة وحصل أيضا من تفريق فرعون وقومه ما كانت مصلحته عظيمة وكذلك نوح حصل له ما أوجب أن يكون ذريته هم الباقين وأهلك الله قومه أجمعين فكان هلاكهم مصلحة فالمنهي عنه إذا زاد شره بالنهي وكان النهي مصلحة راجحة كان حسنا وأما إذا زاد شره وعظم وليس في مقابلته خير يفوته لم يشرع إلا أن يكون في مقابلته مصلحة زائدة فان أدى ذلك إلى شر أعظم منه لم يشرع مثل أن يكون الأمر لا صبر له فيؤذى فيخرج جزعا شديدا يصير به مذنبا وينتقص به إيمانه ودينه فهذا لم يحصل به خير لاله ولا لأولئك بخلاف ما إذا صبر واتقى الله وجاهد ولم يتعد حدود الله بل استعمل التقوى والصبر فان هذا تكون عاقبته حميدة وأولئك قد يتوبون فيتوب الله عليهم ببركته وقد يهلكهم ببغيهم ويكون ذلك مصلحة كما قال تعالى {فَقَطَّعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 45 وأما الانسان في نفسه فلا يحل له أن يفعل الذي يعلم أنه محرم لظنه أنه يعينه على طاعة الله فان هذا لا يكون إلا مفسدة أو مفسدته راجحة على مصلحته وقد تنقلب تلك الطاعة مفسدة فان الشارع حكيم فلو علم أن في ذلك مصلحة لم يحرمه لكن قد يفعل الانسان المحرم ثم يتوب وتكون مصلحته أنه يتوب منه ويحصل له بالتوبة خشوع ورقة وإنابة إلى الله تعالى فان الذنوب قد يكون فيها مصلحة مع التوبة منها فان الانسان قد يحصل له بعدم الذنوب كبير وعجب وقسوة فإذا وقع في ذنب أدله ذلك وكسر قلبه ولين قلبه بما يحصل له من التوبة ولهذا قال سعيد بن جبير إن العبد ليعمل الحسنه فيدخل بها النار ويفعل السيئة فيدخل بها الجنة وهذا هو الحكمة في ابتلاء من ابتلى بالذنوب من الأنبياء والصالحين وأما بدون التوبة فلا يكون المحرم إلا مفسدته

راحة فليس للانسان أن يعتقد حل ما يعلم أن الله حرمه قطعاً
 وليس له أن يفعله قطعاً فان غلبته نفسه وشيطانه فوقع فيه تاب منه
 فان تاب فصار بالتوبة خيراً مما كان قبله فهذا من رحمة الله به
 حين تاب عليه وإلا فلو لم يتب لفسد حاله بالذنب وليس له أن يقول
 أنا أفعل ثم اتوب ولا يبيح الشارع له ذلك لأنه بمنزلة من يقول أنا
 أطعم نفسي ما يمرضني ثم أداوى أو آكل السم ثم اشرب الترياق
 والشارع حكيم فانه لا يدري هل يتمكن من التوبة أم لا وهل يحصل
 الدواء بالترياق وغيره أم لا وهل يتمكن من الشرب أم لا لكن لو
 وقع هذا وكانت آخرته الى التوبة النصوح كان الله قد أحسن إليه
 بالتوبة وبالعفو عما سلف من ذنوبه وقد يكون مثل هذا ليس
 صلاحه إلا في أن يذنب ويتوب ولو لم يفعل ذلك كان شراً منه لو
 لم يذنب ويتوب لكن هذا أمر يتعلق بخلق الله وقدره وحكمته
 لا يمكن أحد أن يأمر به الانسان لأنه لا يدري أن ذلك خير له وليس
 ما يفعله خلاقاً لعلمه وحكمته يجوز للرسول وللعباد أن يفعلوه
 ويأمروا به وقصة الخضر مع موسى لم تكن مخالفة لشرع الله
 وأمره ولا فعل الخضر ما فعله لكونه مقدرًا كما يظنه بعض الناس
 بل ما فعله الخضر هو مأمور به في الشرع بشرط أن يعلم من
 مصلحته ما علمه الخضر فانه لم يفعل محرماً مطلقاً ولكن خرق
 السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار فان إتلاف بعض المال لصلاح
 أكثره هو أمر مشروع دائماً وكذلك قتل الانسان الصائل لخط دين
 غيره أمر مشروع وصبر الانسان على الجوع مع إحسانه إلى
 غيره أمر مشروع فهذه القضية تدل على أنه يكون من الأمور
 ما ظاهره فساد فيحرمه من لم يعرف الحكمة التي لأجلها فعل وهو
 مباح في الشرع باطنا وظاهراً لمن علم ما فيه من الحكمة التي
 توجب حسنه وإباحته وهذا لايجيء في الأنواع الأربعة فان
 الشرك والقول على الله بلا علم والفواحش ما ظهر منها وما بطن
 والظلم لا يكون فيها شيء من المصلحة وقتل النفس أبيح في حال
 دون حال فليس من الأربعة وكذلك إتلاف المال بباح في حال دون
 حال وكذلك الصبر على المجاعة ولذلك قال {قُلْ أَمَرَ رَبِّي

بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
{الأعراف29} فإخلاص الدين له والعدل واجب مطلقاً في كل
حال وفي كل شرع فعلى العبد أن يعبد الله مخلصاً له الدين ويدعوه
مخلصاً له لا يسقط هذا عنه بحال ولا يدخل الجنة إلا أهل التوحيد
وهم أهل لا إله إلا الله فهذا حق الله على كل عبد من
عباده كما في الصحيحين من حديث معاذ أن النبي قال له يامعاذ
أتدري ما حق الله على عبادة قلت الله ورسوله أعلم قال حقه
عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً الحديث فلا ينجون من
عذاب الله إلا من أخلص لله دينه وعبادته ودعاه مخلصاً له الدين
ومن لم يشرك به ولم يعبده فهو معطل عن عبادته وعبادة غيره
كفرعون وأمثاله فهو أسوأ حالاً من المشرك فلا بد من عبادة الله
وحده وهذا واجب على كل أحد فلا يسقط عن أحد البتة وهو
الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره ولكن لا يعذب الله أحداً
حتى يبعث إليه رسولا وكما أنه لا يعذبه فلا يدخل الجنة إلا نفس
مسلمة مؤمنة ولا يدخلها مشرك ولا مستكبر عن عبادة ربه فمن لم
تبلغه الدعوة في الدنيا امتحن في الآخرة ولا يدخل النار إلا من
اتبع الشيطان فمن لانتبه له لا يدخل النار ولا يعذب الله بالنار أحداً
إلا بعد أن يبعث إليه رسولا فمن لم تبلغه دعوة رسول إليه
كالصغير والمجنون والميت في الفترة المحضة فهذا يمتحن في
الآخرة كما جاءت بذلك الآثار فيجب الفرق في الواجبات
والمحرمات والتمييز بينهما هو اللازم لكل أحد على كل حال وهو
العدل في حق الله وحق عباده بأن يعبدوا الله مخلصاً له الدين ولا
يظلم الناس شيئاً وما هو محرم على كل أحد في كل حال لا يباح
منه شيء وهو الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بلا علم
وبين ما سوى ذلك قال تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ
عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} {الأنعام151} فهذا محرم مطلقاً لا يجوز
منه شيء {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} {الأنعام151} فهذا فيه تقييد
فإن الوالد إذا دعا الولد إلى الشرك ليس له أن يطيعه بل له أن
يأمره وينهاه وهذا الأمر والنهي للوالد هو من الإحسان إليه وإذا

كان مشركا جاز للولد قتله وفي كراهته نزاع بين العلماء قوله
 {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ} الأنعام 151 فهذا تحريم
 خاص {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} الأنعام 151
 هذا مطلق {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
 أَشُدَّهُ} الأنعام 152 هذا مقيد فان يتامى المشركين أهل الحرب
 يجوز غنيمة أموالهم لكن قد يقال هذا أخذ وقربان بالتي هي أحسن
 إذا فسر الأحسن بامر الله ورسوله {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
 وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} الأنعام 152 هذا مقيد بمن يستحق ذلك {
 وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا} الأنعام 152 هذا مطلق {وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا}
 الأنعام 152 وبعهد الله أوفوا فالوفاء واجب لكن يميز بين
 عهد الله وغيره ويفرق بين ما يسكت عنه الانسان وبين ما يلفظ به
 ويفعله ويأمر به ويفرق بينما قدره الله فحصل بسببه خير وبين ما
 يؤمر به العبد فيحصل بسببه خير¹⁹⁵

تحريم فساد الشهوة والغضب وفساد العدل والعلم

*قال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
 وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا
 وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 فانه ينفي
 التحريم عن غير هذه الأصناف و يثبتها لها لكن أثبتتها للجنس أو
 لكل واحد واحد من العلماء كما يقال إنما يحج المسلمون ولايحج
 إلا مسلم و ذلك أن المستثنى هل هو مقتض أو شرط ففي هذه الآية
 وأمثالها هو مقتض فهو عام¹⁹⁶

*فهذه الأنواع الأربعة هي التي حرمتها تحريما مطلقا لم يباح منها
 شيئا لأحد من الخلق ولا في حال من الاحوال بخلاف الدم والميتة
 ولحم الخنزير وغير ذلك فإنه يحرم في حال ويباح في حال وأما
 الأربعة فهي محرمة مطلقا فالفواحش متعلقة بالشهوة والبغي بغير

¹⁹⁵ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 470- 478

¹⁹⁶ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 287 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 64

الحق يتعلق بالغضب والشرك بالله فساد أصل العدل فإن الشرك ظلم عظيم والقول على الله بلا علم فساد في العلم فقد حرم سبحانه هذه الأربعة وهي فساد الشهوة والغضب وفساد العدل والعلم وقوله وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يتضمن تحريم أصل الظلم في حق الله وذلك يستلزم إيجاب العدل في حق الله تعالى وهو عبادته وحده لا شريك له فإن لنفس لها القوتان العلمية والعملية وعمل الإنسان عمل اختياري والعمل الاختياري إنما يكون بإرادة العبد وكل إنسان له إرادة وعمل بإرادته فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الأسماء الحارث وهمام والإرادة لا بد لها من مراد وكل مراد فأما أن يراد لنفسه وأما أن يراد لغيره والمراد لغيره لا بد أن ينتهي إلى مراد لنفسه فالقوة العملية تستلزم أن يكون للإنسان مراد وذلك المراد لنفسه هو علة فاعلة للعلة الفاعلة ولهذا قيل العامة تقول قيمة كل امرئ ما يحسنه والعارفون يقولون قيمة كل امرئ ما يطلب وفي بعض الكتب المتقدمة إنني لا أنظر إلى كلام الحكيم وإنما أنظر إلى همته¹⁹⁷

النفس خائنة

*النفس خائنة لها في السر أهواء و أفعال باطنة تخفى على الناس قال تعالى {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} غافر 19 وقال تعالى {وَدَّرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} الأنعام 120 وقال

¹⁹⁷الجواب الصحيح ج: 6 ص: 33

" أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن "

*فإذا كان مع الجمال أو غيره مما فيه وجه محبة ما هو بغيض من الفواحش أو الكذب أو الظلم أو غير ذلك كما ذكره في قوله قال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 فإن ذلك يفوت ما هو أحب إلى الله من الجمال بكثير ويوجب من مقت الله وبغضه ما هو أعظم بكثير مما لمجرد الجمال من الحب ويوجب النهي عما يوجب هذه السيئات الكثيرة ويفوت الجمال الأفضل وهو كمال الخلق وحسنه وما في ذلك من الحسنات وكان ما في ذلك من المبغضات وترك المحبوبات راجحا على الحب الذي للجمال وعلى هذا يجري الأمر على محبة الإنسان للشئ الجميل من الصورة والنظر إليه وما يدخل في ذلك من قوة الحب والزيادة فيه التي تسمى العشق فإن ذلك إذا خلا عن المفسدة الراجحة مثل أن يحب الإنسان امرأته وجاريته حبا معتدلا أو يحب ما لا فتنه فيه كحبه للجميل من الدواب والثياب ويحب ولده وأباه وأمه ونحو ذلك من محبة الرحم كنوع من الجمال الحب المعتدل فهذا حسن أما إذا أحب النساء الأجانب أو المردان ونحو ذلك فهذا الحب متضمن للمحبة الحيوانية وليس في ذلك مجرد محبة الجمال والمحبة الحيوانية مما يبغضها الله ويمقتها وتوابعها منهي عنها مع ذلك سواء كان مع المحبة فعل الفاحشة الكبرى أو كانت للتمتع بالنظر والسماع وغير ذلك فالتمتع مقدمات الوطء فإن كان الوطء

حلالا حلت مقدماته وإن كان الوطء حراما حرمت مقدماته وإن كان في ذلك رفض للجمال كما فيه رفض للذة الوطء المحرم فإن ما في ذلك مما يبغضه الله ويمقت عليه أعظم مما في مجرد الجمال من الحب المتضمن وذلك متضمن لتقويت محاب الله من التقوى والعفاف والإقبال على مصالح الدين والدنيا أعظم بكثير مما فيها من مجرد حب الجمال فلهذا كانت هذه مذمومة منهيها عنها حتى حرم الشارع النظر في ذلك بلذة وشهوة وبغير لذة وشهوة إذا خاف الناظر الفتنة والفتنة مخوفة في النظر إلى الأجنبية الحسنة والأمرد الحسن في أحد قولي العلماء الذي يصححه كثير من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما وهذا قد يختلف باختلاف العادات والطبائع وأما النظر للحاجة من غير شهوة ولا لذة فيجوز ولهذا لم يأمر الله ولا رسوله ولا أهل العلم والإيمان بعشق الصور الجميلة ولا أثنوا على ما كان كذلك وكذلك العقلاء من جميع الأمم ولكن طائفة من المتفلسفة والمتصوفة تأمر بذلك وتثني عليه لما فيه زعموا من إصلاح النفس ورياضتها وتهذيب الأخلاق واكتساب الصفات المحمودة من السماحة والشجاعة والعلم والفصاحة والاختيال ونحو ذلك من الأمور حتى أن طائفة من فلاسفة الروم والفرس ومن اتبعهم من العرب تأمر به وكذلك طائفة من المتصوفة حتى يقول أحدهم ينبغي للمريد أن يتخذ له صورة يجتمع قلبه عليها ثم ينتقل منها إلى الله وربما قالوا إنهم يشهدون الله في تلك الصورة ويقولون هذه مظاهر الجمال ويتأولون قوله ص إن الله جميل يحب الجمال على غير تأويله فهو لاء وأمثالهم ممن يدخل في ذلك يزعمون أن طريقهم موافق لطريق العقل والدين والخلق وإن اندرج في ذلك من الأمور الفاحشة ما اندرج وهو لاء لهم نصيب من قوله تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 28 لكن العرب الذين كانوا سبب نزول هذه الآية إنما كانت فاحشتهم التي قالوا فيها ما قالوا طوافهم بالبيت عراة لا اعتقادهم أن ثيابهم التي عصوا الله فيها

لا تصلح أن يعبد الله فيها فكانوا ينزهون عبادة الله عن ملامسة ثيابهم فيقعون في الفاحشة التي هي كشف عوراتهم وأما هؤلاء فأمرهم أجل وأعظم إذ غاية ما كان أولئك يفعلون طواف الرجال والنساء عراة مختلطين حتى كانت المرأة منهم تقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله ولم يكن ذلك الاختلاط والاجتماع إلا في عبادة ظاهرة لا يتأتى فيها فعل الفاحشة الكبرى ولم يقصدوا بالتعري إلا التنزة من لباس الذنوب بزعمهم فالذين يجتمعون من الرجال والنساء والمردان لسماع المكاء والتصدية ويطفئون المصابيح حتى لا يرى أحدهم الآخر حتى اجتمعوا على غناء وزنا ومطاعم خبيثة وجعلوا ذلك عبادة فهؤلاء شر من أولئك بلا ريب فأن هؤلاء فتحوا أبواب جهنم كما روى أبو هريرة قال سئل رسول الله ص ما أكثر ما يدخل الناس النار فقال الأجوفان الفم والفرج قال الترمذي حسن صحيح وكذلك روى عنه أنه قال أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره وفي رواية مسلم حفت مكان حجبت وإذا كانت النار محجوبة ومحفوفة بالشهوات لم يدخل النار إلا بها وإذا كانت الجنة محجوبة ومحفوفة بالمكاره لم يدخل الجنة إلا بها وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله ص قال من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة وما بين لحييه يتناول الكلام والطعام كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي شريح الخزاعي أن رسول الله ص قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت فبين صلى الله عليه وسلم أنه من ضمن له هذين ضمن له الجنة وهذا يقتضي أن من هذين يدخل النار ولهذا حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن وحرم أيضا انتهاك الأعراض وجعل في القذف بالفاحشة من العقوبة المقدرة وهي حد القذف ثمانين جلدة وبين صلى الله عليه وسلم أن الزنا من الكبائر وأن قذف المحصنات الغافلات من

الكبائر وهو وهو من نوع الكبائر إذ لم يأت عليه القاذف بأربعة شهداء وإن كان قد وقع فإنه أظهر ما يحب الله إخفاؤه كما قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النور 19 وفي الحديث الصحيح قال النبي صلى الله عليه وسلم كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا بات يسترته ربه ويصبح يكشف ستره وقال من ابتلى من هذه القاذورة بشئ فليستتر بستر الله فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله وفي الصحيحين عن صفوان بن محرز أن رجلاً سأل ابن عمر كيف سمعت النبي ص يقول في النجوى قال يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ويقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقرره ثم يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ولهذا يكثر وقوع الناس في أحد هذين الذنبيين فمن الناس من يبتلى بالفاحشة وإن كان ممسكاً عن الكلام ومن الناس من يبتلى بالكلام والاعتداء على غيره بلسانه وإن كان عفيفاً عن الفاحشة¹⁹⁹

*والفتنة تحصل بالسماع (للشعر الملحن باعتباره بمنزلة ذكر الله كمجالس الصوفية وسماع الاغاني وحضور مجالس اللهو) من وجهين من جهة البدعة في الدين ومن جهة الفجور في الدنيا أما الأول فلما قد يحصل به من الاعتقادات الفاسدة في حق الله او الإرادات والعبادات الفاسدة التي لا تصلح لله مع ما يصد عنه من الاعتقادات الصالحة والعبادات الصالحة تارة بطريق المضادة وتارة بطريق الاشتغال فإن النفس تشتغل وتستغني بهذا عن هذا وأما الفجور في الدنيا فلما يحصل به من دواعي الزنا والفواحش والإثم والبعي على الناس ففي الجملة جميع المحرمات قد تحصل فيه وهو ما ذكرها الله في قوله { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي

¹⁹⁹الاستقامة ج: 1 ص: 447-454

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
 {الأعراف 33} وصار في أهل هذا السماع المحدث الذين اتخذوا دينهم لغوا ولعبا ضد ما أحبه الله وشرعه في دين الحق الذي بعث به رسوله من عامة الوجوه بل صار مشتقلا على جميع ما حرمه الله ورسله كما قال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33}

فصار فيه من الفواحش الظاهرة والباطنة والإثم والبغى بغير الحق والإشراك بالله ما لم ينزل به سلطانا والقول على الله بغير علم ما لا يحصيه إلا الله فإنه تنوع وتعدد وتفرق أهله فيه وصاروا شيعا لكل قوم ذوق ومشروب وطريق²⁰⁰

تزيين الشيطان لكثير من الناس أنواعا من الحرام ضاهوا بها الحلال

*فينبغي أن يعرف أن استحقاق العباد للعذاب بالشرك فما دونه مشروط ببلاغ الرسالة في أصل الدين وفروعه ولهذا لما كثر الجهل وانتشر زين الشيطان لكثير من الناس أنواعا من المحرمات ضاهوا بها حلال وقد لا يعلمون أنها محرمة بغیضة إلي الله بل قد يظنون أن ذلك محبوب لله مأمور به وقد يظنون أن فيها هذا وهذا وهم في ذلك يتبعون الظن وما تهوي الأنفس وقد يعلمون تحريم ذلك ويظهرون عدم الوجه المحرم خداعا ونفاقا فهؤلاء غير المؤمن الذي يحب الله ورسوله ويأتي بالمحرم معتقدا أنه محرم وهو مبغض له خائف راج وهذه الأمور توجد في الأقسام الثلاثة ونحن نذكر أمثلة ذلك في المحرمات التي ذكرها الله في قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ

²⁰⁰ الاستقامة ج: 1 ص: 410

وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {الأعراف 33} فالله سبحانه قد
حرم الفواحش كما ذكر وقد قال تعالى { وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْتَابِهِمْ
حَافِظُونَ } {5} إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مُلُومِينَ } {6} المؤمنون 5-6 فلم تبح إلا المرأة التي هي زوج أو ملك
يمين وقد ذكر ما اشترطه في الحلال بقوله { غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا
مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ } النساء 25 وقوله { غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي
أَخْدَانٍ } المائدة 5 كما في الصحيح عن عائشة قالت كان النكاح في
الجاهلية علي أربعة أنحاء وذكرت أصحاب الرايات وهن
المسافحات وأن إلحاق النسب في وطنهن كان بالقامة وذكرت التي
يطأها جماعة محصورة وأن الإلحاق كان بتعيين المرأة وذكرت
نكاح الاستبضاع وهو غير نكاح ذوات الأخدان وذكرت النكاح
الرابع وهو النكاح المعروف الذي أحله الله فالشيطان جعل من
الحرام ما فيه مضاهاة من للحلال وان سمي باسم آخر لكن المعني
فيه اشتراك فالله أباح للرجل امرأته ومملوكته وكل من الرجل
والمرأة زوج الآخر فذوات الأخدان بينهن وبين أخدانهن نوع
ازدواج واقتران كذلك ولهذا ميز الله بين هذا وهذا وأخفي من ذلك
مؤاخاة كثير من الرجال لكثير من النساء أو لكثير من الصبيان
وقولهم إن هذه مؤاخاة لله إذا لم تكن المؤاخاة علي فعل الفاحشة
كذوات الأخدان فهذا الذي يظهره للناس الذين يوافقونهم
ويقرونهم علي ذلك ويرون كلهم أن من أحب صيبا أو امرأة
لصورته وحسنه من غير فعل فاحشة فإن هذا محبة لله فهذا من
الضلال والغي و تبديل الدين حيث جعل ما كرهه الله محبوبا لله
وهو نوع من الشرك والمحبوب المعظم بذلك طاغوت وذلك
أن اعتقاد أن التمتع بالمحبة والنظر أو نوع من المباشرة إلي المرأة
الأجنبية والصبيان هو الله وهو حب في الله كفر وشرك كاعتقاد أن
محبة الأنداد حب لله وأن الاجتماع علي الفاحشة تعاون علي البر
والتقوى وأن الإقامة علي ذلك بالعبادة هي عبادة الله ونحو ذلك
فاعتقاد أن هذه الأمور التي حرمها الله ورسوله تحريما ظاهرا أنها

دين الله ومحبة الله نوع من الشرك والكفر ثم قد يكون منها من خفيها أشياء تروج علي من لم يبلغه العلم كما اشتبه علي كثير من العلماء والعباد أن استماع أصوات الملاهي تكون عبادة لله واشتبه علي من هو أضعف علما وإيمانا أن التمتع بمشاهدة هذه الصور يكون عبادة لله ثم بعد هذا الضلال وما فيه من الغي هم أربعة أقسام قوم يعتقدون أن هذا لله ويقتصرون عليه كما يوجد مثل ذلك في كثير من الأجناد والمنتسكة والعامّة وقوم يعلمون أن هذا ليس لله وإنما يظهرون هذا الكلام نفاقا وخداعا لئلا ينكر عليهم وهؤلاء من وجه أمثل لما يرجي لهم من التوبة ومن جهة أخبت لأنهم يعلمون التحريم ويأتون المحرم وقوم مقصودهم ما وراء ذلك من الفاحشة الكبرى فتارة يكونون من أولئك الظالمين الذين يعتقدون أن هذه المحبة التي لا وطء فيها لله فيفعلون شيئا لله ويفعلون هذا لغير الله وتارة يكونون من أولئك الغاوين المنافقين الذين يظهرون أن هذه المحبة لله وهم يعلمون أنها للشيطان فيجمع هؤلاء بين هذا الكذب وبين الفاحشة الكبرى وهؤلاء في هذه المخادنة والمؤاخاة يضاهاون النكاح فإنه يحصل بين هذين من الاقتران والازدواج ما يشبه اقتران الزوجين ويزيد عليه تارة وينقص عنه تارة وما يشبه اقتران المتحابين في الله والمتأخين في الله لكن الذين آمنوا أشد حبا لله فالمتحابان في الله يعظم تحابهما ويقوي ويثبت بخلاف هذه المؤاخاة الشيطانية فإنه يترتب عليها أنواع من الفساد ثم هذا قد يظهر وينتشر حتى قد يسمونه زواجا ويقولون تزوج هذا بهذا كما يفعل ذلك بعض المستهزئين بآيات الله من فجار الفساق والمنافقين ويقره الحاضرون على ذلك ويضحكون وربما أعجبهم مثل هذا المزاح كما أن اعتقاد أن هذه المحبة لله أوجب لمن كان من فجار الفساق والمنافقين أن يقول لهم الأمرد حبيب الله والملتحى عدو الله وذلك يعجبهم ويضحكون منه وحتى اعتقد كثير من المردان أن هذا حق وهو داخل في قول النبي إذا أحب الله العبد نادي في السماء يا جبريل إني أحب فلانا فيصير يعجبه أن يحب ويعتقد الغاوي أنه محبوب

وذلك أن من فقهاء الكوفة من لا يوجب في اللوطية الحد بل التعزير إلا إذا أسرف فيه فإنه يبيح قتله سياسة ومن الفقهاء من يوجب فيه حد الزني كأشهر قولي الشافعي وإحدي الروائتين عن أحمد وقول أبي يوسف ومحمد وأكثر فقهاء الحجاز وأهل الحديث يوجبون قتلها جميعا كمذهب مالك وظاهر مذهب أحمد وزعم بعض الفقهاء أن فجور الرجل بمملوكه شبهة في درء الحد وهو موجب للتعزير كما هو أحد القولين في وطء أمته المحرمة عليه برضاع أو محرمة وأيضا فالعقوبة بالقتل إنما تكون في حق البالغ وأما الصبي وأمثاله فيجوز قتله إذا قاتل مع الكفار فأما بمجرد فعله هو بنفسه فلا يقتل بل يعاقب بما يزجره وكذلك النوع الثاني من الحلال وهو ملك اليمين فإن المرأة قد تملك الرجل والرجل قد يملك الصبي وقد يكون في هذا الملك نوع من ملك الرجل الأمة فربما استمتعت المرأة بمملوكها بمقدمات النكاح أو بالنكاح مضاهاة لاستمتاع الرجل بمملوكته وربما تأولت القرآن على ذلك واعتقدت أن ذلك داخل في قوله تعالي { أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ } المؤمنين 6 كما رفع إلي عمر ابن الخطاب امرأة تزوجت عبدها وتأولت هذه الآية ففرق بينهما وأدبه وقال ويحك إنما هذه للرجال لا للنساء وكذلك كثير من جهال الترك وغيرهم قد يملك من الذكران من يحبهم ويستمتع بهم وقد يتأول بعضهم على ذلك { إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ } المؤمنين 6 ومن المعلوم أن هذا كفر بإجماع المسلمين فالاعتقاد بأن الذكران حلال بملك أو غير ملك باطل وكفر بإجماع المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم ثم من هؤلاء من يتأول هذه الآية ومنهم من يتأول { وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ } البقرة 221 ولا يفرق بين المنكوح و الناكح كما سألني مرة بعض الناس عن هذه الآية وكان ممن يقرأ القرآن ويطلب العلم وقد ظن أن معناها إباحة ذكران المؤمنين وآخرون قد يجتمع بهم من يقول لهم إن في هذه المسألة خلافا ويكذب أئمة المسلمين الذين لا تكون مذاهيبهم ظاهرة في بلاده مثل من يكون بأرض الروم فيكذب على مذهب مالك ويقول هو مباح

في مذهب مالك ومنهم من يقول هذا مباح للضرورة مثل أن يبقي
 الرجل أربعين يوماً إلي أمثال هذه الأمور التي خاطبني فيها
 وسألني عنها طوائف من الجند والعامّة والفقراء وكان عندهم من
 هذه الاعتقادات الفاسدة ألوان مختلفة قد صدتهم عن سبيل الله
 ومنهم من قد بلغه خلاف بعض العلماء في وجوب الحد في بعض
 الصور فيظن أن ذلك خلاف في التحريم فربما قال ذلك أو اعتقده
 ولا يفرق بين الخلاف علي الحد المقدر والتحريم وأن الشيء قد
 يكون من أعظم المحرمات كالدم والميتة ولحم الخنزير وليس فيه
 حد مقدر ثم ذلك الخلاف قد يكون قولاً ضعيفاً فيتولد من ذلك
 القول الضعيف الذي هو خطأ بعض المجتهدين وهذا الظن الفاسد
 الذي هو خطأ بعض الجاهلين ومن الكذب الذي هو فرية بعض
 الظالمين بتبديل الدين وطاعة الشياطين وسخط رب العالمين حتى
 نقل أن كثيراً من المماليك يتمدح بأنه لا يعرف إلا سيده كما تتمدح
 الأمة بأنها لا تعرف إلا سيدها وزوجها وكذلك كثير من المردان
 الأحداث يتمدح بأنه لا يعرف إلا خدينه وصديقه ومؤاخيّه كما
 تتمدح المرأة بأنها لا تعرف إلا زوجها وكذلك كثير من الزناة
 بالمماليك والأحداث من الصبيان قد يتمدح بأنه عفيف عما سوي
 خدنه الذي هو قرينه كالزوجة أو عما سوي مملوكه الذي هو قرينه
 كما يتمدح المؤمن بأنه عفيف إلا عن زوجته أو ما ملكت يمينه
 ولا ريب أن الكفر والفسوق والعصيان درجات كما أن الإيمان
 والعمل الصالح درجات { هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا
 يَعْمَلُونَ } آل عمران 163 وقد قال تعالى { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ
 فِي الْكُفْرِ } التوبة 37 وقال تعالى { وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ
 مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَدَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ
 يَسْتَنْبِشُونَ } { 124 } وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَأَدَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى
 رِجْسِهِمْ } { 125 } التوبة 124-125 وقال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ
 اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5 كما قال تعالى { يُنَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
 بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ } إبراهيم 27 وقال { وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أَنْزَلَ
 إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا } المائدة 64 كما قال تعالى

{ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } { الرعد 36

فالمتخذ خدنا من الرجل والنساء أقل شرا من المسافح لأن الفساد في ذلك أقل والمستخفي بما يأتيه أقل إنما من المجاهر المستعلن كما في الحديث عن النبي أنه قال من ابتلي من هذه القانورات بشيء فليستتر بستر الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله وقد قال من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة وفي الحديث إن الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها ولكن إذا أعلنت فلم تنكر ضرت الجماعة وفي الحديث عن النبي أنه قال كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يبیت الرجل علي الذنب وقد ستره الله فيصبح فيتحدث بذنبه ويقول يا فلان فعلت الليلة كيت وكيت أو كما قال فالإقلال والاستخفاء خير من هذه الوجوه ولكن قد يقترن بها ما يكون أعظم من بعض المسافحة والمجاهرة وهي المحبة والتعظيم التي توجب محبة ما يحبه الخدن وتعظيم ما يعظمه وموالاته من يواليه ومعاداة من يعاديه والاستسرار بذلك والنفاق فيه فقد تكون في هذه الموالاته والمعاداة والنفاق من العدوان والضرر على المسلمين أعظم مما في المجاهرة والمسافحة ويكون ذلك بمنزلة الكافر المعلن كفره وهذا بمنزلة المنافق فأما إذا لم يكن عدوان على الناس وتضييع لحقوقهم لانفاء المحبة أو لغير ذلك فالأول أخبت وأفحش وتفاوت الشرور في القدر والصفة كثير كما يتفاضل الخير أيضا في القدر والوصف والواجب استعمال الكتاب والسنة في جميع الأمور ولا ريب أن هذه المخادنة وملك اليمين ونحو ذلك مما فيه اشتراك في محرم مضاد للحلال لا بد أن يتضمن من المباح ما يصير فيه من الشبه بالحلال ومن التمييز عن الحرام ما يكون فيه رواج له إذ الحرام المحض المحض من كل وجه لا يشتبه بالحلال المحض من كل وجه بل بقتني الرجل المملوك لنوع من الاستخدام ويضم إلي ذلك الاستمتاع وقد يكون هذا أغلب في نفسه من الآخر وقد يكون بالعكس وذلك الاستخدام قد يكون مباحا في الشريعة وقد يكون فيه نوع من الظلم والعدوان إما باسترقاق الأحرار وإما باشتراء

المماليك لنفسه بالمال المغصوب من بيت المال أو غيره وإما في استخدامهم علي وجه الكبرياء والعلو في الأرض بإذلاله لهم في غير طاعة الله وإذلال الناس بهم في غير طاعة الله إلي أمثال ذلك من الوجوه التي يكون فيها من الظلم والعدوان أمور عظيمة وينضم إلي ذلك الفاحشة وكذلك في المخادنة التي صورتها مؤاخاة قد تكون لأجل الاستئجار لصناعة ونحوها وقد تكون لتعلم صناعة أو كتابة أو قراءة أو علم أو تأديب وتنوير وغير ذلك من الأمور المباحة والمستحبة والواجبة في الدين وقد تكون لكفالة و تربية إما ليتم ذلك الصبي أو غربته أو لقرابة بينهما أو غير ذلك وقد يكون اشتراكا محضا في صناعة أو تجارة أو بحمل مال أو مجاورة وصلة أو تعلم أو تأدب أو غير ذلك مما يشترك الناس فيه لغير فاحشة بشركة مباحة أو مأمور بها أو منهي عنها ويكون بينهم في ذلك من التعاقد والتحالف ما يكون بين المشتركين في الأمور وقد يسمى ذلك صديقا ورفيقا وسمي بالتركية خوشداشا وغير ذلك وهو من قسم التحالف فيكون بين المشتركين في الحلال والحرام من المعاوضة والمشاركة إما علي غير فاحشة وإما معاوضة بتلك فتكون شبهة مع الشهوة فغالب وقوع المحرمات من هذا الباب وقد لبس فبه الحق بالباطل وأشرك فيه الحق بالباطل موقف المؤمن من الشرور والخيرات وما يجب عليه حيالها والمؤمن ينبغي له أن يعرف الشرور الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة كما يعرف الخيرات الواقعة ومراتبها في الكتاب والسنة فيفرق بين أحكام الأمور الواقعة الكائنة والتي يراد إيقاعها في الكتاب والسنة ليقدم ما هو أكثر خيرا وأقل شرا علي ما هو دونه ويدفع أعظم الشرين باحتمال أدناهما ويجتلب أعظم الخيرين بفوات أدناهما فإن من لم يعرف الواقع في الخلق والواجب في الدين لم يعرف أحكام الله في عباده وإذا لم يعرف ذلك كان قوله وعمله بجهل ومن عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح وإذا عرف ذلك فلا بد أن يقترن بعلمه العمل الذي أصله محبته لما يحبه الله ورسوله وبغضه لما يبغضه الله ورسوله وما اجتمع فيه

الحبيب والبعيض المأمور به والمنهي عنه أو الحلال والمحظور
أعطي كل ذي حق حقه ليقوم الناس بالقسط فإن الله بذلك أنزل
الكتاب وأرسل الرسل فالعلم بالعدل قبل فعل العدل²⁰¹

الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة

* ان كرامات الأولياء سببها الايمان والتقوى و الأحوال
الشيطانية سببها ما نهى الله عنه ورسوله وقد قال تعالى {قُلْ
إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا
لَا تَعْلَمُونَ {الأعراف: 33} فالقول على الله بغير علم والشرك
والظلم والفواحش قد حرّمها الله تعالى ورسوله فلا تكون سببا
لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها فاذا كانت لا تحصل بالصلاة
والذكر وقراءة القرآن بل تحصل بما يحبه الشيطان وبالامور التي
فيها شرك كالاستغاثة بالمخلوقات أو كانت مما يستعان بها على
ظلم الخلق وفعل الفواحش فهي من الاحوال الشيطانية لا من
الكرامات الرحمانية ومن هؤلاء من اذا حضر سماع المكاء
والتصدية يتنزل عليه شيطانه حتى يحمله في الهواء ويخرجه من
تلك الدار فاذا حصل رجل من أولياء الله تعالى طرد شيطانه فيسقط
كما جرى هذا لغير واحد ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما
حى أو ميت سواء كان ذلك الحى مسلما أو نصرانيا او مشركا
فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث ويقضى بعض حاجة
ذلك المستغيث فيظن انه ذلك الشخص أو هو ملك على صورته
وانما هو شيطان اضله لما اشرك بالله كما كانت الشياطين تدخل
الأصنام وتكلم المشركين ومن هؤلاء من يتصور له الشيطان
ويقول له أنا الخضر وربما اخبره ببعض الامور واعانه على

²⁰¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 108-119

بعض مطالبه كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود
 والنصارى وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب يموت لهم
 الميت فيأتى الشيطان بعد موته على صورته وهم يعتقدون أنه ذلك
 الميت ويقضى الديون ويرد الودائع ويفعل أشياء تتعلق بالميت
 ويدخل على زوجته ويذهب وربما يكونون قد أحرقوا ميتهم بالنار
 كما تصنع كفار الهند فيظنون أنه عاش بعد موته ومن هؤلاء
 شيخ كان بمصر أوصى خادمه فقال إذا أنا مت فلا تدع أحدا
 يغسلنى فانا اجيء واغسل نفسى فلما مات رأى خادمه شخصا فى
 صورته فاعتقد أنه هو دخل وغسل نفسه فلما قضى ذلك الداخل
 غسله أى غسل الميت غاب وكان ذلك شيطانا وكان قد أضل الميت
 وقال انك بعد الموت تجيء فتغسل نفسك فلما مات جاء ايضا فى
 صورته ليغوى الاحياء كما اغوى الميت قبل ذلك ومنهم من يرى
 عرشا فى الهواء وفوقه نور ويسمع من يخاطبه ويقول أنا ربك فان
 كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه
 فيزول ومنهم من يرى اشخاصا فى اليقظة يدعى احدهم انه نبى أو
 صديق أو شيخ من الصالحين وقد جرى هذا لغير واحد ومنهم من
 يرى فى منامه ان بعض الاكابر اما الصديق رضى الله عنه او
 غيره قد قص شعره او حلقه او البسه طاقيته او ثوبه فيصبح وعلى
 رأسه طاقية وشعره مخلوق او مقصر وإنما الجن قد حلقوا شعره
 او قصروه وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب
 والسنة وهم درجات والجن الذين يقترنون بهم من جنسهم وهم على
 مذهبهم والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطيء فان كان الانسى
 كافرا أو فاسقا أو جاهلا دخلوا معه فى الكفر و الفسوق والضلال
 وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر مثل الاقسام
 عليهم بأسماء من يعظمونه من الجن وغيرهم ومثل ان يكتب
 اسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة او يقلب فاتحة الكتاب او سورة
 الاخلاص أو آية الكرسي أو غيرهن ويكتبهن بنجاسة فيغورون له
 الماء وينقلونه بسبب ما يرضيهم به من الكفر وقد يأتونه بما يهواه
 من امرأة او صبى اما فى الهواء واما مدفوعا ملجأ إليه إلى

امثال هذه الأمور التي يطول وصفها والايمان بها ايمان بالجبث والطاغوت والجبث السحر والطاغوت الشياطين والاصنام وان كان الرجل مطيعا لله ورسوله باطنا وظاهرا لم يمكنهم الدخول معه فى ذلك او مسالمته ولهذا لما كانت عبادة المسلمين المشروعة فى المساجد التي هى بيوت الله كان عمار المساجد ابعده عن الأحوال الشيطانية وكان أهل الشرك والبدع يعظمون القبور ومشاهد الموتى فيدعون الميت او يدعون به او يعتقدون ان الدعاء عنده مستجاب اقرب الى الأحوال الشيطانية فانه ثبت فى الصحيحين عن النبي انه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وثبت فى صحيح مسلم عنه انه قال قبل ان يموت بخمس ليال ان من امن الناس على فى صحبته وذات يده ابو بكر ولو كنت متخذا خليلا من أهل الارض لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله لا يبيقين فى المسجد خوذة الا سدت الا خوذة ابى بكر ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى انهاكم عن ذلك ²⁰²

* ومن تأمل كتب الآثار وعرف حال السلف تيقن قطعاً أن القوم ما كانوا يستغيثون عند القبور ولا يتحرون الدعاء عندها أصلاً بل كانوا ينهون عن ذلك من يفعله من جهالهم كما قد ذكرنا بعضه فلا يخلو إما أن يكون الدعاء عندها أفضل منه فى غير تلك البقعة أو لا يكون فإن كان أفضل لم يجز أن يخفى علم هذا على الصحابة والتابعين وتابعيهم فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم ويعلمه من بعدهم ولم يجز أن يعلموا ما فيه من الفضل ويزهدوا فيه مع حرصهم على كل خير لا سيما الدعاء فإن المضطر يتشبه بكل سبب وإن كان فيه نوع كراهة فكيف يكونون مضطرين فى كثير من الدعاء وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور ثم لا يقصدونه هذا محال طبعاً وشرعاً وإن لم يكن الدعاء عندها أفضل كان قصد الدعاء عندها ضلالة ومعصية كما

²⁰²مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 287-290

لو تحرى الدعاء وقصده عند سائر البقاع التي لا فضيلة للدعاء عندها من شطوط الأنهار ومغارس الأشجار وحوانيت الأسواق وجوانب الطرقات وما لا يحصي عدده إلا الله وهذا قد دل عليه كتاب الله في مواضع مثل قوله تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 فإذا لم يشرع الله استحباب الدعاء عند المقابر ولا وجوبه فمن شرعه فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله وقال تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33 وهذه العبادة عند المقابر نوع من أن يشرك بالله ما لم ينزل به سلطاناً لأن الله لم ينزل حجة تتضمن استحباب قصد الدعاء عند القبور وفضله على غيره ومن جعل ذلك من دين الله فقد قال على الله ما لا يعلم وما أحسن قول الله { مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا } الأعراف 33 لئلا يحتج بالمقاييس والحكايات ومثل هذا قوله تعالى في حكايته عن الخليل { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } 80 { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 81 { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } 82 { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } 83 { الانعام 80-83 فإن هؤلاء المشركين الشرك الأكبر والأصغر يخوفون المخلصين بشفعائهم فيقال لهم نحن لا نخاف هؤلاء الشفعاء الذين لكم فإنهم خلق من خلق الله لا يضررون إلا بعد مشيئة الله { وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } يونس 107 فمن مسه الله بضر فلا كاشف له إلا هو ومن أصابه برحمة فلا راد لفضله وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين جعلتموهم شفعاء وأنتم لا تخافون الله وأنتم قد

أحدثتم في دينه من الشرك ما لم ينزل به وحيا من السماء فأبي
 الفريقين أحق بالأمن من كان لا يخاف إلا الله ولم يبتدع في دينه
 شركا أم من ابتدع في دينه شركا بغير إذنه بل من آمن ولم يخلط
 إيمانه بشرك فهو لاء هم الذين لهم الأمن وهم مهتدون وهذه
 الحجة المستقيمة التي يرفع الله بها وبأمثالها أهل العلم درجات²⁰³

ان الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة

* واذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان فقد
 يندب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون عن الامر والنهي فيكون
 ذلك من ذنوبهم وينكر عليهم آخرون انكارا منهيها عنه فيكون ذلك
 من ذنوبهم فيحصل التفرق والاختلاف والشر وهذا من اعظم الفتن
 والشورور قديما وحديثا اذ الانسان ظلوم جهول والظلم والجهل
 انواع فيكون ظلم الاول وجهله من نوع وظلم كل من الثاني
 والثالث وجهلهما من نوع اخر واخر ومن تدبير الفتن الواقعة
 رأى سببها ذلك ورأى ان ما وقع بين امراء الأمة وعلمائها ومن
 دخل في ذلك من ملوكها ومشايخها ومن تبعهم من العامة من الفتن
 هذا اصلها يدخل في ذلك اسباب الضلال والغي التي هي الاهواء
 الدينية والشهوانية وهي البدع في الدين والفجور في الدنيا
 وذلك ان اسباب الضلال والغي التي هي البدع في الدين والفجور
 في الدنيا مشتركة تعم بني آدم لما فيهم من الظلم والجهل فبذنب
 بعض الناس يظلم نفسه وغيره بفعل الزنا او التلوط او غيره او
 بشرب خمر او ظلم في المال بجناية او سرقة او غصب ونحو ذلك
 ومعلوم ان هذه المعاصي وان كانت مستقبحة مذمومة في العقل
 والدين فهي مشتتة في الطباع ايضا ومن شأن النفوس انها لا تحب
 اختصاص غير ما بشيء وزيادته عليها لكن تريد ان يحصل لها ما

²⁰³ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 340-343

حصل له وهذا هو الغبطة التي هي ادنى نوعي الحسد فهي تريد
 الاستعلاء على الغير والاستئثار دونه او تحسده وتتمنى زوال
 النعمة عنه وان لم يحصل ففيها من إرادة العلو والفساد والاستكبار
 والحسد ما مقتضاه انها تختص عن غيرها بالشهوات فكيف اذا
 رأت الغير قد استأثر عليها بذلك واختص بها دونها فالمعتدل
 منهم في ذلك الذي يحب الاشتراك والتساوي واما الاخر فظلوم
 حسود وهذان يقعان في الامور المباحة والامور المحرمة لحق الله
 فما كان جنسه مباحا من اكل وشرب ونكاح ولباس وركوب
 واموال اذا وقع فيها الاختصاص حصل بسببه الظلم والبخل
 والحسد واصلها الشح كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
 وسلم انه قال إياكم والشح فان الشح اهلك من كان قبلكم امرهم
 بالبخل فبخلوا وامرهم بالظلم فظلموا وامرهم بالقطيعة فقطعوا
 ولهذا قال الله تعالى في وصف الانصار { وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ
 وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ } الحشر 9 أي من قبل المهاجرين { وَلَا
 يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا } الحشر 9 أي لا يجدون
 الحسد مما اوتي اخوانهم من المهاجرين { وَيُؤْتِرُونَ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } الحشر 9 ثم قال { وَمَنْ يُوقَ
 شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الحشر 9 ورؤى عبد الرحمن بن
 عوف يطوف بالبيت ويقول رب قنى شح نفسي رب قنى شح نفسي
 رب قنى شح نفسي فقيل له في ذلك فقال اذا وقيت شح نفسي فقد
 وقيت البخل والظلم والقطيعة او كما قال فهذا الشح الذي هو
 شدة حرص النفس يوجب البخل بمنع ما هو عليه والظلم بأخذ مال
 الغير ويوجب قطيعة الرحم ويوجب الحسد وهو كراهة ما اختص
 به الغير وتمنى زواله والحسد فيه بخل وظلم فانه بخل بما اعطيه
 عن غيره وظلمه بطلب زوال ذلك عنه فإذا كان هذا في جنس
 الشهوات المباحة فكيف بالمحرمة كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك
 واذا وقع فيها اختصاص فانه يصير فيها نوعان أحدهما
 احدهما بغضها لما في ذلك من الاختصاص والظلم كما يقع في
 الامور المباحة الجنس أحدهما والثاني بغضها لما في ذلك من

حق الله ولهذا كانت الذنوب ثلاثة أقسام احدها ما فيه ظلم للناس كالظلم بأخذ الأموال ومنع ما هو عليه والظلم بأخذ مال الغير ويوجب قطيعة الرحم ويوجب الحسد وهو كراهة ما اختص به الغير وتمنى زواله والحسد فيه بخل وظلم فانه بخل بما اعطيه عن غيره وظلمه بطلب زوال ذلك عنه فإذا كان هذا في جنس الشهوات المباحة فكيف بالمحرمة كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك واذا وقع فيها اختصاص فإنه يصير فيها نوعان أحدهما احدهما بغضها لما في ذلك من الاختصاص والظلم كما يقع في الامور المباحة الجنس أحدهما والثاني بغضها لما في ذلك من حق الله ولهذا كانت الذنوب ثلاثة أقسام أحدهما ما فيها ظلم للناس كالظلم بأخذ الأموال ومنع الحقوق والحسد ونحو ذلك والثاني ما فيه ظلم للنفس فقط كشرب الخمر والزنا اذا لم يتعد ضررهما والثالث ما يجتمع فيه الأمران مثل أن يأخذ المتولى أموال الناس يونى بها ويشرب بها الخمر ومثل أن يزنى بمن يرفعه على الناس بذلك السبب ويضرهم كما يقع ممن يحب بعض النساء والصبيان وقد قال الله تعالى **﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** الأعراف 33 وأمور الناس تستقيم فى الدنيا مع العدل الذى فيه الاشتراك فى أنواع الاثم اكثر مما تستقيم مع الظلم فى الحقوق وان لم تشترك فى اثم ولهذا قيل ان الله يقيم الدولة العادلة وان كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وان كانت مسلمة ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والاسلام وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ليس ذنب أسرع عقوبة من البغى وقطيعة الرحم فالباغى يصرع فى الدنيا وان كان مغفورا له مرحوما فى الآخرة وذلك ان العدل نظام كل شئ فاذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها فى الآخرة من خلاق ومتى لم تقم بعدل لم تقم وان كان لصاحبها من الايمان ما يجزى به فى الآخرة فالنفس فيها داعى الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له والتعدى عليه فى حقه وداعى الظلم لنفسها بتناول

الشهوات القبيحة كالزنا وأكل الخبائث فهي قد تظلم من لا يظلمها وتؤثر هذه الشهوات وان لم تفعلها فاذا رأت نظراءها قد ظلموا وتناولوا هذه الشهوات صار داعي هذه الشهوات أو الظلم فيها اعظم بكثير وقد تصبر ويهيج ذلك لها من بغض ذلك الغير وحسده وطلب عقابه وزوال الخير عنه ما لم يكن فيها قبل ذلك ولها حجة عند نفسها من جهة العقل والدين بكون ذلك الغير قد ظلم نفسه والمسلمين وان أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر واجب والجهاد على ذلك من الدين²⁰⁴

سد أبواب الشرك من كل الوجوه جاءت به هذه الشريعة

* والكتب الإلهية قد نزهت الرب عز وجل عن الأفعال المذمومة كما نزهته عن صفات النقص وفي الصحيح عن النبي أنه قال يقول الله تعالى كذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وشتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فأما تكذيبه إياي فقله أنى يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقله أنى اتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وفي الصحيح عن النبي أنه قال ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم ليجعلون له ولدا وشريكا وهو يرزقهم ويعافيهم ولهذا كان معاذ بن جبل يقول لا ترحموا النصرى فإنهم سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر فجاءت هذه الشريعة الحنيفية القرآنية وحرمت أن يتكلم في حق الله باسم ابن أو ولد سدا للذريعة كما منعت أن يسجد أحد لغير الله وإن كان على وجه التحية كما منعت أن يصلي أحد عند طلوع الشمس وغروبها لئلا يشبه عباد الشمس والقمر فكانت بسدها للأبواب التي تجعل لله فيها الشريك والولد أكمل من غيرها من الشرائع كما سدت غير ذلك من الذرائع

²⁰⁴ الاستقامة ج: 2 ص: 246-248 و مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 145-146

مثل تحريمها قليل المسكر لأنه يجر إلى كثيره فإن أصول
 المحرمات التي قال الله فيها {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا
 ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا
 لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33
 مما اتفقت عليه شرائع الأنبياء بخلاف تحريم الطيبات عقوبة فإن
 هذا جاء في شرع التوراة دون شرع القرآن فإن الله أحل لأمة
 محمد الطيبات وحرّم عليهم الخبائث وكذلك تكميل التوحيد من كل
 الوجوه وسد أبواب الشرك من كل الوجوه جاءت به هذه الشريعة
 مع اتفاق الأنبياء على إيجاب التوحيد وتحريم أن يجعل الله شريك
 أو ولد²⁰⁵

القول بلا علم حرام بالنص و الإجماع

*فالذي جاء به الكتاب والسنة النهي عن أمور منها القول على الله
 بلا علم كقوله {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
 وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا
 وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33} و قد حرم سبحانه
 الكلام بلا علم مطلقا و خص القول عليه بلا علم بالنهي كقوله {أَلَمْ
 يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
 {الأعراف 169} وقوله {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا
 الْحَقَّ} {النساء 171} ²⁰⁶

*أن القول بلا علم حرام بالنص و الإجماع وقال {قُلْ إِنَّمَا
 حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ
 الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا
 لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33} وقال {هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ
 بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} آل عمران 66 و قال
 {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} {الحج 3} وقال {الَّذِينَ

²⁰⁵الجواب الصحيح ج: 4 ص: 154

²⁰⁶الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 453 و مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 103 و دره التعارض ج: 1 ص: 46

يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبِيرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا { غافر 35 } والسُّلْطَانُ الَّذِي أَتَاهُمْ هُوَ الْحُجَّةُ الْآتِيَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كَمَا قَالَ { أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } الروم 35 } قَالَ { أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ } { 156 } فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } { 157 } الصافات 156- 157 } وَقَالَ { إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى } { النجم 23 } فَمَا جَاءَتْ بِهِ الرِّسَالُ عَنْ اللَّهِ فَهُوَ سُلْطَانٌ فَالْقُرْآنُ سُلْطَانٌ وَالسَّنَةُ سُلْطَانٌ لَكِنْ لَا يَعْرِفُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ بِهِ إِلَّا بِالنَّقْلِ الصَّادِقِ عَنِ اللَّهِ فَكُلُّ مَنْ احْتَجَّ بِشَيْءٍ مَنْقُولٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْلَمَ صِحَّتَهُ قَبْلَ أَنْ يَعْتَقِدَ مَوْجِبَهُ وَ يَسْتَدِلُّ بِهِ وَ إِذَا احْتَجَّ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ فَعَلَيْهِ بَيَانُ صِحَّتِهِ وَ إِلَّا كَانَ قَائِلًا بِمَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ

207

* وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَنِ الرِّسَالِ لَيْسَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ أَنْ يَغْيِرَ مِنْ دِينِهِ شَيْئًا هَذَا دِينُ الْمُسْلِمِينَ بِخِلَافِ النَّصَارَى فَإِنَّهُمْ يَجُوزُونَ لِعُلَمَائِهِمْ وَعِبَادِهِمْ أَنْ يَشْرَعُوا شُرْعًا يَخَالِفُ شُرْعَ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمِمَّا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } { التوبة 31 } قَالَ النَّبِيُّ إِنَّهُمْ أَطَاعُوا لَهُمُ الْحَرَامَ فَأَطَاعُوهُمْ وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ فَأَطَاعُوهُمْ فَكَانَتْ تِلْكَ عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُمْ وَلِهَذَا كَانَ أُمَّةُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِي شَيْءٍ أَنَّهُ عِبَادَةٌ وَطَاعَةٌ وَقُرْبَةٌ إِلَّا بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ وَإِتْبَاعَ مَنْ قَبْلَهُمْ لَا يَتَكَلَّمُونَ فِي الدِّينِ بِلَا عِلْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ

مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
208 {الأعراف 33}

*وقد حرم الله على الرجل أن ينفى ما ليس له به علم وحرّم عليه أن يقول على الله ما لا يعلم واخبر ان الذي يأمر بالقول بغير علم هو الشيطان فقال {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} {الإسراء 36} وقال {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {البقرة 169} 209

*لا يجوز لأحد أن يقفو ما ليس له به علم ولا يقول على الله ما لا يعلم قال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} {الإسراء 36} وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33} وقال تعالى {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} {الأعراف 169} وقد قالت الملائكة لما قال لهم {أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {31} قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} {32} {البقرة 31-32} وقد قال موسى للخضر {أَتَّبِعْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا} {الكهف 66} وقال الحضرموسى لما نقر العصفور في البحر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر 210

* فليس لأحد أن يتكلم بلا علم بل يحذر ممن يتكلم في الشرعيات بلا علم وفي العقليات بلا علم فان قوما ارادوا بزعمهم نصر الشرع بعقولهم الناقصة واقيستهم الفاسدة فكان ما فعلوه مما جرا الملحدين اعداء الدين عليه فلا للاسلام نصروا ولا لاعدائه كسروا

208 مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 374

209 مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 192

210 مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 230

واقوام يدعون انهم يعرفون العلوم العقلية وانها قد تخالف الشريعة وهم من اجهل الناس بالعقليات والشرعيات واكثر ما عندهم من العقليات امور قلدوا من قالها لو سئلوا عن دليل عقلي يدل عليها لعجزوا عن بيانه والجواب عما يعارضه ثم من العجائب انهم يتركون اتباع الرسل المعصومين الذين لا يقولون الا الحق ويعرضون عن تقليدهم ثم يقلدون في مخالفة ما جاءوا به من يعلمون هم انه ليس بمعصوم وانه قد يخطىء تارة ويصيب اخرى وهؤلاء عندهم امور معلومة من الحسابيات مثل وقت الكسوف والخسوف ومثل كرية الافلاك ووجود السحاب من البخاري ونحو ذلك من الامور الطبيعية والرياضية فيحتجون بها على من يظن انه من اهل الشرع فيسرع ذلك المنتسب الى الشرع برد ما يقولونه بجهله فيكون رد ما قالوه من الحق سببا لتنفيرهم عما جاء به الرسول من الحق بسبب مناظرة هذا الجاهل والله تعالى امرنا ان لا نكذب ولا نكذب بحق وانما مدح سبحانه من يصدق فيتكلم بعلم ويصدق ما يقال له من الحق قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ} العنكبوت 68 {وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} الزمر 33 وهاتان صفتان لنوع واحد وهو من يجي بالصدق ويصدق بالحق اذا جاءه فهذا هو المحمود عند الله واما من كذب او كذب بما جاءه من الحق فذلك مذموم عند الله تعالى وكذلك قال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} الإسراء 36 أي لا تقل ما ليس لك به علم {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} الإسراء 36 وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 وقال تعالى {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ

إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً { النجم 28 ومثل هذا
متعدد في كتاب الله تعالى ²¹¹

*وهناك من كلامهم (يقصد هو الفلاسفة واهل المنطق) غالبية لا
يخلو من تكلف اما في العلم واما في القول فاما ان يتكلفوا علم مالا
يعلمونه فيتكلمون بغير علم او يكون الشيء معلوما لهم فيتكلمون
من بيانه ما هو زيادة وحشو وعناء وتطويل طريق وهذا من
المنكر المذموم في الشرع والعقل قال تعالى {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} ص 86 وفي الصحيح عن عبد الله
بن مسعود قال ايها الناس من علم علما فليقل به ومن لم يعلم
فليقل لا اعلم فان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم لا اعلم
وقد ذم الله القول بغير علم في كتابه كقوله تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا
لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} الإسراء 36 لا سيما القول على الله كقوله
تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ
وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 وكذلك ذم الكلام
الكثير الذي لا فائدة فيه وامر بأن نقول القول السديد والقول البليغ

212

أدلة الحق لا تتناقض

*فإن الله حرم القول بلا علم وعموما وحرم القول عليه بلا علم
خصوصا ²¹³

²¹¹الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 273- 275

²¹²مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 43

²¹³مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 346

*قال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33 وقال تعالى
{ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
} البقرة 169 وقال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
} الإسراء 36 وقال تعالى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } النساء 171 وقال تعالى { أَلَمْ يُؤْخَذْ
عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } الأعراف 169
وكما أن الانسان لا يجوز له أن يثبت شيئا الا بعلم فلا يجوز له أن
ينفى شيئا الا بعلم ولهذا كان النافى عليه الدليل كما ان المثبت عليه
الدليل ومما يجب ان يعرف أن أدلة الحق لا تتناقض
فلا يجوز اذا اخبر الله بشيء سواء كان الخبر اثباتا أو نفيًا ان يكون
في اخباره ما يناقض ذلك الخبر الاول ولا يكون فيما يعقل بدون
الخبر ما يناقض ذلك الخبر المعقول فالادلة المقتضية للعلم لايجوز
أن تتناقض سواء كان الدليلان سمعيين أو عقليين أو كان أحدهما
سمعيا والآخر عقليا ولكن التناقض قد يكون فيما يظنه بعض الناس
دليلا وليس بدليل كمن يسمع خبرا فيظنه صحيحا ولا يكون كذلك
او يفهم منه ما لا يدل عليه او تقوم عنده شبهه يظنها دليلا عقليا
وتكون باطلة التبس عليه فيها الحق بالباطل فيكذب بها ما أخبر الله
به ورسوله وهذا من اسباب ضلال من ضل من مكذبي الرسل اما
مطلقا كالذين كذبوا جميع الرسل كقوم نوح و ثمود وعاد ونحوهم
واما من آمن ببعض وكفر ببعض كمن آمن من اهل الكتاب ببعض
الرسل دون بعض ومن آمن من الفلاسفة ببعض ما جاءت به
الرسل دون بعض ومن اهل البدع من اهل الملل المسلمين واليهود
والنصارى من اتوا من هذا الوجه فانه قامت عندهم شبهات ظنوا
انها تنفى ما أخبرت به الرسل من اسماء الله تعالى وصفاته وظنوا
ان الواجب حينئذ تقديم ما رأوه على النصوص لشبهات قد بسط

الكلام عليها في غير هذا الموضوع وبين ضلال من ضل من
الجهمية المتفلسفة والمعتزلة ومن وافقهم من بعض ضلالهم²¹⁴

*والكلام يجب ان يكون بالعلم والقسط فمن تكلم في الدين بغير علم
دخل في قوله تعالى { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } {الإسراء 36
وفى قوله تعالى { وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
{ الأعراف 33 ومن تكلم بقسط وعدل دخل في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ } النساء 135 وفى
قوله تعالى { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا } { الأنعام 152 وفى قوله تعالى
{ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ } {الحديد 25²¹⁵

*كل من أظهر مقالة تخالف الكتاب والسنة فإن ذلك من المنكر
الذي أمر الله بالنهي عنه كما قال تعالى { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ
إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } آل
عمران 104 وهو من الأثم الذي قال الله فيه { لَوْلَا يَنْهَاهُمْ
الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ } {المائدة 63
وكل من أثبت لله ما نفاه عن نفسه أو نفى عن الله ما أثبتته لنفسه من
العطلة والممثلة فإنه قال على الله غير الحق وذلك مما زجر الله
عنه بقوله للنصارى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } {النساء 171 وبقوله { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا
تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } {المائدة 77 وقال عن
الشیطان { إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ } {البقرة 169 وقال { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا

²¹⁴ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 514-515

²¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 441

لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ { الأعراف 33
 فإن من قال غير الحق فقد قال على الله ما لا يعلم فإن الباطل لا يعلم إلا إذا علم بطلانه فأما اعتقاد أنه الحق فهو جهل لا علم فمن قاله فقد قال ما لا يعلم وكذلك من تبع في هذه الأبواب وغيرها من أبواب الدين آباءه وأسلافه من غير اعتصام منه بالكتاب والسنة والاجماع فإنه ممن ذمه الله في كتابه²¹⁶

*وقد بين في غير موضع ان السلطان هو الحجة وهو الكتاب المنزل كما قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ { الأعراف 33 وإذا كان كذلك ففي هذا بيان أنه لا يجوز لأحد أن يعارض كتاب الله بغير كتاب فمن عارض كتاب الله وجادل فيه بما يسميه معقولات وبراهين وأقيسة أو ما يسميه مكاشفات ومواجيد وأذواق من غير أن يأتي على ما يقوله بكتاب منزل فقد جادل في آيات الله بغير سلطان هذه حال الكفار الذين قال فيهم { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ { غافر 4 فهذه حال من يجادل في آيات الله مطلقا ومن المعلوم أن الذي يجادل في جميع آيات الله لا يجادل بسلطان²¹⁷

والله يحرم الكذب لا سيما عليه ويحرمه لكون المتكلم به يتكلم بلا علم كما قال تعالى { وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ { الأعراف 33 فحينئذ فالدليل الشرعي لا يجوز أن يعارضه دليل غير شرعي ويكون مقدا عليه بل هذا بمنزلة من يقول إن البدعة التي لم يشرعها الله تعالى تكون مقدمة على الشريعة التي أمر الله بها أو يقول الكذب مقدم على الصدق أو يقول خبر غير النبي صلى الله عليه وسلم يكون مقدا على خبر النبي أو يقول ما نهى

الله عنه يكون خيرا مما أمر الله به ونحو ذلك وهذا كله ممتنع وأما الدليل الذي يكون عقليا أو سمعيا من غير أن يكون شرعيا فقد يكون راجحا تارة ومرجوحا أخرى كما أنه قد يكون دليلا صحيحا تارة ويكون شبهة فاسدة أخرى فما جاءت به الرسل عن الله تعالى إخبارا أو أمرا لا يجوز أن يعارض بشيء من الأشياء وأما ما يقوله الناس فقد يعارض بنظيره إذ قد يكون حقا تارة وباطلا أخرى وهذا مما لا ريب فيه لكن من الناس من يدخل في الأدلة الشرعية ما ليس منها كما أن منهم من يخرج منها ما هو داخل فيها والكلام هنا على جنس الأدلة لا على أعيانه²¹⁸

*قال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاَ} الإسراء 36 وهذا نهي عن التكلم بلا علم وهو عام في جميع أنواع الأخبار وقد يتناول ما أخبر به الإنسان وما قد يعتقده بغير الأخبار من الدلائل والآيات والعلامات ليس له أن يتكلم بلا علم فلا ينفي شيئا إلا بعلم ولا يثبت إلا بعلم ولهذا كان عامة العلماء على أن النافي للشيء عليه الدليل على ما ينفيه كما أن المثبت للشيء عليه الدليل على ثبوته وحكي عن بعض الناس أنه قال النافي ليس عليه دليل وفرق بعضهم بين العقليات والشرعيات فأوجبه في العقليات دون الشرعيات وهؤلاء اشتبه عليهم النافي بالمانع المطالب فإن من أثبت شيئا فقال له آخر أنا لا أعلم هذا ولا أوافقك عليه ولا أسلمه لك حتى تأتي بالدليل كان هذا مصيبا ولم يكن على هذا المانع المطالب بالدليل دليل وإنما الدليل على المثبت بخلاف من نفى ما أثبتته غيره فقال له قولك خطأ والصواب في نقيض قولك ولم يكن هذا كذا فإن هذا عليه الدليل على نفيه كما على ذلك المثبت الدليل على إثباته وإذا لم يأت واحد منهما بدليل كان كلاهما بلا حجة ولهذا كان من أثبت شيئا أو نفاه وطلب منه الحجة فلم يأت بها كان منقطعاً في المناظرة وإذا اعترض المعارض عليه بممانعة أو معارضة فأجاب عنها انقطع

²¹⁸ بره التعارض ج: 1 ص: 200

المعترض عليه وثبت قول الأول وإن لم يجب عن المعارضة انقطع المستدل إذ كان الدليل الذي يجب اتباعه هو الدليل السالم عن المعارض المقاوم ولو أقام دليلاً قطعياً فعورض بما لا يفيد القطع كان له أن يقول ما ذكرته يفيد العلم والعلم لا يعارضه الظن والبيّنات لا تعارض بالشبهات التي هي من جنس كلام السوفسطائية فهو سبحانه نهى عن الكلام بلا علم مطلقاً وخص الكلام على الله بقوله تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33 ونهى عن اتباع خطوات الشيطان وأخبر أنه يأمر بالقول على الله بلا علم فقال { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } {168} إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } {169} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْزِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ } {170} البقرة 168-170

219

*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثل شىء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمى له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه

وبغيره وأصدق قبلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون
مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال
سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180}
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به
المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص
والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين
النفى والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به
المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من
النبیین والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة
ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن
وقوله سبحانه {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا
وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33} ²²⁰

عامة النصارى ضلال

* أن قول النصارى من اتحاد اللهوت بالناسوت في نفسه باطل لا
حقيقة له وهم لم يتصوروا معنى معقولا ثم عبروا عنه حتى يقال
قصرنا في التعبير بل هم في ضلال وجهل لا يتصورون معقولا
ولا يعرفون ما يقولون بل ولا لهم اعتقاد يثبتون عليه في المسيح
بل مهما قالوه من بدعهم كان باطلا وكانوا هم معترفون بأنهم لا
يفقهون ما يقولون لهذا يقولون هذا فوق العقل ويقولون قد اتحد
به بشر لا يدرك فما لا يدرك وما هو فوق العقل ليس لأحد أن
يعتقده ولا يقوله برأيه لكن إذا أخبرت الرسل الصادقون بما
يعجز عقل الإنسان عنه علم صدقهم وإن نقل عنهم ناقل ما يعلم
بصريح العقل بطلانه علم أنه يكذب عليهم إما في اللفظ والمعنى
وإما في أحدهما وأما إذا كان هو يقول القول الذي يذكر أنه

²²⁰ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 135 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 14

علم صحته أو أنه فسر به كلام الأنبياء وهو لا يتصور ما يقوله ولا يفقهه فهذا قائل على الله وعلى رسله ما لا يعلم وهذا قد ارتكب أعظم المحرمات قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِنَّكُمْ وَالْبُغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 33

وقد اتفق أهل الملل على أن القول على الله بغير علم حرام والله سبحانه نهاهم أن يقولوا على الله إلا الحق فكان هذا نهيا أن يقولوا الباطل سواء علموا أنه باطل أو لم يعلموا فإنهم إن لم يعلموا أنه باطل فلم يعلموا أنه حق أيضا إذ الباطل يمتنع أن يعلم أنه حق وإن اعتقد معتقد اعتقادا فاسدا أنه حق فذلك ليس بعلم فلا تقولوا على الله ما لا تعلمون وإن علموا أنه باطل فهو أجدر أن لا يقولوه وعامة النصارى ضلال لا يعلمون أن ما يقولونه حق بل يقولون على الله ما لا يعلمون والمقصود أن الباطل في كلامهم كثير كقولهم فهو بتوحيد ذلك القوام الواحد قوام لكلمة الله الخالقة

والمسيح عندهم اسم لللاهوت والناسوت جميعا اسم للخالق والمخلوق وأحدهما متحد بالآخر فهو بتوحيد ذلك القوام قوام لكلمة الله الخالقة وسواء أريد بذلك أن الناسوت واللاهوت قوام لللاهوت أو أن الناسوت قوام لللاهوت وهم يمثلون ذلك بالروح والجسد والنار والحديد فيكون كما لو قيل إن الجسد والروح أو الجسد قوام للروح أو النار والحديد أو الحديد قوام للنار فيقال الخالق الأزلي الذي لم يزل ولا يزال هل يكون المحدث المخلوق قواما له فيكون المخلوق المصنوع المحدث المقتدر إلى الله من كل وجه قواما للخالق الغني عنه من كل وجه وهل هذا إلا من أظهر الدور الممتنع فإنه من المعلوم بصريح العقل واتفاق العقلاء أن المخلوق لا قوام له إلا بالخالق فإن كان الخالق قوامه بالمخلوق لزم أن يكون كل من الخالق والمخلوق قوامه بالآخر فيكون كل منهما محتاجا إلى الآخر إذ ما كان قوام الشيء به فإنه محتاج إليه وهذا مع كونه يقتضي أن الخالق يحتاج إلى مخلوقه وهو من الكفر الواضح فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل وهذا لازم للنصارى

سواء قالوا بالاتحاد أو بالحلول بلا اتحاد وإن كانت فرقههم الثلاث يقولون بنوع من الاتحاد فإنه مع الاتحاد كل من المتحدين لا بد له من الآخر فهو محتاج إليه كما يمثلون به في الروح مع البدن والنار مع الحديد فإن الروح التي في البدن محتاجة إلى البدن كما أن النار في الحديد محتاجة إلى الحديد وكذلك الحلول فإن كل حال محتاج إلى محلول فيه وهو من الكفر الواضح فإنه يظهر امتناعه بصريح العقل فإن ذلك المخلوق إن قدر أنه موجود بنفسه قديم أزلي فليس هو مخلوقا ومع هذا فيمتنع أن يكون كل من القديمين الأزليين محتاجا إلى الآخر سواء قدر أنه فاعل له أو تمام الفاعل له أو كان مفتقرا إليه بوجه من الوجوه لأنه إذا كان مفتقرا إليه بوجه من الوجوه لم يكن موجودا إلا به فإن الموجود لا يكون موجودا إلا بوجود لوازمه ولا يتم وجوده إلا به فكل ما قدر أنه محتاج إليه لم يكن موجودا إلا به فإذا كان كل من القديمين محتاجا إلى الآخر لزم أن لا يكون هذا موجودا إلا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر وأن لا يكون هذا موجودا إلا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر والخالق لا يكون خالقا حتى يكون موجودا ولا يكون موجودا إلا بلوازم وجوده فيلزم أن لا يكون هذا موجودا حتى يجعله الآخر موجودا ولا يكون ذلك موجودا حتى يجعله الآخر موجودا إذ كان جعله لما لم يتم به وجوده يتوقف وجوده عليه فلا يكون موجودا إلا به فلا فرق بين أن يحتاج أحدهما إلى الآخر في وجوده أو فيما لا يتم وجوده إلا به وهذا هو الدور القبلي الممتنع باتفاق العقلاء وأما الدور المعنى وهو أنه لا يوجد هذا إلا مع هذا ولا هذا إلا مع هذا كالأبوة مع البنوة وكصفات الرب بعضها مع بعض وصفاته مع ذاته فإنه لا يكون عالما إلا مع كونه قادرا ولا يكون عالما قادرا إلا مع كونه حيا ولا يكون حيا إلا مع كونه عالما قادرا ولا تكون صفاته موجودة إلا بذاته ولا ذاته موجودة إلا بصفاته فهذا جائز في المخلوقين اللذين يفتقران إلى الخالق الذي يحدثهما جميعا كالأبوة والبنوة وجائز في الرب الملازم لصفاته تعالى وأما إذا قدر قديمان أزليان ربان فاعلان

امتنع أن يكون أحدهما محتاجا إلى الآخر إذ كان وجوده لا يتم إلا بما يحتاج وجوده إليه ولا يكون فاعلا لشيء إن لم يتم وجوده فيمتنع مع نقص كل منهما عن تمام وجوده أن يكون فاعلا لغيره تمام وجود ذلك الغير ولهذا لم يقل بهذا أحد من الأمم ولكن الذي قاله النصارى أنهم جعلوا قوام الخالق تعالى بالمخلوق فيقال لهم هذا أيضا ممتنع في صريح العقل أعظم من امتناع قيام كل من الخالقين بالآخر وإن كان هذا أيضا ممتنعا فإن المخلوق مفتقر في جميع أموره إلى الخالق فيمتنع مع فقره في وجوده وتام وجوده إلى الخالق أن يكون قوام الخالق به لأن ذلك يقتضي أن يكون مقيما له وأن يكون تمام وجوده به فيكون المخلوق لا وجود لشيء منه إلا بالخالق فالقدر الذي يقال إنه يقيم به الخالق هو من الخالق والخالق خالقه وخالق كل مخلوق فلا وجود له ولا قيام إلا بالخالق فكيف يكون به قيام الخالق وليس هذا كالجوهر وأعراضه اللازمة أو كالمادة والصورة عند من يزعم أن الصورة جوهر إذا كانا متلازمين فإن هذا من باب الدور المعنى كالنبوة مع الأبوة وهذا جائز كما تقدم إذ كان الخالق لهما جميعا هو الله وأما مع كون كل منهما هو الخالق فهو ممتنع ومع كون أحدهما خالقا والآخر مخلوقا فهو أشد امتناعا والرب تعالى غني عن كل ما سواه من كل وجه وكل ما سواه فقير إليه من كل وجه وهذا معنى اسمه الصمد فإن الصمد الذي يصمد إليه كل شيء لافتقاره إليه وهو غني عن كل شيء لا يصمد إلى شيء ولا يسأله شيئا سبحانه وتعالى فكيف يكون قوامه بشيء من المخلوقات²²¹

لطائف لغوية

1- فإن الإسم المجموع المعروف بالألف واللام يوجب إستيعاب الجنس قال تعالى { **ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا** } { **الأعراف 11** } فسجود الملائكة يقتضى جميع الملائكة هذا مقتضى

²²¹الجواب الصحيح ج: 4 ص: 293-299

اللسان الذى نزل به القرآن فالعدول عن موجب القول العام إلى
الخصوص لا بد له من دليل يصلح له وهو معدوم²²²

2- قال تعالى { فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ
مِنَ الصَّاعِرِينَ } {الأعراف13} الصاغر الدليل قال اهل اللغة
الصغار الذل والضميم يقال صغر الرجل بالكسر يصغر بالفتح
صغرا وصغرا والصاغر الراضي بالضميم²²³

3- وكذلك الوسواس في النفس يكون من الشيطان تارة ومن النفس
تارة قال تعالى {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسُهُ
ق16} وقال {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ} طه120 وقال
{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا
{الأعراف20} والوسوسة من جنس الوسوسة بالشين المعجمة
ومنه وسوسة الحلى وهو الكلام الخفي والصوت الخفي²²⁴

4- الرب هو المربي الخالق الرازق الناصر الهادى و هذا
الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة ولهذا يقال {رَبِّ اغْفِرْ
لِي وَلِوَالِدَيَّ} {نوح28} {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا
وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} {الأعراف23} {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ
نَفْسِي فَاعْفُرْ لِي} {القصص16} {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا
فِي أَمْرِنَا} {آل عمران147} {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا} {البقرة286} فعامة المسألة و الاستعانة المشروعة باسم
الرب²²⁵

5- فان السؤال والطلب قد يكون بصيغة الشرط كما تقول لو نزلت
عندنا لأكرمناك وان بت الليلة عندنا أحسنت الينا ومنه قول آدم
{رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

²²²مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 363

²²³ب الصارم المسلول ج: 2 ص: 33

²²⁴منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 186

²²⁵مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 1

{الأعراف23 وقول نوح {رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ }هود47
ومثله كثير²²⁶

6- قال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ
وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى }الأعراف26 الآية وفيها قراءتان أحدهما
بالنصب فيكون لباس التقوى أيضا منزلا وأما على قراءة الرفع فلا
وكلاهما حق لفظ النزول اشكل على كثير من الناس وقد قيل فيه
خلفاه وقيل أنزلنا أسبابه وقيل ألهمناهم كيفية صنعته وهذه الأقوال
ضعيفة فإن النبات الذي ذكروا لم يجيء فيه لفظ أنزلنا ولم يستعمل
في كل ما يصنع أنزلنا فلم يقل أنزلنا الدور وأنزلنا الطبخ ونحو ذلك
وهو لم يقل أنا أنزلنا كل لباس ورياش وقد قيل أن الريش والرياش
المراد به اللباس الفاخر كلاهما بمعنى واحد مثل اللبس واللباس
وقد قيل هما المال والخصب والمعاش وارتاش فلان حسنت حالته
والصحيح أن الريش هو الاثاث والمتاع قال أبو عمر
والعرب تقول أعطاني فلان ريشه أى كسوته وجهازه وقال غيره
الرياش فى كلام العرب الاثاث وما ظهر من المتاع والثياب
والفرش ونحوها وبعض المفسرين أطلق عليه لفظ المال والمراد
به مال مخصوص قال بن زيد جمالا وهذا لأنه مأخوذ من ريش
الطائر وهو ما يروش به ويدفع عنه الحر والبرد وجمال الطائر
ريشه وكذلك ما يبىيت فيه الانسان من الفرش وما يبسطه تحته
ونحو ذلك والقرآن مقصوده جنس اللباس الذى يلبس على البدن
وفى البيوت كما قال تعالى {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا
{النحل80 الآية فامتن سبحانه عليهم بما ينتفعون به من الانعام
فى اللباس والاثاث وهذا والله أعلم معنى انزاله فانه ينزله من
ظهور الانعام وهو كسوة الأنعام من الأصواف والأوبار والأشعار
وينتفع به بنو آدم من اللباس والرياش فقد أنزلها عليهم وأكثر أهل

الأرض كسوتهم من جلود الذواب فهي لدفع الحر والبرد وأعظم
مما يصنع من القطن والكتان ²²⁷

7- لفظ اللباس فهو مستعمل في كل ما يغشى الانسان ويلتبس
به قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا } الفرقان 47 وقال
{ **وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ** } الأعراف 26 وقال { هُنَّ لِبَاسٌ
لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ } البقرة 187 ومنه يقال لبس الحق بالباطل
إذا خلطه به حتى غشيه ²²⁸

8- والجد لما قال أكثرهم انه أب استدلوا على ذلك بالقرآن بقوله
{ **كَمَا أَخْرَجَ أَبُوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ** } الأعراف 27 وقال ابن عباس لو
كانت الجن تظن ان الانس تسمى أبا الاب جدا لما قالت { وَأَنَّهُ
تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا } الجن 3 يقول إنما هو أب لكن أب أبعد من أب ²²⁹

9- قال تعالى { **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ
مَسْجِدٍ** } الأعراف 29 القسط الذي أرسل الله له الرسل و أنزل له
الكتب وهو مقابلة الحسنة بمثلها و السيئة بمثلها كما قال تعالى
{ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ } الرحمن 60 وقال { وَإِذَا
حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا } النساء 86 وقال
{ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا** } الشورى 40 وقال { **كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ** } البقرة 178 ²³⁰

10- أن مواضع الساجد تسمى مساجد كما قال تعالى { **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ
لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** } الجن 18 وقال تعالى { **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ** } البقرة 114 وقال تعالى { **مَا
كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ** } التوبة 17 وقال تعالى {
وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 29 ولا تسمى

²²⁷ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 255-257

²²⁸ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 111

²²⁹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 192

²³⁰ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 521

مقامات الا بعد فعل السجود فيها فعلم أن أعظم افعال الصلاة هو السجود الذي عبر عن مواضع السجود بأنها مواضع فعله ²³¹

11- قال تعالى {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {الأعراف 29} الدين يتضمن معنى الخضوع والذل يقال دنته فدان اي ذلته فذل ويقال يدين الله ويدين لله أي يعبد الله ويطيعه ويخضع له فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له ²³²

12- و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {الأعراف 29} وقال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ} {الشعراء 213} وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} {المؤمنون 117} وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} {القصص 88} وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} {الجن 19} وقال {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} {النساء 117} ²³³

13- قال تعالى {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ} {الأعراف 30} عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى إذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به

²³¹ مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 79

²³² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 152

²³³ شرح العمدة ج: 4 ص: 28 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 239-240

رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله
 {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة6 والمراد طلب العلم بالحق
 والعمل به جميعا وكذلك قوله {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} البقرة2 والمراد
 به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك
 قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف43 وانما
 هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى
 اما بالاجتناب كما فى قوله {وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ} الأنعام87 وكما فى قوله {شَاكِرًا لِّلنَّعْمِ اجْتِنَابًا
 وَهَدَاهُ} النحل121 {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن
 يُنِيبُ} الشورى13 وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
 بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} التوبة33 والهدى هنا هو الايمان ودين
 الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه
 هذا وهذا

ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان
 عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله {إِنَّهُمْ أَفْوَاهٌ آبَاءُهُمْ
 ضَالِّينَ} {69} فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ
 أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} {71} الصافات69-71 وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا
 أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} {67} رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
 الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} {68} الأحزاب67-68 وقوله {فَمَنْ
 اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه123 ثم يقرن بالغى
 والغضب كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم2
 وفى قوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة7 وقوله
 {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} القمر47²³⁴

14- قال تعالى { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } {الأعراف 31} فالاسراف مجاوزة الحد تعدى الحد ومجاوزة القصد²³⁵

15- أن الزينة في الأصل اسم للباس و الحلية بدليل قوله تعالى { يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ } {الأعراف 31} وقوله تعالى { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ } {الأعراف 32}²³⁶

16 - قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } {الأعراف 33} فإنه ينفي التحريم عن غير هذه الأصناف و يثبتها لها لكن أثبتتها للجنس أو لكل و احد و احد من العلماء كما يقال إنما يحج المسلمون و لا يحج إلا مسلم و ذلك أن المستثنى هل هو مقتض أو شرط²³⁷

17- قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } {الأعراف 33}

والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير موضع كقوله { أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } {الروم 35} وقوله { مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } {الأعراف 71} وقال ابن عباس كل سلطان في القرآن فهو الحجة ذكره البخارى فى صحيحه²³⁸

18- قال تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } {الأعراف 33} عامة

²³⁵مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 695

²³⁶نرح العدة ج: 4 ص: 267

²³⁷مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 287

²³⁸مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 42 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 316

الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الاثم
إذا أطلق دخل فيه كل ذنب وقد يقرن بالعدوان كما في قوله تعالى
{ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } المائدة²³⁹

19- قال الله فيها { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ
سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف³³ وأما
التقديم في اللفظ فإنه يكون للانتقال من الأدنى إلى الأعلى²⁴⁰

²³⁹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 165

²⁴⁰ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 216

الأعراف 34-58

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} {34} يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {35} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {36} فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمُ النَّصِيبُ مِمَّنِ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَهُمْ قَالُوا أَيُّنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} {37} قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ} {38} وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} {39} إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} {40} لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} {41} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {42} وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأنهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَكَّمِ الْجَنَّةُ أُوْرثْتُمُوهَا

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {43} وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ
النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ
رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَاذَنْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ {44} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عُوجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ {45} وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى
الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ
الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ {46}
وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا
تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ {47} وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ
رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا
كُنْتُمْ تُسْتَغْبَرُونَ {48} أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ
بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ
تُخْزَنُونَ {49} وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ
أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ {50} الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا
وَلَعِبًا وَغَرَّتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ
يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَذَّكَّرُونَ {51} وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ
بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {52}
هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ
مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ
فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا
أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {53} إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ {54} ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ {55} وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
 إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
 الْمُحْسِنِينَ {56} وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
 رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثَقَالًا سُفِّتَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا
 بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {57} وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ
 وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
 يَشْكُرُونَ {58}

أجل لا تتقدم و لا تتأخر

*قال تعالى {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً
 وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} {الاعراف 34} فلا يموت أحد قبل أجله و لا يتأخر
 أحد عن أجله بل سائر الحيوان و الأشجار لها آجال لا تتقدم و لا
 تتأخر فإن أجل الشيء هو نهاية عمره و عمره مدة بقائه فالعمر
 مدة البقاء و الأجل نهاية العمر بالإنقضاء وقد ثبت في صحيح
 مسلم و غيره عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال قدر الله
 مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف
 سنة و كان عرشه على الماء و ثبت في صحيح البخاري أن
 النبي صلى الله عليه و سلم قال كان الله و لم يكن شيء قبله و
 كان عرشه على الماء و كتب في الذكر كل شيء و خلق السموات
 و الأرض و فى لفظ ثم خلق السموات و الأرض و قد قال
 تعالى { فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
 {النحل 61} و الله يعلم ما كان قبل أن يكون و قد كتب ذلك ²⁴¹

بعث الله رسله بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها

²⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 516

*قال تعالى { يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {35} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ } {36} الاعراف 35-36 فإن الله أمر بالصلاح ونهى عن الفساد وبعث رسله بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها قال تعالى { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } الاعراف 142 وقال شعيب { إِنَّ أَرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ } هود 88 وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } {11} الأناجيد 11-12 البقرة 12-11²⁴²

*فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أعده لأوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنی وصفاته العلیا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده فالؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محجوبون²⁴³

النجاة والسعادة فى اتباعه والشقاء فى مخالفته

*أصل جامع فى الاعتصام بكتاب الله ووجوب اتباعه وبيان الاهتداء به فى كل ما يحتاج إليه الناس من دينهم وأن النجاة والسعادة فى اتباعه والشقاء فى مخالفته وما دل عليه من اتباع السنة والجماعة قال الله تعالى { قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً

²⁴² مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 266

²⁴³ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 121

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى {126} طه 123-126 قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية وقال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَفْضُلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ أَتَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {35} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {36} الأعراف 35-36²⁴⁴

* ولا بد من التنبيه على قاعدة تحرك القلوب الى الله عز وجل فتعنتصم به فتقتل آفاتهما أو تذهب عنها بالكلية بحول الله وقوته فنقول إعلم أن محركات القلوب الى الله عز وجل ثلاثة المحبة والخوف والرجاء وأقواها المحبة وهي مقصودة تراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى {فَمَنْ أَتَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {الأعراف 35} والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق فالمحبة تلقى العبد في السير الى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه والخوف يمنع أن يخرج عن طريق المحبوب والرجاء يقوده فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن ينتبه له فإنه لا تحصل له العبودية بدونه وكل أحد يجب أن يكون عبدا لله لا لغيره²⁴⁵

*فان الكفر عدم الايمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة وإن كان الكافر المكذب أعظم كفرا وكذلك الجاحد المكذب حسدا مع استيقان صدق الرسل والسور المكية كلها خطاب مع هؤلاء ولهذا يقول

²⁴⁴مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 77

²⁴⁵مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 95

سبحانه { كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ { الشعراء 105 لأنهم كذبوا جميع الرسل ولم يؤمنوا بأصل الرسالة وقد قال تعالى لما أهبط أباهم آدم { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى {126} وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى {127} طه 123-127 فأخبر أنه إذا أتاهم هدى منه وهو ما أنزله على رسله من الذكر فمن اتبعه اهتدى وسعد فى الدنيا والآخرة ومن أعرض عنه شقى وعمى ولهذا قال فى أوائل البقرة فى نعت المؤمنين { أَوْلِيكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { البقرة 5 كما قال هنا { فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى { طه 123 فان الهدى ضد الضلال والفلاح ضد الشقاء وقال تعالى { يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {35} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {36} الأعراف 35-36²⁴⁶

*كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأبى موسى يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وهذا هو السماع الذى كان النبى يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم كما فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال النبى إقرأ على القرآن قلت أقرأه عليك و عليك أنزل فقال إني أحب أن أسمع من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا { النساء 41 قال حسبك فنظرت فاذا عيناه تذرفان وهذا هو الذى كان النبى يسمعه هو وأصحابه كما قال تعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ

رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ { آل عمران 164 } والحكمة هي السنة وقال
تعالى { إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ
شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } {91} وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ
اهْتَدَىٰ فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ {92}
النمل 91-92 وكذلك غيره من الرسل قال تعالى { يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا
يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {الأعراف 35} وبذلك يحتج عليهم يوم
القيامة كما قال تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ
مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ } {الأنعام 130} وقال تعالى { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ
زُمْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا
بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } {الزمر 71} وقد أخبر
أن المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمعرض عنه ضال شقى قال
تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ
مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ
عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124}
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ
آيَاتُنَا فَنَسِيَّتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } {126} طه 123-126 وقال
تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ } {الزخرف 36} ²⁴⁷

الكفار بالرسول يتبعون ظنونهم واهواءهم

* والكفار بالرسول من قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و شعيب
و قوم إبراهيم و موسى و مشركى العرب و الهند و الروم و البربر

والترك واليونان والكشدانبيين وسائر الأمم المتقدمين والمستأخرين يتبعون ظنونهم واهواءهم ويعرضون عن ذكر الله الذي آتاهم من عنده كما قال لهم لما اهبط آدم من الجنة { فَأَمَّا يَا تِيبُكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {38} وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } {39} البقرة 38-39 وفي موضع آخر { فَأَمَّا يَا تِيبُكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} طه 123-124 الآية وفي أخرى { إِمَّا يَا تِيبُكُم رُّسُلًا مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُم آيَاتِي } {الأعراف 35} ثم إنهم مع أنهم ما نزل الله بما هم عليه من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس يزعمون أن لهم العقل والرأي والقياس العقلي والأمثال المضروبة ويسمون أنفسهم الحكماء والفلاسفة ويدعون الجدل والكلام والقوة والسلطان والمال ويصفون إلتباع المرسلين بأنهم سفهاء واراذل وضلال ويسخرون منهم قال الله تعالى { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {غافر 83} ²⁴⁸

من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار

* كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } {الأعراف 37} ومن كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال إن الله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلقه ثم قرأ { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } هود 102 وقال أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقومها تارة وتمليها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكالية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعا ويزول سريعا كدولة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيرا ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئا فشيئا كالزرع قال تعالى { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } الفتح 29 ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله والمنتبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المنتبئ الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع²⁴⁹

* وقد قال تعالى { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ } {32} وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } {33} الزمر 32-33 الآية فقد ذم الله سبحانه وتعالى الكاذب على الله والمكذب بالصدق وهذا ذم عام والرافضة اعظم أهل البدع دخولا في هذا الوصف المذموم فإنهم

²⁴⁹الجواب الصحيح ج: 6 ص: 423

اعظم الطوائف افتراء للكذب على الله و أعظمهم تكذيبا بالصدق لما جاءهم وأبعد الطوائف عن المجيء بالصدق و التصديق به و أهل السنة المحضة أولى الطوائف بهذا فإنهم يصدقون و يصدقون بالحق في كل ما جاء به و ليس لهم هوى إلا مع الحق و الله تعالى مدح الصادق فيما يجئ به و المصدق بهذا الحق فهذا مدح للنبي صلى الله عليه و سلم و لكل من آمن به و بما جاء به و هو سبحانه لم يقل و الذي جاء بالصدق و الذي صدق به فلم يجعلهما صنفين بل جعلهما صنفا واحدا لأن المراد مدح النوع الذي يجئ بالصدق و يصدق بالصدق فهو ممدوح على اجتماع الوصفين على أن لا يكون من شأنه إلا أن يجيء بالصدق و من شأنه أن يصدق بالصدق و قوله { جَاءَ بِالصِّدْقِ } الزمر 33 اسم جنس لكل صدق و أن كان القرآن أحق بالدخول في ذلك من غيره و لذلك صدق به أي بجنس الصدق و قد يكون الصدق الذي صدق به ليس هو عين الصدق الذي جاء به كما تقول فلان يسمع الحق و يقول الحق و يقبله و يأمر بالعدل و يعمل به أي هو موصوف بقول الحق لغيره و قبول الحق من غيره وأنه يجمع بين الأمر بالعدل و العمل به وإن كان كثير من العدل الذي يأمر به ليس هو عين العدل الذي يعمل به فلما ذم الله سبحانه من اتصف بأحد الوصفين الكذب على الله و التكذيب بالحق إذ كل منهما يستحق به الذم مدح ضدهما الخالي عنهما بأن يكون يجيء بالصدق لا بالكذب وأن يكون مع ذلك مصدقا بالحق لا يكون ممن يقوله هو وإذا قاله غيره لم يصدقه فإن من الناس من يصدق و لا يكذب لكن يكره أن غيره يقوم مقامه في ذلك حسدا و منافسة فيكذب غيره في غيره أو لا يصدقه بل يعرض عنه و فيهم من يصدق طائفة فيما قالت قبل أن يعلم ما قالوه اصدق هو أم كذب والطائفة الأخرى لا يصدقها فيما تقول وأن كان صادقا بل إما أن يصدقها وإما أن يعرض عنها وهذا موجود في عامة أهل الأهواء تجد كثيرا منهم صادقا فيما ينقله لكن ما ينقله عن طائفته يعرض عنه فلا يدخل هذا في المدح بل في الذم لأنه لم يصدق

بالحق الذي جاءه والله قد ذم الكاذب والمكذب بالحق لقوله في غير
 آية { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
 {العنكبوت68} وقال { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ
 كَذَّبَ بِآيَاتِهِ { الأنعام21} ولهذا لما كان مما وصف الله به الأنبياء
 الذين هم أحق الناس بهذه الصفة أن كلا منهم يجيء بالصدق فلا
 يكذب فكل منهم صادق في نفسه مصدق لغيره ولما كان قوله
 والذي صنفا من الأصناف لا يقصد به واحد بعينه أعاد
 الضمير بصيغة الجمع فقال { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ
 أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ { الزمر33} وأنت تجد كثيرا من المنتسبين إلى
 علم ودين لا يكذبون فيما يقولونه بل لا يقولون إلا الصدق لكن لا
 يقبلون ما يخبر به غيرهم من الصدق بل يحملهم الهوى و الجهل
 على تكذيب غيرهم وإن كان صادقا أما تكذيب نظيره وإما تكذيب
 من ليس من طائفته ونفس تكذيب الصادق هو من الكذب ولهذا
 قرنه بالكاذب على الله فقال { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ
 بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ { الزمر32} فكلاهما كاذب هذا كاذب فيما يخبر
 به عن الله و هذا كاذب فيما يخبر به عن المخبر عن الله و
 النصرى يكثر فيهم المفترون للكذب على الله و اليهود يكثر فيهم
 المكذبون بالحق و هو سبحانه ذكر المكذب بالصدق نوعا ثانيا لأنه
 أولا لم يذكر جميع أنواع الكذب بل ذكر من كذب على الله و أنت
 إذا تدبرت هذا و علمت أن كل واحد من الكذب على الله و التكذيب
 بالصدق مذموم وأن المدح لا يستحقه إلا من كان أتيا بالصدق
 مصدقا للصدق علمت أن هذا مما هدى الله به عباده إلى صراطه
 المستقيم إذا تأملت هذا تبين لك أن كثيرا من الشر أو أكثره يقع
 من أحد هذين فتجد إحدى الطائفتين أو الرجلين من الناس لا يكذب
 فيما يخبر به من العلم لكن لا يقبل ما تأتي به الطائفة الأخرى
 وربما جمع بين الكذب على الله و التكذيب بالصدق

الأصول الثلاثة أمور متلازمة

*ومن المعلوم أن الأمور الدقيقة سواء كانت حقا أو باطلا إيمانا أو كفرا لا تدرك إلا بالذكاء وفطنة فلذلك يستجهلون من لم يشركهم في عملهم وإن كان إيمانه أحسن من إيمانهم إذا كان منه قصور في الذكاء والبيان وهم كما قال الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } {29} وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ } {30} {المطففين 29-30 الآيات فإذا تقلدوا عن طواغيتهم أن كل مالم يحصل بهذه الطرق القياسية ليس بعلم وقد لا يحصل لكثير منهم منها ما يستفيد به الإيمان الواجب فيكون كافرا زنديقا منافقا جاهلا ضالا مضلا ظلوما كفورا ويكون من أكابر أعداء الرسل ومنافقي الملة من من الذين قال الله فيهم { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ } {الفرقان 31} وقد يحصل لبعضهم إيمان ونفاق ويكون مرتدا أما عن أصل الدين أو بعض شرائعه إما ردة نفاق وإمارة كفر وهذا كثير غالب لا سيما في الأعصار والأمصار التي تغلب فيها الجاهلية والكفر والنفاق فلهؤلاء من عجائب الجهل والظلم والكذب والكفر والنفاق والضلال مالا يتسع لذكره المقال وإذا كان في المقالات الخفية فقد يقال أنه فيها مخطيء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أنها من دين المسلمين بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمدا بعث بها وكفر من خالفها مثل أمره بعبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبیین وغيرهم فإن هذا أظهر شعائر الإسلام ومثل ومعادة اليهود والنصارى والمشركين ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك ثم تجد كثيرا من رؤوسهم وقعوا في هذه الأنواع فكانوا مرتدين وإن كانوا قد يتوبون من ذلك ويعودون كرؤوس القبائل مثل الأقرع وعيينة ونحوهم ممن إرتد عن الإسلام ثم دخل فيه ففيهم من كان يتهم بالنفاق ومرض القلب

وفيه من لم يكن كذلك فكثير من رؤوس هؤلاء هكذا تجده تارة يرتد عن الإسلام ردة صريحة وتارة يعود إليها ولكن مع مرض فى قلبه ونفاق وقد يكون له حال ثالثة يغلب الإيمان فيها النفاق لكن قل أن يسلموا من نوع نفاق والحكايات عنهم بذلك مشهورة وقد ذكر ابن قتيبة عن ذلك طرفا فى أول مختلف الحديث وقد حكى أهل المقالات بعضهم عن بعض من ذلك طرفا كما يذكره أبو الحسن الأشعري والقاضي أبو بكر ابن الباقلانى وأبو عبدالله الشهرستانى وغيرهم وأبلغ من ذلك ان منهم من يصنف فى دين المشركين والردة عن الإسلام كما صنف الرازى كتابه فى عبادة الكواكب وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ورجب فيه وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين وإن كان قد يكون عاد إلى الإسلام وجميع ما يأمر به من العلوم والأعمال والأخلاق لا يكفى فى النجاة من عذاب الله فضلا أن يكون موصلا لنعيم الآخرة

قال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ } الأعراف 38 كذلك قال { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } غافر 82 الى قوله { وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } غافر 85 فأخبر هنا بمثل ما اخبر به فى الأعراف أن هؤلاء المعرضين عما جاءت به الرسل لما رأوا بأس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم ينفعهم ذلك وكذلك اخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد وبالرسالة انه لما ادركه الغرق قال { قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَآنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يونس 90 قال الله { الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } يونس 91 وقال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } 172 { أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } 173 { الأعراف 172- 173 } وقال

تعالى { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي
أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا
إِلَيْهِ مُرِيبٍ {9} قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {10} إبراهيم 9-10 وهذا في القرآن في
مواضع أخر يبين فيها أن الرسل كلهم امرؤا بالتوحيد بعبادة الله
وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو
اتخاذها لها ويخبر ان اهل السعادة هم أهل التوحيد وأن المشركين
هم أهل الشقاوة وذكر هذا عن عامة الرسل وبيين أن الذين لم
يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والايمان بالرسل
متلازمان وكذلك الايمان باليوم الآخر هو والايمان بالرسل
متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينها في مثل قوله { وَلَا
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ } الأنعام 150 ولهذا أخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة
مشركون فقال تعالى { وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ } الزمر 45 وأخبر عن جميع الأشقياء ان
الرسل انذرتهم باليوم الآخر كما قال تعالى { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ
سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَّهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ {8} قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا
وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ {9} وَقَالُوا لَوْ
كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {10} فَاعْتَرَفُوا
بذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ {11} الملك 8-11 فأخبر ان
الرسل انذرتهم وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى { وَسِيقَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ
خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ } الزمر 71 فأخبر عن اهل النار انهم قد
جاءتهم الرسالة وانذروا باليوم الآخر وقال تعالى { وَيَوْمَ
يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ

أُولِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي
 أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ
 عَلِيمٌ {128} وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ {129} يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ
 يَفْصَحُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى
 أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
 كَافِرِينَ {130} الأنعام 128-130 فأخبر عن جميع الجن والانس ان
 الرسل بلغتهم رسالة الله وهي آياته وأنهم اندروهم اليوم الآخر
 وكذلك قال { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } {103} الَّذِينَ ضَلَّ
 سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا {104} الكهف 103-104 الى قوله {
 أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ {105} الكهف 105 فأخبر
 انهم كفروا بآياته وهي رسالته وبلقائه وهو اليوم الآخر
 وقد اخبر ايضا فى غير موضع بأن الرسالة عمت بنى آدم وان
 الرسل جاءوا مبشرين ومنذرين كما قال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
 بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ } فاطر 24 وقال
 تعالى { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
 { النساء 163 الى قوله { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } {165} النساء
 165 وقال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {48}
 وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } {49} الانعام
 48-49 فأخبر ان من آمن بالرسول واصلح من الأولين والآخرين
 فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى { قُلْنَا اهْبِطُوا
 مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
 وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 38 ومثل ذلك قوله { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
 يَحْزَنُونَ } البقرة 62 فذكر ان المؤمنين بالله وباليوم الآخر من
 هؤلاء هم اهل النجاة والسعادة وذكر فى تلك الآية الايمان بالرسول
 وفى هذه الايمان باليوم الآخر لأنهما متلازمان وكذلك الايمان

بالرسل كلهم متلازم فمن آمن بواحد منهم فقد آمن بهم كلهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم كما قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ {150} النساء 150 الى قوله { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } النساء 151 الآية والتي بعدها فأخبر ان المؤمنين بجميع الرسل هم اهل السعادة وان المفرقين بينهم بالايمان ببعضهم دون بعض هم الكافرون حقا وقال تعالى { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا } {13} اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً {14} مَن اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } {15} الإسراء 13-15 فهذه الأصول الثلاثة توحيد الله والايمان برسله وباليوم الآخر هي امور متلازمة والحاصل ان توحيد الله والايمان برسله واليوم الآخر هي امور متلازمة مع العمل الصالح فأهل هذا الايمان والعمل الصالح هم اهل السعادة من الأولين والآخرين والخارجون عن هذا الايمان مشركون اشقياء فكل من كذب الرسل فلن يكون الا مشركا وكل مشرك مكذب للرسل وكل مشرك وكافر بالرسل فهو كافر باليوم الآخر وكل من كفر باليوم الآخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك ولهذا قال سبحانه وتعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {112} وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ } {113} الأنعام 112- 113 فأخبر ان جميع الأنبياء لهم اعداء وهم شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض القول المزخرف وهو المزين المحسن يغترون به والغرور هو التلبيس والتمويه وهذا شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من امر المتفلسفه والمتكلمه وغيرهم من الأولين والآخرين ثم قال { وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ } {113} الأنعام 113 فأخبر ان كلام اعداء الرسل

تصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنوا بالآخرة فعلم ان مخالفة الرسل وترك الايمان بالآخرة متلازمان فمن لم يؤمن بالآخرة اصغى الى زخرف اعدائهم فخالف الرسل كما هو موجود فى اصناف الكفار والمنافقين فى هذه الأمة وقال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} {52} هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

يَفْتَرُونَ} {53} الأعراف52-53 فأخبر ان الذين تركوا اتباع الكتاب وهو الرساله يقولون اذا جاء تأويله وهو ما اخبر به جاءت رسل ربنا بالحق وهذا كقوله {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} {126} وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} {127} طه124-127 اخبر ان الذين تركوا اتباع آياته يصيبهم ما ذكرنا فقد تبين ان اصل السعادة واصل النجاة من العذاب هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والايمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح²⁵¹

ذم الله الذين يدعون الملائكة والأنبياء وغيرهم

*لفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} القصص88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا

²⁵¹ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 53-56 و مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 28-34

يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا { الجن 19 وقال { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا { النساء 117 ولفظ الصلاة في اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر اولا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ { البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا { الأنبياء 90 وقال تعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا { السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع²⁵²

*والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسئلة والإستعانة كما قال تعالى { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ { غافر 14 وذم الذين يدعون الملائكة والأنبياء

وغيرهم فقال {قَالُوا أَيَّنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا} الأعراف 37²⁵³

عبادة الأخبار كانت فى تحليل الحرام وتحريم

الحلال

* وقد قال الله تعالى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة 31 وفى حديث عدى بن حاتم وهو حديث حسن طويل رواه أحمد والترمذى وغيرهما وكان قد قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وهو نصرانى فسمعه يقرأ هذه الآية قال فقلت له أنا لسنا نعبدكم قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونهُ قال فقلت بلى قال فقلت عبادتكم وكذلك قال أبو البخترى اما أنهم لم يصلوا لهم ولو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم ولكن أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية وقال الربيع بن أنس قلت لأبى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل قال كانت الربوبية أنهم وجدوا فى كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه فقالوا لن نسبق احبارنا بشيء فما أمرونا به انتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم فاستنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد بين النبى أن عبادتهم اياهم كانت فى تحليل الحرام وتحريم الحلال لا أنهم صلوا لهم وصاموا لهم ودعوهم من دون الله فهذه عبادة للرجال وتلك عبادة للأموال وقد بينها النبى وقد ذكر الله أن ذلك شرك بقوله {لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة 31 فهذا من الظلم الذى يدخل فى قوله {احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} 22} الصفات 22 فان هؤلاء والذين أمروهم بهذا هم

جميعا معذبون وقال {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} {الأنبياء 98} وانما يخرج من هذا من عبد مع كراهته لأن يعبد ويطاع في معصية الله فهم الذين سبقت لهم الحسنى كالمسيح والعزير وغيرهما فأولئك مبعدون وأما من رضى بأن يعبد ويطاع في معصية الله فهو مستحق للوعيد ولو لم يأمر بذلك فكيف اذا أمر وكذلك من أمر غيره بأن يعبد غير الله وهذا من أزواجهم فان أزواجهم قد يكونون رؤساء لهم وقد يكونون اتباعا وهم أزواج وأشباه لتشابههم فى الدين وسياق الآية يدل على ذلك فانه سبحانه قال {أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} {22} من دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} {23} الصافات 22-23 قال ابن عباس دلوههم وقال الضحاك مثله وقال ابن كيسان قدموهم والمعنى قودوهم كما يقود الهادى لمن يهديه ولهذا تسمى الأعناق الهوادى لأنها تقود سائر البدن وتسمى أوائل الوحش الهوادى {وَقَفُوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ} {24} مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ} {25} الصافات 24-25 أى كما كنتم تتناصرون فى الدنيا على الباطل {بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ} {26} وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} {27} قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} {28} قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} {29} وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَآغِينَ} {30} فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ} {31} فَأَعْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ} {32} فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} {33} إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ} {34} إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} {35} وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهِنَا لَشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} {36} بَلْ جَاء بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ} {37} إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ} {38} وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} {39} الصافات 26-39

39 وقال تعالى {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ} {38} وَقَالَتْ أَوْلَاهُمْ

لَا خَرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْسِبُونَ {39} الأعراف 38-39 وقال تعالى {وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي
النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ
مُعْتَدُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ {47} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا
إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ {48} غافر 47-48 وقال تعالى { وَلَوْ
تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ
الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ
{31} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ
الهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ {32} وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا
لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ
وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ
فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ {33} سبأ 31-33 وقوله في سياق الآية { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا
قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ } الصافات 35 ولا ريب أنها تتناول
الشركين الأصغر والأكبر وتتناول أيضا من استكبر عما أمره
الله به من طاعته فان ذلك من تحقيق قول لا اله الا الله فان الاله هو
المستحق للعبادة فكل ما يعبد به الله فهو من تمام تأله العباد له فمن
استكبر عن بعض عبادته سامعا مطيعا في ذلك لغيره لم يحقق قول
لا اله الا الله في هذا المقام وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما
أحل الله يكونون على وجهين أحدهما أن يعلموا أنهم
بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله
وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين
الرسول فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شركا وان لم يكونوا
يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع
علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله
مشركا مثل هؤلاء و الثاني أن يكون اعتقادهم وايمانهم
بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله
كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص

فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما ثبت في الصحيح
 عن النبي أنه قال إنما الطاعة في المعروف وقال
 على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية
 وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقال من
 أمركم بمعصية الله فلا تطيعوه²⁵⁴

" من دعا إلى الضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة "

*فقد يعزم على الفعل في المستقبل من لا يفعل منه شيئاً في الحال
 والعزم على أن يفعل في المستقبل لا يكفي في وجود الفعل بل لا بد
 عند وجوده من حدوث تمام الإرادة المستلزمة للفعل وهذه هي
 الإرادة الجازمة و الإرادة الجازمة إذا فعل معها الإنسان
 ما يقدر عليه كان في الشرع بمنزلة الفاعل التام له ثواب الفاعل
 التام وعقاب الفاعل التام الذي فعل جميع الفعل المراد حتى يثاب
 ويعاقب على ما هو خارج عن محل قدرته مثل المشتركين
 والمتعاونين على أفعال البر ومنها ما يتولد عن فعل الإنسان
 كالداعي إلى هدى أو إلى ضلالة والسان سنة حسنة وسنة سيئة كما
 ثبت في الصحيحين عن النبي أنه قال من دعا إلى هدى كان له
 من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء
 ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من تبعه من
 غير أن ينقص أوزارهم شيء وثبت عنه في الصحيحين أنه قال
 من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم
 القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيء فالداعي إلى الهدى
 وإلى الضلالة هو طالب مرید كامل الطلب والإرادة لما دعا إليه
 لكن قدرته بالدعاء والأمر وقدرة الفاعل بالإتباع والقبول ولهذا
 قرن الله تعالى في كتابه بين الأفعال المباشرة والمتولدة فقال {مَا

²⁵⁴مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 67- 74

كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَفُوا عَن رَّسُولِ
اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا
نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ {120} وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً
وَلَا يَفْطَعُونَ وَإِدْيَاءً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ {121} التوبة 120-121 فذكر في الآية الأولى ما يحدث
عن أفعالهم بغير قدرتهم المنفردة وهو ما يصيبهم من العطش
والجوع والتعب وما يحصل للكفار بهم من الغيظ وما ينالونه من
العدو وقال { إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ } التوبة 120 فأخبر
أن هذه الأمور التي تحدث وتتولد من فعلهم وفعل آخر منفصل
عنهم يكتب لهم بها عمل صالح وذكر في الآية الثانية نفس أعمالهم
المباشرة التي باسروها بأنفسهم وهي الإنفاق وقطع المسافة فهذا
قال فيها { إِلَّا كُتِبَ لَهُم } التوبة 120 فإن هذه نفسها عمل صالح
وإرادتهم في الموضوعين جازمة على مطلوبهم الذي هو أن يكون
الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا فما حدث مع هذه الإرادة
الجازمة من الأمور التي تعين فيها قدرتهم بعض الإعانة هي لهم
عمل صالح وكذلك الداعي إلى الهدى والضلالة لما
كانت إرادته جازمة كاملة في هدى الأتباع وضلالهم وأتى من
الإعانة على ذلك بما يقدر عليه كان بمنزلة العامل الكامل فله من
الجزاء مثل جزاء كل من إتبعه للهادي مثل أجور المهتدين
وللمضل مثل أوزار الضالين وكذلك السان سنة حسنة وسنة سيئة
فإن السنة هي ما رسم للتحري فإن السان كامل الإرادة لكل ما
يفعل من ذلك وفعله بحسب قدرته ومن هذا قوله في الحديث
المتفق عليه عن ابن مسعود عن النبي أنه قال لا تقتل نفس ظلما
إلا كان على بن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل
فالكفل النصيب مثل القاتل كما فسره الحديث الآخر وهو كما
إستباح جنس قتل المعصوم لم يكن مانع يمنع من قتل نفس
معصومة فصار شريكا في قتل كل نفس ومنه قوله تعالى { مِنْ

أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ
فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا
النَّاسَ جَمِيعًا {المائدة 32} ويشبهه هذا أنه من كذب رسولا معنا
كان كتكذيب جنس الرسل كما قيل فيه {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ
الْمُرْسَلِينَ { الشعراء 105} {كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ { الشعراء 123}
ونحو ذلك ومن الباب قوله تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ
آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ
مِّنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {12} {وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ
وَلِيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ {13} {العنكبوت 12-13}
فأخبر أن أئمة الضلال لا يحملون من خطايا الإتياع شيئا وأخبر
أنهم يحملون أثقالهم وهي أوزار الإتياع من غير أن ينقص من
أوزار الأتياع شيء لأن إرادتهم كانت جازمة بذلك وفعلا
مقدورهم فصار لهم جزاء كل عامل لأن الجزاء على العمل
يستحق مع الإرادة الجازمة وفعل المقدور منه وهو كما ثبت في
الصحيحين من حديث ابن عباس عن أبي سفيان أن النبي كتب
إلى هرقل فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين فأخبر أن
هرقل لما كان امامهم المتبوع في دينهم أن عليه إثم الأريسيين
وهم الأتياع وإن كان قد قيل إن أصل هذه الكلمة من الفلاحين
والإكرة كلفظ الطاء بالتركي فإن هذه الكلمة تقلب إلى ما هو أعم
من ذلك ومعلوم أنه إذا تولى عن أتياع الرسول كان عليه مثل
آثامهم من غير أن ينقص من آثامهم شيء كما دل عليه سائر
نصوص الكتاب والسنة ومن هذا قوله تعالى {إِلَهُكُمْ إِلَهٌ
وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ {22} {لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ {23} {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ
الْأُولَئِينَ {24} {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ
يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ {25} {النحل 22-25}
فقوله { وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ {25} {النحل 25} هي
الأوزار الحاصلة لضلال الأتياع وهي حاصلة من جهة الأمر ومن

جهة الأمور المتثل فالقدرتان مشتركتان في حصول ذلك الضلال
 فلهذا كان على هذا بعضه وعلى هذا بعضه إلا أن كل بعض هذين
 البعضين هو مثل وزر عامل كامل كما دلت عليه سائر النصوص
 مثل قوله من دعا إلى الضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل
 بها إلى يوم القيامة ومن هذا الباب قوله تعالى {قَالَ ادْخُلُوا
 فِي أُمَّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ
 لَعَنَتْ أَخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارُكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن
 لَّا تَعْلَمُونَ} الأعراف 38 فأخبر سبحانه أن الأتباع دعوا على
 أئمة الضلال بتضعيف العذاب كما أخبر عنهم بذلك في قوله تعالى
 { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } {67} رَبَّنَا
 آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } {68} الأحزاب 67-68
 وأخبر سبحانه أن لكل من المتبعين والأتباع تضعيفا من العذاب
 ولكن لا يعلم الأتباع التضعيف ولهذا وقع عظيم المدح والثناء
 لأئمة الهدى وعظيم الذم واللعنة لأئمة الضلال حتى روى في أثر
 لا يحضرني إسناده أنه ما من عذاب في النار إلا يبدأ فيه بابلوس
 ثم يصعد بعد ذلك إلى غيره وما من نعيم في الجنة إلا يبدأ فيه
 بالنبي ثم ينتقل إلى غيره فإنه هو الإمام المطلق في الهدى لأول
 بنى آدم وآخرهم كما قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر آدم ومن دونه
 تحت لوائى يوم القيامة ولا فخر وهو شفيع الأولين والآخرين
 فى الحساب بينهم وهو أول من يستفتح باب الجنة²⁵⁵

لفظ الذوق

*ولفظ الذوق وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان
 فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل في
 الإحساس بالملائم والمنافر كما أن لفظ الإحساس في عرف
 الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن وأما في

²⁵⁵ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 723-727 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 156

اللغة فأصله الرؤيا كما قال { هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ }
 { مريم 98 } والمقصود لفظ الذوق قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ
 الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } { النحل 112 } فجعل الخوف والجوع مذوقا
 وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه لابس الجائع والخائف فشمله
 وأحاط به إحاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الألم لا يستوعب
 مشاعره بل يختص ببعض المواضع وقال تعالى { فَذُوقُوا
 الْعَذَابَ } { آل عمران 106 } وقال تعالى { ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
 الْكَرِيمُ } { الدخان 49 } وقال تعالى { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
 وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } { القمر 48 } وقال { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا
 الْمَوْتَ } { الدخان 56 } وقال تعالى { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
 { 24 } { إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا } { 25 } { النبا 24- 25 } وقال { وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ
 الْعَذَابِ الْأَذَى ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } { السجدة 21 } وقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب
 الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فاستعمل لفظ الذوق في
 إدراك الملائم والمنافر كثير²⁵⁶

*قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } { النحل 112 }
 فان من الناس من يقول الذوق حقيقة فى الذوق بالفم واللباس بما
 يلبس على البدن وانما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال الخليل
 الذوق فى لغة العرب هو وجود طعم الشيء والاستعمال يدل على
 ذلك قال تعالى { وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى ذُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
 { السجدة 21 } وقال { وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ } { فصلت 50 } وقال
 { ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } { الدخان 49 } وقال { فَذَاقَتْ وَبَالَ
 أَمْرِهَا } { الطلاق 9 } وقال { فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ
 { الأعراف 39 }

²⁵⁶الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 334

وقال النبي ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد رسولا وفى بعض الادعية أدقنا برد عفوك
وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل فى كل ما يحس به
ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما يكون
بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا الشراب
فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم وإذا كان الذوق
مستعملا فيما يحسه الانسان بباطنه أو بظاهره حتى الماء الحميم
يقال ذاقه فالشراب اذا كان باردا أو حارا يقال ذقت حره وبرده
ولفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على الاحساس
بالمؤلم واذا أضيف الى المذذد على الاحساس به كقوله صلى
الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا فان قيل فلم لم يصف نعيم الجنة بالذوق
قيل لأن الذوق يدل على جنس الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن
وجد طعمه وان لم يأكله وأهل الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه
على الذوق بل استعمل لفظ الذوق فى النفى كما قال عن أهل النار
{ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } النبأ 24 أى لا يحصل لهم من
ذلك ولا ذوق وقال عن أهل الجنة { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا
الْمَوْتَةَ الْأُولَى } الدخان 56²⁵⁷

{ لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ }

* وقال الامام أحمد فى المسند حدثنا أبو معاوية ثنا
الاعمش عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء بن عازب
رضى الله عنهما قال خرجنا مع رسول الله فى جنازة
رجل من الانصار فانتبهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله
وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت به

²⁵⁷ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 108

الأرض فرفع رأسه فقال استعيزوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال ان العبد المؤمن اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل عليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسون منه مد بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجى الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها ريح كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملامن الملائكة بين السماء والأرض الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا به الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التى تليها حتى ينتهوا به الى السماء السابعة فيقول الله تعالى اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه الى الأرض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول له الله ربي فيقولان له وما دينك فيقول دينى الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فأمنت به وصدقت فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره قال فيأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعده فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير فيقول أنا عمك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى ارجع الى اهلى ومالى وقال وان العبد الكافر اذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل عليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم

يحيى ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتهها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب قال فنتفرق فى جسده فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حين يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملاً من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون فلان بن فلان بأفبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله { لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ } الأعراف 40 فيقول الله اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } الحج 31 فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار والبسوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذى يسؤوك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول ومن أنت فوجهك الوجه الذى يحيى بالشعر فيقول أنا عمك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة قلت هذا قد رواه عن البراء بن عازب غير واحد غير زاذان منهم عدى بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد ففى هذا الحديث أنواع من العلم منها أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن خلافا لضللال المتكلمين وأنها تصعد وتنزل خلافا لضللال الفلاسفة وأنها تعاد الى البدن وأن الميت يسأل

فينعم أو يعذب كما سأل عنه أهل السؤال وفيه أن عمله الصالح أو السيئ يأتيه في صورة حسنة أو قبيحة²⁵⁸

العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه

*قال تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ} التوبة 33 فالهدى كمال العلم ودين الحق كمال العمل كقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الأعراف 42²⁵⁹

*قال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} الأعراف 42

أن القلب له عمل مع التصديق والظاهر قول ظاهر وعمل ظاهر وكلاهما مستلزم للباطن والمرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الايمان فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضا وجعلها هي التصديق فهذا ضلال بين ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه وإنتفاء الظاهر دليل إنتفاء الباطن فيبقى النزاع في أن العمل الظاهر هل هو جزء من مسمى الايمان يدل عليه بالتضمن أو لازم لمسمى الايمان والتحقيق أنه تارة يدخل في الاسم وتارة يكون لازما للمسمى بحسب افراد الاسم واقتترانه فإذا قرن الايمان بالإسلام كان مسمى الاسلام خارجا عنه كما في حديث جبريل وان كان لازما له وكذلك إذا قرن الايمان بالعمل كما في قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} البقرة 82 فقد يقال إسم الايمان لم يدخل فيه العمل وإن كان لازما له وقد يقال بل دخل فيه وعطف عليه عطف الخاص على العام وبكل حال فالعمل تحقيق لمسمى الايمان وتصديق له ولهذا قال طائفة من العلماء كالشيخ أبي إسماعيل

²⁵⁸ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 439 و مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 290-292

²⁵⁹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 59

الأنصاري وغيره الإيمان كله تصديق فالقلب يصدق ما جاءت به
الرسول واللسان يصدق ما في القلب والعمل يصدق القول كما يقال
صدق عمله قوله ومنه قول النبي العيان تزنيان وزناهما النظر
والاذنان تزنيان وزناهما السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل
تزني وزناها المشي والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق ذلك أو
يكذبه²⁶⁰

* أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها
وقد يقرن به الأعمال وذكرنا نظائر لذلك كثيرة وذلك لأن أصل
الإيمان هو ما في القلب والأعمال الظاهرة لازمة لذلك لا يتصور
وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى
نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب فصار
الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب وحيث
عطف عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفى بإيمان القلب بل لا بد
معه من الأعمال الصالحة ثم للناس في مثل هذا قولان منهم من
يقول المعطوف دخل في المعطوف عليه أولاً ثم ذكر بإسمة
الخاص تخصيصاً له لئلا يظن أنه لم يدخل في الأول وقالوا هذا في
كل ما عطف فيه خاص على عام كقوله {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} البقرة 98 وقوله {وَإِذْ
أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ} الأحزاب 7 وقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَأَمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ} محمد 2
مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 199 فخص الإيمان بما نزل على
محمد بعد قوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا} محمد 2 وهذه نزلت في
الصحابه وغيرهم من المؤمنين وقوله {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} البقرة 238 وقوله {وَمَا
أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ

²⁶⁰ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 556

وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ {البينة} 5 والصلاة والزكاة من العبادة فقوله {
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ {البقرة} 277 كقوله {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
 لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
 {البينة} 5 فإنه قصد أولا أن تكون العبادة لله وحده لا لغيره
 ثم أمر بالصلاة والزكاة ليعلم أنهما عبادتان واجبتان فلا يكتفى
 بمطلق العبادة الخالصة دونهما وكذلك يذكر الإيمان أولا لأنه
 الأصل الذي لا بد منه ثم يذكر العمل الصالح فإنه أيضا من تمام
 الدين لا بد منه فلا يظن الظان اكتفائه بمجرد إيمان ليس معه العمل
 الصالح فعلى قول هؤلاء يقال الأعمال الصالحة المعطوفة على
 الإيمان دخلت في الإيمان وعطف عليه عطف الخاص على العام
 إما لذكره خصوصا بعد عموم وإما لكونه إذا عطف كان دليلا على
 أنه لم يدخل في العام وقيل بل الأعمال في الأصل ليست من
 الإيمان فإن أصل الإيمان هو ما في القلب ولكن هي لازمة له فمن
 لم يفعلها كان إيمانه منتفيا لأن إنتفاء اللازم يقتضى إنتفاء الملزوم
 لكن صارت بعرف الشارع داخلة في إسم الإيمان إذا أطلق كما
 تقدم في كلام النبي فإذا عطف عليه ذكرت لئلا يظن الظان أن
 مجرد إيمانه بدون الأعمال الصالحة اللازمة للإيمان يوجب الوعد
 فكان ذكرها تخصيصا وتنقيحا ليعلم أن الثواب الموعود به في
 الآخرة وهو الجنة بلا عذاب لا يكون إلا لمن آمن وعمل صالحا لا
 يكون لمن ادعى الإيمان ولم يعمل وقد بين سبحانه في غير موضع
 أن الصادق في قوله آمنتم لا بد أن يقوم بالواجب وحصر الإيمان
 في هؤلاء يدل على إنتفائه عن سواهم²⁶¹

الوجوب مشروط بالقدرة والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور أو فعل محظور بعد قيام الحجة

²⁶¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 204

* ان الله سبحانه أمرنا بالمعروف وهو طاعته وطاعة رسوله وهو الصلاح والحسنات والخير والبر ونهى عن المنكر وهو معصيته ومعصية رسوله وهو الفساد والسيئات والشر والفجور وقيد الايجاب بالاستطاعة والوسع واباح مما حرم ما يضطر المرء اليه غير باغ ولا عاد فقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ} آل عمران 102 وقال {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} {التغابن 16} وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا امرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم فأوجب مما امر به ما يستطاع وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث اخر انكم لن تحصوا او تستطيعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة

والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وهذا العام المجمل فقال {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} الأعراف 42²⁶²

*وقد اتفق سلف الامة وأئمتها على ان كل احد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم فان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل وتجب طاعتهم فيما يأمرون به بخلاف الاولياء فانهم لا تجب طاعتهم فى كل ما يأمرون به ولا الايمان بجميع ما يخبرون به بل يعرض امرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا وان كان صاحبه من اولياء الله وكان مجتهدا معذورا فيما قاله له اجر على اجتهاده لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئا وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع فان الله تعالى يقول {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا

²⁶² الاستقامة ج: 2 ص: 315

اسْتَطَعْتُمْ {التغابن 16 وهذا تفسير قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ {آل عمران 102 قال ابن مسعود وغيره
 حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا
 يكفر أى بحسب استطاعتكم فان الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها
 كما قال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ {البقرة 286 وقال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {الأعراف 42²⁶³

*ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد إذا
 لم يقدر على الاجتهاد وسلك في تقليده مسلك العدل فهو مقتصد اذ
 الأمر مشروط بالقدرة {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا {البقرة 286
 فعلى المسلم فى كل موطن أن يسلم وجهه لله وهو محسن ويدوم
 على هذا الاسلام فإسلام وجهه اخلاصه لله واحسان فعله الحسن
 فتدبر هذا فانه اصل جامع نافع عظيم²⁶⁴

*ما يشترط في القضاة والولاة من الشروط يجب فعله بحسب
 الإمكان بل وسائر شروط العبادات من الصلاة والجهاد وغير ذلك
 كل ذلك واجب مع القدرة فأما مع العجز فإن الله لا يكلف نفسا إلا
 وسعها قال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا
 إِلَّا وُسْعَهَا {الأعراف 42 كما قال تعالى {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ
 وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ {238} فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ
 رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا
 تَعْلَمُونَ {239} البقرة 238-239 فأوجب الله الصلاة على الآمن
 والخائف والصحيح والمريض والغني والفقير والمقيم والمسافر
 وخففها على المسافر والخائف والمريض²⁶⁵

²⁶³مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 208

²⁶⁴مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 128

²⁶⁵السياسة الشرعية ج: 1 ص: 134-135

من كان في دار الكفر لا يجب عليه من الشرائع ما يعجز عنها

* فإن الله تعالى قد أخبر في غير موضع أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها كقوله تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأعراف 42 وقوله { لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة 233 وقوله { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا } الطلاق 7 وأمر بتقواه بقدر الإستطاعة فقال { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } التباين 16 وقد دعاه المؤمنون بقولهم { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } البقرة 286 فقال قد فعلت فدللت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفساً ما تعجز عنه خلافاً للجهمية المجبرة ودلت على أنه لا يؤاخذ المخطىء والناسي خلافاً للقدرية والمعتزلة فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعالم وناظر وناظر ومفت وغير ذلك إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع كان هذا هو الذي كلفه الله إياه وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع ولا يعاقبه الله البتة خلافاً للجهمية المجبرة وهو مصيب بمعنى أنه مطيع لله لكن قد يعلم الحق في نفس الأمر وقد لا يعلمه خلافاً للقدرية والمعتزلة في قولهم كل من استفرغ وسعه علم الحق فإن هذا باطل كما تقدم بل كل من استفرغ وسعه استحق الثواب وكذلك الكفار من بلغته دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في دار الكفر وعلم أنه رسول الله فآمن به وآمن بما أنزل عليه واتقى الله ما استطاع كما فعل النجاشي وغيره ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام ولا التزام جميع شرائع الإسلام لكونه ممنوعاً من الهجرة وممنوعاً من إظهار دينه وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام فهذا مؤمن من أهل الجنة كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون وكما كانت امرأة فرعون بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر

فإنهم كانوا كفارا ولم يكن يمكنه أن يفعل ومهم كل ما يعرفه من دين الإسلام فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه قال تعالى عن مؤمن آل فرعون {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن نَّبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا} غافر 34 وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصراني فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام بل إنما دخل معه نفر منهم ولهذا لما مات لم يكن هناك من يصلي عليه فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة خرج بالمسلمين إلى المصلى فصفهم صفوفًا وصلى عليه وأخبرهم بموته يوم مات وقال إن أبا لكم صالحا من أهل الحبشة مات وكثير من شرائع الإسلام أو أكثرها لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت بل قد روى أنه لم يكن يصلي الصلوات الخمس ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤدي الزكاة الشرعية لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه وهو لا يمكنه مخالفتهم ونحن نعلم قطعاً أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن والله قد فرض على نبيه بالمدينة أنه إذا جاءه أهل الكتاب لم يحكم بينهم إلا بما أنزل الله إليه وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه وهذا مثل الحكم في الزنا للمحصن بحد الرجم وفي الديات بالعدل والتسوية في الدماء بين الشريف والوضيع النفس بالنفس والعين بالعين وغير ذلك والنجاشي ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن فإن قومه لا يقرونه على ذلك وكثيراً ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضياً بل وإماماً وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك بل هناك من يمنعه ذلك ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وعمر بن عبد العزيز عودي وأوذى على بعض ما أقامه من العدل وقيل إنه سم على ذلك فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة وإن كانوا لم يلتزموا مع شرائع الإسلام ما لا يقدر على التزامه بل كانوا يحكمون بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب قال تعالى {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا

يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ { آل عمران 199 } وهذه الآية قالت طائفة من السلف إنها نزلت في النجاشي وپروی هذا عن جابر وابن عباس وأنس ومنهم من قال فيه وفي أصحابه كما قال الحسن وقتادة وهذا مراد الصحابة لكن هو المطاع فإن لفظ الآية لفظ الجمع لم يرد بها واحد وعن عطاء قال نزلت في أربعين من أهل نجران وثلاثين من أهل الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فأمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولم يذكر هؤلاء من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مثل عبد الله بن سلام وغيره ممن كان يهوديا وسلمان الفارسي وغيره ممن كان نصرانيا لأن هؤلاء صاروا من المؤمنين فلا يقال فيهم { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ } آل عمران 199 ولا يقول أحد إن اليهود والنصارى بعد إسلامهم وهجرتهم ودخولهم في جملة المسلمين المهاجرين المجاهدين يقال إنهم من أهل الكتاب كما لا يقال عن الصحابة الذين كانوا مشركين وإن من المشركين لمن يؤمن بالله ورسوله فإنهم بعد الإيمان ما بقوا يسمون مشركين فدل على أن هؤلاء قوم من أهل الكتاب أي من جملتهم وقد آمنوا بالرسول كما قال تعالى في المقتول خطأ { فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ } النساء 92 فهو من العدو ولكن هو كان قد آمن وما أمكنه الهجرة وإظهار الإيمان والتزام شرائعه فسماه مؤمنا لأنه فعل من الإيمان ما يقدر عليه وهذا كما أنه قد كان بمكة جماعة من المؤمنين يستخفون بإيمانهم وهم عاجزون عن الهجرة قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } { 97 } الْإِلَّهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا } { 98 } فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا } { 99 } النساء 97 99 فعذر سبحانه المستضعف العاجز عن الهجرة وقال تعالى { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا
وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا { النساء 75 فأولئك كانوا عاجزين عن
إقامة دينهم فقد سقط عنهم ما عجزوا عنه فإذا كان هذا فيمن
كان مشركا وآمن فما الظن بمن كان من أهل الكتاب وآمن
وقوله { فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ { النساء 92 قيل
هو الذي يكون عليه لباس أهل الحرب مثل أن يكون في صفهم
فيعذر القاتل لأنه مأمور بقتاله فتسقط عند الدية وتجب الكفارة وهو
قول الشافعي وأحمد في أحد القولين وقيل بل هو من أسلم ولم
يهاجر كما يقوله أبو حنيفة لكن هذا قد أوجب فيه الكفارة وقيل إذا
كان من أهل الحرب لم يكن له وارث فلا يعطى أهل الحرب ديته
بل تجب الكفارة فقط وسواء عرف أنه مؤمن وقتل خطأ أو ظن أنه
كافر وهذا ظاهر الآية وقد قال بعض المفسرين إن هذه الآية نزلت
في عبد الله بن سلام وأصحابه كما نقل عن ابن جريج ومقاتل وابن
زيد يعني قوله { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ { آل عمران 199 وبعضهم
قال إنها في مؤمني أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهذا إن
أراد به من كان في الظاهر معدودا من أهل الكتاب فهو كالقول
الأول وإن أراد العموم فهو كالثاني وهذا قول مجاهد ورواه أبو
صالح عن ابن عباس وقول من أدخل فيها مثل ابن سلام وأمثاله
ضعيف فإن هؤلاء من المؤمنين ظاهرا وباطنا من كل وجه لا
يجوز أن يقال فيهم { وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا
أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ { آل
عمران 199 أما أولا فلأن ابن سلام أسلم في أول ما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة وقال فلما رأيت وجهه علمت أنه
وجهه ليس بوجه كذاب وسورة آل عمران إنما نزل ذكر أهل
الكتاب فيها لما قدم وفد نجران سنة تسع أو عشر وثانيا أن ابن
سلام وأمثاله هو واحد من جملة الصحابة والمؤمنين وهو من
أفضلهم وكذلك سلمان الفارسي فلا يقال فيه إنه من أهل الكتاب

وهؤلاء لهم أجور مثل أجور سائر المؤمنين بل يؤتون أجرهم مرتين وهم ملتزمون جميع شرائع الإسلام فأجرهم أعظم من أن يقال فيه أولئك لهم أجرهم عند ربهم وأيضا فإن أمر هؤلاء كان ظاهرا معروفا ولم يكن أحد يشك فيهم فأي فائدة في الإخبار بهم وما هذا إلا كما يقال الإسلام دخل فيه من كان مشركا ومن كان كتابيا وهذا معلوم لكل أحد بأنه دين لم يكن يعرف قبل محمد صلى الله عليه وسلم فكل من دخل فيه كان قبل ذلك إما مشركا وإما من أهل الكتاب إما كتابيا وإما أميا فأي فائدة في الإخبار بهذا بخلاف أمر النجاشي وأصحابه ممن كانوا متظاهرين بكثير مما عليه النصارى فإن أمرهم قد يشتبه ولهذا ذكروا في سبب نزول هذه الآية أنه لما مات النجاشي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال قائل نصلي على هذا العجج النصراني وهو في أرضه فنزلت هذه الآية هذا منقول عن جابر وأنس بن مالك وابن عباس وهم من الصحابة الذين باشروا الصلاة على النجاشي وهذا بخلاف ابن سلام وسلمان الفارسي فإنه إذا صلى على واحد من هؤلاء لم ينكر ذلك أحد وهذا مما يبين أن المظهرين للإسلام فيهم منافق لا يصلى عليه كما نزل في حق ابن أبي وأمثاله وأن من هو في أرض الكفر قد يكون مؤمنا يصلى عليه كالنجاشي ويشبهه هذه الآية أنه لما ذكر تعالى أهل الكتاب فقال { وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } {110} لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَدَىٰ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ } {111} ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الدِّلَّةُ أَيُّنَ مَا تَقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبِ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ يَمَّا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } {112} لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } {113} يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ } {114} وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ } {115} ال عمران 110-115

قولي العلماء وهذا مذهب أبي حنيفة وأهل الظاهر وهو أحد الوجهين في مذهب أحمد وكذلك سائر الواجبات من صوم شهر رمضان وأداء الزكاة وغير ذلك ولو لم يعلم تحريم الخمر فشرها لم يحد باتفاق المسلمين وإنما اختلفوا في قضاء الصلاة وكذلك لو عامل بما يستحله من ربا أو ميسر ثم تبين له تحريم ذلك بعد القبض هل يفسخ العقد أم لا كما لا يفسخه لو فعل ذلك قبل الإسلام وكذلك لو تزوج نكاحا يعتقد صحته على عاداتهم ثم لما بلغه شرائع الإسلام رأى أنه قد أخل ببعض شروطه كما لو تزوج في عدة وقد انقضت فهل يكون هذا فاسدا أو يقر عليه كما لو عقده قبل الإسلام ثم أسلم وأصل هذا كله أن الشرائع هل تلزم من لم يعلمها أم لا تلزم أحدا إلا بعد العلم أو يفرق بين الشرائع الناسخة والمبتدأة هذا فيه ثلاثة أقوال هي ثلاثة أوجه في مذهب أحمد ذكر القاضي أبو يعلى الوجهين المطلقين في كتاب له وذكر هو وغيره الوجه المفرق في أصول الفقه وهو أن النسخ لا يثبت في حق المكلف حتى يبلغه الناسخ وخرج أبو الخطاب وجهها بثبوتها ومن هذا الباب من ترك الطهارة الواجبة ولم يكن علم بوجودها أو صلى في الموضع المنهى عنه قبل علمه بالنهاي هل يعيد الصلاة فيه روايتان منصوصتان عن أحمد والصواب في هذا الباب كله أن الحكم لا يثبت إلا مع التمكن من العلم وأنه لا يقضى ما لم يعلم وجوبه فقد ثبت في الصحيح أن من الصحابة من أكل بعد طلوع الفجر في رمضان حتى تبين له الحبل الأبيض من الأسود ولم يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقضاء ومنهم من كان يمكث جنبا مدة لا يصلي ولم يكن يعلم جواز الصلاة بالتيمم كأبي ذر وكعمر بن الخطاب وعمار لما أجنبوا ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أحدا منهم بالقضاء ولا شك أن خلقا من المسلمين بمكة والبوادي صاروا يصلون إلى بيت المقدس حتى بلغهم النسخ ولم يؤمروا بالإعادة ومثل هذا كثير وهذا يطابق الأصل الذي عليه السلف والجمهور أن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها فالوجوب مشروط

بالقدرة والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمور أو فعل محظور بعد
قيام الحجة²⁶⁶

من فعل العبادة كما أمر بحسب وسعه فلا إعادة

عليه

*أن الشريعة ليس فيها إيجاب الصلاة مرتين ولا الصيام مرتين إلا بتفريط من العبد فأما مع عدم تفريطه فلم يوجب الله صوم شهرين في السنة ولا صلاة ظهرين في يوم هذا مما يعرف به ضعف قول من يوجب الصلاة ويوجب إعادتها فإن هذا أصل ضعيف كما بسط القول عليه في غير هذا الموضوع ويدخل في هذا من يأمر بالصلاة خلف الفاسق وإعادتها وبالصلاة مع الأعذار النادرة التي لا تتصل وإعادتها ومن يأمر المستحاضة بالصيام مرتين ونحو ذلك مما يوجد في مذهب الشافعي وأحمد في أحد القولين فإن الصواب ما عليه جمهور المسلمين أن من فعل العبادة كما أمر بحسب وسعه فلا إعادة عليه كما قال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} {التغابن 16} ولم يعرف قط أن رسول الله أمر العبد أن يصلي الصلاة مرتين لكن يأمر بالإعادة من لم يفعل ما أمر به مع القدرة على ذلك كما قال للمسيء في صلاته أرجع فصل فإنك لم تصل وكما أمر من صلى خلف الصف وحده أن يعيد الصلاة فأما المعذور كالذي يتيمم لعدم الماء أو خوف الضرر باستعماله لمرض أو لبرد وكالاستحاضة وأمثال هؤلاء فإن سنة رسول الله في هؤلاء أن يفعلوا ما يقدرون عليه بحسب استطاعتهم ويسقط عنهم ما يعجزون عنه بل سنته فيمن كان لم يعلم الوجوب أنه لا قضاء عليه لأن التكليف مشروط بالتمكن من العلم والقدرة على الفعل ولهذا لم يأمر عمر وعمارا بإعادة الصلاة لما كان جنبيين فعمر لم يصل وعمار تمرغ كما تتمرغ الدابة ظنا أن التراب يصل

²⁶⁶266 منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 111-125 و مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 214-227

إلى حيث يصل الماء وكذلك الذين أكلوا من الصحابة حتى تبين لهم الحبال السود من البيض لم يأمرهم بالإعادة وكذلك الذين صلوا إلى غير الكعبة قبل أن يبلغهم الخبر الناسخ لم يأمرهم بالإعادة وكان بعضهم بالحبشة وبعضهم بمكة وبعضهم بغيرها بل بعض من كان بالمدينة صلوا بعض الصلاة إلى الكعبة وبعضها إلى الصخرة ولم يأمرهم بالإعادة ونظائرها متعددة فمن استقرأ ما جاء به الكتاب والسنة تبين له أن التكليف مشروط بالقدرة على العلم والعمل فمن كان عاجزا عن أحدهما سقط عنه ما يعجزه و{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} البقرة 286 ولهذا عذر المجتهد المخطئ لعجزه عن معرفة الحق في تلك المسألة وهذا بخلاف المفرد المتمكن من فعل ما أمر به فهذا هو الذي يستحق العقاب ولهذا قال النبي لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب وهذه قاعدة كبيرة تحتاج إلى بسط ليس هذا موضعه²⁶⁷

الاستطاعة التي هي مناط الأمر والنهي لا يجب أن تقارن الفعل

*فما تنازع المتكلمين من مثبتة القدر ونفاته في استطاعة العبد وهي قدرته وطاقته هل يجب أن تكون مع الفعل لا قبله أو يجب أن تكون متقدمة على الفعل أو يجب أن تكون معه وإن كانت متقدمة عليه فمن قال بالأول لزمه أن يكون كل عبد لم يفعل ما أمر به قد كلف ما لا يطيقه إذا لم يكن عنده قدرة إلا مع الفعل ولهذا كان الصواب الذي عليه محققوا المتكلمين وأهل الفقه والحديث والتصوف وغيرهم ما دل عليه القرآن وهو أن الاستطاعة التي هي مناط الأمر والنهي وهي المصححة للفعل لا يجب أن تقارن الفعل وأما الاستطاعة التي يجب معها وجود الفعل فهي مقارنة له فالأولى كقوله {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

²⁶⁷ مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 634-636

سَبِيلًا { آل عمران 97 } وقول النبي لعمران بن حصين صل قائماً
 فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب ومعلوم أن
 الحج والصلاة تجب على المستطيع سواء فعل أو لم يفعل فعلم أن
 هذه الاستطاعة لا تجب أن تكون مع الفعل والثانية كقوله تعالى
 { مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ } {هود 20} وقوله
 تعالى { وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا } {100} {الَّذِينَ
 كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا
 {101} {الكهف 100-101} على قول من يفسر الاستطاعة بهذه
 وأما على تفسير السلف والجمهور فالمراد بعدم الاستطاعة مشقة
 ذلك عليهم وصعوبته على نفوسهم فنفسهم لا تستطيع إرادته وإن
 كانوا قادرين على فعله لو أرادوه وهذه حال من صده هواه ورأيه
 الفاسد عن استماع كتب الله المنزلة واتباعها فقد أخبر أنه لا
 يستطيع ذلك وهذه الاستطاعة هي المقارنة للفعل الموجبة له
 وأما الأولى فلولا وجودها لم يثبت التكليف بقوله { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا
 اسْتَطَعْتُمْ } {التغابن 16} وقوله تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } {الأعراف 42} وأمثال ذلك
 فهو لاء المفرطون والمعتدون في أصول الدين إذا لم يستطيعوا
 سمع ما أنزل إلى الرسول فهم من هذا القسم ²⁶⁸

لا ينبغي ان يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة الا اذا حصل نور لا ظلمة فيه

*فالعلم المشروع والنسك المشروع مأخوذ عن اصحاب رسول الله
 واما ما جاء عن بعدهم فلا ينبغي ان يجعل اصلا وان كان
 صاحبه معذورا بل مأجورا لاجتهاد او تقليد فمن اصابه بنى
 الكلام في العلم الاصول والفروع على الكتاب والسنة والاثار
 الماثورة عن السابقين فقد اصاب طريق النبوة وكذلك من بنى

²⁶⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 460 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 318-322

الارادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق باصول الاعمال
 وفروعها من الاحوال القلبية والاعمال البدنية على الايمان والسنة
 والهدى الذي كان عليه محمد واصحابه فقد اصاب طريق النبوة
 وهذه طريق ائمة الهدى تجد الامام احمد اذا ذكر اصول
 السنة قال هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله وكتب
 كتب التفسير المأثور عن النبي والصحابة والتابعين وكتب
 الحديث والاثار المأثورة عن النبي والصحابة والتابعين وعلى ذلك
 يعتمد فى اصوله العلمية وفروعه حتى قال فى رسالته الى خليفة
 وقته المتوكل لا احب الكلام فى شيء من ذلك الا ما كان فى
 كتاب الله او فى حديث عن رسول الله او الصحابة او التابعين فاما
 غير ذلك فالكلام فيه غير محمود وكذلك فى الزهد و
 الرقاق وز الاحوال فانه اعتمد فى كتاب الزهد
 على المأثور عن الانبياء صلوات الله عليهم من آدم الى محمد ثم
 على طريق الصحابة والتابعين ولم يذكر من بعدهم وكذلك وصفه
 لآخذ العلم ان يكتب ما جاء عن النبي ثم عن الصحابة ثم عن
 التابعين وفى رواية اخرى ثم انت فى التابعين مخير وله كلام
 فى الكلام الكلامي و الرأي الفقهي وفي الكتب
 الصوفية و السماع الصوفى ليس هذا موضعه يحتاج
 تحريره الى تفصيل وتبيين كيفية استعماله فى حال دون حال
 فانه ينبني على الاصل الذي قدمناه من انه قد يقترن بالحسنات
 سيئات اما مغفورة او غير مغفورة وقد يتعذر او يتعسر على
 السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة الا بنوع من المحدث
 لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا فاذا لم يحصل النور
 الصافى بان لم يوجد الا النور الذى ليس بصاف والابقى الانسان
 فى الظلمة فلا ينبغي ان يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة الا
 اذا حصل نور لا ظلمة فيه والا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج عن
 النور بالكلية اذا خرج غيره عن ذلك لما رآه فى طرق الناس من
 الظلمة وانما قررت هذه القاعدة ليحمل ذم السلف والعلماء
 للشيء على موضعه ويعرف ان العدول عن كمال خلافه النبوة

المأمور به شرعا تارة يكون لتقصير الحسنات علما وعملا وتارة بعدوان بفعل السيئات علما وعملا وكل من الامرين قد يكون عن غلبة وقد يكون مع قدرة فالاول قد يكون لعجز وقصور وقد يكون مع قدرة وامكان و الثاني قد يكون مع حاجة وضرورة وقد يكون مع غنى وسعة وكل واحد من العاجز عن كمال الحسنات والمضطر الى بعض السيئات معذور فان الله يقول {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} {التغابن} 16 وقال {لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} {البقرة} 286 {لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} {الطلاق} 7 في البقرة والطلاق وقال {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

{الأعراف} 42 وقال النبي اذ امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وقال سبحانه {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} {الحج} 78 وقال {مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} {المائدة} 6 وقال {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} {البقرة} 185 وقال {غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} {البقرة} 173 وقال {وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} {الأحزاب} 5 وهذا اصل عظيم وهو ان تعرف الحسنة في نفسها علما وعملا سواء كانت واجبة او مستحبة وتعرف السيئة في نفسها علما وقولا وعملا محظورة كانت او غير محظورة ان سميت غير المحظورة سيئة وان الدين تحصيل الحسنات والمصالح وتعطيل السيئات والمفاسد وانه كثيرا ما يجتمع في الفعل الواحد او في الشخص الواحد الامران فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه الى ما تضمنه احدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الاخر كما يتوجه المدح والامر والثواب الى ما تضمنه احدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الاخر وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية والفجورية لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البرية فهذا طريق

الموازنة والمعادلة ومن سلكه كان قائما بالقسط الذي انزل الله له
الكتاب والميزان 269

لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان

*فان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان لم يعلقه باسم الإسلام مع إيجابه الإسلام و اخباره أنه دينه الذي ارتضاه وأنه لا يقبل دينا غيره ومع هذا فما قال ان الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} التوبة 72 فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيد بالعمل الصالح كقوله {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} الأعراف 42

الآيات في هذا المعنى كثيرة فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الإسلام فلو كان من اتى من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلما لا مؤمنا لكان من اهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلما وان لم يسم مؤمنا وليس الأمر كذلك بل الجنة لم تعلق الا باسم الايمان وهذا أيضا مما استدل به من قال إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقا باسم الإسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر في مثل قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} {المرسلات 41} وقوله {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} {المطففين 22} وباسم أولياء الله كقوله {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {62} {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} {63} {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ}

الْعَظِيمُ {64} يونس 62-64 فلما لم يجر إسم الإسلام هذا المجرى علم أن مسماه ليس ملازماً لمسمى الايمان كما يلزمه اسم البر والتقوى وأولياء الله وأن إسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله يثيبه على طاعته مثل أن يكون في قلبه ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من إيمان²⁷⁰

الرسالة ضرورية في اصلاح العبد في معاشه

ومعاده

* والرسالة ضرورية في اصلاح العبد في معاشه ومعاده فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة فان الانسان مضطر الى الشرع فانه بين حركتين حركة يجلب بها ما ينفعه وحركة يدفع بها ما يضره والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره والشرع نور والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده وحصنه الذي من دخله كان آمناً وليس المراد بالشرع التمييز بين الضار والنافع بالحس فان ذلك يحصل للحيوانات العجم فان الحمار والجمل يميز بين الشعير والتراب بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده كنفع الايمان والتوحيد والعدل والبر والتصدق والاحسان والأمانة والعفة والشجاعة والحلم والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصلة الأرحام وبر الوالدين والاحسان الى المماليك والجار واداء الحقوق وإخلاص العمل لله والتوكل عليه والإستعانة به والرضا بمواقع القدر به والتسليم لحكمه والانقياد لأمره وموالاته أوليائه ومعاداة أعدائه وخشيته في الغيب والشهادة والتقوى اليه بأداء فرائضه واجتناب محارمه واحتساب الثواب عنده وتصديقه وتصديق رسله في كل ما اخبروا

²⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 348

به وطاعته فى كل ما أمروا به مما هو نفع وصلاح للعبد فى دنياه وأخرته وفى ضد ذلك شقاوته ومضرته فى دنياه وأخرته ولولا الرسالة لم يهتد العقل الى تفاصيل النافع والضار فى المعاش والمعاد فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منة عليهم أن أرسل اليهم رسله وأنزل عليهم كتبه وبين لهم الصراط المستقيم ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الانعام والبهائم بل أشر حالا منها فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم وفى الصحيح من حديث أبى موسى رضى الله عنه عن النبى قال مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب أرضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبئت الكلاً والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وانتعوا وزرعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ونفعه ما بعثنى الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به متفق على صحته فالحمد لله الذى أرسل إلينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آيات الله ويذكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة وإن كنا من قبل لفى ضلال مبين وقال اهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 43 والدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأسس بنيانه عليها ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم فاذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوى والسفلى وأقام القيامة وليست حاجة أهل الأرض الى الرسول كحاجتهم الى الشمس والقمر والرياح والمطر ولا كحاجة الانسان الى حياته ولا كحاجة العين الى ضوئها والجسم الى الطعام والشراب بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه فى أمره ونهيه وهم السفراء بينه وبين عباده وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم

على ربه محمد بن عبد الله يقول يا ايها الناس إنما أنا رحمة مهداة وقال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء 107 وقال صلوات الله وسلامه عليه إن الله نظر الى اهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وهذا المقت كان لعدم هدايتهم بالرسل فرفع الله عنهم هذا المقت برسول الله فبعثه رحمه للعالمين ومحجة للسالكين وحجة على الخلائق أجمعين وافترض على العباد طاعته ومحبته وتعزيره وتوقيره والقيام بأداء حقوقه وسد اليه جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه وأخذ العهود والمواثيق بالايمان به واتباعه على جميع الأنبياء والمرسلين وأمرهم أن يأخذوها على من اتبعهم من المؤمنين أرسله الله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فختم به الرسالة وهدى به من الضلالة وعلم به من الجهالة وفتح برسالته أعينا عميا وأذنا صما وقلوبا غلقا فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها وتألقت بها القلوب بعد شتاتها فأقام بها الملة العوجاء وأوضح بها المحجة البيضاء وشرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره أرسله على حين فترة من الرسل ودروس من الكتب حين حرف الكلم وبدلت الشرائع واستند كل قوم الى أظلم آرائهم وحكموا على الله وبين عبادته بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطريق وأخرج به الناس من الظلمات الى النور وأبصر به من العمى وأرشد به من الغى وجعله قسيم الجنة والنار وفرق ما بين الأبرار والفجار وجعل الهدى والفلاح في إتباعه وموافقته والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته وإمتحن به الخلائق في قبورهم فهم في القبور عنه مسؤولون وبه ممتحنون يؤتى العبد في قبره فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله جاءنا بالبينات والهدى فأمننا به واتبعناه فيقال له صدقت على هذا حبيبت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله نم نومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله اليه ثم يفسح له في قبره وينور له

فيه ويفتح له باب الى الجنة فيزداد غبطة وسرورا وأما الكافر والمنافق فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقال له قد كنا نعلم ذلك وعلى ذلك حبيبت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله ثم يضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الانسان وقد أمر الله بطاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعا من القرآن وقرن طاعته بطاعته وقرن بين مخالفته ومخالفته كما قرن بين اسمه واسمه فلا يذكر الله إلا ذكر معه قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} الشرح 4 قال لا أذكر إلا ذكرت معى وهذا كالتشهد والخطب والأذان أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فلا يصح الاسلام إلا بذكره والشهادة له بالرسالة وكذلك لا يصح الأذان إلا بذكره والشهادة له ولا تصح الصلاة إلا بذكره والشهادة له ولا تصح الخطبة إلا بذكره والشهادة له وحذر الله سبحانه وتعالى من العذاب والكفر لمن خالفه قال تعالى {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} النور 63 قال الامام أحمد رحمه الله تعالى أى فتنة هى إنما هى الكفر وكذلك ألبس الله سبحانه الذلة والصغار لمن خالف أمره كما فى مسند الامام أحمد من حديث عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم وكما ان من خالفه وشاقه وعاداه هو الشقى الهالك فكذلك من أعرض عنه واما جاء به واطمأن الى غيره ورضى به بدلا منه هو هالك أيضا فالشقاء والضلال فى الاعراض عنه وفى تكذيبه والهدى والفلاح فى الاقبال على ما جاء به وتقديمه على كل ما سواه فالأقسام ثلاثة المؤمن به وهو المتبع له المحب له المقدم له على غيره والمعادى له والمنابذ له والمعرض عما جاء به فالأول هو السعيد والآخران هما الهالكان فنسأل الله العظيم أن يجعلنا

من المتبعين له المؤمنين به وأن يحيينا على سنته ويتوفانا عليها لا يفرق بيننا وبينها إنه سميع الدعاء وأهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه الطيبين الطاهرين²⁷¹

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ }

* أن الله سبحانه هو المنعم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وهو المنعم بالقدرة والحواس وغير ذلك مما به يحصل العلم والعمل الصالح وهو الهادي لعباده فلا حول ولا قوة إلا به ولهذا قال أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ } {الأعراف} 43²⁷²

*و يجب أن يعلم العبد أن عمله من الحسنات هو بفضل الله و رحمته و من نعمته كما قال أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } {الأعراف} 43 و قال تعالى {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ } {الزمر} 22 و قال {أَوْ مَن كَانَ مَنِيئًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا } {الأنعام} 122 و قال تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا } {الشورى} 52 وفى الحديث الصحيح يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه فنفس خلق الله لهم أحياء و جعله لهم السمع و الأبصار و الأفئدة هو من نعمته و نفس إرسال الرسول إليهم و تبليغه البلاغ المبين الذي اهدوا به

²⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 101-106

²⁷² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 216

هو من نعمته وإلهامهم الايمان و هدايتهم إليه و تخصيصهم بمزيد نعمة حصل لهم بها الايمان دون الكافرين هو من نعمته كما قال تعالى {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} {7} فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً {8} الحجرات 7- 8 فجميع ما يتقلب فيه العالم من خيري الدنيا و الآخرة هو نعمة محضة منه بلا سبب سابق يوجب لهم حقا و لا حول و لا قوة لهم من أنفسهم إلا به و هو خالق نفوسهم وخالق أعمالها الصالحة و خالق الجزاء

وكذلك إضافة السيئات إلى نفسه هو الذي ينبغي أن يفعله مع علمه بأن الله خالق كل موجود من الأعيان و الصفات و الحركات و السكنات كما قال آدم { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 و قال موسى { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 و قال الخليل { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } الشعراء 273

*الحق الذي جاءت به الشريعة أنه إذا أحسن شكر نعمة الله عليه وحمده إذ أنعم عليه بأن جعله محسنا ولم يجعله مسيئا فإنه فقير محتاج في ذاته و صفاته وجميع حركاته و سكناته إلى ربه و لا حول و لا قوة إلا به فلو لم يهده لم يهتد كما لو قال أهل الجنة { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَفَدَّ جَاءتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 43 وإذا أساء إعترف بذنبه و استغفر ربه و تاب منه و كان كآبيه آدم الذي قال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 و لم يكن كإبليس الذي قال { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {39} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {40} الحجرات 39- 40 و لم يحتج بالقدر على ترك مأمور و لا فعل محظور مع إيمانه بالقدر خيره و شره و إن الله خالق كل

273 مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 442 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 260 - 261 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 40-41

شيء وربه ومليكه وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يهدي من يشاء ويضل من يشاء ونحو ذلك وهؤلاء هم الذين أطاعوا الله في قوله في هذا الحديث الصحيح فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه²⁷⁴

*وقد يراد بالهدى الإلهام ويكون الخطاب للمؤمنين المطيعين الذين هداهم الله إلى طاعته فإن الله تعالى أراد أن يتوب عليهم ويهديهم فاهتدوا ولولا إرادته لهم ذلك لم يهتدوا كما قالوا { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 43²⁷⁵

لله الحجة البالغة على عباده

مادل عليه الكتاب والسنة و كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار و الذين إتبعوهم بإحسان و هو أن الله خالق كل شيء و ربه و مليكه و قد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها و صفاتها القائمة بها من أفعال العباد و غير أفعال العباد و أنه سبحانه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته و قدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه بل هو قادر على كل شيء و لا يشاء شيئاً إلا و هو قادر عليه و أنه سبحانه يعلم ما كان و ما يكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون و قد دخل في ذلك أفعال العباد و غيرها و قد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم قدر آجالهم و أرزاقهم و أعمالهم و كتب ذلك و كتب ما يصيرون إليه من سعادة و شقاوة فهم يؤمنون بخلقهم لكل شيء و قدرته على كل شيء و مشيئته لكل ما كان و علمه بالأشياء قبل أن تكون و تقديره لها و كتابته إياها قبل أن تكون و غلاة القدرية يفكرون علمه المتقدم و كتابته السابقة و يزعمون أنه أمر و نهى و

²⁷⁴ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 204-205 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 441

²⁷⁵ الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 23

هو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر أنف أى مستأنف وهذا القول أول ما حدث فى الإسلام بعد إنقراض عصر الخلفاء الراشدين و بعد إمارة معاوية بن أبى سفيان فى زمن الفتنة التى كانت بين ابن الزبير و بين بنى أمية فى أواخر عصر عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس و غيرهما من الصحابة و كان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرءوا منهم و أنكروا مقالتهم كما قال عبد الله بن عمر لما أخبر عنهم إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى بريء منهم و أنهم برءاء منى و كذلك كلام ابن عباس و جابر بن عبد الله و واثلة بن الأسقع و غيرهم من الصحابة و التابعين لهم بإحسان و سائر أئمة المسلمين فيهم كثير حتى قال فيهم الأئمة كمالك و الشافعي و أحمد بن حنبل و غيرهم أن المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون ثم كثر خوض الناس فى القدر فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم و الكتاب السابق لكن ينكرون عموم مشيئة الله و عموم خلقه و قدرته يظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمره فما شاءه فقد أمر به و ما لم يشأه لم يأمر به فلزمهم أن يقولوا أنه قد يشاء ما لا يكون و يكون ما لا يشاء و أنكروا أن يكون الله تعالى خالقا لأفعال العباد أو قادرا عليها أو أن يخص بعض عبادة من النعم بما يقتضي إيمانهم به و طاعتهم له و زعموا أن نعمته التى يمكن بها الإيمان و العمل الصالح على الكفار كأبى لهب و أبى جهل مثل نعمته بذلك على أبى بكر و عمر و عثمان و علي بمنزلة رجل دفع لأولاده ما لا يقسمه بينهم بالسوية لكن هؤلاء أحدثوا أعمالهم الصالحة و هؤلاء أحدثوا أعمالهم الفاسدة من غير نعمة خص الله بها المؤمنين و هذا قول باطل و قد قال تعالى {يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الحجرات 17 و قال تعالى {وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} الحجرات 7 وقد أمرنا الله أن نقول فى صلاتنا {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6}

صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ {7} الفاتحة 6-7 و قال أهل الجنة { **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ { الأعراف 43** و قال الخليل صلوات الله و سلامه عليه { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ { البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ دُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ { إبراهيم 40 و قال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا { السجدة 24 و قال { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ { القصص 41 و نصوص الكتاب و السنة و سلف الأمة المبينة لهذه الأصول كثيرة مع ما فى ذلك من الدلائل العقلية الكثيرة على ذلك و سلف الأمة و أئمتها متفقون أيضا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه و متفقون على الإيمان بوعده و وعيده الذي نطق به الكتاب و السنة و متفقون أنه لا حجة لأحد على الله فى و اجب تركه و لا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده من إحتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محظور أو دفع ما جاءت به النصوص فى الوعد و الوعيد فهو أعظم ضلالا و إفتراء على الله و مخالفة لدين الله من أولئك القدرية فإن أولئك مشبهون بالمجوس و قد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روى ذلك عن ابن عمر و غيره من السلف و قد رويت فى ذلك أحاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه و سلم منها ما رواه أبو داود و الترمذي و لكن طائفة من أئمة الحديث طعنوا فى صحة الأحاديث المرفوعة فى ذلك و هذا مبسوط فى موضعه و المقصود هنا أن القدرية النافية يشبهون المجوس فى كونهم أثبتوا غير الله يحدث أشياء من الشر بدون مشيئته و قدرته و خلقه و أما المحتجون على القدر بإسقاط الأمر و النهى و الوعد و الوعيد فهؤلاء يشبهون المشركين الذين قال الله فيهم { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ

{الأنعام 148} وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
{النحل 35} ²⁷⁶

أول من يدعى الى الجنة الحمادون

*فان الله سبحانه اخبر ان له الحمد وانه حميد مجيد وان له الحمد فى الاولى والاخرة وله الحكم ونحو ذلك من انواع المحامد و الحمد نوعان حمد على احسانه الى عبادته وهو من الشكر وحمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله وهذا الحمد لا يكون الا على ما هو فى نفسه مستحق للحمد وانما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال وهى امور وجودية فان الامور العدمية المحضة لا حمد فيها ولا خير ولا كمال ومعلوم ان كل ما يحمد فانما يحمد على ماله من صفات الكمال فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق والذى منه ما يحمد عليه هو احق بالحمد فثبت انه المستحق للمحامد الكاملة وهو احق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب ²⁷⁷

*فالمصلي فى آخر القيام بعد الركوع يقول ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الارض الى قوله اهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقوله احق ما قال العبد خبر مبتدأ محذوف أى هذا الكلام احق ما قال العبد فثبت ان حمد الله والثناء عليه احق ما قاله العبد وفى ضمنه توحيد له اذا قال ولك الحمد أى لك لا لغيرك وقال فى آخره لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت وهذا يقتضى انفراد العطاء والمنع فلا يستعان الا به ولا يطلب الا منه

²⁷⁶ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 449-453

²⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 84

ثم قال ولا ينفع ذا الجد منك الجد فبين ان الانسان وان أعطى الملك والغنى والرئاسة فهذا لا ينجيه منك انما ينجيه الايمان والتقوى وهذا تحقيق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فكان هذا الذكر في آخر القيام لأنه ذكر أول القيام وقوله أحق ما قال العبد يقتضى ان يكون حمد الله احق الاقوال بان يقوله العبد وما كان احق الاقوال كان أفضلها واوجبها على الانسان ولهذا افترض الله على عباده في كل صلاة ان يفتتحوها بقولهم { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 وامرهم ايضا ان يفتتحوا كل خطبة بالحمد لله فامرهم ان

يكون مقدما على كل كلام سواء كان خطابا للخالق او خطابا للمخلوق ولهذا يقدم النبي الحمد أمام الشفاعة يوم القيامة ولهذا أمرنا بتقديم الثناء على الله في التشهد قبل الدعاء وقال النبي كل امر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم وأول من يدعى الى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء والضراء وقوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ } الفاتحة 1 حمد مطلق فان الحمد اسم جنس والجنس له كمية وكيفية فالثناء كميته وتكبيره وتعظيمه كيفيته قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } الأعراف 43²⁷⁸

هل يدخل أحد الجنة بعمله أم ينقضه قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله؟

* قال تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } {42} وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا

بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْ رَتَّبْتُهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {43}
وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا
فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {44} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ {45} الاعراف 42-45 الحمد لله لا

مناقضة بين ما جاء به القرآن وما جاءت به السنة إذ المثبت في
القرآن ليس هو المنفي في السنة والتناقض إنما يكون إذا كان
المثبت هو المنفي وذلك أن الله تعالى قال تلكم الجنة أورتتموها
بما كنتم تعملون وقال كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في
الأيام الخالية سورة الحاقة 24 وقال أما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون
سورة السجدة 19 وقال وحرور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون
جزاء بما كانوا يعملون سورة الواقعة 22 24 فبين بهذه
النصوص أن العمل سبب للثواب والباء للسبب كما في مثل قوله
تعالى فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات سورة
الاعراف 57 وقوله وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا
به الأرض بعد موتها سورة البقرة 164 ونحو ذلك مما يبين
به الأسباب ولا ريب أن العمل الصالح سبب لدخول الجنة والله قدر
لعبده المؤمن وجوب الجنة بما ييسره له من العمل الصالح كما قدر
دخول النار لمن يدخلها بعمله السيء كما في الصحيحين عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من
الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله أفلا نتكل على الكتاب
وندع العمل قال لا تعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من
أهل السعادة فسييسره لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل
الشفقة فسييسره لعمل أهل الشقاوة وقال إن الله خلق للجنة أهلاً
وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون وخلق
لنار أهلاً وخلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل النار
يعملون وإذا عرف أن الباء هنا للسبب فمعلوم أن السبب لا
يستقل بالحكم فمجرد نزول المطر ليس موجباً للنبات بل لا بد من

أن يخلق الله أمورا أخرى ويدفع عنه الآفات المانعة فيريبه بالتراب
 والشمس والرياح ويدفع عنه ما يفسده فالنبات محتاج مع هذا السبب
 إلى فضل من الله أكبر منه وأما قوله صلى الله عليه وسلم لن
 يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا
 إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل فإنه ذكره في سياق أمره
 لهم بالإقتصاد قال سدوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخل
 الجنة بعمله وقال إن هذا الدين متين وإنه لن يشاد الدين أحد إلا
 غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدجلة
 والقصد تبلغوا فنفي بهذا الحديث ما قد تتوهمه النفوس من أن
 الجزاء من الله عز وجل على سبيل المعاوضة والمقابلة
 كالمعاوضات التي تكون بين الناس في الدنيا فإن الأجير يعمل لمن
 استأجره فيعطيه أجره بقدر عمله على طريق المعاوضة إن زاد
 أجرته وإن نقص نقص أجرته وله عليه أجره يستحقها كما يستحق
 البائع الثمن فنفي صلى الله عليه وسلم أن يكون جزاء الله وثوابه
 على سبيل المعاوضة والمقابلة والمعادلة والباء هنا كالباء
 الداخلة في المعاوضات كما يقال استأجرت هذا بكذا وأخذت
 أجرتي بعلمي وكثير من الناس قد يتوهم ما يشبه هذا وهذا
 غلط من وجوه أحدها أن الله تعالى ليس محتاجا إلى عمل العباد
 كما يحتاج المخلوق إلى عمل من يستأجره بل هو سبحانه كما قال
 في الحديث الصحيح إنكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا
 ضري فتضروني والعباد إنما يعملون لأنفسهم كما قال تعالى
 لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت سورة البقرة 286 وقال
 تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها سورة
 فصلت 46 وقال إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى
 لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم سورة الزمر 7 وقال
 تعالى ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني
 كريم سورة النمل 40 وقال تعالى والله على الناس حج
 البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين
 سورة آل عمران 97 وأما العباد فإنهم محتاجون إلى من

يستعملون لجلب منفعة أو دفع مضرة ويعطونه أجره نفعه لهم الثاني أن الله هو الذي من على العامل بأن خلقه أولا وأحياه ورزقه ثم بأن أرسل إليه الرسل وأنزل إليه الكتب ثم بأن يسر له العمل وحبب إليه الإيمان وزينه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان والمخلوق إذا عمل لغيره لم يكن المستعمل هو الخالق لعمل أجيره فكيف يتصور أن يكون للعبد على الله عوض وهو خلقه وأحدثه وأنعم على العبد به وهل تكون إحدى نعمتيه عوضا عن نعمته الأخرى وهو ينعم بكلتيهما الوجه الثالث أن عمل العبد لو بلغ ما بلغ ليس هو مما يكون ثواب الله مقابلا له ومعادلا حتى يكون عوضا بل أقل أجزاء الثواب يستوجب أضعاف ذلك العمل الرابع أن العبد قد ينعم ويمتع في الدنيا بما أنعم الله به عليه مما يستحق بإزائه أضعاف ذلك العمل إذا طلبت المعادلة والمقابلة وإذا كان كذلك لم يببالغوا في الإجهاد مبالغة من يضره الاجتهاد كالمنبت الذي لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وزال عنهم العجب وشهدوا إحسان الله بالعمل الخامس أن العباد لا بد لهم من سيئات ولا بد في حياتهم من تقصير فلولا عفو الله لهم عن السيئات وتقبله أحسن ما عملوا لما استحقوا ثوابا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب قالت عائشة يا رسول الله أليس الله يقول فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سور الإنشقاق 7 8 قال ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب ولهذا جاء في حديث الشفاعة الصحيح إذا طلبت الشفاعة من أفضل الخلق آدم ونوح وإبراهيم وموسى واعتذر كل منهم بما فعل قال لهم عيسى اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولهذا قال في الحديث لما قيل له ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بعفوه فتبين بهذا الحديث أنه لا بد من عفو الله وتجاوزه عن العبد وإلا فلو ناقشه على عمله لما استحق به الجزاء قال الله تعالى أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة سورة الأحقاف 16 وإذا تبين ذلك أفاد هذا الحديث ألا يعجب العبد بعمله بل يشهد نعم

الله عليه وإحسانه إليه في العمل وأنه لا يستكثر العمل فإن عمله لو بلغ ما بلغ إن لم يرحمه الله ويعف عنه ويتفضل عليه لم يستحق به شيئاً وأنه لا يكلف من العمل ما لا يطيق ظاناً أنه يزداد بذلك أجره كما يزداد أجر الأجير الذي يعمل فوق طاقته فإن ذلك يضره إذ المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى وأحب العمل ما داوم عليه صاحبه فإن الأعمال بالخواتيم بخلاف عمل الأجراء في الدنيا فإن الأجرة تنقسط على المنفعة فإذا عمل بعض العمل استحق من الأجرة بقدر ما عمل ولو لم يعمل إلا قليلاً فمن ختم له بخير استحق الثواب وكفر الله بتوبته سيئاته ومن ختم له بكفر أحببت رده حسناته فلماذا كان العمل الذي داوم عليه صاحبه إلى الموت خيراً ممن أعطى قليلاً ثم أكدى وكلف نفسه ما لا يطيق كما يفعله كثير من العمال فقوله صلى الله عليه وسلم سدّدوا وقاربوا واعلموا أن أحداً منكم لن يدخل الجنة بعمله ينفي المعاوضة والمقابلة التي يولد اعتقادها هذه المفاصد وقوله بما كنتم تعملون يثبت السبب الموجب لأن يفعله العبد ولهذا قال بعضهم اعمل وقدر أنك لم تعمل وقال آخر لا بد منك وبك وحدك لا يجيء شيء فلا بد من العمل المأمور به ولا بد من رجاء رحمة الله وعفوه وفضله وشهود العبد لتقصيره ولفقره إلى فضل ربه وإحسان ربه إليه وقد قال سفيان بن عيينة كانوا يقولون ينجون من النار بالعفو ويدخلون الجنة بالرحمة ويتقاسمون المنازل بالأعمال فنبه على أن مقادير الدرجات في الجنة تكون بالأعمال وأن نفس الدخول هو بالرحمة فإن الله قد يدخل الجنة من ينشئه لها في الدار الآخرة بخلاف النار فإنه أقسم أن يملأها من إبليس وأتباعه لكن مع هذا فالعمل الصالح في الدنيا سبب للدخول والدرجة وإن كان الله يدخل الجنة بدون هذا السبب كما يدخل الأبناء تبعاً لأبائهم وليس كل ما يحصل بسبب لا يحصل بدون كالموت الذي يكون بالقتل ويكون بدون القتل ومن فهم أن السبب لا يوجب المسبب بل لا بد أن يضم الله إليه أموراً أخرى وأن يدفع عنه آفات كثيرة وأنه قد يخلق المسبب بدون السبب انفتح له حقيقة

الأمر من هذا وغيره والله تعالى أعلم آخره والحمد لله وحده
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليم كثيرا²⁷⁹

الفرق بين من لعنه الله لعنة مؤبدة عامة ومن لعنه لعنا مطلقا

* قال تعالى { وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ {44} الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ {45} الاعراف 44-45
45 قيل واللعن انما يستوجبه من هو كافر لكن ليس هذا جيدا علي الاطلاق ويؤيده ايضا قوله تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا {51} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا {52} النساء 51-52 ولو كان معصوم الدم يجب على المسلمين نصره لكان له نصير ويوضح ذلك انه قد نزل في شان ابن الاشرف وكان من لعنته ان قتل لانه كان يؤذي الله ورسوله واعلم انه لايرد على هذا انه قد لعن من لا يجوز قتله لوجوه احدها ان هذا قيل فيه لعنه الله في الدنيا والاخرة فبين انه سبحانه اقصاه عن رحمته في الدارين وسائر الملعونين انما قيل فيهم لعنه الله او عليه لعنة الله وذلك يحصل باقصائه عن الرحمة في وقت من الاوقات وفرق بين من لعنه الله لعنة مؤبدة عامة ومن لعنه لعنا مطلقا

الثاني ان سائر الذين لعنهم الله في كتابه مثل الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ومثل الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها

²⁷⁹رسالة في دخول الجنة ج: 1 ص: 145-152

عوجا ومثل من يقتل مؤمنا متعمدا اما كافر او مباح الدم بخلاف
بعض من لعن في السنة²⁸⁰

*ذكر الأنواع المذمومة غير ذكر الأشخاص المعينة وإنه قد ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن أنواع كثيرة كقوله لعن الله
الخمير وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه
وبائعها وأكل ثمنها ولعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه
ولعن الله من غير منار الأرض وقال المدينة حرم ما بين عير إلى
ثور فمن أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال لعن الله
من عمل عمل قوم لوط وقال لعن الله المخنثين من الرجال
والمترجلات من النساء وقال من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير
مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا وقال الله تعالى في القرآن { **أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى
الظَّالِمِينَ** } 44 { **الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ** } 45 { **الأعراف 44- 45** } فالقرآن والسنة
مملوءان من ذم الأنواع المذمومة وذم أهلها ولعنهم تحذيرا من ذلك
الفعل وإخبارا بما يلحق أهله من الوعيد ثم المعاصي التي يعرف
صاحبها أنه عاص يتوب منها²⁸¹

جاءت السنة بلعنة الأنواع

*فلعنة الفاسق لمعين ليست مأمورا بها إنما جاءت السنة بلعنة
الأنواع كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق
البيضة فتقطع يده وقوله لعن الله من أحدث حدثا أو أوى محدثا
وقوله لعن الله أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقوله لعن الله
المحلل والمحلل له لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وحاملها
والمحمولة إليه وساقبها وشاربها واكل ثمنها وقد تنازع الناس

²⁸⁰ الصارم المسلول ج: 2 ص: 89-90

²⁸¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 149

في لعنة الفاسق المعين فقيل إنه جائز كما قال ذلك طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الفرج بن الجوزي وغيره وقيل إنه لا يجوز كما قال ذلك طائفة أخرى من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي بكر عبد العزيز وغيره والمعروف عن أحمد كراهة لعن المعين كالحجاج بن يوسف وأمثاله وأن يقول كما قال الله تعالى { أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } هود 18 وقد ثبت في صحيح البخاري أن رجلاً كان يدعى حماراً وكان يشرب الخمر وكان يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه فأتى به إليه مرة فقال رجل لعنة الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فإنه يجب الله ورسوله فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لعنة هذا المعين الذي كان يكثر شرب الخمر معللاً ذلك بأنه يحب الله ورسوله مع أنه صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر مطلقاً فدل ذلك على أنه يجوز أن يلعن المطلق ولا تجوز لعنة المعين الذي يجب الله ورسوله ومن المعلوم أن كل مؤمن فلا بد أن يحب الله ورسوله ولكن في المظهرين للإسلام من هم منافقون فأولئك ملعونون لا يحبون الله ورسوله ومن علم حال الواحد من هؤلاء لم يصل عليه إذا مات لقوله تعالى { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } التوبة 84 ومن جوز من أهل السنة والجماعة لعنة الفاسق المعين فإنه يقول يجوز أن أصلي عليه وأن ألعنه فإنه مستحق للثواب مستحق للعقاب فالصلاة عليه لاستحقاقه الثواب واللعنة له لاستحقاقه العقاب واللعنة البعد عن الرحمة والصلاة عليه سبب لرحمة فيرحم من وجه ويبعد عنها من وجه وهذا كله على مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة ومن يدخل فيهم من الكرامية والمرجئة والشيعة ومذهب كثير من الشيعة الإمامية وغيرهم الذين يقولون إن الفاسق لا يخلد في النار وأما من يقول بتخليده في النار كالخوارج والمعتزلة وبعض الشيعة فهؤلاء عندهم لا يجتمع في حق الشخص الواحد ثواب وعقاب وقد استفاضت السنن النبوية بأنه يخرج من النار

قوم بالشفاعة ويخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان
فأما قول الله تعالى { أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ } هود 18 فهي
اية عامة كايات الوعيد بمنزلة قوله { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا
النساء 10 } وهذا يقتضي أن هذا الذنب سبب اللعن والعذاب لكن قد
يرتفع موجبة لمعارض راجح إما توبة وإما حسنات ماحية وإما
مصائب مكفرة ²⁸²

ضعفوا هم قال هم أتباع الرسل

*كان سعد وابن مسعود وصهيب وبلال وغيرهم من المستضعفين
وطلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم طردهم فنهاه الله
عن ذلك وأنزل { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَشِيِّ وَالْعَشِيِّ
يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ
عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ } الأنعام 52 إلى قوله { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِالشَّاكِرِينَ } الأنعام 53 وقوله { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ
تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ
هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } الكهف 28 وقال في المستضعفين من
المؤمنين { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } 29
وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } 30 { وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا
فَكِهِينَ } 31 { وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ } 32 { وَمَا أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ } 33 { فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } 34
عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } 35 { المطففين 29-34 وقال { زِينِ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا
فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } البقرة 212
وقال { وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا
أَعْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ } 48 { هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ

لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزَنُونَ {49} الأعراف 48- 49 وقال { وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى
 رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ {62} أَتَّخَذْنَاكُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ
 عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ {63} ص 62- 63 وقال عن قوم نوح { قَالُوا
 أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ { الشعراء 111 وقال تعالى { فَقَالَ
 الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ
 إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّبِ الرَّأْيِ { هود 27 وقال عن قوم صالح {
 قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَن آمَنَ مِنْهُمْ
 أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
 مُؤْمِنُونَ {75} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنَّكُمْ بِهِ كَاْفِرُونَ {76}
 الأعراف 75- 76 وفي الصحيحين أن هرقل سأل أبا سفيان
 بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أشرف الناس اتبعوه
 أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال هم أتباع الرسل²⁸³

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا
 مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ {48} أَهَؤُلَاءِ
 الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ
 عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ {49} الأعراف 48- 49

الكفار الذين جحدوا ما علموا أنه الحق

* قال تعالى { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
 يَجْحَدُونَ {51} وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
 لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {52} الأعراف 51-52 الكفار الذين جحدوا ما علموا
 أنه الحق²⁸⁴

الرحمة تحصل بالقرآن

²⁸³ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 544- 545

²⁸⁴ الصغوية ج: 2 ص: 324

* وقال النبي ص في الحديث الصحيح ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة و تنزلت عليهم السكينة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده و قد ذكر الله في غير موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن كقوله تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الأعراف 52²⁸⁵

مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان

*قال تعالى {حَتَّىٰ إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ} الأعراف 38 كذلك قال {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} غافر 82 الى قوله {وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} {85} غافر 85 فأخبر هنا بمثل ما اخبر به في الأعراف أن هؤلاء المعرضين عما جاءت به الرسل لما رأوا بأس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم ينفعم بذلك وكذلك اخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد وبالرسالة انه لما ادركه الغرق قال { قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يونس 90 قال الله {الآن وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} يونس 91 وقال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } {172} أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} {173} الأعراف 172- 173 وقال تعالى { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي

²⁸⁵ الاستقامة ج: 1 ص: 396

أَفَوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا
إِلَيْهِ مُرِيبٍ {9} قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {10} إبراهيم 9-10 وهذا في القرآن في
مواضع أخر يبين فيها أن الرسل كلهم امرؤا بالتوحيد بعبادة الله
وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو
اتخاذها لها ويخبر ان اهل السعادة هم اهل التوحيد وأن المشركين
هم اهل الشقاوة وذكر هذا عن عامة الرسل ويبين أن الذين لم
يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والايمان بالرسل
متلازمان وكذلك الايمان باليوم الآخر هو والايمان بالرسل
متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينها في مثل قوله {وَلَا
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ} الأنعام 150

ولهذا أخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فقال تعالى
{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
{الزمر 45 وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل أنذرتهم باليوم
الآخر كما قال تعالى { كَلَّمَا لَقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلُوهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَذِيرٌ {8} قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ
إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ {9} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا
فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {10} فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَحْنَا لَأَصْحَابِ
السَّعِيرِ {11} الملك 8- 111 فأخبر ان الرسل أنذرتهم وانهم كذبوا
بالرسالة وقال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ
عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ {الزمر 71
فأخبر عن اهل النار انهم قد جاءتهم الرسالة وانذروا باليوم الآخر
وقال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ
مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ
وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ

اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {128} وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {129} يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ
مِّنْكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا
عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ {130} الأنعام 128-130 فأخبر عن جميع الجن والانس ان
الرسل بلغتهم رسالة الله وهى آياته

وأنهم اندروهم اليوم الآخر وكذلك قال { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ
بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } {103} الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
{104} الكهف 103-104 الى قوله { أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ } الكهف 105 فأخبر انهم كفروا بآياته وهى رسالته
وبلقائه وهو اليوم الآخر وقد اخبر ايضا فى غير موضع
بأن الرسالة عمت بنى آدم وان الرسل جاءوا مبشرين ومنذرين كما
قال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا
فِيهَا نَذِيرٌ } فاطر 24 وقال تعالى { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى
نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ } النساء 163 الى قوله { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا } {165} النساء 165 وقال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ
إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ } {48} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ } {49} الأنعام 48-49 فأخبر ان من آمن بالرسل واصلح
من الأولين والآخرين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال
تعالى { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ
هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 38 ومثل ذلك
قوله { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 62 فذكر ان المؤمنين بالله
وباليوم الآخر من هؤلاء هم اهل النجاة والسعادة وذكر فى تلك
الآية الايمان بالرسل وفى هذه الايمان باليوم الآخر لأنهما
متلازمان وكذلك الايمان بالرسل كلهم متلازم فمن آمن بواحد
منهم فقد آمن بهم كلهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم كما

قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ {150} النساء 150
الى قوله { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا { النساء 151 الآيه والتي
بعدها فأخبر ان المؤمنين بجميع الرسل هم اهل السعادة وان
المفرقين بينهم بالايمان ببعضهم دون بعض هم الكافرون حقا
وقال تعالى { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا {13} أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
حسبياً {14} مَنْ اهْتَدَى فَأَنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ
عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ
رَسُولًا {15} {الإسراء 13-15 فهذه الأصول الثلاثة توحيد الله
والايمان برسله وباليوم الآخر هي امور متلازمة والحاصل ان
توحيد الله والايمن برسله واليوم الآخر هي امور متلازمة مع
العمل الصالح فأهل هذا الايمان والعمل الصالح هم اهل السعادة
من الأولين والآخرين والخارجون عن هذا الايمان مشركون
اشقياء فكل من كذب الرسل فلن يكون الا مشركا وكل مشرك
مكذب للرسل وكل مشرك وكافر بالرسل فهو كافر باليوم الآخر
وكل من كفر باليوم الآخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك ولهذا قال
سبحانه وتعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ
وَالْحِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ
رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {112} وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ وَليَقْتَرِفُوا مَا هُمْ
مُقْتَرِفُونَ {113} {الأنعام 112- 113 فأخبر ان جميع الأنبياء
لهم اعداء وهم شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض
القول المزخرف وهو المزين المحسن يغررون به والغرور هو
التلبيس والتمويه وهذا شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به
الرسل من امر المتفلسفه والمتكلمه وغيرهم من الأولين والآخرين
ثم قال { وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَوْهُ
وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ } {113} {الأنعام 113 فأخبر ان كلام
اعداء الرسل تصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنوا بالآخرة فعلم ان
مخالفة الرسل وترك الايمان بالآخرة متلازمان فمن لم يؤمن

بالآخرة اصغى الى زخرف اعدائهم فخالف الرسل كما هو موجود في اصناف الكفار والمنافقين في هذه الأمة وقال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} {52} هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} {53} الأعراف 52-53 فأخبر ان الذين تركوا اتباع الكتاب وهو الرساله يقولون اذا جاء تأويله وهو ما اخبر به جاءت رسل ربنا بالحق وهذا كقوله {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى} {126} وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى} {127} طه 124-127

اخبِر ان الذن تركوا اتباع آياته يصيبهم ما ذكرنا فقد تبين ان اصل السعادة واصل النجاة من العذاب هو توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له والايمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح²⁸⁶

المراد بلفظ التأويل

* أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام اليها وان وافقت ظاهره فتأويل ما أخبر الله به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك هو الحقائق الموجودة أنفسها لا ما يتصور من معانيها في الازهان ويعبر عنه باللسان وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف أنه قال { يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا } يوسف 100 فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرؤيا وقال تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 53 فتأويل ما في القرآن من

²⁸⁶ مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 28-34 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 56-57

أخبار المعاد هو ما اخبر الله به فيه مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنة والنار ونحو ذلك { وقال تعالى { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا { النساء 59 وهذا التأويل هو الذى لا يعلمه الا الله وتأويل الصفات هو الحقيقة التى انفرد الله تعالى بعلمها وهو الكيف المجهول الذى قال فيه السلف كمالك وغيره الإستواء معلوم والكيف مجهول فالاستواء معلوم يعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة اخرى وهو من التأويل الذى يعلمه الراسخون فى العلم وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذى لا يعلمه الا الله تعالى وقد روى عن ابن عباس ما ذكره عبدالرزاق وغيره فى تفسيرهم عنه أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله عز وجل فمن ادعى علمه فهو كاذب ²⁸⁷

وقد كتبت كلام أحمد بألفاظه كما ذكره الخلال فى كتاب السنة و كما ذكره من نقل كلام أحمد بإسناده فى الكتب المصنفة فى ذلك فى غير هذا الموضع و بين أن لفظ التأويل فى الآية إنما أريد به التأويل فى لغة القرآن كقوله تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ { الأعراف 53 } و عن ابن عباس فى قوله { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ { الأعراف 53 } تصديق ما و عد فى القرآن و عن قتادة تأويله ثوابه و عن مجاهد جزاءه و عن السدي عاقبته و عن ابن زيد حقيقته قال بعضهم تأويله ما يؤول إليه أمرهم من العذاب و ورود النار و قوله تعالى { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ { يونس 39 } قال بعضهم تصديق ما و عدوا به من الوعيد و التأويل ما يؤول اليه الأمر و عن الضحاك يعنى عاقبة ما

²⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 36-37 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 56

و عد الله في القرآن أنه كائن من الوعيد و التأويل ما يؤول إليه
الأمر و قال الثعلبي تفسيره و ليس بشيء و قال الزجاج لم يكن
معهم علم تأويله²⁸⁸

*المحكم من القرآن قد يقال له تأويل كما للمتشابه تأويل كما قال
{ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ } الأعراف 53 و مع هذا فذلك التأويل لا
يعلم وقته وكيفيته إلا الله²⁸⁹

*وذلك أن لفظ التأويل قد صار بسبب تعدد الاصطلاحات له ثلاث
معان أحدها أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام وإن وافق
ظاهره وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة
كقوله تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنْ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 53
ومنه قول عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول
في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد اللهم اغفر لي
يتأول القرآن والثاني يراد بلفظ التأويل التفسير وهو اصطلاح
كثير من المفسرين ولهذا قال مجاهد إمام أهل التفسير إن الراسخين
في العلم يعلمون تأويل المتشابه فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه
وهذا مما يعلمه الراسخون والثالث أن يراد بلفظ التأويل
صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما يخالف ذلك
لدليل منفصل يوجب ذلك وهذا التأويل لا يكون إلا مخالفا لما يدل
عليه اللفظ ويبينه وتسمية هذا تأويلا لم يكن في عرف السلف وإنما
سمي هذا وحده تأويلا طائفة من المتأخرين الخائضين في الفقه
وأصوله والكلام وظن هؤلاء أن قوله تعالى { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا
اللَّهُ } آل عمران 7 يراد به هذا المعنى ثم صاروا في هذا التأويل
على طريقتين قوم يقولون إنه لا يعلمه إلا الله وقوم يقولون إن

²⁸⁸مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 364-365

²⁸⁹مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 390

الراسخين في العلم يعلمونه وكلا الطائفتين مخطئة فإن هذا التأويل في كثير من المواضع أو أكثرها وعامتها من باب تحريف الكلم عن مواضعه من جنس تأويلات القرامطة والباطنية وهذا هو التأويل الذي اتفق سلف الأمة وأئمتها على ذمه وصاحوا بأهله من أقطار الأرض ورموا في آثارهم بالشهب وقد صنف الإمام أحمد كتابا في الرد على هؤلاء وسماه الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله فعاب أحمد عليهم أنهم يفسرون القرآن بغير ما هو معناه ولم يقل أحمد ولا أحد من الأئمة إن الرسول لم يكن يعرف معاني آيات الصفات وأحاديثها ولا قالوا إن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يعرفوا تفسير القرآن ومعانيه كيف وقد أمر الله بتدبر كتابه فقال تعالى {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} ص29 ولم يقل بعض آياته وقال {أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} النساء82 {أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ} محمد24 وقال {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} المؤمنون68 وأمثال ذلك في النصوص التي تبين أن الله يحب أن يتدبر الناس القرآن كله وأنه جعله نورا وهدى لعباده ومحال أن يكون ذلك مما لا يفهم معناه وقد قال أبو عبدالرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود أنهم قالوا كنا إذا تعلمنا من النبي عشر آيات لم نجاوزها حتى نتعلم ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا وهذه الأمور مبسوسة في غير هذا الموضع والمقصود هنا أن من يقول في الرسول وبيانه للناس مما هو من قول الملاحدة فكيف يكون قوله في السلف حتى يدعي إتباعه وهو مخالف للرسول والسلف عند نفسه وعند طائفته فإنه قد أظهر من قول النفاة ما كان الرسول يرى عدم إظهاره لما فيه من فساد الناس وأما عند أهل العلم والإيمان فلا وقول النفاة باطل باطنا وظاهرا والرسول ومتبعوه منزهون عن ذلك بل مات وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا

يزيغ عنها إلا هالك وأخبرنا أن كل ما حدث بعده ن محدثات
الأمر فهو بدعة وكل بدعة ضلالة²⁹⁰

أن الله انما أنزل القرآن ليعلم محكمه ومتشابهه وان لم يعلم تأويله

* وقوله تعالى { كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ } هود 1 فقد فصله
بعد أحكامه بخلاف من تكلم بكلام لم يحكمه وقد يكون فى الكلام
المحكم ما لم يبينه لغيره فهو سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه
لعباده كما قال { وَكَذَلِكَ نَفَصَّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ
{ الأنعام 55 } وقال { وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الأعراف 52 فهو سبحانه بينه وأنزله على
عباده بعلم ليس كمن يتكلم بلا علم²⁹¹

* أن الكلام نوعان إنشاء فيه الأمر واخبار فتأويل الأمر هو
نفس الفعل المأمور به كما قال من قال من السلف ان السنة هي
تأويل الأمر قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول فى ركوعه وسجوده سبحانه اللهم وبحمدك
اللهم اغفر لى يتأول القرآن تعنى قوله { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } النصر 3 وأما الاخبار فتأويله عين
الأمر المخبر به اذا وقع ليس تأويله فهم معناه وقد جاء اسم
التأويل فى القرآن فى غير موضع هذا معناه قال الله تعالى {
وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ } 52 { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ
نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا رَبَّنَا بِالْحَقِّ } 53 { الأعراف 52-53
فقد أخبر أنه فصل الكتاب وتفصيله بيانه وتمييزه بحيث لا يشتبه
ثم قال { هَلْ يَنْظُرُونَ } 53 { الأعراف 53 } أى ينتظرون { إِلَّا

²⁹⁰ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 69

²⁹¹ دقائق التفسير ج: 2 ص: 226 ومجموع الفتاوى ج: 15 ص: 106

تَأْوِيلُهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ {53} الاعراف 53 الى آخر الآية وانما ذلك مجيء ما أخبر القرآن بوقوعه من القيامة وأشراتها كالدابة ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ومجىء ربك والملك صفا صفا وما فى الآخرة من الصحف والموازين والجنة والنار وأنواع النعيم والعذاب وغير ذلك فحينئذ يقولون **{ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ {53} الاعراف 53** وهذا القدر الذى أخبر به القرآن من هذه الأمور لا يعلم وقته وقدره وصفته الا الله فان الله يقول **{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ { السجدة 17** ويقول أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الأسماء فان الله قد أخبر أن فى الجنة خمرا ولبنا وماء وحريرا وذهبا وفضة وغير ذلك ونحن نعلم قطعا أن تلك الحقيقة ليست مماثلة لهذه بل بينهما تباين عظيم مع التشابه كما فى قوله **{ وَأَتُوا بِهِ مُمْتَسِبَاتٍ { البقرة 25** على أحد القولين أنه يشبه ما فى الدنيا وليس مثله فأشبهه اسم تلك الحقائق اسماء هذه الحقائق كما أشبهت الحقائق الحقائق من بعض الوجوه فنحن نعلمها اذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصية لا ندركها فى الدنيا ولا سبيل الى ادراكها لعدم ادراك عينها أو نظيرها من كل وجه وتلك الحقائق على ما هى عليه هى تأويل ما أخبر الله به المتشابه **{ ابْتِغَاءِ الْفِتْنَةِ { آل عمران 7** بما يوردونه من الشبهات على امتناع أن تكون فى الجنة هذه الحقائق **{ وَابْتِغَاءِ تَأْوِيلِهِ { آل عمران 7** ليردوه الى المعهود الذى يعلمونه فى الدنيا قال الله تعالى **{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ { آل عمران 7** فان تلك الحقائق قال الله فيها **{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ { السجدة 17** لا ملك مقرب ولا نبي مرسل وقوله **{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ { آل عمران 7** اما أن يكون الضمير عائدا على الكتاب أو على المتشابه فان كان عائدا على الكتاب كقوله منه و منه **{ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ**

ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ { آل عمران 7 فهذا يصح فان جميع آيات الكتاب المحكمة والمتشابهة التي فيها اخبار عن الغيب الذي أمرنا أن نؤمن به لا يعلم حقيقة ذلك الغيب ومتى يقع الا الله وقد يستدل لهذا أن الله جعل التأويل للكتاب كله مع اخباره أنه مفصل بقوله

{ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } {52} هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ {53}

الاعراف 52-53 فجعل التأويل الجائي للكتاب المفصل وقد بينا أن ذلك التأويل لا يعلمه وقتا وقدرنا ونوعا وحقيقة إلا الله وانما نعلم نحن بعض صفاته بمبلغ علمنا لعدم نظيره عندنا وكذلك قوله {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ} {يونس 39} وإذا كان التأويل للكتاب كله والمراد به ذلك ارتفعت الشبهة وصار هذا بمنزلة قوله {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ} {الأعراف 187 الى قوله { إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ } {الأعراف 187 وكذلك قوله {يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} {الأحزاب 63 فأخبر أنه ليس علمها الا عند الله وانما هو علم وقتها المعين وحقيقتها والا فنحن قد علمنا من صفاتها ما اخبرنا به فعلم تأويله كعلم الساعة والساعة من تأويله وهذا واضح بين ولا ينافى كون علم الساعة عند الله أن نعلم من صفاتها وأحوالها ما علمناه وأن نفس النصوص المبينة لأحوالها فهذا وإن كان الضمير عائدا الى ما تشابه كما يقوله كثير من الناس فلأن المخبر به من الوعد والوعيد متشابه بخلاف الأمر والنهي ولهذا في الآثار العمل بمحكمه والايمان بمتشابهه لأن المقصود في الخبر الايمان وذلك لأن المخبر به من الوعد والوعيد فيه من التشابه ما ذكرناه بخلاف الأمر والنهي ولهذا قال بعض العلماء المتشابه الأمثال والوعد والوعيد و المحكم الأمر والنهي فانه متميز غير مشتبه بغيره فانه أمور نفعها قد علمناها بالوقوع وأمور نتركها لا بد أن نتصورها ومما جاء من لفظ

التأويل في القرآن قوله تعالى {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ} {يونس 39} والكناية عائدة على القرآن أو على ما لم يحيطوا بعلمه وهو يعود الى القرآن قال تعالى { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {37} { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {38} { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ } {39} { وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ } {40} { يونس 37-40 فأخبر سبحانه أن هذا القرآن ما كان ليفترى من دون الله وهذه الصيغة تدل على امتناع المنفى كقوله { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ } {هود 117} وقوله { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ } {الأنفال 33} لأن الخلق عاجزون عن الاتيان بمثله كما تحداهم وطالبهم لما قال { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {يونس 38} فهذا تعجيز لجميع المخلوقين قال تعالى { وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } {يونس 37} أى مصدق الذى بين يديه { وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ } {يونس 37} أى مفصل الكتاب فأخبر أنه مصدق الذى بين يديه ومفصل الكتاب والكتاب اسم جنس وتحدى القائلين { افْتَرَاهُ } {يونس 38} ودل على أنهم هم المفترون قال { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ } {يونس 39} أى كذبوا بالقرآن الذى لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله ففرق بين الاحاطة بعلمه وبين اتيان تأويله فتبين أنه يمكن أن يحيط أهل العلم والايمان بعلمه ولما يأتهم تأويله وأن الاحاطة بعلم القرآن ليست اتيان تأويله فإن الاحاطة بعلمه معرفة معانى الكلام على التمام واتيان التأويل نفس وقوع المخبر به وفرق بين معرفة الخبر وبين المخبر به فمعرفة الخبر هى معرفة تفسير القرآن ومعرفة المخبر به هى معرفة تأويله و نكتة ذلك أن الخبر لمعناه صورة علمية وجودها فى نفس العالم كذهن الانسان مثلا ولذلك المعنى حقيقة

ثابتة في الخارج عن العلم واللفظ انما يدل ابتداء على المعنى
الذهني ثم تتوسط ذلك أو تدل على الحقيقة الخارجة بالتأويل هو
الحقيقة الخارجة وأما معرفة تفسيره ومعناه فهو معرفة الصورة
العلمية وهذا هو الذي بيناه فما تقدم أن الله أنزل القرآن ليعلم
ويفهم ويفقه ويتدبر ويتفكر فيه محكمه ومتشابهه وان لم يعلم تأويله

292

* قال ابن عيينة السنة تأويل الأمر و النهي و قال أبو عبيد لما ذكر
إختلاف الفقهاء و أهل اللغة في نهي النبي صلى الله عليه و سلم
عن إشتمال الصماء قال و الفقهاء أعلم بالتأويل يقول هم أعلم
بتأويل ما أمر به و ما نهي عنه فيعرفون أعيان الأفعال الموجودة
التي أمر بها و أعيان الأفعال المحظورة التي نهى عنها و
تفسير كلامه ليس هو نفس ما يوجد في الخارج بل هو بيانه و
شرحه و كشف معناه فالتفسير من جنس الكلام يفسر الكلام بكلام
يوضحه و اما التأويل فهو فعل المأمور به و ترك المنهى عنه ليس
هو من جنس الكلام و النوع الثاني الخبر كإخبار الرب عن
نفسه تعالى بأسمائه و صفاته و إخباره عما ذكره لعباده من الوعد
و الوعيد و هذا هو التأويل المذكور في قوله { **وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ
فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** } 52 { **هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ
رَبِّنَا بِالْحَقِّ** } 53 { **الاعراف 52-53** و هذا كقولهم { **يَا وَيْلَنَا
مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ
{يس 52 و مثله قوله { انظفوا إلى ما كنتم به تكذبون
{المرسلات 29 و قوله { وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ** } 25 { **قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ** } 26 { **فَلَمَّا
رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ
تَدْعُونَ** } 27 { **الملك 25-27** و نظائره متعددة في القرآن و
كذلك قوله { **أَمْ يَقُولُونَ افترأه قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَن**

اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {38} بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ {39} يونس 38-39 فَإِنْ مَا وَعَدُوا بِهِ فِي الْقُرْآنِ لَمَّا يَأْتِهِمْ بَعْدَ وَ سَوْفَ يَأْتِيهِمْ فَالتفسير هو الإحاطة بعلمه و التأويل هو نفس ما و عدوا به إذا أتاهم فهم كذبوا بالقرآن الذي لم يحيطوا بعلمه و لما يأتهم تأويله و قد يحيط الناس بعلمه و لما يأتهم تأويله فالرسول صلى الله عليه و سلم يحيط بعلم ما أنزل الله عليه و إن كان تأويله لم يأت بعد و في الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم لما نزل قوله {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ {الأنعام 65} الآية قال إنها كائنة و لم يأت تأويلها بعد قال تعالى { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَأَسْتَأْذِنَنَّكُمْ بِوَكِيلٍ {66} لَأَكُلَنَّ نَبَأًا مُّسْتَقَرًّا وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ {67} } الاتعام 66-67 قال بعضهم موضع قرار و حقيقة و منتهى ينتهي إليه فيبين حقه من باطله و صدقه من كذبه و قال مقاتل لكل خبر يخبر به الله و قت و مكان يقع فيه من غير خلف و لا تأخير و قال ابن السائب لكل قول و فعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه و ما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم و سوف تعلمون و قال الحسن لكل عمل جزاء فمن عمل عملاً من الخير جوزي به في الجنة و من عمل عمل سوء جوزي به في النار و سوف تعلمون و معنى قول الحسن أن الأعمال قد وقع عليها الوعد و الوعيد فالوعد و الوعيد عليها هو النبأ الذي له المستقر فيبين المعنى و لم يرد أن نفس الجزاء هو نفس النبأ و عن السدي قال {لَأَكُلَنَّ نَبَأًا مُّسْتَقَرًّا} {الأنعام 67} أي ميعاد و عدتكموه فسيأتاكم حتى تعرفونه و عن عطاء {لَأَكُلَنَّ نَبَأًا مُّسْتَقَرًّا} {الأنعام 67} تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه فإذا عمل ذنبه عاقبه أي لا يعاقب بالوعد حتى يفعل الذنب الذي توعدده عليه و منه قول كثير من السلف في آيات هذه ذهب تأويلها و هذه لم يأت تأويلها مثل ما روى أبو الأشهب عن الحسن و الربيع عن أبي العالية أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} {المائدة 105} الآية فقال ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولها ما

قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال إن القرآن نزل
حيث نزل فمنه أي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن و منه أي وقع
تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم و منه أي وقع
تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وسلم ببسير و منه أي يقع
تأويلهن بعد اليوم و منه أي يقع تأويلهن في آخر الزمان و منه أي
يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب و الجنة و النار فما
دامت قلوبكم و أهواؤكم و احدة و لم تلبسوا شيئا و لم يذق بعضكم
بأس بعض فأمروا و انهوا فإذا اختلفت القلوب و الأهواء و أليستم
شيعا و ذاق بعضكم بأس بعض فأمرؤ و نفسه فعند ذلك جاء تأويل
هذه الآية فابن مسعود رضي الله عنه قد ذكر في هذا الكلام
تأويل الأمر و تأويل الخبر فهذه الآية عليكم أنفسكم من باب الأمر
و ما ذكر من الحساب و القيامة من باب الخبر و قد تبين أن تأويل
الخبر هو و جود المخبر به و تأويل الأمر هو فعل المأمور به
فالآية التي مضى تأويلها قبل نزولها هي من باب الخبر يقع الشيء
فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول و تكذيبهم
له و هي و إن مضى تأويلها فهي عبرة و معناها ثابت في نظيرها
و من هذا قول ابن مسعود خمس قد مضين و منه قوله تعالى
{ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } القمر 1²⁹³

* فالنبي صلى الله عليه وسلم عالم بالتأويل و إن كان التأويل لم يقع
بعد و إن كان لا يعرف متى لا يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في
القرآن من الوعد و الوعيد و إن كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل
المذكور في قوله سبحانه و تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي
تَأْوِيلُهُ } الأعراف 53 الآية و قال تعالى { لَكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ
{ الأنعام 67 فنحن نعلم مستقر نباء الله و هو الحقيق التي أخبر الله
بها و لا نعلم متى يكون و قد لا نعلم كيفيتها و قدرها و سواء في
هذا تأويل المحكم و المتشابه كما قال الله تعالى { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ

عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ
 شَيْعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ { الأنعام 65 } قال النبي صلى
 الله عليه وسلم أنها كائنة و لم يأت تأويلها بعد فقد عرف تأويلها و
 هو وقوع الاختلاف و الفتن و إن لم يعرف متى يقع و قد لا
 يعرف صفته و لا حقيقته فإذا وقع عرف العارف أن هذا هو
 التأويل الذي دلت عليه الآية و غيره قد لا يعرف ذلك أو ينساه بعد
 ما كان عرفه فلا يعرف أن هذا تأويل القرآن فإنه لما نزل قوله
 تعالى { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ
 خَاصَّةً } { الأنفال 25 } قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زماناً و ما أرانا
 من أهلها و إذا نحن المعنيون بها { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } { الأنفال 25 }²⁹⁴

الشفاعة المنفية في القرآن

* فالشفاعة نوعان أحدهما الشفاعة التي نفاها الله تعالى كالتى
 أثبتها المشركون و من ضاهاهم من جهال هذه الأمة و ضلالهم و هى
 شرك و الثانى أن يشفع الشفيع بإذن الله و هذه التى أثبتها الله
 تعالى لعباده الصالحين و لهذا كان سيد الشفعاء إذا طلب منه الخلق
 الشفاعة يوم القيامة يأتى ويسجد قال فأحمد ربي بمحامد يفتحها
 على لا أحسنها الآن فيقال أى محمد ارفع رأسك و قل يسمع و سل
 تعطه و اشفع تشفع فإذا أذن له فى الشفاعة شفع لمن أراد الله أن
 يشفع فيه²⁹⁵

* فالشفاعة المنفية فى القرآن كقوله تعالى { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ
 يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ
 شَفَعَاءٍ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلْ } { الأعراف 53 }
 و أمثال ذلك و احتج بكثير من الخوارج و المعتزلة على منع

²⁹⁴ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 428

²⁹⁵ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 332

الشفاعة لأهل الكبائر إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب أو أن يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في زيادة الثواب ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر والقول بأنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وأيضا فالأحاديث المستفيضة عن النبي في الشفاعة فيها استشفاع أهل الموقف ليقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه وع شفاعة للكفار وأيضا ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه يحوطك ويغضب لك قال نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن الحارث قال سعت العباس يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فأخرجته الى ضحضاح وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل النار عذابا كما في الصحيح أيضا عن ابن عباس أن رسول الله قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه وعن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أحمض قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه وعنه قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منها دماغه كما يغلى الرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا وهذا السؤال الثانى يضعف جواب من تأول نفى الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند

الناس عند الإطلاق وهى أن يشفع الشفيع الى غيره ابتداء فيقبل شفاعته فأما إذا أذن له فى أن يشفع فشفع لم يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطيعا له أى تابعا له فى الشفاعة وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤل وقد ثبت بنص القرآن فى غير آيه أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال {يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } طه 109 وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذى يبين أن هذه هى الشفاعة المنفية أنه قال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وأما نفى الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التى بإذنه ليست من دونه كما قال تعالى { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } 55 { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } 56 المائدة 55- 56 وأيضا فقد قال { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ } الزمر 43 { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ } 43 { قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 44 { الزمر 43- 44 فدم الذين اتخذوا من دون الله شفعا وأخبر أن الله الشفاعة جميعا فعلم أن الشفاعة منتفية عن غيره إذ لا يشفع أحد الا بإذنه وتلك فهى له وقد قال { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ } يونس 18 يوضح ذلك أنه نفى يؤمذ الخلة بقوله { مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا

خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ {البقرة 254} ومعلوم
 أنه إنما نفى الخلة المعروفة ونفعها المعروف كما ينفع الصديق
 الصديق في الدنيا كما قال { وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ {17} ثُمَّ مَا
 أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ {18} يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ
 يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ {19} الانفطار 17-19} وقال {لِيُنذِرَ يَوْمَ
 التَّلَاقِ {15} يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ
 الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ {16} غافر 16} لم ينف أن يكون
 في الآخرة خلة نافعة بإذنه فإنه قد قال { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ
 أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {66} الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ
 لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ {67} يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزَنُونَ {68} الزخرف 66-68} الآيات وقد قال النبي يقول الله
 تعالى حقت محبتي للمتحابين في ويقول الله تعالى أين
 المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي
 فتعين أن الأمر كله عائد الى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا
 يضر الا بإذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعان به
 من دون الله وأنه يوم القيامة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله
 ويتبرأ كل مدع من دعواه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه معه
 شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف الدنيا
 فإنه وإن لم يكن رب ولا اله الا هو فقد اتخذ غيره ربا والها وادعى
 مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته وإن لم
 يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتدى نفسه من الشر
 فقد ينتفع بالنفوس والأموال في الدنيا والنفوس ينتفع بها تارة
 بالاستقلال وتارة بالإعانة وهي الشفاعة والأموال بالفداء فنفي الله
 هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
 يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ {البقرة 48} وقال {لَا يَبِيعُ
 فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ {البقرة 254} كما قال {لَا يَجْزِي وَالِدٌ
 عَنْ وَالدِّهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا} لقمان 33 فهذا هذا
 والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة الى تحقيق أصلى الإيمان
 وهي الإيمان بالله وباليوم الآخر التوحيد والمعاد كما قرن بينهما

في مواضع كثيرة كقوله { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
 الْآخِرِ } البقرة 8 وقوله { الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } البقرة 156 وقوله { مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا
 كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } لقمان 28 وقوله { وَكُنْتُمْ
 أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } البقرة 28
 وأمثال ذلك ²⁹⁶

خلق السموات والأرض

*ومن المعلوم أن القرآن لم يخبر بفناء العالم في المستقبل قط كما
 لم يخبر بأن الله خلق السموات والأرض من غير شيء بل أخبر
 سبحانه وتعالى بخلق السموات والأرض كما أخبر بخلق الإنسان
 والجن وغير ذلك من المخلوقات وأخبر أنه خالق كل شيء
 وأخبر عن خلق السموات والأرض فقال { إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي
 خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
 يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
 بِأَمْرِهِ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } الأعراف 54
 فأخبر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأنه كان عرشه
 على الماء وفي صحيح البخاري والمسند وغيرهما عن عمران
 بن حصين أن بني تميم جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم أقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد
 بشرتنا فأعطنا فتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء أهل
 اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد
 قبلنا يا رسول الله جئناك لنتنقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر
 فقال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في
 الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض وفي لفظ ولم يكن شيء
 غيره وفي لفظ آخر ولم يكن معه شيء لكن الظاهر أن النبي
 صلى الله عليه وسلم لم يقل إلا واحدة والأخرتان رويتا بالمعنى

فإن المجلس كان واحدا لم يتكرر ليقال إنه قال كل لفظ في مجلس ولو كرر الألفاظ لذكر ذلك عمران ومثل هذا يقع كثيرا في الحديث كقوله في حديث المرأة التي عرضت نفسها عليه أنكحتمها بما معك من القرآن وفي رواية أخرى زوجتموها وفي أخرى أمكتمها واللفظ الأول مطابق لما رواه مسلم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر فقوله أنت الأول فليس قبلك شيء مطابق لقوله كان الله ولم يكن شيء قبله والحديث دل بأنه كان عرشه على الماء وأنه كتب في الذكر كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض وهكذا جاء في صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء فأخبر في هذا الحديث الصحيح بما يوافق ذلك الحديث الصحيح أيضا أنه قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض حين كان عرشه على الماء وكلاهما يوافق القرآن²⁹⁷

* وقد جاءت الآثار المتعددة عن الصحابة والتابعين وغيرهم بأن الله سبحانه لما كان عرشه على الماء خلق السماء من بخار الماء وأبيس الأرض وهكذا في أول التوراة الإخبار بأن الماء كان موجودا وأن الريح كانت ترف عليه وأن الله خلق من ذلك الماء السماء والأرض فهذه الأخبار الثابتة عن نبينا صلى الله عليه وسلم في الكتاب والسنة مطابقة لما عند أهل الكتاب من اليهود والنصارى مما في التوراة وكل ذلك يصدق بعضه بعضا ويخبر

²⁹⁷الصفدية ج: 2 ص: 79

أن الله خلق هذا العالم سمواته وأرضه في ستة أيام ثم استوى على العرش وأنه كان قبل ذلك مخلوقات كالماء والعرش فليس في إخبار الله تعالى أن السموات والأرض أبدعتا من غير شيء ولا أنه لم يكن قبلها شيء من المخلوقات وقد أخبر الله في غير موضع أنه خالق كل شيء وأنه رب كل شيء²⁹⁸

جنس الزمان مقدار جنس الحركة

* فان الزمان اذا قيل أنه مقدار الحركة كان جنس الزمان مقدار جنس الحركة لا يتعين في ذلك أن يكون مقدار حركة الشمس أو الفلك وأهل الملل متفقون على أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وخلق ذلك من مادة كانت موجودة قبل هذه السموات والأرض وهو الدخان الذي هو البخار كما قال تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} فصلت 11 وهذا الدخان هو بخار الماء الذي كان حينئذ موجوداً كما جاءت بذلك الآثار عن الصحابة والتابعين وكما عليه أهل الكتاب كما ذكر هذا كله في موضع آخر وتلك الأيام لم تكن مقدار حركة هذه الشمس وهذا الفلك فان هذا مما خلق في تلك الأيام بل تلك الأيام مقدره بحركة أخرى وكذلك اذا شق الله هذه السموات وأقام القيامة وادخل أهل الجنة الجنة قال تعالى {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} مريم 62 وقد جاءت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه تبارك وتعالى يتجلى لعباده المؤمنين يوم الجمعة وان أعلاهم منزلة من يرى الله تعالى كل يوم مرتين وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا هناك حركة فلك بل ذلك الزمان مقدر بحركات كما جاء في الآثار أنهم يعرفون ذلك بأنوار تظهر من جهة العرش²⁹⁹

²⁹⁸الصفحية ج: 2 ص: 83

²⁹⁹مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 564

* وفي أول الأيام يقال يوم الأحد فإن فيه على أصح القولين
ابتدأ الله خلق السموات و الأرض و ما بينهما كما دل عليه القرآن
و الأحاديث الصحيحة فإن القرآن أخبر في غير موضع أنه { خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } الفرقان 59 و قد ثبت
في الحديث الصحيح المتفق على صحته أن آخر المخلوقات كان
آدم خلق يوم الجمعة و إذا كان آخر الخلق كان يوم الجمعة دل على
أن أوله كان يوم الأحد لأنها ستة³⁰⁰

السنة في أسباب الخير والشر

* النجوم من آيات الله الدالة عليه المسبحة له الساجدة له كما قال
تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي
الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ
مِّنَ النَّاسِ } الحج 18 ثم قال { وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ }
الحج 18 وهذا التفريق يبين أنه لما يرد السجود لمجرد ما فيها من
الدلالة على ربوبيته كما يقول ذلك طوائف من الناس إذ هذه الدلالة
يشارك فيها جميع المخلوقات فجميع الناس فيهم هذه الدلالة وهو قد
فرق فعلم أن ذلك قدر زائد من جنس ما يختص به المؤمن ويتميز
به عن الكافر الذي حق عليه العذاب وهو سبحانه مع ذلك قد جعل
فيها منافع لعباده وسخرها لهم كما قال تعالى { وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } إبراهيم 33 وقال تعالى
{ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ } الأعراف 54 وقال
تعالى { وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ
} الجاثية 13 ومن منافعها الظاهرة ما يجعله سبحانه بالشمس من
الحر والبرد والليل والنهار وإنضاج الثمار وخلق الحيوان والنبات
والمعادن وكذلك ما يجعله بها من الترطيب والتبييض وغير ذلك
من الأمور المشهورة كما جعل في النار الإشراق والإحراق وفي

الماء التطهير والسقي وأمثال ذلك من نعمه التي يذكرها في كتابه
كما قال تعالى { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا } {48} لِنُحْيِيَ بِهِ
بَلَدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسِيَّ كَثِيرًا {49} الفرقان 48-

49 وقد أخبر الله في غير موضع أنه يجعل بعض مخلوقاته
بعض كما قال تعالى { لِنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْتًا } الفرقان 49

وكما قال { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا
أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِّتَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الثَّمَرَاتِ { الأعراف 57 } وكما قال { وَمَا أَنْزَلَهُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ } البقرة 164

فمن قال من أهل الكلام إن الله يفعل هذه الأمور عندها لا بها
فعبارته مخالفة لكتاب الله تعالى والأمور المشهورة كمن زعم أنها
مستقلة بالفعل هو شرك مخالف للعقل والدين وقد أخبر في كتابه
سبحانه من منافع النجوم أنه يهتدى بها في ظلمات البر والبحر
وأخبر أنها زينة السماء الدنيا وأخبر أن الشياطين ترحم بالنجوم
وإن كانت النجوم التي ترحم بها الشياطين من نوع آخر غير
النجوم الثابتة في السماء التي يهتدي بها فإن هذه لا تزول عن
مكانها بخلاف تلك ولهذه حقيقة مخالفة لتلك وإن كان اسم النجم
يجمعها كما يجمع اسم الدابة والحيوان للملك وال آدمي والبهائم
والذباب والبعوض وقد ثبت بالأخبار الصحيحة التي اتفق عليها
العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر بالصلاة عند كسوف
الشمس والقمر وأمر بالدعاء والاستغفار والصدقة والعتق وقال
إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا
لحياته وفي رواية آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده
هذا قاله ردا لما قاله بعض جهال الناس إن الشمس كسفت لموت
إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم فإنها كسفت يوم موته وظن
بعض الناس لما كسفت أن كسوفها كان لأجل موته وأن موته هو
السبب لكسوفها كما قد يحدث عن موت بعض الأكابر مصائب في
الناس فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر لا يكون
كسوفهما عن موت أحد من أهل الأرض ولا عن حياته ونهى أن

يكون للموت والحياة أثر في كسوف الشمس والقمر وأخبر أنها من آيات الله وأنه يخوف عباده فذكر أن من حكمة ذلك تخويف العباد كما يكون تخويفهم في سائر الآيات كالرياح الشديدة والزلازل والجذب والأمطار المتواترة ونحو ذلك من الأسباب التي قد تكون عذابا كما عذب الله أمما بالريح والصيحة والطوفان وقال تعالى { فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا } العنكبوت 40 وقد قال { وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } الإسراء 59 وإخباره بأن الله يخوف عباده بذلك يبين أنه قد يكون سببا لعذاب ينزل كالرياح العاصفة الشديدة وإنما يكون ذلك إذا كان الله قد جعل ذلك سببا لما ينزله في الأرض فمن أراد بقوله إن لها تأثيرا ما قد علم بالحس وغيره من هذه الأمور فهذا حق ولكن الله قد أمر بالعبادات التي تدفع عنا ما ترسل به من الشر كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عند الخسوف بالصلاة والصدقة والدعاء والاستغفار والعتق وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا هبت الريح أقبل وأدبر وتغير وأمر أن يقال عند هبوبها اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما أرسلت به وقال إن الريح من روح الله وأنها تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب فلا تسبوها ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا ب الله من شرها فأخبر أنها تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب وأمر أن نسأل الله من خيرها ونعوذ ب الله من شرها فهذه السنة في أسباب الخير والشر أن يفعل العبد عند أسباب الخير الظاهرة من الأعمال الصالحة ما يجلب الله به الخير وعند أسباب الشر الظاهرة من العبادات ما يدفع الله به عنه الشر فأما ما يخفى من الأسباب فليس العبد مأمورا بأن يتكلف معرفته بل إذا فعل ما أمر وترك ما حذر كفاه الله مؤنة الشر ويسر له أسباب الخير { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } 2 { وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ

حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا {3} الطلاق
3-2 301

أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وأنه فوق العرش

* و لفظ العلو يتضمن الإستعلاء و غير ذلك من الأفعال
إذا عدى بحرف الإستعلاء دل على العلو كقوله { **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ {الأعراف54** فهو يدل على علوه على العرش و
السلف فسروا الإستواء بما يتضمن الإرتفاع فوق العرش
كما ذكره البخاري في صحيحه عن أبي العالية في قوله { **ثُمَّ
اسْتَوَى {الأعراف54** قال إرتفع و كذلك رواه ابن أبي حاتم و
غيره بأسانيدهم رواه من حديث آدم بن أبي إياس عن أبي جعفر
عن أبي الربيع عن أبي العالية { **ثُمَّ اسْتَوَى {الأعراف54**
قال إرتفع و قال البخاري و قال مجاهد في قوله { **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ {الأعراف54** علا على العرش و لكن يقال علا
على كذا و علا عن كذا و هذا الثاني جاء في القرآن في
مواضع لكن بلفظ تعالى كقوله { **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا
يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا {الإسراء43** { **عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ {المؤمنون92** ³⁰²

* قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه و على لسان رسوله بالعلو
والاستواء على العرش وال فوقية في كتابه في آيات كثيرة حتى
قال بعض أكابر أصحاب الشافعي في القرآن ألف دليل أو
أزيد تدل على ان الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده

³⁰¹فتاوى الكبرى ج: 1 ص: 386-388

³⁰²مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 359-432

وقال غيره فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك مثل قوله {فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} فصلت 38 {وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ} الأنبياء 19 فلو كان المراد بأن معنى عنده في قدرته كما يقول الجهمي لكان الخلق كلهم عنده فانهم كلهم في قدرته ومشيتته ولم يكن فرق بين من في السموات ومن في الأرض ومن عنده كما أن الاستواء على العرش لو كان المراد به الاستيلاء عليه لكان مستويا على جميع المخلوقات وكان مستويا على العرش قبل أن يخلقه دائما والاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض كما أخبر بذلك في كتابه فدل على أنه تارة كان مستويا عليه وتارة لم يكن مستويا عليه ولهذا كان العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل والشرع عند الأئمة المثبتة واما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع فقط دون العقل والمقصود أنه تعالى وصف نفسه بالمعية وبالقرب والمعية معيتان عامة وخاصة فالأولى قوله تعالى {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} الحديد 4 والثانية قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 الى غير ذلك من الآيات وأما القرب فهو كقوله {فَإِنِّي قَرِيبٌ} البقرة 186 وقوله {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} ق 16³⁰³

*فهذا كتاب الله من أوله الى آخره وسنة رسوله من أولها الى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو اما نص واما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلى الأعلى وهو فوق كل شيء وهو على كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء وأنه كامل الأسماء الحسنى والصفات العلى مثل قوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف 54 في ستة مواضع {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه 5 {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} فاطر 10 {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ}

³⁰³مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 122 و مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 232

وَرَافِعَكَ إِلَيَّ { آل عمران 55 } { أَمِنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ
 الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } { 16 } { أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ
 عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ } { 17 } { الْمَلِكِ 16- 17 } { بَلْ
 رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } { النساء 158 } { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ
 { المعارج 4 } { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ
 { السجدة 5 } { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ } { النحل 50 } { يَا
 هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ } { 36 } { أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ
 فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَاذِبًا } { 37 } { غَافِرٍ 36- 37 }
 { تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } { فصلت 42 } { وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ
 الْحَقُّ } { الرعد 1 } الى أمثال ذلك مما لا يكاد يحصى الا بكلفة
 والذي يدل عليه من السنة قصة معراج الرسول الى ربه
 ونزول الملائكة من عند الله وصعودها اليه وقوله فى الملائكة
 الذين يتعاقبون فى الليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الى
 ربهم فيسألهم وهو أعلم بهم وفى حديث الخوارج الا
 تأمنونى وأنا أمين من فى السماء وفى حديث الرقية ربنا الله
 الذى فى السماء تقدس اسمك أمرك فى السماء والأرض كما
 رحمتك فى السماء اجعل رحمتك فى الأرض اغفر لنا حوبنا
 وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من
 شفائك على هذا الوجع قال رسول الله إذا اشتكى أحد
 منكم أو اشتكى أخ له فليقل ربنا الله الذى فى السماء وفى حديث
 الأوعال والعرش فوق ذلك والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم
 عليه وفى حديث قبض الروح حتى يعرج بها الى السماء
 التى فيها الله وكذلك فى حديث جبير بن مطعم الذى رواه أبو
 داود وغيره عن جبير ابن مطعم قال أتى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اعرابى فقال يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال
 وهلكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فانا نستشفع بك
 على الله ونستشفع بالله عليك ويحك تدرى ما تقول وسبح رسول الله
 فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ثم قال ويحك
 أتدرى ما الله ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله أعظم

من ذلك ان الله على عرشه وان عرشه على سمواته وأرضه كهكذا
وقال بأصابه مثل القبة وهذا إخبار عن انه سبحانه فوق العرش
فى تلك الحال كما دل عليه القرآن كما أخبر انه استوى على
العرش وانه معنا أينما كنا وكونه معنا أمر خاص فكذلك كونه
مستويا على العرش وايضا فقد ثبت فى الحديث الصحيح الذى
رواه مسلم وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول
اللهم أنت الأول فليس قبلك شىء وانت الآخر فليس بعدك شىء
وانت الظاهر فليس فوقك شىء وانت الباطن فليس دونك شىء
وهذا نص فى ان الله ليس فوقه شىء كونه الظاهر صفة لازمة له
مثل كونه الأول والآخر وكذلك الباطن فلا يزال ظاهرا ليس فوقه
شىء ولا يزال باطنا ليس دونه شىء وفى الصحيح عن جابر بن
عبدالله ان رسول الله لما خطب خطبة عظيمة يوم عرفات
فى أعظم جمع حضره رسول الله جعل يقول الا هل
بلغت فيقولون نعم فيرفع اصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول
اللهم اشهد غير مرة وحديث الجارية لما سألتها أين الله قالت فى
السماء فأمر بعقتها وعلل ذلك بايمانها وأمثلة كثيرة وأما الذى
يدل عليه من الاجماع فى الصحيح عن أنس بن مالك
رضى الله عنه قال كانت زينب تتفخر على أزواج النبى تقول
زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سمواته وروى عبدالله
بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له بم
نعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا
نقول كما قالت الجهمية أنه هاهنا فى الأرض وباسناد صحيح عن
سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر الجهمية فقال
انما يحاولون أن يقولوا ليس فى السماء شىء وروى ابن أبى حاتم
عن سعيد بن عامر الضبعى امام أهل البصرة علما ودينا أنه ذكر
عنده الجهمية فقال هم أشرف قولا من اليهود والنصارى وقد اجتمع
أهل الأديان مع المسلمين على أن الله تعالى على العرش وقالوا هم
ليس على العرش شىء وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام
الأئمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه

وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة
 لتلا يتأذى به اهل القبلة ولا أهل الذمة وروى الامام أحمد
 قال أنا شريح بن النعمان قال سمعت عبدالله بن نافع الصائغ قال
 سمعت مالك بن أنس يقول الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا
 يخلو من علمه مكان وحكى الأوزاعى أحد الأئمة الأربعة فى
 عصر تابعى التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز والأوزاعى
 امام أهل الشام والليث امام أهل البصرة والثورى امام أهل العراق
 حكى شهرة القول فى زمن التابعين بالايمان بأن الله تعالى فوق
 العرش وبصفاته السمعية وانما قاله بعد ظهور جهم المنكر لكون
 الله فوق عرشه النافى لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف
 خلافه وروى الخلال بأسانيد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة
 قال سئل ربيعة بن أبى عبدالرحمن عن قوله تعالى { الرَّحْمَنُ
 عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } {5} طه 5 كيف استوى قال الاستواء غير
 مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة ومن الرسول البلاغ
 وعلينا التصديق وهذا مروى عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن
 أبى عبدالرحمن أو نحوه وقال الشافعى خلافة أبى بكر حق قضاء
 الله تعالى فى سمائه وجمع عليه قلوب عباده ولو يجمع ما قاله
 الشافعى فى هذا الباب لكان فيه كفاية ومن أصحاب الشافعى
 عبدالعزيز بن يحيى الكنانى المكى له كتاب الرد على الجهمية
 وقرر فيه مسألة العلو وأن الله تعالى فوق عرشه والأئمة فى
 الحديث والفقهاء والسنة والتصوف المائلون الى الشافعى ما من أحد
 منهم الا له كلام فيما يتعلق بهذا الباب ما هو معروف يطول ذكره
 وفى كتاب الفقه الأكبر المشهور عن أبى حنيفة
 يروونه بأسانيد عن أبى مطيع الحكم بن عبدالله قال سألت أبا
 حنيفة عن الفقه الأكبر فقال لا تكفرن أحدا بذنب الى أن قال
 عن قال لا أعرف ربى فى السماء أم فى الأرض فقد كفر لأن الله
 يقول { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } {5} طه 5 وعرشه فوق
 سبع سموات قلت فان قال أنه على العرش ولكن لا أدرى العرش
 فى السماء أم فى الأرض قال هو كافر وأنه يدعى من أعلى لا من

أسفل وسئل علي بن المديني عن قوله { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } {المجادلة7} قال اقرأ ما قبله { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } {المجادلة7 الآية} وروى عن ابن عيسى الترمذى قال هو على العرش كما وصف فى كتابه وعلمه وقدره وسلطانه فى كل مكان وأبو يوسف لما بلغه عن المريسي انه ينكر الصفات الخيرية وان الله فوق عرشه أراد ضربه فهرب فضرب رفيقه ضربا بشعا وعن اصحاب ابى حنيفة فى هذا الباب ما لا يحصى³⁰⁴

*وقال الحافظ أبو بكر البيهقي باب القول فى الاستواء قال الله تعالى { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه5 { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } {الأعراف54} { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } {الأنعام18} { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ } {النحل50} { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } {فاطر10} { أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ } {الملك16} واراد من فوق السماء كما قال { وَلَا صَلْبَنَّاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ } طه71 بمعنى على جذوع النخل وقال { فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ } {التوبة2} اى على الارض وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الآية أأمنتكم من على العرش كما صرح به فى سائر الآيات قال وفيما كتبنا من الآيات دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية ان الله بذاته فى كل مكان وقوله { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } {الحديد4} انما اراد بعلمه لا بذاته³⁰⁵

*قال أبو محمد بن أبى حاتم فى تفسيره ثنا عصام بن الرواد ثنا آدم ثنا ابو جعفر عن الربيع عن أبى العالية { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } {فصلت11} يقول ارتفع قال وروى عن الحسن يعنى

³⁰⁴مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 13 و مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 36 و مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 580

³⁰⁵مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 193

البصرى والربيع بن أنس مثله كذلك وذكر البخارى فى صحيحه فى كتاب التوحيد قال قال أبو العالية { اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } فصلت 11 ارتفع فسوى خلقهن وقال مجاهد { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 علا على العرش وكذلك ذكر ابن أبى حاتم فى تفسيره فى قوله { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 وروى بهذا الاسناد عن أبى العالية وعن الحسن وعن الربيع مثل قول أبى العالية وروى باسناده { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 قال فى اليوم السابع وقال أبو عمرو الطلمنكى وأجمعوا يعنى أهل السنة والجماعة على ان لله عرشا وعلى أنه مستو على عرشه وعلمه وقدرته وتدبيره بكل ما خلقه قال فأجمع المسلمون من اهل السنة على أن معنى { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ } الحديد 4 ونحو ذلك فى القرآن ان ذلك علمه وان الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء قال وقال أهل السنة فى قوله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 الاستواء من الله على عرشه المجيد على الحقيقة لا على المجاز واستدلوا بقول الله { فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ } المؤمنون 28 وبقوله { لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ } الزخرف 13 وبقوله { وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ } هود 44 الا أن المتكلمين من اهل الاثبات فى هذا على أقوال فقال مالك رحمه الله ان الاستواء معقول والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وقال عبدالله بن المبارك ومن تابعه من اهل العلم وهم كثير ان معنى استوى على العرش استقر وهو قول القتيبي وقال غير هؤلاء استوى أى ظهر قال ابو عبيدة معمر بن المثنى استوى بمعنى علا وتقول العرب استويت على ظهر الفرس بمعنى علوت عليه واستويت على سقف البيت بمعنى علوت عليه ويقال استويت على السطح بمعناه وقال الله تعالى { فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ } المؤمنون 28 وقال { لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ } الزخرف 13 وقال { وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ } هود 44 وقال { اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 بمعنى علا على العرش

وقول الحسن وقول مالك من أنبل جواب وقع في هذه المسألة
 وأشدّه استيعاباً لأن فيه نبذ التكيف وإثبات الاستواء المعقول وقد
 أنتم أهل العلم بقوله واستجوده واستحسنوه ثم تكلم على فساد قول
 من تأول استوى بمعنى استولى وقال الثعلبي وقال الكلبي
 ومقاتل { **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** } الأعراف 54 يعنى استقر
 قال وقال أبو عبيدة سعد وقيل استولى وقيل ملك واختار هو ما
 حكاه عن الفراء وجماعة أن معناه أقبل على خلق العرش وعمد
 الى خلقه قال ويدل عليه قوله { **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ**
دُخَانٌ } فصلت 11 أى عمد الى خلق السماء وهذا الوجه من
 أضعف الوجوه فانه قد اخبر أن العرش كان على الماء قبل خلق
 السموات والأرض وكذلك ثبت في صحيح البخارى عن
 عمران بن حصين عن النبي أنه قال كان الله ولم يكن
 شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم
 خلق السموات والأرض فاذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق
 السموات والأرض فكيف يكون استواؤه عمده الى خلقه له لو كان
 هذا يعرف في اللغة ان استوى على كذا بمعنى أنه عمد الى فعله
 وهذا لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً لا في نظم ولا في
 نثر ومن قال استوى بمعنى عمد ذكره في قوله { **ثُمَّ اسْتَوَى**
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } فصلت 11 لأنه عدى بحرف الغاية كما
 يقال عمدت الى كذا وقصدت الى كذا ولا يقال عمدت على كذا ولا
 قصدت عليه مع أن ما ذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً
 ولا هو قول أحد من مفسرى السلف بل المفسرون من السلف
 قولهم بخلاف ذلك كما قدمناه عن بعضهم وإنما هذا القول
 وأمثاله ابتدع في الاسلام لما ظهر انكار أفعال الرب التي تقوم به
 ويفعلها بقدرته ومشيئته واختياره فحينئذ صار يفسر القرآن من
 يفسره بما ينافى ذلك كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على ما
 يوافق أقوالهم واما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف فلا بل
 أقوال السلف الثابتة عنهم متفقة في هذا الباب لا يعرف لهم فيه
 قولان كما قد يختلفون أحياناً في بعض الآيات وان اختلفت

عباراتهم فمقصودهم واحد وهو اثبات علو الله على العرش فان قيل اذا كان الله لا يزال عاليا على المخلوقات كما تقدم فكيف يقال ثم ارتفع الى السماء وهي دخان أو يقال ثم علا على العرش قيل هذا كما أخبر أنه ينزل الى السماء الدنيا ثم يصعد وروى ثم يعرج وهو سبحانه لم يزل فوق العرش فان صعوده من جنس نزوله واذا كان في نزوله لم يصر شيء من المخلوقات فوقه فهو سبحانه يصعد وان لم يكن منها شيء فوقه وقوله {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} فصلت 11 انما فسروه بأنه ارتفع لأنه قال قيل هذا { قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ } 9 { وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيَّ مِنَ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ } 10 { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } 11 { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ } 12 { فصلت 9-12 وهذه نزلت في سورة حم بمكة ثم أنزل الله في المدينة سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } البقرة 29 فلما ذكر أن استواءه الى السماء كان بعد أن خلق الأرض وخلق ما فيها تضمن معنى الصعود لأن السماء فوق الارض فالاستواء اليها ارتفاع اليها فان قيل فاذا كان انما استوى على العرش بعد ان خلق السموات والارض في ستة أيام فقبل ذلك لم يكن على العرش قيل الاستواء علو خاص فكل مستو على شيء عال عليه وليس كل عال على شيء مستو عليه ولهذا لا يقال لكل ما كان عاليا على غيره أنه مستو عليه واستوى عليه ولكن كل ما قيل فيه أنه استوى على غيره فانه عال عليه والذي أخبر الله أنه كان بعد خلق السموات والأرض الاستواء لا مطلق العلو مع أنه يجوز أنه كان مستويا عليه قبل خلق السموات والارض لما كان عرشه على الماء ثم لما خلق هذا العالم كان عاليا عليه ولم يكن مستويا عليه

فلما خلق هذا العالم استوى عليه فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لازم له كما أن عظمته وكبريائه وقدرته كذلك وأما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته ولهذا قال فيه { **ثُمَّ اسْتَوَىٰ** } الأعراف 54 ولهذا كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر وأما علوه على المخلوقات فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع وهذا اختيار أبي محمد بن كلاب وغيره وهو آخر قولى القاضى ابى يعلى وقول جماهير أهل السنة والحديث ونظار المثبتة وهذا الباب ونحوه انما اشتبه على كثير من الناس لأنهم صاروا يظنون ان ما وصف الله عز وجل به من جنس ما توصف به أجسامهم فيرون ذلك يستلزم الجمع بين الضدين فان كونه فوق العرش مع نزوله يمتنع فى مثل اجسامهم لكن مما يسهل عليهم معرفة امكان هذا معرفة أرواحهم وصفاتها وأفعالها وان الروح قد تخرج من النائم الى السماء وهى لم تفارق البدن كما قال تعالى { **اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** } الزمر 42 وكذلك الساجد قال النبي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وكذلك تقرب الروح الى الله فى غير حال السجود مع أنها فى بدنه ولهذا يقول بعض السلف القلوب جواراة قلب يجول حول العرش وقلب يجول حول الحش وإذا قبضت الروح عرج بها الى الله فى أدنى زمان ثم تعاد الى البدن فتسأل وهى فى البدن ولو كان الجسم هو الصاعد النازل لكان ذلك فى مدة طويلة وكذلك ما وصف النبي من حال الميت فى قبره وسؤال منكر ونكير له والاحاديث فى ذلك كثيرة وقد ثبت فى الصحيحين من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبي أنه قال اذا اقعد الميت فى قبره أتى ثم شهد ان لا اله الا الله فذلك قوله { **يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ** } إبراهيم 27 وكذلك فى صحيح البخارى وغيره عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال ان العبد اذا وضع فى قبره وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقول له أنظر الى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا وأما الكافر والمنافق فيقول هاه هاه لا أدري كنت أقول ما يقول الناس سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين والناس فى مثل هذا على ثلاثة أقوال منهم من ينكر اقعاد الميت مطلقا لأنه قد أحاط ببذنه من الحجارة والتراب ما لا يمكن قعوده معه وقد يكون فى صخر يطبق عليه وقد يوضع على بذنه ما يكشف فيوجد بحاله ونحو ذلك ولهذا صار بعض الناس الى أن عذاب القبر انما هو على الروح فقط كما يقوله ابن ميسره وابن حزم وهذا قول منكر عند عامة أهل السنة والجماعة وصار آخرون الى أن نفس البدن يقعد على ما فهموه من النصوص وصار آخرون يحتجون بالقدرة ويخبر الصادق ولا ينظرون الى ما يعلم بالحس والمشاهدة وقدرة الله حق وخبر الصادق حق لكن الشأن فى فهمهم واذا عرف أن النائم يكون نائما وتقعده روحه وتقوم وتمشى وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالا وأمورا بباطن بذنه مع روحه ويحصل لبذنه وروحه بها نعيم وعذاب مع أن جسده مضطجع وعينيه مغمضة وفمه مطبق وأعضاءه ساكنة وقد يتحرك بذنه لقوة الحركة الداخلة وقد يقوم ويمشى ويتكلم ويصيح لقوة الأمر فى باطنه كان هذا مما يعتبر به أمر الميت فى قبره فان روحه تقعد وتجلس وتسال وتنعم وتعذب وتصيح وذلك متصل ببذنه مع كونه مضطجعا فى قبره وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك فى بذنه وقد يرى خارجا من قبره والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به فيتحرك بذنه ويمشى ويخرج من قبره وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين فى قبورهم وقد شوهده من يخرج من قبره وهو معذب ومن يقعد بذنه أيضا اذا قوى الأمر

لكن هذا ليس لازماً في حق كل ميت كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازماً لكل نائم بل هو بحسب قوة الأمر وقد عرف أن ابداناً كثيرة لا يأكلها التراب كأبدان الأنبياء وغير الأنبياء من الصديقين وشهداء أحد وغير شهداء أحد والأخبار بذلك متواترة لكن المقصود أن ما ذكره النبي من أقعاد الميت مطلقاً هو متناول لقعودهم ببواطنهم وإن كان ظاهر البدن مضطجعاً ومما يشبه هذا إخباره بما رآه ليلة المعراج من الأنبياء في السموات وأنه رأى آدم وعيسى ويحيى ويوسف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم وأخبر أيضاً أنه رأى موسى قائماً يصلى في قبره وقد رآه أيضاً في السموات ومعلوم أن أبدان الأنبياء في القبور إلا عيسى وإدريس وإذا كان موسى قائماً يصلى في قبره ثم رآه في السماء السادسة مع قرب الزمان فهذا أمر لا يحصل للجسد ومن هذا الباب أيضاً نزول الملائكة صلوات الله عليهم وسلامه جبريل وغيره فإذا عرف أن ما وصفت به الملائكة وأرواح الأدميين من جنس الحركة والصعود والنزول وغير ذلك لا يماثل حركة أجسام الأدميين وغيرها مما نشهده بالأبصار في الدنيا وأنه يمكن فيها ما لا يمكن في أجسام الأدميين كان ما يوصف به الرب من ذلك أولى بالإمكان وأبعد عن مماثلة نزول الأجسام بل نزوله لا يماثل نزول الملائكة وأرواح بني آدم وإن كان ذلك أقرب من نزول أجسامهم وإذا كان قعود الميت في قبره ليس هو مثل قعود البدن فما جاءت به الآثار عن النبي من لفظ القعود والجلوس في حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيرهما أولى أن لا يماثل صفات أجسام العباد^{306 307}

³⁰⁶ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 519-526

³⁰⁷ ((ملاحظة (كل القضايا المتعلقة بكيفية الاستواء على العرش ذكرت بتوسع كامل في

تفسير طه 5)))

"الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة"

*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه 5 ثم استوى على العرش في ستة مواضع في سورة الأعراف قوله {إِنَّ

رَبُّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ { الأعراف 54³⁰⁸

* لما سئل مالك وغيره من السلف عن قوله تعالى
{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه 5 قالوا الاستواء معلوم
والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وكذلك قال
ربيعة شيخ مالك قبله الإستواء معلوم والكيف مجهول ومن الله
البيان وعلى الرسول البلاغ وعلينا الإيمان فبين ان الاستواء
معلوم وان كيفية ذلك مجهول ومثل هذا يوجد كثيرا في كلام
السلف والأئمة ينفون علم العباد بكيفية صفات الله وأنه لا يعلم كيف
الله إلا الله فلا يعلم ما هو إلا هو وقد قال النبي لا أحصى ثناء
عليك أنت كما أثنيت على نفسك وهذا في صحيح مسلم وغيره
وقال في الحديث الآخر اللهم انى أسألك بكل اسم هو لك سميت
به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو إستأثرت
به فى علم الغيب عندك وهذا الحديث فى المسند وصحيح أبى
حاتم وقد اخبر فيه ان الله من الاسماء ما استأثر به فى علم الغيب
عنده فمعانى هذه الاسماء التى إستأثر بها فى علم الغيب عنده لا
يعلمها غيره³⁰⁹

* قوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ { الأعراف 54 فإنه
قد قال {وَاسْتَوَى عَلَى الْجُودِيِّ} هود 44 و قال { فَاسْتَوَى عَلَى
سُوقِهِ {الفتح 29 و قال {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى
الْفُلْكِ} المؤمنون 28 و قال {لِئَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ
{ الزخرف 13 فهذا الإستواء كله يتضمن حاجة المستوى الى
المستوى عليه و أنه لو عدم من تحته لخر و الله تعالى غني عن
العرش و عن كل شيء بل هو سبحانه بقدرته يحمل العرش و
حملة العرش و قد روى أنهم إنما أطاقوا حمل العرش لما أمرهم

³⁰⁸ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131

³⁰⁹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 68

أن يقولوا لا حول و لا قوة إلا بالله فصار لفظ الإستواء متشابها يلزمه في حق المخلوقين معاني ينزه الله عنها فنحن نعلم معناه و أنه العلو و الإعتدال لكن لا نعلم الكيفية التي إختص بها الرب التي يكون بها مستويا من غير إفتقار منه الى العرش بل مع حاجة العرش و كل شيء محتاج إليه من كل وجه و أنا لم نعهد في الموجودات ما يستوى على غيره مع غناه عنه و حاجة ذلك المستوى عليه الى المستوى فصار متشابها من هذا الوجه فإن بين اللفظين و المعنيين قدرا مشتركا و بينهما قدرا فارقا هو مراد في كل منهما و نحن لا نعرف الفارق الذي إمتاز الرب به فصرنا نعرفه من وجه و نجهله من وجه و ذلك هو تأويله و الأول هو تفسيره ³¹⁰

*وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به كتابه وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه علي على خلقه وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يسان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله في السماء أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله قد وسع كرسيه السموات والأرض وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ³¹¹

*فإن الكتاب والسنة مع العقل دلت على أن الله لا تماثله المخلوقات في شيء من الأشياء ودلت على أن الله غنى عن كل شيء ودلت على أن الله مباين للمخلوقات عال عليها وان كان يعتقد أن

³¹⁰ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 390

³¹¹ العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 29

الخالق تعالى بائن عن المخلوقات وانه فوق سمواته على عرشه بائن من مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته وان الله غنى عن العرش وعن كل ما سواه لا يفتقر الى شيء من المخلوقات بل هو مع استوائه على عرشه يحمل العرش وحمة العرش بقدرته ولا يمثل استواء الله باستواء المخلوقين بل يثبت الله ما اثبتته لنفسه من الأسماء والصفات وينفى عنه مماثلة المخلوقات ويعلم أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا أفعاله فهذا مصيب في اعتقاده موافق لسلف الأمة وأئمتها فان مذهبهم أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل فيعلمون أن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش وأنه كلم موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكا هشيماً ويعلمون أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما وصف به نفسه وينزهون الله عن صفات النقص والعيب ويثبتون له صفات الكمال ويعلمون أنه ليس له كفو أحد في شيء من صفات الكمال قال نعيم بن حماد الخزاعي من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها والله أعلم³¹²

قال الامام أحمد في كتابه الذي كتبه في الرد على الجهمية والزندقة بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه 5 وقال { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان ويتلون آيات

³¹² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 263

من القرآن { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } { الأنعام 3
قلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظيم الرب
شيء فقالوا أي شيء قلنا أحشاءكم واجوافكم واجواف الخنازير
والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظيم الرب شيء وقد
أخبرنا أنه في السماء فقال { أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ
الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } { الملك 16 } وقد قال جل ثناؤه { إِلَيْهِ
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } { فاطر 10 } وقال تعالى { إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ
وَرَأْفِعُكَ إِلَيَّ } { آل عمران 55 }

وقال تعالى { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } { النساء 158 } وقال تعالى { وَلَهُ مَن
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ } { الأنبياء 19 } وقال تعالى { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ
{ النحل 50 } وقال تعالى { ذِي الْمَعَارِجِ } {3} { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ
وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } {4} { المعارج 3-4 } وقال تعالى { وَهُوَ الْقَاهِرُ
فَوْقَ عِبَادِهِ } { الأنعام 18 } وقال تعالى { وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
{ الشورى 4 } قال فهذا خبر الله أنه في السماء ووجدنا كل شيء
في أسفل مذموما يقول جل ثناؤه { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ
مِنَ النَّارِ } { النساء 145 } وقال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا
أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَّا تَحْتًا أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا
مِنَ الْأَسْفَلِينَ } { فصلت 29 } وقلنا لهم أليس تعلمون ان ابليس
مكانه مكان والشياطين مكانهم مكان فلم يكن الله ليجتمع هو وابلis
في مكان واحد ولكن معنى قوله عز وجل { وَهُوَ اللَّهُ فِي
السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } { الأنعام 3 } يقول هو اله من في السموات
واله من في الأرض وهو الله على العرش وقد أحاط علمه بما دون
العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون
مكان وذلك قوله { لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } { الطلاق 12 } وقال من الاعتبار في ذلك لو
أن رجلا كان في يده قدح من قوارير صاف وفيه شيء صاف
لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في
القدح والله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون

فى شىء من خلقه وخصلة أخرى لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم اغلق بابها وخرج كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت فى داره وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار فى جوف الدار فالله عز وجل وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو وما هو من غير أن يكون فى شىء مما خلق³¹³

الاسماء مختصة بالله اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها

غيره

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثل شىء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قبيلا وأحسن حديثا من خلقه وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وقد دخل فى هذه الجملة قوله سبحانه {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} الأعراف 54³¹⁴

³¹³ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 310-412

³¹⁴ العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 14

* سمي الله نفسه بأسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الأسماء مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الأسماء اذا قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين وتمائل مساهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص فضلا عن ان يتحد مساهما عند الاضافة والتخصيص فقد سمي الله نفسه حيا فقال {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} البقرة 255 وسمى بعض عباده حيا فقال {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} الروم 19 وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي اسم لله مختص به وقوله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} الروم 19 اسم للحي المخلوق مختص به وإنما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق وما دل عليه بالإضافة والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى وكذلك سمي صفاته بأسماء وسمى صفات عباده بنظير ذلك فوصف نفسه بأنه استوى على عرشه فذكر ذلك في سبع مواضع من كتابه أنه استوى على العرش فقال {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف 54 ووصف بعض خلقه بالاستواء على غيره في مثل قوله {لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} الزخرف 13 وليس الاستواء كالإستواء

الجواب الصحيح ج: 4 ص: 423-426

أن الله سمي نفسه وصفاته بأسماء وسمى بعض عباده وصفاته عباده بأسماء هي في حقهم نظير تلك الأسماء في حقه سبحانه

وتعالى فسمى نفسه رؤوفاً رحيمًا بقوله { وَاللَّهُ رَؤُوفٌ
 بِالْعِبَادِ } آل عمران 30 وسمى بعض عباده رؤوفاً رحيمًا بقوله
 { حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ } التوبة 128 وليس
 الرؤوف كالرؤف وهذه المعاني التي تضاف إلى الخالق تارة
 وإلى المخلوق أخرى تذكر على ثلاثة أوجه تارة تقيد بالإضافة
 إلى الخالق أو بإضافته إليها كقوله تعالى { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ
 مِّنْ عِلْمِهِ } البقرة 255

وتارة تتقيد بالمخلوق كقوله { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ } آل عمران 18 وتارة تطلق مجردة
 فإذا قيدت بالخالق لم تدل على شيء من خصائص المخلوقين
 فإذا قيل علم الله وقدرته واستواؤه ومجيئه ويده ونحو ذلك كانت
 هذه الإضافة توجب ما يختص به الرب الخالق وتمنع أن يدخل
 فيها ما يختص به المخلوق وكذلك إذا قيل { فَأَإِذَا اسْتَوَيْتَ
 أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ } المؤمنون 28 كانت هذه الإضافة
 توجب ما يختص بالعبد وتمنع أن يدخل في ذلك ما يختص بالرب
 عز وجل وإذا جرد اللفظ عن القيود فنذكر بوصف العموم
 والإطلاق تناول الأمرين كسائر الألفاظ التي تطلق على الخالق
 والمخلوق وهذه للناس فيها أقوال قيل إنها حقيقة في الخالق
 مجاز في المخلوق كقول أبي العباس الناشيء وقيل بالعكس
 كقوله غلاة الجهمية والباطنية والفلاسفة وقيل حقيقة فيهما وهو
 قول الجمهور ثم قيل هي مشتركة اشتراكاً لفظياً وقيل متواطئة
 وهو قول الجمهور ثم من جعل المشككة نوعاً من المتواطئة لم
 يمتنع عنده إذا قيل مشككة أن تكون متواطئة ومن جعل ذلك نوعاً
 آخر جعلها مشككة لا متواطئة وهذا نزاع لفظي فإن المتواطئة
 التواطؤ العام يدخل فيها المشككة إذ المراد بالمشككة ما
 يتفاضل معانيها في موارد كلفظ الأبيض الذي يقال على البياض
 الشديد كبياض الثلج والخفيف كبياض العاج والشديد أولى به
 ومعلوم أن مسمى البياض في اللغة لا يختص بالشديد دون الخفيف
 فكان اللفظ دالاً على ما به الاشتراك وهو المعنى العام الكلي وهو

متواطىء بهذا الاعتبار وهو اعتبار التفاضل يسمى مشككا وأما إذا أريد بالواطىء ما تستوي معانيه كانت المشككة نوعا آخر لكن تخصيص لفظ المتواطئة بهذا عرف حادث وهو خطأ أيضا فإن عامة المعاني العامة تتفاضل والتماثل فيها في جميع مواردنا بحيث لا تتفاضل في شيء من مواردنا إما قليل وإما معدوم فلو لم تكن هذه الأسماء متواطئة بل مشككة كان عامة الأسماء الكلية غير متواطئة وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا أن الله سبحانه وتعالى إذا أضاف إلى نفسه ما أضافه إضافة يختص بها وتمنع أن يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين وقد قال مع ذلك إنه ليس كمثله شيء وإنه لم يكن له كفوا أحد وأنكر أن يكون له سمي كان من فهم من هذه ما يختص به المخلوق قد أتى من سوء فهمه ونقص عقله لا من قصور في بيان الله ورسوله ولا فرق في ذلك بين صفة وصفة فمن فهم من علم الله ما يختص به المخلوق من أنه عرض محدث باضطرار أو اكتساب فمن نفسه أتى وليس في قولنا علم الله ما يدل على ذلك والمقصود هنا أن الله سبحانه وتعالى إذا أضاف إلى نفسه ما أضافه إضافة يختص بها وتمنع أن يدخل فيها شيء من خصائص المخلوقين وقد قال مع ذلك إنه ليس كمثله شيء وإنه لم يكن له كفوا أحد وأنكر أن يكون له سمي كان من فهم من هذه ما يختص به المخلوق قد أتى من سوء فهمه ونقص عقله لا من قصور في بيان الله ورسوله ولا فرق في ذلك بين صفة وصفة فمن فهم من علم الله ما يختص به المخلوق من أنه عرض محدث باضطرار أو اكتساب فمن نفسه أتى وليس في قولنا علم الله ما يدل على ذلك وكذلك من فهم من قوله { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } المائدة 64 الآية { مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ } ص 75 ما يختص به المخلوق من جوارحه وأعضائه فمن نفسه أوتي قال تعالى { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 فليس في ظاهر هذا اللفظ ما يدل على ما يختص به المخلوق كما في سائر الصفات وكذلك إذا قال { إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ

أَيَّامٌ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ { الأعراف 54 من فهم من ذلك ما يختص بالمخلوق

كما يفهم من قوله { فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ

فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ { المؤمنون 28

فمن نفسه أتى فإن ظاهر اللفظ يدل على استواء يضاف إلى الله عز
وجل كما يدل في تلك الآية على استواء يضاف إلى العبد وإذا

كان المستوي ليس مماثلاً للمستوي لم يكن الاستواء مماثلاً

للاستواء فإذا كان العبد فقيراً إلى ما استوى عليه يحتاج إلى

حملة وكان الرب عز وجل غنياً عن كل ما سواه والعرش وما

سواه فقيراً إليه وهو الذي يحمل العرش وحملة العرش لم يلزم إذا

كان الفقير محتاجاً إلى ما استوى عليه أن يكون الغني عن كل

شيء وكل شيء محتاج إليه محتاجاً إلى ما استوى عليه وليس

في ظاهر كلام الله عز وجل ما يدل على ما يختص به المخلوق من

حاجة إلى حامل وغير ذلك بل توهم هذا من سوء الفهم لا من دلالة

اللفظ لكن إذا تخيل المتخيل في نفسه أن الله مثله تخيل أن يكون

استواؤه كاستوائه وإذا عرف أن الله ليس كمثل شيء لا في ذاته

ولا في صفاته ولا في أفعاله علم أن استواءه ليس كاستوائه

ولامجبيته كمجبيته كما أن علمه وقدرته ورضاه وغضبه ليس كعلمه

وقدرته ورضاه وغضبه وما بين الأسماء من المعنى العام

الكلية كما بين قولنا حي وحي وعالم وعالم وهذا المعنى العام الكلية

المشترك لا يوجد عاماً كلياً مشتركاً إلا في العلم والذهن وإلا فالذي

في الخارج أمر يختص بالموصوف فصفات الرب عز وجل

مختصة به وصفات المخلوق مختصة به ليس بينهما اشتراك ولا

بين مخلوق ومخلوق³¹⁵

³¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 15

ان كثيرا من الناس يتوهم فى بعض الصفات أو كثير منها أو أكثرها أو كلها أنها تماثل صفات المخلوقين ثم يريد أن ينفى ذلك الذى فهمه فيقع فى أربعة أنواع من المحاذير أحدها كونه مثل ما ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل الثانى أنه اذا جعل ذلك هو مفهومها وعطله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من اثبات الصفات اللائقة بالله فيبقى مع جنائته على النصوص وظنه السىء الذى ظنه بالله ورسوله حيث ظن ان الذى يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل قد عطل ما اودع الله ورسوله فى كلامهما من اثبات الصفات لله والمعانى الالهية اللائقة بجلال الله تعالى الثالث أنه ينفى تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم فيكون معطلا لما يستحقه الرب الرابع أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الاموات والجمادات أو صفات المعدومات فيكون قد عطل به صفات الكمال التى يستحقها الرب ومثله بالمنقوصات والمعدومات وعطل النصوص عما دلت عليه من الصفات وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات فيجمع فى كلام الله وفى الله بين التعطيل والتمثيل فيكون ملحدا فى أسماء الله وآياته مثال ذلك ان النصوص كلها دلت على وصف الإله بالعلو والفوقية على المخلوقات استوائه على العرش فأما علوه ومباينته للمخلوقات فيعلم بالعقل الموافق للسمع واما الاستواء على العرش فطريق العلم به هو السمع وليس فى الكتاب والسنة وصف له بأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباينه ولا مداخله فيظن المتوهم أنه اذا وصف بالإستواء على العرش كان استوائه كاستواء الإنسان على ظهور الفلك والأنعام كقوله { وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ } {12} لِيَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ {13} الزخرف 12-13 فيتخيل له انه اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه كحاجة المستوى على الفلك والأنعام فلو غرقت السفينة لسقط المستوى عليها ولو عثرت الدابة لخر لمستوى عليها فقياس هذا انه لو عدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى ثم يريد بزعمه ان

ينفى هذا فيقول ليس استواؤه بقعود ولا إستقرار ولا يعلم ان مسمى القعود والاستقرار يقال فيه ما يقال فى مسمى الاستواء فان كانت الحاجة داخلة فى ذلك فلا فرق بين الاستواء والقعود والاستقرار وليس هو بهذا المعنى مستويا ولا مستقرا ولا قاعدا وإن لم يدخل فى مسمى ذلك إلا ما يدخل فى مسمى الإستواء فأثبات أحدهما ونفى الآخر تحكّم وقد علم أن بين مسمى الإستواء والاستقرار والقعود فروقا معروفة ولكن المقصود هنا أن يعلم خطأ من ينفى الشىء مع اثبات نظيره وكأن هذا الخطأ من خطئه فى مفهوم إستوائه على العرش حيث ظن انه مثل استواء الإنسان على ظهور الأنعام والفلك وليس فى هذا اللفظ ما يدل على ذلك لأنه أضاف الإستواء الى نفسه الكريمة كما اضاف اليه سائر أفعاله وصفاته فذكر انه خلق ثم استوى كما ذكر انه قدر فهدى وانه بنى السماء بأيد وكما ذكر أنه مع موسى وهرون يسمع ويرى وأمثال ذلك فلم يذكر إستواء مطلقا يصلح للمخلوق ولا عاما يتناول المخلوق كما لم يذكر مثل ذلك فى سائر صفاته وإنما ذكر إستواء أضافه الى نفسه الكريمة فلو قدر على وجه الفرض الممتنع انه هو مثل خلقه تعالى عن ذلك لكان استواؤه مثل استواء خلقه أما اذا كان هو ليس مماثلا لخلق بل قد علم انه الغنى عن الخلق وأنه الخالق للعرش ولغيره وان كل ما سواه مفتقر اليه وهو الغنى عن كل ما سواه وهم لم يذكر الا استواءا يخصه لم يذكر استواءا يتناول غيره ولا يصلح له كما لم يذكر فى علمه وقدرته ورؤيته وسمعه وخلقه إلا ما يختص به فكيف يجوز ان يتوهم أنه اذا كان مستويا على العرش كان محتاجا اليه وانه لو سقط العرش لخر من عليه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا هل هذا الا جهل محض وضلال ممن فهم ذلك وتوهمه أو ظنه ظاهر اللفظ ومدلوله أو جوز ذلك على رب العالمين الغنى عن الخلق بل لو قدر أن جاهلا فهم مثل هذا وتوهمه لبين له ان هذا لا يجوز وأنه لم يدل اللفظ عليه أصلا كما لم يدل على نظائره فى سائر ما وصف به الرب نفسه فلما قال سبحانه وتعالى {وَالسَّمَاءَ

بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ { الذاريات 47 } فهل يتوهم متوهم ان بناءه مثل بناء
الآدمى المحتاج الذى يحتاج الى زنبيل ومجارف وضرب لبن
وجبل طين وأعوان ثم قد علم ان الله تعالى خلق العالم
بعضه فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقرا الى سافله فالهواء فوق
الارض وليس مفتقرا الى ان تحمله الارض والسحاب أيضا فوق
الأرض وليس مفتقرا الى ان تحمله والسموات فوق الارض
وليست مفتقرة الى حمل الأرض لها فالعلى الأعلى رب كل شيء
ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب ان يكون محتاجا الى
خلقه أو عرشه أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار وهو
ليس بمستلزم فى المخلوقات وقد علم أن ما ثبت لمخلوق من الغنى
عن غيره فالخالق سبحانه وتعالى أحق به وأولى وكذلك
قوله { أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
تَمُورٌ } الملك 16 من توهم أن مقتضى هذه الآية أن يكون الله فى
داخل السموات فهو جاهل ضال بالإتفاق وإن كنا إذا قلنا إن
الشمس والقمر فى السماء يفتضى ذلك فان حرف فى متعلق
بما قبله وبما بعده فهو بحسب المضاف اليه ولهذا يفرق بين
كون الشيء فى المكان وكون الجسم فى الحيز وكون العرض فى
الجسم وكون الوجه فى المرآة وكون الكلام فى الورق فان كل نوع
من هذه الانواع خاصة يتميز بها عن غيره وان كان حرف فى
مستعملا فى ذلك فلو قال قائل العرش فى السماء أو فى
الارض ل قيل فى السماء ولو قيل الجنة فى السماء أم فى الأرض
لقيل الجنة فى السماء ولا يلزم من ذلك ان يكون العرش داخل
السموات بل ولا الجنة فقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه
أعلى الجنة وأوسط الجنة وسقفها عرش الرحمن فهذه الجنة
سقفها الذى هو العرش فوق الأفلاك مع ان الجنة فى السماء يراد
به العلو سواء كان فوق الأفلاك أو تحتها قال تعالى }
فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ { الحج 15 } وقال تعالى } وَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا { الفرقان 48 ولما كان قد استقر فى

نفوس المخاطبين أن الله هو العلى الأعلى وأنه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله إنه في السماء أنه في العلو وأنه فوق كل شيء وكذلك الجارية لما قال لها أين الله قالت في السماء إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها وإذا قيل العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها فما فوقها كلها هو في السماء ولا يقتضى هذا أن يكون هناك ظرف وجودى يحيط به إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله كما لو قيل العرش في السماء فإنه لا يقتضى أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق وإن قدر إن السماء المراد بها الافلاك كان المراد انه عليها كما قال {وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ} طه 71 وكما قال {فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فِي الْأَرْضِ} آل عمران 137 وكما قال {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ} التوبة 2 ويقال فلان في الجبل وفي السطح وإن كان على أعلى شيء فيه³¹⁶

ان الله وصف نفسه بالأفعال اللازمة والمتعدية

* وصف الله سبحانه نفسه بالنزول في الثلث الاخير من الليل كما ورد في الاحاديث الصحيحة وأيضا بالنزول عشية عرفة في عدة أحاديث صحيحة وبعضها في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبي أنه قال ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفة وانه عز وجل ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم عرفة ان الله ينزل الى سماء الدنيا يباهى بأهل عرفة الملائكة فيقول أنظروا الى عبادى اتونى شعنا غبرا ضاحين من كل فج عميق وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت قال رسول الله ان الله ينزل الى السماء الدنيا يباهى بأهل عرفة الملائكة ويقول

³¹⁶ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 49-53

انظروا الى عبادى اتونى شعنا غيرا فوصف أنه يدنو عشية
 عرفة الى السماء الدنيا ويباهى الملائكة بالحجيج فيقول انظروا الى
 عبادى اتونى شعنا غيرا ما أراد هؤلاء ووصفه نفسه بالنزول
 كوصفه فى القرآن بأنه { إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54
 وبأنه { اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } فصلت 11 وبأنه نادى
 موسى لقد وصف الله سبحانه نفسه بالنزول كوصفه فى القرآن
 بأنه { إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
 اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 وبأنه { اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ
 وَهِيَ دُخَانٌ } فصلت 11 وبأنه نادى موسى وناجاه فى البقرة
 المباركة من الشجرة { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ
 فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ } القصص 30 وبالمجىء والاثيان فى قوله { وَجَاءَ رَبُّكَ
 وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } الفجر 22 والأحاديث المتواترة عن النبى
 صلى الله عليه وسلم فى اثيان الرب يوم القيامة كثيرة وكذلك
 اثيانه لأهل الجنة يوم الجمعة³¹⁷

فان وصفه سبحانه وتعالى بالاستواء الى السماء وهى دخان
 كوصفه بأنه خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على
 العرش ووصفه بالاثيان والمجىء فى مثل قوله تعالى { هَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةِ } البقرة 210
 وقوله { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ
 بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } الأنعام 158 وكذلك قوله تعالى { خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ }
 الأعراف 54 وقوله { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } الذاريات 47
 وقوله { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ
 شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ

³¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 373-374

{ الروم 40 وقوله {يُدَبَّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} {السجدة 5} وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميها النحاة أفعالاً متعدية وهي غالب ما ذكر في القرآن أو يسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به بل لا تتعدى إليه الا بحرف الجر كالاستواء الى السماء وعلى العرش والنزول الى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الأفعال ووصف نفسه بالأقوال اللازمة والمتعدية في مثل قوله {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ {ص 71 وقوله { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا {النساء 164 وقوله تعالى {وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا} {الأعراف 22 وقوله {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} {القصص 65 ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح عن رسوله فان القول في جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله في النفي والاثبات والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {1} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {2} {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {3} {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} {4} فبين أنه لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} {مريم 65} فأنكر أن يكون له سمى وقال تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} {البقرة 22} وقال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} {النحل 74} وقال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} {الشورى 11} ففيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفو والسمى والمثل والند وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله³¹⁸

* وأما الأفعال اللازمة كالإستواء و المجيء فالناس متنازعون في نفس إثباتها لأن هذه ليس فيها مفعول موجود يعلمونه حتى يستدلوا بثبوت المخلوق على الخلق و إنما عرفت بالخبر فالأصل فيها الخبر لا العقل و لهذا كان الذين ينفون الصفات الخبرية ينفونها

³¹⁸ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 323

ممن يقول الخلق غير المخلوق و ممن يقول الخلق هو
 المخلوق و من يثبت الصفات الخبرية من الطائفتين يثبتها و
 الذين أثبتوا الصفات الخبرية لهم في هذه قولان منهم من
 يجعلها من جنس الفعل المتعدى يجعلها أمورا حادثة في غيرها و
 هذا قول الأشعري و أئمة أصحابه و من وافقهم كالقاضي أبي يعلى
 و ابن الزاغوني و ابن عقيل في كثير من أقواله فالأشعري
 يقول الإستواء فعل فعله في العرش فصار به مستويا على العرش
 و كذلك يقول في الإتيان و النزول و يقول هذه الأفعال ليست من
 خصائص الأجسام بل توصف بها الأجسام و الأعراض فيقال
 جاءت الحمى و جاء البرد و جاء الحر و نحو ذلك و هذا
 أيضا قول القاضي أبي بكر و القاضي أبي يعلى و غيرهما و
 حملوا ما روى عن السلف كالأوزاعي و غيره أنهم قالوا في
 النزول يفعل الله فوق العرش بذاته كما حكاه القاضي عبد الوهاب
 عن القاضي أبي بكر و كما حكوه عن الأشعري و غيره و كما
 ذكر في غير موضع من كتبه و لكن عندهم هذا من الصفات
 الخبرية و هذا قول البيهقي و طائفة و هو أول قولي القاضي أبي
 يعلى و كل من قال إن الرب لا تقوم به الصفات الاختيارية
 فإنه ينفي أن يقوم به فعل شاءه سواء كان لازما أو متعديا لكن من
 أثبت من هؤلاء فعلا قديما كمن يقول بالتكوين و بهذا فإنه يقول
 ذلك القديم قام به بغير مشيئته كما يقولون في إرادته القديمة و
 القول الثاني أنها كما دلت عليه أفعال تقوم بذاته بمشيئته

و إختياره كما قالوا مثل ذلك في الأفعال المتعدية و هذا قول أئمة
 السنة و الحديث و الفقه و التصوف و كثير من أصناف أهل الكلام
 كما تقدم و على هذا يبني نزاعهم في تفسير قوله { ثُمَّ اسْتَوَى
 إِلَى السَّمَاءِ } البقرة 29 و قوله { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمْ
 اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ } البقرة 210 و قوله { ثُمَّ اسْتَوَى
 عَلَى الْعَرْشِ } يونس 3 و نحو ذلك فمن نفى هذه الأفعال يتأول
 إتيانه بإتيان أمره أو بأسه و الإستواء على العرش بجعله القدرة و
 الإستيلاء أو بجعله علو القدر فإن الإستواء للناس فيه قولان

هل هو من صفات الفعل أو الذات على قولين و القائلون بأنه صفة ذات يتأولونه بأنه قدر على العرش و هو ما زال قادرا و ما زال عالي القدر فلهذا ظهر ضعف هذا القول من وجوه منها قوله { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } يونس 3 فأخبر أنه استوى بحرف ثم ومنها أنه عطف فعلا على فعل فقال { خَلَقَ } يونس 3 ثم { اسْتَوَى } يونس 3 و منها أن ما ذكره لا فرق فيه بين العرش و غيره و إذا قيل إن العرش أعظم المخلوقات فهذا لا ينفي ثبوت ذلك لغيره كما في قوله { رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } التوبة 129 لما ذكر ربوبيته للعرش لعظمته و الربوبية عامة جاز أن يقال رب السموات و الأرض و ما بينهما و رب العرش العظيم و يقال { آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } {47} رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ {48} الشعراء 47-48 و الإستواء مختص بالعرش باتفاق المسلمين مع أنه مستول مقتدر على كل شيء من السماء و الأرض و ما بينهما فلو كان إستواؤه على العرش هو قدرته عليه جاز أن يقال على السماء و الأرض و ما بينهما و هذا مما احتج به طوائف منهم الأشعري قال في إجماع المسلمين على أن الإستواء مختص بالعرش دليل على فساد هذا القول و أيضا فإنه ما زال مقتدرا عليه من حين خلقه و منها كون لفظ الإستواء في لغة العرب يقال على القدرة أو علو القدر ممنوع عندهم و الإستعمال الموجود في الكتاب و السنة و كلام العرب يمنع هذا كما قد بسط في موضعه و تكلم على البيت الذي يحتجون به ثم إستوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق وأنه لو كان صحيحا لم يكن فيه حجة فإنهم لم يقولوا إستوى عمر على العراق لما فتحها و لا إستوى عثمان على خراسان و لا إستوى رسول الله صلى الله عليه و سلم على اليمن و إنما قيل هذا البيت إن صح في بشر بن مروان لما دخل العراق و إستوى على كرسي ملكها فقيل هذا كما يقال جلس على سرير الملك أو تحت الملك و يقال قعد على الملك و المراد هذا و أيضا فالآيات الكثيرة و الأحاديث الكثيرة و إجماع السلف يدل على أن

الله فوق العرش كما قد بسط في مواضع و أما الذين قالوا
الإستواء صفة فعل فهؤلاء لهم قولان هنا على ما تقدم هل هو فعل
بائن عنه لأن الفعل بمعنى المفعول أم فعل قائم به يحصل بمشيئته
وقدرته الأول قول ابن كلاب و من اتبعه كالأشعري و غيره و
هو قول القاضي و ابن عقيل و ابن الزاغوني و غيرهم و الثاني
قول أئمة أهل الحديث و السنة و كثير من طوائف الكلام كما تقدم
ولهذا صار للناس فيما ذكر الله في القرآن من الإستواء و المجيء
و نحو ذلك ستة أقوال طائفة يقولون تجرى على ظاهرها و
يجعلون إتيانه من جنس إتيان المخلوق و نزوله من جنس نزولهم
و هؤلاء المشبهة الممثلة و من هؤلاء من يقول إذا نزل خلا
منه العرش فلم يبق فوق العرش و طائفة يقولون بل النصوص
على ظاهرها اللائق به كما في سائر ما و صف به في نفسه و هو
{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } { الشورى 11 } لا في ذاته و لا في صفاته و لا
في أفعاله و يقولون نزل نزولا يليق بجلاله و كذلك يأتي إتيانا يليق
بجلاله و هو عندهم ينزل و يأتي و لم يزل عاليا و هو فوق العرش
كما قال حماد بن زيد هو فوق العرش يقرب من خلقه كيف شاء و
قال إسحاق بن راهويه ينزل و لا يخلو منه العرش و نقل ذلك عن
أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدد و تفسير النزول بفعل يقوم
بذاته هو قول علماء أهل الحديث و هو الذي حكاه أبو عمر بن عبد
البر عنهم و هو قول عامة القدماء من أصحاب أحمد و قد صرح
به ابن حامد و غيره و الأول نفي قيام الأمور الإختيارية هو
قول التميمي موافقة منه لابن كلاب و هو قول القاضي أبي يعلى و
أتباعه و طائفتان يقولان بل لا ينزل و لا يأتي كما تقدم ثم منهم
من يتأول ذلك و منهم من يفوض معناه و طائفتان واقفتان منهم
من يقول ما ندري ما أراد الله بهذا و منهم من لا يزيد على تلاوة
القرآن و عامة المنتسبين إلى السنة و أتباع السلف يبطلون
تأويل من تأول ذلك بما ينفي أن يكون هو المستوى الآتي لكن كثير
منهم يرد التأويل الباطل و يقول ما أعرف مراد الله بهذا و
منهم من يقول هذا مما نهى عن تفسيره أو مما يكتف تفسيره و

منهم من يقرره كما جاءت به الأحاديث الصحيحة والآثار الكثيرة عن السلف من الصحابة و التابعين قال أبو محمد البغوي الحسين بن مسعود الفراء الملقب ب محيي السنة في تفسيره { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } البقرة 29 قال ابن عباس و أكثر مفسري السلف أي إرتفع إلى السماء و قال الفراء و ابن كيسان و جماعة من النحويين أي أقبل على خلق السماء و قيل قصد و هذا هو الذي ذكره ابن الجوزي في تفسيره قال { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } البقرة 29 أي عمد إلى خلقها و كذلك هو يرجح قول من يفسر الإتيان بإتيان أمره و قول من يتأول الإستواء و قد ذكر ذلك في كتب أخرى و وافق بعض أقوال ابن عقيل قال ابن عقيل له في هذا الباب أقوال مختلفة و تصانيف يختلف فيها رأيه و إجتهاده و قال البغوي في تفسير قوله { ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } يونس 3 قال الكلبي و مقاتل إستقر و قال أبو عبيدة سعد و أولت المعتزلة الإستواء بالإستيلاء و أما أهل السنة فيقولون الإستواء على العرش صفة لله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به و بكل العلم فيه إلى الله و سأل رجل مالك بن أنس عن قوله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 كيف استوى فأطرق مالك رأسه مليا و علاه الرخصاء ثم قال الإستواء غير مجهول و الكيف غير معقول و الإيمان به واجب و السؤال عنه بدعة و ما أراك إلا ضالا ثم أمر به فأخرج قال روى عن سفيان الثوري و الأوزاعي و الليث بن سعد و سفيان بن عيينة و عبدالله بن المبارك و غيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة أمرها كما جاءت بلا كيف و قال في قوله { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ } البقرة 210 الأولى في هذه الآية و فيما ساكلها أن يؤمن الإنسان بظاهاها و بكل علمها إلى الله و يعتقد أن الله منزه عن سمات الحدث على ذلك مضت أئمة السلف و علماء السنة قال الكلبي هذا من المكتوم الذي لا يفسر قلت و قد حكى عنه أنه قال في تفسير قوله { ثُمَّ اسْتَوَى } إستقر ففسر ذلك و جعل هذا من المكتوم الذي لا يفسر لأن ذلك فيه و صفه بأنه فوق

العرش و هذا فيه إتيانه فى ظلل من الغمام قال البغوي و كان
مكحول و الزهري و الأوزاعي و مالك و عبدالله بن المبارك و
سفيان الثوري و الليث بن سعد و أحمد و إسحاق يقولون فيه و فى
أمثاله أمروها كما جاءت بلا كيف قال سفيان بن عيينة كلما و
صف الله به نفسه فى كتابه فتفسيره قراءته و السكوت عنه ليس
لأحد أن يفسره إلا الله و رسوله وهذه الآية أغمض من آية
الإستواء و لهذا كان أبو الفرج يميل إلى تأويل هذا و ينكر قول من
تأول الإستواء بالإستيلاء قال فى تفسيره قال الخليل بن أحمد
العرش السرير و كل سرير للملك يسمى عرشا و قلما يجمع
العرش إلا فى الإضطرار قلت و قد روى ابن أبى حاتم عن أبى
روق عن الضحاك عن ابن عباس قال يسمى عرشا
لارتفاعه قلت و الإشتقاق يشهد لهذا كقوله { وَمَا كَانُوا
يَعْرِشُونَ } الأعراف 137 و قوله { مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ
} الأنعام 141 و قول سعد و هذا كافر بالعرش و مقعد الملك يكون
أعلى من غيره فهذا بالنسبة إلى غيره عال عليه و بالنسبة إلى ما
فوقه هو دونه و فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه
قال إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة و أوسط
الجنة و سقفه عرش الرحمن فدل على أن العرش أعلى
المخلوقات كما بسط فى مواضع أخر قال أبو الفرج و اعلم أن
ذكر العرش مشهور عند العرب فى الجاهلية و الإسلام قال أمية
بن أبى الصلت مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا فى السماء
أمسى كبيرا بالبناء الأعلى الذى سبق الناس و سوى فوق السماء
سريرا شرجعا لا يناله بصر العيون ترى دونه الملائك
صورا قلت يريد أنه ذكره من العرب من لم يكن مسلما أخذه
عن أهل الكتاب فإن أمية و نحوه إنما أخذ هذا عن أهل الكتاب و
إلا فالمشركون لم يكونوا يعرفون هذا قال أبو الفرج ابن
الجوزي و قال كعب إن السموات فى العرش كقنديل معلق بين
السماء و الأرض قال و إجماع السلف منعقد على أن لا يزيدوا
على قراءة الآية و قد شذ قوم فقالوا العرش بمعنى الملك و هو

عدول عن الحقيقة إلى التجوز مع مخالفة الأثر ألم يسمعو قولهُ
{وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} {هود7} أفتراه كان الملك على الماء
قال و بعضهم يقول إستوى بمعنى إستولى و يستدل بقول الشاعر
حتى إستوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق
وقال الشاعر أيضا قد قلما إستويا بفضلهما جميعا على عرش
الملوك بغير زور قال و هو منكر عند اللغويين قال ابن
الأعرابي إن العرب لا تعلم إستوى بمعنى إستولى و من قال ذلك
فقد أعظم قال و إنما يقال إستولى فلان على كذا إذا كان
بعيدا عنه غير متمكن ثم تمكن منه و الله سبحانه و تعالى لم يزل
مستوليا على الأشياء و البيتان لا يعرف قائلهما كذا قال ابن فارس
اللغوي و لو صح لم يكن حجة فيهما لما بينا من إستيلاء من
لم يكن مستوليا نعوذ بالله من تعطيل الملحدة و تشبيه المجسمة
قلت فقد تأول قوله {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} البقرة29 و أنكر
تأويل {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} الأعراف54 و هو في لفظ
الإتيان قد ذكر القولين فقال قوله {أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ
{البقرة210} كان جماعة من السلف يمسكون عن مثل هذا و قد
ذكر القاضى أبو يعلى عن أحمد أنه قال المراد به قدرته و أمره
قال و قد بينه فى قوله {أَوْ يَأْتِي أَمْرُ رَبِّكَ} النحل33 قلت هذا
الذي ذكره القاضى و غيره أن حنبلا نقله عن أحمد فى كتاب
المحنة أنه قال ذلك فى المناظرة لهم يوم المحنة لما احتجوا
عليه بقوله تجيء البقرة و آل عمران قالوا و المجيء لا
يكون إلا لمخلوق فعارضهم أحمد بقوله {وَجَاءَ رَبُّكَ} الفجر22 {
أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ} الأنعام158 و قال المراد بقوله تجيء البقرة و
آل عمران ثوابهما كما فى قوله {وَجَاءَ رَبُّكَ} الفجر22 أمره
و قدرته و قد اختلف أصحاب أحمد فيما نقله حنبلا فإنه لا ريب
أنه خلاف النصوص المتواترة عن أحمد فى منعه من تأويل هذا و
تأويل النزول و الإستواء و نحو ذلك من الأفعال و لهم ثلاثة
أقوال قيل هذا غلط من حنبلا إنفرد به دون الذين ذكروا عنه
المناظرة مثل صالح و عبدالله و المروذى و غيرهم فإنهم لم

يذكروا هذا و حنبل ينفرد بروايات يغلطه فيها طائفة كالخلال و صاحبه قال أبو إسحاق ابن شاقلا هذا غلط من حنبل لا شك فيه و كذلك نقل عن مالك رواية أنه تأول ينزل إلى السماء الدنيا أنه ينزل أمره لكن هذا من رواية حبيب كاتبه و هو كذاب باتفاقهم و قد رويت من وجه آخر لكن الإسناد مجهول و القول الثاني قال طائفة من أصحاب أحمد هذا قاله إلزاما للخصم على مذهبه لأنهم في يوم المحنة لما إحتجوا عليه بقوله تأتي البقرة و آل عمران أجابهم بأن معناه يأتي ثواب البقرة و آل عمران كقوله { أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ } البقرة 210 أى أمره و قدرته على تأويلهم لا أنه يقول بذلك فإن مذهبه ترك التأويل و القول الثالث أنهم جعلوا هذا رواية عن أحمد و قد يختلف كلام الأئمة في مسائل مثل هذه لكن الصحيح المشهور عنه رد التأويل و قد ذكر الروايتين ابن الزاغوني و غيره و ذكر أن ترك التأويل هي الرواية المشهورة المعمول عليها عند عامة المشايخ من أصحابنا و رواية التأويل فسر ذلك بالعمد و القصد لم يفسره بالأمر و القدرة كما فسروا { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } البقرة 29 فعلى هذا فى تأويل ذلك إذا قيل به و جهان و ابن الزاغوني و القاضي أبو يعلى و نحوهما و إن كانوا يقولون بإمرار المجيء و الإتيان على ظاهره فقولهم فى ذلك من جنس قول ابن كلاب و الأشعري فإنه أيضا يمنع تأويل النزول و الإتيان و المجيء و يجعله من الصفات الخبرية و يقول إن هذه الأفعال لا تستلزم الأجسام بل يوصف بها غير الأجسام و كلام ابن الزاغوني فى هذا النوع و فى إستواء الرب على العرش هو موافق لقول أبي الحسن نفسه هذا قولهم فى الصفات الخبرية الواردة فى هذه الأفعال و أما علو الرب نفسه فوق العالم فعند ابن كلاب أنه معلوم بالعقل كقول أكثر المثبتة كما ذكر ذلك الخطابي و ابن عبدالبر و غيرهما و هو قول ابن الزاغوني و هو آخر قولي القاضي أبي يعلى و كان القاضي أولا يقول بقول الأشعري أنه من الصفات الخبرية و هذا قول القاضي أبي بكر و البيهقي و نحوهما و أما أبو المعالي الجويني و أتباعه فهؤلاء خلفوا الأشعري و

قدماء أصحابه في الصفات الخبرية فلم يثبتوها لكن منهم من نفاها فتأول الإستواء بالإستيلاء و هذا أول قولي أبي المعالي و منهم من توقف في إثباتها و نفيها كالرازي و الأمدى و آخر قولي أبي المعالي المنع من تأويل الصفات الخبرية و ذكر أن هذا إجماع السلف و أن التأويل لو كان مسوغا أو محتوما لكان إهتمامهم به أعظم من إهتمامهم بغيره فإستدل بإجماعهم على أنه لا يجوز التأويل و جعل الوقف التام على

قوله { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } آل عمران 7 ذكر ذلك في النظامية في الأركان الإسلامية و هذه طريقة عامة المنتسبين إلى السنة يرون التأويل مخالفا لطريقة السلف و قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع و ذكر لفظ التأويل و ما فيه من الإجمال و الكلام على قوله { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } آل عمران 7 و أن كلا القولين حق فمن قال لا يعلم تأويله إلا الله فأراد به ما يؤول إليه الكلام من الحقائق التي لا يعلمها إلا الله و من قال إن الراسخين في العلم يعلمون التأويل فالمراد به تفسير القرآن الذي بينه الرسول و الصحابة و إنما الخلاف في لفظ التأويل على المعنى المرجوح و أنه حمل اللفظ على الإحتمال المرجوح دون الراجح لدليل يقترن به فهذا إصطلاح متأخر و هو التأويل الذي أنكره السلف و الأئمة تأويلات أهل البدع و كذلك يقول أحمد في رده على الجهمية الذين تأولوا القرآن على غير تأويله و قد تكلم أحمد على متشابه القرآن و فسره كله و منه تفسير متفق عليه عند السلف و منه تفسير مختلف فيه و قد ذكر الجد أبو عبدالله في تفسيره من جنس ما ذكره البغوي لا من جنس ما ذكره ابن الجوزي فقال أما الإتيان المنسوب إلى الله فلا يختلف قول أئمة السلف كمكحول و الزهري و الأوزاعي و ابن المبارك و سفيان الثوري و الليث بن سعد و مالك بن أنس و الشافعي و أحمد و أتباعهم أنه يمر كما جاء و كذلك ما شاكل ذلك مما جاء في القرآن أو وردت به السنة كأحاديث النزول ونحوها وهي طريقة السلامة و منهج أهل السنة و الجماعة يؤمنون بظاها

ويكلمون علمها إلى الله و يعتقدون أن الله منزله عن سمات الحدث على ذلك مضت الأئمة خلفا بعد سلف كما قال تعالى { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ { آل عمران 7 و قال ابن السائب في قوله { أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ { البقرة 210 هذا من المكتوم الذي لا يفسر و ذكر ما يشبهه كلام الخطابي في هذا فإن قيل كيف يقع الإيمان بما لا يحيط من يدعى الإيمان به علما بحقيقته فالجواب كما يصح الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و النار و الجنة و معلوم أنا لا نحيط علما بكل شيء من ذلك على جهة التفصيل و إنما كلفنا الإيمان بذلك في الجملة ألا ترى أنا لا نعرف عدة من الأنبياء و كثيرا من الملائكة و لا نحيط بصفاتهم ثم لا يقدر ذلك في إيماننا بهم و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم في صفة الجنة يقول الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر قلت لا ريب أنه يجب الإيمان بكل ما أخبر به الرسول و تصديقه فيما أخبر به و إن كان الشخص لم يفقه بالعربية ما قال و لا فهم من الكلام شيئا فضلا عن العرب فلا يشترط في الإيمان المجمل العلم بمعنى كل ما أخبر به هذا لا ريب فيه فكل من اشتبه عليه آية من القرآن و لم يعرف معناها و جب عليه الإيمان بها و أن يكل علمها إلى الله فيقول الله أعلم و هذا متفق عليه بين السلف و الخلف فما زال كثير من الصحابة يمر بآية و لفظ لا يفهمه فيؤمن به و إن لم يفهم معناه لكن هل يكون في القرآن ما لا يفهمه أحد من الناس بل و لا الرسول عند من يجعل التأويل هو معنى الآية و يقول إنه لا يعلمه إلا الله فيلزم أن يكون في القرآن كلام لا يفهمه لا الرسول و لا أحد من الأمة بل و لا جبريل هذا هو الذي يلزم على قول من يجعل معاني هذه الآيات لا يفهمه أحد من الناس وليس هذا بمنزلة ما ذكر في الملائكة و النبيين و الجنة فإننا قد فهمنا الكلام الذي خوطبنا به و أنه يدل على أن هناك نعيما لا نعلمه و هذا خطاب مفهوم و فيه إخبارنا أن من المخلوقات ما لا نعلمه و هذا حق كقوله { وَمَا يَعْلَمُ

جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ {المدثر 31} وقوله لما سأله عن الروح { وَمَا أوتيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } {الإسراء 85} فهذا فيه إخبارنا بأن الله مخلوقات لا نعلمها أو نعلم جنسهم و لا نعلم قدرهم أو نعلم بعض صفاتهم دون بعض و كل هذا حق لكن ليس فيه أن الخطاب المنزل الذي أمرنا بتدبره لا يفقه و لا يفهم معناه لا الرسول و لا المؤمنون فهذا هو المنكر الذي أنكره العلماء فإن الله قال { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } {الزخرف 3} و قال { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } {محمد 24} و قال { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ } {المؤمنون 68} و قال { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } {محمد 16} و فرق بين ما لم يخبر به أو أخبرنا ببعض صفاته دون بعض فما لم يخبر به لا يضرنا أن لا نعلمه و بين ما أخبرنا به وهو الكلام العربي الذي جعل هدى و شفاء للناس و قال الحسن ما أنزل الله آية إلا و هو يحب أن يعلم فيما أنزلت و ما عنى بها فكيف يكون فى مثل هذ الكلام ما لا يفهمه أحد قط و فرق بين أن يقال الرب هو الذي يأتي إتيانا يليق بجلاله أو يقال ما ندري هل هو الذي يأتي أو أمره فكثير من لا يجزم بأحدهما بل يقول إسكت فالسكوت أسلم و لا ريب أنه من لم يعلم فالسكوت له أسلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت لكن هو يقول إن الرسول و جميع الأمة كانوا كذلك لا يدرون هل المراد به هذا أو هذا و لا الرسول كان يعرف ذلك فقائل هذا مبطل متكلم بما لا علم له به و كان يسعه أن يسكت عن هذا لا يجزم بأن الرسول و الأئمة كلهم جهال يجب عليهم السكوت كما يجب عليه ثم إن هذا خلاف الواقع فأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم و كلام السلف فى معنى هذه الآية و نظائرها كثير مشهور لكن قال علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون و دعوا ما ينكرون أتحبون أن يكذب الله و رسوله و قال ابن مسعود ما من

رجل يحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم
 وإذا قال بل كان من السلف من يجزم بأن المراد هو إتيانه
 نفسه فهذا جزم بأنهم عرفوا معناها و بطلان القول الآخر لم يكونوا
 ساكتين حيارى و لا ريب أن مقدوره و مأموره مما يأتي أيضا و
 لكن هو يأتي كما أخبر عن نفسه إتيانا يليق بجلاله فإذا قيل لا
 نعلم كيفية الإستواء كان هذا صحيحا و إذا كان الخطاب و الكلام
 مما لا يفهم أحد معناه لا الرسول و لا جبريل و لا المؤمنون لم يكن
 مما يتدبر و يعقل بل مثل هذا عبث و الله منزه عن العبث ثم هذا
 يلزمهم فى الأحاديث مثل قوله ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء
 أفكان الرسول يقول هذا الحديث و نحوه و هو لا يفقه ما يقول و لا
 يفهم له معنى سبحان الله هذا بهتان عظيم و قدح فى الرسول و
 تسليط للملحدين إذا قيل إن نفس الكلام الذي جاء به قد كان لا يفهم
 معناه قالوا فغيره من العلوم العقلية أولى أن لا يفهم معناه و الكلام
 إنما هو فى صفات الرب فإذا قيل إن ما أنزل عليه من صفات
 الرب لم يكن هو و لا غيره يفهمه و هو كلام أمي عربي ينزل
 عليه قيل فالمعاني المعقولة فى الأمور الإلهية أولى أن لا يكون
 يفهمها و حينئذ فهذا الباب لم يكن موجودا فى رسالته و لا يؤخذ
 من جهته لا من جهة السمع و لا من جهة العقل قالت الملاحدة
 فيؤخذ من طريق غيره فإذا قال لهم هؤلاء هذا غير ممكن
 لأحد منعوا ذلك و قالوا إنما فى القرآن أن ذلك الخطاب لا يعلم
 معناه إلا الله لكن من أين لكم أن الأمور الإلهية لا تعلم بالأدلة
 العقلية التى يقصر عنها البيان بمجرد الخطاب و الخبر و الملاحظة
 يقولون إن الرسل خاطبت بالتخييل و أهل الكلام يقولون بالتأويل و
 هؤلاء الظاهرية يقولون بالتجهيل و قد بسط الكلام على خطأ
 الطوائف الثلاث و بين أن الرسول قد أتى بغاية العلم و البيان الذي
 لا يمكن أحدا من البشر أن يأتي بأكمل مما جاء به صلى الله عليه و
 سلم تسليما فأكمل ما جاء به القرآن و الناس متفاوتون فى فهم
 القرآن تفاوتا عظيما و قول ابن السائب إن هذا من المكتوم الذي
 لا يفسر يقتضي أن له تفسيراً يعلمه العلماء و يكتُمونه و هذا على

و جهين إما أن يريد أنه يكتم شيء مما بينه الرسول صلى الله عليه و سلم عن جميع الناس فهذا من الكتمان المجرد الذي ذم الله عليه و هذه حال أهل الكتاب و عاب الذين يكتمون ما بينه للناس من البينات و الهدى من بعد ما بينه للناس فى الكتاب و قال { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ } البقرة 140 و هذه حال أهل الكتاب فى كتمان ما فى كتابهم من الألفاظ يتأولها بعضهم و يجعلها بعضهم متشابهها و هى دلائل على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و غير ذلك فإن ألفاظ التوراة و الإنجيل و سائر كتب الأنبياء و هى بضع و عشرون كتابا عند أهل الكتاب لا يمكنهم جحد ألفاظها لكن يحرفونها بالتأويل الباطل و يكتمون معانيها الصحيحة عن عامتهم كما قال تعالى { وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي } البقرة 78 فمن جعل أهل القرآن كذلك و أمرهم أن يكونوا فيه أميين لا يعلمون الكتاب إلا تلاوة فقد أمرهم بنظير ما ذم الله عليه أهل الكتاب و صبيغ بن عسل التميمي إنما ضربه عمر لأنه قصد باتباع المتشابهة ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و هؤلاء الذين عابهم الله فى كتابه لأنهم جمعوا شيين سوء القصد و الجهل فهم لا يفهمون معناه و يريدون أن يضربوا كتاب الله ببعضه ببعض ليوقعوا بذلك الشبهة و الشك و فى الصحيح عن عائشة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم فهذا فعل من يعارض النصوص بعضها ببعض ليوقع الفتنة و هى الشك و الريب فى القلوب كما روى أنه خرج على القوم و هم يتجادلون فى القدر هؤلاء يقولون ألم يقل الله كذا و هؤلاء يقولون ألم يقل الله كذا فكأنما فقىء فى وجهه حب الرمان ثم قال أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله ببعضه ببعض أنظروا ما أمرتم به فافعلوه فكل من إتبع المتشابهة على هذا الوجه فهو مذموم و هو حال من يريد أن يشكك الناس فيما علموه لكونه و إياهم لم يفهموا ماتوهموا أنه يعارضه هذا أصل الفتنة أن يترك المعلوم لغير معلوم كالسفسطة التى تورث شبهها يقدر بها فيما علم و تيقن فهذه حال من يفسد

قلوب الناس و عقولهم بإفساد ما فيها من العلم و العمل أصل الهدى فإذا شككهم فيما علموه بقوا حيارى و الرسول صلى الله عليه و سلم قد أتى بالآيات البيّنات الدالة على صدقه و القرآن فيه الآيات المحكمات اللاتى هي أم الكتاب قد علم معناها و علم أنها حق و بذلك يهتدي الخلق و ينتفعون فمن اتبع المتشابه ابتغى الفتنة و ابتغى تأويله و الأول قصدهم فيه فاسد و الثانى ليسوا من أهله بل يتكلمون فى تأويله بما يفسد معناه إذ كانوا ليسوا من الراسخين فى العلم و إنما الراسخ فى العلم الذى رسخ فى العلم بمعنى المحكم و صار ثابتاً فيه لا يشك و لا يرتاب فيه بما يعارضه من المتشابه بل هو مؤمن به قد يعلمون تأويل المتشابه و أما من لم يرسخ فى ذلك بل إذا عارضه المتشابه شك فيه فهذا يجوز أن يراد بالمتشابه ما يناقض المحكم فلا يعلم معنى المتشابه إذ لم يرسخ فى العلم بالمحكم و هو يبتغى الفتنة فى هذا و هذا فهذا يعاقب عقوبة تردعه كما فعل عمر بصبيغ و أما من قصده الهدى و الحق فليس من هؤلاء و قد كان عمر يسأل و يسأل عن معاني الآيات الدقيقة و قد سأل أصحابه عن قوله { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } النصر 1 فذكروا ظاهر لفظها و لما فسرها ابن عباس بأنها إعلام النبى صلى الله عليه و سلم بقرب و فاته قال ما أعلم منها إلا ما تعلم و هذا باطن الآية الموافق لظاهرها فإنه لما أمر بالإستغفار عند ظهور الدين و الإستغفار يؤمر به عند ختام الأعمال و بظهور الدين حصل مقصود الرسالة علموا أنه إعلام بقرب الأجل مع أمور آخر و فوق كل ذي علم عليم و الإستدلال على الشيء بملزوماته و الشيء قد يكون له لازم و للزومه لازم و هلم جرا فمن الناس من يكون أفطن بمعرفة اللوازم من غيره يستدل بالملزوم على اللازم و من الناس من لا يتصور اللازم و لو تصوره لم يعرف الملزوم بل يقول يجوز أن يلزم و يجوز أن لا يلزم و يحتمل و يحتمل و تردد الإحتمل هو من عدم العلم و إلا فالواقع هو أحد أمرين فحيث كان إحتمال بلا ترجيح كان لعدم العلم بالواقع و خفاء دليله و غيره قد يعلم ذلك و يعلم دليله و من

ظن أن ما لا يعلمه هو لا يعلمه غيره كان من جهله فلا ينفي عن الناس إلا ما علم إنتفاؤه عنهم و فوق كل ذي علم عليم أعلم منه حتى ينتهي الأمر إلى الله تعالى و هذا قد بسط في مواضع ثم أنهم يقولون المأثور عن السلف هو السكوت عن الخوض في تأويل ذلك و المصير إلى الإيمان بظاهره و الوقوف عن تفسيره لأننا قد نهينا أن نقول في كتاب الله برأينا و لم ينبهنا الله و رسوله على حقيقة معنى ذلك فيقال أما كون الرجل يسكت عما لا يعلم فهذا مما يؤمر به كل أحد لكن هذا الكلام يقتضى أنهم لم يعلموا معنى الآية و تفسيرها و تأويلها و إذا كان لم يتبين لهم فمضمونه عدم علمهم بذلك و هو كلام شاك لا يعلم ما أريد بالآية ثم إذا ذكر لهم بعض التأويلات كتأويل من يفسره بإتيان أمره و قدرته أبطلوا ذلك بأن هذا يسقط فائدة التخصيص و هذا نفي للتأويل و إبطال له فإذا قالوا مع ذلك و لا يعلم تأويله إلا الله أثبتوا تأويلا لا يعلمه إلا الله و هم ينفون جنس التأويل و نقول ما الحامل على هذا التأويل البعيد و قد أمكن بدونه أن نثبت إتيانا و مجيئا لا يعقل كما يليق به كما أثبتنا ذاتا لها حقيقة لا تعقل و صفات من سمع و بصر و غير ذلك لا تعقل ولأنه إذا جاز تأويل هذا و أن نقدر مضمرا محذوفا من قدرة أو عذاب و نحو ذلك فما منعكم من تأويل قوله ترون ربكم كذلك و هذا كلام في إبطال التأويل و حمل للفظ على ما دل عليه ظاهره على ما يليق بجلال الله فإذا قيل مع هذا إن له تأويلا لا يعلمه إلا الله و أريد بالتأويل هذا الجنس كان تناقضا كيف ينفي جنس التأويل و يثبت له تأويل لا يعلمه إلا الله فعلم أن التأويل الذي لا يعلمه إلا الله لا يناقض حمله على ما دل عليه اللفظ بل هو أمر آخر يحقق هذا و يوافقه لا يناقضه و يخالفه كما قال مالك الإستواء معلوم و الكيف مجهول و إذا كان كذلك أمكن أن من العلماء من يعلم من معنى الآية ما يوافق القرآن لم يعلمه غيره و يكون ذلك من تفسيرها و هو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم كمن يعلم أن المراد بالآية مجيء الله قطعاً لا شك في ذلك لكثرة ما دل عنده على ذلك و يعلم

مع ذلك أنه العلي الأعلى يأتي إتيانا تكون المخلوقات محيطة به و هو تحتها فإن هذا مناقض لكونه العلي الأعلى و الجد الأعلى أبو عبد الله رحمه الله قد جرى في تفسيره على ما ذكر من الطريقة و هذه عادته و عادات غيره و ذكر كلام ابن الزاغوني فقال قال الشيخ علي بن عبيد الله الزاغوني و قد اختلف كلام إمامنا أحمد في هذا المجيء هل يحمل على ظاهره و هل يدخل التأويل على روايتين إحداهما أنه يحمل على ظاهره من مجيء ذاته فعلى هذا يقول لا يدخل التأويل إلا أنه لا يجب أن يحمل مجيئه بذاته إلا على ما يليق به و قد ثبت أنه لا يحمل إثبات مجيء هو زوال و انتقال يوجب فراغ مكان و شغل آخر من جهة أن هذا يعرف بالجنس في حق المحدث الذي يقصر عن إستيعاب المواضع و المواطن لأنها أكبر منه و أعظم يفتقر مجيئه إليها إلى الإنتقال عما قرب إلى ما بعد و ذلك ممتنع في حق الباري تعالى لأنه لا شيء أعظم منه و لا يحتاج في مجيئه إلى إنتقال و زوال لأن داعى ذلك و موجهه لا يوجد في حقه فأثبتنا المجيء صفة له و منعنا ما يتوهم في حقه ما يلزم في حق المخلوقين لإختلافهما في الحاجة إلى ذلك و مثله قوله {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} الفجر 22 و مثله الحديث المشهور الذي رواه عامة الصحابة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فنحن نثبت و صفة بالنزول إلى سماء الدنيا بالحديث و لا نتأول ما ذكره و لا نلحقه بنزول الأدميين الذي هو زوال و انتقال من علو إلى أسفل بل نسلم للنقل كما ورد و ندفع التشبيه لعدم موجهه و نمنع من التأويل لارتفاع نسبته قال و هذه الرواية هي المشهورة و المعمول عليها عند عامة المشائخ من أصحابنا قلت أما كون إتيانه و مجيئه و نزوله ليس مثل إتيان المخلوق و مجيئه و نزوله فهذا أمر ضروري متفق عليه بين علماء السنة و من له عقل فإن الصفات و الأفعال تتبع الذات المتصفة الفاعلة فإذا كانت ذاته مباينة لسائر الذوات ليست مثلها

لزم ضرورة أن تكون صفاته مباينة لسائر الصفات ليست مثلها و نسبة صفاته إلى ذاته كنسبة صفة كل موصوف إلى ذاته و لا ريب أنه العلي الأعلى العظيم فهو أعلى من كل شيء و أعظم من كل شيء فلا يكون نزوله و إتيانه بحيث تكون المخلوقات تحيط به أو تكون أعظم منه و أكبر هذا ممتنع و أما لفظ الزوال و الإنتقال فهذا اللفظ مجمل و لهذا كان أهل الحديث و السنة فيه على أقوال فعثمان بن سعيد الدارمي و غيره أنكروا على الجهمية قولهم إنه لا يتحرك و ذكروا أثرا أنه لا يزول و فسروا الزوال بالحركة فبين عثمان بن سعيد أن ذلك الأثر إن كان صحيحا لم يكن حجة لهم لأنه في تفسير قوله { الْحَيُّ الْقَيُّومُ } البقرة 255 ذكروا عن ثابت دائم باق لا يزول عما يستحقه كما قال ابن إسحق لا يزول عن مكانته قلت و الكلبى بنفسه الذي روى هذا الحديث هو يقول { اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } يونس 3 استقر و يقول { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } البقرة 29 صعد إلى السماء و أما الإنتقال فابن حامد و طائفة يقولون ينزل بحركة و إنتقال و آخرون من أهل السنة كالتميمي من أصحاب أحمد أنكروا هذا و قالوا بل ينزل بلا حركة و إنتقال و طائفة ثالثة كابن بطة و غيره يقفون في هذا و قد ذكر الأقوال الثلاثة القاضي أبو يعلى في كتاب إختلاف الروايتين و الوجهين و نفي اللفظ بمجمله و الأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص فيثبت ما أثبت الله و رسوله باللفظ الذي أثبته و ينفي ما نفاه الله و رسوله كما نفاه و هو أن يثبت النزول و الإتيان و المجيء و ينفي المثل و السمي و الكفو و الند و بهذا يحتج البخاري و غيره على نفي المثل يقال ينزل نزولا ليس كمثله شيء نزل نزولا لا يماثل نزول المخلوقين نزولا يختص به كما أنه في ذلك و في سائر ما و صف به نفسه ليس كمثله شيء في ذلك و هو منزله أن يكون نزوله كنزول المخلوقين و حركتهم و إنتقالهم و زوالهم مطلقا لا نزول الأدميين و لا غيرهم فالمخلوق إذا نزل من علو إلى سفلى زال و صفه بالعلو و تبدل إلى و صفه بالسفول و صار

غيره أعلى منه و الرب تعالى لا يكون شيء أعلى منه قط بل هو العلي الأعلى و لا يزال هو العلي الأعلى مع أنه يقرب إلى عباده و يدنو منهم و ينزل إلى حيث شاء و يأتي كما شاء و هو في ذلك العلي الأعلى الكبير المتعالى علي في دنوه قريب في علوه فهذا و إن لم يتصف به غيره فلعجز المخلوق أن يجمع بين هذا و هذا كما يعجز أن يكون هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن و لهذا قيل لأبي سعيد الخراز بم عرفت الله قال بالجمع بين النقيضين و أراد أنه يجتمع له ما يتناقض في حق الخلق كما إجتمع له أنه خالق كل شيء من أفعال العباد و غيرها من الأعيان و الأفعال مع ما فيها من الخبث و أنه عدل حكيم رحيم و أنه يمكن من مكنه من عباده من المعاصي مع قدرته على منعهم و هو في ذلك حكيم عادل فإنه أعلم الأعلمين و أحكم الحاكمين و خير الفاتحين يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم فأن لا يحيطوا علما بما هو أعظم في ذلك أولى و أحرى و قد سألوا عن الروح فقيل لهم { الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } {الإسراء 85} و في الصحيحين أن الخضر قال لموسى لما نقر عصفور في البحر ما نقص علمي و علمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر فالذي ينفي عنه و ينزه عنه إما أن يكون مناقضا لما علم من صفاته الكاملة فهذا ينفي عنه جنسه كما قال { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } {البقرة 255} و قال { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } {الفرقان 58} فجنس السنة و النوم و الموت ممتنع عليه لا يجوز أن يقال في شيء من هذا إنه يجوز عليه كما يليق بشأنه لأن هذا الجنس يوجب نقصا في كماله وكذلك لا يجوز أن يقال هو يكون في السفلى لا في العلو و هو سفول يليق بجلاله فإنه سبحانه العلي الأعلى لا يكون قط إلا عاليا و السفول نقص هو منزله عنه و قوله و أنت الباطن فليس دونك شيء لا يقتضي السفول إلا عند جاهل لا يعلم حقيقة العلو و السفول فيظن أن السموات و ما فيها قد تكون تحت الأرض إما بالليل و إما

بالنهار و هذا غلط كمن يظن أن ما فى السماء من المشرق يكون تحت ما فيها مما فى المغرب فهذا أيضا غلط بل السماء لا تكون قط إلا عالية على الأرض و إن كان الفلك مستديرا محيطا بالأرض فهو العالى على الأرض علوا حقيقيا من كل جهة و هذا مبسوط فى مواضع و النوع الثانى أنه منزه عن أن يماثله شيء من المخلوقات فى شيء من صفاته فالألفاظ التى جاء بها الكتاب و السنة فى الإثبات تثبت و التى جاءت بالنفي تنفى و الألفاظ المجملة كلفظ الحركة و النزول و الإنتقال يجب أن يقال فيها إنه منزه عن مماثلة المخلوقين من كل و جه لا يماثل المخلوق لا فى نزول و لا فى حركة و لا إنتقال و لا زوال و لا غير ذلك و أما إثبات هذا الجنس كلفظ النزول أو نفيه علامات الحدث أو كل ما أوجب نقصا و حدوثا فالرب منزه عنه فهذا كلام حق معلوم متفق عليه لكن الشأن فيما تقول النافية إنه من سمات الحدث و آخرون يرازعونهم لا سيما و الكتاب و السنة تناقض قولهم قالت الجهمية إن قيام الصفات به أو قيام الصفات الإختيارية هو من سمات الحدث و هذا باطل عند السلف و أئمة السنة بل و جمهور العقلاء بل ما ذكروه يقتضى حدوث كل شيء فإنه ما من موجود إلا و له صفات تقوم به و تقوم به أحوال تحصل بالمشيئة و القدرة فإن كان هذا مستلزما للحدوث لزم حدوث كل شيء و أن لا يكون فى العالم شيء قديم و هذا قد بسط فى مواضع أيضا و سمات الحدث التى تستلزم الحدوث مثل إفتقار إلى الغير فكل ما إفتقر إلى غيره فإنه محدث كائن بعد أن لم يكن و الرب منزه عن الحاجة إلى ما سواه بكل و جه و من ظن أنه محتاج إلى العرش أو حملة العرش فهو جاهل ضال بل هو الغنى بنفسه و كل ما سواه فقير إليه من كل و جه و هو الصمد الغنى عن كل شيء و كل ما سواه يصمد إليه محتاجا إليه {يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} الرحمن 29 و من سمات الحدث النقائص كالجهل و العمى و الصمم و البكم فإن كل ما كان كذلك لم يكن إلا محدثا لأن القديم الأزلى منزه عن ذلك لأن القديم الأزلى متصف

بنقيض هذه الصفات و صفات الكمال لازمة له و اللازم يمتنع زواله إلا بزوال الملزوم و الذات قديمة أزلية و اجبة بنفسها غنية عما سواها يستحيل عليها العدم و الفناء بوجه من الوجوه فيستحيل عدم لوازمها فيستحيل إتصافها بنقيض تلك اللوازم فلا يوصف بنقيضها إلا المحدث فهي من سمات الحدث المستلزمة لحدوث ما إتصف بها و هذا يدخل في قول القائل كل ما إستلزم حدوثا أو نقصا فالرب منزه عنه و النقص المناقض لصفات كماله مستلزم لحدوث المتصف به و الحدوث مستلزم للنقص اللازم للمخلوق فإن كل مخلوق فهو يفتقر إلى غيره كائن بعد أن لم يكن لا يعلم إلا ما علم و لا يقدر إلا ما أقدر و هو محاط به مقدور عليه فهذه النقائص اللازمة لكل مخلوق هي ملزومة للحدوث حيث كان حدوث كانت و الحدوث أيضا ملزوم لها فحيث كان محدث كانت هذه النقائص فقولنا ما استلزم نقصا أو حدوثا فالرب منزه عنه حق و الحدوث و النقص اللازم للمخلوق متلازمان و الرب منزه عن كل منهما من جهتين من جهة إمتناعه في نفسه و من جهة أنه مستلزم للآخر و هو ممتنع في نفسه فكل منهما دليل و مدلول عليه بإعتبارين على أن الرب منزه عنه وعن مدلوله الذي هو لازمه و الحاجة إلى الغير و الفقر إليه مما يستلزم الحدوث و النقص اللازم للمخلوق و قولي اللازم ليعم جميع المخلوقين و إلا فمن النقائص ما يتصف بها بعض المخلوقين دون بعض فتلك ليست لازمة لكل مخلوق و الرب منزه عنها أيضا لكن إذا نزه عن النقص اللازم لكل مخلوق فعن ما يختص به بعض المخلوقين أولى و أخرى فإنه إذا كان مخلوق ينزه عن نقص الخالق أولى بتنزيهه عنه و هذه طريقة الأولى كما دل عليها القرآن في غير موضع وقد ذكرنا في جواب المسائل التدمرية الملقب بتحقيق الإثبات للأسماء و الصفات و بيان حقيقة الجمع بين القدر و الشرع أنه لا يجوز الإكتفاء فيما ينزه الرب عنه على عدم و رود السمع و الخبر به فيقال كل ما ورد به الخبر أثبتناه و ما لم يرد به لم نثبت به بل نفيه و تكون عمدتنا

فى النفي على عدم الخبر بل هذا غلط لوجهين أحدهما أن عدم الخبر هو عدم دليل معين و الدليل لا ينعكس فلا يلزم إذا لم يخبر هو بالشئ أن يكون منتفياً فى نفس الأمر و لله أسماء سمي بها نفسه و استأثر بها فى علم الغيب عنده فكما لا يجوز الإثبات إلا بدليل لا يجوز النفي إلا بدليل و لكن إذا لم يرد به الخبر و لم يعلم ثبوته يسكت عنه فلا يتكلم فى الله بلا علم الثانى أن أشياء لم يرد الخبر بتزويه عنها و لا بأنه منزه عنها لكن دل الخبر على إتصافه بنقائضها فعلم إنتفاؤها فالأصل أنه منزه عن كل ما يناقض صفات كماله و هذا مما دل عليه السمع و العقل و ما لم يرد به الخبر إن علم إنتفاؤه نفيها و إلا سكتنا عنه فلا تثبت إلا بعلم و لا ننفي إلا بعلم و نفي الشئ من الصفات و غيرها كنفى دليله طريقة طائفة من أهل النظر و الخبر و هي غلط إلا إذا كان الدليل لازماً له فإذا عدم اللازم عدم الملزوم و أما جنس الدليل فيجب فيه الطرد لا العكس فيلزم من وجود الدليل و جود المدلول عليه و لا ينعكس فالأقسام ثلاثة ما علم ثبوته أثبت و ما علم إنتفاؤه نفي و ما لم يعلم نفيه و لا إثباته سكت عنه هذا هو الواجب و السكوت عن الشئ غير الجزم بنفيه أو ثبوته و من لم يثبت ما أثبتته إلا بالألفاظ الشرعية التى أثبتها و إذا تكلم بغيرها إستفسر و إستفصل فإن و افق المعنى الذى أثبته الشرع أثبته باللفظ الشرعي فقد إعتصم بالشرع لفظاً و معنى و هذه سبيل من إعتصم بالعروة الوثقى

319

{ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ }

*والمسلمون وصفوا الرب بما يستحقه من صفات الكمال ونزوهه عن النقص وأن يكون له مثل فوصفوه بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل مع علمهم أنه ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقالوا ألا له الخلق والأمر فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره بل الدين كله له هو المعبود المطاع الذي لا يستحق العبادة إلا هو ولا طاعة لأحد إلا طاعته وهو ينسخ ما ينسخه من شرعه وليس لغيره أن ينسخ شرعه³²⁰

*وكثير من الناس تشبته عليهم الحقائق الأمرية الدينية الإيمانية بالحقائق الخلقية القدرية الكونية فان الله سبحانه وتعالى له الخلق والأمر كما قال تعالى **{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}** الأعراف 54 فهو سبحانه خالق كل شيء وربّه ومليكه لا خالق غيره ولا رب سواه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فكل ما في الوجود من حركة وسكون فبقضائه وقدره ومشينته وقدرته وخلقّه وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله أمر بالتوحيد والاحلاص ونهى عن الإشراف بالله فأعظم الحسنات التوحيد وأعظم السيئات الشرك قال الله تعالى **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** النساء 48 وقال تعالى **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}** البقرة 165³²¹

*فالله عز وجل هو الخالق لفعل العبد و المبيح له كما في الداعي هو الذي أمره بالدعاء و هو الذي يجعل الداعي داعياً فالأمر كله لله

³²⁰الجواب الصحيح ج: 3 ص: 102

³²¹مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 251

خلقا وأمر كما قال { **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** } الأعراف 54 وقد روي في حديث ذكره ابن أبي حاتم وغيره أنه قال فمن يثق به فليدعه أي فلم يبق لغيره لا خلق ولا أمر ³²²

* والله تعالى وتر لا يشفعه أحد فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فالأمر كله إليه وحده فلا شريك له بوجه ولهذا ذكر سبحانه نفي ذلك في آية الكرسي التي فيها تقرير التوحيد فقال له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وسيد الشفعاء صلى الله عليه وسلم يوم القيامة إذا سجد وحمد ربه يقال له ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فيجد له حدا فيدخلهم الجنة فالأمر كله لله كما قال سبحانه وتعالى { **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** } الأعراف 54 ³²³

فالشفاعة مقصودها قبول المشفوع إليه وهي الشفاعة التامة فهذه هي التي لا تكون إلا بإذنه وأما إذا شفع شفيع فلم تقبل شفاعته كانت كعدمها وكان على صاحبها التوبة والاستغفار منها فالشفاعة المطلوبة هي الشفاعة المطاع الذي تقبل شفاعته وهذه ليست لأحد عند الله إلا بإذنه قدرا وشرعا فلا بد أن يأذن فيها ولا بد أن يجعل العبد شافعا فهو الخالق لفعله والمبيح له كما في الداعي هو الذي أمره بالدعاء وهو الذي يجعل الداعي داعيا فالأمر كله لله خلقا وأمر كما قال { **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** } الأعراف 54 ³²⁴

* فان الله تعالى لما أخبر بقوله { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } يس 82 وقال { **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** } الأعراف 54 واستدل طوائف من السلف على أن الأمر غير

³²² مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 415

³²³ الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 130

³²⁴ الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 134

مخلوق بل هو كلامه وصفة من صفاته بهذه الآية وغيرها صار كثير من الناس يطرد ذلك في لفظ الأمر حيث ورد فيجعله صفة طردا للدلالة ويجعل دلالاته على غير الصفة نقضا لها وليس الأمر كذلك فبينت في بعض رسائلي ان الامر وغيره من الصفات يطلق على الصفة تارة وعلى متعلقها أخرى فالرحمة صفة لله ويسمى ما خلق رحمة والقدرة من صفات الله تعالى ويسمى المقدر قدرة ويسمى متعلقها بالمقدور قدرة والخلق من صفات الله تعالى ويسمى خلقا والعلم من صفات الله ويسمى المعلوم أو المتعلق علما فتارة يراد الصفة وتارة يراد متعلقها وتارة يراد نفس التعلق و الأمر مصدر فالمأمور به يسمى أمرا ومن هذا الباب سمى عيسى صلى الله عليه وسلم كلمة لأنه مفعول بالكلمة وكائن بالكلمة وهذا هو الجواب عن سؤال الجهمية لما قالوا عيسى كلمة الله فهو مخلوق والقرآن اذا كان كلام الله لم يكن الا مخلوقا فان عيسى ليس هو نفس كلمة الله وانما سمي بذلك لأنه خلق بالكلمة على خلاف سنة المخلوقين فخرقت فيه العادة وقيل له كن فكان والقرآن نفس كلام الله فمن تدبر ما ورد في باب أسماء الله تعالى وصفاته وأن دلالة ذلك في بعض المواضع على ذات الله او بعض صفات ذاته لا يوجب ان يكون ذلك هو مدلول اللفظ حيث ورد حتى يكون ذلك طردا للمثبت ونقضا للنافي بل ينظر في كل آية وحديث بخصوصه وسياقه وما يبين معناه من القرآن والدلالات فهذا أصل عظيم مهم نافع في باب فهم الكتاب والسنة والاستدلال بهما مطلقا ونافع في معرفة الاستدلال والاعتراض والجواب وطرد الدليل ونقضه فهو نافع في كل علم خبري او انشائي وفي كل استدلال او معارضة من الكتاب والسنة وفي سائر ادلة الخلق³²⁵

لفظ الأمر إذا أطلق يتناول النهى

*وكذلك من لم يفعل المأمور فعل بعض المحذور ومن فعل المحذور لم يفعل جميع المأمور فلا يمكن الانسان أن يفعل جميع ما أمر به مع فعله لبعض ما حظر ولا يمكنه ترك كل ما حظر مع تركه لبعض ما أمر فان ترك ما حظر من جملة ما أمر به فهو مأمور

ومن المحذور ترك المأمور فكل ما شغله عن الواجب فهو محرم وكل ما لا يمكن فعل الواجب الا به فعليه فعله ولهذا كان لفظ الأمر إذا أطلق يتناول النهى وإذا قيد بالنهى كان النهى نظير ما تقدم فاذا قال تعالى عن الملائكة { لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ } {التحریم} دخل في ذلك أنه إذا نهاهم عن شيء اجتنبوه ومنه قوله تعالى { أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ } {الأعراف} 54 وقد دخل النهى في الأمر ومنه قوله { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ } {النور} 63 ومنه قوله { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ } {النساء} 59 أى أصحاب الأمر³²⁶

تقوم بالله الأمور الاختيارية

*والذى عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف ان الخلق غير المخلوق فالخلق فعل الخالق والمخلوق مفعوله ولهذا كان النبي يستعيز بأفعال الرب وصفاته كما في قوله أعود برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فاستعاذ بمعافاته كما استعاذ برضاه وقد استدل أئمة السنة كأحمد وغيره على ان كلام الله غير مخلوق بأنه استعاذ به فقال من

³²⁶ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 175

نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه فكذلك معافاته ورضاه غير مخلوقة لأنه استعاذ بهما والعافية القائمة ببدن العبد مخلوقة فانها نتيجة معافاته واذا كان الخلق فعلة و المخلوق مفعوله وقد خلق الخلق بمشيئته دل على أن الخلق فعل يحصل بمشيئته ويمتنع قيامه بغيره فدل على ان افعاله قائمة بذاته مع كونها حاصلة بمشيئته وقدرته وقد حكى البخارى اجماع العلماء على الفرق بين الخلق والمخلوق وعلى هذا يدل صريح المعقول فانه قد ثبت بالادلة العقلية والسمعية ان كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد ان لم يكن وان الله انفرد بالقدم والازلية وقد قال تعالى { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } {الأعراف 54} فهو حين خلق السموات ابتداءا اما أن يحصل منه فعل يكون هو خلقا للسموات والأرض واما أن لا يحصل منه فعل بل وجدت المخلوقات بلا فعل ومعلوم أنه اذا كان الخالق قبل خلقها ومع خلقها سواء وبعده سواء لم يجز تخصيص خلقها بوقت دون وقت بلا سبب يوجب التخصيص و أيضا فحدوث المخلوق بلا سبب حادث ممتنع فى بداية العقل واذا قيل الارادة والقدرة خصصت قيل نسبة الارادة القديمة الى جميع الاوقات سواء وايضا فلا تعقل ارادة تخصيص احد المتماثلين الا بسبب يوجب التخصيص و أيضا فلا بد عند وجود المراد من سبب يقتضى حدوثه والا فلو كان مجرد ما تقدم من الارادة والقدرة كافيا للزم وجوده قبل ذلك لأنه مع الارادة التامة والقدرة التامة يجب وجود المقدور وقد احتج من قال الخلق هو المخلوق كأبى الحسن ومن اتبعه مثل ابن عقيل بأن قالوا لو كان غيره لكان اما قديما واما حادثا فان كان قديما لزم قدم المخلوق لأنها متضايفان وان كان حادثا لزم أن تقوم به الحوادث ثم ذلك الخلق يفتقر الى خلق آخر ويلزم التسلسل فأجابهم الجمهور وكل طائفة على أصلها فطائفة قالت الخلق قديم وان كان المخلوق حادثا كما يقول ذلك كثير من اهل المذاهب الاربعة وعليه اكثر الحنفية قال هؤلاء أنتم

تسلمون لنا ان الارادة قديمة أزلية والمراد محدث فنحن نقول في الخلق ما قلتم في الارادة وقالت طائفة بل الخلق حادث في ذاته ولا يفترق الى خلق آخر بل يحدث بقدرته وانتم تقولون ان المخلوق يحصل بقدرته بعد ان لم تكن فان كان المنفصل يحصل بمجرد القدرة فالمتصل به أولى وهذا جواب كثير من الكرامية والهشامية وغيرهم و طائفة يقولون هب أنه يفترق الى فعل قبله فلم قلتم ان ذلك ممتنع وقولكم هذا تسلسل فيقال ليس هذا تسلسلا في الفاعلين والعلل الفاعلة فان هذا ممتنع باتفاق العقلاء بل هو تسلسل في الآثار والافعال وهو حصول شيء بعد شيء وهذا محل النزاع فالسلف يقولون لم يزل متكلمًا اذا شاء وقد قال تعالى { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا } الكهف 109 فكلما تالله لا نهاية لها وهذا تسلسل جائز كالتسلسل في المستقبل فان نعيم الجنة دائم لا نفاذ له فما من شيء الا وبعده شيء لا نهاية³²⁷

*طائفة من الجمهور قالت بل الخلق والتكوين حادث إذا أراد الله خلق شيء وتكوينه وهذا قول أكثر أهل الحديث وطوائف من أهل الكلام والفقه والتصوف قالوا لأن الله ذكر وجود أفعاله شيئاً بعد شيء كقوله تعالى { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 وقوله { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ } فصلت 11 وقوله { وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } الأعراف 11 وقوله { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ } 12 { ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ } 13 { ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خُلُقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ } 14 { المؤمنون 12- 14 وأمثال ذلك وهو لاء يلتزمون أنه تقوم به الأمور الاختيارية كخلقه ورضاه وغضبه وكلامه

³²⁷مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 230-233

وغير ذلك مما دلت عليه النصوص وفي القرآن أكثر من ثلاثمائة موضع توافق قولهم وأما الأحاديث فكثيرة جدا والآثار عن السلف بذلك متواترة وهو قول أكثر الأساطين من الفلاسفة³²⁸

* وقوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } { الأنعام 1 }
{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ } { الكهف 1 } ونحو ذلك فاذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله فإنه من المعلوم بصريح العقل أنه اذا خلق السموات والارض فلا بد من فعل يصير به خالقا والافلو استمر الامر على حال واحدة لم يحدث فعل لكان الامر على ما كان قبل أن يخلق وحينئذ فلم يكن المخلوق موجودا فكذلك يجب أن لا يكون المخلوق موجودا ان كان الحال في المستقبل مثل ما كان في الماضي لم يحدث من الرب فعل هو خلق السموات والأرض وقد قال تعالى { مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ } { الكهف 51 } ومعلوم أنهم قد شهدوا نفس المخلوق فدل على أن الخلق لم يشهده وهو تكوينه لها واحداثه لها غير المخلوق الباقي وأيضا فإنه قال { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } { الأعراف 54 } فالخلق لها كان في ستة أيام وهي موجودة بعد المشيئة فالذى اختص بالمشيئة غير الموجود بعد المشيئة وكذلك { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } { البقرة 163 } فان الرحمن الرحيم هو الذى يرحم العباد بمشيئته وقدرته فان لم يكن له رحمة الا نفس ارادة قديمة او صفة أخرى قديمة لم يكن موصوفا بأنه يرحم من يشاء ويعذب من يشاء قال الخليل { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّسَاءَ الْأَخْرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } { 20 } { يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ } { 21 } { العنكبوت 20-21 } فالرحمة ضد التعذيب والتعذيب فعله وهو يكون بمشيئته كذلك

³²⁸ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 391

الرحمة تكون بمشيئته كما قال { وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ } العنكبوت
329
21

غلط من لم يميز بين إرادة الله عز وجل لما يخلقه وإرادته لما يأمر به

* والطائفتان (المعتزلة و القدرية) غلطوا من حيث أنهم لم يميزوا بين إرادته لما يخلقه في عباده وإرادته لما يأمر به عباده وقد قال سبحانه { **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ** } الأعراف 54 فالرب خالق كل شيء وكل ما خلقه فإرادته خلقه فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فما لم يكن لم يرد أن يخلقه وما كان فقد أراد أن يخلقه وهو لا يريد أن يخلق إلا ما سبق علمه بأنه سيخلقه فإن العلم يطابق المعلوم وقد أمر العباد بالحسنات التي تنفعهم ونهاهم عن السيئات التي تضرهم والحسنات محبوبة لله مرضية والسيئات مكروهه له يسخطها ويسخط على أهلها وإن كان الجميع مخلوقا له فإنه خلق جبريل وإبليس وهو يحب جبريل ويبغض إبليس وخلق الجنة والنار وجعل الظلمات والنور وخلق الظل والحرور وخلق الموت والحياة وخلق الذكر والأنثى وخلق الأعمى والبصير وقد قال { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } الحشر 20 وقال { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } 19 { وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ } 20 { وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ } 21 { وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ } 22 وقال { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } 35 { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } 36 { الْقلم 35- 36 وقال { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ { ص 28 وقال
 { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ { الجاثية 21
 وقد خلق الطيبات والخبائث وليس الطيبات كالخبائث ولا الفواكة
 والحبوب كالبول والعذرة وهو سبحانه إليه يصعد الكلم الطيب
 والعمل الصالح يرفعه وهو طيب لا يقبل إلا طيبا وهو نظيف يحب
 النظافة وجميل يحب الجمال وليس كل ما خلقه يصعد إليه ويكون
 طيبا محبوبا له له مرضيا عنده بل إنما يسكن في جنته من يناسبها
 ويصلح لها وكذلك النار قال تعالى { طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ
 { الزمر 73 وفي الصحيح أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط وقفوا
 على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم
 كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة
 فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية كما قال تعالى { طِبْتُمْ
 فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ { الزمر 73³³⁰

العبادة مبناها على السنة والاتباع لا على الأهواء والابتداع

* والعبادة مبناها على السنة والاتباع لا على الأهواء والابتداع
 وإنما يعبد الله بما شرع لا يعبد بالأهواء والبدع قال تعالى { أَمْ لَهُمْ
 شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ { الشورى 21
 وقال تعالى { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ
 { الأعراف 55 وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سيكون
 فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء والظهور³³¹

السنة فى الدعاء

³³⁰ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 312

³³¹ زيارة القبور ج: 1 ص: 44 و مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 86

* الدعاء لا يرفع به صوته لأن سنة الدعاء السر 332

* والسنة في الدعاء كله المخافتة إلا أن يكون هناك سبب يشرع له بالجهر قال تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} {الأعراف 55} وقال تعالى عن زكريا {إِذ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} {مريم 3} بل السنة في الذكر كله ذلك كما قال تعالى {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} {الأعراف 205} وفي الصحيحين أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معه في سفر فجعلوا يرفعون أصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا وإنما تدعون سميعًا قريبًا إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته

وهذا الذي ذكرناه في الصلاة عليه والدعاء مما اتفق عليه العلماء فكلهم يأمرون العبد إذا دعا أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كما يدعو لا يرفع صوته بالصلاة عليه أكثر من الدعاء سواء كان في صلاة كالصلاة التامة وصلاة الجنازة أو كان خارج الصلاة حتى عقيب التلبية فإنه يرفع صوته بالتلبية ثم عقيب ذلك يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو سرا وكذلك بين تكبيرات العيد إذا ذكر الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه وإن جهر بالتكبير لا يجهر بذلك وكذلك لو اقتصر على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم خارج الصلاة مثل أن يذكر فيصلي عليه فإنه لم يستحب أحد من أهل العلم رفع الصوت بذلك فقايل ذلك مخطئ مخالف لما عليه علماء المسلمين وأما رفع الصوت بالصلاة أو الرضى الذي يفعله بعض المؤذنين قدام بعض

³³² شرح العمدة ج: 3 ص: 460

الخطباء في الجمع فهذا مكروه أو محرم باتفاق الأمة لكن منهم من يقول يصلي عليه سرا ومنهم من يقول يسكت والله أعلم³³³

* أن رفع الأصوات في الذكر المشروع لا يجوز إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ونحو ذلك فالسنة للذاكرين والداعين ألا يرفعوا أصواتهم رفعا شديدا كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى أنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا علونا على شرف كبيرنا فارتفعت أصواتنا فقال يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعة قريبا إن الذي تدعون أقرب إلى احدكم من عنق راحلته وقد قال

تعالى { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

{ الأعراف 55³³⁴

* الاسرار بالذكر والدعاء كالصلاة على النبي وغيرها أفضل ولا هو الأفضل مطلقا الا لعارض راجح فان الله يقول { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } الأعراف 205 وفي الحديث خير الذكر الخفي وخير الرزق ما كفى والله أعلم³³⁵

آداب نوعي الدعاء

* والدعاء قصد المدعو والتوجه إليه إما على وجه المسألة وإما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه وإرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه ومن ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة وبالعبادة و قوله تعالى { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

³³³ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 198 و مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 469

³³⁴ الاستقامة ج: 1 ص: 322

³³⁵ مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 25

{55} وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
 إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ {56} الأعراف 55-56³³⁶

*لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء
 العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
 فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ
 إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ
 {المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ {القصص 88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا
 يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا {الجن 19 وقال {إِنْ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا
 إِنَاتًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا {النساء 117 ولفظ الصلاة في
 اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء
 وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل
 ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من
 يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له
 فذكر اولاً لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل
 كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب
 للخير وذكرهما جميعاً بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما
 فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا
 سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
 {البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل
 عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل
 عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده
 عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب
 المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من
 يطلب ذلك بامثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال
 والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب
 راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى {

³³⁶ شرح العمدة ج: 4 ص: 28

إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
 {الأنبياء 90} وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} {السجدة 16} ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء
 عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع
 337

*قول الله عز وجل {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُعْتَدِينَ} {55} وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ
 خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} {56} الأعراف 55
 56- هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعي الدعاء دعاء
 العبادة دعاء المسألة فإن الدعاء في القرآن يراد به هذا تارة وهذا
 تارة ويراد به مجموعهما وهما متلازمان فإن دعاء المسألة هو
 طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه وكل من يملك
 الضر والنفع فإنه هو المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر
 ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا
 وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى {وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا
 يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ} {يونس 106} وقال {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا
 لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} {يونس 18} ففي سبحانه عن هؤلاء
 المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدى فلا يملكون لأنفسهم ولا
 لعابديهم وهذا كثير في القرآن يبين تعالى أن المعبود لا بد أن
 يكون مالكا للنفع والضر فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة
 ويدعو خوفا ورجاء دعاء العبادة فعلم أن النوعين متلازمان فكل
 دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن
 لدعاء العبادة وعلى هذا فقله {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ
 أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} {البقرة 186} يتناول نوعي الدعاء
 وبكل منها فسرت الآية قيل أعطيه إذا سألني وقيل أثيبه إذا عبدني
 والقولان متلازمان وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في

معينه كليهما أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأميرين جميعاً فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع وقل ما يفتن له وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعداً فهي من هذا القبيل مثال ذلك قوله تعالى { أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ } الإسراء 78 فسر الدلوك بالزوال وفسر بالغروب وليس بقولين بل اللفظ يتناولهما معا فإن الدلوك هو الميل ودلوك الشمس ميلها ولهذا الميل مبتدأ ومنتهى فمبتداه الزوال ومنتهاه الغروب واللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار ومثاله أيضاً تفسيره { وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ } الفلق 3 الغاسق بالليل وتفسيره بالقمر فإن ذلك ليس باختلاف بل يتناولهما لتلازمهما فإن القمر آية الليل ونظائره كثيرة ومن ذلك قوله تعالى { قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ } الفرقان 77 أي دعاؤكم إياه وقيل دعاؤه إياكم إلى عبادته فيكون المصدر مضافاً إلى المفعول ومحل الأول مضافاً إلى الفاعل وهو الأرجح من القولين وعلى هذا فالمراد به نوعي الدعاء وهو في دعاء العبادة أظهر أي ما يعبأ بكم لولا أنكم ترجونه وعبادته تستلزم مسألته فالنوعان داخلان فيه ومن ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فالدعاء يتضمن النوعين وهو في دعاء العبادة أظهر ولهذا أعقبه { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي } غافر 60 الآية ويفسر الدعاء في الآية بهذا وهذا وروى الترمذي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول على المنبر إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 الآية قال الترمذي حديث حسن صحيح وأما قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ } الحج 73 الآية وقوله { وَإِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَاباً } النساء 117 الآية وقوله { وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ } فصلت 48 الآية وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لأوثانهم فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة فهو في دعاء العبادة أظهر لوجوه ثلاثة أحدهما أنهم

قالوا { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر 3 فاعترفوا بأن دعاءهم إياهم عبادتهم لهم الثاني إن الله تعالى فسر هذا الدعاء في موضع آخر كقوله تعالى { وَقِيلَ لَهُمْ أَيَّنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {92} مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ } {93} الشعراء 93 وقوله تعالى { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ } الأنبياء 98 وقوله تعالى { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } الكافرون 2 فدعأؤهم لآلهتهم هو عبادتهم الثالث أنهم كانوا يعبدونها في الرخاء فإذا جاءتهم الشدائد دعوا الله وحده وتركوها ومع هذا فكانوا يسألونها بعض حوائجهم ويطلبون منها وكان دعأؤهم لها دعاء عبادة ودعاء مسألة وقوله تعالى { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } غافر 14 هو دعاء العبادة والمعنى اعبدوا وحده وأخلصوا عبادته لا تعبدون معه غيره وأما قول إبراهيم عليه السلام { إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ } إبراهيم 39 فالمراد بالسمع ههنا السمع الخاص وهو سمع الإجابة والقبول لا السمع العام لأنه سميع لكل مسموع وإذا كان كذلك فالدعاء دعاء العبادة ودعاء الطلب وسمع الرب تعالى له إثابته على الثناء وإجابته للطلب فهو سميع هذا وهذا وأما قول زكريا عليه السلام { وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا } {مریم 4} فقد قيل أنه دعاء المسألة والمعنى أنك عودتني إجابتك ولم تشقني بالرد والحرمان فهو توسل إليه سبحانه وتعالى بما سلف من إجابته وإحسانه وهذا ظاهر ههنا وأما قوله تعالى { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ } الإسراء 110 الآية فهذا الدعاء المشهور أنه دعاء المسألة وهو سبب النزول قالوا كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه فيقول مرة يا الله مرة يا رحمن فظن المشركون أنه يدعو إلهين فأنزل الله هذه الآية وأما قوله { إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ } الطور 28 فهذا دعاء العبادة المتضمن للسلوك رغبة ورهبة والمعنى إنا كنا نخلص له العبادة وبهذا استحقوا أن وقاهم الله عذاب السموم لا بمجرد السؤال المشترك بين الناجي وغيره فإنه سبحانه { يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ { الرحمن 29 } { لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا } { الكهف 14 }
 أي لن نعبد غيره وكذا قوله { أَدْعُونَ بَعْلًا } { الصافات 125 } الآية
 وأما قوله { وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ } { القصص 64 } فهذا
 دعاء المسألة يكتبهم الله ويخزيهم يوم القيامة بارائهم إن شركاءكم
 لا يستجيبون لهم دعوتهم وليس المراد اعبدهم وهو نظير قوله
 تعالى { وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
 لَهُمْ } { الكهف 52 } إذا عرف هذا فقوله تعالى { ادْعُوا رَبَّكُمْ
 تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } { الأعراف 55 } يتناول نوعي الدعاء لكنه ظاهر
 في دعاء المسألة متضمن دعاء العبادة ولهذا أمر باخفائه وإسراره
 قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان
 المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت أى ما كانت
 إلا همسا بينهم وبين ربهم عز وجل وذلك أن الله عز وجل يقول
 { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } { الأعراف 55 } وأنه ذكر عبدا صالحا
 ورضى بفعله فقال { إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا } { مريم 3 }

وفى إخفاء الدعاء فوائد عديدة

أحدهما أنه أعظم إيمانا لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء
 الخفي

ثانيا أنه أعظم في الأدب والتعظيم لأن الملوك لا ترفع
 الأصوات عندهم ومن رفع صوته لديهم مقتوه والله المثل
 الأعلى فإذا كان يسمع الدعاء الخفي فلا يليق بالأدب بين يديه إلا
 خفض الصوت به

ثالثها أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذين هو روح الدعاء
 ولبه ومقصوده فإن الخاشع الذليل إنما يسأله مسألة مسكين ذليل قد
 انكسر قلبه وذلت جوارحه وخشع صوته حتى أنه ليكاد تبلغ ذلته
 وسكينته وضراعه إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق وقلبه
 يسأل طالبا مبتهلا ولسانه لشدة ذلته ساكتا وهذه الحال لا تأتي مع
 رفع الصوت بالدعاء أصلا

رابعها أنه أبلغ في الإخلاص

خامسها أنه أبلغ في جمیعة القلب على الذلة في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه فكلماً خفض صوته كان أبلغ في تجريد همته وقصده للمدعو سبحانه

سادسها وهو من النكت البديعة جدا أنه دال على قرب صاحبه للقريب لا مسألة نداء البعيد للبعيد ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله عز وجل {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} مريم 3 فلما استحضر القلب قرب الله عز وجل وأنه أقرب إليه من كل قريب أخفى دعاءه ما أمكنه وقد أشار النبي إلى المعنى بعينه بقوله في الحديث الصحيح لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير وهم معه في السفر فقال اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا أنكم تدعون سميحا قريبا أقرب إلي أحدكم من عنق راحلته وقد قال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وهذا القرب من الداعي هو قرب خاص ليس قربا عاما من كل أحد فهو قريب من داعيه وقريب من عابديه وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقوله تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} الأعراف 55 فيه الإرشاد والإعلام بهذا القرب

سابعها أنه ادعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعب بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يمل اللسان وتضعف قواه وهذا نظير من يقرأ ويكرر فإذا رفع صوته فإنه لا يطول له بخلاف من خفض صوته

ثامنها أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات فإن الداعي إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد فلا يحصل على هذا تشويش ولا غيره وإذا جهر به فرطت له الأرواح البشرية ولا بد ومانعته وعارضته ولو لم يكن إلا أن تعلقها به يفرع عليه همته فيضعف

أثر الدعاء ومن له تجربة يعرف هذا فإذا أسر الدعاء أمن هذه
المفسدة

تاسعها أن أعظم النعمة الإقبال والتعبد ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت ولا نعمة أعظم من هذه النعمة فإن أنفس الحاسدين متعلقة بها وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام { قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا } يوسف 5 الآية وكمن صاحب قلب وجميعه وحال مع الله تعالى قد تحدثت بها وأخبر بها فسلبه إيها الأغيار ولهذا يوصى العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله تعالى ولا يطلع عليه أحدا والقول أعظم شيئا كتماننا لأحوالهم مع الله عز وجل وما وهب الله من محبته والإنس به وجمعية القلب ولا سيما فعله للمهتدى السالك فإذا تمكن أحدهم وقوى وثبت أصول تلك الشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفروعها في السماء في قلبه بحيث لا يخشى عليه من العواصف فإنه إذا أبدى حاله مع الله تعالى ليقتنى به ويؤتم به لم يبال وهذا باب عظيم النفع إنما يعرفه أهله وإذا كان الدعاء المأمور بإخفائه يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال على الله تعالى فهو من عظيم الكنوز التي هي أحق بالإخفاء عن أعين الحاسدين وهذه فائدة شريفة نافعة

عاشرها أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه وتعالى متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه فهو ذكر وزيادة كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه للطلب كما قال النبي أفضل الدعاء الحمد لله فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض لأن الحمد متضمن الحب والثناء والحب أعلى أنواع الطلب فالحامد طالب للمحبوب فهو أحق أن يسمى داعيا من السائل الطالب فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب فهو دعاء حقيقة بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه المقصود إن كان واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه وقد قال

تعالى {وَإِذْكَر رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً} الأعراف 205
فأمر تعالى نبيه أن يذكره في نفسه قال مجاهد وابن جريج أمروا
ان يذكروه في الصدور بالتضرع والإستكانة دون رفع الصوت
والصياح وتأمل كيف قال في آية الذكر {وَإِذْكَر رَبَّكَ
{الأعراف 205 الآية وفي آية الدعاء {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً
وَخُفْيَةً} الأعراف 55 فذكر التضرع فيها معاً وهو التذلل والتمسك
والإنكسار وهو روح الذكر والدعاء وخص الدعاء بالخفية لما
ذكرنا من الحكم وغيرها وخص الذكر بالخفية لحاجة الذاكر إلى
الخوف فإن الذكر يستلزم المحبة ويثمرها ولا بد لمن أكثر من ذكر
الله أن يثمر له ذلك محبته والمحبة مالم تقترب بالخوف فإنها لا
تنفع صاحبها بل تضره لأنها توجب التواني والإنبساط وربما آلت
بكثير من الجهال المغرورين إلى أن إستغنوا بها عن الواجبات
وقالوا المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على الله
ومحبته له فإذا حصل المقصود فالإشتغال بالوسيلة باطل ولقد
حدثني رجل أنه أنكر على بعض هؤلاء خلوة له ترك فيها الجمعة
فقال له الشيخ أليس الفقهاء يقولون إذا خاف على شيء من ماله
فإن الجمعة تسقط فقال له بلى فقال له فقلب المرید أعز عليه من
عشرة دراهم أو كما قال وهو إذا خرج ضاع قلبه فحفظه لقلبه عذر
مسقط للجمعة في حقه فقال له هذا غرور بك الواجب الخروج إلى
أمر الله عز وجل فتأمل هذا الغرور العظيم كيف أدى إلى الإنسلاخ
عن الإسلام جملة فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام
كإنسلاخ الحية من قشرها وهو يظن أنه من خاصة الخاصة
وسبب هذا عدم اقتران الخوف من الله بحبه وإرادته ولهذا قال
بعض السلف من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده
بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء
ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن والمقصود أن
تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع في هذه المعاطب فإذا إقترن
الخوف جمعه على الطريق ورده إليها كلما كلها شيء كالخائف
الذي معه سوط يضرب به مطيته لئلا تخرج عن الطريق والرجاء

حاد يحدوها يطلب لها السير والحب قائدها وزمامها الذى يشوقها
 فإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصى يردّها إذا حادت عن الطريق
 خرجت عن الطريق وظلت عنها فما حفظت حدود الله
 ومحارمه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته فمتى
 خلا القلب من هذه الثلاث فسد فسادا لا يرجى صلاحه أبدا ومتى
 ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه فتأمل أسرار القرآن
 وحكمته فى اقتران الخفية بالذكر والخفية بالدعاء مع دلالاته على
 اقتران الخفية بالدعاء والخفية بالذكر أيضا وذكر الطمع الذى هو
 الرجاء فى آية الدعاء لأن الدعاء مبنى عليه فإن الداعي ما لم
 يطمع فى سؤاله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه إذا طلب ما لا
 طمع له فيه ممتنع وذكر الخوف فى آية الذكر لشدة حاجة الخائف
 إليه فذكر فى كل آية ما هو اللائق بها من الخوف والطمع فتبارك
 من أنزل كلامه شفاء لما فى الصدور³³⁸

"سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الدعاء

والظهور"

* الاعتداء مجاوزة الحد فهذا مجاوز للحد فى العبادة المشروعة
 كالعدوان فى الدعاء فى قوله { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا
 يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } الأعراف 55 و قال النبى صلى الله عليه و سلم
 سيكون قوم يعتدون فى الدعاء و الظهور فالاعتداء فى العبادات
 و فى الورع كالذين تخرجوا من أشياء ترخص فيها النبى صلى
 الله عليه و سلم و فى الزهد كالذين حرّموا الطيبات³³⁹
 *ومن الإعتداء فى الدعاء أن يسأل العبد ما لم يكن الرب ليفعله
 مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم أو المغفرة للمشركين

³³⁸ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 10-28

³³⁹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 451

ونحو ذلك أو يسأله ما فيه معصية الله كإعانتة على الكفر والفسوق
والعصيان³⁴⁰

*قوله { إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } { الأعراف 55 } أن الدعاء ليس
كله جائزا بل فيه عدوان محرم والمشروع لا عدوان فيه وأن
العدوان يكون تارة في كثرة الألفاظ وتارة في المعاني كما قد فسر
الصحابة ذلك إذ قال هذا ابنه لما قال اللهم أنى أسألك القصر
الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها وقال الآخر أسألك الجنة
وقصورها وأنهارها واعوذ بك من النار وسلاسلها واغلالها فقال
أى بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فقد سمعت رسول الله
يقول سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور
والإعتداء يكون في العبادة وفي الزهد والدعاء المستحب هو
الدعاء المشروع فإن الإستحباب إنما يتلقى من الشارع فما لم
يشرعه لا يكون مستحبا بل يكون شرع من الدين ما لم يأذن به الله
فإن الدعاء من أعظم الدين لكن إذا دعا بدعاء لم يعلم أنه مستحب
أو علم أنه جائز غير مستحب لم تبطل صلاته بذلك فإن الصلاة
إنما تبطل بكلام الأدميين والدعاء ليس من جنس كلام الأدميين بل
هو كما لو أثنى على الله بثناء لم يشرع له وقد وجد مثل هذا من
بعض الصحابة على عهد النبي ولم ينكر عليه كونه أثنى ثناء لم
يشرع له في ذلك المكان بل نفى ماله فيه من الأجر ومن الدعاء ما
يكون مكروها ولا تبطل به الصلاة ومنه ما تبطل به الصلاة
فالدعاء بمصالح الدنيا جائز فإنه مشروع والدعاء ببعض أمور
الدين قد يكون من العدوان كما ذكر عن الصحابة وكما لو سأل
منازل الأنبياء فالأجود أن يقال إلا بالدعاء المشروع المسنون وهو
ما وردت به الأخبار وما كان في معناه لأن ذلك لم يوجب علينا
التعبد بلفظه كالقرآن³⁴¹

³⁴⁰ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 130

³⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 475-477

وقوله تعالى { **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** } {الأعراف 55} قيل المراد أنه لا يحب المعتدين في الدعاء كالذي يسأل ما لا يليق به من منازل الأنبياء وغير ذلك وقد روى أبو دواد في سننه عن عبد الله بن معقل أنه سمع ابنه يقول اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال يا بنى سل الله الجنة وتعوذ به من النار فإني سمعت رسول الله يقول سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء وعلى هذا فالإعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من المعونة على المحرمات وتارة يسأل ما لا يفعله الله مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب ويسأله بأن يطلعه على غيبه أو أن يجعله من المعصومين أو يهب له ولدا من غير زوجة ونحو ذلك مما سؤاله إعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله وفسر الإعتداء برفع الصوت أيضا في الدعاء وبعد فالآية أعم من ذلك كله وإن كان الإعتداء بالدعاء مرادا والله لا يحب المعتدين في كل شيء دعاء كان أو غيره كما قال تعالى { **وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** } {البقرة 190} وعلى هذا فيكون أمر بدعائه وعبادته وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان وهم يدعون معه غيره فهو لاء أعظم المعتدين عدوانا فإن أعظم العدوان الشرك وهو وضع العبادة في غير موضعها فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلا في قوله تعالى { **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** } {الأعراف 55} ومن العدوان أن يدعو غير متضرع بل دعاء هذا كالمستغنى المدلى على ربه وهذا من أعظم الإعتداء لمنافاته لدعاء الذليل فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد ومن الإعتداء أن يعبد بهما لم يشرع ويثنى عليه بما لم يثن به على نفسه ولا أذن فيه فإن هذا اعتداء في دعائه الثناء والعبادة وهو نظير الإعتداء في دعاء المسألة والطلب وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين أحدهما محبوب للرب سبحانه وهو الدعاء تضرعا وخفية الثانى مكروه له مسخوط وهو الإعتداء فأمر بما يحبه وندب إليه وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير

وهو لا يحب فاعله ومن لا يحبه الله فأى خير يناله وقوله تعالى { **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** } {الأعراف55} عقيب قوله { **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** } {الأعراف55} دليل على أن من لم يدعه تضرعا وخفية فهو من المعتدين الذين لا يحبهم فقسمت الآية الناس إلى قسمين داع لله تضرعا وخفية ومعتد بترك ذلك وقوله تعالى { **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** } {الأعراف56} قال أكثر المفسرين لا تفسدوا فيها بالمعاصي والداعي إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها يبعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله مفسد فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم الفساد في الأرض بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو الشرك بالله ومخالفة أمره قال الله تعالى { **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** } {الروم41} قال عطية في الآية ولا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم وقال غير واحد من السلف إذا قحط المطر فالدواب تلعن عصاة بنى آدم فتقول اللهم العنهم فبسبهم أجدبت الأرض وقحط المطر وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره أو مطاع متبع غير الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعظم الفساد في الأرض ولا صلاح لها ولأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له هو لا لغيره والطاعة والإتباع لرسول الله وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول فإن أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة فإن الله أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بالتوحيد ونهى عن فسادها بالشرك به ومخالفة رسول الله عليه وسلم ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وقتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول والدعوة إلى غير الله ومن تدبر هذا حق التدبير وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموما وخصوصا ولا حول ولا قوة إلا بالله وقوله تعالى { **وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا** } {56} {الأعراف56} إنما ذكر الأمر بالدعاء لما ذكره

معه من الخوف والطمع فأمر أولاً بدعائه تضرعاً وخفية ثم أمر
 أيضاً أن يكون الدعاء خوفاً وطمعاً وفصل الجملتين بجملتين
 إحداهما خبرية ومتضمنة للنهي وهى قوله { **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ**
الْمُعْتَدِينَ } { **55** } { **الاعراف** } **55** والثانية طلبية وهى قوله تعالى {
وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } { **الاعراف** } **56** والجملتان
 مقررتان للجمله الأولى مؤكدتان لمضمونها ثم لما تم تقريرها
 وبيان ما يضاده أمر بدعائه خوفاً وطمعاً لتعلق قوله { **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ**
الْمُعْتَدِينَ } { **الاعراف** } **55** بقوله تعالى { **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا**
وَخُفْيَةً } { **55** } { **الاعراف** } **55** ولما كان قوله { **وَادْعُوهُ خَوْفًا**
وَطَمَعًا } { **الاعراف** } **56** مشتملاً على جميع مقامات الإيمان وهى
 الحب والخوف والرجاء عقبها بقوله { **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ**
الْمُحْسِنِينَ } { **الاعراف** } **56** أى إنما تنال من دعاه خوفاً وطمعاً فهو
 المحسن والرحمة قريب منه لأن مدار الإحسان على هذه الأصول
 الثلاثة ولما كان دعاء التضرع والخفية يقابل الاعتداء بعدم
 التضرع والخفية عقب ذلك بقوله تعالى { **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ**
الْمُعْتَدِينَ } { **الاعراف** } **55** وانتصاب قوله { **تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**
الاعراف } **55** { **خَوْفًا وَطَمَعًا** } { **الاعراف** } **55** على الحال أى
 ادعوه متضرعين إليه مختلفين خائفين مطيعين وقوله { **إِنَّ**
رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } { **الاعراف** } **56** فيه تنبيه ظاهر
 على أن فعل هذا الأمر هو الإحسان المطلوب منكم ومطلوبكم
 أنتم من الله رحمته ورحمته قريب من المحسنين الذين فعلوا ما
 أمروا به من دعائه تضرعاً وخفية وخوفاً وطمعاً فقرر مطلوبكم
 منه وهو الرحمة بحسب أدائكم لمطلوبه { **إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ**
لِأَنْفُسِكُمْ } { **الإسراء** } **7** وقوله تعالى { **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ**
الْمُحْسِنِينَ } { **الاعراف** } **56** له دلالة بمنطوقه ودلالة بإيمانه وتعليقه
 بمفهومه فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان
 ودلالته بإيمانه وتعليقه على أن هذا القرب مستحق بالإحسان هو
 السبب في قرب الرحمة منهم ودلالته بمفهومه على بعده من غير
 المحسنين فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة وإنما اختص أهل

الإحسان بقرب الرحمة لأنها إحسان من الله عز وجل أرحم
الراحمين وإحسانه تبارك وتعالى وإنما يكون لأهل الإحسان لأن
الجزاء من جنس العمل وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته
وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت
عنه الرحمة بعد ببعده وقرب بقرب فمن تقرب إليه بالإحسان تقرب
الله إليه برحمته ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته
والله سبحانه يحب المحسنين ويبغض من ليس من المحسنين ومن
أحبه الله فرحمته أقرب شيء منه ومن أبغضه الله فرحمته أبعد
شيء منه والإحسان ههنا هو فعل المأمور به سواء كان إحساناً إلى
الناس أو إلى نفسه فأعظم الإحسان الإيمان والتوحيد والإنابة إلى
الله تعالى والإقبال إليه والتوكل عليه وأن يعبد الله كأنه يراه إجلالاً
ومهابة وحياء ومحبة وخشية فهذا هو مقام الإحسان كما
قال النبي وقد سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال أن
تعبد الله كأنك تراه فإذا كان هذا هو الإحسان فرحمته قريب من
صاحبه وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان يعني هل جزاء من
أحسن عبادة ربه إلا أن يحسن ربه إليه قال ابن عباس رضي الله
عنها هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد إلا
الجنة وقد ذكر ابن أبي شيبه وغيره من حديث الزبير بن عدي
عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ثم قال هل تدورن ما قال ربكم
قالوا الله ورسوله أعلم قال هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا
الجنة آخر الكلام على الآيتين والحمد لله رب العالمين وصلى الله
على محمد وآله وصحبه وسلم³⁴²

*فهو سبحانه قد نفى ما من الملائكة والأنبياء إلا من الشفاعة بإذنه
والشفاعة هي الدعاء ولا ريب أن دعاء الخلق بعضهم
لبعض نافع والله قد أمر بذلك لكن الداعي الشافع ليس له أن يدعو
ويشفع إلا بإذن الله له في ذلك فلا يشفع شفاعة نهى عنها كالشفاعة

³⁴² مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 23-28

للمشركين والدعاء لهم بالمغفرة قال تعالى { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } {113} وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ } {114} التوبة 113-114 وقد ثبت في الصحيح
أن الله نهى نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين وأخبر أنه لا
يغفر لهم كما في قوله { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } النساء 48
وقوله { اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }
{ الأعراف 55 } في الدعاء ومن الإعتداء في الدعاء أن يسأل العبد
ما لم يكن الرب ليفعله مثل أن يسأله منازل الأنبياء وليس منهم أو
المغفرة للمشركين ونحو ذلك أو يسأله ما فيه معصية الله كإعانتة
على الكفر والفسوق والعصيان

فالشفيع الذي أذن الله له في الشفاعة شفاعته في الدعاء الذي ليس
فيه عدوان ولو سأل أحدهم دعاء لا يصلح له لا يقر عليه فإنهم
معصومون أن يقرؤا على ذلك كما قال نوح { رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ
أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } {45} هود 45 قال
تعالى { يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا
تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } {46}
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي
وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {47} هود 46-47 وكل داع شافع
دعا الله سبحانه وتعالى وشفع فلا يكون دعاؤه وشفاعته إلا بقضاء
الله وقدره ومشيبته وهو الذي يجيب الدعاء ويقبل الشفاعة فهو
الذي خلق السبب والمسبب والدعاء من جملة الأسباب التي قدرها
الله سبحانه وتعالى وإذا كان كذلك فالإلتفات الى الأسباب شرك
في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل
والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع بل العبد يجب أن
يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته الى الله سبحانه وتعالى والله
يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغيرهم ما شاء والدعاء

مشروع أن يدعو الأعلى للأدنى والأدنى للأعلى فطلب الشفاعة والدعاء من الأنبياء كما كان المسلمون يستشفعون بالنبى في الإستسقاء ويطلبون منه الدعاء بل وكذلك بعده استسقى عمر والمسلمون بالعباس عمه والناس يطلبون الشفاعة يوم القيامة من الأنبياء³⁴³

*وقد قال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليسألني المسألة فأعطيه إياها فيخرج بها يتأبطها نارا فقالوا يا رسول الله فلم تعطهم قال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل كما أن ثعلبة لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له بكثرة المال ونهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك مرة بعد مرة فلم ينته حتى دعا له وكان ذلك سبب شقائه في الدنيا والآخرة فكم من عبد دعا دعاء غير مباح ففضيت حاجته في ذلك الدعاء وكانت سبب هلاكه في الدنيا والآخرة تارة بأن يسأل مالا تصلح له مسألته كما فعل بلعام وثعلبة كخلق كثير دعوا بأشياء فحصلت لهم وكان فيها هلاكهم وتارة بأن يسأل على الوجه الذي لا يحبه الله كما قال سبحانه {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} الأعراف 55 فهو سبحانه لا يحب المعتدين في صفة الدعاء ولا في المسئول وإن كانت حاجتهم قد تقضى كأقوام ناجوا الله في دعواتهم بمناجاة فيها جرأة على الله واعتداء لحدوده وأعطوا طلبتهم فتنة³⁴⁴

المشروع المستحب في ذكر الله ودعائه
*** قد دل الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة على**
جنس المشروع المستحب في ذكر الله ودعائه

³⁴³ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 130-131

³⁴⁴ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 349

كسائر العبادات وبين النبي مراتب الأذكار كقوله في
الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن سمرة
بن جندب أفضل الكلام بعد القرآن اربع وهن من
القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله
أكبر لا يضرك بأيهن بدأت وفي صحيحه عن أبي
ذر قال سئل رسول الله أى الكلام أفضل قال ما
إصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده وفي
كتاب الذكر لابن أبي الدنيا وغيره مرفوعا إلى
النبي أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء
الحمد لله وفي الموطأ وغيره حديث طلحة بن
عبدالله بن كريب عن النبي أفضل ما قلت أنا
والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له
الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وفي
السنن حديث الذى قال يا رسول الله إني لا أستطع
أن آخذ من القرآن شيئا فعلمنى ما يجزئنى فى
صلاتى فقال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا
الله والله أكبر ولهذا قال الفقهاء إن من عجز عن
القراءة فى الصلاة إنتقل إلى هذه الكلمات الباقيات
الصالحات وفضائل هذه الكلمات ونحوها كثير ليس
هذا موضعه وإنما الغرض من الذكر
والدعاء ما ليس بمشروع الجنس أو هو منهى عنه
أو عن صفته كما قال تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} الأعراف 55 وقال
تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا
{الأعراف 180 فلا يدعى إلا بأسمائه الحسنی
ومن المنهى عنه ما كانوا يقولونه فى الجاهلیة فى

تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه
وما ملك ومثل قول بعض الأعراب للنبي إنا
نستشفع بالله عليك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
شأن الله أعظم من ذلك إن الله لا يستشفع به على
أحد من خلقه ومثل ما كانوا يقولون في أول
الإسلام السلام على الله قبل عباده فقال النبي إن
الله هو السلام فإذا قعد أحدكم فليقل التحيات لله
والصلوات والطيبات أشار بذلك إلى أن
السلام إنما يطلب لمن يحتاج إليه والله هو
السلام فالسلام يطلب منه لا يطلب له بل يثنى
عليه فإنه له فيقال التحيات لله والصلوات والطيبات
فالحق سبحانه يثنى عليه ويطلب منه وأما المخلوق
فيطلب له فيقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال
تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {56}
مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ } {57}
الذاريات 56-57 والرزق يعم كلما ينتفع به
المرتزق فالإنسان يرزق الطعام والشراب واللباس
وما ينتفع بسمعه وبصره وشمه ويرزق ما ينتفع به
باطنه من علم وإيمان وفرح وسرور وقوة ونور
وتأييد وغير ذلك والله سبحانه ما يريد من الخلق
من رزق فإنهم لن يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا
نفعه فينفعوه بل هو الغنى وهم الفقراء و قد
سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء
وهو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا أحد وكذلك الدعاء المكروه مثل الدعاء

ببغى أو قطيعة رحم أو دعاء منازل الأنبياء أو دعاء
الأعرابي الذي قال اللهم ما كنت معذبي به في
الآخرة فعهله لى فى الدنيا ومثل قوله صلى الله
عليه وسلم للمصابين بميت لما صاحوا لا تدعوا
على انفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما
تقولون وقد قال تعالى {وَلَوْ يَعْلُ اللهُ لِلنَّاسِ
الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ
{يونس 11 وقال تعالى {وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ
دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا {الإسراء 11
وهذا باب واسع ليس الغرض هنا إستيعابه وإنما
نبهنا على جنس المكروه وإنما الغرض هنا
أن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاما تاما
مفيدا مثل لا إله إلا الله ومثل الله أكبر
ومثل سبحان الله والحمد لله ومثل لا حول ولا
قوة إلا بالله ومثل تبارك اسم ربك تبارك الذى
بيده الملك سبح لله ما فى السموات والأرض
تبارك الذى نزل الفرقان فأما الإسم
المفرد مظهرا مثل الله الله أو مضمرا
مثل هو هو فهذا ليس بمشروع فى كتاب
ولا سنة ولا هو مأثور أيضا عن أحد من سلف
الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم وإنما لهج
به قوم من ضلال المتأخرين وربما إتبعوا فيه
حال شيخ مغلوب فيه مثلما يروى عن الشبلى أنه
كان يقول الله الله فقيل له لم تقول لا إله إلا الله
فقال أخاف أن أموت بين النفى والإثبات وهذه من
زلات الشبلى التى تغفر له لصدق إيمانه وقوة وجده

وغلبة الحال عليه فإنه كان ربما يجن ويذهب به
إلى المارستان ويحلق لحيته وله أشياء من هذا
النمط التي لا يجوز الإقتداء به فيها وإن كان
معذورا أو مأجورا فإن العبد لو أراد أن يقول لا
إله إلا الله ومات قبل كمالها لم يضره ذلك
شيئا إذ الأعمال بالنيات بل يكتب بل يكتب له ما نواه
وربما غلا بعضهم في ذلك حتى يجعلوا ذكر الاسم
المفرد للخاصة وذكر الكلمة التامة للعامة وربما قال
بعضهم لا إله إلا الله للمؤمنين و الله
للعارفين و هو للمحققين وربما اقتصر أحدهم
في خلوته أو في جماعته على الله الله الله أو
على هو أو ياهو أو لا هو إلا هو
وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك
وإستدل عليه تارة بوجد وتارة برأى وتارة بنقل
مكذوب كما يروى بعضهم أن النبي صلى الله عليه
وسلم لقن على بن أبي طالب أن يقول الله الله الله
فقالها النبي ثلاثا ثم أمر عليا فقالها ثلاثا وهذا
حديث موضوع بإتفاق أهل العلم بالحديث وإنما كان
تلقين النبي للذكر المأثور عنه ورأس الذكر لا
إله إلا الله وهي الكلمة التي عرضها على عمه
أبي طالب حين الموت و وقال يا عم قل لا إله إلا
الله كلمة أحاج لك بها عند الله وقال أنى لأعلم
كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها
روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل
الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله
دخل الجنة وقال أمرت أن أقاتل الناس حتى

يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإذا
فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها
وحسابهم على الله والأحاديث كثيرة في هذا

345 المعنى

إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد وعن كمال الطاعة

*قال تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا
{الإسراء 57} فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتوسل به أي يتوصل ويتقرب به إليه سبحانه سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا هو الدعاء بمعنى العبادة والدعاء بمعنى المسألة وإن كان كل منهما يستلزم الآخر لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته وتفريج كربته فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع وإن كان ذلك من العبادة والطاعة ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب من الرزق والنصر والعافية مطلقاً ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله عز وجل ومعونته ومحبته والتنعم بذكره ودعائه ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدراً عنده من تلك الحاجة التي همته وهذا من رحمة الله بعباده يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية وقد يفعل العبد ابتداء ما أمر به لأجل العبادة لله والطاعة له ولما عنده من محبته والإنابة إليه وخشيته وامتثال أمره وإن كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية وقد قال تعالى

{ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهل السنن أبو داود وغيره الدعاء هو العبادة ثم قرأ قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 وقد فسر هذا الحديث مع القرآن بكلا النوعين قيل ادعوني أي اعبدوني وأطيعوا أمري استجب دعاءكم وقيل سلوني أعطكم وكلا النوعين حق وفي الصحيحين في قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النزول ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر فذكر أولاً إجابته الدعاء ثم ذكر إعطاء المغفرة للمستغفر فهذا جلب المنفعة وهذا دفع المضرة وكلاهما مقصود الداعي المجاب وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } البقرة 186 وقد روى أن بعض الصحابة قال يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله هذه الآية فأخبر سبحانه أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ثم أمرهم بالاستجابة له وبالإيمان به كما قال بعضهم فليستجيبوا لي إذا دعوتهم وليؤمنوا بي إذا دعوتهم قالوا وبهذين الشيين تحصل إجابة الدعوة بكمال الطاعة لألوهيته وبصحة الإيمان بربوبيته فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه حصل مقصوده من الدعاء وأجيب دعاؤه كما قال تعالى { وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ } الشورى 26 أي يستجيب لهم يقال استجابه واستجاب له فمن دعاه موقناً أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه وقد يكون مشركاً وفاسقاً فإنه سبحانه هو القائل { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } يونس 12 وهو القائل سبحانه { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُكُمْ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا } الإسراء 67

وهو القائل سبحانه { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ
السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 { بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ
فِيكَشْفِ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } 41
الأنعام 40-41 ولكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لإقرارهم
بربوبيته وأنه يجيب دعاء المضطر إذا دعاه إذا لم يكونوا مخلصين
له الدين في عبادته ولا مطيعين له ولرسوله كان ما يعطيهم
بدعائهم متاعا في الحياة الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق
وقال تعالى { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ
نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا } 18 { وَمَنْ أَرَادَ
الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ
مَشْكُورًا } 19 { كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا } 20 { الإسراء 18 وقد دعا الخليل عليه
الصلاة والسلام بالرزق لأهل الإيمان فقال { وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ
الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } البقرة 126 فقال الله
تعالى { وَمَنْ كَفَرَ فَأَمَتَّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ } البقرة 126 فليس كل من متعه الله برزق ونصر إما
إجابة لدعائه وإما بدون ذلك يكون ممن يحبه الله ويواليه بل هو
سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر وقد يجيب دعاءهم
ويعطيهم سؤالهم في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق وقال تعالى
{ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } الأعراف 55
والمقصود هنا أن دعاء الله قد يكون دعاء عبادة لله فيثاب العبد
عليه في الآخرة مع ما يحصل له في الدنيا وقد يكون دعاء مسألة
تقضي به حاجته ثم قد يثاب عليه إذا كان مما يحبه الله وقد لا
يحصل له إلا تلك الحاجة وقد يكون سببا لضرر دينه فيعاقب على
ما ضيعه من حقوق الله سبحانه وعلى ما تعداه من حدوده³⁴⁶

³⁴⁶ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 411-414

* قيل إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد و عن كمال الطاعة لأنه عقب آية الدعاء بقوله { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي } البقرة 186 و الطاعة و العبادة هي مصلحة العبد التي فيها سعادته و نجاته و أما إجابة دعائه و إعطاء سؤاله فقد يكون منفعة و قد يكون مضرة قال تعالى { وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا } الإسراء 11 و قال تعالى { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } الأعراف 55 و قال النبي صلى الله عليه و سلم لما دخل على أهل جابر فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون³⁴⁷

الدعاء سبب كسائر الأسباب المقدره والمشروعة

* والناس قد اختلفوا في الدعاء المستعقب لقضاء الحاجات فزعم قوم من المبطلين متفلسفة ومتصوفة أنه لا فائدة فيه أصلاً فإن المشيئة الالهية والأسباب العلوية إما أن تكون قد اقتضت وجود المطلوب وحينئذ فلا حاجة إلى الدعاء أو لا تكون اقتضته وحينئذ فلا ينفع الدعاء و قال قوم ممن تكلم في العلم بل الدعاء علامة ودلالة على حصول المطلوب وجعلوا ارتباطه بالمطلوب ارتباط الدليل بالمدلول لا ارتباط السبب بالمسبب بمنزلة الخبر الصادق والعلم السابق والصواب ما عليه الجمهور من أن الدعاء سبب لحصول الخير المطلوب أو غيره كسائر الأسباب المقدره والمشروعة وسواء سمي سبباً أو شرطاً أو جزءاً من السبب فالمقصود هنا واحد فإذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه دعاءه والاستعانة به وجعل استعانته ودعائه سبباً للخير الذي قضاه له كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إنني لا أحمل هم الإجابة وإنما أحمل هم الدعاء فإذا ألهمت الدعاء فإن الإجابة معه كما أن الله تعالى إذا أراد أن يشبع عبداً أو يرويه الهمه أن يأكل أو يشرب وإذا أراد أن يتوب على عبد ألهمه أن يتوب فيتوب عليه وإذا أراد

أن يرحمه ويدخله الجنة يسره لعمل أهل الجنة والمشية الإلهية اقتضت وجود هذه الخيرات بأسبابها المقدرة لها كما اقتضت وجود دخول الجنة بالعمل الصالح ووجود الولد بالوطء والعلم بالتعلم فمبدأ الأمور من الله وتمامها على الله لا أن العبد نفسه هو المؤثر في الرب أو في ملكوت الرب بل الرب سبحانه هو المؤثر في ملكوته وهو جاعل دعاء عبده سببا لما يريد سبحانه من القضاء كما قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرأيت أدوية تتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقى نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا قال هي من قدر الله وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض فهذا في الدعاء الذي يكون سببا في حصول المطلوب³⁴⁸

*أن ما أخبر الله أن يكون فلا بد أن يكون ولو سأله أهل السموات والأرض أن لا يكون لم يجبه مثل إقامة القيامة وأن لا يملأ جهنم من الجنة والناس أجمعين وغير ذلك بل كل ما علم الله أنه يكون فلا يقبل الله دعاء أحد في أن لا يكون لكن الدعاء سبب يقضي الله به ما علم الله أنه سيكون بهذا السبب كما يقضي بسائر الأسباب ما علم أنه سيكون بها وقد سأل الله تعالى من هو أفضل من كل من في البصرة بكثير ما هو دون هذا فلم يجابوا لما سبق الحكم بخلاف ذلك كما سأله ابراهيم عليه الصلاة والسلام أن يغفر لأبيه و كما سأله نوح عليه السلام سأله نجاه ابنه فقيل له { قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } هود 46 وأفضل الخلق محمد صلي الله عليه وسلم قيل له في شأن عمه أبي طالب { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ } التوبة 113 وقيل له في المنافقين { سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } المنافقون 6 وقد قال تعالى عموما { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ

³⁴⁸ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 359

عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ {البقرة 255} و قال {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} {سبأ 23} فمن هذا الذي لو سأل الله ما يشاؤه هو أعطاه إياه وسيد الشفعاء محمد صلى الله عليه و سلم يوم القيامة أخبر أنه يسجد تحت العرش و يحمد ربه و يثنى عليه فيقال له أي محمد ارفع رأسك و قل يسمع و سل تعط و اشفع تشفع قال فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة و قد قال تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} {الأعراف 55} وأي اعتداء أعظم و أشنع من أن يسأل العبد ربه أن لا يفعل ما قد أخبر أنه لا بد أن يفعله أو أن يفعل ما قد أخبر أنه لا يفعله و هو سبحانه كما أخبر عن نفسه {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} {البقرة 186} و قال {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} {غافر 60} وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال ما من داع يدعو الله بدعوة ليس فيها ظلم و لا قطيعة رحم إلا أعطاه الله به إحدى خصال ثلاث اما أن يعجل له دعوته و اما أن يدخر له من الخير مثلها و اما أن يصرف عنه من الشر مثلها فالدعوة التي ليس فيها اعتداء يحصل بها المطلوب أو مثله و هذا غاية الاجابة فإن المطلوب بعينه قد يكون ممتنعا أو مفسدا للداعي أو لغيره و الداعي جاهل لا يعلم ما فيه المفسدة عليه و الرب قريب مجيب و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و الكريم الرحيم إذا سئل شيئا بعينه و علم أنه لا يصلح للعبد إعطاؤه أعطاه نظيره كما يصنع الوالد بولده إذا طلب منه ما ليس له فانه يعطيه من ماله نظيره و لله المثل الأعلى و كما فعل النبي صلى الله عليه و سلم لما طلبت منه طائفة من بني عمه أن يوليهم و لاية لا تصلح لهم فأعطاهم من الخمس ما أغناهم عن ذلك و زوجهم كما فعل بالفضل بن عباس و ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب و قد روى في الحديث ليس شيء أكرم على الله من الدعاء و هذا حق³⁴⁹

³⁴⁹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 366-368 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 118

قاعدة شرعية

* قاعدة شرعية شرع الله ورسوله للعمل بوصف العموم والاطلاق لا يقتضى أن يكون مشروعاً بوصف الخصوص والتقييد فإن العام والمطلق لا يدل على ما يختص بعض أفراده ويقيد بعضها فلا يقتضى أن يكون ذلك الخصوص والتقييد مشروعاً ولا مأموراً به فإن كان فى الأدلة ما يكره ذلك الخصوص والتقييد كره وإن كان فيها ما يقتضى استحبابه استحباب وإلا بقى غير مستحب ولا مكروه مثال ذلك أن الله شرع دعاءه وذكره شرعاً مطلقاً عاماً فقال { اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } الأحزاب 41 وقال { اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً } الأعراف 55 ونحو ذلك من النصوص فالاجتماع للدعاء والذكر فى مكان معين أو زمان معين أو الاجتماع لذلك تقييد للذكر والدعاء لا تدل عليه الدلالة العامة المطلقة بخصوصه وتقييده لكن تتناوله لما فيه من القدر المشترك فإن دلت أدلة الشرع على استحباب ذلك كالذكر والدعاء يوم عرفة بعرفة أو الذكر والدعاء المشروعين فى الصلوات الخمس والأعياد والجمع وطرفى النهار وعند الطعام والمنام واللباس ودخول المسجد والخروج منه والأذان والتلبية وعلى الصفا والمروة ونحو ذلك صار ذلك الوصف الخاص مستحباً مشروعاً استحباباً زائداً على الاستحباب العام المطلق وفى مثل هذا يعطف الخاص على العام فإنه مشروع بالعموم والخصوص كصوم يوم الاثنين والخميس بالنسبة الى عموم الصوم وإن دلت أدلة الشرع على كراهة ذلك كان مكروهاً مثل اتخاذ ما ليس بمسنون سنة دائمة فإن المداومة فى الجماعات على غير السنن المشروعة بدعة كالإذان فى العيدين والقنوت فى الصلوات الخمس والدعاء المجتمع عليه أدبار الصلوات الخمس أو البردين منها والتعريف المداوم عليه فى الأمصار والمداومة على الاجتماع لصلاة تطوع أو قراءة أو ذكر كل ليلة ونحو ذلك فإن مضاهاة غير المسنون بالمسنون بدعة مكروهة كما دل عليه الكتاب والسنة والآثار والقياس وإن لم يكن فى الخصوص أمر ولا نهي بقى على وصف الإطلاق كفعلها أحياناً على غير وجه المداومة

مثل التعريف أحيانا كما فعلت الصحابة والاجتماع أحيانا لمن يقرأ لهم أو على ذكر أو دعاء والجهر ببعض الأذكار في الصلاة كما جهر عمر بالاستفتاح وابن عباس بقراءة الفاتحة وكذلك الجهر بالبسملة أحيانا وبعض هذا القسم ملحق بالأول فيكون الخصوص مأمورا به كالقنوت في النوازل وبعضها ينفي مطلقا ففعل الطاعة المأمور بها مطلقا حسن وإيجاب ما ليس فيه سنة مكروه وهذه القاعدة اذا جمعت نظائرها نفعت وتميز بها ما هو البدع من العبادات التي يشرع جنسها من الصلاة والذكر والقراءة وأنها قد تميز بوصف اختصاص تبقى مكروهة لأجله أو محرمة كصوم يومي العيدين والصلاة في أوقات النهي كما قد تميز بوصف اختصاص تكون واجبة لأجله أو مستحبة كالصلوات الخمس والسنن الرواتب ولهذا قد يقع من خلقه العبادة المطلقة والترغيب فيها في أن شرع من الدين ما لم يأذن به الله كما قد يقع من خلقه العلم المجرد في النهي عن بعض المستحب أو ترك الترغيب ولهذا لما عاب الله على المشركين أنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله وأنهم حرموا ما لم يحرمه الله وهذا كثير في المتصوفة من يصل ببدع الأمر لشرع الدين وفي المتفقهة من يصل ببدع التحريم الى الكفر³⁵⁰

كل قول او عمل يبغضه الله هو من الفساد

*والفساد ضد الصلاح فكما ان كل قول او عمل يحبه الله فهو من الصلاح فكل قول او عمل يبغضه الله فهو من الفساد قال سبحانه وتعالى {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} {الأعراف 56} يعني الكفر والمعصية بعد الايمان والطاعة ولكن الفساد نوعان لازم وهو مصدر فسد يفسد فسادا ومتعد وهو اسم مصدر افسد

يُفْسِدُ أَفْسَادًا كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } البقرة 205³⁵¹

* فان اظهر كلمة الكفر والطعن في المرسلين والقدر في كتاب الله ودينه ورسله وكل سبب بينه وبين خلقه لا يكون اشد منه فسادا وعامة الاي في كتاب الله التي تنهى عن الافساد في الارض فان من اكثر المراد بها الطعن في الانبياء كقوله سبحانه عن المنافقين الذين { يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ } البقرة 9 { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } البقرة 11 قال تعالى { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ } البقرة 12 وانما كان افسادهم نفاقهم وكفرهم وقوله { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } الأعراف 56 وقوله سبحانه { وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ } البقرة 205 وقوله سبحانه { وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } الأعراف 142³⁵²

* و قوله { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ } البقرة 11 أي لا تعملوا بمعصية الله تعالى فكل من عمل بمعصية الله فهو مفسد و المحرمات معصية الله فالشارع ينهى عنه ليمنع الفساد و يدفعه³⁵³

{ رَحِمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ }

*فساعة الاجابة يوم الجمعة روى انها مقيدة بفعل الجمعة وهي من حين يصعد الامام على المنبر الى أن تنتضى الصلاة ولهذا تكون مقيدة بفعل الجمعة فمن لم يصل الجمعة لغير عذر ويعتقد وجوبها لم يكن له فيها نصيب وأما من كانت عادته الجمعة ثم مرض أو سافر فانه يكتب له ما كان يعمل وهو صحيح مقيم وكذلك المحبوس ونحوه فهؤلاء لهم مثل أجر من شهد الجمعة

³⁵¹ الصارم المسلول ج: 3 ص: 733

³⁵² الصارم المسلول ج: 3 ص: 737

³⁵³ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 283

فيكون دعاؤهم كدعاء من شهدها وقد تكون الرحمة التي تنزل على الحجاج عشية عرفة وعلى من شهد الجمعة تنتشر بركاتها الى غيرهم من اهل الأعدار فيكون لهم نصيب من اجابة الدعاء وحظ مع من شهد ذلك كما فى شهر رمضان فهذا موجود لمن يحبهم ويحب ما هم فيه من العبادة فيحصل لقلبه تقرب الى الله ويود لو كان معهم وأما الكافر والمنافق الذى لا يرى الحج برا ولا الجمعة فرضا وبراً بل هو معرض عن محبة ذلك وارادته فهذا قلبه بعيد عن رحمة الله فان { رَحِمْتَ اللّٰهَ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } الأعراف 56 وهذا ليس منهم وروى فى ساعة الجمعة أنها آخر النهار فيكون سببها الوقت وقد ثبت فى الصحيح أن فى الليل ساعة يستجاب الدعاء فيها كما فى يوم الجمعة وذلك كل ليلة واقرب ما يكون العبد من ربه فى جوف الليل الآخر³⁵⁴

الإحسان يتناول الإخلاص وغيره

* وأما الإحسان فقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قد قيل أن الإحسان هو الإخلاص والتحقيق أن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله قال تعالى {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 112 وقال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} النساء 125 فذكر إحسان الدين أولاً ثم ذكر الإحسان ثانياً³⁵⁵

³⁵⁴ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 248

³⁵⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 622

اثبات حكمة الله في خلقه وامره واثبات الاسباب

والقوى

* أهل السنة وجمهورهم يقرون بالأسباب التي جعلها الله أسبابا في خلقه و أمره و يقرون بحكمة الله التي يريدها في خلقه و أمره و يقرون بحكمة الله التي يريدها في خلقه و أمره فيقولون بما دل عليه الشرع والعقل قال الله تعالى { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتَ بِهِ لُبًّا مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 وقال { وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } البقرة 164 وقال { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ } المائدة 16 وقال { يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } البقرة 26 سورة البقرة ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة يخبر الله تعالى أنه يحدث الحوادث بالأسباب³⁵⁶

* وهذا الاصل قد تقابلوا فيه الفلاسفة والمبتدعة من اهل الكلام فأولئك يقولون ليس لشيء من حركات الفلك تأثير في هذا العالم ولا شيء منها سبب في حدوث شيء بل يطردون هذا في جميع الموجودات فلا يجعلون الله خلق شيئا لسبب ولا لحكمة ولا يجعلون للانسان قدرة تؤثر في مقدورها ولا لشيء من الاجسام طبيعة ولا غريزة بل يقولون فعل عنده لا به وخالفوا بذلك الكتاب والسنة واجماع السلف والائمة وصرائح العقول فان الله تعالى يقول { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ

³⁵⁶ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 114 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 430

لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ { البقرة 164 وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ
فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ { الأعراف 57 وقال { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ { ق 9 ومثل هذا كثير في
الكتاب والسنة يذكر سبحانه انه فعل هذا بهذا كما ذكر انه انزل
الماء بالسحاب وانه احيا الارض بالماء والعلماء متفقون على
اثبات حكمة الله في خلقه وامره واثبات الاسباب والقوى كما قد
ذكرنا اقوالهم في موضعها وليس من السلف من انكر كون حركات
الكواكب قد تكون من تمام اسباب الحوادث كما ان الله جعل هبوب
الرياح ونور الشمس والقمر من اسباب الحوادث وقد ثبت في
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشمس
والقمر ايتان من آيات الله لا تتكسبان لموت احد ولا لحياته ولكنهما
ايتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فاذا رايتهما فافزعوا
الى الصلوة

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكسوف بالصلوة
والذكر والدعاء والصدقة والعتاقة والاستغفار وكذلك عند سائر
الآيات التي يخوف الله بها عباده وقوله لا تتكسبان لموت احد
ولا لحياته رد لما كان قد توهمه بعض الناس من ان كسوف
الشمس كان لاجل موت ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم
وكان قد مات وكسفت الشمس فتوهم بعض الجهال من المسلمين
ان الكسوف كان لاجل هذا فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم ان
الكسوف لا يكون سببه موت احد من اهل الارض ونفى بذلك ان
يكون الكسوف معلولا عن ذلك وظنوا ان هذا من جنس اهتزاز
العرش لموت سعد بن معاذ كما ثبت ذلك في الصحيح فنفى النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك وبين ان ذلك من آيات الله التي يخوف
بها عباده والتخويف انما يكون بما يكون سببا للشر قال تعالى
{ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا { الإسراء 59 فلو كان الكسوف
وجوده كعدمه بالنسبة الى الحوادث لم يكن سببا لشر وهو خلاف

نص الرسول وايضا في السير ان النبي صلى الله عليه وسلم
نظر الى القمر وقال لعائشة يا عائشة تعوذني بالله من شر هذا فان
هذا هو الغاسق اذا وقب والاستعاذة انما تكون مما يحدث عنه شر
وامر صلى الله عليه وسلم عند انعقاد اسباب الشر بما يدفع موجبها
بمشيئة الله تعالى وقدرته من الصلوة والدعاء والذكر والاستغفار
والتوبة والاحسان بالصدقة والعناقة فان هذه الاعمال الصالحة
تعارض الشر الذي انعقد سببه كما في الحديث ان الدعاء والبلاء
ليلتقيان بين السماء والارض فيعتلجان وهذا كما لو جاء عدو
فانه يدفع بالدعاء وفعل الخير وبالجهاد له واذا هجم البرد يدفع
باتخاذ الدفء فكذلك الاعمال الصالحة والدعاء وهذا ما اتفق
عليه الملل واساطين الفلاسفة حتى يذكر عن بطليموس انه قال
واعلم ان ضجيج الاصوات في هياكل العبادات بفنون اللغات يحل
ما عقدته الافلاك الدائرات وكسوف الشمس انما يكون وقت
استسرار القمر اخر الشهر وخسوف القمر انما يكون ليالي الابدان
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر كما ان الهلال قد يكون
ليلة الثلاثين او الحادي والثلاثين هذا الذي اجرى الله به عادته في
حركات الشمس والقمر وما ذكره بعض الفقهاء من تقدير
اجتماع الكسوف وصلوة العيد فهذا لم يقله احد من الصحابة ولا
ذكره اكثر العلماء لا احمد ولا غيره ولكن ذكره طائفة من الفقهاء
من اصحاب الشافعي واحمد وغيرهما تبعا لما ذكره الشافعي وانه
رضي الله عنه لما تكلم فيما اذا اجتمع صلوتان كيف يصنع وذكر
انه يقدم ما يفوت على ما لا يفوت ذكر من جملة التقدير صلوة
العيد والكسوف طردا للقاعدة مع اعراضه عن كون ذلك يقع او لا
يقع كما يقدر الفقهاء مسائل كثيرة لطرده القياس مع اعراضهم عن
وقوع ذلك في الوجود بل يقدرون ما يعلمون انه لا يقع عادة
كعشرين جدة وفروع الوصايا فجاء بعض الفقهاء فأخذ يكابر
ويقول ان هذا قد يقع وذكروا عن الواقدي انه قال ابراهيم مات يوم
العاشر وذلك اليوم كسفت الشمس وهذا كله باطل والواقدي ليس
بحجة بالاجماع اذا اسند ما ينقله فكيف اذا كان مقطوعا وقول

القائل انها كسفت يوم العاشر بمنزلة قوله طلع الهلال في عشرين من الشهر لكن هذه عادة ظاهرة يعرفها الناس كلهم وتلك عادة يعرفها من استقراها وعرف اسبابها ومجاري النيرين من الناس التكلم بلا علم في الشرعيات وفي العقليات وضرره فليس لاحد ان يتكلم بلا علم بل يحذر ممن يتكلم في الشرعيات بلا علم وفي العقليات بلا علم فان قوما ارادوا بزعمهم نصر الشرع بعقولهم الناقصة واقيستهم الفاسدة فكان ما فعلوه مما جرا الملحدين اعداء الدين عليه فلا للاسلام نصروا ولا لاعدائه كسروا واقوام يدعون انهم يعرفون العلوم العقلية وانها قد تخالف الشريعة وهم من اجهل الناس بالعقليات والشرعيات واكثر ما عندهم من العقليات امور قلدوا من قالها لو سئلوا عن دليل عقلي يدل عليها لعجزوا عن بيانه والجواب عما يعارضه ثم من العجائب انهم يتركون اتباع الرسل المعصومين الذين لا يقولون الا الحق ويعرضون عن تقليدهم ثم يقلدون في مخالفة ما جاءوا به من يعلمون هم انه ليس بمعصوم وانه قد يخطيء تارة ويصيب اخرى وهؤلاء عندهم امور معلومة من الحسابيات مثل وقت الكسوف والخسوف ومثل كرية الافلاك ووجود السحاب من البخاري ونحو ذلك من الامور الطبيعية والرياضية فيحتجون بها على من يظن انه من اهل الشرع فيسرع ذلك المنتسب الى الشرع برد ما يقولونه بجهله فيكون رد ما قالوه من الحق سببا لتنفيرهم عما جاء به الرسول من الحق بسبب مناظرة هذا الجاهل والله تعالى امرنا ان لا نكذب ولا نكذب بحق وانما مدح سبحانه من يصدق فيتكلم بعلم ويصدق ما يقال له من الحق قال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ } العنكبوت 68 { وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } الزمر 33 وهاتان صفتان لنوع واحد وهو من يجي بالصدق ويصدق بالحق اذا جاءه فهذا هو المحمود عند الله واما من كذب او كذب بما جاءه من الحق فذلك مذموم عند الله تعالى وكذلك قال تعالى { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } الإسراء 36

أي لا تقل ما ليس لك به علم {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً} الإسراء 36 وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالنَّبْغِيَّ بَعْضَ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 وقال تعالى {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً} النجم 28 ومثل هذا متعدد في كتاب الله تعالى ثم ان حركات الافلاك وان كانت من جملة الاسباب فليس الحوادث كلها صادرة عن حركة الفلك بل فوق ذلك من مخلوقات الله امور اخر وملائكة الله الذين يدبر بهم امر السماء والارض وهم {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} النازعات 5 و{فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا} الذاريات 4 التي اقسم الله بها في كتابه³⁵⁷

أخبر الله أنه يفعل بالاسباب

*فإذا كان تبارك وتعالى قد جعل في الجمادات قوى تفعل وقد أضاف الفعل إليها ولم يمنع ذلك أن يكون خالقاً لأفعالها فلأن لا يمنع إضافة الفعل إلى الحيوان وإن كان الله خالقه بطريق الأولى فإن القدرية لا تتنازع في أن الله خالق ما في الجمادات من القوى والحركات وقد أخبر الله أن الأرض تنبت وأن السحاب يحمل الماء كما قال تعالى {فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا} الذاريات 2 والريح تنقل السحاب كما قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ} الأعراف 57 وأخبر أن الريح تدمر كل شيء³⁵⁸

³⁵⁷ الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 270-275

³⁵⁸ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 244

*وقوله تعالى { **حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا** } الأعراف 57 فأخبر أن الرياح تقل السحاب أي تحمله فجعل هذا الجماد فاعلا بطبعه³⁵⁹

*قال تعالى { **وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا** } {48} لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْبِئِي كَثِيرًا } {49} الفرقان 48- 49 وقد أخبر الله في غير موضع انه يجعل حياة بعض مخلوقاته ببعض كما قال تعالى { **لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا** } الفرقان 49 وكما قال { **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ** } الأعراف 57 وكما قال { **وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ** } البقرة 164 فمن قال من اهل الكلام أن الله يفعل هذه الأمور عندها لا بها فعبارته مخالفة لكتاب الله والأمور المشهورة كمن زعم انها مستقلة بالفعل هو مشرك مخالف العقل والدين³⁶⁰

*واما أهل الهدى والفلاح فيؤمنون بأن الله خالق كل شيء وربهم ومليكه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء قدير وأحاط بكل شيء علما وكل شيء أحصاه فى امام مبين ويتضمن هذا الأصل من اثبات علم الله وقدرته ومشينته ووجدانيته وربوبيته وأنه خالق كل شيء وربهم ومليكه ما هو من أصول الايمان ومع هذا فلا ينكرون ما خلقه الله من الأسباب التي يخلق بها المسببات كما قال تعالى { **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } الأعراف 57 وقال تعالى { **يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ** } المائدة 16 وقال تعالى { **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا** } وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } البقرة 26 فأخبر أنه يفعل بالاسباب ومن قال

³⁵⁹ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 192

³⁶⁰ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 183

إنه يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن وأنكر ما خلقه الله من القوى والطبائع وهو شبيهه بإنكار ما خلقه الله من القوى التي في الحيوان التي يفعل الحيوان بها مثل قدرة العبد كما أن من جعلها هي المبدعة لذلك فقد أشرك بالله وأضاف فعله الى غيره وذلك أنه ما من سبب من الأسباب إلا وهو مفتقر الى سبب آخر في حصول مسببه ولا بد من مانع يمنع مقتضاه اذا لم يدفعه الله عنه فليس في الوجود شيء واحد يستقل بفعل شيء اذا شاء الا الله وحده قال تعالى { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الذاريات 49 أى فتعلمون أن خالق الأزواج واحد ولهذا من قال ان الله لا يصدر عنه الا واحد لأن الواحد لا يصدر عنه الا واحد كان جاهلا فإنه ليس في الوجود واحد صدر عنه وحده شيء لا واحد ولا اثنان الا الله الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون فالنار التي خلق الله فيها حرارة لا يحصل الاحراق الا بها وبمحل يقبل الاحتراق فاذا وقعت على السمندل والياقوت ونحوهما لم تحرقهما وقد يطلى الجسم بما يمنع احراقه والشمس التي يكون عنها الشعاع لابد من جسم يقبل انعكاس الشعاع عليه فاذا حصل حاجز من سحاب أو سقف لم يحصل الشعاع تحته وقد بسط هذا فى غير هذا الموضع والمقصود هنا أنه لابد من الايمان بالقدر فإن الايمان بالقدر من تمام التوحيد كما قال ابن عباس هو نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيدة ومن وحد الله وكذب بالقدر نقص توحيدة ولا بد من الايمان بالشرع وهو الايمان بالأمر والنهى والوعد والوعيد كما بعث الله بذلك رسله وأنزل كتبه³⁶¹

* ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسبابا أو أن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد إقتران عادي كإقتران الدليل بالمدلول فقد جحد ما في خلق

³⁶¹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 113

الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل ولم يجعل في العين قوة
تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا في القلب قوة يمتاز بها عن
الرجل يعقل بها ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها
وهؤلاء ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز
قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس في إبطال الأسباب والقوى
والطبائع فأضحكوا العقلاء على عقولهم ومن الناس من ينكر
القوى والطبائع كما هو قول أبي الحسن ومن اتبعه من أصحاب
مالك والشافعي وأحمد وغيرهم وهؤلاء المنكرون للقوى والطبائع
ينكرون الأسباب أيضا ويقولون ان الله يفعل عندها لا بها فيقولون
ان الله لا يشبع بالخبز ولا يروى بالماء ولا ينبت الزرع بالماء بل
يفعل عنده لا به ولا ينبغي للإنسان أن يقول أنه شبع بالخبز وروى
بالماء بل يقول شبعته عنده ورويت عنده فإن الله يخلق الشبع
والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقترنات بها عادة لا بها
وهؤلاء خالفوا الكتاب والسنة واجماع السلف مع مخالفة صريح
العقل والحس فان الله قال في كتابه { **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا
بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَتَ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ
المَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ** } الأعراف 57 فأخبر أنه ينزل الماء بالسحاب ويخرج
الثمر بالماء وقال تعالى { **وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا
بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا** } البقرة 164 وقال تعالى { **فَاتَلَوْهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللهُ
بِأَيْدِيكُمْ** } التوبة 14 وقال { **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى
الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ
بِأَيْدِينَا** } التوبة 52 وقال { **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا
بِهِ جَنَاتٍ وَحَبَّ الصَّيِّدِ** } ق 9 وقال تعالى { **وَهُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ** } الأنعام 99 وقال
تعالى { **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ
مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا** } فاطر 27 وقال تعالى { **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ** } 10 { **يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ
الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ** } 11

النحل 10-11 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا
 {البقرة 26 إلى قوله} يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا {البقرة 26
 وقال { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ {15} } يَهْدِي بِهِ اللَّهُ
 مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ {16} {المائدة 15-16} ومثل هذا في
 القرآن كثير وكذلك في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
 كقوله لا يموتن أحد منكم إلا آذنتموني به حتى أصلي عليه فإن
 الله جعل بصلاتي عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم
 إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن الله جاعل بصلاتي
 عليهم نورا ومثل هذا كثير والناس يعلمون بحسهم وعقلهم أن
 بعض الأشياء سبب لبعض كما يعلمون أن الشبع يحصل بالأكل لا
 بالعد ويحصل بأكل الطعام لا بأكل الحصى وأن الماء سبب لحياة
 النبات والحيوان كما قال {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا
 {الأنبياء 30} وان الحيوان يروى بشرب الماء لا بالمشي ومثل ذلك
 كثير ولبسط هذه المسائل موضع آخر

ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الأسباب المقدره في خلق الله من أبطل
 الأسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون أن ما يحصل
 بالدعاء والأعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدرًا
 حصل بدون ذلك وإن لم يكن مقدرًا لم يحصل بذلك منهم يتركون
 الأسباب الدنيوية ويجعلون وجود السبب كعدمه ومنهم قوم
 يتركون الأسباب الأخروية فيقولون إن سبق العلم والحكم أنا سعادة
 فنحن سعادة وإن سبق أنا أشقياء فنحن أشقياء فلا فائدة في العمل
 ومنهم من يترك الدعاء بناء على هذا الأصل الفاسد ولا ريب أن
 هذا الأصل الفاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة
 الدين ومخالف لصريح المعقول ومخالف للحس والمشاهدة وقد
 سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن إسقاط الأسباب نظرًا إلى القدر
 فرد ذلك كما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
 ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا
 يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل
 ميسر لما خلق له وفي الصحيح أيضا أنه قيل له يا رسول الله

أرأيت ما يكدر الناس فيه اليوم ويعملون أشيء قضى عليهم
ومضى أم فيما يستقبلون مما أتاهم فيه الحجة فقال بل شيء قضى
عليهم ومضى فيهم قالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على
كتابنا فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أرأيت أدوية تتداوى بها
ورقى نسترقى بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي
من قدر الله وقد قال تعالى في كتابه { **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ
فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } الأعراف 57 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال لسعد عسى أن تخلف فينتفع بك أقوام ويضر بك
آخرون فكيف يمكن أن يشهد أن الله لم ينصب على توحيدِهِ دليلاً
ولا جعل للنجاة من عذابه وسيلة ولا جعل لما يفعله المتوكل من
عباده سبباً وهو مسبب الأسباب وخالق كل شيء بسبب منه لكن
الأسباب كما قال فيها أبو حامد وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهما
الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون
أسباباً تغيير في وجه العقل والأعراض عن الأسباب بالكلية قدح
في الشرع والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سبباً
لهذا فإذا قال القائل إن كان هذا مقدرًا حصل بدون السبب وإلا لم
يحصل جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدرًا بدون السبب كما قال
النبي **إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم
وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم** وقال
اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر
لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل
الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال
حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق **إن أحدكم يجمع خلقه
في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون
مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال
أكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح قال**

فالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون
 بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار
 فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها
 إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين
 أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمله ويختم له به وهذا يدخل النار
 بالعمل الذي يعمله ويختم له به كما قال صلى الله عليه وسلم
 إنما الأعمال بالخواتيم وذلك لأن جميع الحسنات تحبط بالردة و
 جميع السيئات تغفر بالتوبة و نظير ذلك من صام ثم أفطر قبل
 الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة بطل عمله و
 بالجملة فالذي عليه سلف الأمة و أئمتها ما بعث الله به رسله و
 أنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره و شرعه بحكمه الكوني
 و حكمه الديني و إرادته الكونية و الدينية كما قال في الآية الأولى
 { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ
 يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمَا يصَعَّدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125
 و قال نوح عليه السلام { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ
 لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } هود 34 و قال تعالى في الإرادة
 الدينية { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 و
 قال { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ
 عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } النساء 26 و قال { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ
 عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } المائدة 6
 و هم مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء وربه وملكه و أنه خلق
 الأشياء بقدرته و مشيئته يقرون بأنه لا إله إلا هو لا يستحق العبادة
 غيره و يطيعونه و يطيعون رسله و يحبونه و يرجونه و يخشونه
 و يتكلمون عليه و ينيبون اليه و يوالون أوليائه و يعادون أعداءه
 و يقرون بمحبته لما أمر به و لعباده المؤمنين و رضاه بذلك و
 بغضه لما أنهى عنه و للكافرين و سخطه لذلك و مقتله له و يقرون
 بما إستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن الله أشد
 فرحاً بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة
 عليها طعامه و شرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما

استيقظ إذا بدابته عليها طعامه و شرابه فانه أشد فرحاً بت و به
عده من هذا براحتة فهو إلههم الذي يعبدونه و ربهم الذي
يسألونه كما قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {2} الفاتحة إلى
قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {5} الفاتحة 5 فهو المعبود المستعان
والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما
يحب كل محب محبوبه³⁶²

* وفي خطبة النبي الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من
شروور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فجمع بين حمده والاستعانة
به والإستغفار له فقد تبين أن الإلتفات الى الأسباب شرك في
التوحيد وهو ظلم وجهل وهذه حال من دعا غير الله وتوكل عليه
وأما قولهم محو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل فهو كذلك
وهو طعن في الشرع أيضا فإن كثيرا من أهل الكلام أنكروا
الأسباب بالكلية وجعلوا وجودها كعدمها كما أن أولئك الطبيعيين
جعلوها عللا مقتضية وكما أن المعتزلة فرقوا بين أفعال الحيوان
وغيرها والأقول الثلاثة باطلة فإن الله يقول { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتَاهُ لِبَلَدٍ
مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ } {الأعراف 57
وأمثال ذلك فمن قال يفعل عندها لآبها فقد خالف لفظ القرآن مع أن
الحس والعقل يشهد أنها أسباب ويعلم الفرق بين الجبهة وبين العين
في إختصاص أحدهما بقوة ليست في الآخر وبين الخبز والحصى
في أن أحدهما يحصل به الغذاء دون الآخر وأما قولهم
الإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع بل هو أيضا قدح
في العقل فإن أفعال العباد من أقوى الأسباب لما نيظ بها فمن جعل
الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أو يجعل
المتقين كالفجار فهو من أعظم الناس جهلا وأشدهم كفرا بل ما أمر

³⁶² مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 288 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 137-141 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 81 و منهاج السنة

الله به من العبادات والدعوات والعلوم والأعمال من أعظم الأسباب فيما نيظ بها من العبادات وكذلك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان هي من أعظم الأسباب لما علق بها من الشقاوات ومع هذا فقد قال خير الخلق أنه لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يارسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل ولما قال لهم ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعدة من النار قالوا يارسول الله أفلا نتكل على الكتاب وندع العمل قال لا إعملوا فكل ميسر لما خلق له إما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وكذلك الدعاء والتوكل من أعظم الأسباب لما جعله الله سببا له فمن قال ما قدر لي فهو يحصل لي دعوت أو لم أدع وتوكلت أو لم أتوكل فهو بمنزلة من يقول ما قسم لي من السعادة والشقاوة فهو يحصل لي آمنت أو لم أو من وأطعت أم عصيت ومعلوم أن هذا ضلال وكفر وأن كان الأول ليس مثل هذا في الضلال إذ ليس تعليق المقاصد بالدعاء والتوكل كتعليق سعادة الآخرة بالإيمان لكن لا ريب أن ما جعل الله سببا له بمنزلة ما جعل العمل الصالح سببا له وهو قادر على أن يفعله سبحانه بدون هذا السبب وقد يفعله بسبب آخر وكذلك من ترك الأسباب المشروعة المأمور بها أمر إيجاب أوامر إستحباب من جلب المنافع أو دفع المضار قاده في الشرع خارج عن العقل ومن هنا غلطوا في ترك الأسباب المأمور بها وظنوا أن هذا من تمام التوكل والتوكل مقرون بالعبادة في قوله { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } {هود 123} والعبادة فعل المأمور فمن ترك العبادة المأمور بها وتوكل لم يكن أحسن حالا ممن عبده ولم يتوكل عليه بل كلاهما عاص الله تارك لبعض ما أمر به³⁶³

الاستدلال على امكان المعاد بخلق النبات

*وليس كل ما فرضه الذهن أمكن وجوده في الخارج وهذا الذى يسمى الامكان الذهني فان الامكان على وجهين ذهني وهو ان يعرض الشئ على الذهن فلا يعلم امتناعه بل يقول يمكن هذا لا لعلمه بإمكانه بل لعدم علمه بامتناعه مع ان ذلك الشئ قد يكون ممتعا في الخارج و خارجي وهو ان يعلم امكان الشئ في الخارج وهذا يكون بأن يعلم وجوده في الخارج او وجود نظيره او وجوده ما هو ابعد عن الوجود منه فاذا كان الابدع عن قبول الوجود موجودا ممكن الوجود فالأقرب الى الوجود منه أولى وهذه طريقة القرآن فى بيان امكان المعاد فقد بين ذلك بهذه الطريقة فتارة يخبر عن اماتهم ثم احياهم كما اخبر عن قوم موسى الذين قالوا { لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً } البقرة 55 قال { فَأَخَذْتَكُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ } {55} ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } {56} البقرة 55- 56 وعن { الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ } البقرة 243 وعن { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوسِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ } البقرة 259 وعن ابراهيم اذ قال { رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى } البقرة 260 القصة وكما اخبر عن المسيح انه كان يحيى الموتى باذن الله وعن اصحاب الكهف انهم بعثوا بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنين وتارة يستدل على ذلك بالنشأة الاولى فان الاعادة اهون من الابتداء كما فى قوله { إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ثَرَابٍ } الحج 5 الآية وقوله { قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } يس 79 { قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } الإسراء 51 { وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ } الروم 27 وتارة يستدل على ذلك بخلق السموات والارض فإن خلقهما اعظم

من اعادة الانسان كما فى قوله { أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ
{الأحقاف33 وتارة يستدل على امكانه بخلق النبات كما فى
قوله كما فى قوله { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ
رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتَ بِهِ السُّفُنَاءُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
{الأعراف57 وكما فى قوله { وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ
النُّشُورُ {فاطر9 فقد تبين ان ما عند أئمة النظر اهل الكلام
والفلسفة من الدلائل العقلية على المطالب الالهية فقد جاء القرآن
الكريم بما فيها من الحق وما هو ابلغ واكمل منها على احس وجه
مع تنزهه عن الاغاليط الكثيرة الموجودة عند هؤلاء فان خطأهم
فيها كثيرا جدا ولعل ضلالهم اكثر من هداهم وجهلهم أكثر من
علمهم ولهذا قال ابو عبد الله الرازي فى آخر عمره فى كتابه
اقسام الذات لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما
رأيتها تشفى عيلا ولا تروى غليلا ورأيت اقرب الطرق طريقة
القرآن اقرأ فى الاثبات { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه5
{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } فاطر10 وقرأ فى النفى { لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } الشورى11 { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا
يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } طه110 ومن جرب مثل تجربتى عرف مثل
معرفةتى³⁶⁴

الأجسام تنقلب من حال إلى حال

* والقول الذي عليه السلف و جمهور العقلاء من أن الأجسام
تنقلب من حال إلى حال إنما يذكره عن الفلاسفة و الأطباء و هذا
القول و هو القول فى خلق الله للأجسام التى يشاهد حدوثها أنه
يقبلها و يحيلها من جسم إلى جسم هو الذي عليه السلف و الفقهاء

³⁶⁴ مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 224 و الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 321

قاطبة و الجمهور و لهذا يقول الفقهاء فى النجاسة هل تطهر بالإستحالة أم لا كما تستحيل العذرة رمادا و الخنزير و غيره ملحا و نحو ذلك و المنى الذى فى الرحم يقبله الله علقه ثم مضغة و كذلك الثمر يخلق بقلب المادة التى يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء و الماء الذى نزل عليها غير ذلك من المواد التى يقبلها ثمرة بمشيتها و قدرته و كذلك الحبة يلقها و هكذا تتقلب المواد التى يخلقها منها سنبله و شجرة و غير ذلك و هكذا خلقه لما يخلقه سبحانه و تعالى كما خلق آدم من الطين فقلب حقيقة الطين فجعلها عظما و لحما و غير ذلك من أجزاء البدن و كذلك المضغة يقبلها عظاما و غير عظام قال الله تعالى { وَاقْدُ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ {13} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَنَيْنَا اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ {14} ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ {15} } ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ {16} } المؤمنون 12-16 و كذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا كما قال تعالى { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا } يس 80 فنفس تلك الأجزاء التى خرجت من الشجر الأخضر جعلها الله نارا من غير أن يكون كان فى الشجر الأخضر نار أصلا كما لم يكن فى الشجرة ثمرة أصلا و لا كان فى بطن المرأة جنين أصلا بل خلق هذا الموجود من مادة غيره بقلبه تلك المادة إلى هذا و بما ضمه إلى هذا من مواد آخر و كذلك الإعادة يعيده بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ابن آدم و منه يركب وهو إذا أعاد الإنسان فى النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة لهذه فإن هذه كائنة فاسدة و تلك كائنة لا فاسدة بل باقية دائمة و ليس لأهل الجنة فضلات فاسدة تخرج منهم كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال أهل الجنة لا يبولون و لا يتغوطون و لا و لا يبصقون و لا يتمخطون و إنما هو رشح

كرشح المسك و في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا ثم قرأ {ي كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَ عَدَا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} {الأنبياء 104} فهم يعودون غلفا لا مختونين وقال الحسن البصري و مجاهد كما بدأكم فخلقكم في الدنيا و لم تكونوا شيئا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء و قال قتادة بدأهم من التراب و إلى التراب يعودون كما قال تعالى {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَ فِيهَا نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} طه 55 و قال {قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ} الأعراف 25 و هو قد شبه سبحانه إعادة الناس في النشأة الأخرى بإحياء الأرض بعد موتها في غير موضع كقوله و {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {الأعراف 57} و قال {وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَا وَ آفَقِينَ فِيهَا رَوَّاسِي} {ق 7} إلى قوله {وَ أَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} {ق 11} و قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَ غَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَّنْ يُّتَوَفَّىٰ وَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَ تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} {5} ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {6} {الحج 5} - 6 و قال تعالى {وَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} {فاطر 9} و هو سبحانه مع إخباره أنه يعيد الخلق و أنه يحيى العظام و هي رميم و أنه يخرج الناس من الأرض تارة أخرى هو يخبر أن المعاد هو المبدأ كقوله تعالى {وَ هُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} {الروم 27} و يخبر أن الثاني مثل الأول كقوله تعالى {وَ قَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا} {98} أولم

يَرَوُا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ
مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لَا رَيْبَ فِيهِ {99} الاسراء 98-99 و قال
تعالى { وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَا نَلْمَعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا {49} قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا {50} أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي
صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ
قَرِيبًا {51} يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَبِئْتُمْ إِلَّا
قَلِيلًا {52} الاسراء 49-52 و قال تعالى { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ
الْعَلِيمُ {يس 81} و قال تعالى { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى
بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {الأحقاف 33} و قال { أَفَرَأَيْتُمْ مَا
تُمْنُونَ {58} أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ {59} نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ
الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ {60} عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي
مَا لَا تَعْلَمُونَ {61} وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ {62} }
الواقعة 58-62 و المراد بقدرته على خلق مثلهم هو قدرته على
إعادتهم كما أخبر بذلك في قوله { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى
{الأحقاف 33} فإن القوم ما كانوا ينازعون في أن الله يخلق في
هذه الدار ناساً أمثالهم فإن هذا هو الواقع المشاهد يخلق قرناً بعد
قرن يخلق الولد من الوالدين و هذه هي النشأة الأولى و قد علموها
و بها احتج عليهم على قدرته على النشأة الآخرة كما قال { وَلَقَدْ
عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ { الواقعة 62} و قال
{ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ
{78} قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ {79} }
يس 78-79 و قال { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ
فَأِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ
وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لُّنُبِّينَ لَكُمْ {الحج 5} و لهذا قال { عَلَى أَنْ
نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ { الواقعة 61} قال

الحسن بن الفضل البجلي الذي عندي في هذه الآية }
وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ {61} وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى {62}
الواقعة 61-62 أي أخلقكم للبعث بعد الموت من حيث لا تعلمون
كيف شئتم و ذلك أنكم علمتم النشأة الأولى كيف كانت في بطون
الأمهات و ليست الأخرى كذلك و معلوم أن النشأة الأولى كان
الإنسان نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة ثم ينفخ فيه الروح و تلك
النطفة من منى الرجل و المرأة و هو يعذبه بدم الطمث الذي يربي
به الجنين في ظلمات ثلاث ظلمة المشيمة و ظلمة الرحم و ظلمة
البطن و النشأة الثانية لا يكونون في بطن امرأة و لا يغذون بدوم و
لا يكون أحدهم نطفة رجل و امرأة ثم يصير علقة بل ينشئون نشأة
أخرى و تكون المادة من التراب كما قال { مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى } طه 55 و قال تعالى { فِيهَا
تَحْيَوْنَ وَ فِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا نُخْرِجُكُمْ } الأعراف 25 { وَ اللَّهُ أُنْبِتُكُمْ
مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا } {17} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

إِخْرَاجًا {18} نوح 17-18 و في الحديث أن الأرض تمطر
مطرا كمنى الرجال ينبتون في القبور كما ينبت النبات كما قال
تعالى { كَذَلِكَ الْخُرُوجُ } ق 11 { كَذَلِكَ النُّشُورُ } فاطر 9 {
كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 فعلم أن
النشأتين نوعان تحت جنس يتفقان و يتماثلان و يتشابهان من وجه
و يفترقان و يتنوعان من وجه آخر و لهذا جعل المعاد هو المبدأ و
جعل مثله أيضا فباعتبار إتفاق المبدأ و المعاد فهو هو و بإعتبار ما
بين النشأتين من الفرق فهو مثله و هكذا كل ما أعيد فلفظ الإعادة
يقضي المبدأ و المعاد سواء في ذلك إعادة الأجسام و الأعراض
كإعادة الصلاة و غيرها فإن النبي صلى الله عليه و سلم مر برجل
يصلي خلف الصف وحده فأمره أن يعيد الصلاة و يقال للرجل أعد
كلامك و فلان قد أعاد كلام فلان بعينه و يعيد الدرس فالكلام هو
الكلام و إن كان صوت الثاني غير صوت الأول و حركته و لا
يطلق القول عليه أنه مثله بل قد قال تعالى { قُلْ لئن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } الإسراء 88

و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا وإن كان يسمى مثلا مقيدا حتى يقال لمن حكى كلام غيره هكذا قال فلان أي مثل هذا قال و يقال فعل هذا عودا على بدء إذا فعله مرة ثانية بعد أولى و منه البئر البدي و البئر العادي فالبدي التي ابتدئت و العادي التي أعيدت و ليست بنسبة إلى عاد كما قيل و يقال إستعدته الشيء فأعاده إذا سألته ان يفعله مرة ثانية و منه سميت العادة يقال عادة و إعتاده و تعوده أي صار عادة له و عود كلبه الصيد فتعوده و هو المعاودة و المعاودة الرجوع إلى الأمر الأول و يقال الشجاع معاود لأنه لا يمل المراس و عاودته الحمى و عاوده بالمسألة أي سأله مرة بعد مرة و تعاود القوم في الحرب و غيرها إذا عاد كل فريق إلى صاحبه و العواد بالضم ما أعيد من الطعام بعد ما أكل منه مرة أخرى و عواد بمعنى عد مثل نزال بمعنى أنزل ففي جميع هذه المواضع يستعمل لفظ الإعادة بإعتبار الحقيقة فإن الحقيقة الموجودة فى المرة الثانية هي الأولى و إن تعدد الشخص و لهذا يقال هو مثله و يقال هذا هو هذا و كلاهما صحيح و أعني بالحقيقة الأمر الذي يختص بذلك الشخص ليس المراد القدر المشترك بين الفاعلين فإن من فعل مثل فعل غيره لا يقال أعاده و إنما يقال حاكاه و شابهه بخلاف ما إذا فعلا ثانيا مثل ما فعل أولا فإنه يقال أعاد فعله و كذلك يقال لمن أعاد كلام غيره قد أعاده و لا يقال لمن أنشأ مثله قد أعاده و يقال قريء على هذا و أعاد على هذا و هذا يقرأ أي يدرس و هذا يعيد و لو كان كلاما آخر مما يماثله لم يقل فيه يعيد و كذلك من كسر خاتما أو غيره من المصوغ يقال أعده كما كان و يقال من هدم دارا أعدها كما كانت بخلاف من أنشأ أخرى مثلها فإن هذا لا يسمى معيدا و المعاد يقال فيه هذا هو الأول بعينه و يقال هذا مثل الأول من كل وجه و نحو ذلك من العبارات الدالة على أنه هو من وجه و هو مثله من وجه و بهذا تزول الشبهات الواردة على هذا الموضع كقول من قال الإعادة لا تكون إلا مع إعادة ذلك الزمان و نحو ذلك مما يمنع إعادته فى صريح العقل و إنما يعاد بالإتيان بمثله و إن قال بعض

المتكلمين أنه لا مغايرة أصلا بوجه من الوجوه و الإعادة التي أخبر الله بها هي الإعادة المعقولة في هذا الخطاب و هي الإعادة التي فهمها المشركون و المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هي التي يدل عليها لفظ الإعادة و المعاد هو الأول بعينه و إن كان بين لوازم الإعادة و لوازم البدأة فرق فذلك الفرق لا يمنع أن يكون قد أعيد الأول ليس الجسد الثاني مباينا للأول من كل و جه كما زعم بعضهم و لا أن النشأة الثانية كالأولى من كل و جه كما ظن بعضهم و كما إنه سبحانه خلق الإنسان و لم يكن شيئا كذلك يعيده بعد أن لم يكن شيئا و على هذا فالإنسان الذي صار ترابا و نبت من ذلك التراب نبات آخر أكله إنسان آخر و هلم جرا و الإنسان الذي أكله إنسان أو حيوان و أكل ذلك الحيوان إنسانا آخر ففي هذا كله قد عدم هذا الإنسان و هذا الإنسان و صار كل منهما ترابا كما كان قبل أن يخلق ثم يعاد هذا و يعاد هذا من التراب و إنما يبقى عجب الذنب منه خلق و منه يركب و أما سائره فعدم فيعاد من المادة التي إستحال إليها فإذا إستحال في القبر الواحد ألف ميت و صاروا كلهم ترابا فإنهم يعادون و يقومون من ذلك القبر و ينشئهم الله تعالى بعد أن كانوا عدما محضا كما أنشأهم أولا بعد أن كانوا عدما محضا و إذا صار ألف إنسان ترابا في قبر أنشأ هؤلاء من ذلك القبر من غير أن يحتاج أن يخلقهم كما خلقهم في النشأة الأولى التي خلقهم منها من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة و جعل نشأتهم بما يستحيل إلى أبدانهم من الطعام و الشراب كما يستحيل إلى بدن أحدهم ما يأكله من نبات و حيوان و كذلك لو أكل إنسانا أو أكل حيوانا قد أكل إنسانا فالنشأة الثانية لا يخلقهم فيها بمثل هذه الإستحالة بل يعيد الأجساد من غير أن ينقلهم من نطفة إلى علقة إلى مضغة و من غير أن يغذوها بدم الطمث و من غير أن يغذوها بلبن الأم و بسائر ما يأكله من الطعام و الشراب فمن ظن أن الإعادة تحتاج إلى إعادة الأغذية التي إستحالت إلي أبدانهم فقد غلط و حينئذ فإذا أكل إنسانا إنسانا فإنما صار غذاء له كسائر الأغذية و هو لا يحتاج إلى إعادة

الأغذية و معلوم أن الغذاء ينزل إلى المعدة طعاما و شرابا ثم يصير كلوسا كالثرده ثم كيموسا كالحريرة ثم ينطبخ دما فيقسمه الله تعالى في البدن كله و يأخذ كل جزء من البدن نصيبه فيستحيل الدم إلى شبيه ذلك الجزء العظم عظما و اللحم لحما و العرق عرقا و هذا في الرزق كإستحالتهم في مبدأ الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة و كما أنه سبحانه لا يحتاج في الإعادة إلى أن يحيل أحدهم نطفة ثم علقة ثم مضغة فكذلك أغذيتهم لا يحتاج أن يجعلها خبزا و فاكهة و لحما ثم يجعلها كلوسا و كيموسا ثم دما ثم عظما و لحما و عروقا بل يعيد هذا البدن على صفة أخرى لنشأة ثانية ليست مثل هذه النشأة كما قال { وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ } الواقعة 61 و لا يحتاج مع ذلك إلى شيء من هذه الإستحالات التي كانت في النشأة الأولى و بهذا يظهر الجواب عن قوله البدن دائما في التحلل فإن تحلل البدن ليس بأعجب من إنقلاب النطفة علقة و العلقة مضغة و حقيقة كل منهما خلاف حقيقة الأخرى و أما البدن المتحلل فالأجزاء الثانية تشابه الأولى و تماثلها و إذا كان في الإعادة لا يحتاج إلى إنقلابه من حقيقة إلى حقيقة فكيف بإنقلابه بسبب التحلل و معلوم أن من رأي شخصا و هو شاب ثم رآه و هو شيخ علم أن هذا هو ذاك مع هذه الإستحالة و كذلك سائر الحيوان و النبات كمن غاب عن شجرة مدة ثم جاء فوجدها علم أن هذه هي الأولى مع أن التحلل و الإستحالة ثابت في سائر الحيوان و النبات كما هو في بدن الإنسان و لا يحتاج عاقل في إعتقاده أن هذه الشجرة هي الأولى و أن هذه الفرس هي التي كانت عنده من سنين و لا أن هذا الإنسان هو الذي رآه من عشرين سنة إلى أن يقدر بقاء أجزاء أصلية لم تتحلل و لا يخطر هذا ببال أحد و لا و لا يقتصر العقلاء في قولهم هذا هو ذاك على تلك الأجزاء التي لا تعرف و لا تتميز عن غيرها بل إنما يشيرون إلى جملة الشجرة و الفرس و الإنسان مع أنه قد يكون كان صغيرا فكبر و لا يقال إنما كان هو ذاك بإعتبار أن النفس الناطقة و احدة كما زعمه من إدعى أن البدن الثاني ليس هو ذاك الأول و لكن المقصود جزاء النفس بنعيم أو

عذاب ففي أي بدن كانت حصل المقصود فإن هذا أيضا باطل
مخالف للكتاب و السنة و إجماع السلف مخالف للمعقول من
الإعادة فإننا قد ذكرنا أن العقلاء كلهم يقولون هذا الفرس
هو ذاك و هذه الشجرة هي تلك التي كانت من سنين مع علم
العقلاء أن النبات ليس له نفس ناطقة تفارقه و تقوم بذاتها و كذلك
يقولون مثل هذا في الحيوان و في الإنسان مع أنه لم يخطر بقلوبهم
أن المشار إليه بهذا و ذاك نفس مفارقة بل قد لا يخطر هذا بقلوبهم
فدل على أن العقلاء كانوا يعلمون أن هذا البدن هو ذاك مع وجود
الإستحالة و علم بذلك أن ما ذكر من الإستحالة لا ينافي أن يكون
البدن الذي يعاد في النشأة الثانية هو هذا البدن و لهذا يشهد البدن
المعاد بما عمل في الدنيا كما قال تعالى {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ
وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} يس65 و قال
تعالى { حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 20 { وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا
قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ} 21 { فصلت 21-22³⁶⁵

البر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر

*وأصل الزكاة الزيادة في الخير ومنه يقال زكا الزرع وزكا المال
إذا نما ولن ينمو الخير الا بترك الشر والزرع لا يزكو حتى يزال
عنه الدغل فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما
يناقضها ولا يكون الرجل متزكيا الا مع ترك الشر فإنه يندس
النفس ويدسيها قال الزجاج دساها جعلها ذليلة حقيرة خسيصة وقال
الفراء دساها لأن البخيل يخفي نفسه ومنزله وماله قال ابن قتيبة أي
أخفاها بالفجور والمعصية فالفاجر دس نفسه أي قمعها وخباها
وصانع المعروف شهر نفسه ورفعها وكانت أجواد العرب تنزل
الربى لتشهر أنفسها واللئام تنزل الأطراف والوديان فالبر والتقوى

³⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 249-259

يبسط النفس ويشرح الصدر بحيث يجد الانسان في نفسه اتساعا وبساطا عما كان عليه قبل ذلك فإنه لما اتسع بالبر والتقوى والاحسان بسطه الله وشرح صدره والفجور والبخل يقمع النفس ويضعها ويهينها بحيث يجد البخيل في نفسه أنه ضيق وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث الصحيح فقال مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت أيديهما الى تراقبهما فجعل المتصدق كلما هم بصدقة اتسعت وانبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بإصبعه في جيبه فلو رأيتها يوسعها فلا تتسع أخرجاه وإخفاء المنزل وإظهاره تبعا لذلك قال تعالى {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} النحل 59 {النحل 59 الآية فهكذا النفس البخيلة الفاجرة قد دسها صاحبها في بدنه بعضها في بعض ولهذا وقت الموت تنزع من بدنه كما ينزع السفود من الصوف المبتل والنفس البرة التقية النقية التي قد زكاها صاحبها فارتفعت واتسعت ومجدت ونبلت فوقت الموت تخرج من البدن تسيل كالقطرة من في السقاء وكالشعرة من العجين قال ابن عباس ان للحسنة أنورا في القلب وضياء في الوجه وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه وهونا في البدن وضيقا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق قال تعالى {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} الأعراف 58 وهذا مثل البخيل والمنفق قال {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 الآية وقال {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ

مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ
يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ {البقرة 257 الآية 366}

لطائف لغوية

1- فإن انتفاء الخوف علة تقتضى انتفاء ما يخافه ولهذا قال قال تعالى { **فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** } {الأعراف 35} لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم وان كانوا يخافون الله ونفى عنهم أن يحزنوا لان الحزن انما يكون على ماض فهم لا يحزنون بحال لا فى القبر ولا فى عرصات القيامة بخلاف الخوف فانه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم فى الباطن كما قال تعالى { **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** } {62} {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} {63} {يونس 62- 63} ³⁶⁷

2- و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { **قَالُوا أَيَّنَّ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ** } {الأعراف 37} ³⁶⁸

3- قال تعالى { **قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ** } {الأعراف 38} عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمداً أو جهلاً ولزم أن يكون معذباً كقوله { **إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ** } {69} {فَهُمْ عَلَىٰ

³⁶⁶ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 629- 637 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 63

³⁶⁷ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 271

³⁶⁸ شرح العمدة ج: 4 ص: 28

أَثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {71} الصافات 69-71 وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لُعْنًا كَبِيرًا} {68} الأحزاب 67-68 وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفى قوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} القمر 47³⁶⁹

4- قال تعالى {وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} {الأعراف 39} أن الكسب هو الفعل الذى يعود على فاعله بنفع أو ضرر كما قال تعالى {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 فبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك³⁷⁰

5- قال تعالى {لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} {الأعراف 40} ان الجنة هي الدار الجامعة لكل نعيم واعلى ما فيها النظر الى وجه الله وهو من النعيم الذى ينالونه فى الجنة كما اخبرت به النصوص وكذلك اهل النار فانهم محجوبون عن ربهم يدخلون النار³⁷¹

6- قوله تعالى {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} {الأعراف 43} فيقال النهر كالقرية والميزاب كما يستعمل لفظ القرية تارة فى السكان فى مثل قوله {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا} يوسف 82 وتارة فى المساكن ونحو ذلك يراد به الحال ويراد به

³⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

³⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

³⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

المحل فاذا قيل حفر النهر أريد به المحل واذا قيل جرى النهر أريد به
الحال³⁷²

7- عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ
الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به
جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله { اِهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به
جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم
يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل
الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن
ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما
بالاجتناب كما فى قوله { وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
} الأنعام 87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِّلْأَنْعَمِ اجْتِنَابَهُ
وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن
يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين
الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه
هذا وهذا³⁷³

8- الأذان مصدر أذن يؤذن تأذينا و أذانا و إيذانا و هو الإعلام
الرفيع المدرك بالسمع و منه قوله تعالى { فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ
} الأعراف 44³⁷⁴

9- قال تعالى { الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ } الأعراف 45 وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

³⁷² مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 464

³⁷³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

³⁷⁴ شرح العمدة ج: 4 ص: 95

كثيراً مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ { التوبة 34 } يصدون يستعمل لازما يقال صد
صدودا أ عرض كقوله { رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً
{ النساء 61 } ويقال صد غيره يصده والوصفان يجتمعان فيهم ³⁷⁵

10- أن لفظ مع في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة
والاقتران ولا تدل على أن الأول مختلط بالثاني في عامة موارد
الإستعمال كقوله تعالى { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
{ الفتح 29 } لم يرد أن ذواتهم مختلطة بذاته وقوله { وَإِذَا
صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ { الأعراف 47 } ³⁷⁶

11- قال تعالى { أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَفْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } { الأعراف 49 } فإن انتفاء
الخوف علة تقتضى انتفاء ما يخافه ولهذا قال { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } { البقرة 62 } لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم
وان كانوا يخافون الله ونفى عنهم أن يحزنوا لان الحزن انما يكون
على ماض فهم لا يحزنون بحال لا فى القبر ولا فى عرصات
القيامة بخلاف الخوف فانه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا
خوف عليهم فى الباطن كما قال تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } { 62 } { الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا
يَتَّقُونَ } { 63 } { يونس 62-63 } ³⁷⁷

12- قال تعالى { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِعِبَاءً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
يَجْحَدُونَ } { 51 } { وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } { 52 } { الأعراف 51-52 } الدين هو التعاهد والتعاقد

³⁷⁵ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 61 و مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 42

³⁷⁶ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 390

³⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 271

وإذا كان كذلك فالأمور التي يحتاجون إليها يحتاجون أن يوجبوها علي أنفسهم والأمور التي تضرهم يحتاجون أن يحرموها علي نفوسهم وذلك دينهم وذلك لا يكون إلا باتفاقهم علي ذلك وهو التعاهد والتعاقد - ولهذا جاء في الحديث لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بني آدم من التزام واجبات ومحرمات وهو الوفاء والعهد وهذا قد يكون باطلا فاسدا إذا كان فيه مضرة لهم راجحة علي منفعته وقد يكون دين حق إذا كانت منفعة خاصة أو راجحة كما قال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} {1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6} الكافرون 1-6 وقال تعالى {مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ} يوسف 76 وقال تعالى {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} التوبة 29 الدين الحق هو طاعة الله وعبادته³⁷⁸

13- قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الاعراف 52 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة³⁷⁹

14- قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الاعراف 52 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتفريد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين

³⁷⁸قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 36-40

³⁷⁹مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43
وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن
الهدى اما بالاجتناب كما فى قوله { وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ
وَهَذَا } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين
الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه
هذا وهذا³⁸⁰

15- قال تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ
فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } الأعراف 53 لفظ التأويل فى كتاب
الله يراد به ما يؤول إليه الكلام وإن وافق ظاهره ومنه تأويل
الرؤيا كقول يوسف الصديق { وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا
لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا
وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ
أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } يوسف 100³⁸¹

16- قال تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ
فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } الأعراف 53 عامة الأسماء يتنوع
مسماهما بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من

³⁸⁰ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

³⁸¹ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 73

ضل عن الهدى سواء كان عمداً أو جهلاً ولزم أن يكون معذبا
 كقوله {إِنَّهُمْ أَقْبَوْا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ} {69} فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ
 يُهْرَعُونَ} {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} {71} الصافات 69 -
 71 وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
 السَّبِيلَا} {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا
 كَبِيرًا} {68} الأحزاب 67- 68 وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ
 وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم يقرن بالغي والغضب كما في قوله {مَا
 ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ
 وَسَعْرٍ} القمر 47³⁸²

17- في آيات ذكر الله سبحانه وتعالى السموات والارض وما
 بينهما و لم يذكر وما بينهما في آيات اخر فالسموات والارض قد
 يراد بهما العلو والسفل مطلقا فيدخل في ذلك الهواء وغيره فإنه
 عال بالنسبة إلى ما تحته وسافل بالنسبة إلى ما فوقه فقد يجعل من
 السماء كما يجعل السحاب سماء والسقف سماء كما قال تعالى {إِنَّ

رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
 {الأعراف 54} ولم يقل وما بينهما كما يقول {الَّذِي خَلَقَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
 الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} الفرقان 59 فتارة يذكر قوله وما بينهما
 فيما خلقه في ستة ايام وتارة لا يذكره وهو مراد فإن ذكره كان
 ايضاحا وبيانا وإن لم يذكره دخل في لفظ السموات والارض³⁸³

18- وفي الصحيح عن النبي أنه قال ما اجتمع قوم في بيت من
 بيوت الله يتلون كتاب الله الحديث إلى آخره فنذكر أربعة غشيان
 الرحمة وهي أن تغشاهم كما يغشى اللباس لابسها كما يغشى الرجل
 المرأة والليل النهار ثم قال ونزلت عليهم السكينة وهو

³⁸² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

³⁸³ الحسنة والسنة ج: 1 ص: 156

انزالها في قلوبهم وحفتهم الملائكة أي جلست حولهم
 وذكرهم الله فيمن عنده من الملائكة وذكر الله الغشيان في
 مواضع مثل قوله تعالى { **يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ** } { الأعراف 54
 وقوله { **فَلَمَّا تَعَسَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا** } { الأعراف 189 وقوله
 { **وَالْمُوتَفِكَةَ أَهْوَى** } { 53 } { **فَعَسَّاهَا مَا عَشَى** } { 54 } { النجم 53-54
 وقوله { **أَلَا حِينَ يَسْتَعْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**
 { هود 5 هذا كله فيه احاطة من كل وجه ³⁸⁴

19- قال تعالى { **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي
 سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
 وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**
تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } { الأعراف 54 ان أصناف العالمين يراد به
 جميع اصناف الخلق كما في قوله تعالى { **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**
 { الفاتحة ³⁸⁵ 2

قوله تعالى { **وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ
 سَبِيلًا** } { الإسراء 110 وفي الصحيح عن عائشة قالت نزلت في
 الدعاء وفي الصحيح عن ابن عباس قال كان النبي يجهر بالقرآن
 فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه فقال
 الله لا تجهر بالقرآن فيسمعه المشركين فيسبوا القرآن ولا تخافت به
 عن أصحابك فلا يسمعه منها عن الجهر والمخافتة فالمخافتة هي
 ذكره في نفسه والجهر المنهى عنه هو الجهر المذكور في قوله
 { **وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ** } { الأعراف 205 فإن الجهر هو الأظهار
 الشديد يقال رجل جهوري الصوت ورجل جهير وكذلك قول
 عائشة في الدعاء فإن الدعاء كما قال تعالى { **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
 وَخُفْيَةً** } { الأعراف 55 وقال **إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** } { مريم 3
 فالإخفاء قد يكون بصوت يسمعه القريب وهو المناجاة والجهر مثل

³⁸⁴ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 250

³⁸⁵ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

المناداة المطلقة وهذا كقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالتكبير فقال أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته³⁸⁶

20- قال تعالى { رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } الأعراف 56 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة³⁸⁷

21- والباء للسبب كما في مثل قوله تعالى قال الله تعالى { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتْهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57³⁸⁸

22- قال الله تعالى { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتْهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة³⁸⁹

23- قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَتِ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّتْهُ لِبَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 والله تعالى له الخلق والأمر فلفظ الإرسال والبعث

³⁸⁶ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 35

³⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

³⁸⁸ رسالة في دخول الجنة ج: 1 ص: 145

³⁸⁹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

والإرادة والأمر والأذن والكتاب والتحريم والقضاء والكلام ينقسم
إلى خلقي وأمرّي وكوني وديني³⁹⁰

24- قال تعالى {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي
خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا} {الأعراف 58} فإن الإذن نوعان إذن لمعنى
المشيئة والخلق وإذن بمعنى الإباحة والإجازة³⁹¹

³⁹⁰الجواب الصحيح ج: 1 ص: 149

³⁹¹الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 132

الأعراف 59-102

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} {59} قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} {60} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} {61} أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {62} أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {63} فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ} {64} وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ} {65} قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} {66} قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} {67} أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} {68} أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا الْآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} {69} قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا مَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} {70} قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ أُتْجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ} {71} فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} {72} وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا

اللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ
 نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَدَرُّوْهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوْهَا
 بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {73} وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ
 مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا
 قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا
 فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {74} قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
 قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا
 مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ {75} قَالَ
 الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ {76} فَعَقَرُوا
 النَّاقَةَ وَاعْتُوا عَن أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا
 تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {77} فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ
 فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ {78} فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا
 قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ
 النَّاصِحِينَ {79} وَلَوْطَأُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا
 سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ {80} إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
 شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ {81} وَمَا
 كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ
 أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ {82} فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ
 الْغَائِبِينَ {83} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ {84} وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا
 قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن
 رَبِّكُمْ فَاقُوفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ
 وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ
 كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ {85} وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ
 وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
 وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُفْسِدِينَ {86} وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ
 بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ
 خَيْرُ الْحَاكِمِينَ {87} قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
 لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ
 لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ {88} قَدْ افْتَرَيْنَا
 عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا
 يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ
 شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا
 بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ {89} وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ قَوْمِهِ لَنِنْ اتَّبِعْتُمْ شُعَيْبًا أَنْكُمْ إِذَا لَخَّسِرُونَ {90}
 فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ {91} الَّذِينَ
 كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَّمْ يَعْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا
 هُمُ الْخَاسِرِينَ {92} فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
 رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمِ
 كَافِرِينَ {93} وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا
 بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ {94} ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ
 السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءُنَا الضَّرَّاءُ
 وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {95} وَلَوْ أَنَّ
 أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {96}
 أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ {97}
 أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ
 يُلْعَبُونَ {98} أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
 الْخَاسِرُونَ {99} أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ
 أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
 فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ {100} تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصٌ عَلَيْكَ مِنْ

أَنْبَاءَهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا
بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ {101} وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا
أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ {102}

فاتحة دعوة الرسل الأمر بالعبادة

*و التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين
دينا غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وقد ذكر الله عز
وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه { يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } {الأعراف(59و65و73و85)
وفى المسند عن ابن عمر عن النبي أنه قال بعثت بالسيف بين
يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت
ظل رمحى وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه
بقوم فهو منهم³⁹²

فإن الله تعالى أرسل الرسل ليدعوا الخلق إلى عبادته وحده لا
شريك له كما قال تعالى وأخبر عن كل نبي أنه دعا قومه إلى ذلك
فقال عن نوح {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
{الأعراف(59و65و73و85) وكذلك سائرهم وأمثال ذلك فكمال
الإنسان وصلاحه وسعادته في أن يعبد الله وحده لا شريك له وهذا
هو الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو الذي لا يقبل
من أحد دينا غيره لا من المتقدمين ولا من المتأخرين³⁹³

* وقال تعالى {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا
مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } {الزخرف45} وقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا
فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ

³⁹² مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 155 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 378

³⁹³ الصغدية ج: 2 ص: 242

هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ { النحل 36 وقال تعالى {
 وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
 فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 25 وقد اخبر الله عن اول الرسل نوح عليه
 السلام ومن بعده من الرسل انهم قالوا لقومهم { **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ
 مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ { الأعراف (59 و65 و73 و85)** وقال نوح { وَلَا
 أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا
 أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي
 أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ { هود 31 وكذلك قال لخاتم الرسل { قُلْ
 لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِن أَنْتَبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ { الأنعام 50 فتوسط البشر بالرسالة مثل
 توسط الملك بالرسالة كما قال تعالى { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ
 رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ { الحج 75³⁹⁴

*فان الله سبحانه وتعالى انما خلق الخلق لتكون كلمة الله هي العليا
 ويكون الدين كله لله وبه انزل الكتب وبه ارسل الرسل وعليه جاهد
 الرسول والمؤمنون قال الله تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
 لِيَعْبُدُونِ { الذاريات 56 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
 رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 25 وقال
 { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
 { النحل 36 وقد اخبر عن جميع المرسلين ان كلا منهم يقول
 لقومه { **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ { الأعراف (59)**
و65 و73 و85) وعباداته تكون بطاعته وطاعة رسوله وذلك هو
 الخير والبر والتقوى والحسنات والقربات والباقيات والصالحات
 والعمل الصالح وان كانت هذه الاسماء بينها فروق لطيفة ليس هذا
 موضعها وهذا الذي يقاتل عليه الخلق كما قال تعالى { وَقَاتِلُوهُمْ
 حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ { الأنفال 39 وفي
 الصحيحين عن ابي موسى الاشعري رضى الله عنه قال سئل النبي
 عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأى ذلك فى

³⁹⁴الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 538

سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في
سبيل الله 395

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة إليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمة والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وامثال ذلك هي من العبادة لله وذلك ان العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه { **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** } الأعراف (59 و65 و73 و85) وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى { **وَلَقَدْ بَعْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ** } النحل 36 وقال تعالى { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** } الأنبياء 25 وقال تعالى { **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** } الأنبياء 92 كما قال في الآية الاخرى { **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** } المؤمنون 51 وجعل ذلك لازما لرسوله الى الموت قال { **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**

{ الحجر 99 وبذلك وصف ملائكته وانبياءه فقال تعالى { وَ لَهُ
 مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
 يَسْتَحْسِرُونَ } {19} يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا
 يَفْتُرُونَ } {20} {الأنبياء 19 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا
 يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ } الأعراف 206
 و ذم المستكبرين عنها بقوله وقال { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ
 لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ
 } { غافر 60 ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى { عَيْنًا
 يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } { الإنسان 6 }³⁹⁶

حقيقة قول لا اله الا الله

* إن المحبة لله نوعان محبة له نفسه ومحبة لما منهم من الاحسان
 وكذلك الحمد له نوعان حمد لله على ما يستحقه بنفسه وحمد على
 إحسانه لعبده فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة وأما الرضا به
 وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة ولهذا ذكر عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا
 وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً في صحيح مسلم وفي الصحيحين عن
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة
 الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب
 المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ انقذه
 الله منه كما يكره أن يلقى في النار وهذا مما يبين من الكلام على
 المحبة فنقول محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان وأكبر
 أوصله وأجل قواعده بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان
 والدين كما أن التصديق أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين
 فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة إما عن محبة
 محمودة او عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة

³⁹⁶ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 150

من القواعد الكبار فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحاً بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فإن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو كله للذي أشرك وثبت في الصحيح حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار القارئ المرائي والمجاهد المرائي والمتصدق المرائي بل إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وانزل به جميع الكتب واتفق عليه أمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم و إبليس انه قال { فَبِعِزَّتِكَ لِأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {83} ص 82 - 83 وقال تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْعَالَوِينَ } الحجر 42 وقال { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100} النحل 99-100 فبين ان سلطان الشيطان واغواءه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 واتباع الشيطان هم اصحاب النار كما قال تعالى { لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 وقد قال سبحانه { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهذه الآية في حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك وقيد ما سواه بالمشيئة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه ومادونه يغفره لمن يشاء واما قوله { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } الزمر 53 فتلك في حق التائبين ولهذا عم

واطلق وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها وقد اخبر سبحانه ان الأولين والآخرين انما امروا بذلك في غير موضع كالسورة التي قرأها النبي على ابي لما امره الله تعالى ان يقرأ عليه قراءة إبلاغ وإسماع بخصوصه فقال { وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ } 4 { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } 5 { البينة 4-5 الآية وهذا حقيقة قول لا اله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } { الأنبياء 25 } وقال { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } { الزخرف 45 } وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } { النحل 36 } وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما قال نوح عليه السلام { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } { الأعراف 59 } وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام وغيرهم كل يقول { اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } { الأعراف 65 و 73 } و 85 لاسيما افضل الرسل الذين اتخذ الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحمدا عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه ونشره بهما فابراهيم هو الامام الذي قال الله فيه { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } { البقرة 124 } وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل فأهل هذه النبوة والرسالة هم من آله الذين بارك الله عليهم قال سبحانه { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ } { 26 } { إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } { 27 } { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } { 28 } { الزخرف 26-28 } فهذه الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبود الا من الخالق الذي فطرنا كما قال صاحب يس { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } { 22 } { أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُفْقِدُونَ } { 23 } { إِنِّي إِذَا لَفِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ {24} إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ {25} يس 22-25

397

*وأما المقاصد فالقرآن أخبر بالعلم بالله والعمل له فجمع بين قوتى الإنسان العلمية والعملية الحسية والحركية الإرادية الإدراكية والإعتمادية القولية والعملية حيث قال {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} {الأعراف(59و65و73)} فالعبادة لا بد فيها من معرفته والإنابة إليه والتذلل له والإفتقار إليه وهذا هو المقصود وإذا حصل الاعتراف بالرب والاقرار به من غير عبادة وإنابة كان وبالاً على صاحبه وشقاء له كما جاء في الحديث أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه كإبليس اللعين فإنه معترف بربه مقر بوجوده لكن لما لم يعبده كان رأس الأشقياء وكل من شقى فباتباعه له كما قال {قَالَ أَخْرَجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَذْؤُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ} {الأعراف18} فلا بد أن يملأ جهنم منه ومن أتباعه مع أنه معترف بالرب مقر بوجوده وإنما أبى واستكبر عن الطاعة والعبادة والقوة العلمية مع العملية بمنزلة الفاعل والغاية ولهذا قيل العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر والمراد بالعمل هنا عمل القلب الذى هو إنابته الى الله وخشيته له حتى يكون عابداً له فالرسل والكتب المنزلة أمرت بهذا وأوجبته بل هو رأس الدعوة ومقصودها وأصلها والطريقة النبوية القرآنية السننية الجماعية فيها العلم والعمل كاملين ففاتحة دعوة الرسل الأمر بالعبادة قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {البقرة21} وقال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وذلك يتضمن الإقرار به وعبادته وحده فإن الإله هو المعبود ولم يقل حتى يشهدوا أن لارب إلا الله فإن اسم الله أدل على مقصود العبادة له التى لها خلق الخلق وبها أمروا وكذلك قوله لمعاذ إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا

397 مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 51-52 وأمراض القلوب ج: 1 ص: 60 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 60

إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال نوح عليه السلام {أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا} نوح 3 وكذلك الرسل في سورة
الأعراف وغيرها³⁹⁸

* وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى هل هم
مسلمون أم لا وهو نزاع لفظي فإن الإسلام الخاص الذي
بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم المتضمن لشريعة القرآن
ليس عليه إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم والإسلام اليوم عند
الإطلاق يتناول هذا وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث
الله بها نبيا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء
ورأس الإسلام مطلقا شهادة أن لا إله إلا الله وبها بعث جميع
الرسل كما قال تعالى وذكر عن رسله كنوح وهود وصالح
وغيرهم انهم قالوا لقومهم {اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
{الأعراف 59 والأعراف 65 والأعراف 73³⁹⁹

أصل السعادة ورأسها

* المحبة التي أمر الله بها هي عبادته وحده لا شريك له وإذا
كان كذلك فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها وخلق خلقه
لأجلها هي ما في عبادته وحده لا شريك له إذ العبادة متضمنة لغاية
الحب بغاية الذل والمحبة لما كانت جنسا لأنواع متفاوتة في
القدر والوصف كان أغلب ما يذكر منها في حق الله ما يختص به
ويليق به مثل العبادة والإنابة ونحوهما فإن العبادة لا تصلح إلا لله
وحده وكذلك الإنابة وقد تذكر المحبة المطلقة لكن تقع فيها
الشركة كما قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً
يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} البقرة 165 ولهذا
كان هذا الحب أعظم الأقسام المذمومة في المحبة كما أن حب الله

³⁹⁸ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 10-13

³⁹⁹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 95

أعظم الأنواع المحمودة بل عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل السعادة ورأسها التي لا ينجو أحد من العذاب إلا بها وعبادة إله آخر من دونه هو أصل الشقاء ورأسه الذي لا يبقي في العذاب إلا أهله فأهل التوحيد الذين أحبوا الله وعبدوه وحده لا شريك له لا يبقي منهم في العذاب أحد والذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه وعبدوا غيره هم أهل الشرك الذين قال الله تعالى فيهم { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } النساء 48 وجماع القرآن هو الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن هذه المحبات ولوازمها وضرب الأمثال والمقاييس للنوعين وذكر قصص أهل النوعين وأصل دعوة جميع المرسلين قولهم { **اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** } الأعراف 59 والأعراف 65 وعلي ذلك قاتل من قاتل منهم المشركين كما قال خاتم الرسل أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال الله تعالى { **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ** } الشورى 13 ولهذا قال في الحديث المتفق عليه في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وفي رواية في الصحيح لا يجد طعم الإيمان إلا من كان فيه ثلاث أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقي في النار⁴⁰⁰

كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله

*فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج

⁴⁰⁰قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 11-12

من العبودية بوجه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من
اجهل الخلق واضلهم وقال تعالى {وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ
{19} {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} {20} {الأنبياء 19- 20
وقال تعالى {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا
{النساء 172 الى قوله { وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا
نَصِيرًا } {النساء 173 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر

المخلوقات بالعبادة ودم من خرج عن ذلك متعدد فى القرآن وقد
اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك فقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي
كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } {النحل 36
وقال {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {الذاريات 56 وكل
رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء الى عبادة الله كقول نوح
ومن بعده عليهم السلام { اْعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
{الأعراف 59} وقول هود عليه السلام {وَأَلِيَّ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ
يَا قَوْمِ اْعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ } {الأعراف 65
وفى المسند عن ابن عمر عن النبى انه قال بعثت بالسيف بين
يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت
ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف امرى⁴⁰¹

*ومحبة الله وتوحيده هو الغاية التي فيها صلاح للنفس وهو عبادة
الله وحده لا شريك له فلا صلاح للنفس ولا كمال لها إلا في ذلك
وبدون ذلك تكون فاسدة لا صلاح لها ولهذا كان هذا هو دين
الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل قال الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ
أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } {النحل 36} وقد قال
تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {الذاريات 56
فالغاية الحميدة التي بها يحصل كمال بني آدم وسعادتهم ونجاتهم
عبادة الله وحده وهي حقيقة قول القائل لا إله إلا الله ولهذا بعث الله

جميع الرسل وأنزل جميع الكتب ولا تصلح النفس وتزكو وتكمل إلا بهذا ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محبا للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلا له كمال الذل فمن أحب شيئا ولم يذل له لم يعبهه ومن خضع له ولم يحبه لم يعبهه وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكل والعبادة فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخالقتها فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوهم فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفا في طعامه ونكاحه وكان حكيما شجاعا

402

الكفار بالرسول يتبعون ظنونهم واهواءهم ويعرضون عن ذكر الله

*والكفار بالرسول من قوم نوح و عاد و ثمود و قوم لوط و شعيب و قوم إبراهيم و موسى و مشركى العرب و الهند و الروم و البربر و الترك و اليونان و الكشديين و سائر الأمم المتقدمين و المستأخرين يتبعون ظنونهم واهواءهم و يعرضون عن ذكر الله الذى آتاهم من عنده كما قال لهم لما اهبط آدم من الجنة { فَأَمَّا يَا نَبِيَّكُمْ مَنِ هُدَىٰ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {38} وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } {39}

⁴⁰²الجواب الصحيح ج: 6 ص: 30-31 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 63

البقرة 38-39 وفي موضع آخر { فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} طه 123-124 الآية وفي أخرى { إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي } الأعراف 35 ثم إنهم مع أنهم ما نزل الله بما هم عليه من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس يزعمون أن لهم العقل والرأي والقياس العقلي والأمثال المضروبة ويسمون أنفسهم الحكماء والفلاسفة ويدعون الجدل والكلام والقوة والسلطان والمال ويصفون إتباع المرسلين بأنهم سفهاء وإراذل وضلال ويسخرون منهم قال الله تعالى { كَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ } {هود 38} بل هم يصفون الأنبياء بالجنون والسفه والضلال وغير ذلك كما قالوا عن نوح { مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ } القمر 9 وقالوا { إِنَّا نَنرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } الأعراف 60 ولهود { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } الأعراف 66⁴⁰³

رسل الله وسائط في تبليغ رسالاته

* فإن الناس يعلمون ان احدا منهم لم يسمعه من الله كما سمع موسى كلام الله من الله بل يعلمون أن كلام الله إنما سمع من المبلغين له كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ } المائدة 67⁴⁰⁴

* فرسل الله وسائط في تبليغ رسالاته كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } المائدة 67 وقال تعالى { إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا } {27} { لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ } {28} الجن 27-27 وقال تعالى عن نوح { وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {61}

⁴⁰³⁴⁰³ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 10-11

⁴⁰⁴ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 538

أَبْلُغْكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي {62} الأعراف 61-62 وكذلك قال هود {
وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ {67} أَبْلُغْكُمْ رَسُولَاتِ

رَبِّي {68} الأعراف 67-68 وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار وفي السنن عن زيد بن ثابت وابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نضر الله امرا سمع منا حديثا فبلغه الى من يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع ليلغ الشاهد الغائب فرب من مبلغ او عى من سامع⁴⁰⁵

المراد بذكر الله

* و ذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ { الأنبياء 50 } وقال نوح وهود { **أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ { الأعراف 63 و 69** وقال { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ { الحجر 6 } وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ { الأنبياء 2 } وقال { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ { الزخرف 44 } وقال { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ { 27 } لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ { 28 } التكوير 27-28 } وقال { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ { يس 69 }⁴⁰⁶

الإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى

عباده

⁴⁰⁵ الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 544

⁴⁰⁶ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 557

* الإختلاف فى تنزيله بين المؤمنين والكافرين فإن المؤمنين يؤمنون بما أنزل والكافرون كفروا بالكتاب وبما ارسل الله به رسله فسوف يعلمون فالؤمنون بجنس الكتاب والرسل من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين يؤمنون بذلك والكافرون بجنس الكتاب والرسل من المشركين والمجوس والصابئين يكفرون بذلك وذلك أن الله أرسل الرسل إلى الناس لتبلغهم كلام الله الذي أنزله إليهم فمن آمن بالرسل آمن بما بلغوه عن الله ومن كذب بالرسل كذب بذلك فالإيمان بكلام الله داخل فى الإيمان برسالة الله إلى عباده والكفر بذلك هو الكفر بهذا فتدبر هذا الأصل فإنه فرقان هذا الاشتباه ولهذا كان من يكفر بالرسل تارة يكفر بأن الله له كلام أنزله على بشر كما أنه قد يكفر برب العالمين مثل فرعون وقومه قال الله تعالى { أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ } يونس 2 الآية وقال تعالى عن نوح وهود { أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ } الأعراف 63⁴⁰⁷

* يقول سبحانه كذبت قوم نوع المرسلين { كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ } الشعراء 123 { كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ } الشعراء 141 { كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ } الشعراء 160 ونحو ذلك وكل من هؤلاء إنما جاءه رسول واحد لكن كانوا مكذبين بجنس الرسل لم يكن تكذيبهم بالواحد لخصوصه وهذا بخلاف تكذيب اليهود والنصارى لمحمد صلى الله عليه وسلم فانهم لم يكذبوا جنس الرسل إنما كذبوا واحدا بعينه بخلاف مشركي العرب الذين لم يعرفوا الرسل فان الله يحتج عليهم فى القرآن باثبات جنس الرسالة ولهذا يجيب سبحانه عن شبه منكري جنس الرسالة كقولهم { أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا } الإسراء 94 فيقول { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } النحل 43 أي هذا متواتر عند أهل الكتاب فاسئلوهم عن الرسل

⁴⁰⁷ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 9

الذين جاءتهم أكانوا بشرا أم لا وكذلك قوله { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ } {9} الانعام 8-9 فانهم لا يستطيعون الاخذ عن الملك في صورته فلو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه رجلا في صورة الانسان وحينئذ كان يلتبس عليهم الامر ويقولون هو رجل والرجل لا يكون رسولا وكذلك الرسل قبله قال تعالى { أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } {الأعراف 63} {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} {يونس 2} وكما قال تعالى { قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّن الرُّسُلِ } {الأحقاف 9} ونحو ذلك فكان علمهم بثبوت معين من هذا النوع يوجب العلم بقضية مطلقة وهو ان هذا النوع موجود بخلاف ما إذا اثبت ذلك ابتداء بلا وجود نظير فانه يكون اصعب وإن كان ممكنا فان نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض ولم يكن قبله رسول بعث الى الكفار المشركين يدعوهم الى الانتقال عن الشرك الى التوحيد وآدم والذين كانوا بعده كان الناس في زمهمن مسلمين كما قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الاسلام لكن لما بعث الله نوحا وانجى من آمن به وأهلك من كذبه صار هذا المعين يثبت هذا النوع أقوى مما كان يثبت ابتداء⁴⁰⁸

دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا

*قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم

⁴⁰⁸الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 369-370

يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً أو خارجاً عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعمياً وصماً وبكماً وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون قال تعالى { فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ } الاعراف 64 ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون⁴⁰⁹

ذكر النعم من الذكر الذي أمروا به

*قال تعالى { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } البقرة 151 ثم قال { فَادْكُرُونِي أُدْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ } البقرة 152 و المقصود أنه أمر بذكر النعم وشكرها وقال { يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ } البقرة 47 في غير موضع و قال هود عليه السلام { فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } الاعراف 69 وقال صالح عليه السلام { فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } الاعراف 74 وقال شعيب عليه السلام { وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } الاعراف 86 فذكر النعم من الذكر الذي أمروا به⁴¹⁰

*فإن الله ذم الإنسان بكونه كفوراً غير شكور إذ يقول { إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ } العاديات 6 وقد قال صالح عليه السلام لقومه { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } الاعراف 74 وقال تعالى { وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ثُوْعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا

⁴⁰⁹ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

⁴¹⁰ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 194

عَوَجًا وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ { الأعراف 86 ⁴¹¹

مطالعة آلاء الله ونعمائه تحرك القلوب الى الله عز

وجل

* ولا بد من التنبيه على قاعدة تحرك القلوب الى الله عز وجل فتعتمد به فتقل آفاتها أو تذهب عنها بالكلية بحول الله وقوته فنقول إعلم أن محركات القلوب الى الله عز وجل ثلاثة المحبة والخوف والرجاء وأقواها المحبة وهي مقصودة تراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } { الأحقاف 13 } والخوف المقصود منه الزجر والمنع من الخروج عن الطريق فالمحبة تلقى العبد في السير الى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه والخوف يمنع أن يخرج عن طريق المحبوب والرجاء يقوده فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له فإنه لا تحصل له العبودية بدونه وكل أحد يجب أن يكون عبدا لله لا لغيره فإن قيل فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تبعته على طلب محبوبه فأى شيء يحرك القلوب قلنا يحركها شينان أحدهما كثرة الذكر للمحبوب لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به ولهذا أمر الله عز وجل بالذكر الكثير فقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } { 41 } وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا { 42 } { الأحزاب 41 - 42 الآية والثاني مطالعة الآئه ونعمائه قال هود عليه السلام { فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } { الأعراف 69 } وقال صالح عليه السلام { فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } { الأعراف 74 } وقال شعيب { وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

⁴¹¹ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 159

الْمُفْسِدِينَ { الأعراف 86 وقال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ
 { النحل 53 وقال تعالى { وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
 { لقمان 20 وقال تعالى { وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا
 { النحل 18 فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه من تسخير السماء
 والأرض وما فيها من الأشجار والحيوان وما أسبغ عليه من النعم
 الباطنة من الإيمان وغيره فلا بد أن يثير ذلك عنده باعثاً وكذلك
 الخوف تحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب
 ونحوه وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم والحلم والعفو وما ورد
 في الرجاء والكلام في التوحيد واسع وإنما الغرض مبلغ التنبيه
 على تضمنه الإستغناء بأدنى إشارة والله سبحانه وتعالى أعلم
 وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم⁴¹²

الخليفة هو الذي خلف غيره

*الخليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما
 يقوله الجمهور لم يحتج في هذا الإسم إلى الإستخلاف
 والإستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الإسم
 يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه كقوله
 تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ { يونس 14 وقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ
 الْأَرْضِ { الأنعام 165 وقال { وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي
 الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ { الزخرف 60 وقوله لقوم عاد { **وَادْكُرُوا إِذْ
 جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ { الأعراف 69** وفي قصة قوم صالح
 { **وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ { الأعراف 74** { وَقَالَ
 مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي { الأعراف 142 فهذا
 استخلاف وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً
 لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا { الفرقان 62 وقال { إِنَّ فِي
 اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ { يونس 6 أي هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا

فهما يتعاقبان وقال موسى { عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } الأعراف 129⁴¹³

*والخليفة لا يكون خليفة إلا مع مغيب المستخلف أو موته فالنبي صلى الله عليه وسلم إذا كان بالمدينة امتنع أن يكون له خليفة فيها كما أن سائر من استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع انقضت خلافته وكذلك سائر ولادة الأمور إذا استخلف أحدهم على مصره في مغيبه بطل استخلافه ذلك إذا حضر المستخلف ولهذا لا يصلح إن يقال إن الله يستخلف أحدا عنه فإنه حي قيوم شهيد مدبر لعباده منزه عن الموت والنوم والغيبة ولهذا لما قالوا لأبي بكر يا خليفة الله قال لست خليفة الله بل خليفة رسول الله وحسبي ذلك والله تعالى يوصف بأنه يخلف العبد كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل وقال في حديث الدجال والله خليفتي على كل مسلم وكل من وصفه الله بالخلافة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قبله كقوله {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ} يونس 14

{وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} الأعراف 69

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} النور 55 و كذلك قوله {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} البقرة 30 أي عن خلق كان في الأرض قبل ذلك كما ذكر المفسرون وغيرهم و أما ما يظنه طائفة من الاتحادية وغيرهم أن الإنسان خليفة الله فهذا جهل و ضلال⁴¹⁴

معرفة حدود الاسماء واجبة

*أن الله سبحانه علم آدم الاسماء كلها وقد ميز كل مسمى باسم يدل على ما يفصله من الجنس المشترك ويخصه بدون ما سواه ويبين

⁴¹³ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 524

⁴¹⁴ منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 353

به ما يرسم معناه في النفس ومعرفة حدود الاسماء واجبة لأنه بها تقوم مصلحة بني آدم في النطق الذي جعله الله رحمة لهم لا سيما حدود ما أنزل الله في كتبه من الاسماء كالخمر والربا فهذه الحدود هي الفاصلة المميزة بين ما يدخل في المسمى ويتناوله ذلك الاسم وما دل عليه من الصفات وبين ما ليس كذلك ولهذا ذم الله من سمى الاشياء بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان فإنه اثبت للشيء صفة باطلة كالهية الاوثان فالاسماء النطقية سمعية واما نفس تصور المعاني ففطري يحصل بالحس الباطن والظاهر وبادراك الحس وشهوده يبصر الانسان بباطنه وبظاهره وبسمعه يعلم اسماءها وبفؤاده بعقل الصفات المشتركة والمختصة والله اخرجنا من بطون امهاتنا لا نعلم شيئا وجعل لنا السمع والابصار والافئدة⁴¹⁵

* قال تعالى { مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاءُكُمْ } يوسف 40 المراد أنهم سموها آلهة واعتقدوا ثبوت الالهية فيها وليس فيها شيء من الالهية فاذا عبدوها معتقدين الهيئتها مسمين لها آلهة لم يكونوا قد عبدوا الا أسماء ابتدعوها هم ما أنزل الله بها من سلطان لأن الله لم يأمر بعبادة هذه ولا جعلها آلهة كما قال { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ } الزخرف 45 فتكون عبادتهم لما تصوروه في أنفسهم من معنى الالهية وعبروا عنه بألسنتهم وذلك أمر موجود في أذهانهم والسنتهم لا حقيقة له في الخارج فما عبدوا الا هذه الأسماء التي تصوروها في أذهانهم وعبروا عن معانيها بألسنتهم وهم لم يقصدوا عبادة الصنم الا لكونه الها عندهم والهيئته هي في أنفسهم لا في الخارج فما عبدوا في الحقيقة الا ذلك الخيال الفاسد الذي عبر عنه ولهذا قال في الآية الأخرى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبًا سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَاهِرٍ مِّنْ

⁴¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 59

الْقَوْلِ { الرعد33 يقول سموهم بالاسماء التي يستحقونها هل هي خالقة رازقة محيية مميتة ام هي مخلوقة لا تملك ضرا ولا نفعا فاذا سموها فوصفوها بما تستحقه من الصفات تبين ضلالهم قال تعالى { أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ { الرعد33 وما لا يعلم أنه موجود فهو باطل لا حقيقة له ولو كان موجودا لعلمه موجودا { أم بظاهرٍ مِّنَ الْقَوْلِ { الرعد33 أم بقول ظاهر باللسان لا حقيقة له في القلب بل هو كذب وبهتان⁴¹⁶

المشركون يعبدون أسماء لا مسميات لها

* فلفظ الاله يقتضي أنه يستحق العبادة فإذا أخبر أنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه كان ذلك أمرا بما يستحقه و ليس المراد هنا بالاله من عبده عابد بلا استحقاق فإن هذه الآلهة كثيرة و لكن تسميتهم آلهة و الخبر عنهم بذلك و اتخاذهم معبودين أمر باطل كما قال تعالى { إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ { النجم23 وقال تعالى { قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظْبٌ أَنْجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ { الأعراف71 و قال { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ { الحج62⁴¹⁷

* ذلك أنه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله ويجعلون عبده عابدا لغير الله مشركا بالله عادلا به جاعلا له ندا فانهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من الاولين والآخرين غيره ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

⁴¹⁶ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 194-195

⁴¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 175

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ { النساء 48 وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والأشقياء كما قال النبي من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا وهي رأس الدين وكما قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأمواهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون وهي حقيقة الأمر كله كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 فأخبر سبحانه أنه يوحى الى كل رسول بنفى الألوهية عما سواه وإثباتها له وحده وزعم هؤلاء الملاحدة المشركون (مثل ابن عربي) أن كل شيء يستحق الألوهية كاستحقاق الله لها وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 وزعم هؤلاء الملاحدة أن كل شيء فإنه إله معبود فأخبر سبحانه أنه لم يجعل من دون الرحمن آلهة وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّبَ عَلَيْهِ الضَّلَالَةَ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَدِّبِينَ } النحل 36 فأمر الله سبحانه بعبادته واجتناب الطاغوت وعند هؤلاء أن الطواغيت جميعها فيها الله أو هي الله ومن عبدها فما عبد إلا الله وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } 21 { الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 22

البقرة 21-22 فأمر سبحانه بعبادة الرب الخالق لهذه الآيات وعند هؤلاء الملاحدة الملاعين هو عين هذه الآيات ونهى سبحانه أن يجعل الناس له أندادا وعندهم هذا لا يتصور فإن الأنداد هي عينه فكيف يكون ندا لنفسه والذين عبدوا الأنداد فما عبدوا سواه ثم ان

هؤلاء الملاحدة احتجوا بتسمية المشركين لما عبدهوا إليها كما قالوا { أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ } ص5 واعتقدوا أنهم لما سموهم آلهة كانت تسمية المشركين دليلاً على أن الإلهية ثابتة لهم وهذه الحجة قد ردها الله على المشركين في غير موضع كقوله سبحانه عن هود في مخاطبته للمشركين من قومه { **أَتَجَادِلُونََنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ** } الأعراف 71 الآية هذا رد لقولهم { **أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا** } الأعراف 70 فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميتهم إياها آلهة ومعبودين تسمية ابتدعوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من حجة ولا سلطان والحكم ليس إلا الله وحده وقد أمر هو سبحانه أن لا يعبد إلا إياه فكيف يحتج بقول مشركين لا حجة لهم وقد أبطل الله قولهم وأمر الخلق أن لا يعبدوا إلا إياه دون هذه الأوثان التي سماها المشركون آلهة وعند الملاحدة عابدوا الأوثان ما عبدوا إلا الله ثم إن المشركين أنكروا على الرسول حيث جاءهم ليعبدوا الله وحده ويذروا ما كان يعبد آباؤهم فإذا كانوا هم ما زالوا يعبدون الله وحده كما تزعمه الملاحدة فلم يدعو إلى ترك ما يعبد آباؤهم بل جاءهم ليعبد كل شئ كان يعبد آباؤهم هو وغيره من الأنبياء وكذلك قال سبحانه في سورة يوسف عنه { **يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأْبَابٌ مُتَّفِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** } 39 { **مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** } 40 يوسف 39-40 وقال سبحانه { **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ** } 19 { **وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى** } 20 { **النجم 19-20** } إلى قوله { **وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى** } 23 { **النجم 23** } وهذه الثلاثة المذكورة في هذه السورة هي الأوثان العظام الكبار التي كان المشركون ينتابونها من أمصارهم فاللات كانت حذو قديد بالساحل لأهل المدينة والعزى كانت قريبة من عرفات لأهل مكة ومناة كانت بالطائف لتثيف وهذه الثلاث هي أمصار أرض الحجاز

أخبر سبحانه أن الأسماء التي سماها المشركون أسماء ابتدعوها لا حقيقة لها فهم إنما يعبدون أسماء لا مسميات لها لأنه ليس في المسمى من الألوهية ولا العزة ولا التقدير شيء ولم ينزل الله سلطانا بهذه الاسماء ان يتبع المشركون الا ظنا لا يغنى من الحق شيئا في انها آلهة تنفع وتضر ويتبعوا أهواء أنفسهم وعند الملاحظة أنهم إذا عبدوا أهواءهم فقد عبدوا الله وقد قال سبحانه عن إمام الأئمة وخليل الرحمن وخير البرية بعد محمد أنه قال لأبيه { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا } {42} يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا } {43} يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا } {44} يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا } {45} مريم 42- 45 فنهاه وأمر عليه أن يعبد الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغنى عنه شيئا⁴¹⁸

أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول

* وقد أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول كقوله لموسى { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } {4} وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ } {5} وَنَمَكَّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ } {6} القصص 4-6 فهذا خبر عن حاله قبل أن يولد موسى وحين كان صغيرا قبل أن يأتيه برسالة انه كان طاغيا مفسدا و ايضا أمر

الله الناس أن يتوبوا ويستغفروا مما فعلوه فلو كان كالإباح المستوى
الطرفين والمعفو عنه وكفعل الصبيان والمجانين ما أمر
بالاستغفار والتوبة فعلم أنه كان من السيئات القبيحة لكن الله لا
يعاقب إلا بعد إقامة الحجة وهذا كقوله تعالى عن هود { وَإِلَىٰ عَادِ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا
مُفْتَرُونَ } 50 { يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي
فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ } 51 { وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
} 52 { هود 50-52 فأخبر في أول خطابه أنهم مفترون بأكثر
الذي كانوا عليه كما قال لهم في الآية الأخرى { **أَتَجَادِلُونَنِي**
فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ } الأعراف 71 وقال عن لوط
لقومه { أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ
} الأعراف 80 فدل على أنها كانت فاحشة عندهم قبل أن ينهاهم
بخلاف قول من يقول ما كانت فاحشة ولا قبيحة ولا سيئة حتى
ينهاهم عنها ولهذا قال لهم { **أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ**
وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ } العنكبوت 29 وهذا خطاب لمن يعرفون
قبح ما يفعلون ولكن أندرهم بالعذاب ⁴¹⁹

السلطان هو الحجة المنزلة من عند الله

* والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير
موضع كقوله { **أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْا يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ**
يُشْرِكُونَ } الروم 35 وقوله { **مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ**

{ الأعراف 71 } وقال ابن عباس كل سلطان في القرآن فهو
الحجة ذكره البخارى فى صحيحه 420

*قال تعالى قال تعالى { قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظَبٌ
أُتِّجِدُوا لِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
فَانتظروا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ } الأعراف 71 والاسماء التى
انكرها الله على المشركين بتسميتهم أو ثانهم آلهة فاثبتوا لها صفة
الالهية التى توجب استحقاقها أن تعبد وهذا المعنى لايجوز إثباته الا
بسلطان وهو الحجة وكون الشيء معبودا تارة يراد به أن الله أمر
بعبادته فهذا لا يثبت إلا بكتاب منزل وتارة يراد به أنه متصف
بالربوبية والخلق المقتضى لاستحقاق العبودية فهذا يعرف بالعقل
ثبوته وانتفاؤه ولهذا قال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنِّي نُنزِلُ الْكِتَابَ
مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةَ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الأحقاف 4 وقال فى
سورة فاطر { قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا
خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى
بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذِرِ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا } فاطر 40
فطالبهم بحجة عقلية عيانية وبحجة سمعية شرعية فقال {
أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ } فاطر 40
ثم قال { أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ } فاطر 40 كما قال
هناك { أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ
} الأحقاف 4 ثم قال { إِنِّي نُنزِلُ الْكِتَابَ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةَ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الأحقاف 4 فالكتاب المنزل والاثارة ما يؤثر عن
الانبياء بالرواية والاسناد وقد يقيد فى الكتاب فهذا فسر بالرواية وفسر
بالخط وهذا مطالبة بالدليل الشرعى على أن الله شرع ان يعبد
غيره فيجعل شفيعا او يتقرب بعبادته الى الله وبيان انه لا عبادة اصلا
الا بامر من الله فهذا قال تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ
لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ } المؤمنون 117 كما قال فى موضع اخر

{فَأْتِمُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لَخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } 30 { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ
وَأَتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 31 { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } 32 { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ
ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } 33 { لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } 34
أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } 35 { الروم 30-
35 والسلطان الذي يتكلم بذلك الكتاب المنزل كما قال { أَمْ لَكُمْ
سُلْطَانٌ مُبِينٌ } 156 { فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 157 { الصفات
156-157 وقال { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ
إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ } غافر 421 56

لا يجوز لأحد أن يعارض كتاب الله بغير كتاب منزل

*وقد بين في غير موضع ان السلطان هو الحجة وهو الكتاب
المنزل كما قال تعالى { قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ
وَعَظْبٌ أَتَّجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ
بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ } الأعراف 71
وإذا كان كذلك ففي هذا بيان أنه لا يجوز لأحد أن يعارض كتاب
الله بغير كتاب فمن عارض كتاب الله وجادل فيه بما يسميه
معقولات وبراهين وأقيسة أو ما يسميه مكاشفات ومواجيد وأنواق
من غير أن يأتي على ما يقوله بكتاب منزل فقد جادل في آيات الله
بغير سلطان هذه حال الكفار الذين قال فيهم { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ
إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَعْرُوكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ } غافر 4 فهذه حال من
يجادل في آيات الله مطلقاً ومن المعلوم أن الذي يجادل في جميع
آيات الله لا يجادل بسلطان⁴²²

⁴²¹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 425-426

⁴²² الاستقامة ج: 1 ص: 22

المضاف إلى الله نوعان

* المضاف إلى الله سبحانه في الكتاب والسنة كان منه إضافة المخلوقات كقوله **{ نَاقَةُ اللَّهِ { الأعراف 73** وقوله **{ وَطَهَّرَ { بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ { الحج 26** وقوله **{ رَسُولَ اللَّهِ { النساء 157** و **{ عِبَادَ اللَّهِ { الصافات 40** وقوله **{ ذُو الْعَرْشِ { غافر 15** وقوله **{ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ { البقرة 255** فهذا القسم لا خلاف بين المسلمين في أنه مخلوق⁴²³

* والمضاف إلى الله نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عينا قائمة بنفسها فالأول إضافة صفة كقوله **{ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ { البقرة 255** فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به ليست مخلوقة له بئنة عنه والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بئان عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق والثاني إضافة عين كقوله تعالى **{ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ { الأعراف 73**⁴²⁴

* أن الفارق بين المضافين أن المضاف إن كان شيئا قائما بنفسه أو حالا في ذلك القائم بنفسه فهذا لا يكون صفة لله لأن الصفة قائمة بالموصوف فالأعيان التي خلقها الله قائمة بأنفسها و صفاتها القائمة بها تمتع أن تكون صفات لله بإضافتها إليه تتضمن كونها مخلوقة مملوكة لكن أضيفت لنوع من الإختصاص المقتضي للإضافة لا كونها صفة و الروح الذي هو جبريل من هذا الباب كما أن الكعبة و الناقة من هذا الباب و مال الله من هذا الباب و روح بنى آدم من

⁴²³ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 144

⁴²⁴ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 156

هذا و ذلك كقوله { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا }
 { مريم 17 } فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي { الحجر 29 }
 { وَطَهَّرَ بَيْتِي } { الحج 26 } { نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا } { الشمس 13 } { مَا
 أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ } { الحشر 7 }⁴²⁵

* الإضافة تقتضي اختصاص المضاف بصفات تميز بها عن غيره
 حتى استحق الإضافة كما اختصت الكعبة والناقة والعباد
 الصالحون بأن يقال فيهم بيت الله وناقة الله وعباد الله كذلك
 اختصت الروح المصطفاة بأن يقال لها روح الله بخلاف
 الأرواح الخبيثة كأرواح الشياطين والكفار فإنها مخلوقة لله ولا
 تضاف إليه إضافة الأرواح المقدسة كما لا تضاف إليه الجمادات
 كما تضاف الكعبة ولا نوق الناس كما تضاف ناقة صالح التي
 كانت آية من آياته كما قال تعالى { وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ
 آيَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
 قَرِيبٌ } { هود 64 }⁴²⁶

معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية

* والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي
 أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميتها من يسميها من
 النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه
 الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من
 لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب
 والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير
 في القرآن كما قال صالح لقومه { هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ }
 { الأعراف 73 }⁴²⁷

⁴²⁵ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 152

⁴²⁶ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 249

⁴²⁷ الجواب الصحيح ج: 5 ص: 415

*قال تعالى { وَإِلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ إِلِيمٍ

{ الأعراف 73 وقال تعالى { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ } { الأعراف 85 البينة من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله { أَوْلَمْ تَأْتِيَهُمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ } طه 133 أي بيان ما فيها أو يبين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمى الرسول بينة كما قال { حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } { 1 } { رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ } { 2 } { البينة 1- 2 } فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بينة ونور من ربه 428

*ومعلوم أن معجزات الأنبياء خارجة عن القوانين الطبيعية مثال ذلك إخراج صالح الناقة من هضبة من الهضاب فإن هذا خارج عن قوى النفس والطبيعية لأن الهضبة لا يمكن ان تخرج ناقة حية تاكل وتشرب منها منها ولا يمكن في القوى الطبيعية أن تخرجها لا بقوى نفس ولا بسحر ولا غير ذلك بل الساحر غاية أن يتصرف في الأعراض بفعل ما يحدث عنه الأمراض والقتل ونحو ذلك مما يقدر عليه سائر الأدميين فإن الإنسان يمكنه أن يضرب غيره حتى يمرضه أو يقتله فالساحر والعائن وغيرهما ممن يتصرف بقوى الأنفس يفعل في المنفصل ما يفعله القادر في المتصل فهذا من أفعال العباد المعروفة المقدرة وأما قلب الأعيان إلى ما ليس في طبعها الانقلاب إليه فأخراج صالح الناقة من

هضبة من الهضاب فليس هذا من جنس مقدور البشر لا معتادا ولا نادرا ولا يحصل بقوى نفس أصلا وهذه الحادثة الخارقة للعادة فيها إثبات الصانع وإثبات نبوة أنبيائه فإن حدوث هذا الحادث على هذا الوجه في مثل ذلك المقام يوجب علما ضروريا أنه من القادر المختار لتصديق صالح عليه السلام⁴²⁹

آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء إلا بأسباب

تقدمته

فإن الله سبحانه وتعالى لا يحدث شيئا إلا بإحداث أسباب ودفع موانع مثال ذلك غرق قوم نوح لم يكن ماء وجد بلا سبب بل أنزل الله ماء السماء وأنبع ماء الأرض كما قال تعالى { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9} فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ {10} فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ {11} وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ {12} وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ {13} تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ {14} وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {15} القمر 9-15

وكذلك ثمود قال لهم صالح { وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ {73} وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ {74} قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ {75} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ {76} فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ إِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

⁴²⁹الصغدية ج: 1 ص: 138

الْمُرْسَلِينَ {77} فَأَخَذْتُهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ {78} فَنَوَلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ {79} الاعراف 73- 79 وكذلك قوم لوط قال

لهم لوط { } أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ {80} إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ {81} وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ {82} فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ {83} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ {84} الاعراف 80-84 وقال تعالى { وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِن آتَيْتُمُ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ {90} فَأَخَذْتُهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ {91} الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَخْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ

الْخَاسِرِينَ {92} الاعراف 90-92 وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته كآيات موسى من مثل مصير العصى حية كانت بعد أن ألقاها إما عند أمر الله بذلك لما ناداه من الشجرة ورأى النار الخارقة للعادة وإما عند مطالبة فرعون له له بالآية وإما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم وكذلك سائر آياته حتى إغراق فرعون كان بعد مسير الجيش وضربه البحر بالعصا وكذلك تفجر الماء من الحجر كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه واستسقاء قومه إياه وهم في برية لا ماء عندهم وكذلك آيات نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الماء كان بوضع يده فيه حتى نبع الماء من بين الأصابع أي تفجر الماء من بين الأصابع لم يخرج من نفس الأصابع وكذلك البئر كان ماؤها يكثر إما بإلقائه سهما من كنانته فيها وإما بصبه الماء الذي بصق فيه فيها وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله إلى أمثال ذلك⁴³⁰

⁴³⁰الجواب الصحيح ج: 6 ص: 404

من علامات الرسل اتباع الضعفاء له ابتداء

*من علامات الرسل وهو اتباع الضعفاء له ابتداء وقال تعالى
في قصة صالح {وَأَلَىٰ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ
الْيَمِّ} {73} واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض
تتخذون من سهولها قصوراً وتتحنون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله
ولا تعثوا في الأرض مفسدين} {74} قال الملائكة الذين استكبروا من
قومه للذين استضعفوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ اتَّعَلَمُونَ أَنْ صَالِحًا مَّرْسَلٌ مِّن
رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} {75} قال الذين استكبروا إِنَّا
بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} {76} فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ
وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} {77} فَأَخَذْتَهُمُ
الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِمِينَ} {78} فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ
لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ
النَّاصِحِينَ} {79} الاعراف 73-79 وقال تعالى {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا
أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَعْيٍ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ
كُذِّبْنَا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ
فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا
رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ
الْفَاتِحِينَ} {89} الاعراف 88-89⁴³¹

*كان سعد وابن مسعود وصهيب وبلال وغيرهم من المستضعفين
وطلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم طردهم فنهاه الله
عن ذلك وأنزل {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

⁴³¹العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 127

يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ { الأنعام 52 } إلى قوله { أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } { الأنعام 53 } وقوله { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } { الكهف 28 } وقال في المستضعفين من المؤمنين { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } { 29 } وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } { 30 } وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ } { 31 } وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ } { 32 } وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ } { 33 } فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } { 34 } عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } { 35 } المطففين 29- 34 وقال { زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } { البقرة 212 } وقال { وَنَادَىٰ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ } { 48 } أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَبَالَهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ } { 49 } الأعراف 48- 49 وقال { وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ } { 62 } أَتَّخَذْنَاكُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ } { 63 } ص 62- 63 وقال عن قوم نوح { قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ } { الشعراء 111 } وقال تعالى { فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِآدِي الرَّأْيِ } { هود 27 } وقال عن قوم صالح { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَنْتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ } { 75 } قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } { 76 } الأعراف 75- 76 وفي الصحيحين أن هرقل سأل أبا سفيان

بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أشرف الناس اتبعوه
أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال هم أتباع الرسل⁴³²

{ قَالَ الْمَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحاً مَرْسَلًا مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ } {75} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ } {76}
الأعراف 75- 76

الفاحشة تتناول الفعل القبيح وتناول إظهار الفعل واعضائه

*قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم فعلم أن مجرد الجمال الظاهر في الصور والثياب لا ينظر الله إليه وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال فإن كان الظاهر مزينا مجملا بحال الباطن أحبه الله وإن كان مقبحا مدنسا بقبح الباطن أبغضه الله فإنه سبحانه يحب الحسن الجميل ويبغض السيئ الفاحش وأهل جمال الصورة يبتلون بالفاحشة كثيرا واسمها ضد الجمال فإن الله سماه فاحشة وسوءا وفسادا وخبيثا فقال تعالى {وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } {الأعراف 80} والفاحش والخبيث ضد الطيب والجميل فإذا كان كذلك أبغضه الله ولم يحبه ولم يكن مندرجا في الجميل ونظير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش وقوله إن الله يبغض الفاحش البذيء⁴³³

*والنظر إلى العورات حرام داخل في قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ} {الأعراف 33} وفي قوله {وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ} {الأنعام 151} فإن الفواحش وإن كانت ظاهرة في المباشرة بالفرج

⁴³² منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 544- 545

⁴³³ الاستقامة ج: 1 ص: 357

أو الدبر وما يتبع ذلك من الملامسة والنظر وغير ذلك وكما فى قصة لوط { **أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ** { الأعراف 80 } **أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ** { النمل 54 } وقوله { **وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً** { الإسراء 32 } فالفاحشة أيضا تتناول كشف العورة وإن لم يكن فى ذلك مباشرة كما قال تعالى { **وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا** { الأعراف 28 } وهذه الفاحشة هى طوافهم بالبيت عراة وكانوا يقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها إلا الحمس فإنهم كانوا يطوفون فى ثيابهم وغيرهم إن حصل له ثياب من الحمس طاف فيها وإلا طاف عريانا وإن طاف بثيابه حرمت عليه فألقاها فكانت تسمى لقاء وكذلك المرأة إذا لم يحصل لها ثياب جعلت يدها على فرجها ويدها الأخرى على دبرها وطافت تقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدأ منه فلا أحله وقد سمي الله ذلك فاحشة وقوله فى سياق ذلك { **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ** { الأعراف 33 } يتناول كشف العورة أيضا وإبداءها ويؤكد ذلك أن إبداء فعل النكاح باللفظ الصريح يسمى فحشاء وتفحشا فكشف الأعضاء والفعل للبصر ككشف ذلك للسمع وكل واحد من الكشفين يسمى وصفا كما قال عليه السلام لا تتعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها ويقال فلان يصف فلانا وثوب يصف البشرة ثم إن كل واحد من إظهار ذلك للسمع والبصر يباح للحاجة بل يستحب إذا لم يحصل المستحب أو الواجب إلا بذلك كقول النبى لما عز أنكتها وكقوله من تعزى الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا والمقصود أن الفاحشة تتناول الفعل القبيح وتتناول إظهار الفعل وأعضائه وهذا كما أن ذلك يتناول ما فحش وإن كان يعقد نكاح كقوله تعالى { **وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ** إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا } النساء 22 فأخبر أن هذا النكاح فاحشة وقد قيل أن هذا من الفواحش الباطنة فظهر أن الفاحشة تتناول العقود الفاحشة كما تتناول المباشرة بالفاحشة فإن قوله { **وَلَا تَنْكِحُوا مَا**

نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ { النساء 22 يتناول العقد والوطء وفي قوله { مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } الأعراف 33 عموم لأنواع كثيرة من الأقوال والأفعال وأمر تعالى بحفظ الفرج مطلقا بقوله { وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ } النور 30 وبقوله { وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } {5} {إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} {6} المؤمنون 5-6 الآيات وقال { وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ } {الأحزاب 35} فحفظ الفرج مثل قوله { وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ } التوبة 112 وحفظها هو صرفها عما لا يحل⁴³⁴

تحريم الفاحشة اللوطية

* واما صحبة المردان وعلى وجه الاختصاص بأحدهم كما يفعلونه (بعض الفرق الضالة) مع ما ينضم إلى ذلك من الخلوة بالأمرد الحسن ومبيته مع الرجل ونحو ذلك فهذا من افحش المنكرات عند المسلمين وعند اليهود والنصارى وغيرهم فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ودين سائر الأمم بعد قوم لوط تحريم الفاحشة اللوطية ولهذا بين الله فى كتابه انه لم يفعلها قبل قوم لوط احد من العالمين وقد عذب الله المستحلين لهما بعذاب ما عذبه أحدا من الأمم حيث طمس ابصارهم وقلب مدائنهم فجعل عاليها سافلها واتبعهم بالحجارة من السماء ولهذا جاءت الشريعة بان الفاحشة التى فيها القتل يقتل صاحبها بالرجم بالحجارة كما رجم النبى صلى الله عليه وسلم اليهوديين وما عز بن مالك والاسلمى والغامدية وغيرهم ورجم بعده خلفاؤه الراشدون والرجم شرعه الله لأهل التوراة والقرآن وفى السنن عن النبى من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ولهذا اتفق الصحابة على قتلها جميعا لكن تنوعوا فى صفة القتل فبعضهم قال يرمى من أعلى جدار فى القرية ويتبع بالحجارة وبعضهم قال يحرق بالنار ولهذا كان مذهب

⁴³⁴مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 381-382

جمهور السلف والفقهاء انهما يرجمان بكرين كانا أو ثيبين حرين
 كانا أو مملوكين أو كان أحدهما مملوكاً للآخر وقد اتفق المسلمون
 على ان من استحلها بمملوك أو غير مملوك فهو كافر مرتد
 وكذلك مقدمات الفاحشة عند التلذذ بقبلة الامرد ولمسه والنظر اليه
 هو حرام باتفاق المسلمين كما هو كذلك في المرأة الاجنبية كما
 ثبت في الصحيح عن النبي انه قال العيان تزنيان وزناهما
 النظر والاذن تزني وزناهما السمع واليد تزني وزناها البطش
 والرجل تزني وزناها المشى والقلب يتمنى ويشتهي والفرج يصدق
 ذلك أو يكذبه فاذا كان المستحل لما حرم الله كافراً فكيف بمن
 يجعله قربة وطريقاً إلى الله تعالى قال الله تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً
 قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
 اتَّقُوا لَوْنِ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 وسبب نزول الآية
 أن غير الحمس من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة فجعل الله
 كشف عورتهم فاحشة وبيّن أن الله لا يأمر بالفحشاء ولهذا لما حج
 أبو بكر الصديق قبل حجة الوداع نادى بأمر النبي وكان يحج
 المسلم والمشرک لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت
 عريان فكيف بمن يستحل اتیان الفاحشة الكبرى أو ما دونها
 ويجعل ذلك عبادة وطريقاً وان كان طائفة من المتفلسفة ومن
 وافقهم من ضلال المتتكسة جعلوا عشق الصور الجميلة من جملة
 الطريق التي تزكى بها النفوس فليس هذا من دين المسلمين ولا
 اليهود ولا النصارى وإنما هو دين أهل الشرك الذين شرعوا من
 الدين مالم يأذن به الله وان كان اتباع هؤلاء زادوا على ما شرعه
 ساداتهم وكبرأؤهم زيادات من الفواحش التي لا ترضاها القرود
 فانه قد ثبت في صحيح البخارى أن أبا عمران رأى في
 الجاهلية قردا زنا بقردة فاجتمعت عليه القرود فرجمته ومثل
 ذلك قد شاهده الناس في زماننا في غير القرود حتى الطيور
 فلو كانت صحبة المردان المذكورة خالية عن الفعل المحرم
 فهي مظنة لذلك وسبب له ولهذا كان المشائخ العارفون بطريق الله
 يحذرون من ذلك كما قال فتح الموصلى ادركت ثلاثين من الأبدال

كل ينهاني عند مفارقتي إياه عن صحبة الأحداث وقال معروف الكرخي كانوا ينهون عن ذلك وقال بعض التابعين ما أنا على الشاب الناسك من سبع يجلس إليه بأخوف مني عليه من حدث يجلس إليه وقال سفيان الثوري وبشر الحافي ان مع المرأة شيطاننا ومع الحدث شيطانين وقال بعضهم ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه الله بصحبة هؤلاء الأحداث وقد دخل من فتنة الصور والأصوات على النساك ما لا يعلمه إلا الله حتى اعترف اكابر الشيوخ بذلك وتاب منهم من تداركه الله برحمته ومعلوم أن هذا من باب اتباع الهوى بغير هدى من الله { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } القصص 50 ومن استحل ذلك أو اتخذه ديناً كان ضالاً مضاهياً للمشركين والنصارى ومن فعله مع اعترافه بأنه ذنب أو معصية كان عاصياً أو فاسقاً وكذلك مؤاخاة المرأة الأجنبية بحيث يخلو بها وينظر منها ما ليس للاجنبي ان ينظره حرام باتفاق المسلمين واتخاذ ذلك ديناً وطريقاً كفر وضلال والمال الذي يؤخذ لأجل إقرارهم ومعونة على محادثة الرجل الأمرد هي من جنس جعل القوادة ومطالبتهم له بالصحبة من جنس العرس على البغي والله سبحانه أباح النكاح غير مسافحين ولا متخذى اخدان فالمرأة المسافحة تزنى بمن اتفق لها وكذلك الرجل المسافح الذى يزنى مع من اتفق له واما المتخذ الخدن فهو الرجل يكون له صديقة والمرأة يكون لها صديق فالأمرد المخادن للواحد من هؤلاء من جنس المرأة المتخذة خدنا وكذلك الجعل والمال الذى يؤخذ على هذا من جنس مهر البغى وجعل القوادة ونحو ذلك⁴³⁵

أوصاف أهل الفواحش

* أهل الفواحش الذين لا يعضون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم فقد وصفهم الله من السكرة والعمه والجهالة وعدم العقل وعدم الرشد والبغض وطمس الأبصار هذا مع ما وصفهم به من الخبث والفسوق والعدوان والإسراف والسوء والفحش والفساد والإجرام فقال عن قوم لوط { أَلَمْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } النمل 55 فوصفهم بالجهل وقال { لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } الحجر 72 وقال { أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ } هود 78 وقال { فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ } القمر 37 وقال { بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ } الأعراف 81 وقال { فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ } الأعراف 84 وقال { إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِيْنَ } الأنبياء 74 وقال { أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ } العنكبوت 29 إلى قوله { قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ } العنكبوت 30 إلى قوله { بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } العنكبوت 34 وقوله { مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ } الذاريات 34⁴³⁶

عذب الله عجوز السوء القوادة بمثل ما عذب قوم

السوء

* عجوز السوء امرأة لوط كانت تدل الفجار على ضيفه التي قال الله تعالى فيها { فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ } الأعراف 83 وقال تعالى { فَأَسْرِبْ لَهُمُ الْمُغْوِيَةَ وَأَلْقِهَا فِي السَّمِيطِ الَّذِي يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ } هود 81 فعذب الله عجوز السوء القوادة بمثل ما عذب قوم السوء الذين كانوا يعملون الخبائث⁴³⁷

* فإن الله قد توعد بالعذاب على مجرد محبة أن تشيع الفاحشة بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة وهذه المحبة قد لا يقترب بها قول ولا فعل فكيف إذا اقترب بها قول أو فعل بل على الإنسان أن

⁴³⁶ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 400

⁴³⁷ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 306

يبغض ما أبغضه الله من فعل الفاحشة والقذف بها وإشاعتها في الذين آمنوا ومن رضى عمل قوم حشر معهم كما حشرت امرأة لوط معهم ولم تكن تعمل فاحشة اللواط فإن ذلك لا يقع من المرأة لكنها لما رضيت فعلهم عمها العذاب معهم فمن هذا الباب قيل من أعان على الفاحشة وإشاعتها مثل القواد الذى يقود النساء والصبيان إلى الفاحشة لأجل ما يحصل له من رياسة أو سحت يأكله وكذلك أهل الصناعات التى تنفق بذلك مثل المغنين وشربة الخمر وضمنان الجهات السلطانية وغيرها فإنهم يحبون أن تشيع الفاحشة ليتمكنوا من دفع من ينكرها من المؤمنين ما إذا كانت قليلة خفيفة خفية ولا خلاف بين المسلمين أن ما يدعو إلى معصية الله وينهى عن طاعته منهى عنه محرم بخلاف عكسه فإنه واجب كما قال تعالى { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ } العنكبوت 45 أى إن ما فيها من طاعة الله وذكره وإمثال أمره أكبر من ذلك⁴³⁸

*وولي الأمر إذا ترك إنكار المنكرات وإقامة الحدود عليها بمال يأخذه كان بمنزلة مقدم الحرامية الذي يقاسم المحاربين على الأخيذة وبمنزلة القواد الذي يأخذ ما يأخذه ليجمع بين اثنين على فاحشة وكان حاله شبيها بحال عجوز السوء امرأة لوط التي كانت تدل الفجار على ضيفه التي قال الله تعالى فيها { فَأَنْجَبَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ } الأعراف 83 فعذب الله عجوز السوء القوادة بمثل ما عذب قوم السوء الذين كانوا يعملون الخبائث وهذا لأن هذا جميعه أخذ مال للإعانة على الاثم والعدوان⁴³⁹

الطهارة في كتاب الله على قسمين

⁴³⁸ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 344

⁴³⁹ السياسة الشرعية ج: 1 ص: 63

* الطهارة في كتاب الله على قسمين طهارة حسية من الاعيان
النجسة و من اسباب الحدث المعلومة و طهارة عقلية من
الاعمال الخبيثة فالاول كقوله تعالى { فِيهِ رَجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ
يَتَّطَهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ } التوبة 108 نزلت في اهل قباء
لما كانوا يستنجون من البول و العائط و قوله تعالى { وَلَا
تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة 222 و الثاني كقوله
سبحانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ } المجادلة 12 و قوله تعالى
{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا } التوبة 103 و قوله
تعالى { وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مَنْ قَرَّبْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَنَاسٌ يَتَّطَهَّرُونَ } الأعراف 82⁴⁴⁰

* و التطهير من الذنب على وجهين كما في قوله { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }
{ المدثر 4 و قوله { إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَّطَهَّرُونَ } الأعراف 82 و
التطهير عن الذنب أما بأن لا يفعله العبد و أما بأن يتوب منه كما
في قوله { خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا }
{ التوبة 103 لكن ما أمر الله به من الطهارة ابتداء و أرادة فإنه
يتضمن نهي عن الفاحشة لا يتضمن الإذن فيها بحال لكن هو
سبحانه ينهى عنها و يأمر من فعلها بأن يتوب منها و في الصحيح
عن النبي انه كان يقول اللهم باعد بيني و بين خطاياي كما
باعدت بين المشرق و المغرب و اغسلني بالثلج و البرد و الماء
البارد اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس

441

النجاسة أنواع مختلفة تختلف أحكامها

⁴⁴⁰ شرح العمدة ج: 4 ص: 406

⁴⁴¹ منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 85

*وقد قال تعالى { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ } التوبة 28 وقال { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } الحج 30 وقال { إِنَّمَا الْحَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ } المائدة 90 وقال عن المنافقين { فَأَعْرَضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ } التوبة 95 وقال عن قوم لوط { وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُرَيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ } الأنبياء 74 وقال اللوطية عن لوط وأهله { أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ } الأعراف 82 قال مجاهد عن ادبار الرجال ويقال في دخول الغائط أعوذ بك من الخبث والخبائث ومن الرجس النجس الخبيث المخبث وهذه النجاسة تكون من الشرك والنفاق والفواحش والظلم ونحوها وهي لا تزول إلا بالتوبة عن ترك الفاحشة وغيرها فمن تاب منها فقد تطهر وإلا فهو متنجس وإن إغتسل بالماء من الجنابة فذاك الغسل يرفع حدث الجنابة ولا يرفع عنه نجاسة الفاحشة التي قد تنجس بها قلبه وباطنه فإن تلك نجاسة لا يرفعها الإغتسال بالماء وإنما يرفعها الإغتسال بماء التوبة النصوح المستمرة إلى الممات وهذا معنى ما رواه ابن أبي الدنيا وغيره ثنا سويد بن سعيد ثنا مسلم بن خالد عن إسماعيل بن كثير عن مجاهد قال لو أن الذي يعمل يعني عمل قوم لوط إغتسل بكل قطرة في السماء وكل قطرة في الأرض لم يزل نجسا ورواه ابن الجوزي وروى القاسم بن خلف في كتاب ذم اللواط بإسناده عن الفضيل بن عياض أنه قال لو أن لوطيا إغتسل بكل قطرة نزلت من السماء للقي الله غير طاهر وقد روى أبو محمد الخلال عن العباس الهاشمي ذلك مرفوعا وحديث إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود اللوطيان لو إغتسلا بماء البحر لم يجزهما إلا أن يتوبا ورفع مثل هذا الكلام منكر وإنما هو معروف من كلام السلف وكذلك روى عن أبي هريرة وابن عباس قالا خطبنا رسول الله فقال في خطبته من نكح امرأة في دبرها أو غلاما أو رجلا حشر يوم القيامة أنتن من الجيفة يتأذى به الناس حتى يدخله الله نار جهنم ويحبط الله عمله ولا يقبل منه صرفا ولا عدلا ويجعل في تابوت

من نار ويسمر عليه بمسامير من حديد فتشك تلك المسامير في وجهه وجسده قال أبو هريرة هذا لمن لم يتب وذلك أن تارك اللواط متطهر كما دل عليه القرآن ففاعله غير متطهر من ذلك فيكون متنجساً فإن ضد الطهارة النجاسة لكن النجاسة أنواع مختلفة تختلف أحكامها ومن هنا غلط بعض الناس من الفقهاء فإنهم لما رأوا ما دل عليه القرآن من طلب طهارة الجنب بقوله { وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا } المائدة6 قالوا فيكون الجنب نجساً وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي قال إن المؤمن لا ينجس لما إنخس منه وهو جنب وكره أن يجالسه فهذه النجاسة التي نفاها النبي هي نجاسة الطهارة بالماء التي ظنها أبو هريرة والجنابة تمنع الملائكة أن تدخل بيتاً فيه جنب وقال أحمد إذا وضع الجنب يده في ماء قليل انجس الماء فظن بعض أصحابه أنه أراد النجاسة الحسية وإنما أراد الحكمية فإن الفرع لا يكون أقوى من الأصل ولا يكون الماء أعظم من البدن بل غايته أن يقوم به المانع الذي قام بالبدن والجنب ظاهره ممنوع من الصلاة فيكون الماء كذلك طاهراً لا يتوضأ به للصلاة⁴⁴²

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾

*وقد بين سبحانه وتعالى أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} يوسف111 والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الإصابع بالأسنان فإذا قال {فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} الحشر2 وقال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} يوسف111 أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل

⁴⁴²مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 384-385

جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل
 مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
 سُنُنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } آل
 عمران 137⁴⁴³

* أن الله قص علينا في القرآن قصص الأنبياء والمؤمنين والمنتقين
 وقصص الفجار والكفار لنعبر بالأمر فنحب الأولين وسبيلهم
 ونقتدى بهم ونبغض الآخرين وسبيلهم ونجتنب فعالهم وقد ذكر
 الله عن أنبيائه وعباده الصالحين من ذكر الفاحشة وعلائقها على
 وجه الذم ما فيه غيره قال تعالى { **وَلَوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ
 الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } الأعراف 80** إلى آخر
 القصة في مواضع من كتابه فهذا لوط خاطب أهل الفاحشة وهو
 رسول الله بتقريعهم بها بقوله { **أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ } الأعراف 80**
 وهذا إستفهام إنكار ونهى إنكار ذم ونهى كالرجل يقول للرجل
 أتفعل كذا وكذا أما تنقى الله ثم قال { **إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ
 دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ } الأعراف 81** وهذا إستفهام
 ثان فيه من الذم والتوبيخ ما فيه وليس هذا من باب القذف واللمز
 وكذلك قوله { **كَذَبْتَ قَوْمٌ لُّوطِ الْمُرْسَلِينَ } الشعراء 160** إلى آخر
 القصة فقد واجههم بدمهم وتوبيخهم على فعل الفاحشة ثم إن أهل
 الفاحشة توعدوهم وتهددوهم بإخراجهم من القرية وهذا حال أهل
 الفجور إذا كان بينهم من ينهاهم طلبوا نفيه وإخراجه وقد عاقب الله
 أهل الفاحشة اللوطية بما ارادوا أن يقصدوا به أهل التقوى حيث
 أمر بنفى الزانى ونفى المخنث فمضت سنة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بنفى هذا وهذا وهو سبحانه أخرج المتقين من بينهم عند
 نزول العذاب⁴⁴⁴

⁴⁴³ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 23

⁴⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 338

كل قول او عمل يبغضه الله فهو من الفساد

*لفظ الصلاح و الفساد فاذا اطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر وكذلك اسم المصلح والمفسد قال تعالى في قصة موسى { أَتُرِيدُ أَنْ تَمْلِكُنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمَصْلِحِينَ } القصص 19 { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ { الأعراف 142⁴⁴⁵

*قال تعالى { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأْنَا فِي الْأَرْضِ تُتَّخَذُونَ مِنْ سَهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ } الأعراف 74 وقال تعالى { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَاقُوفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَنْشَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } الأعراف 85 والفساد ضد الصلاح فكما ان كل قول او عمل يحبه الله فهو من الصلاح فكل قول او عمل يبغضه الله فهو من الفساد قال سبحانه وتعالى { وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا } الأعراف 85 يعني الكفر والمعصية بعد الايمان والطاعة لا (يبودو انه هنا فيه نقص الرجوع الى نفس المرجع) ولكن الفساد نوعان لازم وهو مصدر فسد يفسد فسادا ومتعد وهو اسم مصدر افسد يفسد افسادا كما قال تعالى { وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي

الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ
{البقرة 205} ⁴⁴⁶

* وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا
نَحْنُ مُصْلِحُونَ } {11} { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا
يَشْعُرُونَ } {12} {البقرة 11-12} والضمير عائد على المنافقين
في قوله { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ } {8} {البقرة 8} وهذا مطلق يتناول من كان على عهد النبي
ومن سيكون بعدهم ولهذا قال سلمان الفارسي أنه عنى بهذه الآية
قوما لم يكونوا خلقوا حين نزولها وكذا قال السدي عن أشياخه
الفساد الكفر والمعاصي وعن مجاهد ترك امتثال الأوامر واجتتاب
النواهي والقولان معناهما واحد وعن ابن عباس الكفر وهذا معنى
قول من قال النفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعوهم على أسرار
المؤمنين وعن أبي العالية ومقاتل العمل بالمعاصي وهذا أيضا عام
كالأولين ⁴⁴⁷

* و قوله { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ } {البقرة 11} أي
لا تعملوا بمعصية الله تعالى فكل من عمل بمعصية الله فهو مفسد و
المحرمات معصية الله فالشارع ينهى عنه ليمنع الفساد و يدفعه ⁴⁴⁸

كل شر في العالم وفتنة فسببه مخالفة الرسول

والدعوة إلى غير الله

* قال تعالى { وَإِلَىٰ مَدِينٍ آخَاهُمْ شَعْبِيًّا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا
لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ

⁴⁴⁶ الصارم المسلول ج: 3 ص: 734

⁴⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 83

⁴⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 283

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {85} وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ
تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ {86} الأعراف 85-86 وقوله تعالى {وَلَا تُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} الأعراف 85 قال أكثر المفسرين لا
تفسدوا فيها بالمعاصي والداعي إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله
إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله مفسد
فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم الفساد
في الأرض بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو الشرك بالله
ومخالفة أمره قال الله تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} الروم 41 قال عطية في الآية ولا تعصوا في
الأرض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بمعاصيكم وقال غير
واحد من السلف إذا قحط المطر فالدواب تلعن عصاة بني آدم
فتقول اللهم العنهم فبسبهم أجدبت الأرض وقحط المطر
وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره أو
مطاع متبع غير الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعظم الفساد في
الأرض ولا صلاح لها ولأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود
والدعوة له هو لا لغيره والطاعة والإتباع لرسول الله وغيره إنما
تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول فإن أمر بمعصيته فلا سمع
ولا طاعة فإن الله أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بالتوحيد
ونهى عن فسادها بالشرك به ومخالفة رسول الله عليه وسلم
ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد
الله وعبادته وطاعة رسوله وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط
وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة الرسول والدعوة إلى غير
الله ومن تدبر هذا حق التدبير وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه
وفي غيره عموماً وخصوصاً ولا حول ولا قوة إلا بالله⁴⁴⁹

كل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل

* العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال وإنما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط قال الله تعالى {وَأِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {85} وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ ثَوَّعْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبِعُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَتَرْتُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} {86} {الاعراف 85-86} ⁴⁵⁰

* أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض وهو محبوب في النفوس مركز حبه في القلوب تحبه القلوب وتحمده وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط قال الله تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديد 25 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} الشورى 17 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء 58 وقال {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} المائدة 42 وقال {فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ} المائدة 48 فأمره أن يحكم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله فما أنزل الله هو القسط والقسط هو ما أنزل الله ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل لقوله تعالى {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء 58 فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبدا والشرع الذي يجب على

حكام المسلمين الحكم به عدل كله ليس في الشرع ظلم أصلاً بل
حكم الله أحسن الأحكام والشرع هو ما أنزل الله فكل من حكم
بما أنزل الله فقد حكم بالعدل⁴⁵¹

بخس المكيال و الميزان من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب

* أما بخس المكيال و الميزان فهو من الأعمال التي أهلك الله بها
قوم شعيب و قص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن لنعبر
بذلك و الاصرار على ذلك من أعظم الكبائر و صاحبه مستوجب
تغليظ العقوبة و ينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين
على طول الزمان و يصرف في مصالح المسلمين اذا لم يمكن
إعادته الى أصحابه و الكيال و الوزان الذي يبخر الغير هو
ضامن محروم مأثوم و هو من أخسر الناس صفقة اذ باع آخرته
بدنيا غيره ولا يحل أن يجعل بين الناس كيالا أو وزانا يبخر أو
يحابي كما لا يحل أن يكون بينهم مقوم يحابي بحيث يكيل أو يزن
أو يقوم لمن يرجوه أو يخاف من شره أو يكون له جاه و نحوه
بخلاف ما يكيل أو يزن أو يقوم لغيرهم أو يظلم من يبغضه و يزيد
من يحبه قال الله تعالى { **وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** } 85 { **وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا
وَادْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ** } 86 { **الاعراف 85-86** قال الله تعالى { **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** } الأنعام 152 و قال
تعالى { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ**

⁴⁵¹ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 127-130

عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَرَضُوا فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا { النساء 135 والله أعلم ⁴⁵²

جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع

* قوله سبحانه { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } { 88 } قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا { 89 } { الأعراف 88-89 ظاهره دليل على أن شعيبا والذين آمنوا معه كانوا على ملة قومهم لقولهم { أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا } { الأعراف 88 } ولقول شعيب { أَنْ نَعُودَ فِيهَا } { الأعراف 89 } { أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } { الأعراف 88 } ولقوله { قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ } { الأعراف 89 } فدل على أنهم كانوا فيها ولقوله { بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا } { الأعراف 89 } فدل على أن الله أنجاهم منها بعد التلوث بها ولقوله { وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا } { الأعراف 89 } ولا يجوز أن يكون الضمير عائدا على قومه لأنه صرح فيه بقوله { نُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ } { الأعراف 88 } ولأنه هو المحاور له بقوله { أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } { الأعراف 88 } إلى آخرها وهذا يجب أن يدخل فيه المتكلم ومثل هذا في سورة إبراهيم { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } { إبراهيم 13 } الآية و هذا تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا ما هو خطأ فيها ومنها قوله { لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ

لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا { الأعراف 88 الآية وما في معناها التحقيق أن الله سبحانه إنما يصطفى لرسالته من كان خيار قومه حتى في النسب كما في حديث هرقل ومن نشأ بين قوم مشركين جهال لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم إذا كان معروفا بالصدق والأمانة وفعل ما يعرفون وجوبه وترك ما يعرفون قبحه قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا { الإسراء 15 فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب وليس في هذا ما ينفر عن القبول منهم ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحا وقد إتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع وإن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلا عن أن تقر به قال تعالى { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ { النحل 2 الآية وقال { يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ { غافر 15 فجعل إنذارهم بالتوحيد كالإنذار بيوم التلاق وكلاهما عرفوه بالوحي وما ذكر أنه بغضت إليه الأوثان لا يحب أن يكون لكل نبي فانه سيد ولد آدم والرسول الذي ينشأ بين أهل الكفر الذين لا نبوة لهم يكون أكمل من غيره من جهة تأييد الله له بالعلم والهدى وبالنصر والقهر كما كان نوح وإبراهيم ولهذا يضيف الله الأمر إليها في مثل قوله { وَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ { الحديد 26 الآية { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ { آل عمران 33 الآية وذلك ان نوحا أول رسول بعث إلى المشركين وكان مبدأ شركهم من تعظيم الموتى الصالحين وقوم إبراهيم مبداه من عبادة الكواكب ذاك الشرك الأرضي وهذا السماوي ولهذا سد ذريعة هذا وهذا⁴⁵³

*الكفر الذي يعقبه الإيمان الصحيح لم يبق على صاحبه منه ذم هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام بل من دين الرسل كلهم كما قال تعالى { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ { الأنفال 38 وقال النبي صلى الله

عليه وسلم في الحديث الصحيح إن الإسلام يجب ما قبله وفي لفظ يهدم من كان قبله وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها وإن الحج يهدم ما كان قبله الثاني أنه ليس كل ولد على الإسلام بأفضل من أسلم بنفسه بل قد ثبت بالنصوص المستفيضة أن خير القرون القرن الأول وعامتهم أسلموا بأنفسهم بعد الكفر وهم أفضل من القرن الثاني الذين ولدوا على الإسلام ولهذا قال أكثر العلماء إنه يجوز على الله أن يبعث نبيا ممن آمن بالأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فإنه إذا جاز أن يبعث نبيا من ذرية إبراهيم وموسى فمن الذين آمنوا بهما أولى وأحرى كما قال تعالى {فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي} {العنكبوت 26} وقال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } {13} { وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ } {14} إبراهيم 13-14 قال تعالى { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } {88} { قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَىٰ اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ } {89} الأعراف 88-89⁴⁵⁴

الاعتبار بكمال النهاية

* ليس كل من لم يكفر أو من لم يأت بكبيرة أفضل ممن تاب عنها مطلقا بل قد يكون التائب من الكفر و الفسوق أفضل ممن لم يكفر و لم يفسق كما دل على ذلك الكتاب العزيز فان الله فضل الذين أنفقوا من قبل الفتح و قاتلوا على الذين أنفقوا من بعد و قاتلوا و أولئك كلهم اسلموا بعد الكفر و هؤلاء فيهم من ولد على الإسلام و فضل

⁴⁵⁴ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 384- 285

السابقين الأولين على التابعين لهم بإحسان و أولئك آمنوا بعد الكفر
و أكثر التابعين ولدوا على الإسلام و التائب من الكفر
والذنوب قد يكون افضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب و اذا كان قد
يكون افضل فالافضل احق بالنبوة ممن ليس مثله في الفضيلة وقد
قال تعالى {فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي} العنكبوت
26 فآمن لوط لابراهيم عليه السلام ثم ارسله الله تعالى الى قوم
لوط وقد قال تعالى في قصة شعيب {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لُنْحَرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قُرَيْبِنَا أَوْ
لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} 88 {قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا إِنَّا عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ
فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا
رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ

الْفَاتِحِينَ} 89 {الأعراف 88-89 وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى
إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} 13 {وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ
ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} 14 {ابراهيم 13 - 14 و قد
اخبر الله عن اخوة يوسف بما اخبر ثم نباهم بعد توبتهم و هم
الأسباط الذين امرنا أن نؤمن بما أوتوا في سورة البقرة و آل
عمران و النساء و إذا كان في هؤلاء من صار نبيا فمعلوم أن
الأنبياء أفضل من غيرهم و هذا مما تنازع فيه الرافضة و غيرهم
و يقولون من صدر منه ذنب لا يصير نبيا و النزاع فيمن اسلم
أعظم لكن الاعتبار بما دل عليه الكتاب و السنة و الذين منعوا من
هذا عمدتهم أن التائب من الذنب يكون ناقصا مذموما لا يستحق
النبوة و لو صار من أعظم الناس طاعة و هذا هو الأصل الذي
نوزعوا فيه و الكتاب و السنة و الإجماع يدل على بطلان قولهم
فيه 455

455 منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 135-136 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 310-311 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361

* واذا عرف ان الاعتبار بكمال النهاية وهذا الكمال انما يحصل بالتوبة والاستغفار ولا بد لكل عبد من التوبة وهي واجبة على الاولين والاخرين كما قال تعالى {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً} الأحزاب 73 وقد اخبر الله سبحانه بتوبة آدم ونوح ومن بعدهما الى خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وآخر ما نزل عليه او من آخر ما نزل عليه قوله تعالى { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } {1} { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً } {2} { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً } {3} النصر 1-3 وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان النبي كان يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن وقد انزل الله عليه قبل ذلك {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} التوبة 117 وفي صحيح البخاري عن النبي انه كان يقول يا ايها الناس توبوا الى ربكم فوالذي نفسي بيده انى لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وفي صحيح مسلم عن الاغر المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليغان على قلبي وانى لاستغفر الله فى اليوم مائة مرة 456

*وقوع الذنب مع تعقبه بالتوبة والإستغفار لا يقدر في كون الرجل من المقربين السابقين ولا الأبرار ولا يلحقه بذلك وعيد في الآخرة فضلا عن أن يجعله من الفجار 457

النَّاء على صبرهم وثباتهم

*وقد اخرجنا في الصحيحين عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسط برده له في ظل الكعبة

⁴⁵⁶مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 310-311 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361

⁴⁵⁷منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 422

فقلنا يا رسول الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم
يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار
فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون
عظمه من لحم وعصب فما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا
الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا
الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون ومعلوم ان هذا انما
ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء على اولئك
لصبرهم وثباتهم وليكون ذلك عزة للمؤمنين من هذه الامة وقال
الله تعالى { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا
شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ
كُنَّا كَارِهِينَ {88} قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ
نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ
رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ {89} الأعراف 88 89⁴⁵⁸

*قال تعالى { قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا
اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ { الأعراف 89 } فالتوكل فله وحده لا شريك
له كما قال { عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا { الأعراف 89 }⁴⁵⁹

*وقوله { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ { الأنبياء 112 } يعنى والله أعلم
انصر أهل الحق أو انصر الحق وقيل افصل الحق بيننا وبين قومنا
وكان الأنبياء يقولون { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ
{ الأعراف 89 } وأمر محمدا أن يقول { رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ

⁴⁵⁸ الاستقامة ج: 2 ص: 333

⁴⁵⁹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 69

{الأنبياء 112} وروى مالك عن زيد بن أسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد قتالا قال رب إحكم بالحق⁴⁶⁰

أخبر أنه بالعذاب الأدنى ما استكانوا وما تضرعوا حتى أخذهم بالإهلاك

*قال تعالى {وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} {السجدة 21} وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } {94} ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } {95} الأعراف 94-95

فهنا أخبر أنه بالعذاب الأدنى ما استكانوا وما تضرعوا حتى

أخذهم بالإهلاك كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } {94} ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } {95} الأعراف 94-95 فقد

ذمهم أنهم لم يتضرعوا لما أخذهم بالبأساء والضراء فإنه بعد هذا بدل الحالة السيئة بالحالة الحسنة فلم يطيعوا فأخذهم بالعذاب بغتة فهنا أخذهم أولا بالضراء ليضرعوا فلم يتضرعوا فابتلاهم الله بالسراء ليطيعوا فلم يطيعوا فأخذهم بالعذاب⁴⁶¹

أن الحسنات والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار

⁴⁶⁰ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 266

⁴⁶¹ رسالة في لفظ السنة في القرآن ج: 1 ص: 57

*فقوله تعالى { وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَئِنْ قَالُوا لَا يَكَادُونَ يَقْفَهُونَ حَدِيثًا {78} مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ {79} النساء 78-79 ليس المراد بالحسنات والسيئات في هذه الآية الطاعة والمعاصي وذلك أن الحسنات والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار دون الطاعات والمعاصي كما في قوله تعالى { وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } الأعراف 168 وهو الشر والخير في قوله { وَبَلَّوْكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } الأنبياء 35 وكذلك قوله { إِنْ تَمَسَسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمُ وَإِنْ تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا } آل عمران 120 وقوله تعالى { وَلَئِن أَدَقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } هود 10 وقوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } {94} ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } {95} الأعراف 94-95⁴⁶²

الإستغفار سبب للرزق والنعمة و المعاصي سبب للمصائب والشدة

* قال تعالى { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } الأعراف 96 قال بعض السلف إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه وفي الحديث عن النبي من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقد أخبر الله تعالى أن الحسنات يذهبن السيئات والإستغفار سبب للرزق والنعمة وأن المعاصي سبب للمصائب

⁴⁶²الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 442 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 207

والشدة فقال تعالى {الر كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} هود 1 إلى قوله {وَيُوتُ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} هود 3 وقال تعالى {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً} نوح 10 إلى قوله {وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً} نوح 12 وقال تعالى {وَأَلِّقُوا اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقاً} 16 {لِنَقُتَهُمْ فِيهِ} 17 {الجن 16-17} وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} الأعراف 96 وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} المائدة 66 وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} الشورى 30 وقال تعالى {وَلَئِن أَدْقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤُوسٌ كَفُورٌ} هود 9 وقال تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} النساء 79 وقال تعالى {فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} 42 {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} 43 {الأنعام 42-43} وقد أخبر الله تعالى في كتابه أنه يبتلي عباده بالحسنات والسيئات فالحسنات هي النعم والسيئات هي المصائب ليكون العبد صبارا شكورا وفي الصحيح عن النبي أنه قال والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ⁴⁶³

*قال تعالى {أَلَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} المائدة 93 الآية وهي بيّنة في الإصلاح والتقوى والاحسان موجبة لرفع الحرج وإن المؤمن

العامل الصالحات المحسن لا حرج عليه ولا جناح فيما طعم فان فيه عوناً له وقوة على الايمان والعمل الصالح والاحسان ومن سواهم على الحرج والجناح لان النعم إنما خلقها الله ليستعان بها على الطاعة والآية مدنية وهي من آخر ما نزل من القرآن وقال تعالى عن ابراهيم { وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } البقرة 126 وقال { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا } الأعراف 96⁴⁶⁴

كل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله وبما أخبر به عن نفسه

* وقال الإمام أبو عبدالله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد باثبات الاسماء والصفات وان مما نعتقد ان العبد ما دام أحكام الدار جارية عليه فلا يسقط عنه الخوف والرجاء وكل من ادعى الأمن فهو جاهل بالله وبما أخبر به عن نفسه { فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } الأعراف 99⁴⁶⁵

سماع الحق يوجب قبوله

* أن المسمع وإن كان أصله نفس السمع الذي يشبه الإدراك لكن اذا كان المسموع طلباً ففائدته وموجبه الاستجابة والقبول واذا كان المسموع خبراً ففائدته التصديق والاعتقاد فصار يدخل مقصوده وفائدته في مسماه نفيًا وإثباتًا فيقال فلان يسمع لفلان أى يطيعه فى أمره أو يصدقه فى خبره وفلان لا يسمع ما يقال له أى لا يصدق الخبر ولا يطيع الأمر كما بين الله السمع عن الكفار فى غير موضع كقوله { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً } البقرة 171 وقوله { وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ

⁴⁶⁴ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 153

⁴⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 82

{ الأنبياء 45 } وذلك لأن سمع الحق يوجب قبوله ايجاب الاحساس الحركة وايجاب علم القلب حركة القلب فان الشعور بالملائم يوجب الحركة اليه والشعور بالمنافر يوجب النفرة عنه فحيث انتفى موجب ذلك دل على إنتفاء مبدئه ولهذا قال تعالى { إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ } { الأنعام 36 } ولهذا جعل سمع الكفار بمنزلة سمع البهائم لأصوات الرعاة أى يسمعون مجرد الأصوات سمع الحيوان لا يسمعون ما فيها من تأليف الحروف المتضمنة للمعانى السمع الذى لا بد أن يكون بالقلب مع الجسم⁴⁶⁶

* قال تعالى { أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَأْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ

لَا يَسْمَعُونَ } الاعراف 100 قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الأبواب والنهى وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون⁴⁶⁷

البصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل

*فان البصر يرى غير مباشرة المرئي والذوق والشم واللمس لا يحصل له الاحساس إلا بمباشرة المحسوس والسمع وإن كان يحس

⁴⁶⁶ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 195

⁴⁶⁷ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

الأصوات فالمقصود الأعظم به معرفة الكلام وما يخبر به
المخبرون من العلم وهذا سبب تفضيل طائفة من الناس ل
السمع على البصر كما ذهب إليه ابن قتيبية وغيره وقال الأكثرون
البصر أفضل من السمع والتحقيق أن إدراك البصر أكمل كما قاله
الأكثرون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاين
لكن السمع يحصل به من العلم لنا أكثر مما يحصل ب البصر ف
البصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل وهاتان الحاستان هما
الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الانسان عن البهائم
استطراد ولهذا يقرن الله بينهما الفؤاد في مواضع كقوله
تعالى { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا
{ الإسراء 36 وقال تعالى { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ
وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ { البقرة 7⁴⁶⁸

طريقان مبتدعان وطريق شرعي في طلب العلم

والدين

*والناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق
شرعي فالطريق الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول
والإستدلال بأدلتها والعمل بموجبها فلا بد من علم بما جاء به وعمل
به لا يكفي أحدهما وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية
والبراهين اليقينية فإن الرسول بين بالبراهين العقلية ما يتوقف
السمع عليه والرسول بينوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها كما
ضرب الله في القرآن من كل مثل وهذا هو الصراط المستقيم الذي
أمر الله عباده أن يسألوه هدايته وأما الطريقان المبتدعان
فأحدهما طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي فإن هذا فيه
باطل كثير وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله من
الأعمال فيبقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل وهؤلاء منحرفون

⁴⁶⁸الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 97

إلى اليهودية الباطلة والثاني طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية الباطلة فإن هؤلاء يقولون إذا صفى الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه فاضت عليه العلوم بلا تعلم وكثير من هؤلاء تكون عبادته مبتدعة بل مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فييقون في فساد من جهة العمل وفساد من نقص العلم حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول وكثير ما يقع من هؤلاء وهؤلاء وتقدح كل طائفة في الأخرى وينتحل كل منهم اتباع الرسول والرسول ليس ما جاء به موافقا لما قال هؤلاء ولا هؤلاء { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل عمران 67 وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأي ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف بل كان على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا عبادة ولا دين ولا تزكية للنفس وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريق الرياضة بمجرد حصول المعارف بلا تعلم ولا نظر ولا تدبر للقرآن والحديث وكلا الفريقين غالط بل لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد لم يعرف ما خص الله به محمدا صلى الله عليه وسلم إن لم يعرف ذلك من جهته وكذلك لو نظر واستدل ماذا عسى أن ينظر لم يحصل له المطلوب إلا بالتعلم من جهته ولا يحصل التعلم المطابق النافع إلا مع العمل به وإلا فقد قال الله تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5 وقال { أُولَئِكَ يَهْدِي لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } {100} تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ } {101} وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ

لَفَاسِقِينَ {102} الأعراف 100- 102 وقال تعالى { وَمَا يُشْعِرُكُمْ
 أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَتَقَلَّبُ أَفْنِدَتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ
 يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ {110} الأنعام 109-110
 469

الأعمال هي سبب في الثواب و العقاب

* قال تعالى { أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ
 نَشَاءُ أَصَبْنَاَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } {100}
 تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا
 كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
 الْكَافِرِينَ } {101} وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَ
 لَفَاسِقِينَ {102} الأعراف 100- 102 الأعمال هي سبب في الثواب
 و العقاب فلو قال قائل إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب و أنه
 قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا توبة و إنه علم ذلك كان هذا كذبا
 و بهتاناً بخلاف ما إذا قال { فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ
 } {البقرة 37} فأكلا منها فبدت لهما سواتهما و طفقا يخصفان عليهما
 من ورق الجنة فإنه يكون صادقا في ذلك و الله سبحانه علم
 ما يكون من آدم قبل أن يكون و هو عالم به بعد أن كان و كذلك
 كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح
 و عاد و ثمود و فرعون و لوط و مدين و غيرهم بذنوبهم و أنه نجى
 الأنبياء و من إتبعهم بإيمانهم و تقواهم كما قال { فَلَمَّا نَسُوا مَا
 دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ
 بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } الأعراف 165 و قال { فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ
 فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذْنَا الصَّيْحَةَ وَمِنْهُمْ مَّنْ
 خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِن

كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ { العنكبوت 40 الآية وقال { ذَلِكَ
جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْغِهِمْ { الأنعام 146⁴⁷⁰

* والمعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى فتكون من سيئات
الجزاء مع أنها من سيئات العمل قال النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى
البر والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى
الصدق حتى يكتب عند الله صدوقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي
إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً وقد ذكر في غير
موضع من القرآن ما يبين أن الحسنه الثانية قد تكون من ثواب
الأولى وكذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى قال تعالى
{ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ } {101} وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ
لَفَاسِقِينَ } {102} الأعراف 101-102 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا
إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } {201}
وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَْيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ } {202} الأعراف 201-

202⁴⁷¹

{ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ } {101} وَمَا

⁴⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 278

⁴⁷¹ الحسنه والسيئة ج: 1 ص: 26

وَجَدْنَا لَأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَ هُمْ

لَفَاسِقِينَ {102}

لطائف لغوية

1- أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت هي مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقا منها أو كان كل واحد منهما مشتقا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضايقة كالأبوة والبنوة أو كالأخوة من الجانبين ونحو ذلك فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرا مطلوبا للأمر مقصودا له كما في قوله { **اعْبُدُوا اللَّهَ** } الأعراف (59 و65 و73 و85) وفي قوله { **وَاتَّقُوا اللَّهَ** } البقرة 189 وفي قوله { **وَأَحْسِنُوا** } وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ { المائدة 93 وفي قوله { **فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** } التغابن 8 وفي قوله { **فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا** } يونس 84 فإن نفس التقوى والإحسان والإيمان والعبادة والتوكل أمور مطلوبة مقصودة بل هي نفس الأمور به

472

2- عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقا دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** } الذاريات 56 وفي قوله { **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** } النساء 36 وقوله { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ** } البقرة 21 وقوله { **إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** } الزمر 2 { **قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي** } الزمر 14 وقوله { **أَفَعَيِّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** } الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله { **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**

وَأَيَّاكَ نَسْتَعِينُ { الفاتحة 5 وقوله { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ { هود 123
وقول نوح { اعْبُدُوا اللَّهَ وَانْقَرِبُوا إِلَيْهِ وَأَطِيعُوا { نوح 3⁴⁷³

3- قال تعالى { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ { 60 } قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ { 61 } الأعراف 60-61 عامة الأسماء يتنوع مسماها
بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل
عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله
{ إِنَّهُمْ أَلْفُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ { 69 } فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ { 70 }
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ { 71 } الصافات 69- 71 وقوله
{ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا { 67 } رَبَّنَا
آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا { 68 } الأحزاب 67- 68
وقوله { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ { طه 123 } ثم
يقرن بالغي والغضب كما في قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ
{ النجم 2 وفي قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ
{ الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ { القمر 47⁴⁷⁴

4- قال تعالى { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ { 60 }
قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ { 61 }
الأعراف 60-61 ان أصناف العالمين يراد به جميع اصناف
الخلق كما في قوله تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { الفاتحة 2⁴⁷⁵

6- قال تعالى { فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ { الاعراف 64 وقال أن لفظ مع
في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران ولا
تدل على أن الأول مختلط بالثاني في عامة موارد الإستعمال
كقوله تعالى { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ { الفتح 29 لم يرد أن

⁴⁷³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

⁴⁷⁴ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

⁴⁷⁵ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

ذواتهم مختلطة بذاته وقوله عن هود {فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ
مِّنَّا} الأعراف 72

وقول قوم شعيب {لَنْخُرِّجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ
قَرْيَتِنَا} الأعراف 88 ⁴⁷⁶

7- والسultan هو الحجة المنزلة من عند الله كما قال تعالى {أَمْ
أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ} الروم 35
وقال تعالى {أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ} {156} فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ} {157} الصافات 156- 157 وقال تعالى {أَتَجَادِلُونَنِي
فِي أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ
} الأعراف 71 ⁴⁷⁷

8- قال تعالى {فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ} الأعراف 72 ورحمته اسم
جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة ⁴⁷⁸

9- قال تعالى {وَإِلَى تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ} الأعراف 73 وقال تعالى {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} الأعراف 85 البينة
من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة
الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة

⁴⁷⁶ منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 390

⁴⁷⁷ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 458 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 316

⁴⁷⁸ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالمهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله { أَوْلَم تَأْتِيهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى } طه 133 أي بيان ما فيها أو يبين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بيينة كما قال { حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } 1 { رَسُوْلٌ مِّنْ اللَّهِ } 2 { البينة 1- 2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بيينة ونور من ربه⁴⁷⁹

10- والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسمياها من يسميها من النظر معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبيينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كما قال صالح لقومه { هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ } الأعراف 73⁴⁸⁰

11- و البديل في حكم تكرير العامل أحيانا كما في قوله { قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ } الأعراف 75⁴⁸¹

12- العالمين يراد به الأدميون فقط على اختلاف اصنافهم كما في قوله تعالى { أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ } الشعراء 165 { وَأَلُوْطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } الأعراف 80 وهم كانوا لا يأتون البهائم ولا الجن⁴⁸²

⁴⁷⁹مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 75

⁴⁸⁰الجواب الصحيح ج: 5 ص: 415

⁴⁸¹مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 581

⁴⁸²مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

13- قال تعالى {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} {الأعراف 81} فالاسراف مجاوزة الحد تعدى الحد ومجاوزة القصد⁴⁸³

14- قوله تعالى {وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا} {آل عمران 147} فهذا ليس من التكرار فى شىء فإن قولهم خبر كان قدم على إسمها و أن قالوا فى تأويل المصدر وهو الإسم فهما إسم كان وخبرها والمعنى وما كان لهم قول إلا قول { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا } {آل عمران 147} ونظير هذا قوله تعالى {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا} {الأعراف 82} والجواب قول وتقول ما لفلان قول إلا قول لا حول ولا قوة إلا بالله فلا تكرر أصلا⁴⁸⁴

15- قال تعالى {وَإِذْ كُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} {الأعراف 74} وقال تعالى {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {الأعراف 85} لفظ الصلاح و الفساد فإذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر وكذلك اسم المصلح والمفسد قال تعالى فى قصة موسى { أَتُرِيدُ أَنْ تَمُوتُنِي كَمَا مَاتَتْ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ } {القصص 19} { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } {الأعراف 142}⁴⁸⁵

⁴⁸³ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 695

⁴⁸⁴ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 279

⁴⁸⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 83

16- فان الحكم يكون بمعنى الأمر الدينى وهو الأحكام الشرعية وقوله { دَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ } الممتحنة 10 ويكون الحكم حكما بالحق والتكوين والفعل كقوله { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } الأنبياء 112 وقوله { فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } الأعراف 87⁴⁸⁶

17- وقوله { قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } الأنبياء 112 يعنى والله أعلم انصر أهل الحق أو انصر الحق وقيل افصل الحق بيننا وبين قومنا وكان الأنبياء يقولون { رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 89 وأمر محمدا أن يقول { رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ } الأنبياء 112 وروى مالك عن زيد بن أسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شهد قتالا قال رب إحكم بالحق⁴⁸⁷

18- قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } 94 { ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } 95 { الأعراف 94-95 لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التى فيها الحال والمحال كلاهما داخل فى الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك فى النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً } النحل 112 وقوله { وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ } 4 { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } 5 { الأعراف 4-5 وقال فى آية أخرى { أَقَامِنِ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ

⁴⁸⁶مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 264

⁴⁸⁷مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 266

نَأْتُمُونَ { الأعراف 97 فجعل القرى هم السكان وقال { وَكَأَيِّنْ
مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا تَاصِرَ
لَهُمْ { محمد 13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى { وَتِلْكَ الْقُرَى
أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا { الكهف 59 وقال تعالى
{ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا { البقرة 259
فهذا المكان لا السكان لكن لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى
قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع
ومنه قولهم قرية الماء فى الحوض اذا جمعتة فيه ونظير ذلك
لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة
وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا
خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر
كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله { وَاسْأَلِ
الْقَرْيَةَ { يوسف 82 مثل قوله { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً
{ النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضرار ولا
حذف⁴⁸⁸

19- قال { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ
مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا

يَكْفُرُونَ { الأعراف 96 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق
والتقييد وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل فى طاعته
كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخله فى طاعته وكذا اسم
التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محظور
قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله
ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف
عذاب الله وهذا كما فى قوله { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ { 54 }
فى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ { 55 } القمر 54- 55 وقد يقرن
بها اسم آخر كقوله { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا { 2 }
وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ

⁴⁸⁸ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163 و مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 113

حَسْبُهُ {3} الطلاق 2- 3 وقوله { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ }
 { يوسف 90 وقوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ }
 { النساء 1 ⁴⁸⁹

20- قال تعالى { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } { الأعراف 96 أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضرر كما قال تعالى { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } { البقرة 286 فبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك ⁴⁹⁰

21- قال { أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاَهُم بِذُنُوبِهِمْ } { الأعراف 100 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الذنوب اذا أطلق دخل فيه ترك كل واجب وفعل كل محرم كما في قوله { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } { الزمر 53 ثم قد يقرن بغيره كما في قوله { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا } آل عمران 147 ⁴⁹¹

22- قال تعالى { تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ } { 101 ذكر بصيغة الجمع { نَقِصُ عَلَيْكَ } { الأعراف 101 و { عَلَيْنَا جَمَعُهُ وَقُرْآنُهُ } { القيامة 17 و { عَلَيْنَا بَيَانُهُ } { القيامة 19 فالقراءة هنا حين يسمعه من جبريل والبيان هنا بيانه لمن يبلغه القرآن ومذهب سلف الأمة وأئمتها وخلفها أن النبي سمع القرآن من جبريل وجبريل سمعه من الله عز وجل واما قوله نزلوا ونقص ونحوه فهذه الصيغة في كلام العرب للواحد العظيم الذي له أعوان يطيعونه فاذا فعل أعوانه فعلا بأمره قال

⁴⁸⁹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

⁴⁹⁰ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

⁴⁹¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

نحن فعلنا كما يقول الملك نحن فتحنا هذا البلد وهو منا هذا الجيش
ونحو ذلك⁴⁹²

⁴⁹² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 128

الاعراف 103-137

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} {103} وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} {104} حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} {105} قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} {106} فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} {107} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} {108} قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ} {109} يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} {110} قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} {111} يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ} {112} وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} {113} قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} {114} قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ} {115} قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ} {116} وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} {117} فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {118} فَغَلَبُوا هَنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ} {119} وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ} {120} قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {121} رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ} {122} قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدِنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} {123} لِأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} {124} قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا

مُنْقَلِبُونَ {125} وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا
 جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوْفِقَنَا مُسْلِمِينَ {126}
 وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ وَيَذِرَكَ وَالْهَيْكَةَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي
 نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ {127} قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
 اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ {128} قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ
 أَنْ تَأْتِنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ
 عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ {129} وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ
 مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ {130} فَاذًا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ
 قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ
 مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
 يَعْلَمُونَ {131} وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لَتَسْحَرْنَا بِهَا
 فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ {132} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
 وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالِدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
 فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ {133} وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
 الرَّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن
 كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ {134} فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ إِلَىٰ آجَلِ هُمْ
 بِالْغَوَةِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ {135} فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي
 الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ {136}
 وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ
 وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ
 عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ
 فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ {137}

جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون

* قال تعالى {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} {103} جميع أهل الملل من أهل القبلة ومن اليهود و من النصارى مطبقون على كفر فرعون فهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يستدل عليه بدليل فإنه لم يكفر أحد بالله ويدعى لنفسه الربوبية والإلهية مثل فرعون ولهذا ثنى الله قصته في القرآن في مواضع فإن القصص إنما هي أمثال مضروبة للدلالة على الإيمان وليس في الكفار أعظم من كفره والقرآن قد دل على كفره وعذابه في الآخرة في مواضع أحدها قوله تعالى في القصص {فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ} {32} إلى قوله {وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ} {42} القصص 42 فأخبر سبحانه أنه أرسله إلى فرعون وقومه وأخبر أنهم كانوا قوما فاسقين فهذا نص في أن فرعون من الفاسقين المكذبين لموسى الظالمين الداعين إلى النار الملعونين في الدنيا بعد غرقهم المقبوحين في الدار الآخرة وهذا نص في أن فرعون بعد غرقه ملعون وهو في الآخرة مقبوح غير منصور وهذا إخبار عن غاية العذاب⁴⁹³

إن الله سبحانه وتعالى لا يحدث شيئا إلا بإحداث

أسباب ودفع موانع

* قال تعالى {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} {103} وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {104} حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} {105} قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} {106} فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} {107} وَنَزَعَ

⁴⁹³ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 280

يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ {108} الأعراف 103-108 فإن الله سبحانه وتعالى لا يحدث شيئا إلا بإحداث أسباب ودفع موانع مثال ذلك غرق قوم نوح لم يكن ماء وجد بلا سبب بل أنزل الله ماء السماء وأنبع ماء الأرض كما قال تعالى { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ {9} فَذَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ {10} فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ {11} وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ {12} وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ {13} تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَن كَانَ كُفِرَ {14} وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ {15} القمر 9-15 } وكل ما وجد في العالم من خوارق العادات آيات الأنبياء وغيرها لم يأت منها شيء إلا بأسباب تقدمته كآيات موسى من مثل مصير العصى حية كانت بعد أن ألقاها إما عند أمر الله بذلك لما ناداه من الشجرة ورأى النار الخارقة للعادة وإما عند مطالبة فرعون له بالآية وإما عند معارضة السحرة لتبتلع حبالهم وعصيهم وكذلك سائر آياته حتى إغراق فرعون كان بعد مسير الجيش وضربه البحر بالعصا وكذلك تفجر الماء من الحجر كان بعد أن ضرب الحجر بعصاه واستسقاء قومه إياه وهم في برية لا ماء عندهم وكذلك آيات نبينا صلى الله عليه وسلم مثل تكثير الماء كان بوضع يده فيه حتى نبع الماء من بين الأصابع أي تفجر الماء من بين الأصابع لم يخرج من نفس الأصابع وكذلك البئر كان ماؤها يكثر إما بإلقائه سهما من كنانته فيها وإما بصبه الماء الذي بصق فيه فيها وكذلك المسيح كان يأخذ من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله إلى أمثال ذلك⁴⁹⁴

الكبر ينافي حقيقة العبودية

⁴⁹⁴ الجواب الصحيح ج: 6 ص: 404

*فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهداهم
أتمهم عبودية من هذا الوجه وهذا هو حقيقة دين الإسلام الذي
أرسل به رسله وأنزل به كتبه وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره
فالمستسلم له ولغيره مشرك والممتنع عن الاستسلام له مستكبر
وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إن
الجنة لا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من كبر كما أن النار لا
يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فجعل الكبر مقابلا
للإيمان فإن الكبر ينافي حقيقة العبودية كما ثبت في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله العظمة إزاري
والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبتة فالعظمة
والكبرياء من خصائص الربوبية والكبرياء أعلى من العظمة ولهذا
جعلها بمنزلة الرداء كما جعل العظمة بمنزلة الأزار ولهذا كان
شعار الصلوات والأذان والأعياد هو التكبير وكان مستحبا في
الأمكنة العالية كالصفا والمروة وإذا علا الإنسان شرفا أو ركب
دابة ونحو ذلك وبه يطفأ الحريق وإن عظم وعند الأذان يهرب
الشیطان قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 وكل
من استكبر من عبادة الله لا بد أن يعبد غيره فإن الإنسان حساس
يتحرك بالإرادة وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال أصدق الأسماء حارث وهمام فالحارث الكاسب
الفاعل والهمام فعال من الهم والهم أول الإرادة فالإنسان له إرادة
دائما وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه فلا بد لكل عبد من
مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته فمن لم يكن الله معبوده
ومنتهى حبه وإرادته بل استكبر عن ذلك فلا بد أن يكون له مراد
محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب إما
المال وإما الجاه وإما الصور وإما ما يتخذه إليها من دون الله
كالشمس والقمر والكواكب والأوثان وقبور الأنبياء والصالحين أو
من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أربابا أو غير ذلك مما عبد من
دون الله وإذا كان عبدا لغير الله يكون مشركا وكل مستكبر فهو

مشارك ولهذا كان فرعون من أعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله وكان مشركا قال تعالى { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {23} إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {24} } غافر 23-24 إلى قوله { وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ } غافر 27 إلى قوله { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ } غافر 35 وقال تعالى { وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ } العنكبوت 39 وقال تعالى { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُدْبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } القصص 4 وقال { فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } النمل 14 قال تعالى { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } الأعراف 103 ومثل هذا في القرآن كثير وقد وصف فرعون بالشرك في قوله { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ } الأعراف 127 بل الاستقراء يدل على أنه كلما كان الرجل أعظم استكبارا عن عبادة الله كان أعظم إشراكا بالله لأنه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره وحاجته إلى المرامد المحبوب الذي هو المقصود مقصود القلب بالقصد الأول فيكون مشركا بما استعبده من ذلك ولن يستغني القلب عن جميع المخلوقات إلا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به ولا يتوكل إلا عليه ولا يفرح إلا بما يحبه ويرضاه ولا يكره إلا ما يبغضه الرب ويكرهه ولا يوالي إلا من والاه الله ولا يعادي إلا من عاداه الله ولا يحب إلا الله ولا يبغض شيئا إلا الله ولا يعطي إلا الله ولا يمنع إلا الله فكلما قوي إخلاص دينه كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات وبكمال عبوديته يبرئه من

الكبير
495

{ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }

* قال تعالى { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } الاعراف 103 قد بين سبحانه وتعالى أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع و السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } يوسف 111 والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الاصابع بالاسنان فاذا قال { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } الحشر 2 وقال { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } يوسف 111 أفاد أن من عمل مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ } آل عمران 137⁴⁹⁶

الفساد الكفر والمعاصي

* قال تعالى { ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } الاعراف 103 لفظ الصلاح و الفساد فاذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر وكذلك اسم المصلح والمفسد قال تعالى في قصة موسى { أَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ مِمَّا تُمُنُّ بِالْأُمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ } القصص 19 { وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي

فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ { الأعراف 142 } وقال
 تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
 مُصْلِحُونَ { 11 } أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ { 12 }
 البقرة 11-12 والضمير عائد على المنافقين في قوله {
 وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ { 8 }
 البقرة 8 وهذا مطلق يتناول من كان على عهد النبي ومن
 سيكون بعدهم ولهذا قال سلمان الفارسي أنه عني بهذه الآية قوما لم
 يكونوا خلقوا حين نزولها وكذا قال السدي عن أشياخه الفساد الكفر
 والمعاصي وعن مجاهد ترك امتثال الأوامر واجتناب النواهي
 والقولان معناهما واحد وعن ابن عباس الكفر وهذا معنى قول من
 قال النفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين
 وعن أبي العالية ومقاتل العمل بالمعاصي وهذا أيضا عام كالأولين

497

مقصود الرسالة لا يحصل بدون الصدق

*فإن كل من أرسله الله لا بد أن يكون صادقا في كل ما يبلغه عن
 الله لا يكذب فيه عمدا ولا خطأ وهذا أمر اتفق عليه الناس كلهم
 المسلمون اليهود والنصارى وغيرهم اتفقوا على أن الرسول لا بد
 أن يكون صادقا معصوما فيما يبلغه عن الله لا يكذب على الله خطأ
 ولا عمدا فإن مقصود الرسالة لا يحصل بدون ذلك كما قال موسى
 عليهم السلام لفرعون { وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
 الْعَالَمِينَ { 104 } حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ
 بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ { 105 } سورة الأعراف
 الأيتان 104 105 وفي القراءة المشهورة يخبر أنه جدير
 وحري وثابت ومستقر على أن لا يقول على الله إلا الحق وعلى

القراءة الأخرى أخبر أنه واجب عليه أن لا يقول على الله إلا الحق

498

* وقال تعالى { وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } {104} حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } {105} سورة الأعراف الأيتان 104- 105 والرسول الذي يكذب على مرسله مثل الذي يكذب في أصل الرسالة والله تعالى عالم بحقائق الأمور فلا فرق بين إظهار المعجز على يد من يكذب في أصل الرسالة أو يكذب فيما يخبر به عن مرسله⁴⁹⁹

انقلاب خشبة تصير حيوانا أعجب من حياة الميت

* وموسى بن عمران من جملة آياته العصا التي انقلبت فصارت ثعبانا مبينا حتى بلعت الحبال والعصي التي للسحرة وكان غير مرة يلقيها فتصير ثعبانا ثم يمسكها فتعود عصا ومعلوم أن هذه آية لم تكن لغيره وهي أعظم من إحياء الموتى فإن الإنسان كانت فيه الحياة فإذا عاش فقد عاد إلى مثل حاله الأول والله تعالى يحيي الموتى بإقامتهم من قبورهم وقد أحيا غير واحد من الموتى في الدنيا وأما انقلاب خشبة تصير حيوانا ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصي فهذا أعجب من حياة الميت⁵⁰⁰

* وأيضا فموسى عليه الصلاة والسلام كان يخرج يده بيضاء من غير سوء وهذا أعظم من إبراء أثر البرص الذي فعله المسيح عليه السلام فإن البرص مرض معتاد وإنما العجب الإبراء منه وأما بياض اليد من غير برص ثم عودها إلى حالها الأول ففيه أمران عجيبان لا يعرف لهما نظير⁵⁰¹

⁴⁹⁸الجواب الصحيح ج: 1 ص: 141

⁴⁹⁹العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 216

⁵⁰⁰الجواب الصحيح ج: 4 ص: 18

⁵⁰¹الجواب الصحيح ج: 4 ص: 19

يقال في الشيء من الله وإن كان مخلوقا إذا كان مختصا بالله

*والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميتها من يسميها من النظر معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كما قال فرعون لموسى عليه السلام { قَالَ إِنْ كُنْتَ جِنَّتَ بآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ } الأعراف⁵⁰² 106

*قال تعالى { وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } {104} حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ } {105} سورة الأعراف
الآيتان 104-105 البينة من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينة في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله { أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ } طه{133} أي بيان ما فيها أو يبين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بينة كما قال { حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } {1} رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ {2} البينة 1-2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بينة ونور من ربه ولفظ من أبلغ صيغ العموم لا سيما إذا كانت شرطا أو إستفهاما كقوله { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } {7} { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } {8} الزلزلة 7-8 وقوله { أَفَمَنْ زِينٌ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا } فاطر8 وقوله { أَوْ مَنْ كَانَ

⁵⁰²الجواب الصحيح ج: 5 ص: 415

مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ { الأنعام 122 } وقوله { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ
كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ { محمد 14 }⁵⁰³

*وقد يقال في الشيء من الله وإن كان مخلوقا إذا كان مختصا بالله
كآيات الأنبياء كما قال لموسى { فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ
{ القصص 32 } وقلب العصا حية وإخراج اليد بيضاء من غير سوء
مخلوق لله لكنه منه لأنه دل به وارشد إلى صدق نبيه موسى وهو
تصديق منه وشهادة منه له بالرسالة والصدق فصار ذلك من الله
بمنزلة البينة من الله والشهادة من الله وليست هذه الآيات مما تفعله
الشياطين والكهان كما يقال هذه علامة من فلان وهذا دليل من
فلان وإن لم يكن ذلك كلاما منه قد سمي موسى ذلك بينة
من الله فقال { فَذَجِّنْتُمْ بَيِّنَةً مِّن رَّبِّكُمْ } { الأعراف 105 } فقوله {
بَيِّنَةً مِّن رَّبِّكُمْ } { الأعراف 105 } كقوله { فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ
{ القصص 32 } وهذه البينة هنا حجة وآية ودلالة مخلوقة تجرى
مجرى شهادة الله وأخباره بكلامه كالعلامة التي يرسل بها الرجل
إلى أهله وكلية قال سعيد بن جبير في الآية هي كالخاتم تبعث به
فيكون هذا بمنزلة قوله صدقوه فيما قال أو أعطوه ما طلب⁵⁰⁴

الناس إذا طعنوا في نبوة نبي واعتقدوا علمه قالوا

هو ساحر

*وقد عرف الناس أن السحرة لهم خوارق ولهذا كانوا إذا طعنوا
في نبوة نبي واعتقدوا علمه قالوا هو ساحر كما قال الملائمة من قوم
فرعون لموسى { قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ
عَلِيمٌ } { 109 } يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ } { 110 } { الأعراف 109-110 }⁵⁰⁵

⁵⁰³ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 83-83

⁵⁰⁴ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 101

⁵⁰⁵ النبوات ج: 1 ص: 21

* الفرق ما بين عصا موسى و عصي السحرة فان تلك كانت حية تسعى و تلك يخيل اليه من سحرهم انها تسعى و لا ريب ان السحرة قد يشتبهون بالأنبياء و الأولياء و يأتون ما يظن أن يضاهي ما تأتي به الأنبياء كما أتى سحرة فرعون بما يضاهون به معجزة موسى { فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ } الشعراء 45 الى قوله { سَاجِدِينَ } الشعراء 46⁵⁰⁶

علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم

* يجب في آيات الأنبياء أن لا يعارضها من ليس بنبي فكل من عارضها صادرا ممن ليس من جنس الأنبياء فليس من آياتهم ولهذا طلب فرعون أن يعارض ما جاء به موسى لما ادعى أنه ساحر فجمع السحرة ليفعلوا مثل ما يفعل موسى فلا تبقى حجته مختصة بالنبوة وأمرهم موسى أن يأتوا أولا بخوارقهم فلما أنت وابتلعتها العصا التي صارت حية علم السحرة أن هذا ليس من جنس مقدورهم فأمنوا إيماناً جازماً { وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ } {120} قَالُوا أَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } {121} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } {122} الاعراف 120-122

فكان من تمام علمهم بالسحر أن السحر معتاد لأمثالهم وأن هذا ليس من هذا الجنس بل هذا مختص بمثل هذا فدل على صدق دعواه⁵⁰⁷

السجود يشرع منفردا عن الصلاة

* فقد أخبر الله في غير موضع من القرآن عن سجود سحرة فرعون كما قال تعالى { وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ } {120} قَالُوا أَمَّنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } {121} رَبِّ مُوسَى

⁵⁰⁶ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 390

⁵⁰⁷ النبوات ج: 1 ص: 14

وَهَارُونَ {122} الأعراف 120- 122 وكما قال تعالى { فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ {46} قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {47} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ {48} الشعراء 46-48 } وذلك سجود مع إيمانهم وهو مما قبله الله منهم وأدخلهم به الجنة ولم يكونوا على طهارة وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بنسخه ولو قرئ القرآن على كفارة فسجدوا لله سجود إيمان بالله ورسوله محمد أو رأوا آية من آيات الإيمان فسجدوا لله مؤمنين بالله ورسوله لنفعمهم ذلك ومما يبين هذا أن السجود يشرع منفردا عن الصلاة كسجود التلاوة وسجود الشكر وكالسجود عند الآيات فإن ابن عباس لما بلغه موت بعض أمهات المؤمنين سجد وقال ان رسول الله أمرنا إذا رأينا آية ان نسجد وقد تنازع الفقهاء في السجود المطلق لغير سبب هل هو عبادة أم لا ومن سوغه يقول هو خضوع لله والسجود هو الخضوع قال تعالى { وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ } البقرة 58 قال أهل اللغة السجود في اللغة هو الخضوع وقال غير واحد من المفسرين أمروا أن يدخلوا ركعا منحنين فان الدخول مع وضع الجبهة على الأرض لا يمكن وقد قال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْحِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ } الحج 18 وقال تعالى { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا } الرعد 15 ومعلوم أن سجود كل شيء بحسبه ليس سجود هذه المخلوقات وضع جباهها على الأرض وقد قال النبي في حديث أبي ذر لما غربت الشمس إنها تذهب فتسجد تحت العرش رواه البخاري ومسلم فعلم ان السجود اسم جنس وهو كمال الخضوع لله وأعز ما في الإنسان وجهه فوضعه على الأرض لله غاية خضوعه ببدنه وهو غاية ما يقدر عليه من ذلك ولهذا قال النبي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقال تعالى { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } العلق 19 فصار من جنس أذكار الصلاة التي تشرع خارج الصلاة كالتسبيح

والتحميد والتكبير والتلهيل وقراءة القرآن وكل ذلك يستحب له
الطهارة 508

الإسلام دين جميع المرسلين

*وقد ذكر في غير موضع أن دين الأنبياء كلهم الإسلام كما قال تعالى عن نوح { وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } النمل 91 وقال عن إبراهيم وقال عن إبراهيم { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } { 131 } وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُونَنَّ إِلَّا وَآنْتُمْ مُسْلِمُونَ } { 132 } البقرة 131- 132 وقال يوسف { فَاطْرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } يوسف 101 { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 84 وقال عن السحرة { رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ } الأعراف 126 وقال عن بلقيس { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44 وقال { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ } المائدة 44 وقال { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ } المائدة 111 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحدا وهو الإسلام كالدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه هو دين الإسلام أولا وآخرا وكانت القبلة في أول الأمر بيت المقدس ثم صارت القبلة الكعبة وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الإسلام فهكذا سائر ما شرع للأنبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحدا وجعل الباطل متعددا كقوله { وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

508 مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 283 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 73

عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {الأنعام 153} وقوله {
 اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {7} الفاتحة 6-7 ⁵⁰⁹

* و حقيقة الدين هي عبادة الله وحده لا شريك له وهي حقيقة دين
 الاسلام وهو ان يستسلم العبد لله رب العالمين لا يستسلم لغيره فمن
 استسلم له ولغيره كان مشركا والله { لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
 {النساء 48} ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته كان ممن
 قال الله فيه { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ
 دَاخِرِينَ } غافر 60 ودين الاسلام هو دين الأولين والآخرين من
 النبيين والمرسلين وقوله تعالى { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
 يُقْبَلَ مِنْهُ } آل عمران 85 عام في كل زمان ومكان فنوح
 وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم
 دينهم الاسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له فنوح
 وإبراهيم ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى والحواريون كلهم
 دينهم الاسلام الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له قال الله تعالى
 عن نوح { يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبْرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ
 فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ } يونس 71 إلى قوله { وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ } يونس 72 وقال السحرة { رَبَّنَا أفرغ علينا صَبْرًا
 وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ } الأعراف 126 ⁵¹⁰

وصف الله السحرة بالاسلام والايمن

* وقد صار الناس في مسمى الاسلام على ثلاثة أقوال قيل هو
 الإيمان وهما إسمان لمسمى واحد وقيل هو الكلمة وهذان القولان
 لهما وجه سنذكره لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي صلى الله
 عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والايمن ففسر الاسلام بالاعمال

⁵⁰⁹509 منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 265-267 و مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 111

⁵¹⁰510 مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 220

الظاهرة والايمان بالايمان بالاصول الخمسة فليس لنا اذا جمعنا بين الاسلام والايمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي وأما اذا أفرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام واذا أفرد الاسلام فقد يكون مع الاسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب وهل يكون مسلما ولا يقال له مؤمن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل يستلزم الاسلام للايمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبينه والوعد الذي في القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب إنما هو معلق باسم الايمان وأما اسم الاسلام مجردا فما علق به في القرآن دخول الجنة لكنه فرضه واخبر أنه دينه الذي لا يقبل من أحد سواه وبالاسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } آل عمران 85 وقد وصف الله السحرة بالاسلام والايمان معا فقالوا { **أَمَّنَّا بِرَبِّ**

الْعَالَمِينَ } 121 { **رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ** } 122 { **الأعراف** 121-122 وقالوا { **وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا**

{ **الأعراف** 126 وقالوا { **إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ** } الشعراء 51 وقالوا { **رَبَّنَا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين** } **الأعراف** 126 ووصف الله أنبياء

بنى اسرائيل بالاسلام في قوله { **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ** } المائدة 44 والانبيا كلهم مؤمنون

ووصف الحواريين بالايمان والاسلام فقال تعالى { **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** } المائدة 111 و { **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ**

أَمَّنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران 52 وحقيقة الفرق أن الاسلام دين و الدين مصدر دان يدين ديننا اذا خضع وذل و دين الاسلام الذي إرتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فاصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده و عبد معه الها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما والاسلام هو الإستسلام لله وهو

الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا
 استسلم فالاسلام فى الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح
 وأما الايمان فاصله تصديق واقرار ومعرفة فهو من باب قول
 القلب المتضمن عمل القلب والاصل فيه التصديق والعمل تابع له
 فلهذا فسر النبى صلى الله عليه وسلم الايمان بايمان القلب
 وبخضوعه وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفسر
 الإسلام بإستسلام مخصوص هو المبانى الخمس وهكذا فى
 سائر كلامه يفسر الايمان بذلك النوع ويفسر الاسلام بهذا وذلك
 النوع أعلى ولهذا قال النبى الاسلام علانية والايمان فى القلب
 فان الاعمال الظاهرة يراها الناس وأما ما فى القلب من تصديق
 ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن لكن له لوازم قد تدل عليه
 واللازم لا يدل الا اذا كان ملزوما فلهذا كان من لوازمه ما يفعله
 المؤمن والمنافق فلا يدل فى حديث عبدالله بن عمرو وابى هريرة
 جميعا ان النبى قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
 والمؤمن من امنه الناس على دمائهم وأموالهم ففسر المسلم بأمر
 ظاهر وهو سلامة الناس منه وفسر المؤمن بأمر باطن وهو أن
 يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة اعلى من تلك فان من
 كان مأمونا سلم الناس منه وليس كل من سلموا منه يكون مأمونا
 فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون اليه خوفا ان يكون ترك أذاهم لرغبة
 ورهبة لا لايمان فى قلبه وفى حديث عبيد بن عمير عن عمرو
 بن عبسة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال للنبى ما
 الاسلام قال اطعام الطعام ولين الكلام قال فما الايمان قال
 السماحة والصبر فاطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الإنسان
 لمقاصد متعددة وكذلك لين الكلام وأما السماحة والصبر فخلقان فى
 النفس قال تعالى { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ } البلد 17
 وهذا أعلى من ذلك وهو أن يكون صبارا شكورا فيه سماحة
 بالرحمة للانسان وصبر على المكاره وهذا ضد الذى خلق هلوعا
 اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فان ذلك ليس فيه عند
 النعمة ولا صبر عند المصيبة وتام الحديث فأى الاسلام أفضل

قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قال يا رسول الله أى المؤمنين أكمل إيماناً قال أحسنهم خلقاً قال يا رسول الله أى القتل أشرف قال من أريق دمه وعقر جواده قال يا رسول الله فأى الجهاد أفضل قال الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله قال يا رسول الله فأى الصدقة أفضل قال جهد المقل قال يا رسول الله فأى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال يا رسول الله فأى الهجرة أفضل قال من هجر السوء وهذا محفوظ عن عبيد بن عمير تارة يروى مرسلًا وتارة يروى مسندًا وفى رواية أى الساعات أفضل قال جوف الليل الغابر وقوله أفضل الإيمان السماحة والصبر يروى من وجه آخر عن جابر عن النبى وهكذا فى سائر الأحاديث انما يفسر الاسلام بالاستسلام لله بالقلب مع الاعمال الظاهرة كما فى الحديث المعروف الذى رواه أحمد عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده أنه قال والله يا رسول الله ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعى هذه أن لا أتيك فبالذى بعثك بالحق ما بعثك به قال الاسلام قال وما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله وان توجه وجهك إلى الله وان تصلى الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة أخوان نصيران لا يقبل الله من عبد اشرك بعد إسلامه وفى رواية قال أن تقول أسلمت وجهى لله وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وكل مسلم على مسلم محرم وفى لفظ تقول أسلمت نفسى لله وخليت وجهى إليه وروى محمد بن نصر من حديث خالد بن معدان عن أبى هريرة قال قال رسول الله أن للاسلام صوى ومنازا كمنار الطريق من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وتسلم على بنى ادم اذا لقيتهم فان ردوا عليك ردت عليك وعليهم الملائكة وان لم يردوا عليك ردت عليك الملائكة ولعنتم ان سكت عنهم وتسليمك على أهل بيتك اذا دخلت عليهم فمن

إنتقص منهن شيئاً فهو سهم فى الإسلام تركه ومن تركهن فقد نبذ
الإسلام وراء ظهره⁵¹¹

دين الإسلام بعث الله به الأولين والآخريين من

الرسل

*وكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم بحيث يبعث فى كل أمة رسولا ليقم هداه وحجته وكان دينه الذي ارتضاه الله لنفسه هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين والآخريين من الرسل ولا يقبل من أحد ديناً غيره لا من الأولين ولا من الآخريين وهو دين الأنبياء وأتباعهم كما أخبر الله تعالى بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين وأخبر تعالى عن السحرة أنهم قالوا لفرعون { قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } {125} وَمَا نَنفَعُ مِنْهَا إِلَّا أَنْ أَمَّنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْنَا مُسْلِمِينَ } {126} الاعراف 125-126 فهذا دين الأولين والآخريين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وعبادته تعالى فى كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام فلا يكون عابداً له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله كالذين قال فيهم فلا يكون مؤمناً به إلا من عبده بطاعة رسله ولا يكون مؤمناً به ولا عابداً له إلا من آمن بجميع رسله⁵¹²

*أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الإسلام لكن لم يظهر هذا الدين واسمه وانتشر ذكر دين الإسلام فى الأرض كما ظهر لمحمد فمحمد أركان الإسلام الذي يجمع كل خير وبر كما أن إبليس أركان الشر وقالت السحرة لما أسلموا وأراد فرعون قتلهم { رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّأْنَا مُسْلِمِينَ } {الأعراف 126} ⁵¹³

⁵¹¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 262-266

⁵¹² الجواب الصحيح ج: 1 ص: 82

⁵¹³ الجواب الصحيح ج: 5 ص: 309

* ودين الإسلام مبنى على أصليين أن نعبد الله وحده لا شريك له وأن نعبده بما شرعه من الدين وهو ما أمرت به الرسل أمر إيجاب أو أمر استحباب فيعبد في كل زمان بما أمر به في ذلك الزمان فلما كانت شريعة التوراة محكمة كان العاملون بها مسلمين وكذلك شريعة الإنجيل وكذلك في أول الإسلام لما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى الى بيت المقدس كانت صلاته اليه من الإسلام ولما أمر بالتوجه الى الكعبة كانت الصلاة اليها من الإسلام والعدول عنها الى الصخرة خروجاً عن دين الإسلام فكل من لم يعبد الله بعد مبعث محمد بما شرعه الله من واجب ومستحب فليس بمسلم ولا بد في جميع الواجبات والمستحبات أن تكون خالصة لله رب العالمين⁵¹⁴

* ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص مأخوذ من قوله تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} الزمر 29 فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر 60 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس بطر الحق جرده ودفعه وغمط الناس ازدرأؤهم واحتقارهم⁵¹⁵

⁵¹⁴ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 190 و الصغدية ج: 2 ص: 303 و الجواب الصحيح ج: 2 ص: 130

⁵¹⁵ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 454

المستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل

* حقيقة الدين بان يعبد الله وحده لا شريك له وهذه الحقيقة الدينية التي اتفق عليها الرسل هي دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره والشرك الذي حرمه على السن رسله ان يعبد مع الله غيره ومن لم يعبد الله اصلا كفر عون ونحوه ممن قال الله فيهم { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 فهو لاء معطلة وهم شر الكفار ومع هذا يكون لهم ما يعبدونه دون الله كما قال تعالى في قوم فرعون { وَيَذَرِكْ وَالْهَتَاكْ } الأعراف 127 فقال غير واحد من السلف كان له آلهة يعبدها ومن عبد مع الله إلهها آخر فهو مشرك الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله 516

* و أن المستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل فيكون المستكبر مشركا كما ذكر الله عن فرعون وقومه أنهم كانوا مع استكبارهم وجحودهم مشركين فقال عن مؤمن آل فرعون { وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ } {41} تَدْعُونَنِي لِأَكْفَرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقَّارِ } {42} لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } {43} غافر 41-43 وقال { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ } غافر 34 الآية وقال يوسف الصديق لهم { يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } {39} مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } {40} يوسف 39-40 وقد قال تعالى { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذِرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرِكْ وَالْهَتَاكْ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

⁵¹⁶الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 292

قَاهِرُونَ } الأعراف 127 فإن قيل كيف يكون قوم فرعون
مشركين وقد أخبر الله عن فرعون أنه جحد الخالق فقال { قَالَ
فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } الشعراء 23 وقال { مَا عَلِمْتُ
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } القصص 38 وقال { أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى
} النازعات 24 وقال عن قومه { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا
هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ } { 13 } وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا
وَعُلُوًّا } { 14 } النمل 13-14 والإشراك لا يكون إلا من مقر بالله
وإلا فالجحد له لم يشرك به قيل لم يذكر الله جحد الصانع إلا
عن فرعون موسى وأما الذين كانوا في زمن يوسف فالقرآن يدل
على أنهم كانوا مقرين بالله وهم مشركون به ولهذا كان خطاب
يوسف للملك وللعزيز ولهم يتضمن الإقرار بوجود الصانع كقوله
{ أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } يوسف 39 {
ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النُّسُوءِ } يوسف 50 الى قوله
{ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ } يوسف 50 { وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ
الْخَائِبِينَ } يوسف 52 الى قوله { وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ
لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } يوسف 53
وقد قال مؤمن آل حم { وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ فَمَا
زَلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن نَّبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ
رَسُولًا } غافر 34 فهذا يقتضي أن أولئك الذين بعث اليهم
يوسف كانوا يقرون بالله ولهذا كان اخوة يوسف يخاطبونه قبل
أن يعرفوا أنه يوسف ويظنونه من آل فرعون بخطاب يقتضي
الإقرار بالصانع كقولهم { تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي
الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ } يوسف 73 وقال لهم { أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ } يوسف 77 وقال { قَالَ مَعَادَ اللَّهِ إِنَّ
نَاخِذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ } يوسف 79 وقالوا له { يَا أَيُّهَا
الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضَّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ
وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ } يوسف 88 وذلك أن
فرعون الذي كان في زمن يوسف أكرم أبويه وأهل بيته لما قدموا
إكراما عظيما مع علمه بدينهم وإستقراء أحوال الناس يدل على

ذلك فإن جحود الصانع لم يكن ديننا غالبا على أمة من الأمم قط وإنما كان دين الكفار الخارجين عن الرسالة هو الإشراف وإنما كان يجحد الصانع بعض الناس وأولئك كان علماءهم من الفلاسفة الصابئة المشركين الذين يعظمون الهياكل والكواكب والأصنام والخبار المروية من نقل أخبارهم وسيرهم كلها تدل على ذلك ولكن فرعون موسى {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَّاعُوهُ} الزخرف 54 وهو الذي قال لهم دون الفراعنة المتقدمين {مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} القصص 38 ثم قال لهم بعد ذلك {أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى} 24 {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرَةِ وَالْأُولَى} 25 {النازعات 25 نكال الكلمة الأولى ونكال الكلمة الأخيرة وكان فرعون فى الباطن عارفا بوجود الصانع وإنما إستكبر كإبليس وأنكر وجوده ولهذا قال له موسى {لَقَدْ عَلَّمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ} الإسراء 102 فلما أنكر الصانع وكانت له آلهة يعبدها بقي على عبادتها ولم يصفه الله تعالى بالشرك وإنما وصفه بجحود الصانع وعبادة آلهة اخرى والمنكر للصانع منهم مستكبر كثيرا ما يعبد آلهة ولا يعبد الله قط فانه يقول هذا العالم واجب الوجود بنفسه وبعض أجزائه مؤثر فى بعض ويقول إنما إنتفع بعبادة الكواكب والأصنام ونحو ذلك ولهذا كان باطن قول هؤلاء الاتحادية المنتسبة إلى الإسلام هو قول فرعون وكنت أبين أنه مذهبهم وأبين أنه حقيقة مذهب فرعون حتى حدثنى الثقة عن بعض طواغيتهم أنه قال نحن على قول فرعون ولهذا يعظمون فرعون فى كتبهم تعظيما كثيرا فانهم لم يجعلوا ثم صانعا للعالم خلق العالم ولا أثبتوا ربا مدبرا للمخلوقات وإنما جعلوا نفس الطبيعة هى الصانع ولهذا جوزوا عبادة كل شيء وقالوا من عبده فقد عبد الله ولا يتصور عندهم أن يعبد غير الله فما من شيء يعبد إلا وهو الله وهذه الكائنات عندهم اجزائه أو صفاته كأجزاء الانسان أو صفاته فهؤلاء إذا عبدوا الكائنات فلم يعبدوها لتقربهم الى الله زلفى لكن لأنها عندهم هى الله أو مجلى من مجاليه أو بعض من ابعاضه أو صفة من صفاته أو تعين من تعيناته وهؤلاء يعبدون ما يعبده

فرعون وغيره من المشركين لكن فرعون لا يقول هي الله ولا تقربنا الى الله والمشركون يقولون هي شفعاؤنا وتقربنا الى الله وهؤلاء يقولون هي الله كما تقدم وأولئك أكفر من حيث اعترفوا بأنهم عبدوا غير الله أو جحدوه وهؤلاء أوسع ضلالا من حيث جوزوا عبادة كل شيء وزعموا أنه هو الله وإن العابد هو المعبود وإن كانوا إنما قصدوا عبادة الله وإذا كان أولئك كانوا مشركين كما وصفوا بذلك وفرعون موسى هو الذي جحد الصانع وكان يعبد الآلهة ولم يصفه الله بالشرك فمعلوم أن المشركين قد يحبون آلهتهم كما يحبون الله أو تزيد محبتهم لهم على محبتهم لله ولهذا يشتمون الله إذا شتمت آلهتهم كما قال تعالى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} {الأنعام 108} فقوم فرعون قد يكونون أعرضوا عن الله بالكلية بعد أن كانوا مشركين به واستجابوا لفرعون في قوله { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } {24} النازعات 24 و { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } القصص 38 ولهذا لما خاطبهم المؤمن ذكر الأمرين فقال {تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} { غافر 42} فذكر الكفر به الذي قد يتناول جحوده وذكر الإشراف به أيضا فكان كلامه متناولا للمقاتلين والحالين جميعا فقد تبين أن المستكبر يصير اما بعبادة آلهة أخرى مع استكباره عن عبادة الله لكن تسمية هذا شركا نظير من امتنع مع استكباره عن إخلاص الدين لله كما قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} {35} وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَيْنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} {36} {الصافات 35-36} فهؤلاء مستكبرون مشركون وإنما استكبارهم عن إخلاص الدين لله فالمستكبر الذي لا يقر بالله في الظاهر كفر عاون أعظم كفرا منهم وابلوس الذي يأمر بهذا كله ويحبه ويستكبر عن عبادة ربه وطاعته أعظم كفرا من هؤلاء وإن كان عالما بوجود الله وعظمته كما أن فرعون كان أيضا عالما بوجود الله وإذا كانت البدع والمعاصي شعبة من الكفر وكانت مشتقة من شعبة كما أن الطاعات كلها شعبة من شعب الإيمان

ومشتقة منه وقد علم أن الذي يعرف الحق ولا يتبعه غاو يشبه اليهود وان الذي يعبد الله من غير علم وشرع هو ضال يشبه النصارى كما كان يقول من يقول من السلف من فسد من العلماء فيه شبه من اليهود ومن فسد من العباد ففيه شبه من النصارى فعلى المسلم أن يحذر من هذين الشبهين الفاسدين من حال قوم فيهم استكبار وقسوة عن العبادة والتأله وقد أوتى نصيبا من الكتاب وحظا من العلم وقوم فيهم عبادة وتأله بأشراك بالله وضلال عن سبيل الله ووحيه وشرعه وقد جعل فى قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها وهذا كثير منتشر فى الناس والشبه تقل تارة وتكثر اخرى فاما المستكبرون المتألهون لغير الله الذين لا يعبدون الله وانما يعبدون غيره للانتفاع به فهو لاء يشبهون فرعون⁵¹⁷

كمال العبودية لله يبرء من الكبر والشرك

* و حقيقة دين الاسلام الذى أرسل به رسله وانزل به كتبه وهو ان يستسلم العبد لله لا لغيره فالمستسلم له ولغيره مشرك والممتنع عن الاستسلام له مستكبر وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ان الجنه لا يدخلها من فى قلبه مثقال ذره من كبر كما النار لا يدخلها من فى قلبه مثقال ذرة من الايمان فجعل الكبر مقابلا للايمان فان الكبر ينافى حقيقة العبودية كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعني واحدا منهما عذبتة فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية والكبرياء اعلى من العظمة ولهذا جعلها بمنزلة الرداء كما جعل العظمة بمنزلة الازار ولهذا كان شعار الصلوات والاذان والاعیاد هو التكبير وكان مستحبا فى الامكنة العالية كالصفا والمروة واذا علا الانسان شرفا او ركب دابة ونحو ذلك وبه يطفأ الحريق وان عظم وعند الاذان يهرب الشيطان قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ

⁵¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 628-634

عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ { غافر 60 } وكل من استكبر عن عبادة الله لابد ان يعبد غيره فإن الانسان حساس يتحرك بالارادة وقد ثبت فى الصحيح عن النبي انه قال اصدق الاسماء حارث وهمام فالحارث الكاسب الفاعل والهمام فعال من الهم والهم اول الارادة فالانسان له ارادة دائما وكل ارادة فلا بد لها من مراد تنتهي اليه فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وارادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وارادته بل استكبر عن ذلك فلا بد ان يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب اما المال واما الجاه واما الصور واما ما يتخذه لها من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والاوثنان وقبور الانبياء والصالحين او من الملائكة والانبياء الذين يتخذهم اربابا او غير ذلك مما عبد من دون الله واذا كان عبدا لغير الله يكون مشركا وكل مستكبر فهو مشرك ولهذا كان فرعون من اعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله وكان مشركا قال تعالى { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {23} إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ {24} غافر 23-24 الى قوله { وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ {27} غافر 27 الى قوله { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ { غافر 35 } وقال تعالى { وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ { العنكبوت 39 } وقال تعالى { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ { القصص 4 } الى قوله { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ {38} } وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ {39} } فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ {40} } القصص 38-40 } ومثل هذا فى القرآن كثير وقد وصف فرعون بالشرك فى قوله

{ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذُرَكَ وَالْهَتَّكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا
فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } الأعراف 127 بل الاستقراء يدل على انه كلما كان
الرجل اعظم استكبارا عن عبادة الله كان الرجل اعظم اشراكا بالله
لانه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره او حاجته الى المراد
المحسوب الذي هو المقصود مقصود القلب بالقصد الاول فيكون
مشركا بما استعبده من ذلك ولن يستغنى القلب عن جميع
المخلوقات الا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا اياه ولا
يستعين الا به ولا يتوكل الا عليه ولا يفرح الا بما يحبه ويرضاه
ولا يكره الا ما يبغضه الرب ويكرهه ولا يوالي الا من والاه الله
ولا يعادى الا من عاداه الله ولا يحب إلا الله ولا يبغض شيئا الا الله
ولا يعطى الا الله ولا يمنع الا الله فكلما قوى اخلاص دينه لله كملت
عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات وبكمال عبوديته لله يبرئه من
الكبر والشرك⁵¹⁸

أكفر أهل الأرض الذين يزعمون سقوط الأمر والنهي عنهم بالكلية

* ان المتمسكين بجملة منسوجة فيها تبديل خير من هؤلاء الذين
يزعمون سقوط الأمر والنهي عنهم بالكلية فان هؤلاء خارجون في
هذه الحال عن جميع الكتب والشرائع والملل لا يلتزمون لله امرا
ولا نهيا بحال بل هؤلاء شر من المشركين المستمسكين ببقايا من
الملل كمشركى العرب الذين كانوا مستمسكين ببقايا من دين
ابراهيم عليه السلام فان أولئك معهم نوع من الحق يلتزمونه وان
كانوا مع ذلك مشركين وهؤلاء خارجون عن التزام شىء من الحق
بحيث يظنون أنهم قد صاروا سدى لا أمر عليهم ولا نهى فمن
كان من قوله هو أنه أو طائفة غيره قد خرجت عن كل أمر ونهى
بحيث لا يجب عليها شىء ولا يحرم عليها شىء فهؤلاء أكفر أهل

الأرض وهم من جنس فرعون وذويه وهم مع هذا لا بد أن يلتزموا بشيء يعيشون به إذ لا يمكن النوع الانساني ان يعيش الا بنوع امر ونهى فيخرجون عن طاعة الرحمن وعبادته الى طاعة الشيطان وعبادته ففرعون هو الذى قال لموسى { وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } الشعراء 23 ثم كانت له آلهة يعبدها كما قال له قومه { وَيَذَرِكْ وَالْهَتَّاكَ } الأعراف 127 ولكن كثير من هؤلاء لا يطلقون السلب العام ويخرجون عن رجعة العبودية مطلقا بل يزعمون سقوط بعض الواجبات عنهم أو حل بعض المحرمات لهم فمنهم من يزعم أنه سقطت عنه الصلوات الخمس لوصوله إلى المقصود وربما قد يزعم سقوطها عنه إذا كان فى حال مشاهدة وحضور وقد يزعمون سقوط الجماعات عنهم استغناء عنها بما هو فيه من التوجه والحضور ومنهم من يزعم سقوط الحج عنه مع قدرته عليه لأن الكعبة تطوف به أو لغير هذا من الحالات الشيطانية ومنهم من يستحل الفطر فى رمضان لغير عذر شرعى زعما منه استغناؤه عن الصيام ومنهم من يستحل الخمر زعما منه انها انما تحرم على العامة الذين إذا شربوها تخاصموا وتضاربوا دون الخاصة العقلاء ويزعمون انها تحرم على العامة الذين ليس لهم اعمال صالحة فأما أهل النفوس الزكية والاعمال الصالحة فتباح لهم دون العامة وهذه الشبهة كانت قد وقعت لبعض الأولين فاتفق الصحابة على قتلهم ان لم يتوبوا من ذلك فان قدامة بن عبد الله شر بها هو وطائفة وتأولوا قوله تعالى { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } المائدة 93 فلما ذكر ذلك لعمر بن الخطاب اتفق هو وعلى بن أبى طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا وان اصروا على استحلالها قتلوا وقال عمر لقدامة اخطأت استك الحفرة اما أنك لو اتقيت وأمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر وذلك ان هذه الآية نزلت بسبب ان الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة احد قال بعض الصحابة فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر فأنزل

الله هذه الآية يبين فيها ان من طعم الشيء في الحال التي لم تحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين ⁵¹⁹

لا بد من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور

* الناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {التغابن 11} قال ابن مسعود أو غيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمره بالحرص على ما ينفعه وهو طاعة الله ورسوله فليس للعباد أنفع من طاعة الله ورسوله وأمره إذا أصابته مصيبة مقدره أن لا ينظر إلى القدر ولا يتحسر بتقدير لا يفيد ويقول قدر الله وما شاء فعل ولا يقول لو أني فعلت لكان كذا فيقدر ما لم يقع يتمنى أن لو كان وقع فإن ذلك إنما يورث حسر وحرنا لا يفيد والتسليم للقدر هو الذي ينفعه كما قال بعضهم الأمر أمران أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه وأمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه وما زال أئمة الهدى من الشيوخ وغيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل المأمور ويترك المحذور ويصبر على المقدور وإن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي وبهذا جاء الكتاب والسنة قال الله تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ} {التغابن 11} وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} {الحديد 22} وسواء في ذلك المصائب السماوية والمصائب التي تحصل بأفعال الأدميين قال تعالى

{وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} {المزمّل} 10
 {وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ
 أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} {الأنعام} 34 وقال في سورة الطور بعد قوله {
 فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ} {29} {أَمْ يَقُولُونَ
 شَاعِرٌ تَتْرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ} {30} {قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّن
 الْمُنْتَرِبِينَ} {31} {الطور} 29-31 إلى قوله {أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَّا
 يُؤْمِنُونَ} {33} {الطور} 33 إلى قوله {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ
 مُّتَقَلِّونَ} {40} {أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ} {41} {الطور} 40-41 إلى
 قوله {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} {48} {الطور} 48 وقال
 تعالى في سورة ن {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّغْرَمٍ
 مُّتَقَلِّونَ} {46} {أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ} {47} {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
 وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ} {48} {القلم} 46-48

520

* ففي هذا توكل على الله وإستعانة به أن يثبت القلب على الإيمان
 والطاعة وفيه صبر على المحنة والبلاء والأذى الحاصل إذا ثبت
 على الإيمان والطاعة وهذا كقوله موسى عليه السلام لقومه {
 اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} {الأعراف} 128 لما قال فرعون {سَنَقُتْلُ
 أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} {الأعراف} 127
 وكذلك قوله {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ
 فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} {41} {الَّذِينَ
 صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} {42} {النحل} 41-42 ومنه قول
 يوسف عليه السلام {فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} {يوسف} 90
 وهو نظير قوله {بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا
 يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} {آل عمران} 125
 وقوله {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} {آل

{ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }

* أن آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث في حياتهم وبعد موتهم فقبل المبعث مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به ومثل الإرهاصات الدالة عليه وأما حين المبعث فظاهر وأما في حياته فمثل نصره وإنجائه وإهلاك أعدائه وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه وإهلاك أعدائه كما قال تعالى { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } غافر 51 ومحمد صلى الله عليه وسلم جعلت له الآيات البيّنات قبل مبعثه وحين مبعثه وفي حياته وبعد موته إلى الساعة وإلى قيام الساعة فإن ذكره وذكر كتابه والبشارة بذلك موجود في الكتب المتقدمة كما قد بسط في موضعه والخليل دعا به فقال في دعائه لذريته { رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } البقرة 129 ولما ولد اقترن بمولده من الآيات ما هو معروف وجرى ذلك العام قصة أصحاب الفيل المشهورة وكان يحصل له في مدة نشأته من الآيات والدلائل أمور كثيرة قد ذكر طرف منها في كتب دلائل النبوة والسيرة وغيرها مثل الآيات التي حصلت لمرضعته لما صار عندها ومثل ما شوهد من أحواله في صغره وأما انتصار الله له ولأتباعه وإعلاء ذكره ونشر لسان الصدق له وإهلاك أعدائه وإذلال من يحاده ويشاقه وإظهار دينه على كل دين باليد واللسان والدليل والبرهان فهذا مما يطول وصف تفصيله قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ

مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسَبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ {الحشر 2} والانباء صلوات الله عليهم وأتباعهم المؤمنون وإن كانوا يبتلون في أول الأمر فالعاقبة لهم كما قال تعالى {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} {الأعراف 128} وفي الحديث المتفق على صحته لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم رسولا إلى ملك الروم فطلب من يخبره بسيرته وكان المسؤولون حينئذ أعداءه لم يكونوا آمنوا به فقال كيف الحرب بينكم وبينه قالوا الحرب بيننا وبينه سجال يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى فقال كذلك الرسل تبئلي وتكون لها العاقبة فإنه كان يوم بدر نصر الله المؤمنين ثم يوم أحد ابتلى المؤمنين ثم لم ينصر الكفار بعدها حتى أظهر الله الإسلام⁵²²

***والكتاب هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا وينصر القائم نصرا وقدرا وقد قال الله تعالى {إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى**

الصَّالِحِينَ} {الأعراف 196} وقال تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} {18} {إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} {19} {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} {20} {الجاثية 18-20} وقال تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} {الحديد 25} الى قوله {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} {الحديد 25} و الميزان هو العدل به يعرف العدل وأنزل الحديد لينصر الكتاب فان قام صاحبه بذلك كان سعيدا مجاهدا في سبيل الله فان الله نصر الكتاب بأمر من عنده وانتقم ممن خرج عن حكم الكتاب كما قال تعالى {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ} {التوبة 40} الى قوله {وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} {التوبة 40} وقوله لأبى بكر {إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} {التوبة 40}

⁵²²الجواب الصحيح ج: 6 ص: 412

وقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } النحل 128 وقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } البقرة 153 وكل من وافق الرسول في أمر خالف فيه غيره فهو من الذين اتبعوه في ذلك وله نصيب من قوله { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } التوبة 40 فان المعية الالهية المتضمنة للنصر هي لما جاء به الى يوم القيامة وهذا قد دل عليه القرآن وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه وقال تعالى { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } فصلت 53 الى آخر السورة قال تعالى { اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } الأعراف 128 وقال تعالى { وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } القصص 83⁵²³

*العاقبة للمتقين وأما غير المتقين فلهم عاجلة لا عاقبة والعاقبة وان كانت في الآخرة فتكون في الدنيا ايضا كما قال تعالى لما ذكر قصة نوح ونجاته بالسفينة { قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَنُنَفِّسُكُمُ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ } هود 48 الى قوله { فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ } هود 49 وقال { فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } البقرة 194⁵²⁴

الصبر واليقين يوجبان الإمامة في الدين

* قال تعالى { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } {2} { وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا } {3} الاحزاب 2-3 فأمره باتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة التي هي سنته وبأن يتوكل على الله فبالأولى يحقق قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ } الفاتحة 5 وبالثانية يحقق قوله { وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5

⁵²³ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 37

⁵²⁴ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 164

ومثل ذلك قوله { فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 وهذا وإن كان مأمورا به في جميع الدين فإنه ذلك في الجهاد أوكد لأنه يحتاج إلى أن يجاهد الكفار والمنافقين وذلك لا يتم إلا بتأييد قوى من الله ولهذا كان الجهاد سنام العمل وانتظم سنام جميع الأحوال الشريفة ففيه سنام المحبة كما في قوله { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ } المائدة 54 وفيه سنام التوكل وسنام الصبر فإن المجاهد أحوج الناس إلى الصبر والتوكل ولهذا قال تعالى { وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } { 41 } الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ { 42 } النحل 41- 42

{ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

{ الأعراف 128 } ولهذا كان الصبر واليقين اللذين هما أصل

التوكل يوجبان الإمامة في الدين كما دل عليه قوله تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } { السجدة 24 } ولهذا كان الجهاد موجبا للهداية التي هي محيطة بأبواب العلم كما دل عليه قوله تعالى { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا } { العنكبوت 69 } فجعل لمن جاهد فيه هداية جميع سبله تعالى ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما إذا اختلف الناس في شيء فإنظروا ماذا عليه أهل الثغر فإن الحق معهم لأن الله يقول { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

{ العنكبوت 69 } وفي الجهاد أيضا حقيقة الزهد في الحياة الدنيا وفي الدار الدنيا وفيه أيضا حقيقة الإخلاص فإن الكلام فيمن جاهد في سبيل الله لا في سبيل الرياسة ولا في سبيل المال ولا في سبيل الحمية وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كله لله ولتكون كلمة الله هي العليا وأعظم مراتب الإخلاص تسليم النفس والمال للمعبود كما قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ

{ التوبة 111 و الجنة إسم للدار التي حوت كل نعيم أعلاه
النظر إلى الله إلى ما دون ذلك مما تشتت به الأنفس وتلذ الأعين مما
قد نعرفه وقد لا نعرفه كما قال الله تعالى فيما رواه عنه رسوله
أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر⁵²⁵

* وقد أخرجنا في الصحيحين عن خباب بن الارت قال شكونا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسط بردة له في ظل الكعبة
فقلنا يا رسول الله لا تستنصر لنا إلا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم
يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار
فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون
عظمه من لحم وعصب فما يصدده ذلك عن دينه والله ليرتد الله هذا
الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا
الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون ومعلوم أن هذا إنما
ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء على أولئك
لصبرهم وثباتهم وليكون ذلك عزة للمؤمنين من هذه الأمة وقال
الله تعالى { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ
الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
{ الأعراف 128⁵²⁶

اتقوها بالتقوى

* التقوى كما فسرها الأولون والآخرين فعل ما أمرت به وترك ما
نهيت عنه كما قال طلق بن حبيب لما وقعت الفتنة اتقوها بالتقوى
قالوا وما التقوى قال إن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو
ثواب الله وإن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله
إن أكثر بنى آدم قد يفعل بعض المأمور به ولا يترك المنهى عنه
إلا الصديقون كما قال سهل لأن المأمور به له مقتضى في النفس

⁵²⁵ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 441-443

⁵²⁶ الاستقامة ج: 2 ص: 334

واما ترك المنهى عنه الى خلاف الهوى ومجاهدة النفس فهو
أصعب وأشق فقل أهله ولا يمكن أحدا أن يفعله الا مع فعل المأمور
به لا تتصور تقوى وهى فعل ترك قط فان من ترك الشرك واتباع
الهوى المضل واتباع الشهوات المحرمات فلا بد أن يفعل من
المأمور به أمورا كثيرة تصده عن ذلك فتقواهم تحفظ لهم حسناتهم
التي امروا بها وتمنعهم من السيئات التي تضرهم بخلاف من فعل
ما أمر به وما نهى عنه مثلا فان وجود المنهى عنه يفسد عليه من
المأمور به ما يفسد فلا يسلم له ولهذا كانت العاقبة للتقوى كما قال
تعالى { وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } طه 132 { وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ }
{ الأعراف 128 } { وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً }
{ آل عمران 120 } وذلك لأن المتقين بمنزلة من أكل الطعام النافع
واتقى الاطعمة المؤذية فصح جسمه وكانت عاقبته سليمة وغير
المتقى بمنزلة من خلط من الاطعمة فانه وان اغتذى بها لكن تلك
التخاليط قد تورثه أمراضا اما مؤذية واما مهلكة⁵²⁷

الخليفة كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم

يستخلفه

* والخليفة هو من كان خلفا عن غيره فعيلة بمعنى فاعلة كان
النبى صلى الله عليه و سلم إذا سافر يقول اللهم أنت الصاحب
فى السفر و الخليفة فى الأهل و قال صلى الله عليه و سلم
من جهز غازيا فقد غزا و من خلفه فى أهله بخير فقد غزا و
قال أو كلما خرجنا فى الغزو خلف أحدهم و له نبيب كنيب
التيس يمنح احدهن اللبنة من اللبن لئن أظفرتني الله بأحد منهم
لأجعلنه نكالا و فى القرآن { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ
{ الفتح 11 } و قوله { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ }
{ التوبة 81 } والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من

⁵²⁷مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 135-137

الخلق و الخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه خلفه على أمته بعد موته و كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر لحج أو عمرة أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة فيستخلف تارة ابن أم مكتوم و تارة غيره و استخلف على بن أبي طالب في غزوة تبوك و تسمى الأمكنة التي يستخلف فيها الامام مخاليف مثل مخاليف اليمن و مخاليف أرض الحجاز و منه الحديث حيث خرج من مخلاف الى مخلاف و منه قوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ } الأنعام 165 وقال موسى { عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } الأعراف 129 و قوله تعالى { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا } يونس 13 إلى قوله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ } يونس 14 و منه قوله تعالى { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ } النور 55 الآية 528

*الخليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور لم يحتج في هذا الإسم إلى الإستخلاف والإستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الإسم يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه كقوله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } يونس 14 وقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ } الأنعام 165 وقال { وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ } الزخرف 60 وقوله { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ } الأعراف 69 وفي القصة الأخرى { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ } الأعراف 74 { وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي } الأعراف 142 فهذا استخلاف وقال

تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } الفرقان 62 وقال { إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ } يونس 6 أي هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا فهما يتعاقبان وقال موسى { عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } الأعراف 129⁵²⁹

مناقب الشام وأهله

* ثبت للشام وأهله مناقب بالكتاب والسنة وآثار العلماء وهي أحد ما اعتمده في تخضيضي المسلمين على غزو التتار وأمرى لهم بلزوم دمشق ونهيه لهم عن الفرار إلى مصر وإستدعائى العسكر المصرى إلى الشام وتثبيت الشامى فيه وقد جرت فى ذلك فصول متعددة وهذه المناقب أمور أحدها البركة فيه ثبت ذلك بخمس آيات من كتاب الله تعالى قوله تعالى فى قصة موسى { قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } الأعراف 129 إلى قوله { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْعُودِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ } { 135 } فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } { 136 } وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا } { 137 } الأعراف 135-137 ومعلوم أن نبى إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها بعد أن أغرق فرعون فى اليم وقوله تعالى { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } { الإسراء 1 } وحوله أرض الشام وقوله تعالى فى قصة إبراهيم { وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ } { 70 } وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ } { 71 } الأنبياء 70-71 ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه الله ولوطا إلى أرض

الشام من أرض الجزيرة والفرات وقوله تعالى {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ
 عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا {الأنبياء 81
 وإنما كانت تجرى إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان وقوله
 تعالى في قصة سبأ {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
 قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ {سبأ 18 وهما كانا بين اليمن
 مساكن سبأ وبين منتهى الشام من العمارة القديمة كما قد ذكره
 العلماء فهذه خمس نصوص حيث ذكر الله أرض الشام في
 هجرة إبراهيم إليها ومسرى الرسول إليها وانتقال بنى إسرائيل
 إليها ومملكة سليمان بها ومسير سبأ إليها وصفها بأنها الأرض
 التي باركنا فيها و البركة تتناول البركة في الدين والبركة
 في الدنيا وكلاهما معلوم لا ريب فيه فهذا من حيث الجملة والغالب
 وأيضاً ففيها الطور الذي كلم الله عليه موسى والذي أقسم الله به في
 سورة الطور وفي { وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ {1} وَطُورِ سَيْنِينَ {2}
 التينين 1-2 وفيها المسجد الأقصى وفيها مبعث أنبياء بنى إسرائيل
 وإليها هجرة إبراهيم وإليها مسرى نبينا ومنها معراجها وبها ملكه
 وعمود دينه وكتابه وطائفة منصوره من أمته وإليها المحشر
 والمعاد كما أن من مكة المبدأ فمكة أم القرى من تحتها حيث
 الأرض والشام إليها يحشر الناس كما في قوله { لِأَوَّلِ الْحَشْرِ
 {الحشر 2 نبه على الحشر الثاني فمكة مبدأ وإيليا معاد في
 الخلق وكذلك في الأمر فإنه أسرى بالرسول من مكة إلى إيليا
 ومبعثه ومخرج دينه من مكة وكمال دينه وظهوره وتمامه حتى
 مملكة المهدي بالشام فمكة هي الأول والشام هي الآخر في الخلق
 والأمر في الكلمات الكونية والدينية ومن ذلك أن بها طائفة
 منصوره إلى قيام الساعة التي ثبت فيها الحديث في الصحاح من
 حديث معاوية وغيره لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على
 الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة
 وفيهما عن معاذ بن جبل قال وهم في الشام وفي تاريخ
 البخارى مرفوعاً قال وهم بدمشق وفي صحيح مسلم عن
 النبي أنه قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين لا يضرهم من

خالفهم حتى تقوم الساعة قال أحمد بن حنبل أهل المغرب هم أهل الشام وهم كما قال لوجهين أحدهما أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام الثاني أن لغة النبي صلى الله عليه وسلم وأهل مدينته في أهل المغرب هم أهل الشام ومن يغرب عنهم كما أن لغتهم في أهل المشرق هم أهل نجد والعراق فإن التغريب والتشريق من الأمور النسبية فكل بلد له غرب قد يكون شرقا لغيره وله شرق قد يكون غربا لغيره فالإعتبار في كلام النبي صلى الله عليه وسلم بما كان غربا وشرقا له حيث تكلم بهذا الحديث وهي المدينة ومن علم حساب الأرض كطولها وعرضها علم أن حران والرقعة وسيمسياط على سمت مكة وأن الفرات وما على جانبيها بل أكثره على سمت المدينة بينهما في الطول درجتين فما كان غربى الفرات فهو غربى المدينة وما كان شرقيا فهو شرقى المدينة فأخبر أن أهل الغرب لا يزالون ظاهرين وأما أهل الشرق فقد يظهرون تارة ويغلبون أخرى وهكذا هو الواقع فإن جيش الشام ما زال منصورا وكان أهل المدينة يسمون الأوزاعي إمام أهل المغرب ويسمون الثوري شرقيا ومن أهل المشرق ومن ذلك أنها خيرة الله من الأرض أن أهلها خيرة الله وخيار أهل الأرض وإستدل أبوداود في سننه على ذلك بحديثين حديث عبدالله بن خولة الأزدي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ستجدون أجنادا جندا بالشام وحنادا باليمن وحنادا بالعراق فقال الخوالى يا رسول الله إختار لى قال عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبى إلى خيرته من عباده فمن ابى فليلحق بيمنه وليتق من غدره فإن الله قد تكفل لى بالشام وأهله وكان الخوالى يقول ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه ففى هذا الحديث مناقب أنها خيرة وحديث عبدالله بن عمرو عن النبي قال ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل الأرض أزمهم مهاجر إبراهيم ويبقى فى الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم تقدرهم نفس الرحمن تحشرهم النار مع القردة والخنازير تبيت معهم حيث ما باتوا وتقبل معهم حيث ما قالوا فقد أخبر أن خير أهل الأرض

ألزمهم مهاجر إبراهيم بخلاف من يأتى إليه أو يذهب عنه ومهاجر إبراهيم هي الشام وفي هذا الحديث بشرى لأصحابنا الذين هاجروا من حران وغيرها إلى مهاجر إبراهيم وإتبعوا ملة إبراهيم ودين نبيهم محمد تسليما وبيان أن هذه الهجرة التي لهم بعد هجرة أصحاب رسول الله إلى المدينة لأن الهجرة إلى حيث يكون الرسول وآثاره وقد جعل مهاجر إبراهيم يعدل لنا مهاجر نبينا فإن الهجرة إلى مهاجره إنقطعت بفتح مكة ومن ذلك أمر النبي بها في حديث الترمذى ومن ذلك إن الله قد تكفل بالشام واهله كما في حديث الخوالى ومن ذلك إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها على الشام كما في الصحيح من حديث عبدالله بن عمر ومن ذلك أن عمود الكتاب والإسلام بالشام كما قال النبي رأيت كأن عمود الكتاب أخذ من تحت رأسى فأتبعته بصرى فذهب به إلى الشام ومن ذلك أنها عقر دار المؤمنين كما قال النبي وعقر دار المؤمنين الشام ومن ذلك أن منافقيها لا يغلبوا أمر مؤمنيتها كما رواه أحمد في المسند في حديث وبهذا استدلت لقوم من قضاة القضاة وغيرهم في فتن قام فيها علينا قوم من أهل الفجور والبدع الموصوفين بخصال المنافقين لما خوفونا منهم فأخبرتهم بهذا الحديث وإن منافقين لا يغلبوا مؤمنينا وقد ظهر مصداق هذه النصوص النبوية على أكمل الوجوه في جهادنا للتتار وأظهر الله للمسلمين صدق ما وعدناهم به وبركة ما أمرناهم به وكان ذلك فتحا عظيما ما رأى المسلمون مثله منذ خرجت مملكة التتار التي أذلت أهل الإسلام فإنهم لم يهزموا ويغلبوا كما غلبوا على باب دمشق في الغزوة الكبرى التي أنعم الله علينا فيها من النعم بما لا نحصيه خصوصا وعموما والحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضاه وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله⁵³⁰

⁵³⁰ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 505-511 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 32 و مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 41

الكفار يضيفون ما أصابهم من المصائب الى فعل اهل الايمان

*فقوله تعالى { وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَئِنْ قِيلَ لَكُمْ لَأَيُّكُمْ بِأَقْسَمٌ بِمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ وَإِنْ يُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْقَهُوْنَ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ وَالْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الطَّاعَةِ وَالْمَعَاصِي وَذَلِكَ أَنَّ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ فِي الْآيَةِ الْمُرَادِ بِهَا الْمَسَارِ وَالْمُضَارِ دُونَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى { وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } الأعراف 168 وهو الشر والخير في قوله { وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } الأنبياء 35 وكذلك قوله { إِنْ تَمَسَسْنَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَ } آل عمران 120 وقوله تعالى { وَلَئِنْ أَدْقْنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسَّنْهُ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ أَفْرَحُ فَخُورٌ } هود 10 وقوله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ } 94 { ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } 95 { الأعراف 94-95 وقوله تعالى { فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ } الأعراف 131 فهذه حال فرعون وملئه مع موسى ومن معه كحال الكفار والمنافقين والظالمين مع محمد وأصحابه إذا أصابهم نعمة وخير قالوا لنا هذه أو قالوا هذه من عند الله وإن أصابهم عذاب وشر تطيروا بالنبي والمؤمنين وقالوا هذه بذنوبهم وإنما هي بذنوب أنفسهم لا بذنوب المؤمنين⁵³¹

*قال تعالى { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ

⁵³¹ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 206-207 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 442

يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ {78} النساء 78 فهذا من كلام الكفار والمنافقين اذا اصابهم نصر وغيره من النعم قالوا هذا من عند الله وان اصابهم نل وخوف وغير ذلك من المصائب قالوا هذا من عند محمد بسبب الذى جاء به فان الكفار يضيفون ما اصابهم من المصائب الى فعل اهل الايمان وقد ذكر نظير ذلك فى قصة موسى وفرعون قال تعالى **{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} {130}** فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ {131} الأعراف 130-131 ونظيره قوله تعالى فى سورة يس **{ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} {16}** وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ {17} قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ {18} يس 16-18 فاخبر الله تعالى ان الكفار كانوا يتطيرون بالمؤمنين فاذا اصابهم بلاء جعلوه بسبب اهل الايمان وما اصابهم من الخير جعلوه لهم من الله عز وجل فقال تعالى **{ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** { النساء 78 والله تعالى نزل احسن الحديث فلو فهموا القرآن لعلموا ان الله امرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر امر بالخير ونهى عن الشر فليس فيما بعث الله به رسله ما يكون سببا للنشر بل الشر حصل بذنوب العباد فقال تعالى **{ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** { النساء 79 اى ما اصابك من نصر ورزق وعافية فمن الله نعمة انعم بها عليك وان كانت بسبب اعمالك الصالحة فهو الذى هداك واعانك ويسرك لليسرى ومن عليك بالايمان وزينه فى قلبك وكره اليك الكفر والفسوق والعصيان وفى اخر الحديث الصحيح الالهى حديث ابى ذر عن النبى فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى يا عبادى انما هى اعمالكم احصيتها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وفى الحديث الصحيح سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربى لا اله الا انت خلقتنى وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على

وأبوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها اذا
اصبح موقنا بها فمات من يومه ذلك دخل الجنة ومن قالها اذا
امسى موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة } ثم قال تعالى {
وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ { النساء79 من ذل و خوف و هزيمة كما
أصابهم يوم أحد { فَمِنْ نَفْسِكَ { النساء79 أي بذنوبك و خطاياك
و أن كان ذلك مكتوبا مقدرًا عليك فإن القدر ليس حجة لأحد لا
على الله و لا على خلقه و لو جاز لأحد أن يحتج بالقدر على ما
يفعله من السيئات لم يعاقب ظالم و لم يقاتل مشرك و لم يقم حد و
لم يكف أحد عن ظلم أحد و هذا من الفساد في الدين و الدنيا
المعلوم ضرورة فساده للعالم بصريح المقول المطابق لما جاء به
الرسول فالقدر يؤمن به و لا يحتج به فمن لم يؤمن بالقدر
ضارح المجوس و من إحتج به ضارح المشركين و من أقر بالأمر
و القدر و طعن في عدل الله و حكمته كان شبيها بابليلس فإن الله
ذكر عنه أنه طعن في حكمته و عارضه برأيه و هواه و أنه قال
{ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ { الحجر39 532

"ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة"

*قال أصحاب القرية للمرسلين { إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ } يس18 و كما
قال تعالى عن آل فرعون { وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ
مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } {130} فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا
هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ
عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } {131} الأعراف130-131 و
قال تعالى عن قوم صالح { قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ } النمل47 ولما قال أهل القرية { قَالُوا
إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ
أَلِيمٌ } {18} قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَلَيْسَ ذِكْرُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ

532 مجموع الفتاوى ج: 8 ص:112-114 و منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 138

مُسْرَفُونَ {19} يس 18-19 قال الضحاك في قوله **{ أَلَا إِنَّمَا**
طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ } {الأعراف 131} يقول الأمر من قبل الله ما
أصابكم من أمر فمن الله بما كسبت أيديكم و قال ابن أبي طلحة عن
ابن عباس معاييكم وقال قتادة عملكم عند الله و في
رواية غير على عملكم عند الله و لكنكم { قَوْمٌ تُفْتَنُونَ } النمل 47
أي تبتلون بطاعة الله و معصيته رواهما ابن أبي حاتم و غيره
و عن ابن إسحاق قال قالت الرسل { طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ } يس 19 أي
أعمالكم فقد فسروا الطائر بالأعمال و جزائها لأنهم
كانوا يقولون إنما أصابنا ما أصابنا من المصائب بذنوب الرسل و
أتباعهم فبين الله سبحانه أن طائرهم و هو الأعمال و جزاؤها
هو عند الله و هو معهم فهو معهم لأن أعمالهم و ما قدر من جزائها
معهم كما قال تعالى و { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ
{الإسراء 13} و هو من الله لأن الله تعالى قدر تلك المصائب
بأعمالهم فمن عنده تنزل عليهم المصائب جزاء على أعمالهم لا
بسبب الرسل و أتباعهم و في هذا يقال إنهم إنما يجزون
بأعمالهم لا بأعمال غيرهم و لذلك قال في هذه الآية لما كان
المنافقون و الكفار و من في قلبه مرض يقول هذا الذي أصابنا هو
بسبب ما جاء به محمد عقوبة دينية وصل إلينا بين سبحانه أن ما
أصابهم من المصائب إنما هو بذنوبهم ففي هذا رد على من
أعرض عن طاعة الرسول صلى الله عليه و سلم لئلا تصيبه تلك
المصائب و على من انتسب الى الايمان بالرسول و نسبها إلى فعل
ما جاء به الرسول و على من أصابته مع كفره بالرسول و نسبها
إلى ما جاء به الرسول و المقصود أن ما جاء به الرسول صلى
الله عليه و سلم ليس سببا لشيء من المصائب و لا تكون طاعة الله
و رسوله قط سببا لمصيبة بل طاعة الله و الرسول لا تقتضى إلا
جزاء أصحابها بخيري الدنيا و الآخرة و لكن قد تصيب المؤمنين
بالله و رسوله مصائب بسبب ذنوبهم لا بما اطاعوا فيه الله و
الرسول كما لحقهم يوم أحد بسبب ذنوبهم لا بسبب طاعتهم الله و
رسوله صلى الله عليه و سلم و كذلك ما ابتلوا به في السراء و

الضراء و الزلزال ليس هو بسبب نفس إيمانهم و طاعتهم لكن امتحنوا به ليتخلصوا مما فيهم من الشر و قنتوا به كما يفتن الذهب بالنار ليميز طيبه من خبيثه و النفوس فيها شر و الامتحان يمحص المؤمن من ذلك الشر الذى فى نفسه قال تعالى { **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَالْيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** } {140} **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ**

الْكَافِرِينَ } {141} **آل عمران 140-141** و قال تعالى { **وَلِيَبَيِّنَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُليَمَّحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ** } آل عمران 154 و لهذا قال صالح عليه السلام لقومه { **طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ** } النمل 47 و لهذا كانت المصائب تكفر سيئات المؤمنين

و بالصبر عليها ترتفع درجاتهم و ما أصابهم فى الجهاد من مصائب بأيدي العدو فانه يعظم أجرهم بالصبر عليها و فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم قال ما من غازبة يغزون فى سبيل الله فيسلمون و يغنمون إلا تعجلوا ثلثي أجرهم و إن أصيبوا و أخفقوا تم لهم أجرهم و أما ما يلحقهم من الجوع و العطش و التعب فذاك يكتب لهم به عمل صالح كما قال تعالى { **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** } {التوبة 120} و شواهد هذا كثيرة⁵³³

* قال تعالى { **أَيُّمًا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ قَوْمٌ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا** } {78} **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ** } {79} النساء 78-79 وان المراد بالحسنات و السيئات فى هذه الآية النعم و المصائب كما فى قوله تعالى { **وَبَلَّوْنَاَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ** } الأعراف 168 وقوله

⁵³³ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 252-255 و الحسنة و السيئة ج: 1 ص: 35

تعالى {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ} الأعراف 131 وقوله تعالى {إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} آل عمران 120 وقوله تعالى {وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ} غافر 9 ونحو ذلك وهذا كثير وهذه الآية ذم الله بها المنافقين الذين ينفكون عما أمر الله به من الجهاد وغيره فإذا نالهم رزق ونصر وعافية قالوا {هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} النساء 78 وإن نالهم فقر وذل ومرض قالوا {هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ} النساء 78 يامحمد بسبب الدين الذي أمرتنا به كما قال قوم فرعون لموسى وذكر الله ذلك عنهم بقوله تعالى {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ} الأعراف 131 وكما قال الكفار لرسول عيسى {إِنَّا نَطَّيَّرُ نَا بِكُمْ} يس 18 فالكفار والمنافقون إذا أصابتهم المصائب بذنوبهم تطيروا بالمؤمنين فبين الله سبحانه أن الحسنه من الله ينعم بها عليهم وأن السيئه أنا تصيبهم بذنوبهم ولهذا قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الأنفال 33 فأخبر أنه لا يعذب مستغفرا لأن الإستغفار يحو الذنب الذي هو سبب العذاب فيندفع العذاب كما فى سنن أبى داود وابن ماجه عن النبى أنه قال من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقد قال تعالى {الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} 2 {وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} 3 {هود 2-3} فبين أن من وحده واستغفره متعه متاعا حسنا إلى أجل مسمى ومن عمل بعد ذلك خيرا زاده من فضله وفى الحديث يقول الشيطان أهلك الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والإستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم بذنوبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولهذا قال تعالى {فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْأَسْأَةِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} الأنعام 42 أي فهلا إذ جاءهم

بأسنا تضرعوا فحقهم عند مجيء البأس التضرع وقال تعالى
 {وَلَقَدْ أَخَذْنَاكُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكْأَنُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ
 {المؤمنون} 76 قال عمر بن عبد العزيز ما نزل بلاء إلا بذنب ولا
 رفع إلا بتوبة ولهذا قال تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ
 جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
 {آل عمران} 173 {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
 فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {173}
 فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
 وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ {174} إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا
 تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ {175} آل عمران 173-175
 فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان وأمرهم بخوفه وخوفه
 يوجب فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والإستغفار من الذنوب
 وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء فلهذا قال علي بن ابي
 طالب رضي الله عنه لا يخافن عبد إلا ذنبه وإن سلط عليه مخلوق
 فما سلط عليه إلا بذنوبه فليخف الله وليتب من ذنوبه التي ناله بها
 ما ناله كما في الأثر يقول الله أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك
 ونواصيهم بيدي من اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني
 جعلتهم عليه نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك وأطيعوني أعطف
 قلوبهم عليكم⁵³⁴

عظمة آية موسى

*قال تعالى {فَانتَقَمْنَا مِنْهُم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ {الأعراف} 136 فموسى فلق الله له البحر حتى
 عبر فيه بنو إسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده وهذا أمر باهر
 فيه من عظمة هذه الآية ومن إهلاك الله لعدو موسى ما لم يكن مثله
 للمسيح⁵³⁵

⁵³⁴ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 162-164

⁵³⁵ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 19

قرن التكريب بالغفلة

*فإن العلم الضرورى هو الذى يلزم نفس العبد لزوما لا يمكنه الانفكاك عنه فالقائس ان لم يحصل له العلم الضرورى ابتداء والا فلا بد أن يبنى نظره وقياسه على مقدمات ضرورية ثم حينئذ يحصل له العلم ولهذا قال طائفة منهم أبو المعالى الجوينى أن جميع العلوم ضرورية باعتباراتها بعد وجود النظر الصحيح فى الدليل تحصل العلم ضرورة لكن منها ما هو ضرورى عند تصور طرفى القضية ومنها ما هو ضرورى بعد تأمل ونظر ومنها ما هو ضرورى بعد النظر فى دليل ذى مقدمتين أو مقدمات فقال الشيخ العارف نحن نجد العلم وجدا ضروريا بالطريق التى نسلوها من تزكية النفس واصلاح القلب الذى هو حامل العلم وداعيه فكل منهما يفيض الله العلم على قلبه وينزله على فؤاده ولكن أحدهما بتحصيل العلم المقارن للعلم المطلوب الذى هو المقدمات والآخر بإصلاح طالب العلم الذى يريد أن يكون عالما وهو القلب بمنزلة من يخطب امرأة فتارة تجمل لها وتعرض حتى رأته فرغبت فيه وخطبته وتارة بأن أرسل اليها من تأنس اليه وتطيعه فخطبها له فأجابته فكان سعى الأول وعمله فى اصلاح نفسه وتعرضه لها حتى ترغبت وكان سعى الثانى فى تحصيل الرسول المطاع حتى تجيب وبمنزلة من يصيد صيدا لكن مجرد النظر والعمل مجتمعين ومنفردين لا يحصلان إلا أمرا مجملا كما هو الواقع وذلك صحيح فإن ثبوت الأمر المجمل حق فإن ضما إلى ذلك ما يعلم بنور الرسالة من الأمر عاقبة دينك الطريقين وهذه حال من تحيز من أهل النظر الكلامى والعمل العبادى الى اتباع الرسول والإيمان به فقبل منه وأخذ عنه وإن لم يضم أحدهما الى ذلك ما جاء به الرسول فإما أن يضم ضده أو لا يضم شيئا فإن ضم الى ذلك ضد ما جاء به الرسول وقع فى التكريب وهو الكفر المركب وإن لم يضم إليه شىء بقى فى الكفر البسيط سواء كان فى ريب أو فى إعراض وغفلة فإن حال الكافر لا تخلو من أن يتصور الرسالة

أولا فإن لم يتصورها فهو في غفلة عنها وعدم إيمان بها كما قال { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } الكهف 28 وقال { فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } الأعراف 136 لكن الغفلة المحضة لا تكون إلا لمن لم تبلغه الرسالة والكفر المعذب عليه لا يكون الا بعد بلوغ الرسالة فهذا قرن التكذيب بالغفلة⁵³⁶

أن الله تعالى قد أضاف كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته

* وأما على قول جمهور أهل السنة الذين يقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له إذا فعله ما قام به والفعل عندهم غير المفعول فيقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له وإنها فعل للعبد كما يقولون في قدرة العبد إنها قدرة للعبد مقدورة للرب لا أنها نفس قدرة الرب وكذلك إرادة العبد هي إرادة للعبد مرادة للرب وكذلك سائر صفات العبد هي صفات له وهي مفعولة للرب مخلوقة له ليست بصفات له ومما يبين ذلك أن الله تعالى قد أضاف كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته إما أن يضيف عينه أو نظيره كقوله تعالى { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } الزمر 42 وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ } الأنعام 60 مع قوله تعالى { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ } السجدة 11 وقوله { تَوَفَّنَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } الأنعام 61 وكذلك قوله تعالى في الريح { تَدْمَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا } الأحقاف 25

وقال {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ
 {الأعراف137⁵³⁷

*قد تنازع الناس في قدرة الرب و العبد فقالت طائفة كلا النوعين يتناول الفعل القائم بالفاعل و يتناول مقدوره و هذا أصح الأقوال و به نطق الكتاب و السنة و هو أن كل نوع من القدرتين يتناول الفعل القائم بالقادر و مقدوره المباين له و قد تبين بعض ما دل على ذلك في قدرة الرب و أما قدرة العبد فذكر قدرته على الأفعال القائمة به كثيرة و هذا متفق عليه بين الناس الذين يثبتون للعبد قدرة مثل قوله {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ {التغابن16
 {فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَّمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا {المجادلة4 { وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {التوبة42 و قول النبي صلى الله عليه و سلم صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنبك وأيضا فالقرآن دل على أن المفعولات الخارجة مصنوعة لهم و ما كان مصنوعا لهم فهو مقدر و بالضرورة و الإتفاق و المنازع يقول ليس شئ خارجا عن محل قدرتهم مصنوعا لهم و هذا خلاف القرآن قال تعالى لنوح {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا {هود37 و قال {وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ {هود38 و قد أخبر أن الفلك مخلوقة مع كونها مصنوعة لبني آدم و جعلها من آياته فقال {وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ {يس41 و قال تعالى {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ {الأعراف137 و إنما دمر ما بنوه و عرشوه فأما الأعراض التي قامت بهم فتلك فنيت قبل أن يغرقوا و قوله {وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ {الأعراف137 دليل على أن العروش مفعول لهم هم فعلوا العرش الذي فيه و هو التأليف و مثل قوله {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ {الشعراء128 يدل على أن المبني هم بنوه حيث قال أتبنون و كذلك قوله {وَتَنْحِتُونَ

مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا { الشعراء 149 هو كقوله { أَنْعَبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
 { الصافات 95 و قوله { جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ { الفجر 9 دل
 على أنهم جابوا الصخر أي قطعوه ⁵³⁸

الفرق بين الكلمات الكونية و الدينية

*والله سبحانه قد بين في كتابه في كل واحدة من الكلمات و
 الامر و الارادة و الاذن و الكتاب و الحكم و القضاء و التحريم ونحو ذلك ما هو ديني
 موافق لمحبة الله ورضاه و امره الشرعي وما هو كوني موافق
 لمشيئته الكونية مثال ذلك انه قال تعالى في الكلمات الدينية
 { وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ { البقرة 124 وقال تعالى
 فى الكونية { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ
بِمَا صَبَرُوا { الأعراف 137 ومنه قوله المستفيض عنه من وجوه
 فى الصحاح والسنن والمسانيد انه كان يقول فى استعاذته اعوذ
 بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن برولا فاجر ومن المعلوم
 ان هذا هو الكونى الذى لا يخرج منه شيء عن مشيئته وتكوينه
 واما الكلمات الدينية فقد خالفها الفجار بمعصيته ⁵³⁹

*الإرادة و الاذن و الكتاب و الحكم و القضاء و التحريم و غيرها
 كالأمر و البعث و الأرسال ينقسم فى كتاب الله إلى نوعين
 أحدهما ما يتعلق بالأمور الدينية التى يحبها الله تعالى و
 يرضاها و يثيب أصحابها و يدخلهم الجنة و ينصرهم فى الحياة
 الدنيا و فى الآخرة و ينصر بها العباد من أوليائه المتقين و حزبه
 المفلحين و عباده الصالحين و الثانى ما يتعلق بالحوادث
 الكونية التى قدرها الله و قضاها مما يشترك فيها المؤمن و الكافر
 و البر و الفاجر و أهل الجنة و أهل النار و أولياء الله و أعداؤه و أهل

⁵³⁸ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 17

⁵³⁹ أمراض القلوب ج: 1 ص: 47 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 36

طاعته الذين يحبهم و يحبونه ويصلى عليهم هو وملائكته وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم الله و يلعنهم اللأعنون فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله مدبرة بمشيئته مقهورة بحكمته فما شاء الله كان و إن لم يشأ الناس و ما لم يشأ لم يكن و إن شاء الناس لا معقب لحكمه و لا راد لأمره و رأى أنه سبحانه رب كل شىء و مليكه له الخلق و الأمر و كل ما سواه مربوبا له مدبر مقهور لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا و لاموتا و لا حياة و لا نشورا بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات و الله غنى عنه كما أنه الغني عن جميع المخلوقات و هذا الشهود فى نفسه حق لكن طائفة قصرت عنه و هم القدرية المجوسية و طائفة و قفت عنده و هم القدرية المشركية أما الأولون فهم الذين زعموا أن فى المخلوقات ما لا تتعلق به قدرة الله و مشيئته و خلقه كأفعال العباد و غلاتهم أنكروا علمه القديم و كتابه السابق و هؤلاء هم أول من حدث من القدرية فى هذه الأمة فرد عليهم الصحابة و سلف الأمة و تبرؤا منهم و أما الطائفة الثانية فهم شر منهم و هم طوائف من أهل السلوك و الإرادة و التأله و التصوف و الفقر و نحوهم يشهدون هذه الحقيقة و رأوا أن الله خالق المخلوقات كلها فهو خالق أفعال العباد و مرید جميع الكائنات و لم يميزوا بعد ذلك بين إيمان و كفر و لا عرفان و لا نكر و لاحق و لا باطل و لا مهتدى و لا ضال و لا راشد و لا غوي و لا نبى و لا متبىء و لا ولي لله و لا عدو و لا مرضي لله و لا مسخوط و لا محبوب لله و لا ممقوت و لا بين العدل و الظلم و لا بين البر و العقوق و لا بين أعمال أهل الجنة و أعمال أهل النار و لا بين الأبرار و الفجار حيث شهدوا ما تجتمع فيه الكائنات من القضاء السابق و المشيئة النافذة و القدرة الشاملة و الخلق العام فشهدوا المشترك بين المخلوقات و عموا عن الفارق بينهما و صاروا ممن يخاطب بقوله تعالى { أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } {35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } {36} القلم 35-36 و بقوله تعالى { أَمْ تَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
 {ص28 و بقوله تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ
 نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ
 مَا يَحْكُمُونَ} الجاثية21 {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي
 إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} الأعراف137 و منه قول النبي صلى الله
 عليه و سلم أعود بكلمات الله التامات التي لا يتجاوزهن بر ولا
 فاجر من شر ما خلق و ذرأ و برأ و من شر ما ينزل من السماء و
 ما يعرج فيها و من شر ما ذرأ في الأرض و ما يخرج منها و من
 شر فتن الليل و النهار و من شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير
 يارحمنا فالكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ليست هي أمره
 و نهيه الشرعيين فإن الفجار عصوا أمره و نهيه بل هي التي بها
 يكون الكائنات و أما الكلمات الدينية المتضمنة لأمره و نهيه
 الشرعيين فمثل الكتب الإلهية التوراة و الأنجيل و الزبور و القرآن
 وقال تعالى {وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا
 {التوبة40 وقال صلى الله عليه و سلم و استحللتم فروجهن
 بكلمة الله و أما قوله تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا
 {الأنعام115 فإنه يعم النوعين⁵⁴⁰

الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب

* الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب فلو قال قائل إن الله
 أخرج آدم من الجنة بلا ذنب و أنه قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا
 توبة و إنه علم ذلك كان هذا كذباً و بهتاناً بخلاف ما إذا قال
 {فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} البقرة37 {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ
 لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} طه121 فإنه
 يكون صادقاً في ذلك والله سبحانه علم ما يكون من آدم قبل أن
 يكون وهو عالم به بعد أن كان وكذلك كل ما أخبر به من
 قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح و عاد و ثمود و فرعون

ولوط ومدين وغيرهم بذنوبهم و أنه نجى الأنبياء من إبتعهم
 بإيمانهم و تقواهم كما قال { فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ
 يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَنِي سَامٍ مِمَّا كَانُوا
 يَفْسُقُونَ } الأعراف 165 و قال { فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن
 أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ
 الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ } العنكبوت 40 و قال { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى
 عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا } الأعراف 137 وأمثال ذلك في
 القرآن كثير ⁵⁴¹

ان الله وصف نفسه بالأقوال اللازمة والمتعدية

* فان الله وصف نفسه بالأقوال اللازمة والمتعدية في مثل قوله
 { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ } ص 71 وقوله { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا
 } النساء 164 وقوله { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى
 } الأعراف 137 ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح
 عن رسوله فان القول في جميع ذلك من جنس واحد ومذهب
 سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به
 رسوله في النفي والاثبات والله سبحانه وتعالى قد نفى عن
 نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } 1 { اللَّهُ
 الصَّمَدُ } 2 { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } 3 { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } 4 { فبين أنه
 لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } مريم 65
 فأنكر أن يكون له سمي وقال تعالى { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
 } البقرة 22 وقال تعالى { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ } النحل 74
 وقال تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } الشورى 11 ففيما أخبر به
 عن نفسه من تنزيهه عن الكفو والسمى والمثل والند وضرب
 الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله ⁵⁴²

⁵⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 278-279

⁵⁴² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 324

* كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله به وقال النبي من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ولهذا جمعها في قوله تعالى {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} {الكهف 109} فالمراد بذلك أن ما قاله الله فهو حق ثابت لا يبطل كما قال تعالى { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ } {الأعراف 137} يعني بتمامها نفاذ ما وعدهم به من النصر على فرعون وإهلاكه وإخراجهم إلى الشام⁵⁴³

عكوف المؤمنين وعكوف المشركين

* المقصود بالإعتكاف العبادة والصلاة والمساجد الثلاثة لها فضل على ما سواها فإنها بناها أنبياء ودعوا الناس إلى السفر إليها فالخليل دعا إلى المسجد الحرام وسليمان دعا إلى بيت المقدس ونبينا دعا إلى الثلاثة إلى مسجده والمسجدين ولكن جعل السفر إلى المسجد الحرام فرضا والآخرين تطوعا وإبراهيم وسليمان لم يوجبا شيئا ولا اوجب الخليل الحج ولهذا لم يكن بنوا إسرائيل يحجون ولكن حج موسى ويونس وغيرهما ولهذا لم يكن ولهذا لم يكن الحج واجبا في أول الإسلام وإنما وجب في سورة آل عمران بقوله تعالى { وَبِاللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ } {آل عمران 97} ⁵⁴⁴

* جاءت الشريعة بالاعتكاف الشرعي في المساجد بدل ما كان يفعل قبل الإسلام من المجاورة بغار حراء ونحوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى قبضه الله

⁵⁴³الجواب الصحيح ج: 3 ص: 254

⁵⁴⁴مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 264

والاعتكاف من العبادات المشروعة بالمساجد باتفاق الأئمة كما قال تعالى { وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ } البقرة 187 أي في حال عكوفكم في المساجد لا تباشروهن وإن كانت المباشرة خارج المسجد ولهذا قال الفقهاء إن ركن الاعتكاف لزوم المسجد لعبادة الله ومحظوره الذي يبطله مباشرة النساء فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر تمثال أو غير تمثال أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي أو غير نبي أو مقام نبي أو غير نبي فليس هذا من دين المسلمين بل هو من جنس دين المشركين الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه حيث قال تعالى { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } {138} إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُم بِفِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {139}

الأعراف 138-139 فهذا عكوف المشركين وذاك عكوف

المسلمين فعكوف المؤمنين في المساجد لعبادة الله وحده لا شريك له وعكوف المشركين على ما يرجونه ويخافونه من دون الله ومن يتخذونهم شركاء لله وشفعاء عند الله فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم له خالقان ولا إن الله معه إله يساويه في صفاته هذا لم يقله أحد من المشركين بل كانوا يقولون بأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر الله عنهم بقوله { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } العنكبوت 61 وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم⁵⁴⁵

*فإن الله في غير موضع أخبر أن المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان كما قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ

⁵⁴⁵ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 442

مُسْتَقِيمٍ {61} وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبَلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ {62}

يس 60-62⁵⁴⁶

{ وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ }

*لفظ الصلاح و الفساد فاذا اطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر وكذلك اسم المصلح والمفسد قال تعالى فى قصة موسى { أَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نَعْبُدُ لَكَ وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِالْأَلْهَامِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ } القصص 19 { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } الأعراف 142 وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } {11} { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ } {12} البقرة 11-12 والضمير عائد على المنافقين فى قوله { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } {8} البقرة 8 وهذا مطلق يتناول من كان على عهد النبى ومن سيكون بعدهم ولهذا قال سلمان الفارسى أنه عنى بهذه الآية قوما لم يكونوا خلقوا حين نزولها وكذا قال السدى عن أشياخه الفساد الكفر والمعاصى وعن مجاهد ترك امتثال الأوامر واجتتاب النواهى والقولان معناهما واحد وعن ابن عباس الكفر وهذا معنى قول من قال النفاق الذى صافوا به الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين وعن أبى العالية ومقاتل العمل بالمعاصى وهذا أيضا عام كالأولين⁵⁴⁷

*فإن الله أمر بالصلاح ونهى عن الفساد وبعث رسله بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } الأعراف 142 وقال شعيب { إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ }

⁵⁴⁶مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 195

⁵⁴⁷مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 83

{هود88 وقال تعالى { فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } الأعراف35 وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } {11} { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ } {12} البقرة11-12⁵⁴⁸

* فان اظهار كلمة الكفر والطعن في المرسلين والقدرح في كتاب الله ودينه ورساله وكل سبب بينه وبين خلقه لا يكون اشد منه فسادا وعامة الاي في كتاب الله التي تنهى عن الافساد في الارض فان من اكثر المراد بها الطعن في الانبياء كقوله سبحانه عن المنافقين الذين {يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} البقرة9 { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } البقرة11 قال تعالى { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ } البقرة12 وانما كان افسادهم نفاقهم وكفرهم وقوله {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} الأعراف56 وقوله سبحانه {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ} البقرة205 وقوله سبحانه { وَأَصْلِحْ }
وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} الأعراف142⁵⁴⁹

نفور الرافضة عن التكلم بهذه الأعداد فى غاية الجهل

*عشر ذي الحجة اسم لمجموع الليالي وأيامها فإن يوم النحر من عشر ذي الحجة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام العشر وقال تعالى {وَلَيَالٍ عَشْرٍ} الفجر2 ويوم النحر داخل فيها وقال تعالى

⁵⁴⁸مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 266

⁵⁴⁹الصائم المسلول ج: 3 ص: 737

{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ} الأعراف 142
 ويوم النحر هو آخر الأربعين⁵⁵⁰

*ومن تعصبهم (الرافضة) أنهم لا يذكرون اسم العشرة بل يقولون تسعة وواحد وإذا بنوا أعمدة أو غيرها لا يجعلونها عشرة وهم يتحرو ذلك في كثير من أمورهم مع أن الكتاب العزيز قد جاء بذكر العشرة والعشر في غير موضع كما في قوله تعالى { فَصَيَّامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ } البقرة 196 وقال { وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَنْزُبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا } البقرة 234 وقال تعالى {وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ} الأعراف 142 وقال تعالى {وَالْفَجْرِ} {1} وَلَيَالٍ عَشْرٍ} {2} الفجر 1-2 فذكر سبحانه وتعالى اسم العشرة في مواضع محمودة وذكر اسم التسعة في موضع مذموم كقوله تعالى {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ} النمل 48 وقال النبي صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان وكان يعتكف العشر الأواخر حتى قبضه الله تعالى وقال ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام العشرة فإذا كان الله ورسوله قد تكلم باسم العشرة وعلق بهذا العدد أحكاما شرعية محمودة كان نفورهم عن التكلم بذلك لكونه قد تسمى به عشرة من الناس يبغضونهم غاية الجهل والتعصب ثم قولهم تسعة واحدة هو معنى العشرة مع طول العبارة وإذا كان اسم العشرة أو التسعة أو السبعة يقع على كل معدود بهذا العدد سواء كان من الناس أو الدواب أو الثياب أو الدراهم وبعض المعدودات يكون محمودا وبعضها يكون مذموما فنفور هؤلاء الجهال عن التكلم بهذه الأعداد في غاية الجهل وإنما هو كنفورهم عن التكلم بأسماء قوم يبغضونهم كما ينفرون عن اسم أبو بكر وعمر وعثمان بغضهم لشخص كان اسمه هذا الاسم وقد كان من الصحابة رضي الله

⁵⁵⁰ شرح العمدة ج: 2 ص: 381

عنهم من هو مسمى بأسماء تسمى بها بعض الكفار كالوليد بن الوليد وقد ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في قنوته إذا قنت اللهم انج الوليد بن الوليد وانج سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين وهذا الوليد مؤمن تقى وأبوه الوليد كافر شقى وكذلك عقبة بن أبي معيط من كفار قريش وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت كأني في دار عقبة بن رافع وأتينا برطب ابن طاب فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة لنا في الآخرة وأن ديننا قد طاب⁵⁵¹

الأمر بمخالفة الكفار فمفارقة الجنس بالكلية أقرب إلى ترك المنهى عنه

*لما كان الكلام في المسألة الخاصة قد يكون مندرجا في قاعدة عامة بدأنا بذكر بعض ما دل من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم في الجملة سواء كان ذلك عاما في جميع الأنواع المخالفة أو خاصا ببعضها وسواء كان أمر إيجاب أو أمر استحباب ثم أتبعنا ذلك بما يدل على النهي عن مشابهتهم في أعيادهم خصوصا وهنا نكتة قد نبهت عليها في هذا الكتاب وهي أن الأمر بموافقة قوم أو بمخالفتهم قد يكون لأن نفس قصد موافقتهم أو نفس موافقتهم مصلحة وكذلك نفس قصد مخالفتهم أو نفس مخالفتهم مصلحة بمعنى أن ذلك الفعل يتضمن مصلحة للعبد أو مفسدة وإن كان ذلك الفعل الذي حصلت به الموافقة أو المخالفة لو تجرد عن الموافقة والمخالفة لم يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة ولهذا نحن ننتفع بنفس متابعتنا لرسول الله

⁵⁵¹ منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 139

منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 139

صلى الله عليه وسلم والسابقين من المهاجرين والأنصار في أعمال لولا أنهم فعلوها لربما قد كان لا يكون لنا فيها مصلحة لما يورث ذلك من محبتهم وانتلاف قلوبنا بقلوبهم وإن كان ذلك يدعونا إلى موافقتهم في أمور أخرى إلى غير ذلك من الفوائد كذلك قد نتضرر بموافقتنا الكافرين في أعمال لولا أنهم يفعلونها لم نتضرر بفعلها وقد يكون الأمر بالموافقة والمخالفة لأن ذلك الفعل الذي يوافق العبد فيه أو يخالف متضمن للمصلحة والمفسدة ولو لم يفعله لكن عبر عنه بالموافقة والمخالفة على سبيل الدلالة والتعريف فتكون موافقتهم دليلاً على المفسدة ومخالفتهم دليلاً على المصلحة واعتبار الموافقة والمخالفة على هذا التقدير من باب قياس الدلالة وعلى الأول من باب قياس العلة وقد يجتمع الأمران أعني الحكمة الناشئة من نفس الفعل الذي وافقناهم أو خالفناهم فيه ومن نفس مشاركتهم فيه وهذا هو الغالب على الموافقة والمخالفة المأمور بهما والمنهي عنهما فلا بد من التفطن لهذا المعنى فإن به يعرف معنى نهى الله لنا عن اتباعهم وموافقتهم مطلقاً ومقيداً واعلم أن دلالة الكتاب على خصوص الأعمال وتفصيلها إنما يقع بطريق الإجمال والعموم أو الاستلزام وإنما السنة هي التي تفسر الكتاب وتبينه وتدلل عليه وتعبر عنه فنحن نذكر من آيات الكتاب ما يدل على أصل هذه القاعدة في الجملة ثم نتبع ذلك الأحاديث المفسرة لمعاني ومقاصد الآيات بعدها ومن هذا الباب قوله سبحانه لموسى وهرون {فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} يونس 89 وقال سبحانه { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } الأعراف 142 وقال تعالى { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا } النساء 115 إلى غير ذلك من الآيات وما هم عليه من الهدى والعمل هو من سبيل غير المؤمنين بل من سبيل المفسدين والذين لا يعلمون وما يقدر عدم اندراجه في العموم فالنهي ثابت عن جنسه فيكون مفارقة الجنس بالكلية أقرب إلى ترك المنهي عنه

ومقاربتة في مظنة وقوع المنهي عنه ومتابعتهم في هديهم هي من اتباع ما يهوونه أو مظنة لا تباع ما يهوونه وتركها معونة على ترك ذلك وحسم لمادة متابعتهم فيما يهوونه واعلم أن في كتاب الله من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها عبرة لنا بترك ما فعلوه كثير مثل قوله لما ذكر ما فعله بأهل الكتاب من المثالات { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ { الحشر 2 وقوله { لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِيَ الْأَلْبَابِ { يوسف 111 وأمثال ذلك ومنه ما يدل على مقصودنا ومنه ما فيه إشارة وتتميم للمقصود ثم متى كان المقصود بيان أن مخالفتهم في عامة أمورهم أصلح لنا فجميع الآيات دالة على ذلك وإن كان المقصود أن مخالفتهم واجبة علينا فهذا إنما يدل عليه بعض الإيات دون بعض ونحن ذكرنا ما يدل على أن مخالفتهم مشروعة في الجملة إذا كان هذا هو المقصود هنا وأما تمييز دلالة الوجوب أو الواجب عن غيرها وتمييز الواجب عن غيره فليس هو الغرض هنا وسنذكر إن شاء الله أن مشابهتهم في أعيادهم من الأمور المحرمة فإنه هو المسألة المقصودة هنا بعينها وسائر المسائل سواها إنما جلبها إلى هنا تقرير القاعدة الكلية العظيمة المنفعة

التسبيح يقتضي التنزيه و التعظيم

مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 126

* قال تعالى { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَاكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ { الاعراف 143 والأمر بتسبيحه يقتضي أيضا تنزيهه عن كل عيب و سوء و إثبات صفات الكمال له فإن التسبيح يقتضي التنزيه و التعظيم و

التعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها فيقتضي ذلك
تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيده ⁵⁵²

الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الإقرار على الذنوب

*وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع ومنتازعون في العصمة من الكبار والصغائر أو من بعضها أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث أم لا والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقا والرد على من يقول أنه يجوز إقرارهم عليها وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب أقر عليه الأنبياء فإن القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسى بهم مشروع وذلك لا يجوز إلا مع تجويز كون الأفعال ذنوبا ومعلوم أن التأسى بهم إنما هو مشروع فيما أقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه كما أن الأمر والنهي إنما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه فأما ما نسخ من الأمر والنهي فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهيًا عنه فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه وكذلك ما احتجوا به من أن الذنوب تنافي الكمال أو أنها ممن عظمت عليه النعمة أقبح أو أنها توجب التنفير أو نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا إنما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة وقال آخر لو لم تكن

⁵⁵² اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 16

التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنوب أكرم الخلق عليه وقد ثبت في الصحاح حديث التوبة أفرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلاً { الخ وقد قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة 222 وقال تعالى { إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ } الفرقان 70 وقد ثبت في الصحيح حديث الذي يعرض الله صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها وهو مشفق من كبارها أن تظهر فيقول الله له إني قد غفرتها لك وأبدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول أي رب إن لي سيئات لم أرها إذا رأى تبديل السيئات بالحسنات طلب رؤية الذنوب الكبار التي كان مشفقاً منها أن تظهر ومعلوم أن حاله هذه مع هذا التبديل أعظم من حاله لو لم تقع السيئات ولا التبديل وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة وقد قال تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } {72} لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } {73} {الأحزاب 72- 73} فغاية كل إنسان أن يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي أنزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذر إحصاؤه والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص الأسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد وهي من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التي يعلم بالاضطرار أنها باطلة وأنها من باب تحريف الكلم عن مواضعه وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم ويريد الإيمان بهم فيقع في الكفر بهم ثم أن العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع وهي العصمة في التبليغ لم ينتفعوا بها إذ كانوا لا يقرون بموجب ما بلغته الأنبياء وإنما يقرون بلفظ حرفوا معناه أو كانوا فيه كالأمة الذين لا

يعلمون الكتاب إلا أمانى والعصمة التي كانوا ادعوا لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم إليها عندهم فإنها متعلقة بغيرهم لا بما أمروا بالإيمان به فيتكلم أحدهم فيها على الأنبياء بغير سلطان من الله ويدع ما يجب عليه من تصديق الأنبياء وطاعتهم وهو الذي تحصل به السعادة وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى { فَأِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ } النور 54 الآية و الله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الأنبياء إلا مقروناً بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجته { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 وقول الخليل عليه السلام { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } إبراهيم 41 وقوله { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } الشعراء 82 وقول موسى { أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } { 155 } وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ } { 156 } الأعراف 155-156 وقوله { قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 وقوله { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143 وقوله تعالى عن داود { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ } { 24 } فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ { 25 } ص 24 وقوله تعالى عن سليمان { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } ص 35⁵⁵³

توبة المؤمنين واستغفارهم هو من أعظم حسناتهم

*فإن الذنوب مطلقاً من جميع المؤمنين هي سبب العذاب لكن العقوبة بها في الآخرة في جهنم تندفع بنحو عشرة أسباب السبب

⁵⁵³الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 337-339

الأول التوبة فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة مقبولة من جميع الذنوب الكفر والفسوق والعصيان قال الله تعالى { قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ } الأنفال 38 وقال تعالى { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوَانُكُمْ فِي الدِّينِ } التوبة 11 وقال تعالى { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } {73} أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } {74} المائدة 73- 74 وقال { إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ } البروج 10 قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود فتنوا أوليائه وعذبوهم بالنار ثم هو يدعوهم إلى التوبة والتوبة عامة لكل عيب مؤمن كما قال تعالى { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } {72} لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } {73} الأحزاب 72- 73 وقد أخبر الله في كتابه عن توبة أنبيائه ودعائهم بالتوبة كقوله { فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } البقرة 37 وقول إبراهيم وإسماعيل { رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {127} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ دُرِّيْنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ

الرَّحِيمُ } {128} البقرة 127- 128 وقال موسى { أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } {155} وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أَلْيَاكَ } {156} الأعراف 155- 156 وقوله { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } القصص 16 وقوله { سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَانَّا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143 وكذلك ما ذكره في قصة داود وسليمان وغيرهما وأما المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فكثير مشهور وأصحابه كانوا أفضل قرون الأمة فهم

أعرف القرون بالله وأشدهم له خشية وكانوا أقوم الناس بالتوبة في حياته وبعد مماته فمن ذكر ما عيب عليهم ولم يذكر توبتهم التي بها رفع الله درجاتهم كان ظالماً لهم كما جرى من بعضهم يوم الحديبية وقد تابوا منه مع أنه كان قصدهم الخير وكذلك قصة حاطب بن أبي بلتعة تاب منها بل زانهم كان يتوب توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له كما تاب معز بن مالك وأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى طهره بإقامة الحد عليه وكذلك الغامدية بعده وكذلك كانوا زمن عمر وغيره إذا شرب أحدهم الخمر أتى إلى أميره فقال طهرني وأقم على الحد فهذا فعل من يأتي الكبيرة منهم حين يعلمها حراماً فكيف إذا أتى أحدهم الصغيرة أو ذنباً تأول فيه ثم تبين له خطؤه أن التوبة مشروعة لكل عبد للأنبياء ولمن دونهم وأن الله سبحانه يرفع عبده بالتوبة وإذا ابتلاه بما يتوب منه فالمقصود كمال النهاية لا نقص البداية فإنه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين وهو يبذل بالتوبة السيئات حسنة والتائب مع التوبة يوجب لصاحبه من العبودية والخشوع والتواضع والدعاء وغير ذلك ما لم يكن يحصل قبل ذلك ولهذا قال طائفة من السلف إن العبد ليفعل الذنب فيدخل به الجنة ويفعل الحسنة فيدخل بها النار يفعل الذنب فلا يزال نصب عينيه إذا ذكره تاب إلى الله ودعا وخشع له فيدخل به الجنة ويفعل الحسنة فيعجب بها فيدخل النار وفي الأثر لو لم تذبوا لخفت عليكم ما هو أعظم من الذنب وهو العجب وفي أثر آخر لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنب أكرم الخلق عليه وفي أثر آخر يقول الله تعالى أهل ذكرى أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيادتي وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا اقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبيهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فأنا طبيبيهم أبتليهم بالمصائب لأظهرهم من المعائب والتائب حبيب الله سواء

كان شاباً أو شيخاً⁵⁵⁴

* قوله تعالى {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
{التوبة 117 الآية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون
من الإقرار على الذنوب كبارها وصغارها وهم بما أخبر الله به
عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم فإن الله يحب
التوابين ويحب المتطهرين وليست التوبة نقصاً بل هي من أفضل
الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق كما قال تعالى { وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } {72} {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} {73} {الاحزاب 72-73} فغاية
كل مؤمن هي التوبة ثم التوبة تتنوع كما يقال حسنات الأبرار
سيئات المقربين والله تعالى قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة
والإستغفار عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم فقال آدم {قَالَ
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ
{الأعراف 23} وقال نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ
لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {هود 47
وقال الخليل { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ } إبراهيم 41 وقد قال الله تعالى { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } محمد 19 فتوبة المؤمنين واسغفارهم هو
من أعظم حسناتهم وأكبر طاعاتهم وأجل عباداتهم التي ينالوا بها
أجل الثواب ويندفع بها عنهم ما يدفعه من العقاب فإذا قال
القائل أي حاجة بالأنبياء إلى العبادات والطاعات كان جاهلاً لأنهم
إنما نالوا ما نالوه بعبادتهم وطاعتهم فكيف يقال إنهم لا يحتاجون
إليها فهي أفضل عبادتهم وطاعتهم وإذا قال القائل فالتوبة لا
تكون إلا عن ذنب والإستغفار كذلك قيل له الذنب الذي يضر
صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة فأما ما حصل منه توبة فقد يكون
صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة كما قال بعض السلف
كان داود بعد التوبة أحسن منه حالاً قبل الخطيئة⁵⁵⁵

الموجود الواجب الوجود أحق بأن يرى

قال تعالى {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ {الشورى 51 يقتضي أن يكون الحجاب حجاباً يحجب البشر كما حجب موسى فيقتضي ذلك أنهم لا يرونه في الدنيا وإن كلمهم كما أنه كلم موسى ولم يره موسى بل سأل الرؤية فقال {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ {الأعراف 143 قيل أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد في الدنيا ورؤيته في الدنيا بالأبصار لم تقع لأحد باتفاق علماء المسلمين لكن لهم في النبي قولان والذي عليه أكابر العلماء وجمهورهم أنه لم يره بعينه كما دل على ذلك الكتاب والسنة⁵⁵⁶

*وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت وقد اتفق أئمة المسلمين على أن أحدا من المؤمنين لا يرى الله بعينه في الدنيا ولم يتنازعا الا في النبي خاصة مع أن جماهير الأئمة على انه لم يره بعينه في الدنيا وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي والصحابة وأئمة المسلمين ولم يثبت عن ابن عباس ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم قالوا إن محمدا رأى ربه بعينه بل الثابت عنهم اما اطلاق الرؤية واما تقييدها بالفؤاد وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه وقوله أتانى البارحة ربي في أحسن صورة الحديث الذي رواه الترمذى وغيره انما كان بالمدينة في المنام هكذا جاء مفسرا وكذلك حديث أم الطفيل وحديث

⁵⁵⁶الجواب الصحيح ج: 3 ص: 319-321

ابن عباس وغيرهما مما فيه رؤية ربه انما كان بالمدينة كما جاء مفسرا في الأحاديث والمعراج كان بمكة كما قال تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الإسراء 1 وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع

وقد ثبت بنص القرآن أن موسى قيل له {لَنْ نَرَاكَ}

{الأعراف 143} وأن رؤية الله أعظم من إنزال كتاب من السماء كما قال تعالى {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} النساء 153 فمن قال ان أحدا من الناس يراه فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله أنزل عليه كتابا من السماء والناس في رؤية الله على ثلاثة أقوال

فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانا وأن أحدا لا يراه في الدنيا بعينه لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب من المكاشفات والمشاهدات ما يناسب حالها ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن أنه رأى ذلك بعينه وهو غالط ومشاهدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد ومعرفته في صورة مثالية كما قد بسط في غير هذا الموضوع والقول الثاني قول نفاة الجهمية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة والثالث قول من يزعم أنه يرى في الدنيا والآخرة وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والاثبات فيقولون أنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وأنه يرى في الدنيا والآخرة وهذا قول ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله لأن الوجود المطلق السارى في الكائنات لا يرى وهو وجود الحق عندهم ثم من أثبت الذات قال يرى متجليا فيها ومن فرق بين المطلق والمعين قال لا يرى إلا مقيدا بصورة وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين انكار رؤية الله واثبات رؤية المخلوقات ويجعلون المخلوق هو الخالق أو يجعلون الخالق حالا في المخلوق والا فتفريقهم بين الأعيان الثابتة في الخارج وبين وجودها هو قول من يقول بأن المعدوم شيء في

الخارج وهو قول باطل وقد ضموا اليه أنهم جعلوا نفس وجود المخلوق هو وجود الخالق وأما التفريق بين المطلق والمعين مع أن المطلق لا يكون هو في الخارج مطلقا فيقتضى أن يكون الرب معدوما وهذا هو جحود الرب وتعطيله وإن جعلوه ثابتا في الخارج جعلوه جزءا من الموجودات فيكون الخالق جزءا من المخلوق أو عرضا قائما بالمخلوق وكل هذا مما يعلم فساده بالضرورة وقد بسط هذا في غير هذا الموضوع⁵⁵⁷

*من الأشياء ما يرى ومنها ما لا يرى والفرق بينهما لا يجوز أن يكون أمورا عدمية لأن الرؤية أمر وجودي والمرئي لا يكون إلا موجودا فليست عدمية لا تتعلق بالمعدوم ولا يكون الشرط فيه إلا أمرا وجوديا لا يكون عدميا وكل ما لا يشترط فيه إلا الوجود دون العدم كان بالوجود الأكمل أولى منه بالأقص فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى وكل ما لم يمكن أن يرى فهو أضعف وجودا مما يمكن أن يرى فالأجسام الغليظة أحق بالرؤية من الهواء والضياء أحق بالرؤية من الظلام لأن النور أولى بالوجود والظلمة أولى بالعدم والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجودا وأبعد الأشياء عن العدم فهو أحق بأن يرى وإنما لم نره لعجز أبقارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته كما أن شعاع الشمس أحق بأن يرى من جميع الأشياء ولهذا مثل النبي صلى الله عليه وسلم رؤية الله به فقال ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر شبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مثل المرئي ومع هذا فإذا حرق البصر في الشعاع ضعف عن رؤيته لا لامتناع في ذات المرئي بل لعجز الرائي فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله تعالى الأدميين وقواهم حتى أطاقوا رؤيته ولهذا لما تجلى الله عز وجل للجبل خر موسى صعبا { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143 قيل أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا

⁵⁵⁷ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 336-338

مات ولا يابس إلا تدهده فهذا للعجز الموجود في المخلوق لا امتناع في ذات المرئى بل كان المانع من ذاته لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهى الأمر إلى المعدوم الذي لا يتصور أن يرى خارج الرائي ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله كما أيد نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } {8} {9} {الأنعام 8- 9} قال غير واحد من السلف هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كان يشتهه عليهم هل هو ملك أو بشر فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك إليهم فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة ولهذا قال تعالى { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } {التكوير 22} ⁵⁵⁸

من الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه

*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمى له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال

سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180}
 وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
 الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به
 المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص
 والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين
 النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به
 المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من
 النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة
 ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن
 وقوله سبحانه {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي
 أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ نَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ
 فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا
 فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} الأعراف 143
 559

من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر

*سمى الله نفسه باسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الاسماء
 مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض
 مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الاسماء اذا
 قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين
 وتمائل مساهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة
 والتخصيص اتفاقهما ولا تمائل المسمى عند الاضافة والتخصيص
 فضلا عن ان يتحد مساهما عند الاضافة والتخصيص فقد
 سمي الله نفسه حيا فقال {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
 {البقرة 255} وسمى بعض عباده حيا فقال {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
 الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ

تُخْرَجُونَ { الروم 19 وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي
 إسم لله مختص به وقوله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} { الروم 19 اسم
 للحي المخلوق مختص به وإنما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن
 التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن
 العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند
 الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق
 عن الخالق ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم
 منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والإتفاق وما دل عليه بالإضافة
 والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من
 خصائصه سبحانه وتعالى وكذلك سمي صفاته بأسماء وسمى
 صفات عبادته بنظير ذلك فوصف نفسه بالتكليم في قوله {وَلَمَّا
 جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} {الأعراف 143} ووصف عبده
 بالتكليم في قوله {وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا
 كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ} {يوسف 54} وليس التكليم
 كالتكليم⁵⁶⁰

* وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من
 غير وجه وعن غير واحد من الصحابة أنه قال إن الله إذا تكلم
 بالوحي أخذ الملائكة مثل الغشى وفي رواية إذا سمعت
 الملائكة كلامه صعقوا وفي رواية سمعت الملائكة كجر
 السلسلة على الصفوان فيصعقون ف { إِذَا فُرِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ } سبأ 23
 أى أزيل الفزع عن قلوبهم { قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ
 } سبأ 23 فينادون الحق الحق فقد أخبر في هذه الأحاديث
 الصحيحة أنهم يصعقون صعق الغشى فإذا جاز عليهم صعق
 الغشى جاز صعق الموت وهؤلاء المنقلبة لا يجوزون لا هذا ولا
 هذا وصعق الغشى هو مثل صعق موسى عليه السلام قال تعالى

{ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا }
 { الأعراف 143⁵⁶¹

*قال أحمد بن حنبل لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يثبتون له ما اثبتته لنفسه من الاسماء الحسنی والصفات العليا ويعلمون أنه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 لا فى صفاته ولا فى ذاته ولا فى أفعاله الى أن قال وهو { الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا } الفرقان 59 وهو الذى كلم موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكا ولا يماثله شىء من الأشياء فى شىء من صفاته فليس كعلمه علم أحد ولا كقدرته قدرة أحد ولا كرحمته رحمة أحد ولا كاستوائه استواء أحد ولا كسمعه وبصره سمع أحد ولا بصره ولا كتكليمه تكليم أحد ولا كتجليه تجلى أحد والله سبحانه قد أخبرنا أن فى الجنة لحما ولبنا وعسلا وماء وحريرا وذهبا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس فى الدنيا مما فى الآخرة الا الاسماء فاذا كانت هذه المخلوقات الغائبة ليست مثل هذه المخلوقات المشاهدة مع اتفاقها فى الأسماء فالخالق أعظم علواً ومباينة لخلقه من مباينة المخلوق للمخلوق وان اتفقت الأسماء وقد سمى نفسه حيا عليماً سميعاً بصيراً وبعضها رؤوفاً رحيماً وليس الحى كالحى ولا العليم كالعليم ولا السميع كالسميع ولا البصير كالبصير ولا الرؤوف كالرؤوف ولا الرحيم كالرحيم وقال فى سياق حديث الجارية المعروف أين الله قالت فى السماء لكن ليس معنى ذلك ان الله فى جوف السماء وان السموات تحصره وتحويه فان هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هم متفقون على أن الله فوق سمواته على

عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته
شيء من مخلوقاته⁵⁶²

فان الكتاب والسنة مع العقل دلت على أن الله لا تماثله المخلوقات
في شيء من الأشياء ودلت على أن الله غنى عن كل شيء ودلت
على أن الله مباين للمخلوقات عال عليها وان كان يعتقد أن
الخالق تعالى بائن عن المخلوقات وانه فوق سمواته على عرشه
بائن من مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته
شيء من مخلوقاته وان الله غنى عن العرش وعن كل ما سواه لا
يفتقر الى شيء من المخلوقات بل هو مع استوائه على عرشه
يحمل العرش وحمله العرش بقدرته ولا يمثل استواء الله باستواء
المخلوقين بل يثبت لله ما اثبتته لنفسه من الأسماء والصفات وينفى
عنه مماثلة المخلوقات ويعلم أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا
في صفاته ولا أفعاله فهذا مصيب في اعتقاده موافق لسلف الأمة
وأئمتها فان مذهبهم أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما
وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
تكيف ولا تمثيل فيعلمون أن الله بكل شيء عليم وعلى كل شيء
قدير وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم
استوى على العرش وأنه كلم موسى تكليما وتجلى للجبل فجعله دكا
هشيمًا ويعلمون أن الله ليس كمثله شيء في جميع ما وصف به
نفسه وينزهون الله عن صفات النقص والعيب ويثبتون له صفات
الكمال ويعلمون أنه ليس له كفو أحد في شيء من صفات الكمال
قال نعيم بن حماد الخزاعي من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما
وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا
رسوله تشبيها والله أعلم⁵⁶³

⁵⁶² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 257

⁵⁶³ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 263

كلم الله موسى تكليماً خاصاً كاملاً

*فضل موسى بالتكليم على غيره ممن أوحى إليهم وهذا يدل على أمور على ان الله يكلم عبده تكليماً زائداً عن الوحي الذي هو قسيم التكليم الخاص فان لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم إلى عام وخاص فالتكليم هو المقسوم في قوله { وَمَا كَانَ لِنَبِّئِرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيّاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً } { الشورى 51 والتكليم المطلق هو قسيم الوحي الخاص ليس هو قسماً منه وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاماً فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى { فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى } طه 13 وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما في سورة الشورى وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات فانه حنيئذ لا فرق بين التكليم الذى خص به موسى والوحي العام الذى يكون لأحاد العباد ومثل هذا قوله فى الآية الأخرى { وَمَا كَانَ لِنَبِّئِرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيّاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِي بِلَايِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ } { الشورى 51 فانه فرق بين الايحاء وبين التكليم من وراء الحجاب وبين ارسال رسول يوحى بإذنه ما يشاء فدل على ان التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الايحاء وأيضا فقلوه { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } { الجاثية 2 وقوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } { غافر 2 وقوله { تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } { فصلت 2 وأمثال ذلك يدل على انه منزل من الله لا من غيره وكذلك قوله { بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } { المائدة 67 فانه يدل على اثبات أن ما أنزل اليه من ربه وانه مبلغ مأمور بتبليغ ذلك وأيضا فهم يقولون انه معنى واحد فان كان موسى سمع جميع المعنى فقد سمع جميع كلام الله وان سمع بعضه فقد تبعض وكلاهما ينقض قولهم فانهم يقولون انه معنى واحد لا يتعدد ولا يتبعض فان كان ما يسمعه موسى والملائكة هو ذلك المعنى كله كان كل منهم علم جميع كلام الله وكلامه متضمن لجميع خبره وجميع أمره فيلزم أن يكون كل واحد ممن كلمه الله أو

أنزل عليه شيئاً من كلامه عالماً بجميع أخبار الله وأوامره وهذا معلوم الفساد بالضرورة وان كان الواحد من هؤلاء انما يسمع بعضه فقد تبعض كلامه وذلك يناقض قولهم وايضا فقوله {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} النساء164 وقوله {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} الأعراف143 وقوله {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} مريم52 وقوله { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِأُورُشَلِيمَ } {11} {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} {12} {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} {13} طه 11-13 الآيات دليل على تكليم سمعه موسى والمعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومن قال انه يسمع فهو مكابر ودليل على انه ناداه والنداء لا يكون الا صوتا مسموعا ولا يعقل فى لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازا وايضا فقد قال تعالى {فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} النمل8 وقوله {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} القصص30 وقال {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} {15} {إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} {16} {النازعات15-16} وقال {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى} {11} {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} {12} طه 11-12 وفى هذا دليل على انه حينئذ نودى ولم يناد قبل ذلك ولما فيها من معنى الظرف⁵⁶⁴

*التكليم من وراء حجاب كما كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام ولهذا سمي الله هذا نداء و نداء فقال تعالى {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} مريم52 وقال تعالى {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى} {11} {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} {12} {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} {13} طه 11-13 وهذا التكليم مختص ببعض الرسل كما قال تعالى {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ

⁵⁶⁴مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 129-131 و الصغدية ج: 1 ص: 204

{ البقرة 253 وقال تعالى { **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ** { الأعراف 143 وقال بعد ذكر إيحائه إلى الأنبياء { **وَكَلَّمَ اللَّهُ** موسى تكليماً { النساء 164 فمن جعل هذا من جنس الوحي الأول كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومن تكلم في التصوف على طريقهم كما في مشكاة الأنوار وكما في كتاب خلع النعلين وكما في كلام الاتحادية كصاحب الفصوص وأمثاله فضلاله ومخالفته للكتاب والسنة والاجماع بل وصريح المعقول من أبين الأمور وكذلك من زعم أن تكليم الله لموسى إنما هو من جنس الالهام والوحي وان الواحد منا قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى كما يوجد مثل ذلك في كلام طائفة من فروخ الجهمية الكلابية ونحوهم فهذا أيضا من أعظم الناس ضلالا وقد دل كتاب الله على أن اسم الوحي والكلام في كتاب الله فيهما عموم وخصوص فإذا كان أحدهما عاما اندرج فيه الآخر كما اندرج الوحي في التكليم العام في هذه الآية واندرج التكليم في الوحي العام حيث قال تعالى { **فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ** } طه 13 واما التكليم الخاص الكامل فلا يدخل فيه الوحي الخاص الخفي الذي يشترك فيه الأنبياء وغيرهم كما أن الوحي المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص الكامل كما قال تعالى لذكرى { **أَيْتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا** } مريم 10 ثم قال تعالى { **فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ** } مريم 11 فالإيحاء ليس بتكليم ولا يناقض الكلام وقوله تعالى في الآية الأخرى { **أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا** } آل عمران 41 أن جعل معنى الاستثناء منقطعا اتفق معنى التكليم في الآيتين وان جعل متصلا كان التكليم مثل التكليم في سورة الشورى وهو التكليم العام وقد تبين أنه إنما كلم موسى تكليما خاصا كاملا بقوله { **مَنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ** } البقرة 253 مع العلم بأن الجميع أوحى إليهم وكلمهم التكليم العام وبأنه فرق بين تكليمه وبين الإيحاء إلى النبيين وكذا التكليم بالمصدر وبأنه جعل التكليم من وراء حجاب قسما غير إيحائه وبما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من تكليمه الخاص

لموسى منه إليه وقد ثبت أنه كلمه بصوت سمعه موسى كما جاءت
الأثار بذلك عن سلف الأمة وأئمتها موافقة لما دل عليه الكتاب
والسنة⁵⁶⁵

بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى

*وبين الامام أحمد أن كلام الأدميين مخلوق فضلا عن أعمالهم
فقال بيان ما أنكرت الجهمية من أن يكون الله كلم موسى فقلنا لم
أنكرتم ذلك قالوا إن الله لم يتكلم و لا يتكلم إنما كون شيئا فعبر عن
الله و خلق صوتا فأسمع و زعموا أن الكلام لا يكون إلا من جوف
و لسان و شفتين فقلنا فهل يجوز لمكون غير الله أن يقول { يَا
مُوسَى {11} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ {12} طه 11-12 أو يقول { إِنِّي أَنَا اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي {14} طه 14 فمن زعم
أن ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية و لو كان كما زعم الجهمي أن
الله كون شيئا كان يقول ذلك المكون ياموسى ان الله رب العالمين
لا يجوز له أن يقول إني أنا الله رب العالمين و قد قال الله
تعالى { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا { النساء 164 و قال { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى
لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ { الأعراف 143 و { قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ
عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي { الأعراف 144 فهذا منصوص
القرآن فأما ما قالوا أن الله لا يتكلم و لا يكلم فكيف يصنعون
بحديث الأعمش عن خيثمة عن عدي بن حاتم الطائي قال قال
رسول الله صلى الله عليه و سلم ما منكم من أحد إلا سيكلم ربه
ليس بينه و بينه ترجمان و بسط الكلام عليهم إلى أن قال قد
أعظمت على الله الفرية حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام
التي تعبد من دون الله لأن الأصنام لا تتكلم و لا تتحرك و لا تزول
من مكان إلى مكان فلما ظهرت عليه الحجة قال أن الله قد يتكلم و
لكن كلامه مخلوق قلنا و كذلك بنوا آدم كلامهم مخلوق فقد شبهتم

⁵⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 402-403

الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق ففي مذهبكم قد كان في و
 قت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق التكلم فقد جمعتم بين كفر و
 تشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة بل نقول إن الله لم يزل متكلماً إذا
 شاء و لا نقول أنه كان و لا يتكلم حتى خلق و ذكر تمام كلامه
 فقد بين أن كلام الأدميين مخلوق خلقه الله و ذلك أبلغ من نصه
 على أن أفعال العباد مخلوقة مع نصه على الأمرين و قال إذا
 أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أنه في كل
 مكان و لا يكون في مكان دون مكان فقل أليس الله كان و لا شيء
 فيقول نعم فقل له حين خلق خلقه خلقه في نفسه أو خارجاً عن نفسه
 فإنه يصير إلى ثلاثة أقاويل و احدة منها إن زعم أن الله خلق الخلق
 في نفسه كفر حين زعم أن الجن و الإنس و الشياطين في نفسه و
 إن قال خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم كان هذا أيضاً كفراً
 حين زعم أنه دخل في مكان و حش قدر رديء و إن قال خلقهم
 خارجاً من نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع و هو قول
 أهل السنة فقد بين أحمد كلام الأدميين مخلوق و نص في غير
 موضع على أن أفعالهم مخلوقة و النص على كلامهم أبلغ فإن
 الشبه فيه أظهر فمن قال أن كلام الأدميين أو أفعالهم قديمة فهو
 مبتدع مخالف للكتاب و السنة و إجماع سلف الأمة و أئمتها⁵⁶⁶

* وقال الامام أحمد في الجزء الذي فيه الرد على الجهمية
 والزنادقة وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير ان نقول جوف ولا
 فم ولا شفطان وقال بعد ذلك بل نقول ان الله لم يزل متكلماً اذا
 شاء ولا نقول انه كان ولا يتكلم حتى خلق وكلامه فيه طول
 قال باب ما انكرت الجهمية من ان الله كلم موسى فقلنا لم
 انكرتم ذلك قالوا ان الله لم يتكلم ولا يتكلم انما كون شيئاً فعبير عن
 الله وخلق صوتاً فأسمعه وزعموا ان الكلام لا يكون الا من جوف
 ولسان وشفنتين فقلنا هل يجوز ان يكون لمكون غير الله ان
 يقول يا موسى { 11 } إني أنا ربك { 12 } طه 11-12

او يقول {إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي
طه14 { فمن زعم ان ذلك غير الله فقد ادعى الربوبية ولو كان
كما زعم الجهمي ان الله كون شيئا كان يقول ذلك المكون يا
موسى ان الله رب العالمين ولا يجوز ان يقول انى انا الله
رب العالمين وقد قال جل ثناؤه { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا

{ النساء164 وقال {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ{ الأعراف143 وقال {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي

وَبِكَلَامِي { الأعراف144 فهذا منصوص القرآن واما ما قالوا ان

الله لم يتكلم ولا يكلم فكيف يصنعون بحديث الاعمش عن خيثمة
عن عدى بن حاتم الطائى قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان
واما قولهم ان الكلام لا يكون الا من جوف وفم وشفتين ولسان

فنقول اليس الله قال للسموات والارض { اَتَيْنَا طُورًا أَوْ كَرَّهًا قَالَتَا

أَتَيْنَا طَائِعِينَ { فصلت11 أتراها انها قالت بجوف وفم وشفتين

ولسان وقال {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ { الأنبياء79

اتراها انها يسبحن بجوف وفم ولسان وشفتين ولكن الله انطقها

كيف شاء وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير ان نقول جوف ولا فم

ولا شفتان ولا لسان فلما خنقته الحجج قال ان الله كلم موسى

الا ان كلامه غيره فقلنا وغيره مخلوق قال نعم قلنا هذا مثل قولكم

الاول الا انكم تدفعون عن انفسكم الشنعة وحديث الزهرى قال لما

سمع موسى كلام ربه قال يا رب هذا الذى سمعته هو كلامك

قال نعم يا موسى هو كلامى وانما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان

ولى قوة الالسن كلها وانا اقوى من ذلك وانما كلمتك على قدر ما

يطيق بدنك ولو كلمتك بأكثر من ذلك لمت قال فلما رجع

موسى الى قومه قالوا له صف لنا كلام ربك فقال سبحان الله

وهل استطيع ان اصفه لكم قالوا فشبهه قال سمعتم اصوات

الصواعق التى تقبل فى احلى حلاوة سمعتموها فكأنه مثله

وقلنا للجهمية من القائل يوم القيامة { يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ

لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ { المائدة116 اليس

الله هو القائل قالوا يكون الله شيئاً فيعبر عن الله كما كونه فعبر
لموسى قلنا فمن القائل {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ
الْمُرْسَلِينَ} {6} {فَلَنَقُصَّنَّ عَنْهُمْ بَعْلَمٍ} {7} {الأعراف 6-7} اليس الله
هو الذى يسأل قالوا هذا كله انما يكون شيئاً فيعبر عن الله فقلنا
قد اعظمت على الله الفرية حين زعمتم انه لا يتكلم فشبهتموه
بالاصنام التى تعبد من دون الله لان الاصنام لا تتكلم ولا تتحرك
ولا تزول من مكان الى مكان فلما ظهرت عليه الحجة قال ان
الله قد يتكلم لكن كلامه مخلوق قلنا قد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم
ان كلامه مخلوق ففى مذهبكم قد كان فى وقت من الاوقات لا يتكلم
وكذلك بنو آدم كانوا ولا يتكلمون حتى خلق لهم كلاماً فقد جمعتم
بين كفر وتشبيه فتعالى الله عن هذه الصفة علواً كبيراً بل نقول
ان الله لم يزل متكلماً اذا شاء ولا نقول انه كان ولا يتكلم حتى خلق
كلاماً ولا نقول انه قد كان لا يعلم حتى خلق علماً ولا نقول انه قد
كان ولا قدرة حتى خلق لنفسه قدرة ولا نقول انه قد كان ولا نور
له حتى خلق لنفسه نوراً ولا نقول انه قد كان ولا عظمة حتى خلق
لنفسه عظمة وذكر كلاماً طويلاً فى تقرير الصفات وانها لا تنافى
التوحيد⁵⁶⁷

*والكلابية ومن وافقهم من السالمية ونحوهم وصفوه بالكلام فى
الأزل قالوا إنه موصوف به أزلاً وأبداً لكن لم يجعلوه قادراً على
الكلام ولا متكلماً بمشيئته واختياره ولا يقدر ان يحدث شيئاً يكون
به مكلماً لغيره لكن يخلق لغيره ادراكاً بما لم يزل كما يزيل العمى
عن الأعمى الذى لا يرى الشمس التى كانت ظاهرة متجلية لا أن
الشمس فى نفسها تجلت وظهرت وهذا يقول كثير من هؤلاء فى
رؤيته إنها ليست إلا مجرد خلق الادراك ليس هناك حجب منفصلة
عن الرأى فلا يكشف حجاباً ولا يرفع حجاباً والقرآن مع
الحديث ومع العقل يرد على هؤلاء كقوله تعالى {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ
يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيّاً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ

بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٍ { الشورى 51 ولو كان الحجاب هو عدم الرؤية لكان الوحي وارسال الرسل من وراء حجاب وقال تعالى { فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا { الأعراف 143 وفى الصحيح إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة وينجينا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما اعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر والآثار فى ذلك كثيرة و أيضا فقول الكلاية أن الحقائق المتنوعة شىء واحد وقول الآخرين إن الأصوات المتضادة تجتمع فى آن واحد مما يقول أكثر العلماء العقلاء انه معلوم الفساد بالضرورة وقد بسط الكلام على هذه الأقوال فى غير هذا الموضع⁵⁶⁸

*ان الله فضل موسى بتكليمه إياه على غيره ممن لم يكلمه وقال { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا { الشورى 51 الآية فكان تكليم موسى من وراء الحجاب وقال { يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي { الأعراف 144 وقال { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ { النساء 163 إلى قوله { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا { النساء 164 والوحي هو ما نزله الله على قلوب الأنبياء بلا واسطة فلو كان تكليمه لموسى إنما هو صوت خلقه فى الهواء لكان وحي الأنبياء أفضل منه لأن أولئك عرفوا المعنى المقصود بلا واسطة وموسى إنما عرفه بواسطة ولهذا كان غلاة الجهمية من الاتحادية ونحوهم يدعون أن ما يحصل لهم من الالهام أفضل مما حصل لموسى ابن عمران وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين ولما فهم السلف حقيقة مذهب هؤلاء وانه يقتضى تعطيل الرسالة فان الرسل إنما بعثوا ليبلغوا كلام الله بل يقتضى تعطيل التوحيد فان من لا يتكلم ولا يقوم به علم ولا حياة هو كالموات بل من لا تقوم

به الصفات فهو عدم محض إذ ذات لا صفة لها إنما يمكن تقديرها في الذهن لا في الخارج كتقدير وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص فكان قول هؤلاء مضاهيا لقول المتفلسفة الدهرية الذين يجعلون وجود الرب وجودا مطلقا بشرط الاطلاق لا صفة له وقد علم أن المطلق بشرط الاطلاق لا يوجد إلا في الذهن وهؤلاء الدهرية ينكرون أيضا حقيقة تكليمه لموسى ويقولون إنما هو فيض فاض عليه من العقل الفعال وهكذا يقولون في الوحي إلى جميع الأنبياء وحقيقة قولهم ان القرآن قول البشر لكنه صدر عن نفس صافية شريفة وإذا كانت المعتزلة خيرا من هؤلاء وقد كفر السلف من يقول بقولهم فكيف هؤلاء وكلام السلف والأئمة في مثل هؤلاء لا يحصى قال حرب بن اسماعيل الكرمانى سمعت اسحاق بن راهويه يقول ليس بين أهل العلم إختلاف أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق وكيف يكون شىء من الرب عز ذكره مخلوقا ولو كان كما قالوا لزمهم أن يقولوا علم الله وقدرته ومشيتته مخلوقة فان قالوا ذلك لزمهم أن يقولوا كان الله تبارك اسمه ولا علم ولا قدرة ولا مشيئة وهو الكفر المحض الواضح لم يزل الله عالما متكلما له المشيئة والقدرة في خلقه والقرآن كلام الله وليس بمخلوق فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر وقال وكيع بن الجراح من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئا من الله مخلوق فقليل له من أين قلت هذا قال لان الله يقول { وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي { السجدة 13 ولا يكون من الله شىء مخلوق وهذا القول قاله غير واحد من السلف ⁵⁶⁹

⁵⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 215-520 (الرد على من انكر ان الله كلم موسى الرجوع لتفسير النساء 164)) الفتاوى الكبرى

"لو لم تكن التوبة احب الاشياء اليه لما ابتلى بالذنب اكرم الخلق عليه "

* واما العصمة فى غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل او السمع ومنتازعون فى العصمة من الكبار والصغائر او من بعضها ام هل العصمة انما هي فى الاقرار عليها لا فى فعلها ام لا يجب القول بالعصمة الا فى التبليغ فقط وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث ام لا والكلام على هذا مبسوط فى غير هذا الموضوع والقول الذى عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف اثبات العصمة من الاقرار على الذنوب مطلقا والرد على من يقول انه يجوز اقرارهم عليها وحجج القائلين بالعصمة اذا حررت انما تدل على هذا القول وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب اقر عليه الانبياء فان القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسى بهم مشروع وذلك لا يجوز الا مع تجويز كون الافعال ذنوبا ومعلوم ان التأسى بهم انما هو مشروع فيما اقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه كما ان الامر والنهي انما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه فأما ما نسخ من الامر والنهي فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهي عنه فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه وكذلك ما احتجوا به من ان الذنوب تنافى الكمال او انها ممن عظمت عليه النعمة اقبح او انها توجب التنفير او نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا انما يكون مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع والا فالتوبة النصوح التى يقبلها الله يرفع بها صاحبها الى اعظم مما كان عليه كما قال بعض السلف كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة وقال آخر لو لم تكن التوبة احب الاشياء اليه لما ابتلى بالذنب اكرم الخلق عليه وقد ثبت فى الصحاح حديث التوبة لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل منزلا الخ وقد قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة 222 وقال تعالى { إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ

{ الفرقان 70 } وقد ثبت في الصحيح حديث الذي يعرض الله صغار ذنوبه ويخبا عنه كبارها وهو مشفق من كبارها ان تظهر فيقول الله له اني قد غفرتك لك وابدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول اى رب ان لي سيئات لم ارها اذا رأى تبديل السيئات بالحسنات طلب رؤية الذنوب الكبار التي كان مشفقاً منها ان تظهر ومعلوم ان حاله هذه مع هذا التبديل اعظم من حاله لو لم يقع السيئات ولا التبديل وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة وقد قال تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } {72} لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا {73} الأحزاب 72-73 فغاية كل انسان ان يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي انزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذر إحصاؤه والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية لنصوص الاسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد وهى من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التي يعلم بالاضطرار انها باطلة وانها من باب تحريف الكلم عن مواضعه وهؤلاء يقصد احدهم تعظيم الانبياء فيقع في تكذيبهم ويريد الايمان بهم فيقع في الكفر بهم ثم ان العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والاجماع وهى العصمة فى التبليغ لم ينتفعوا بها اذ كانوا لا يقرون بموجب ما بلغته الانبياء وانما يقرون بلفظ حرفوا معناه او كانوا فيه كالاميين الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى والعصمة التى كانوا ادعوا لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم اليها عندهم فانها متعلقة بغيرهم لا بما امروا بالايمان به فيتكلم احدهم فيها على الانبياء بغير سلطان من الله ويدع ما يجب عليه من تصديق الانبياء وطاعتهم وهو الذي تحصل به السعادة

وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى { عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النور 54 والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الانبياء الا مقرونا بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجته { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } هود 47 وقوله الخليل عليه السلام { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } إبراهيم 41 وقوله { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } الشعراء 82 وقول موسى { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } { 155 } { وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ } الأعراف 155-156 وقوله { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 وقوله **فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143** وقوله تعالى عن داود { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } { 24 } فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ } { 25 } { 24-25 } وقوله تعالى عن سليمان { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } { 35 } ⁵⁷⁰

{ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ }

*والرب تعالى له المثل الأعلى وهو أعلى من غيره وأحق بالمدح والثناء من كل ما سواه وأولى بصفات الكمال وأبعد عن صفات النقص فمن الممتنع أن يكون المخلوق متصفاً بكمال لا نقص فيه والرب لا يتصف إلا بالكمال الذي لا نقص فيه وإذا كان يأمر عبده أن يفعل الأحسن والخير فيمتنع أن لا يفعل هو إلا ما هو الأحسن والخير فإن فعل الأحسن والخير مدح وكمال لا نقص فيه فهو أحق

بالمدح والكمال الذي لا نقص فيه من غيره قال تعالى قال
 { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ
 فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ بِأَحْسَنِهَا سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ
 {الأعراف145 571

* فاتباع أحسن ما أنزل إلينا من ربنا هو اتباع أحسن القول
 وبهذا أمر بني إسرائيل حيث قال قال تعالى { وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ بِأَحْسَنِهَا
 سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ {الأعراف145 572

* والشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد
 وتقليلها فهي تأمر بما تترجح مصلحته وإن كان فيه مفسدة
 مرجوحة كالجهاد وتنتهى عما ترجحت مفسدته وإن كان فيه
 مصلحة مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيره ولهذا أمر
 تعالى أن نأخذ بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا فالأحسن إما واجب
 وإما مستحب قال تعالى { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
 مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ بِأَحْسَنِهَا
 سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ {الأعراف145 وقال { وَاتَّبِعُوا
 أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ { الزمر55 فأمر باتباع الأحسن
 والأخذ به 573

* قال تعالى { أَوْلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ
 { الزخرف24 وهذا يتناول من بين له أن القول الآخر هو أهدى
 من القول الذى نشأ عليه فعليه أن يتبعه كما قال { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا
 أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ { الزمر55 وقال { فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ
 قَوْمَكُمُ بِأَحْسَنِهَا {الأعراف145 وقال { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ
 الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ { الزمر18 والواجب فى الاعتقاد أن يتبع

571 رسالة فى معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص: 136

572 الاستقامة ج: 1 ص: 232

573 الجواب الصحيح ج: 6 ص: 17

أحسن القولين ليس لأحد أن يعتقد قولاً وهو يعتقد أن القول
المخالف له أحسن منه وما خير فيه بين فعلين وأحدهما أفضل فهو
أفضل وإن جاز له فعل المفضول فعليه أن يعتقد أن ذلك أفضل
ويكون ذلك أحب إليه من هذا وهذا اتباع للأحسن⁵⁷⁴

*قال تعالى {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ} {الزمر 55}
وقال تعالى {فَبَشِّرْ عِبَادِ} {17} {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} {18} {الزمر 17- 18} وقال تعالى {
فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} {الأعراف 145} فدل
على

أن فيما أنزل حسن وأحسن سواء كان الأحسن هو الناسخ الذي
يجب الأخذ به دون المنسوخ إذ كان لا ينسخ آية إلا يأتي بخير منها
أو مثلها أو كان غير ذلك⁵⁷⁵

قسم القول إلى حسن وأحسن والقرآن كله متبع؟

* قد قال تعالى {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
{الزمر 18} والمراد بالقول القرآن كما فسره بذلك سلف الأمة و
أئمتها كما قال تعالى {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ
آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} {المؤمنون 68} واللام لتعريف القول المعهود فإن
السورة كلها إنما تضمنت مدح القرآن وإستماعه وقد بسطنا هذا في
غير هذا الموضوع و بينا فساد قول من إستدل بهذه على سماع الغنا
و غيره و جعلها عامة و بينا أن تعميمها في كل قول باطل بإجماع
المسلمين وهنا سؤال مشهور و هو أنه قال {يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ
فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} {الزمر 18} فقد قسم القول إلى حسن وأحسن
والقرآن كله متبع وهذا حجتهم فيقال الجواب من ثلاثة أوجه
إلزام وحل الأول أن هذا مثل قوله {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا
أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ} {الزمر 55} و مثل قوله {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي

⁵⁷⁴مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 279

⁵⁷⁵مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 14

الألواح من كل شيء مؤعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها {الأعراف 145} فقد أمر المؤمنين باتباع أحسن ما أنزل إليهم من ربهم وأمر بنى إسرائيل أن يأخذوا بأحسن التوراة وهذا أبلغ من تلك الآية فإن تلك إنما فيها مدح باتباع الأحسن ولا ريب أن القرآن فيه الخبر والأمر بالحسن والأحسن وإتباع القول إنما هو العمل بمقتضاه ومقتضاه فيه حسن وأحسن ليس كله أحسن وإن كان القرآن في نفسه أحسن الحديث ففرق بين حسن الكلام بالنسبة إلى غيره من الكلام وبين حسنه بالنسبة إلى مقتضاه المأمور والمخير عنه الوجه الثاني أن يقال إنه قال { فَبَشِّرْ عِبَادِ {17} الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ {18} } الزمر 17-18 والقرآن تضمن خبراً وأمرًا فالخبر عن الأبرار والمقربين وعن الكفار والفجار فلا ريب أن إتباع الصنفين حسن وإتباع المقربين أحسن والأمر يتضمن الأمر بالواجبات والمستحبات ولا ريب أن الإقتصار على فعل الواجبات حسن وفعل المستحبات معها أحسن ومن اتبع الأحسن فاقتدى بالمقربين وتقرّب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض كان أحقّ بالبشرى وعلى هذا فقوله { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ } {الزمر 55} **وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا {الأعراف 145}** هو أيضاً أمر بذلك لكن الأمر يعم أمر الإيجاب والاستحباب فهم مأمورون بما في ذلك من واجب أمر إيجاب وبما فيه من مستحب أمر استحباب كما هم مأمورون مثل ذلك في قوله { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ } {النحل 90} وقوله { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ } {الأعراف 157} والمعروف يتناول القسمين وقوله { وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } {الحج 77} وهو يعم القسمين وقوله { ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا } {الحج 77} وأمثال ذلك ⁵⁷⁶

*وقال تعالى {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ} {الزمر 18} فافتضى أن غيرهم لم يهده وهذا يقتضي وجوب الأخذ بالأحسن وهو مشكل وقد تكلم الناس فيه ونظيره قوله تعالى {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ} {الإسراء 53} وقد يقال هذا نظير قوله تعالى {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} {الإسراء 35} ونظائر هذا كثيرة مما يذكر فيه أن الأمور به خير وأحسن من المنهي عنه وإن كان الأول واجبا والثاني محرما وذلك لأن الأمور به قد يشتمل على مفسدة مرجوحة والمنهي عنه يشتمل على مصلحة مرجوحة فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن وفي هذا شر وسييء لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجبا فقوله تعالى {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ} {الزمر 55} هو أمر بالأحسن من فعل الأمور أو ترك المحظور وهو يتناول الأمر بالواجب والمستحب فإن كلاهما أحسن من المحرم والمكروه لكن يكون الأمر أمر إيجاب وأمر استحباب كما امر بالإحسان في قوله تعالى {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} {البقرة 195} والإحسان منه واجب ومنه مستحب⁵⁷⁷

إذا كان أحد الدليلين هو الراجح فاتباعه هو الأحسن

*أن كل ما أمر الله تعالى به فانما أمر بالعلم وذلك أنه في المسائل الخفية عليه أن ينظر في الأدلة ويعمل بالراجح ويكون هذا هو الراجح أمر معلوم عند أمر مقطوع به وإن قدر أن ترجيح هذا على هذا فيه شك عنده لم يعمل به وإذا ظن الرجحان فانما ظنه لقيام دليل عنده على أن هذا راجح وفرق بين اعتقاد الرجحان ورجحان الاعتقاد اما اعتقاد الرجحان فقد يكون علما وقد لا يعمل

⁵⁷⁷الجواب الصحيح ج: 6 ص: 20

حتى يعلم الرجحان وإذا ظن الرجحان أيضا فلا بد أن يظنه بدليل يكون عنده أرجح من دليل الجانب الآخر ورجحان هذا غير معلوم فلا بد أن ينتهي الأمر الى رجحان معلوم عنده فيكون متبعا لما علم أنه أرجح وهذا اتباع للعلم لا للظن وهو اتباع الاحسن كما قال { **فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا** } الأعراف 145 وقال { **الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ** } الزمر 18 وقال { **وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ** } الزمر 55 فإذا كان أحد الدليلين هو الأرجح فاتباعه هو الأحسن وهذا معلوم فالواجب على المجتهد أن يعمل بما يعلم أنه أرجح من غيره وهو العمل بأرجح الدليلين المتعارضين وحينئذ فما عمل الا بالعلم وهذا جواب الحسن البصرى وأبى وغيرهم والقرآن ذم من لا يتبع الا الظن فلم يستند ظنه الى علم بأن هذا أرجح من غيره كما قال { **وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ** } النجم 28 وقال { **هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ** } الأنعام 148 وهكذا فى سائر المواضع يذم الذين ان يتبعون الا الظن فعندهم ظن مجرد لا علم معه وهم يتبعونه والذي جاءت به الشريعة وعليه عقلاء الناس انهم لا يعلمون الا بعلم بان هذا أرجح من هذا فيعتقدون الرجحان اعتقادا عمليا لكن لا يلزم إذا كان أرجح أن لا يكون المرجوح هو الثابت فى نفس الأمر وهذا كما ذكر النبى حيث قال ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض وانما أقضي بنحو مما أسمع فإذا أتى أحد الخصمين بحجة مثل بينة تشهد له ولم يأت الآخر بشاهد معها كان الحاكم عالما بأن حجة هذا أرجح فما حكم إلا بعلم لكن الآخر قد يكون له حجة لا يعلمها أو لا يحسن أن يبينها مثل أن يكون قد قضاه أو ابرأه وله بينة تشهد بذلك وهو لا يعلمها أو لا يذكرها أو لا يجسر ان يتكلم بذلك فيكون هو المضيع لحقه حيث لم يبين حجته والحاكم لم يحكم الا بعلم وعدل وضياع حق هذا كان من عجزه وتفريطه لا من الحاكم وهكذا أدلة الأحكام فاذا تعارض خبران أحدهما مسند ثابت والآخر مرسل كان المسند الثابت أقوى من المرسل وهذا معلوم لأن

المحدث بهذا قد علم عدله وضبطه والآخر لم يعلم عدله ولا ضبطه
كشاهدين زكى أحدهما ولم يذك الآخر فهذا المزكى أرجح وان
جاز أن يكون في نفس الأمر قول الآخر هو الحق لكن المجتهد انما
عمل بعلم وهو علمه برجحان هذا على هذا ليس ممن لم يتبع الا
الظن ولم يكن تبين له إلا بعد الاجتهاد التام فيمن أرسل ذلك
الحديث وفي تزكية هذا الشاهد فإن المرسل قد يكون روايه عدلا
حافظا كما قد يكون هذا الشاهد عدلا ونحن ليس معنا علم
بانتفاء عدالة الراوي لكن معنا عدم العلم بعدالتهما وقد لا تعلم
عدالتهما مع تقويتها ورجحانها في نفس الأمر فمن هنا يقع الخطأ
في الاجتهاد لكن هذا لا سبيل الى أن يكلفه العالم أن يدع ما يعلمه
الى أمر لا يعلمه لا مكان ثبوته في نفس الأمر فاذا كان لا بد من
ترجيح أحد القولين وجب ترجيح هذا الذي علم ثبوته على ما لا يعلم
ثبوته وان لم يعلم انتفاؤه من جهته فانهما إذا تعارضا وكانا
متناقضين فانبات أحدهما هو نفي الآخر فهذا الدليل المعلوم قد علم
أنه يثبت هذا وينفي ذلك وذلك المجهول بالعكس فاذا كان لا بد من
الترجيح وجب قطعاً ترجيح المعلوم ثبوته على ما لم يعلم ثبوته
ولكن قد يقال انه لا يقطع بثبوته وقد قلنا فرق بين اعتقاد الرجحان
ورجحان الاعتقاد أما اعتقاد الرجحان فهو علم والمجتهد ما عمل
إلا بذلك العلم وهو اعتقاد رجحان هذا على هذا وأما رجحان هذا
الاعتقاد على هذا الاعتقاد فهو الظن لكن لم يكن ممن قال الله فيه {
إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ } النجم 28 بل هنا ظن رجحان هذا وظن
رجحان ذلك وهذا الظن هو الراجح ورجحانه معلوم فحكم بما
علمه من الظن الراجح ودليله الراجح وهذا معلوم له لا مظنون
عنده وهذا يوجد في جميع العلوم والصناعات كالطب والتجارة
وغير ذلك ⁵⁷⁸

*بينما صفوة الامة وخيارها المتبعون للرسول علما وعملا يدعون إلى النظر والاستدلال والاعتبار بالآيات والأدلة والبراهين التي بعث الله بها رسوله وتدبر القرآن وما فيه من البيان ويدعون إلى المحبة والارادة الشرعية وهي محبة الله وحده و ارادة عبادته وحده لا شريك له بما أمر به على لسان رسوله فهم لا يعبدون إلا الله ويعبدونه بما شرع وأمر ويستمعون ما أحب استماعه وهو قوله الذي قال فيه وقال { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ } الأعراف 145⁵⁷⁹

"الأرض لا تقدرس أحدا وإنما يقدرس الرجل عمله"

*وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها بل هي صفة عارضة بحسب سكانها فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هي دار أولياء الله في ذلك الوقت وكل أرض سكانها الكفار فهي دار كفر في ذلك الوقت وكل أرض سكانها الفساق فهي دار فسوف في ذلك الوقت فإن سكنها غير ما ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهي دارهم وكذلك المسجد إذا تبدل بخمارة أو صار دار فسق أو دار ظلم أو كنيسة يشرك فيها بالله كان بحسب سكانه وكذلك دار الخمر والفسوق ونحوها إذا جعلت مسجدا يعبد الله فيه جل وعز كان بحسب وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقا والكافر يصير مؤمنا أو المؤمن يصير كافرا أو نحو ذلك كل بحسب إنتقال الأحوال من حال إلى حال وقد قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً } النحل 112 الآية نزلت في مكة لما كانت دار كفر وهي ما زالت في نفسها خير أرض الله وأحب أرض الله إليه وإنما أراد سكانها فقد روى الترمذي مرفوعا أنه قال لمكة وهو واقف بالحزورة والله إنك

⁵⁷⁹النبوات ج: 1 ص: 51

لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أن قومي أخرجوني
 منك لما خرجت وفي رواية خير أرض الله وأحب أرض الله
 إلى فبين أنها أحب أرض الله إلى الله ورسوله وكان مقامه
 بالمدينة ومقام من معه من المؤمنين أفضل من مقامهم بمكة لأجل
 أنها دار هجرتهم ولهذا كان الرباط بالثغور أفضل من مجاورة مكة
 والمدينة كما ثبت في الصحيح رباط يوم وليلة في سبيل الله خير
 من صيام شهر وقيامه ومن مات مرابطاً مات مجاهداً وجرى عليه
 عمله وأجرى رزقه من الجنة وأمن الفتان وفي السنن عن
 عثمان عن النبي أنه قال رباط يوم في سبيل الله خير من ألف
 فيما سواه من المنازل وقال أبو هريرة لأن أربط ليلة في سبيل
 الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود ولهذا كان
 أفضل الأرض في حق كل إنسان أرض يكون فيها أطوع لله
 ورسوله وهذا يختلف باختلاف الأحوال ولا تتعين أرض يكون
 مقام الإنسان فيها أفضل وإنما يكون الأفضل في حق كل إنسان
 بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور وقد كتب
 أبو الدرداء إلى سلمان هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سليمان
 أن الأرض لا تقدر أحداً وإنما يقدر العبد عمله وكان النبي قد
 أخى بين سلمان وأبي الدرداء وكان سلمان أفقه من أبي الدرداء في
 أشياء من جملتها هذا وقد قال الله تعالى لموسى عليه السلام {
سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ } الأعراف 145 وهي الدار التي كان بها
 أولئك العمالقة ثم صارت بعد هذا دار المؤمنين وهي الدار التي دل
 عليها القرآن من الأرض المقدسة وأرض مصر التي أورها الله
 بنى إسرائيل فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلماً
 وتارة كافراً وتارة مؤمناً وتارة منافقاً وتارة براً تقياً وتارة فاسقاً
 وتارة فاجراً شقياً 580

*الأمكنة والبقاع تتغير أحكامها بتغير أحوال أهلها فقد تكون البقعة دار كفر إذا كان أهلها كفارا ثم تصير دار إسلام إذا أسلم أهلها كما كانت مكة شرفها الله في أول الأمر دار كفر وحرب وقال الله تعالى فيها {وَكَايِنَ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ {محمد13} ثم لما فتحها النبي صارت دار إسلام وهى فى نفسها أم القرى واحب الأرض إلى الله وكذلك الأرض المقدسة كان فيها الجبارون الذين ذكرهم الله تعالى كما قال تعالى { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ }20{ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ }21{ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ }22{ المائدة 20-22 الآيات وقال تعالى لما أنجى موسى وقومه من الغرق {

سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ {الأعراف145} وكانت تلك الديار ديار الفاسقين لما كان يسكنها إذ ذاك الفاسقون ثم لما سكنها الصالحون صارت دار الصالحين وهذا أصل يجب أن يعرف فإن البلد قد تحمد أو تذم فى بعض الأوقات لحال أهله ثم يتغير حال أهله فيتغير الحكم فيهم إذا المدح والذم والثواب والعقاب إنما يترتب على الإيمان والعمل الصالح أو على ضد ذلك من الكفر والفسوق والعصيان قال الله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } النساء1 وقال النبي لا فضل لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لا يبيض على أسود ولا لأسود على على ابيض إلا بالتقوى الناس بنو آدم وادم من تراب ⁵⁸¹

*وكتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي وكان النبي قد آخى بينهما لما آخى بين المهاجرين والأنصار وكان أبو الدرداء بالشام

وسلمان بالعراق نائباً لعمر بن الخطاب أن هلم إلى الأرض
المقدسة فكتب إليه سلمان أن الأرض لا تقديس أحداً وإنما يقديس
الرجل عمله

وهو كما قال سلمان الفارسي فإن مكة حرسها الله تعالى أشرف
البقاع وقد كانت في غربة الإسلام دار كفر وحرب يحرم المقام بها
وحرم بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها وقد كانت
الشام في زمن موسى عليه السلام قبل خروجه ببني إسرائيل دار
الصابئة المشركين الجبابرة الفاسقين وفيها قال تعالى لبني إسرائيل
{ سَأَرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ } الأعراف 145 فإن كون الأرض

دار كفر أو دار السلام أو إيمان أو دار سلم أو
حرب أو دار طاعة أو معصية أو دار المؤمنين
أو الفاسقين أو صاف عارضة لا لازمة فقد تنتقل من وصف إلى
وصف كما ينتقل الرجل بنفسه من الكفر إلى الإيمان والعلم وكذلك
بالعكس وأما الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان ففي الإيمان
والعمل الصالح⁵⁸²

كما أن ذاته ليست مثل ذوات خلقه فعمله ليس مثل

عملهم

* أن الألفاظ نوعان أحدهما ما معناه مفرد كلفظ الأسد
والحمار والبحر والكلب فذه إذا قيل أسد الله وأسد رسوله أو
قيل للبليد حمار أو للعالم أو السخى أو الجواد من الخيل بحر أو
قيل للأسد كلب فهذا مجاز ثم إن قرنت به قرينة تبين المراد كقول
النبي صلى الله عليه وسلم لفرس أبي طلحة إن وجدناه لبحرا
وقوله إن خالدا سيف من سيوف الله سلة الله على المشركين
وقوله لعثمان إن الله يقمصك قميصا وقول ابن عباس الحجر
الأسود يمين الله في الأرض فمن استلمه وصافحه فكأنما بايع ربه
أو كما قال ونحو ذلك فهذا اللفظ فيه تجوز وإن كان قد ظهر من

⁵⁸² مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 45

اللفظ مراد صاحبه وهو محمول على هذا الظاهر فى إستعمال هذا المتكلم لا على الظاهر فى الوضع الأول وكل من سمع هذا القول علم المراد به وسبق ذلك الى ذهنه بلا حال إرادة المعنى الأول وهذا يوجب أن يكون نصا لا محتملا وليس حمل اللفظ على هذا المعنى من التأويل الذى هو صرف اللفظ عن الإحتمال الراجح الى الإحتمال المرجوح فى شىء وهذا أحد مئارات غلط الغالطين فى هذا الباب حيث يتوهم أن المعنى المفهوم من هذا اللفظ مخالف للظاهر وأن اللفظ متناول النوع الثانى من الألفاظ ما فى معناه إضافة إما بأن يكون المعنى إضافة محضة كالعلو والسفول وفوق وتحت ونحو ذلك أو أن يكون معنا ثبوتيا فيه إضافة كالعلم والحب والقدرة والعجز والسمع والبصر فهذا النوع من الألفاظ لا يمكن أن يوجد له معنى مفرد بحسب بعض موارد لوجهين أحدهما أنه لم يستعمل مفردا قط الثانى أن ذلك يلزم منه الإشتراك أو المجاز بل يجعل حقيقة فى القدر المشترك بين موارد وما نحن فيه من هذا الباب فان لفظ استوى لم تستعمله العرب فى خصوص جلوس الأدمى مثلا على سرية حقيقة حتى يصير فى غيره مجازا كما أن لفظ العلم لم تستعمله العرب فى خصوص العرف القائم بقلب البشر المنقسم الى ضرورى و نظرى حقيقة واستعملته فى غيره مجازا بل المعنى تارة يستعمل بلا تعدية كما فى قوله {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى} القصص 14 وتارة يعدى بحرف الغاية كما فى قوله {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} فصلت 11 وتارة يعدى بحرف الإستعلاء ثم هذا تارة يكون صفة الله وتارة يكون صفة لخلقة فلا يجب أن يجعل فى أحد الموضوعين حقيقة وفى الآخر مجازا ولا يجوز أن يفهم من استواء الله الخاصية التى تثبت للمخلوق دون الخالق كما فى قوله تعالى {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} الذاريات 47 وقوله تعالى {مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا} يس 71 وقوله تعالى {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَثَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 وقوله تعالى {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} الأنبياء 105 وقوله

تعالى {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ} {الأعراف 145} فهل يستحل مسلم أن يثبت لربه خاصيه الأدمى البانى الصانع الكاتب العامل أم يستحل أن ينفي عنه حقيقة العمل والبناء كما يختص به ويليق بجلاله أم يستحل أن يقول هذه الألفاظ مصروفة عن ظاهرها أم الذى يجب أن يقول عمل كل أحد بحسبه فكما أن ذاته ليست مثل ذوات خلقه فعمله وصنعه وبنائه ليس مثل عملهم وصنعهم وبنائهم ونحن لم نفهم من قولنا بنى فلان وكتب فلان ما فى عمله من المعالجة والتأثر إلا من جهة علمنا بحال البانى لا من جهة مجرد اللفظ الذى هو لفظ الفعل وما يدل عليه بخصوص إضافته الى الفاعل المعين وبهذا ينكشف لك كثير مما يشكل على كثير من الناس وترى مواقع اللبس فى كثير من هذا الباب والله يوفقنا وسائر إخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل ويجمع قلوبنا على دينه الذى ارتضاه لنفسه وبعث به رسوله والحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين صلى الله على محمد صاحب الحوض المورود وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

583

*و هو سبحانه لا يحيط أحد من علمه إلا بما شاء و لا يعلم أحد لا نبى و لا غيره إلا ما علمه الله و قال الخضر لموسى إنني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه و أنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه و لما نقر العصفور فى البحر قال له ما نقص علمي و علمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر و هو سبحانه القائل فى حق موسى {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ} {الأعراف 145} ⁵⁸⁴

⁵⁸³ مجموع الفتاوى ج: 33 ص: 183- 186

⁵⁸⁴ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 495

المستكبرون المتبعون أهواءهم مصروفون عن آيات الله

* الإسلام الذي هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسوله وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين فيستسلم لله وحده لا شريك له ويكون سالماً له بحيث يكون متألهاً له غير متألهاً لما سواه كما بينته أفضل الكلام ورأس الإسلام وهو شهادة أن لا إله إلا الله وله ضدان الكبير والشرك ولهذا روى أن نوحاً عليه السلام أمر بنبيه بلا إله إلا الله وسبحان الله ونهاهم عن الكبر والشرك في حديث قد ذكرته في غير هذا الموضع فإن المستكبر عن عبادة الله لا يعبده فلا يكون مستسلماً له والذي يعبده ويعبد غيره يكون مشركاً به فلا يكون سالماً له بل يكون له فيه شرك ولفظ الإسلام يتضمن الإستسلام والسلامة التي هي الإخلاص وقد علم أن الرسل جميعهم بعثوا بالإسلام العام المتضمن لذلك كما قال تعالى { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا } {المائدة 44} وقال موسى { إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } {يونس 84} وقال تعالى { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {البقرة 112} وقال الخليل لما قال له ربه { أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } {131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } {132} {البقرة 131-132} وقال يوسف { تَوَفَّنِي مُسْلِماً } {يوسف 101} ونظائره كثيرة وعلم أن إبراهيم الخليل هو إمام الحنفاء المسلمين بعده كما جعله أمة وإماماً وجاءت الرسل من ذريته بذلك فابتدعت اليهود والنصارى ما ابتدعه مما خرج بهم عن دين الله الذي أمروا به وهو الإسلام العام ولهذا أمرنا أن نقول { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {7} {الفاحة 6-7} وقد ثبت عن النبي أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وكل من هاتين

الأمتين خرجت عن الإسلام وغلب عليها أحد ضديه فاليهود يغلب عليهم الكبر ويقبل فيهم الشرك والنصارى يغلب عليهم الشرك ويقبل فيهم الكبر وقد بين الله ذلك في كتابه فقال في اليهود { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ } البقرة 83 وهذا هو أصل الإسلام إلى قوله { وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } البقرة 87 وهذا اللفظ الذي هو لفظ الاستفهام هو انكار لذلك عليهم وذم لهم عليه وإنما يذمون على ما فعلوه فعلم أنهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا فيقتلون فريقاً من الأنبياء ويكذبون فريقاً وهذا حال المستكبر الذي لا يقبل ما لا يهواه فإن النبي قد فسر الكبر في الحديث الصحيح بأنه بطر الحق وغمط الناس ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً أفمن الكبر ذاك فقال لا إن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس وبطر الحق جده ودفعه وغمط الناس إحتقارهم وازدرأؤهم وكذلك ذكر الله الكبر في قوله بعد أن قال { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ } الأعراف 145 إلى أن قال { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 وهذا حال الذي لا يعمل بعلمه بل يتبع هواه وهو الغاوى كما قال { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَالِينَ } { 175 } وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } { 176 } الأعراف 175 الآية وهذا مثل علماء السوء وقد قال لما رجع موسى إليهم { وَمَلَأْنَا سَكَّتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِ } وفي نسختها هدى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } الأعراف 154

فالذين يرهبون ربهم خلاف الذين يتبعون أهواءهم كما قال تعالى
 {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ
 هِيَ الْمَأْوَىٰ {41} النازعات 40-41 فأولئك المستكبرون المتبعون
 أهواءهم مصروفون عن آيات الله لا يعلمون ولا يفهمون لما تركوا
 العمل بما علموه إستكبارا وإتباعا لأهوائهم عوقبوا بأن منعوا الفهم
 والعلم فان العلم حرب للمتعالى كما أن السيل حرب للمكان العالي
 والذين يرهبون ربهم عملوا بما علموه فاتاهم الله علما ورحمة إذ
 من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم⁵⁸⁵

* فان الله سبحانه يكره ويغض ان يكون مع العبد ما يستعين به
 على معصية الله دون طاعته وان يكون ما جعله للمؤمنين مع
 الكفار والمنافقين وكذلك المؤمنون ينبغي ان يكرهوا ذلك فكل ما
 نهى الله عنه وامر المؤمنين بالمنع منه وازالته فهو يكرهه
 وهذا كقوله تعالى {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} الاعراف 146 قال طائفة من السلف امنع
 قلوبهم عن فهم القرآن⁵⁸⁶

الكبر ينافي حقيقة العبودية

* فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهداهم
 أتمهم عبودية من هذا الوجه و حقيقة دين الاسلام الذي أرسل به
 رسله وانزل به كتبه وهو ان يستسلم العبد لله لا لغيره فالمستسلم له
 ولغيره مشرك والممتنع عن الاستسلام له مستكبر وقد ثبت في
 الصحيح عن النبي ان الجنة لا يدخلها من في قلبه مثقال ذره من
 كبر كما النار لا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من الايمان فجعل
 الكبر مقابلا للايمان فان الكبر ينافي حقيقة العبودية كما ثبت في

⁵⁸⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 623-626

⁵⁸⁶ الاستقامة ج: 2 ص: 45

الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبتة فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية والكبرياء اعلى من العظمة ولهذا جعلها بمنزلة الرداء كما جعل العظمة بمنزلة الازار ولهذا كان شعار الصلوات والاذان والاعياد هو التكبير وكان مستحبا في الامكنة العالية كالصفا والمروة واذا علا الانسان شرفا او ركب دابة ونحو ذلك وبه يطفأ الحريق وان عظم وعند الاذان يهرب الشيطان قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 وكل من استكبر عن عبادة الله لا بد ان يعبد غيره فان الانسان حساس يتحرك بالارادة وقد ثبت في الصحيح عن النبي انه قال اصدق الاسماء حارث وهمام فالحارث الكاسب الفاعل والهمام فعال من الهم والهم اول الارادة فالانسان له ارادة دائما وكل ارادة فلا بد لها من مراد تنتهي اليه فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وارادته فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وارادته بل استكبر عن ذلك فلا بد ان يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله فيكون عبدا لذلك المراد المحبوب اما المال واما الجاه واما الصور واما ما يتخذها من دون الله كالشمس والقمر والكواكب والاوثان وقبور الانبياء والصالحين او من الملائكة والانبياء الذين يتخذهم اربابا او غير ذلك مما عبد من دون الله واذا كان عبدا لغير الله يكون مشركا وكل مستكبر فهو مشرك ولهذا كان فرعون من اعظم الخلق استكبارا عن عبادة الله وكان مشركا قال تعالى { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ {23} إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاجِرٌ كَذَّابٌ {24} غافر 23-24 إلى قوله } وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ {27} غافر 27 الى قوله { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّكَبِّرٍ جَبَّارٍ } غافر 35 وقال تعالى { وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ } العنكبوت 39 وقال تعالى { إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ

وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ {القصص 4} الى قوله { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ آلِهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلِهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ } {38} وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ {39} فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ {40} {القصص 38-40}

ومثل هذا في القرآن كثير وقد وصف فرعون بالشرك في قوله { وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَيْكَةَ قَالَ سَنُقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } {الأعراف 127} بل الاستقراء يدل على انه كلما كان الرجل اعظم استكبارا عن عبادة الله كان الرجل اعظم اشراكا بالله لانه كلما استكبر عن عبادة الله ازداد فقره او حاجته الى المراد المحبوب الذي هو المقصود مقصود القلب بالقصد الاول (اي مقصود العبادة) فيكون مشركا بما استعبده من ذلك ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات الا بأن يكون الله هو مولاه الذي لا يعبد إلا اياه ولا يستعين الا به ولا يتوكل الا عليه ولا يفرح الا بما يحبه ويرضاه ولا يكره الا ما يبغضه الرب ويكرهه ولا يوالي الا من والاه الله ولا يعادى الا من عاداه الله ولا يحب إلا الله ولا يبغض شيئا الا الله ولا يعطى الا الله ولا يمنع الا الله فكلما قوى اخلاص دينه لله كملت عبوديته واستغناؤه عن المخلوقات وبكمال عبوديته لله يبرئه من الكبر والشرك والشرك غالب على النصرارى والكبر غالب على اليهود قال تعالى فى النصرارى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } {التوبة 31} وقال فى اليهود { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } {البقرة 87}

وقال تعالى { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلًّا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا { الأعراف 146

ولما كان الكبر مستلزماً للشرك والشرك ضد الإسلام وهو الذنب الذى لا يغفره الله { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا } النساء 48 وقال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } النساء 116
كان الانبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام فهو الدين الذى لا يقبل الله غيره لا من الاولين ولا من الآخرين قال نوح { فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أُجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يونس 72⁵⁸⁷

إن أكبر الكبائر الكفر والكبر

* جاء فى حديث إن أكبر الكبائر الكفر والكبر وهذا صحيح فإن هذين الذنبين أساس كل ذنب فى الإنس والجن فإن إبليس هو الذى فعل ذلك أولاً وهو أصل ذلك قال الله تعالى { إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } البقرة 34 وقال { إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } ص 74 وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ولا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر فجعل الكبر يصاد الإيمان وكذلك الشرك فى مثل قوله { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } النساء 48 وقال ابن مسعود قال رسول الله من مات وهو لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قال وأنا أقول من مات وهو يشرك بالله شيئاً دخل النار ثم من الناس من يجمع بينهما ومنهم من ينفرد له أحدهما والمؤمن الصالح عافاه الله منهما فإن الإنسان إما أن يخضع لله وحده أو يخضع لغيره مع خضوعه له أو لا يخضع لا لله ولا لغيره فالأول هو المؤمن والثانى هو المشرك والثالث هو المتكبر الكافر وقد لا يكون كافراً فى بعض

⁵⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 196-199 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 388-389

المواضع والنصارى آفتهم الشرك واليهود آفتهم الكبر كما قال تعالى عن النصارى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } التوبة 31 وقال عن اليهود { سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } الأعراف 146 ولهذا عوقبت اليهود بضرب الذلة والمسكنة عليهم والنصارى بالضلال والبدع والجهالة⁵⁸⁸

اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه استكبارا وحسدا وغلوا واتباعا للهوى

* وقد روى الترمذى وغيره عن عدى بن حاتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون قال الترمذى حديث صحيح وقال سفيان بن عيينة كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى وكان غير واحد من السلف يقول احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون فإن الغى اتباع الهوى والضلال عدم الهدى ومن جمع الضلال والغى ففيه شبه من هؤلاء وهؤلاء نسأل الله أن يهدينا وسائر إخواننا صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا⁵⁸⁹

* أن العمل إما بمعرفة الحق وإتباعه فى العلم والعمل جميعا صلاح القول والعمل العلم والإرادة والعلم أصل العمل و أصل الإرادة والمحبة وغير ذلك وهو مستلزم له مالم يحصل معارض مانع فالعلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح مثل إتباع الهوى بالإستكبار ونحوه كحال الذين قال الله فيهم

⁵⁸⁸ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 331

⁵⁸⁹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 198

{سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} الأعراف 146 وقال

{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} النمل 14 وقال

{فَأَنهُمْ لَا يُكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33

ولهذا قال **{يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}** ص 26 ونحو ذلك

ذلك فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من الفساد إذا رأت الحق إتبعته وأحبته إذ الحق نوعان حق موجود فالواجب معرفته والصدق في الإخبار عنه وضد ذلك الجهل والكذب وحق مقصود وهو النافع للإنسان فالواجب إرادته والعمل به وضد ذلك إرادة الباطل وإتباعه ومن المعلوم أن الله خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل ومحبة الصدق دون الكذب ومحبة النافع دون الضار وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض من هوى وكبر وحسد ونحو ذلك كما انه في صالح الجسد خلق الله فيه محبة الطعام والشراب الملائم له دون الضار فإذا إشتهى ما يضره أن كره ما ينفعه فلمرض في الجسد وكذلك أيضا إذا إندفع عن النفس المعارض من الهوى والكبر والحسد وغير ذلك أحب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح كما أن الجسد إذا إندفع عنه المرض أحب ما ينفعه من الطعام والشراب فكل واحد من وجود المقتضى وعدم الدافع سبب للآخر وذلك سبب لصالح حال الإنسان وضدهما سبب ل ضد ذلك فإذا ضعف العلم غلبه الهوى الإنسان وإن وجد العلم والهوى وهما المقتضى والدافع فالحكم للغالب وإذا كان كذلك فصالح بنى آدم الإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيان أحدهما الجهل المضاد للعلم فيكونون ضلالا والثانى إتباع الهوى والشهوة اللذين فى النفس فيكونون غواة مغضوبا عليهم ولهذا قال **{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى}** {1}

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} {2} النجم 1-2 وقال **عليكم بسنتي** وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا

عليها بالنواجذ فوصفهم بالرشد الذي هو خلاف الغي وبالهدى الذي هو خلاف الضلال وبهما يصلح العلم والعمل جميعا ويصير الإنسان عالما عادلا لا جاهلا ولا ظالما⁵⁹⁰

* أن الإنسان يجب عليه أن يعرف الحق وأن يتبعه وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين غير المغضوب عليهم ولا الضالين وهذا هو الصراط الذي أمرنا الله أن نسأله هدايتنا إياه في كل صلاة بل في كل ركعة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه استكبارا وحسدا وغلوا واتباعا للهوى وهذا هو الغي والنصارى ليس لهم علم بما يفعلونه من العبادة والزهد والأخلاق بل فيهم الجهل والغلو والبدع والشرك جهلا منهم وهذا هو الضلال وإن كان كل من الأمتين فيه ضلال وغي لكن الغي أغلب على اليهود والضلال أغلب على النصارى ولهذا وصف الله اليهود بالكبر والحسد واتباع الهوى والغي وإرادة العلو في الأرض والفساد قال تعالى { أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ } البقرة 87 وقال تعالى { أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا } النساء 54 وقال { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } الأعراف 146 وقال تعالى { وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا } الإسراء 4 ووصف النصارى بالشرك والضلال والغلو والبدع فقال تعالى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ { التوبة 31 وقال تعالى { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ { المائدة 77 وقال تعالى { وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا { الحديد 27 وهذا مبسوط في غير هذا
الموضع وقد نزه الله نبيه عن الضلال والغي فقال { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى {1} { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {2} { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى {3} { النجم 1- 3 فالضلال الذي يعرف الحق والغوي الذي يتبع هواه وقال تعالى { وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ {ص45 فالأيدي القوة في طاعة الله والأبصار البصائر في الدين وقال تعالى { وَالْعَصْرِ {1} { إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} { إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ {3} { العصر 1-3 }⁵⁹¹

{ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا }

*أن لزوم السنة هو يحفظ من شر النفس والشيطان بدون الطرق المبتدعة فإن أصحابها لا بد أن يقعوا في الآصال والأغلال وإن كانوا متأولين فلا بد لهم من إتباع الهوى ولهذا سمي أصحاب البدع أصحاب الأهواء فإن طريق السنة علم وعدل وهدى وفي البدعة جهل وظلم وفيها اتباع الظن وما تهوى الأنفس و الرسول ما ضل وما غوى و الضلال مقرون بالغي فكل غاو ضال والرشد ضد الغى والهدى ضد الضلال وهو مجانبة طريق الفجار وأهل البدع كما كان السلف ينهون عنها قال تعالى { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا {مریم 59} و الغى فى الاصل مصدر غوى يغوى غيا كما يقال لوى يلوى ليا وهو ضد الرشد كما قال تعالى { وَإِنْ يَرَوْا

⁵⁹¹ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 12-13

سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا
{الأعراف 146} و الرشد العمل الذي ينفع صاحبه والغي
العمل الذي يضر صاحبه فعمل الخير رشد وعمل الشر غي ولهذا
قالت الجن و **وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ
رَبُّهُمُ رَشَدًا** {الجن 10} فقابلوا بين الشر وبين الرشد وقال في آخر
السورة **{قُلْ إِنِّي لَا أملكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا** {الجن 21} ومنه
الرشد الذي يسلم إليه ماله وهو الذي يصرف ماله فيما ينفع لا
فيما يضر وقال الشيطان **{لَأُعْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** {82} **إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلِصِينَ** {83} ص 82-83 وهو أن يأمرهم بالشر
الذي يضرهم فيطيعونه كما قال تعالى **{ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ
سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي** {إبراهيم 22} وقال
{وَبُرِّزَتِ الأَجْحِيمُ لِلْغَاوِينَ {الشعراء 91} إلى أن قال **{ فَكُكِبُوا
فِيهَا هُمْ وَالأَغَاوُونَ** {94} **وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** {95} {الشعراء 94-
95} وقال **{قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ القَوْلُ رَبَّنَا هُوَ لاءَ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا
أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا** {القصص 63} وقال **{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا
غَوَى** {النجم 2} ثم إن الغي إذا كان إسما لعمل الشر الذي
يضر صاحبه فإن عاقبة العمل أيضا تسمى غيا كما أن عاقبة الخير
تسمى رشدا كما يسمى عاقبة الشر شرا وعاقبة الخير خيرا وعاقبة
الحسنات حسنات وعاقبة السيئات سيئات ⁵⁹²

* فإن الغي اتباع الهوى قال تعالى **{ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا
يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا**
{الأعراف 146} ⁵⁹³

*والغاوي الذي يتبع هواه وشهوته مع علمه بأن ذلك خلاف الحق
كما وهو صلى الله عليه وسلم ذكر شهوات الغي في البطون
والفروج كما في الصحيح أنه قال من تكفل لي بما بين لحييه وما

⁵⁹² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 568-570 و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 10

⁵⁹³ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 198

بين رجليه تكفلت له بالجنة فإن هذا يعلم عامة الناس أنه من الذنوب لكن يفعلونه اتباعاً لشهواتهم وأما مضلات الفتن فإن يفتن العبد فيضل عن سبيل الله وهو يحسب أنه مهتد 594

*فذكر أحوال الكفار والفجار وغير ذلك مما فيه ترغيب في معصية الله وصد عن سبيل الله ومن هذا الباب سماع كلام أهل البدع والنظر في كتبهم لمن يضره ذلك ويدعوه إلى سبيلهم وإلى معصية الله فهذا الباب تجتمع فيه الشبهات والشهوات والله تعالى ذم هؤلاء في مثل قوله {يُوجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} {الأنعام 112} وفي مثل قوله {وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} {الشعراء 224} ومثل قوله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا} {لقمان 6} وقوله {مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ} {المؤمنون 67} ومثل قوله {وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} {الأعراف 146} ومثل قوله {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} {الأنعام 116} الآية ومثل هذا كثير في القرآن فأهل المعاصي كثيرون في العالم بل هم أكثر كما قال تعالى {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} {الأنعام 116} الآية وفي النفوس من الشبهات المذمومة والشهوات قولاً وعملاً ما لا يعلمه إلا الله وأهلها يدعون الناس إليها ويقهرون من يعصيهم ويزينونها لمن يطيعهم فهم أعداء الرسل وأندادهم فرسل الله يدعون الناس إلى طاعة الله ويأمرونهم بها بالرغبة والرغبة ويجاهدون عليها وينهونهم عن معاصي الله ويحذرونهم منها بالرغبة والرغبة ويجاهدون من يفعلها وهؤلاء يدعون الناس إلى معصية الله ويأمرونهم بها بالرغبة والرغبة قولاً وفعلًا ويجاهدون على ذلك قال تعالى {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} {التوبة 67} ثم قال

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ} التوبة 71 وقال تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ} النساء 76⁵⁹⁵

القلب المشغول بالله العاقل للحق وضع في موضعه

*قال تعالى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} ق37 فإن من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين اما رجل رأى الحق بنفسه فقبله فاتبعه ولم يحتج إلى من يدعوه فذلك صاحب القلب او رجل لم يعقله بنفسه بل هو محتاج إلى من يعلمه ويبينه له ويعظه ويؤدبه فهذا اصغى { أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} ق37 اي حاضر القلب ليس بغائبه كما قال مجاهد او أوتي العلم وكان له ذكرى وتبين قوله {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} يونس42 {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} 42{ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} 43{يونس 42-43 وقوله {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} الأنعام 25 ثم إذا كان حق القلب ان يعلم الحق فان الله هو الحق المبين {فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} يونس32 إذ كان كل ما يقع عليه لمحة ناظر او يجول في لفتة خاطر فالله ربه ومنشئه وفاطره ومبدئه لا يحيط علما إلا بما هو من آياته البينة في ارضه وسمائه واصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل أي ما من شيء من الأشياء إذا نظرت إليه من جهة نفسه إلا وجدته الى العدم وما هو

فقير إلى الحي القيوم فإذا نظرت إليه وقد تولته يد العناية بتقدير من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى رأيته حينئذ موجودا مكسوا حل الفضل والاحسان فقد استبان ان القلب إنما خلق لذكر الله سبحانه ولذلك قال بعض الحكماء المتقدمين من أهل الشام اظنه سليمان الخواص رحمه الله قال الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا أو كما قال فإذا كان القلب مشغولا بالله عاقلا للحق متفكرا في العلم فقد وضع في موضعه كما ان العين إذا صرفت إلى النظر في الأشياء فقد وضعت في موضعها إما إذا لم يصرف إلى العلم ولم يوع فيه الحق فقد نسي ربه فلم يوضع في موضع بل هو ضائع ولا يحتاج ان نقول قد وضع في موضع غير موضعه بل لم يوضع اصلا فإن موضعه هو الحق وما سوى الحق باطل فإذا لم يوضع في الحق لم يبق إلا الباطل والباطل ليس بشيء أصلا وما ليس بشيء احرى أن لا يكون موضعا والقلب هو نفسه لا يقبل الا الحق فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق له سنة الله { وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } الفتح 23 وهو مع ذلك ليس بمتروك مخلى فإنه لا يزال في أودية الأفكار وأقطار الأمانى لا يكون على حال التي تكون عليها العين والأذن من الفراغ والتخلي فقد وضع في غير موضع لا مطلق ولا معلق موضوع لا موضع له وهذا من العجب فسبحان ربنا العزيز الحكيم وإنما تنكشف للانسان هذه الحال عند رجوعه إلى الحق اما في الدنيا عند الانابة أو عند المنقلب إلى الآخرة فيرى سوى الحال التي كان عليها وكيف كان قلبه ضالا عن الحق هذا إذا صرف في الباطل فأما لو ترك وحاله التي فطر عليها فارغا عن كل ذكر خاليا عن كل فكر فقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه ويرى الحق الذي لا ريب فيه فيؤمن بربه وينيب إليه فإن كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء لا يحس فيها من جدع { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } الروم 30 وإنما يحول

بينه وبين الحق في غالب الحال شغله بغيره من فتن الدنيا ومطالب الجسد وشهوات النفس فهو في هذه الحال كالعين الناظرة إلى وجه الأرض لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلال أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق فيكون كالعين التي فيها قذى لا يمكنها رؤية الأشياء ثم الهوى قد يعترض له قبل معرفة الحق فيصده عن النظر فيه فلا يتبين له الحق كما قيل حبك الشيء يعمى ويصم فيبقى في ظلمة الأفكار وكثيرا ما يكون ذلك عن كبر يمنعه عن ان يطلب الحق {فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} النحل 22 وقد يعرض له الهوى بعد أن عرف الحق فيجده ويعرض عنه كما قال ربنا سبحانه فيهم {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ العَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} الأعراف 146⁵⁹⁶

*فإن العلم الضروري هو الذى يلزم نفس العبد لزوما لا يمكنه الانفكاك عنه فالقائس ان لم يحصل له العلم الضرورى ابتداء والا فلا بد أن يبني نظره وقياسه على مقدمات ضرورية ثم حينئذ يحصل له العلم ولهذا قال طائفة منهم أبو المعالى الجوينى أن جميع العلوم ضرورية باعتباراتها بعد وجود النظر الصحيح فى الدليل تحصل العلم ضرورة لكن منها ما هو ضرورى عند تصور طرفى القضية ومنها ما هو ضرورى بعد تأمل ونظر ومنها ما هو ضرورى بعد النظر فى دليل ذى مقدمتين أو مقدمات فقال الشيخ العارف نحن نجد العلم وجدا ضروريا بالطريق التى نسلكها من تزكية النفس واصلاح القلب الذى هو حامل العلم وداعيه فكل منهما يفيض الله العلم على قلبه وينزله على فؤاده ولكن أحدهما بتحصيل العلم المقارن للعلم المطلوب الذى هو المقدمات والآخر بإصلاح طالب العلم الذى يريد أن يكون عالما وهو القلب بمنزلة من يخطب امرأة فتارة تجمل لها وتعرض حتى رأته فرغبت فيه

⁵⁹⁶مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 311-314 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 337

وخطبته وتارة بأن أرسل اليها من تأنس اليه وتطيعه فخطبها له فأجابت فكان سعى الأول وعمله فى اصلاح نفسه وتعرضه لها حتى ترغب وكان سعى الثانى فى تحصيل الرسول المطاع حتى تجيب وبمنزلة من يصيد صيدا لكن مجرد النظر والعمل مجتمعين ومنفردين لا يحصلان إلا أمرا مجملا كما هو الواقع وذلك صحيح فإن ثبوت الأمر المجمل حق فإن ضما إلى ذلك ما يعلم بنور الرسالة من الأمر المفصل حصل الإيمان النافع وزال ما يخاف من سوء عاقبة دينك الطريقين وهذه حال من تحيز من أهل النظر الكلامى والعمل العبادى الى اتباع الرسول والإيمان به فقبل منه وأخذ عنه وإن لم يضم أحدهما الى ذلك ما جاء به الرسول فإما أن يضم ضده أو لا يضم شيئا فإن ضم الى ذلك ضد ما جاء به الرسول وقع فى التكذيب وهو الكفر المركب وإن لم يضم إليه شىء بقى فى الكفر البسيط سواء كان فى ريب أو فى إعراض وغفلة فإن حال الكافر لا تخلو من أن يتصور الرسالة أولا فإن لم يتصورها فهو فى غفلة عنها وعدم إيمان بها كما قال

{سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } الأعراف 146

لكن الغفلة المحضة لا تكون إلا لمن لم تبلغه الرسالة والكفر المعذب عليه لا يكون الا بعد بلوغ الرسالة

فلهذا قرن التكذيب بالغفلة ⁵⁹⁷

أهل الإرادات الفاسدة المذمومة

* الذين زهدوا فى الإرادات حتى فيما يحبه الله ورسوله من الإرادات بازائهم طائفتان طائفة رغبتم فيما كره الله ورسوله الرغبة فيه من الكفر والفسوق والعصيان و

⁵⁹⁷ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 78

طائفة رغب في ما أمر الله ورسوله لكن لهواً بأنفسهم لا لعبادة الله تعالى وهؤلاء الذين يأتون بصور الطاعات مع فساد النيات كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة ويقاقل حمية ويقاقل رياء فأى ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله قال تعالى { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا } النساء 142 وهؤلاء أهل إرادات فاسدة مذمومة فهم مع

تركهم الواجب فعلوا المحرمات وهم يشبهون اليهود كما يشبه أولئك النصارى قال تعالى { ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقُفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٌ مِّنَ النَّاسِ وَيَأْتُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } آل عمران 112 وقال

تعالى { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 وقال تعالى { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانَ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ } { 175 } وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ

بها { 176 } الأعراف 175-176 إلى قوله تعالى { وَاتَّبَعُوا هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

{ الأعراف 176 } فهؤلاء يتبعون أهواءهم غيا مع العلم بالحق وأولئك يتبعون أهواءهم مع الضلال والجهل بالحق كما قال تعالى { وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ } المائدة 77 وكلا الطائفتي تاركة ما أمر الله ورسوله به من الإرادات والأعمال الصالحة مرتكبة لما نهى الله ورسوله عنه من الإرادات والأعمال الفاسدة 598

حبوط الأعمال الصالحة بزوال الايمان

* أن أصل العلم الإلهي ومبدأه ودليله الأول عند الذين آمنوا هو الإيمان بالله ورسوله وعند الرسول هو وحى الله اليه ولما كان أصل العلم والهدى هو الإيمان بالرسالة المتضمنة للكتاب والحكمة كان ذكره حصول الهداية والفلاح للمؤمنين دون غيرهم ملء القرآن كقوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ {3} البقرة 1-3 ثم ذم الذين كفروا والذين نافقوا وقال تعالى (وَالْعَصْرِ {1} إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ {3} العصر 1-3) فحكم على النوع كله والأمة الإنسانية جميعها بالخسارة والسفول إلى الغاية إلا المؤمنين الصالحين وكذلك جعل أهل الجنة هم أهل الإيمان وأهل النار هم أهل الكفر فيما شاء الله من الآيات حتى صار ذلك معلوما علماً شائعاً متواتراً اضطرارياً من دين الرسول عند كل من بلغته رسالته وربط السعادة مع إصلاح العمل به في مثل قوله { وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا } {الإسراء 19} وأحبط الأعمال الصالحة بزواله في مثل قوله { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {الأعراف 147}

599

* وما قد يفضي الى حبوط العمل يجب تركه غاية الوجوب والعمل يحبط بالكفر قاله سبحانه { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ } البقرة 217 وقال تعالى { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ } المائدة 5 وقال { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 88 وقال { لئن أشركت ليحبطن عملك } الزمر 65 وقال { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد 9 وقال { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ

اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ { محمد 28 كما ان الكفر اذا
 قارنه عمل لم يقبل لقوله تعالى { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
 { المائدة 27 وقوله { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ
 أَعْمَالَهُمْ { محمد 1 وقوله { وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا
 أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ { التوبة 54 وهذا ظاهر ولا تحبط
 الاعمال بغير الكفر لان من مات على الايمان فانه لا بد من ان
 يدخل الجنة ويخرج من النار ان دخلها ولو حبط عمله كله لم يدخل
 الجنة قط ولان الاعمال انما يحبطها ما ينافيها ولا ينافي الاعمال
 مطلقا الا الكفر وهذا معروف من اصول اهل السنة نعم قد
 يبطل بعض الاعمال بوجود ما يفسده كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى { البقرة 264 ولهذا لم يحبط
 الله الاعمال في كتابه الا بالكفر ⁶⁰⁰

عاب الله من يعبد من لا يتكلم

* قال تعالى في ذم من يعبد من لا يتكلم ولا ينفع ولا يضر { **الْمُ**
يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ { الأعراف 148 فعاب
 الصنم بأنه أبكم لا يقدر على شيء إذ كان من المعلوم أن العجز
 عن النطق والفعل صفة نقص فالنطق والقدرة صفة كمال ⁶⁰¹
 * أن مجرد سلب هذه الصفات نقص لذاته سواء سميت عمى
 وصمما وبكما أو لم تسم والعلم بذلك ضروري فأما اذا قدرنا
 موجودين أحدهما يسمع ويبصر ويتكلم والآخر ليس كذلك كان
 الاول اكمل من الثاني ولهذا عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفى
 فيه هذه الصفات فقال تعالى في قصة موسى في العجل { **الْمُ**
يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ
{ الأعراف 148 ⁶⁰²

⁶⁰⁰ الصارم المسلول ج: 2 ص: 113-114

⁶⁰¹ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 102

⁶⁰² منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 373 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 88

*قال الشاعر ساعد به جسد مورس من الدماء مائع ويبس
والجسد الأحمر والمجسد ما اشبع صبغه من الثياب لكمال ما لصق
به من الصبغ فاللفظ فيه معنى التكاثر والتلاصق ولهذا يقول
الفقهاء نجاسة متجسدة وغير متجسدة وهو في القرآن يراد به
الجسد المصمت المتلاصق المتكاثف او الذى لا حياة فيه وقد ذكر
الله تعالى لفظة الجسد فى أربعة مواضع فقال تعالى {وَمَا
جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} الأنبياء8 وقال تعالى {وَأَلْقَيْنَا عَلَى
كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ} ص34 وقال {وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ} الأعراف148 وقال تعالى
{فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ} طه88 كأنه عجل مصمت
لا جوف له وقد يقال أنه لا حياة فيه خار خورة ولم يقل عجلا له
جسد له بدن له جسم لأنه من المعلوم أن كل عجل له جسد هو بدنه
وهو جسمه والعجل المعروف جسد فيه روح والمقصود انما
أخرجه كان جسدا مصمتا لا روح فيه حتى تبين نقصه وأنه كان
مسلوب الحياة والحركة وقد روى أنه انما خار خورة واحدة
وقد يقال ان اريد بالجسد المصمت او الغليظ ونحوه فلم قيل ان ذلك
ذكر لبيان نقصه من هذا الوجه بل من هذا الوجه ضلوا به وانما
كان النقص من جهة { أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا
{ الأعراف148 وقد يقال اذا كان لا حياة فيه فالنقص كان فيه
من جهة عدم الحياة وغيرها من صفات الكمال لا من جهة كونه له
بدن أو ليس له بدن فالأدمى له بدن ولو أخرج لهم عجلا كسائر
العجول او آدميا كاملا أو فرسا حيا أو جملا أو غير ذلك من
الحيوان لكان أيضا له بدن ولكان ذلك اعجوبة عظيمة وكانت الفتنة
به أشد ولكن الله سبحانه بين أن المخرج كان موصوفا بصفات
النقص يحقق ذلك وهو أنه سبحانه قال { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ
وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا} الأعراف148 فلم يذكر فيما عابه به كونه ذا
جسد ولكن ذكر فيما عابه به { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا} الأعراف148 ولو كان مجرد كونه ذا بدن عيبا ونقصا
لذكر ذلك فعلم أن الآية تدل على نقص حجة من يحتج بها على

أن كون الشيء ذا بدن عيبا ونقصا وهذه الحجة نظير احتجاجهم
 بالافول فانهم غيروا معناه فى اللغة وجعلوه الحركة فظنوا أن
 ابراهيم احتج بذلك على كونه ليس رب العالمين ولو كان كما
 ذكروه لكان حجة عليهم لا لهم وان الله تعالى وصفه بكونه
 عجلا جسدا له خوار ثم قال { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
 سَبِيلًا } الأعراف 148 وقال فى السورة الأخرى { فَكَذَلِكَ أَلْقَى
 السَّامِرِيُّ {87} فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ
 وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ {88} أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ
 لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا } 89 طه 87-89 فلم يقتصر فى وصفه على
 مجرد كونه جسدا بل وصفه بأن له خوارا وبين أنه لا يكلمهم ولا
 يملك لهم ضرا ولا نفعا فالموجب لنقصه اما أن يكون مجموع
 الصفات أو بعضها أو كل واحد منها فان كان المجموع لم يدل على
 أن نقصها واحدة نقص وان كان بعضها فليس كونه جسدا بأولى
 من كونه له خوار وليس هذا وهذا بأولى من كونه مسلوب التكلم
 والقدرة على النفع والضر وان كان كل منهما فمعلوم أنهم انما
 ضلوا بخواره ونحو ذلك والله تعالى انما احتج عليهم بعدم التكلم
 والقدرة على النفع والضر وأنه ليس فى القرآن دلالة على
 أن كونه جسدا وكونه له خوار صفة نقص وانما الذى دل عليه
 القرآن ان كونه لا يكلمهم ولا يقدر على نفعهم وضرهم نقص يبين
 ذلك ان الخوار هو الصوت والانسان الذى يصوت ويقال خار
 يخور الثور وهو يكلم غيره وقد يهديه السبيل والله سبحانه بين
 أن صفات العجل ناقصة عن صفات الانسان الذى يكلم غيره
 ويهديه فالعابد اكمل من المعبود يبين هذا أنه لو كلمهم لكان ايضا
 مصوتا فلو كان ذكر الصوت لبيان نقصه لبطل الاستدلال بقوله
 تعالى { أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ } الأعراف 148 فان تكليمه لهم
 لو كلمهم انما كان يكون بصوت يسمعون منه فعلم أن ذكر
 التصويت لم يكن لكونه صفة نقص فكذلك ذكر الجسد وبالجملة
 من ذكر أن القرآن دل على هذا وهذا هو العيب الذى عابه به

وجعله دليلا على نفي الهيته فقد قال على القرآن ما لا يدل عليه بل هو على نقيضه أدل⁶⁰³

الذي يتكلم ويهدى اكمل ممن لا يتكلم ولا يهدى

* وقال شيخ الاسلام ابو اسماعيل عبدالله بن محمد الانصارى فى اعتقاد اهل السنة وما وقع عليه اجماع اهل الحق من الأمة باب القول فى القرآن أعلم ان الله متكلم قائل مادح نفسه بالتكلم اذ عاب الاصنام والعجل انها لا تتكلم وهو متكلم كلما شاء تكلم بكلام لا مانع له ولا مكره والقرآن كلامه هو تكلم به⁶⁰⁴

* فى إثبات السمع والبصر والكلام إن نفي هذه الصفات نقائص مطلقا سواء نفيت عن حي أو جماد وما انتفت عنه هذه الصفات لا يجوز أن يحدث عنه شيء ولا يخلقه ولا يجيب سائلا ولا يعبد ولا يدعى وقال تعالى {وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلِيهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} الأعراف 148 وهذا لأنه من المستقر فى الفطر أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يكون ربا معبودا كما أن مالا يغنى شيئا ولا يهدى ولا يملك ضرا ولا نفعا لا يكون ربا معبودا ومن المعلوم أن خالق العالم هو الذي ينفع عباده بالرزق وغيره ويهديهم وهو الذي يملك أن يضرهم بأنواع الضرر فإن هذه الأمور من جملة الحوادث التي يحدثها رب العالمين فلو قدر أنه ليس محدثا لها كانت حادثة بغير محدث أو كان محدثها غيره وإذا كان محدثها غيره فالقول فى إحداه ذلك الغير كالقول فى سائر الحوادث فلا بد أن تنتهي إلى قديم لا محدث ولذلك من المستقر فى العقول أن مالا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ناقص عن صفات الكمال لأنه لا يسمع كلام أحد ولا يبصر أحد ولا يأمر بأمر ولا ينهاى عن

⁶⁰³ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 219-222

⁶⁰⁴ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 177

شيء ولا يخبر بشيء فإن لم يكن كالحى الأعمى الأصم كان بمنزلة ما هو شر منه وهو الجماد الذي ليس فيه قبول أن يسمع ويبصر ويتكلم ونفي قبول هذه الصفات أبلغ في النقص والعجز وأقرب إلى إنصاف المعدوم ممن يقبلها واتصف بأضدادها إذ الإنسان الأعمى أكمل من الحجر والإنسان الأبكم أكمل من التراب ونحو ذلك مما لا يوصف بشيء من هذه الصفات وإذا كان نفي هذه الصفات معلوما بالفطرة إنه من أعظم النقائص والعيوب وأقرب شيها بالمعدوم كان من المعلوم بالفطرة أن الخالق أبعد عن هذه النقائص والعيوب من كل ما ينفى عنه وإن اتصافه بهذه العيوب من أعظم الممتنعات⁶⁰⁵

* موسى عليه السلام خاصم فرعون الذى جحد الربوبية و الرسالة و قال { أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى } { النازعات 24 } و { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } { القصص 38 } و قصته فى القرآن مثناة مبسوطة لا يحتاج هذا الموضوع إلى بسطها و قرر أيضا أمر الربوبية و صفات الكمال لله و نفى الشرك و لما إتخذ قومه العجل بين الله لهم صفات النقص التى تنافى الألوهية فقال { وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ } { الأعراف 148 } و قال { فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ } { 88 } { أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا } { 89 } { وَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ } { 90 } طه 88-89 فوصفه بأنه و إن كان قد صوت صوتا هو خوار فإنه لا يكلمهم و لا يرجع إليهم قولاً و أنه لا يهديهم سبيلا و لا يملك لهم ضرا و لا نفعا⁶⁰⁶

⁶⁰⁵ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 118-119

⁶⁰⁶ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 216

*وقد بين الله سبحانه انه احق بالكمال من غيره وان غيره لا يساويه في الكمال في مثل قوله تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} النحل 17 وقد بين ان الخلق صفة كمال وان الذى يخلق افضل من الذى لا يخلق وان من عدل هذا بهذا فقد ظلم وقال تعالى وهذا كقوله {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} الأعراف 148 فدل ذلك على ان عدم التكلم والهداية نقص وان الذى يتكلم ويهدى اكمل ممن لا يتكلم ولا يهدى والرب احق بالكمال ومثل هذا فى القرآن متعدد من وصف الاصنام بسلب صفات الكمال كعدم التكلم والفعل وعدم الحياة ونحو ذلك مما يبين ان المتصف بذلك منتقص معيب كسائر الجمادات وان هذه الصفات لا تسلب الا عن ناقص معيب واما رب الخلق الذى هو اكمل من كل موجود فهو احق الموجودات بصفات الكمال وانه لا يستوى المتصف بصفات الكمال والذى لا يتصف بها وهو يذكر ان الجمادات فى العادة لا تقبل الاتصاف بهذه الصفات فمن جعل الواجب الوجود لا يقبل الاتصاف فقد جعله من جنس الاصنام الجامدة التى عابها الله تعالى وعاب عابديها ولهذا كانت القرامطة الباطنية من اعظم الناس شركا وعبادة لغير الله اذ كانوا لا يعتقدون فى الههم انه يسمع او يبصر او يغنى عنهم شيئا والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له بل ذكرها لبيان انه المستحق للعبادة دون ما سواه فأفاد الاصلين اللذين بهما يتم التوحيد وهما اثبات صفات الكمال ردا على اهل التعطيل وبيان انه المستحق للعبادة لا اله الا هو ردا على المشركين والشرك فى العالم اكثر من التعطيل ولا يلزم من اثبات التوحيد المنافى للاشراك ابطال قول اهل التعطيل ولا يلزم من مجرد الاثبات المبطل لقول المعطلة الرد على المشركين الا ببيان اخر والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالرد على فرعون وامثاله ويذكر فيه الرد على المشركين وهذا اكثر لان القرآن شفاء

لما فى الصدور ومرض الاشرار اكثر فى الناس من مرض
التعطيل⁶⁰⁷

الله ارحم بعباده من الوالدة بولدها

*قال تعالى { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأعراف 151 وقال { أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } الأعراف 155 وهو أرحم
الراحمين وهو ارحم بعباده من الوالدة بولدها كما اقسام على ذلك
النبي فقال والله الله أرحم بعباده من هذه الوالدة بولدها⁶⁰⁸

المؤمن يصبر على المصائب و يستغفر من الذنوب و المعائب

*ولم يعذر الله أحدا قط بالقدر و لو عذر به لكان أنبياءه و أوليائه
أحق بذلك و آدم إنما حج موسى لأنه لأمه على المصيبة التى
أصابت الذرية فقال له لماذا أخرجتنا و نفسك من الجنة و ما
أصاب العبد من المصائب فعليه أن يسلم فيها لله و يعلم أنها مقدورة
عليه كما قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ
بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11 قال علقمة و قد روى عن ابن مسعود هو
الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلم
فالعبد مأمور بالتقوى و الصبر فالتقوى فعل ما أمر به و من
الصبر على ما أصابه و هذا هو صاحب العقابة المحمودة كما قال
يوسف عليه السلام { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 و قال تعالى { وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } آل عمران 186 و قال { وَإِنْ تَصَبَرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً } آل عمران 120 و قال { بَلَىٰ إِنْ

⁶⁰⁷مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 81

⁶⁰⁸مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 400

تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّنْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ { آل عمران 125 لابد لكل عبد من أن يقع منه ما يحتاج معه إلى التوبة والإستغفار و يببتلى بما يحتاج معه إلى الصبر فلهذا يؤمر بالصبر و الإستغفار كما قيل لأفضل الخلق {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} غافر 55 و قد بسط الكلام فى غير هذا الموضوع على مناظرة آدم و موسى فإن كثيرا من الناس حملوها على محامل مخالفة للكتاب و السنة و إجماع الأمة و منهم من كذب بالحديث لعدم فهمه له و الحديث حق يوجب أن الإنسان إذا جرت عليه مصيبة بفعل غيره مثل أبيه او غير أبيه لا سيما إذا كان أبوه قد تاب منها فلم يبق عليه من جهة الله تبة كما جرى لآدم صلوات الله عليه قال تعالى { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } {121} ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى {122} طه 121-122 و قال {فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} البقرة 37 و كان آدم و موسى أعلم بالله من أن يحتج أحدهما لذنبه بالقدر و يوافقه الآخر و لو كان كذلك لم يحتج آدم إلى توبة و لا أهبط من الجنة و موسى هو القائل { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 و هو القائل { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأعراف 151 و هو القائل { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } الأعراف 155 و هو القائل لقومه { فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ } البقرة 54 فلو كان المذنب يعذر بالقدر لم يحتج إلى هذا بل كان الإحتجاج بالقدر لما حصل من موسى ملام على ما قدر عليه من المصيبة التى كتبها الله و قدرها و من الإيمان بالقدر أن يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه فالمؤمن يصبر على المصائب و يستغفر من الذنوب و المعائب و الجاهل الظالم يحتج بالقدر على ذنوبه و سيئاته و لا يعذر بالقدر من أساء إليه و لا يذكر القدر عند ما يبسره الله له من الخير فعكس القضية بل كان الواجب عليه إذا عمل حسنة أن يعلم أنها نعمة من

الله هو يسرها و تفضل بها فلا يعجب بها و لا يضيفها إلى نفسه كأنه الخالق لها و إذا عمل سيئة إستغفر و تاب منها و إذا أصابته مصيبة سماوية أو بفعل العباد يعلم أنها كانت مقدره مقضية عليه

609

جاءت الشريعة الكاملة في العبادة باسم الله وفي السؤال باسم الرب

*فالنور والمعرفة الذي هو أصل المحبة والإرادة ما تتميز به المحبة الإيمانية المحمدية المفصلة عن المجملة المشتركة وكما يقع هذا الإجمال في المحبة يقع أيضا في التوحيد قال الله تعالى في أم الكتاب التي هي مفروضة على العبد وواجبة في كل صلاة أن يقول { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {5} وقد ثبت في الحديث الصحيح أن الله يقول قسمت الصلاة بيني وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {2} قال الله حمدنى عبدى وإذا قال { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } {3} قال الله أثنى على عبدى وإذا قال { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } {4} قال مجدى عبدى أو قال فوض الى عبدى وإذا قال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {5} قال فهذه الآية بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} قال فهؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل ولهذا روى أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب جمع معانيها فى القرآن ومعانى القرآن فى المفصل ومعانى المفصل فى أم الكتاب ومعانى أم الكتاب فى هاتين الكلمتين { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {5} وهذا المعنى قد ثناه الله فى مثل قوله { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } {هود 123} وفى مثل قوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ } {الرعد 30} وقوله { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } {الشورى 10} وكان النبى صلى

الله تعالى عليه وسلم يقول فى نسكه اللهم هذا منك ولك فهو سبحانه مستحق التوحيد الذى هو دعاؤه واخلاص الدين له دعاء العبادة بالمحبة والى انابة والطاعة والى اجلال والى اكرام والخشية والى الرجاء ونحو ذلك من معانى تألهه وعبادته ودعاء المسئلة والى الاستعانة بالتوكل عليه والى اللتجاء اليه والسؤال له ونحو ذلك مما يفعل سبحانه بمقتضى ربوبيته وهو سبحانه الاول والآخر والباطن والظاهر ولهذا جاءت الشريعة الكاملة فى العبادة باسم الله وفى السؤال باسم الرب فىقول المصلى والذاكر الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وكلمات الأذان الله أكبر الله أكبر الى آخرها ونحو ذلك وفى السؤال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا } { الأعراف 23 } { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي } { الأعراف 151 } { قَالَ رَبِّ بِمَا أَنعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ } { القصص 17 } { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي } { القصص 16 } { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } { آل عمران 147 } { رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } { المؤمنون 118 } ونحو ذلك⁶¹⁰

" هي لكل مفتر الى يوم القيامة أن يذله الله "

*فإن الله فى غير موضع اخبر أن المشركين عبدوا غير الله بل يعبدون الشيطان كما قال تعالى { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } {61} وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ } {62} يس 60-62 وقال تعالى { وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ } {148} وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {149} { الأعراف 148-149 } الى قوله { إِنَّ الَّذِينَ

⁶¹⁰ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 455-456

اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيْنَالَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ
نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ { الأعراف 152 } قال أبو قلابة هي لكل مفتر

الى يوم القيامة أن يذله الله وهو كما قال فإن أهل الكذب
والفرية عليهم من الغضب والذلة ما أوعدهم الله به ⁶¹¹

*والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب كما يقرن بين
الصدق والإخلاص ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في
الحديث الصحيح عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله مرتين ثم قرأ
قول الله تعالى { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ
{30} حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ {31} الْحَجَّ 30-31 } وقال

تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيْنَالَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ { الأعراف 152 } وقال الخليل

عليه السلام { أَفَفَكَ آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ } {86} فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ {87} الصافات 86-87 وقال تعالى { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } {74} وَنَرَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ } {75} القصص 74-75 وهذا الحق لله كما ثبت عنه في

الصحيح أنه قال لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على
عباده قال الله ورسوله أعلم قال حقه على عباده أن يعبدوه ولا
يشركوا به شيئاً يا معاذ أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك

قال الله ورسوله أعلم قال حقه على أن لا يعذبهم وقال تعالى
{ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ
إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ } هود 50 ومثل هذا في القرآن متعدد يصف
أهل الشرك بالفرية ولهذا طالبهم بالبرهان والسلطان كما في قوله
{ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ

رَبِّهِ } المؤمنون 117 ⁶¹²

⁶¹¹ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 196 و مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 372 و منهاج السنة النبوية ج: 6 ص: 179 و مجموع

الفتاوى ج: 8 ص: 440

⁶¹² مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 82 و زيارة القبور ج: 1 ص: 36 و مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 162-163

*والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركا فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه فيعطلونها عن الجمعات والجماعات ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها والله سبحانه في كتابه إنما أمر بعمارة المساجد لا المشاهد⁶¹³

يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به

رسوله

* فان الله تعالى سمي نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات سمي نفسه حيا عليما حكيما قديرا سميها بصيرا غفورا رحيفا الى سائر أسمائه الحسنى قال الله تعالى { سَيِّئَاتُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } الأعراف 152 وامثال ذلك فالقول في بعض هذه الصفات كالقول في بعض مذهب سلف الأمة وأئمتها ان يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 ليس كمثل شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقال نعيم بن حماد الخزاعي من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها ومذهب السلف بين مذهبين وهدى بين ضلالتين اثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات فقوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } الشورى 11 رد على أهل التشبيه والتمثيل وقوله { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 رد على أهل

⁶¹³ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 391

النفى والتعطيل فالممثل اعشى والمعطل أعمى الممثل يعبد صنما
والمعطل يعبد عدما وقد اتفق جميع اهل الاثبات على ان الله
حى حقيقة عليم حقيقة قدير حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة مريد
حقيقة متكلم حقيقة⁶¹⁴

الحركة والسكون التى توصف بها النفس ليست ممائلة لما يوصف به الجسم

*وأما عموم أهل اللغة فيطلقون لفظ الحركة على جنس الفعل فكل
من فعل فعلا فقد تحرك عندهم ويسمون أحوال النفس حركة
فيقولون تحركت فيه المحبة وتحركت فيه الحمية وتحرك غضبه
وتوصف هذه الأحوال بالحركة والسكون فيقال سكن غضبه قال
تعالى { **وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِحَ**
{ **الأعراف 154** فوصف الغضب بالسكوت وفى قراءة ابن مسعود
رضى الله عنه ومعاوية بن قررة وعكرمة { **وَلَمَّا سَكَتَ**
{ **الأعراف 154** بالنون وعلى القراءة المشهورة بالتاء قال
المفسرون سكت الغضب أى سكن وكذلك قال أهل اللغة
الزجاج وغيره قال الجوهرى سكت الغضب مثل سكن فالسكون
اخص فكل ساكت ساكن وليس كل ساكن ساكتا وإذا وصف
بالسكون دل على أنه كان متحركا وهذا وصف للاعراض
النفسانية بالحركة والسكون والاشعرى قد استدل على أن
الحركة وأنواعها لا تختص بالاجسام بما وجد من استعمالهم ذلك
فى الاعراض قال فانهم يقولون جاءت الحمى وجاء البرد وجاءت
العافية وجاء الشتاء وجاء الحر ونحو ذلك مما يوصف بالمجىء
والايتيان من الاعراض ومجىء هذه الاعراض هو حدوث وتغير
وتحول من حال الى حال فان قيل ما وصف بالحركة والسكون
من هذه الاعراض فانما هو لتحرك المحل الحامل لذلك العرض

⁶¹⁴ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 197

والا فالعرض لا يقوم بنفسه ولا يفارق محله فان الحمى والحر والبرد يقوم بالهواء الذى يحمل الحر والبرد وكذلك الغضب هو غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا حركة الدم فاذا سكن غليان الدم سكن الغضب قيل ليس الامر كذلك بل هذا يستعمل فيما يحدث من الاعراض فى المحل شيئا فشيئا وان لم يكن هناك جسم ينتقل معه كما تقدم من الحركة فى الكيفيات والصفات فان الماء اذا سخن حدثت فيه الحرارة وسخن الوعاء الذى فيه الماء من غير انتقال جسم حار اليه واذا وضع الماء المسخن فى المكان البارد برد من غير انتقال جسم بارد اليه وكذلك الحمى حرارة أو برودة تقوم بالبدن من غير أن ينتقل الى كل جزء من البدن جسم حار أو بارد والغضب وان كان بعض الناس يقول انه غليان دم القلب فهو صفة تقوم بنفس الغضبان غير غليان دم القلب وانما ذلك أثره فان حرارة الغضب تسخن الدم حتى يغلى فان مبدا الغضب من النفس هى التى تتصف به اولا ثم يسرى ذلك الى الجسم وكذلك الحزن والفرح وسائر الاحوال النفسانية والحزن يوجب دخول الدم ولهذا يصفر لون الحزين وهو من الاحوال النفسانية لكن الحزين يستشعر العجز عن دفع المكروه الذى أصابه ويأس من ذلك فيغور دمه والغضبان يستشعر قدرته على الدفع أو المعاقبة فينبسط دمه والحركة والسكون والطمأنينة التى توصف بها النفس ليست مماثلة لما يوصف به الجسم قال تعالى { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } الرعد 28 والاطمئنان هو السكون قال الجوهرى اطمأن الرجل اطمئنانا وطمأنينة أى سكن قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {27} ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً {28}

الفجر 27-28⁶¹⁵

الحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى

* والمعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى فتكون من سيئات
الجزاء مع أنها من سيئات العمل قال النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى
البر والبر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى
الصدق حتى يكتب عند الله صدوقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي
إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً وقد ذكر في غير
موضع من القرآن ما يبين أن الحسنه الثانية قد تكون من ثواب
الأولى وكذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى قال تعالى
{وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى
وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهَبُونَ} الأعراف⁶¹⁶ 154

إذا اندفع الهوى بالخشية أبصر القلب وعلم

* قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} {152} وَالَّذِينَ عَمِلُوا
السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَأَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَّحِيمٌ} {153} وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي
نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ

يَرْتَهَبُونَ} {154} الأعراف 152-154 أن العمل إما بمعرفة الحق
وإتباعه في العلم والعمل جميعاً صلاح القول والعمل العلم والإرادة
والعلم أصل العمل و أصل الإرادة والمحبة وغير ذلك وهو
مستلزم له مالم يحصل معارض مانع فالعلم بالحق يوجب إتباعه
إلا لمعارض راجح مثل إتباع الهوى بالإستكبار ونحوه كحال الذين
قال الله فيهم {سَأَصْرَفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَّا

⁶¹⁶الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 26 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 243

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا {الأعراف 146}
وقال {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} النمل 14 وقال
{فَأَنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33
ولهذا قال {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ص 26 ونحو
ذلك فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من
الفساد إذا رأت الحق إتبعته وأحبته إذ الحق نوعان حق
موجود فالواجب معرفته والصدق في الإخبار عنه وضد ذلك
الجهل والكذب وحق مقصود وهو النافع للإنسان فالواجب إرادته
والعمل به وضد ذلك إرادة الباطل وإتباعه ومن المعلوم أن الله
خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل ومحبة الصدق دون الكذب
ومحبة النافع دون الضار وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض من
هوى وكبر وحسد ونحو ذلك كما انه في صالح الجسد خلق الله فيه
محبة الطعام والشراب والملائم له دون الضار فإذا إشتهى ما يضره
أن كره ما ينفعه فلمرض في الجسد وكذلك أيضا إذا إندفع عن
النفوس المعارض من الهوى والكبر والحسد وغير ذلك أحب القلب
ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح كما أن الجسد إذا إندفع عنه
المرض أحب ما ينفعه من الطعام والشراب فكل واحد من وجود
المقتضى وعدم الدافع سبب للآخر وذلك سبب لصلاح حال
الإنسان وضدهما سبب لصد ذلك فإذا ضعف العلم غلبه الهوى
الإنسان وإن وجد العلم والهوى وهما المقتضى والدافع فالحكم
للمعالم وإذا كان كذلك فصلاح بني آدم الإيمان والعمل الصالح
ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيطان أحدهما الجهل المضاد للعلم
فيكونون ضلالا والثاني إتباع الهوى والشهوة اللذين في النفس
فيكونون غواة مغضوبا عليهم ولهذا قال {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} {1}
مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} {2} النجم 1-2 وقال عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا
عليها بالنواجذ فوصفهم بالرشد الذي هو خلاف الغي وبالهدى
الذى هو خلاف الضلال وبهما يصلح العلم والعمل جميعا ويصير

الإنسان عالماً عادلاً لا جاهلاً ولا ظالماً وهم فى الصلاح على ضربين تارة يكون العبد إذا عرف الحق وتبين له إتبعه وعمل به فهذا هو الذى يدعى الحكمة وهو الذى يتذكر وهو الذى يحدث له القرآن ذكراً والثانى ان يكون له من الهوى والمعارض ما يحتاج معه إلى الخوف الذى ينهى النفس عن الهوى فهذا يدعى بالموعظة الحسنة وهذا هو القسم الثانى المذكور فى قوله { أَوْ يَخْشَى } طه 44 وفى قوله { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } طه 113 وقد قال فى السورة فى قصة فرعون { أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى } {17} فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى } {18} وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى } {19} النازعات 17-19 فجمع بين التزكى والهدى والخشية كما جمع بين العلم والخشية فى قوله { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فاطر 28 وفى قوله { **وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** } الأعراف 154 وفى قوله { **وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا** } {66} **وَإِذَا لَا تَأْتِيَانَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا** } {67} **وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا** } {68} النساء 66-68 وذلك لما ذكرنا من أن كل واحد من العلم بالحق الذى يتضمنه التذكر والذكر الذى يحدثه القرآن ومن الخشية المانعة من إتباع الهوى سبب لصلاح حال الإنسان وهو مستلزم للأخر إذا قوى على ضده فإذا قوى العلم والتذكر دفع الهوى وإذا إندفع الهوى بالخشية أبصر القلب وعلم وهاتان هما الطريقة العلمية والعملية كل منهما إذا صحت تستلزم ما تحتاج إليه من الأخرى وصلاح العبد ما يحتاج إليه ويجب عليه منهما جميعاً ولهذا كان فساده بإنتفاء كل منهما فإذا إنتفى العلم الحق كان ضالاً غير مهتد وإذا إنتفى إتباعه كان غاورياً مغضوباً عليه ولهذا قال { **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** } الفاتحة 7

*المستكبر هو الذي لا يقبل ما لا يهواه فإن النبي قد فسر الكبر في الحديث الصحيح بأنه بطر الحق وغمط الناس ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذاك فقال لا إن الله جميل يحب الجمال ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس واطر الحق جده ودفعه وغمط الناس إحتقارهم وازدراؤهم وكذلك ذكر الله الكبر في قوله بعد أن قال **{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ** {الأعراف145} الى أن قال **{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا}** {الأعراف146} وهذا حال الذي لا يعمل بعلمه بل يتبع هواه وهو الغاوى كما قال **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَالِينَ}** {175} **{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ}** {176} الأعراف175-176 الآية وهذا مثل علماء السوء وقد قال لما رجع موسى اليهم **{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}** {الأعراف154} فالذين يرهبون ربهم خلاف الذين يتبعون أهواءهم كما قال تعالى **{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ}** {40} **{فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}** {41} {النازعات40-41} فأولئك المستكبرون المتبعون أهواءهم مصروفون عن آيات الله لا يعلمون ولا يفهمون لما تركوا العمل بما علموه إستكبارا وإتباعا لأهوائهم عوقبوا بأن منعوا الفهم والعلم فان العلم حرب للمتعالى كما أن السيل حرب للمكان العالي والذين يرهبون ربهم عملوا بما

علموه فاتاهم الله علما ورحمة إذ من عمل بما علم أورثه الله علم ما
لم يعلم ⁶¹⁸

الهدى والرحمة للذين يرهبون الله

* قال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {2} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } {3} { الأنفال 2-3 } فانه ذكر وجل قلوبهم اذا ذكر الله وزيادة ايمانهم اذا تليت عليهم آياته مع التوكل عليه واقام الصلاة على الوجه المأمور به باطنا وظاهرا وكذلك الانفاق من المال والمنافع فكان هذا مستلزما للباقي فان وجل القلب عند ذكر الله يقتضى خشيته والخوف منه وقد فسروا { وَجِلَّتْ } { الأنفال 2 } بفرقت وفى قراءة ابن مسعود اذا ذكر الله فرقت قلوبهم وهذا صحيح فان الوجل فى اللغة هو الخوف يقال حمرة الخجل وصفرة الوجل ومنه قوله تعالى { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } {المؤمنون 60} قالت عائشة يا رسول الله هل الرجل يزنى ويسرق ويخاف أن يعاقب قال لا يا ابنة الصديق هو الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وقال السدى فى قوله تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ } { الأنفال 2 } هو الرجل يريد أن يظلم او يهيم بمعصية فينزاع عنه وهذا كقوله تعالى { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ } {40} { فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } {41} { النازعات 40-41 } وقوله { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ } { الرحمن 46 } قال مجاهد وغيره من المفسرين هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركها خوفا من الله واذا كان وجل القلب من ذكره يتضمن خشيته ومخافته فذلك يدعو صاحبه الى فعل المأمور وترك المحذور قال سهل بن عبد الله ليس بين العبد وبين الله

حجاب اغلظ من الدعوى ولا طريق اليه اقرب من الافتقار واصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله ويدل على ذلك قوله تعالى **{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَهِبُونَ}** {الأعراف 154} فأخبر ان الهدى والرحمة للذين يرهبون الله قال مجاهد وابراهيم هو الرجل يريد ان يذنب الذنب فيذكر مقام الله فيدع الذنب رواه ابن ابي الدنيا عن ابن الجعد عن شعبة عن منصور عنهما في قوله تعالى **{وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ 46}** الرحمن⁶¹⁹

لطائف لغوية

1- فرعون اسم لمن يملك مصر من القبط وهو اسم جنس كقيصر وكسري والنجاشي ونحو ذلك⁶²⁰

2- قال تعالى **{وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}** {الأعراف 104} ان أصناف العالمين يراد به جميع اصناف الخلق كما في قوله تعالى **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** {الفاحة⁶²¹ 2}

3- قال تعالى **{وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}** {104} **{حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولُ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بَبِيئَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}** {105} سورة الأعراف الأيتان 104- 105 البينة من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله **{أولم تأتيهم بيئة ما في**

⁶¹⁹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 19-20

⁶²⁰ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 46

⁶²¹ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

الصُّحُفِ الْأُولَى {طه133} أي بيان ما فيها أو يبين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بينة كما قال { حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ {1} رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ {2} البينة1-2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بينة ونور من ربه ولفظ من أبلغ صيغ العموم لا سيما إذا كانت شرطاً أو إستفهاماً كقوله { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {7} وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {8} الزلزلة7-8 وقوله { أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا {فاطر8} وقوله { أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ {الأنعام122} وقوله { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ {محمد14} 622

4- قال تعالى {فَعَلُّبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ} الأعراف119 الصاغر الذليل قال اهل اللغة الصغار الذل والضيم يقال صغر الرجل بالكسر يصغر بالفتح صغرا وصغرا والصاغر الراضي بالضم 623

5- قال تعالى {وَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ} {120} قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {121} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} {122} الأعراف120-122

ان أصناف العالمين يراد به جميع اصناف الخلق كما فى قوله تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة624

6- الربوبية والعبودية فانهما وان اشتركتا فى أصل الربوبية والعبودية فلما قال { رَبِّ الْعَالَمِينَ} {121} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} {122} الأعراف121-122 كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فان من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية أكمل من غيره ومثل هذه الالفاظ يسميها بعض الناس مشككة لتشكك المستمع فيها هل هى من قبيل الاسماء المتواطئة

622 مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 83-83

623 الصارم المسلول ج: 2 ص: 33

624 مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة إذ واضح اللغة انما وضع اللفظ بازاء القدر المشترك وان كانت نوعا مختصا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ⁶²⁵

7- وقال موسى { عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } الأعراف 129

والخليفة هو من كان خلفا عن غيره فعيلة بمعنى فاعلة كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل وقال صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا وقال أو كلما خرجنا في الغزو خلف أحدهم وله نبيب كنيب التيس يمنح احداهن اللبنة من اللبن لئن أظفرتني الله بأحد منهم لأجعلنه نكالا وفي القرآن { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ { الفتح 11 و قوله { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ { التوبة 81 والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق والخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه خلفه على أمته بعد موته وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر لحج أو عمرة أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة فيستخلف تارة ابن أم مكتوم وتارة غيره واستخلف على بن أبي طالب في غزوة تبوك وتسمى الأمكنة التي يستخلف فيها الامام مخاليف مثل مخاليف اليمن ومخاليف أرض الحجاز ومنه الحديث حيث خرج من مخلاف الى مخلاف ومنه قوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ

⁶²⁵ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 105

الأرضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
{ الأنعام 165⁶²⁶

8- قال تعالى { **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ النَّمْرَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** } { الأعراف 130 } آل فلان إذا أُطلقَ في الكتاب
والسنة دخل فيه فلان كما في قوله { إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا
وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } آل عمران 33 وقوله {
إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ} القمر 34 وقوله { **أَدْخُلُوا آلَ
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** } غافر 46 وقوله { **سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَأْسِينَ**
} الصافات 130 } ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل
على آل أبي أوفى } وكذلك لفظ أهل البيت كقوله تعالى
{ **رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** } هود 73 فإن إبراهيم
داخل فيهم وكذلك قوله من سره ان يكتال بالمكيال الأوفى إذا
صلى علينا أهل البيت فليقل الله صل على محمد النبي
الحديث وسبب ذلك أن لفظ الآل أصله أول تحركت الواو
وإنفتح ما قبلها فقلبت ألفا فقليل آل ومثله باب وناب وفي الأفعال
قال وعاد ونحو ذلك ومن قال أصله أهل فقلبت الهاء الفا فقد غلط
فإنه قال مالا دليل عليه وإدعى القلب الشاذ بغير حجة مع مخالفته
للأصل وأيضا فإن لفظ الأهل يضيفونه إلى الجماد وإلى غير
المعظم كما يقولون أهل البيت وأهل المدينة وأهل الفقير وأهل
المسكين وإما الآل فإنما يضاف إلى معظم من شأنه أن يؤول غيره
أو يسوسه فيكون مآله إليه ومنه الإيالة وهي السياسة فال شخص
هم من يؤوله ويؤول إليه ويرجع إليه ونفسه هي أول وأولى من
يسوسه ويؤول إليه فلهذا كان لفظ آل فلان متناولا له ولا يقال هو
مختص به بل يتناوله ويتناول من يؤوله⁶²⁷

⁶²⁶ مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 46

⁶²⁷ مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 463

9- والذي عليه عامة المفسرين أن الحسنة و السيئة يراد بهما النعم و المصائب ليس المراد مجرد ما يفعله الانسان باختياره باعتباره من الحسنات أو السيئات ولفظ الحسنات و السيئات في كتاب الله يتناول هذا و هذا قال تعالى في حق الكفار المتطيرين بموسى و من معه {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} {الأعراف 131} ذكر هذا بعد قوله {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مَنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} {الأعراف 130} وأما الأعمال المأمور بها و المنهى عنها ففي مثل قوله تعالى {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} {الأنعام 160}

628

10- كل ما سوى الله تعالى يجمع بلفظ التأنيث فيقال الملائكة ويقال لما يعبد من دون الله آلهة قال تعالى {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَسْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} {الأنعام 19} وقال تعالى {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} {138} {139} {إِنْ هُوَ إِلَّا مُنْتَبِهٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {139} قال أَعِيرَ اللَّهُ أَبْعَيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَلُّكُمْ عَلَى

العالمين {140} {الأعراف 138-140} هي أوثان وهي مؤنثة قال تعالى {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} {الزمر 38} فالآلهة المعبودة من دون الله كلها بهذه المثابة وهي الأوثان التي تتخذ من دون الله

628 مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 234-235 و السنة والسيئة ج: 1 ص: 20

629 مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 361

11- وقال تعالى { وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } {138} إِنَّ هَؤُلَاءِ مُمْتَبِرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {139} قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْعِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } {140} الأعراف 138-140 المقصود بالإعتكاف العبادة والصلاة ⁶³⁰

12- قال تعالى { قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْعِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } الأعراف 140 وقد ويراد بالعالمين أهل زمن واحد كما في قوله { وَلَقَدْ اخْتَرْنَا هُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ } الدخان ⁶³¹ 32

13- قال تعالى { يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ } الأعراف 141 وهذه الجملة الثانية بدل من الأولى فإن الإبدال يقع في الجمل كما يقع في المفردات فهذا القتل والاستحياء هو سوم العذاب ⁶³²

14- قال تعالى { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } الأعراف 142 الخليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور لم يحتج في هذا الإسم إلى الإستخلاف والإستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الإسم يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه كقوله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } يونس 14 وقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ } الأنعام 165 وقال { وَلَوْ

⁶³⁰ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 264

⁶³¹ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

⁶³² اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 59

نَشَاءَ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ { الزخرف 60 وقوله
 { وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ { الأعراف 69 وفي
 القصة الأخرى { وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ
 { الأعراف 74 } وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي
 { الأعراف 142 فهذا استخلاف وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
 اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا { الفرقان 62
 وقال { إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ { يونس 6 أي هذا يخلف هذا
 وهذا يخلف هذا فهما يتعاقبان وقال موسى { عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ
 عُدُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ
 { الأعراف 129⁶³³

15- ان كل نهى ففيه طلب واستدعاء لما يقصده الناهي فهو أمر
 فالأمر يتناول هذا وهذا ومنه قول موسى لأخيه { مَا مَنَعَكَ إِذْ
 رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا { 92 } أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي { 93 } طه 92-93
 وموسى قال له { اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ
 الْمُفْسِدِينَ { الأعراف 142 نهى وهو لأمه على أنه لم يتبعه وقال
 أف عصيت أمري وعباد العجل كانوا مفسدين وقد جعل هذا كله أمرا
 634

16- لفظ الصلاح و الفساد فاذا أطلق الصلاح تناول
 جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر وكذلك اسم المصلح
 والمفسد قال تعالى في قصة موسى { أَتُرِيدُ أَنْ تَمْلِكُنِي كَمَا قَتَلْتَ
 نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ
 تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ { القصص 19 } وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ
 هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ
 { الأعراف 142 } وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي
 الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ { 11 } أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

⁶³³ منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 524

⁶³⁴ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 677

وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ {12} البقرة 11-12 والضمير عائد على المنافقين في قوله { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } {8} البقرة 8 وهذا مطلق يتناول من كان على عهد النبي ومن سيكون بعدهم ولهذا قال سلمان الفارسي أنه عنى بهذه الآية قوما لم يكونوا خلقوا حين نزولها وكذا قال السدي عن أشياخه الفساد الكفر والمعاصي وعن مجاهد ترك امتثال الأوامر واجتناب النواهي والقولان معناهما واحد وعن ابن عباس الكفر وهذا معنى قول من قال النفاق الذي صافوا به الكفار وأطلعوهم على أسرار المؤمنين وعن أبي العالية ومقاتل العمل بالمعاصي وهذا أيضا عام كالأولين⁶³⁵

17- قال { وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُ يَاخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ } الأعراف 145 والوعظ في القرآن مرادا به الأمر والنهي بترغيب وترهيب⁶³⁶

18- قال تعالى { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ } الأعراف 146 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الغي إذا أطلق تناول كل معصية لله كما في قوله عن الشيطان { لِأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } {83} ص 82-83 وقد يقرن بالضلال كما في قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } {النجم 2⁶³⁷

19- قال تعالى { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ

⁶³⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 83

⁶³⁶ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 45

⁶³⁷ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

الرُّشْدَ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ {الأعراف 146} والغى اتباع
الشهوات لأنه يحرك الناس حركة الشهوة والنفرة والفرح والحزن
بلا علم ⁶³⁸

20- قال تعالى {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن
لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {الأعراف 149}
وهذه اللام الأولى تسمى اللام الموطئة للقسم واللام الثانية تسمى
لام جواب القسم والكلام إذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد
جواب القسم مسد جواب الشرط والقسم ⁶³⁹

21- قال تعالى {وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن
لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {الأعراف 149}
عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقيد ولفظ الضلال
إذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم
أن يكون معذبا كقوله {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ {69} فَهُمْ عَلَى
آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {71}
الصفات 69- 71 وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا
وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا {68} الأحزاب 67- 68 وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ
هُدَايَ فَلَا يَضِلْ وَلَا يَشْقَى {طه 123} ثم يقرن بالغى والغضب
كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {النجم 2} وفى قوله
{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ {الفاحة 7} وقوله {إِنَّ
الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ {القمر 47} ⁶⁴⁰

⁶³⁸ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 43

⁶³⁹ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 121

⁶⁴⁰ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

22- قال تعالى { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلَاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأعراف 151 وقال { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } الأعراف 155 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة ⁶⁴¹

23- اللام تدخل على ما يتعدى بنفسه اذا ضعف عمله اما بتأخيره أو بكونه اس فاعل أو مصدرا أو باجتماعهما فيقال فلان يعبد الله ويخافه ويتقيه ثم اذا ذكر ب الفاعل قيل هو عابد لربه متق لربه خائف لربه وكذلك تقول فلان يرهب الله تقول هو راهب لربه واذا ذكرت الفعل واخرته تقويه باللام كقوله { وَفِي نُسُخٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } الأعراف 154 وقد قال { فَأَيَّايَ فَارْهَبُونَ } النحل 51 فعدها بنفسه وهناك ذكر اللام فان هنا قوله { فَأَيَّايَ } النحل 51 أتم من قوله فلي وقوله هنا لك { لِرَبِّهِمْ } الأعراف 154 أتم من قوله ربهم فان الضمير المنفصل المنصوب أكمل من ضمير الجر بالياء وهناك اس ظاهر فتقويته باللام أولى وأتم من تجريده ⁶⁴²

24- عند التقديم يجب الاعمال وفي التوسط يجوز الالغاء وفي التأخر يحسن مع جواز الاعمال فانه اذا قدم المفعول ضعف العمل ولهذا يقوونه بدخول حرف الجر كما يقوونه في اسم الفاعل لكونه اضعف من الفعل كقوله { لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ } الأعراف 154 وقوله { إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } يوسف 43 وقوله { وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِطُونَ } الشعراء 55

643

⁶⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

⁶⁴² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 291

⁶⁴³ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 490

الاعراف 155-171

{وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ
 الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّاي أَتُهْلِكُنَا
 بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ
 وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ
 الْغَافِرِينَ {155} وَأَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
 الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ
 وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ {156} الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ
 عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
 وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ {157} قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
 إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي
 يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {158} وَمِن
 قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٍ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ {159}
 وَقَطَعْنَا هُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أَمَّا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ
 إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ
 مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا
 عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن
 طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ {160} وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا

مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ
 لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ {161} فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ
 السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ {162} وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ
 الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ
 حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ
 كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {163} وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ
 مِّنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا
 قَالُوا مَعذْرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَعَلَّهْمُ يَتَّقُونَ {164} فَلَمَّا نَسُوا مَا
 ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ
 ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَّيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {165} فَلَمَّا عَتَوْا
 عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ {166}
 وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ
 سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ
 رَّحِيمٌ {167} وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ
 وَمِنْهُمْ ذُوْنَ ذَلِكِ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ {168} فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرثُوا الْكِتَابَ
 يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا وَإِن
 يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ
 أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ
 الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {169} وَالَّذِينَ
 يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ
 الْمُصْلِحِينَ {170} وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا
 أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
 تَتَّقُونَ {171}

{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ } الأعراف 155

الله سبحانه يخلق ما يشاء ويختار

* فأخبر أنه يخلق ما يشاء ويختار والإختيار في لغة القرآن يراد به التفضيل والانتقاء والإصطفاء {وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّن الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ } الجاثية 16 ومنه قوله تعالى {وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا } الأعراف 155⁶⁴⁴

الفتنة للإنسان كفتنة الذهب

* وقال تعالى {الم} {1} أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ {2} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ {3} العنكبوت 1-3 فبين أنه لا بد أن يفتن الناس أى يمتحنهم وبيبتليهم ويختبرهم يقال فتنت الذهب اذا أدخلته النار لتمييزه مما اختلط به ومنه قول موسى { إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ } الأعراف 155 أى محتتك واختبارك وابتلاؤك كما ابتليت عبادك بالحسنات والسيئات ليتبين الصبار الشكور من غيره وابتليتهم بارسال الرسل وانزال الكتاب ليتبين المؤمن من الكافر والصادق من الكاذب والمنافق من المخلص فتجعل ذلك سببا لضلالة قوم وهدى آخرين⁶⁴⁵

* كان نسخ ما نسخه الله وإنزل القرآن وانهزام المسلمين يوم احد وغير ذلك من مصائب الدنيا رزية في حق من في قلبه مرض قال تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ

⁶⁴⁴ رسالة في معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص: 137-138

⁶⁴⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 184

الْفِتْنَةَ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ { آل عمران 7 وإن كانت هذه الأمور في حق من هداه الله مما يزيدهم الله به علما وإيمانا وهذا كوجود الشياطين من الجن والإنس يرفع الله به درجات أهل الإيمان بمخالفتهم ومجاهدتهم مع ما في وجودهم من الفتنة لمن أضلوه وأغووه وهذا كقوله تعالى { وَمَا جَعَلْنَا عَدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا } المدثر 31 وقوله { وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ } البقرة 143 وقول موسى { **إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ** } الأعراف 155 وقوله { **إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ** } القمر 27 وقوله { **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَقْبَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** } 52 { **لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** } 53 { **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } 54 { الحج 52-54

*قال تعالى { **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** } الأنفال 39 فأمر بالجهاد حتى لا تكون فتنة وحتى يكون الدين كله لله فجعل المقصود عدم كون الفتنة ووجود كون الدين كله لله وناقض بينهما فكون الفتنة ينافي كون الدين لله وكون الدين لله ينافي كون الفتنة والفتنة قد فسرت بالشرك فما حصلت به فتنة القلوب ففيه شرك وهو ينافي كون الدين كله لله الفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات والفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات وفتنة الذين يتخذون من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله من أعظم الفتن ومنه فتنة أصحاب العجل كما قال تعالى { **قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ**

بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ { طه 85 قال موسى { إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ
تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ { الأعراف 155 وقال
 تعالى { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ { البقرة 93 قيل
 لسفيان بن عيينه إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من أهوائهم
 حبا شديدا فقال أنسيت قوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ
 اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ { البقرة 93 أو كلاما هذا معناه
 وكل ما أحب لغير الله فقد يحصل به من الفتنة ما يمنع أن يكون
 الدين لله ⁶⁴⁷

ليست التوبة نقصا بل هي من أفضل الكمالات

* فإن كل بنى آدم خطاء و خير الخاطئين التوابون و قد قال تعالى
 { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا { 72 } لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا { 73 } الأحزاب 72- 73
 فغاية المؤمنين الأنبياء فمن دونهم هي التوبة قال الله تعالى { فَتَلَقَى
 آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ { البقرة 37 و
 قال نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا
 تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ { هود 47 و قال إبراهيم و
 إسماعيل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ
 وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ { البقرة 128 و
 قال موسى { أَنْتَ وَلِيِّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ
 { الأعراف 155 و دعاء نبينا بمثل ذلك كثير معروف ⁶⁴⁸

* قوله تعالى { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 { التوبة 117 الآية الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون
 من الإقرار على الذنوب كبارها وصغارها وهم بما أخبر الله به

⁶⁴⁷ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 87-88

⁶⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 520

عنهم من التوبة يرفع درجاتهم ويعظم حسناتهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وليست التوبة نقصاً بل هي من أفضل الكمالات وهي واجبة على جميع الخلق كما قال تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } {72} لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } {73} الاحزاب 72-73 فغاية كل مؤمن هي التوبة ثم التوبة تتنوع كما يقال حسنات الأبرار سيئات المقربين والله تعالى قد أخبر عن عامة الأنبياء بالتوبة والإستغفار عن آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم فقال آدم { قَلِيلًا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {الأعراف 23} وقال نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَن أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {هود 47} وقال الخليل { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } {إبراهيم 41} وقد قال الله تعالى { وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ } {محمد 19} فتوبة المؤمنين واستغفارهم هو من أعظم حسناتهم وأكبر طاعاتهم وأجل عباداتهم التي ينالوا بها أجل الثواب ويندفع بها عنهم ما يدفعه من العقاب فإذا قال القائل أي حاجة بالأنبياء إلى العبادات والطاعات كان جاهلاً لأنهم إنما نالوا ما نالوه بعبادتهم وطاعتهم فكيف يقال إنهم لا يحتاجون إليها فهي أفضل عبادتهم وطاعتهم وإذا قال القائل فالتوبة لا تكون إلا عن ذنب والإستغفار كذلك قيل له الذنب الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة كما قال بعض السلف كان داود بعد التوبة أحسن منه حالاً قبل الخطيئة⁶⁴⁹

* واما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل او السمع ومتنازعون في العصمة من الكبائر

والصغائر او من بعضها ام هل العصمة انما هي فى الاقرار عليها
لا فى فعلها ام لا يجب القول بالعصمة الا فى التبليغ فقط وهل
تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل المبعث ام لا والكلام على
هذا مبسوط فى غير هذا الموضوع والقول الذي عليه جمهور
الناس وهو الموافق للاثار المنقولة عن السلف اثبات العصمة من
الاقرار على الذنوب مطلقا والرد على من يقول انه يجوز
اقرارهم عليها وحجج القائلين بالعصمة اذا حررت انما تدل على
هذا القول وحجج النفاة لا تدل على وقوع ذنب اقر عليه
الانبياء فان القائلين بالعصمة احتجوا بأن التأسى بهم مشروع وذلك
لا يجوز الا مع تجويز كون الافعال ذنوبا ومعلوم ان التأسى بهم
انما هو مشروع فيما اقروا عليه دون ما نهوا عنه ورجعوا عنه
كما ان الامر والنهي انما تجب طاعتهم فيما لم ينسخ منه فأما ما
نسخ من الامر والنهي فلا يجوز جعله مأمورا به ولا منهي عنه
فضلا عن وجوب اتباعه والطاعة فيه وكذلك ما احتجوا به من
ان الذنوب تنافى الكمال او انها ممن عظمت عليه النعمة اقبح او
انها توجب التنفير او نحو ذلك من الحجج العقلية فهذا انما يكون
مع البقاء على ذلك وعدم الرجوع والا فالتوبة النصوح التى يقبلها
الله يرفع بها صاحبها الى اعظم مما كان عليه كما قال بعض
السلف كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة
وقال آخر لو لم تكن التوبة احب الاشياء اليه لما ابتلى بالذنب اكرم
الخلق عليه وقد ثبت فى الصحاح حديث التوبة لله افرح بتوبة
عبده من رجل نزل منزلا الخ وقد قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } البقرة 222 وقال تعالى { إِلَّا
مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ
{ الفرقان 70 وقد ثبت فى الصحيح حديث الذي يعرض الله صغار
ذنوبه ويخبأ عنه كبارها وهو مشفق من كبارها ان تظهر فيقول الله
له انى قد غفرتها لك وابدلتك مكان كل سيئة حسنة فيقول اى
رب ان لى سيئات لم ارها اذا رأى تبديل السيئات بالحسنات
طلب رؤية الذنوب الكبار التى كان مشفقا منها ان تظهر ومعلوم

ان حاله هذه مع هذا التبديل اعظم من حاله لو لم يقع السيئات ولا التبديل وقال طائفة من السلف منهم سعيد بن جبير ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة وقد قال تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } {72} لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } {73} الأحزاب 72-73

73 فغاية كل انسان ان يكون من المؤمنين والمؤمنات الذين تاب الله عليهم وفي الكتاب والسنة الصحيحة والكتب التي انزلت قبل القرآن مما يوافق هذا القول ما يتعذر إحصاؤه والرادون لذلك تأولوا ذلك بمثل تأويلات الجهمية والقدرية والدهرية

لنصوص الاسماء والصفات ونصوص القدر ونصوص المعاد وهي من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التي يعلم بالاضطرار انها باطلة وانها من باب تحريف الكلم عن مواضعه وهؤلاء يقصد احدهم تعظيم الانبياء فيقع في تكذيبهم ويريد الايمان بهم فيقع في الكفر بهم ثم ان العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والاجماع وهي العصمة في التبليغ لم ينتفعوا بها اذ كانوا لا يقرون بموجب ما بلغته الانبياء وانما يقرون بلفظ حرفوا معناه او كانوا فيه كالاميين الذين لا يعلمون الكتاب الا امانى والعصمة التي كانوا ادعوا لو كانت ثابتة لم ينتفعوا بها ولا حاجة بهم اليها عندهم فانها متعلقة بغيرهم لا بما امروا بالايمان به فيتكلم احدهم فيها على الانبياء بغير سلطان من الله ويدع ما يجب عليه من تصديق الانبياء وطاعتهم وهو الذي تحصل به السعادة وبضده تحصل الشقاوة قال تعالى { عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } {النور 54} والله تعالى لم يذكر في القرآن شيئاً من ذلك عن نبي من الانبياء الا مقرونا بالتوبة والاستغفار كقول آدم وزوجته { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ }

{الأعراف 23} وقول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {هود 47} وقوله الخليل عليه السلام { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } إبراهيم 41 وقوله { وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ } الشعراء 82 وقول موسى { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ } {155} { وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أِلَيْكَ } {156} {الأعراف 155-156} وقوله { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } {القصص 16} وقوله { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } {الأعراف 143} وقوله تعالى عن داود { فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } {24} { فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْن مَآبٍ } {25} {ص 24-25} وقوله تعالى عن سليمان { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ } {ص 35} ⁶⁵⁰

أكمل أنواع الطلب

* وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره دعوة أخي ذي النون { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {الأنبياء 87} ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربته سماها دعوة لأنها تتضمن نوعي الدعاء (عبادة ومسألة) فقوله لا إله إلا أنت اعتراف بتوحيد الإلهية وتوحيد الإلهية يتضمن أحد نوعي الدعاء فإن الإله هو المستحق لأن يدعى دعاء عبادة مسألة وهو الله لا إله إلا هو وقوله { إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } {الأنبياء 87} اعتراف بالذنوب وهو يتضمن طلب المغفرة فإن الطالب السائل تارة يسأل بصيغة الطلب وتارة يسأل بصيغة الخبر إما بوصف حاله وإما بوصف حال المسؤول وإما بوصف الحالين كقول نوح عليه السلام { قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ

مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
 {هود 47} فهذا ليس بصيغة طلب وإنما هو إخبار عن الله أنه إن لم
 يغفر له ويرحمه خسر ولكن هذا الخبر يتضمن سؤال المغفرة
 وكذلك قول آدم عليه السلام { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا
 وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 هو من هذا الباب
 ومن ذلك قول موسى عليه السلام { رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ
 خَيْرٍ فَقِيرٌ } القصص 24 فإن هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما
 أنزل الله إليه من الخير وهو متضمن لسؤال الله إنزال الخير إليه
 وقد روى الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 من شغله قراءة القرآن عن ذكرى ومسألتي أعطيته أفضل ما
 أعطي السائلين رواه الترمذي وقال حديث حسن ورواه مالك
 بن الحويرث وقال من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل
 ما أعطي السائلين وأظن البيهقي رواه مرفوعاً بهذا اللفظ وقد
 سئل سفيان بن عيينة عن قوله أفضل الدعاء يوم عرفة لا إله إلا
 الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
 فذكر هذا الحديث وأنشد قول أمية بن أبي الصلت يمدح ابن جدعان
 أذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء إذا أثنى عليك
 المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء قال فهذا مخلوق يخاطب
 مخلوقاً فكيف بالخالق تعالى ومن هذا الباب الدعاء المأثور عن
 موسى عليه السلام اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان
 وبك المستغاث وعليك التكلان فهذا خبر يتضمن السؤال ومن هذا
 الباب قول أيوب عليه السلام { أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
 الرَّاحِمِينَ } الأنبياء 83 فوصف نفسه ووصف ربه بوصف يتضمن
 سؤال رحمته بكشف ضره وهي صيغة خبر تضمنت السؤال وهذا
 من باب حسن الأدب في السؤال والدعاء فقول القائل لمن يعظمه
 ويرغب إليه أنا جائع أنا مريض حسن أدب في السؤال وإن كان
 في قوله أطعمني وداوني ونحو ذلك مما هو بصيغة الطلب طلب
 جازم من المسؤول فذاك فيه إظهار حاله وإخباره على وجه الذل
 والافتقار المتضمن لسؤال الحال وهذا فيه الرغبة التامة والسؤال

المحض بصيغة الطلب وهذه الصيغة صيغة الطلب والاستدعاء إذا كانت لمن يحتاج إليه الطالب أو ممن يقدر على قهر المطلوب منه ونحو ذلك فإنها تقال على وجه الأمر إما لما في ذلك من حاجة الطالب وإما لما فيه من نفع المطلوب فأما إذا كانت من الفقير من كل وجه للغني من كل وجه فإنها سؤال محض بتذلل وافتقار وإظهار الحال ووصف الحاجة والافتقار هو سؤال بالحال وهو أبلغ من جهة العلم والبيان وذلك أظهر من جهة القصد والإرادة فلهذا كان غالب الدعاء من القسم الثاني لأن الطالب السائل يتصور مقصوده ومراده فيطلبه ويسأله فهو سؤال بالمطابقة والقصد الأول وتصريح به باللفظ وإن لم يكن فيه وصف لحال السائل والمسؤول فإن تضمن وصف حالهما كان أكمل من النوعين فإنه يتضمن الخبر والعلم المقتضى للسؤال والإجابة ويتضمن القصد والطلب الذي هو نفس السؤال فيتضمن السؤال والمقتضى له والإجابة كقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما قال له علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم أخرجاه في الصحيحين فهذا فيه وصف العبد لحال نفسه المقتضى حاجته إلى المغفرة وفيه وصف ربه الذي يوجب أنه لا يقدر على هذا المطلوب غيره وفيه التصريح بسؤال العبد لمطلوبه وفيه بيان المقتضى للإجابة وهو وصف الرب بالمغفرة والرحمة فهذا ونحوه أكمل أنواع الطلب وكثير من الأدعية يتضمن بعد ذلك كقول موسى عليه السلام { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ } الأعراف 155 فهذا طلب ووصف للمولى بما يفتضى الإجابة وقوله { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ } لي { القصص 16 فيه وصف حال النفس والطلب وقوله { رَبِّ

إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ { القصص 24 فيه الوصف المتضمن للسؤال بالحال فهذه أنواع لكل نوع منها خاصة ⁶⁵¹

لا بد لكل عبد من أن يقع منه ما يحتاج معه إلى التوبة و الإستغفار

* وموسى لما قال لأدم لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم عليه السلام فيما قال لموسى لم تلومنى على أمر قدره الله على قبل أن أخلق بأربعين عاما فحج آدم موسى لم يكن آدم عليه السلام محتجا على فعل ما نهى عنه بالقدر ولا كان موسى ممن يحتج عليه بذلك فيقبله بل آحاد المؤمنين لا يفعلون مثل هذا فكيف آدم وموسى وأدم قد تاب مما فعل واجتباه ربه وهدى وموسى أعلم بالله من أن يلوم من هو دون نبي على فعل تاب منه فكيف بنبي من الأنبياء وأدم يعلم أنه لو كان القدر حجة لم يحتج الى التوبة ولم يجر ما جرى من خروجه من الجنة وغير ذلك ولو كان القدر حجة لم يعاقب فرعون بالغرق ولا بنوا اسرائيل بالصعقة وغيرها كيف وقد قال موسى { قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي

{ القصص 16 وقال { وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّاي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ

{ الأعراف 155 وهذا باب واسع وإنما كان لوم موسى لأدم من أجل المصيبة التي لحقتهم بأدم من أكل الشجرة ولهذا قال لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة واللوم لأجل المصيبة التي لحقت الانسان نوع واللوم لأجل الذنب الذي هو حق الله نوع آخر ⁶⁵²

⁶⁵¹فتاوى الكبرى ج: 2 ص: 308- 311

⁶⁵²مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 325

* ولم يعذر الله أحدا قط بالقدر و لو عذر به لكان أنبياءه و أوليائه
أحق بذلك و آدم إنما حج موسى لأنه لأمه على المصيبة التي
أصابت الذرية فقال له لماذا أخرجتنا و نفسك من الجنة و ما
أصاب العبد من المصائب فعليه أن يسلم فيها لله و يعلم أنها مقدورة
عليه كما قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنِ
بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11 قال علقمة و قد روى عن ابن مسعود هو
الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلم
فالعبد مأمور بالتقوى و الصبر فالتقوى فعل ما أمر به و من
الصبر على ما أصابه و هذا هو صاحب العاقبة المحمودة كما قال
يوسف عليه السلام { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 و قال تعالى { وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ
ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } آل عمران 186 و قال { وَإِنْ تَصَبَرُوا
وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً } آل عمران 120 و قال { بَلَى إِنْ
تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ } آل عمران 125 لابد لكل عبد من أن يقع
منه ما يحتاج معه إلى التوبة و الإستغفار و بيتلى بما يحتاج معه
إلى الصبر فلهذا يؤمر بالصبر و الإستغفار كما قيل لأفضل الخلق
{ فاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ
وَإِلْبَارِ } غافر 55 و قد بسط الكلام في غير هذا الموضع على
مناظرة آدم و موسى فإن كثيرا من الناس حملوها على محامل
مخالفة للكتاب و السنة و إجماع الأمة و منهم من كذب بالحديث
لعدم فهمه له و الحديث حق يوجب أن الإنسان إذا جرت عليه
مصيبة بفعل غيره مثل أبيه او غير أبيه لا سيما إذا كان أبوه قد
تاب منها فلم يبق عليه من جهة الله تبيعة كما جرى لآدم صلوات الله
عليه قال تعالى { وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى } { 121 } ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ
فَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى } { 122 } طه 121-122 و قال { فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ } البقرة 37 و كان آدم و موسى أعلم بالله من أن
يحتج أحدهما لذنبه بالقدر و يوافقه الآخر و لو كان كذلك لم يحتج
آدم إلى توبة و لا أهبط من الجنة و موسى هو القائل { رَبِّ

إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي { القصص 16 } و هو القائل { رَبِّ
 اغْفِرْ لِي وَلَاخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ
 { الأعراف 151 } و هو القائل { أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
 وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ { الأعراف 155 } و هو القائل لقومه {
 فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ
 { البقرة 54 } فلو كان المذنب يعذر بالقدر لم يحتج إلى هذا بل كان
 الإحتجاج بالقدر لما حصل من موسى ملام على ما قدر عليه من
 المصيبة التي كتبها الله و قدرها و من الإيمان بالقدر أن
 يعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه و ما أخطأه لم يكن ليصيبه
 فالمؤمن يصبر على المصائب و يستغفر من الذنوب و المعائب و
 الجاهل الظالم يحتج بالقدر على ذنوبه و سيئاته و لا يعذر بالقدر
 من أساء إليه و لا يذكر القدر عند ما يبسره الله له من الخير فعكس
 القضية بل كان الواجب عليه إذا عمل حسنة أن يعلم أنها نعمة من
 الله هو يسرها و تفضل بها فلا يعجب بها و لا يضيفها إلى نفسه
 كأنه الخالق لها و إذا عمل سيئة استغفر و تاب منها و إذا أصابته
 مصيبة سماوية أو بفعل العباد يعلم أنها كانت مقدره مقضية
 عليه⁶⁵³

وصف الله سبحانه نفسه بالعلم والقوة والرحمة

*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة
 والجماعة و هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد
 الموت والايمن بالقدر خيره وشره و من الايمان بالله الايمان
 بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله
 عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل
 بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثل شىء وهو السميع
 البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم

عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه { قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } الأعراف 156⁶⁵⁴

* فان الله تعالى سمي نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات سمي نفسه حيا عليما حكيما قديرا سميعا بصيرا غفورا رحيفا الى سائر أسمائه الحسنى قال الله تعالى { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } الأعراف 156 وامثال ذلك فالقول في بعض هذه الصفات كالقول في بعض ومذهب سلف الأمة وأئمتها ان يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 ليس كمثل شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقال نعيم بن حماد الخزاعي من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف

654 مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و المعقيدة الواسطية ج: 1 ص: 10

الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها
ومذهب السلف بين مذهبين وهدى بين ضلالتين اثبات الصفات
ونفى مماثلة المخلوقات ف قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }
{ الشورى 11 } رد على أهل التشبيه والتمثيل وقوله { وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } { الشورى 11 } رد على أهل النفى والتعطيل
فالممثل اعشى والمعتل أعمى الممثل يعبد صنما والمعتل يعبد
عدما وقد اتفق جميع أهل الإثبات على ان الله حى حقيقة عليم
حقيقة قدير حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة مرید حقيقة متكلم
حقيقة⁶⁵⁵

* فان الله وصف نفسه بالأقوال اللازمة والمتعدية فى مثل قوله
{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ } ص 71 وقوله { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }
{ النساء 164 } وكذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو
ذلك كما فى قوله { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } { الأعراف 156 }
ونحو ذلك مما وصف به نفسه فى كتابه وما صح عن رسوله
فان القول فى جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الأمة
وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله
فى النفى والاثبات والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة
المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {1} {اللَّهُ الصَّمَدُ} {2} {لَمْ
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} {3} {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} {4} فبين أنه لم يكن أحد
كفوا له وقال تعالى { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } { مريم 65 } فأنكر أن يكون
له سمي وقال تعالى { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا } { البقرة 22 } وقال
تعالى { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ } { النحل 74 } وقال تعالى {
لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } { الشورى 11 } ففيمأ أخبر به عن نفسه من
تنزيهه عن الكفو والسمى والمثل والند وضرب الأمثال له بيان أن
لا مثل له فى صفاته ولا أفعاله⁶⁵⁶

⁶⁵⁵ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 195

⁶⁵⁶ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 324

لا تزكو النفس حتى يزال عنها ما يناقضها

*والحق المبين أن كمال الانسان ان يعبد الله علما وعملا كما امره ربه وهؤلاء هم عباد الله وهم المؤمنون والمسلمون وهم اولياء الله المتقون وحزب الله المفلحون وجند الله الغالبون وهم اهل العلم النافع والعمل الصالح وهم الذين زكوا نفوسهم وكملوها كملوا القوة النظرية العلمية والقوة الارادية العملية كما قال تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف⁶⁵⁷ 157

* قال تعالى { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } الأعراف 156 وأصل الزكاة الزيادة في الخير ومنه يقال زكا الزرع وزكا المال اذا نما ولن ينمو الخير الا بترك الشر والزرع لا يزكو حتى يزال عنه الدغل فكذاك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها ولا يكون الرجل متزكيا الا مع ترك الشر فإنه يندس النفس ويدسيها قال الزجاج دساها جعلها ذليلة حقيرة خسيصة⁶⁵⁸

على الخلق كلهم إتباع محمد صلى الله عليه وسلم

*والله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله وقال النبي في الحديث الصحيح انا معشر الأنبياء وديننا واحد فالدين واحد وان تفرقت الشرعة والمنهاج قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال الله تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

⁶⁵⁷مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 97

⁶⁵⁸الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 62

رُسُلَنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ { الزخرف 45 وقال
الله تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ} النحل 36 ومن حين بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم ما يقبل من أحد بلغته الدعوة الا الدين الذي بعثه به فان
دعوته عامة لجميع الخلائق قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً
لِلنَّاسِ} سبأ 28 وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمع بي من
هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بي الا دخل النار
وقال الله تعالى { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } {156} { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ
الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {157} { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي
رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } {158} { الأعراف 156 - 158

فعلى الخلق كلهم إتباع محمد صلى الله عليه وسلم فلا يعبدون إلا
الله ويعبدونه بشريعة محمد لا بغيرها قال الله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ
عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
} {18} { إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } {19} { هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } {20} { الجاثية 18-20 } ويجتمعون على ذلك ولا
يتفرقون كما ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن
تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه امركم
وعبادة الله تتضمن كمال محبة الله وكمال الذل لله فاصل الدين
وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذى تحبه القلوب
وتخشاه ولا يكون لها إله سواه و الإله ما تأله القلوب

بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام ونحو ذلك
 والله سبحانه وتعالى أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو فتخلو القلوب
 عن محبة ما سواه بمحبته وبرجائه وعن سؤال ما سواه
 بسؤاله وعن العمل لما سواه بالعمل له وعن الإستعانة بما سواه
 بالإستعانة به ولهذا كان وسط الفاتحة {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
 { الفاتحة 5⁶⁵⁹

*والاسلام دين جميع المرسلين قال نوح عليه السلام {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
 فَمَا سَأَلْنَاكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ} يونس 72 وقال الله عن ابراهيم وبنيه ما تقدم وقال
 يوسف الصديق {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} يوسف 101
 وقال موسى { إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ
 { يونس 84 وقال فى التوراة { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا
 لِلَّذِينَ هَادُوا } المائدة 44 قال شيخ الاسلام وقد قررت فى
 غير هذا الموضع الاسلام العام والخاص والايمن العام والخاص
 كقوله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ
 آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا
 خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 62 وأما تنوع الشرائع
 وتعددتها فقال تعالى لما ذكر القبلة بعد الملة بقوله {قَوْلًا وَجْهَكَ
 شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ عَمَّا
 يَعْمَلُونَ} البقرة 144 الى قوله {وَلِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا
 فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} البقرة 148 فأخبر أن لكل أمة وجهة ولم يقل
 جعلنا لكل أمة وجهة بل قد يكون هم ابتدعوها كما ابتدعت
 النصرى وجهة المشرق بخلاف ما ذكره فى الشرع والمناهج فانه
 قال {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ
 الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا

سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِحَرْفُونَ الْكَلِمَ مِنْ
بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِينُمْ هَذَا فَعَدُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا
{ المائدة 41 الى قوله } وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ
{ المائدة 50 وهذه الآيات نزلت بسبب الحكم فى الحدود والقصاص
والديات أخبر أن التوراة {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ
هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا} المائدة 44 وهذا عام
فى النبيين جميعهم والربانيين والاحبار ثم لما ذكر الانجيل قال
{وَأَيُّكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ} المائدة 47 فامر هؤلاء
بالحكم لأن الانجيل بعض ما فى التوراة واقر الاكثر والحكم بما
انزل الله فيه حكم بما فى التوراة أيضا ثم قال {فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ
شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} المائدة 48 فأمره أن يحكم بما أنزل الله على من
قبله لكل جعلنا من الرسولين والكتابين شرعة ومنهاجا أى سنة
وسبيلا فالشرعة الشريعة وهى السنة والمنهاج الطريق والسبيل
وكان هذا بيان وجه تركه لما جعل لغيره من السنة والمنهاج الى ما
جعل له ثم أمره أن يحكم بينهم بما أنزل الله اليه فالأول نهى له أن
يأخذ بمنهاج غيره وشرعته والثانى وان كان حكما غير الحكم
الذى أنزل نهى له ان يترك شيئا مما انزل فيها اتباع محمد الذى
يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل فمن لم يتبعه لم يحكم
بما أنزل الله وان لم يكن من أهل الكتاب الذين أمروا أن يحكموا بما
فيها مما يخالف حكمه وقال تعالى فى الحج {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا
مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ} الحج 34
{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ
{ الحج 67 وذكر فى أثناء السورة { لَهَدَّمْت صَوَامِعَ وَبَيْعَ
وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا } الحج 40 فبين انه
هو جعل المناسك وذكر مواضع العبادات كما ذكر فى البقرة
الوجهة التى يتوجهون اليها وقال فى سورة الجاثية بعد أن ذكر بنى
اسرائيل {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} الجاثية 18 الآية وقال فى النسخ ووجوب

اتباعهم للرسول {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ} آل عمران 81 وقال {وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {157} الأعراف 156-157 وقد تقدم ما فى البقرة وآل عمران من أمرهم بالايمان بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك فى سورة النساء وهو كثير فى القرآن⁶⁶⁰

الله أنزل فى التوراة والإنجيل الأمر باتباع محمد

*أمر الله تعالى بسؤال أهل الكتاب عن إرسال إليهم أكان بشرا أم كان ملكا ليقيم الحجة بذلك على من أنكر إرسال بشر كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } {7} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } {8} ثُمَّ صَدَقْنَاهُمْ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ } {9} الانبياء 7-9 وأهل الذكر هم أهل الذكر الذي أنزله الله تعالى فانهم يسألون أهل الكتاب عما جرى للرسول مع أممهم وكيف كان عاقبة المؤمنين بهم وعاقبة المكذبين لهم و يسألون أهل الكتاب عن الدين الذي بعث الله به رسله وهو دين الإسلام الذي اتفقت عليه الرسل كالأمر بالتوحيد والصدق والعدل

وبر الوالدين وصلة الأرحام والنهي عن الشرك والظلم والفواحش
و يسألونهم عما وصفت به الرسل ربهم هل هو موافق لما وصفه
به محمد أم لا وهذه الأمور المسؤول عنها متواترة عند أهل الكتاب
معلومة لهم ليست مما يشكون فيه وليس إذا كان مثل هذا معلوما
لهم بالتواتر فيسألون عنه يجب أن يكون كل ما يقولونه معلوما لهم
بالتواتر وأيضا فإنهم يسألون أيضا عما عندهم من الشهادات
والبشارات بنبوته محمد وقد أخبر الله بذلك في القرآن فقال
تعالى { وَكَتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدُّنَا
إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
فَسَأَلْنَاهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا
يُؤْمِنُونَ {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأَمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالأِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أولئك هُمُ
المُفْلِحُونَ {157} الأعراف 156- 157⁶⁶¹

*فموسى وعيسى بشرا بمحمد كما أخبرنا به محمد عن الله سبحانه
وتعالى⁶⁶²

*أن الكتب السماوية السابقة بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم
ودلائل نبوة محمد قطعية يقينية لا يمكن القرح فيها بظن فإن الظن
لا يدفع اليقين لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمدا كان
مكتوبا باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء كما في صحيح
البخاري أنه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفة رسول الله
في التوراة فقال إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمة أنت

⁶⁶¹الجواب الصحيح ج: 2 ص: 363

⁶⁶²الجواب الصحيح ج: 2 ص: 391

عبدى ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب
بالأسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن تجزي بالسيئة الحسنة
وتعفو وتغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة الموحى فأفتح به أعينا
عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا إله إلا الله⁶⁶³

*نسخ التوراة مختلفة في مواضع وبين توراة اليهود
والنصارى والسامرة اختلاف وبين نسخ الزبور اختلاف أكثر من
ذلك وكذلك بين الأنجيل فكيف بنسخ النبوات وقد رأيت أنا من
نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد باسمه ورأيت نسخة أخرى
بالزبور فلم أر ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ
من صفات النبي ما ليس في أخرى كما أن التبديل في التفسير
أمر لا ريب فيه وبه يحصل المقصود في هذا المقام فإننا نعلم قطعاً
أن ذكر محمد مكتوب فيما كان موجوداً في زمنه من التوراة
والإنجيل كما قال تعالى {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ
الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} الأعراف 157
ولا ريب أن نسخ التوراة والإنجيل على عهده كانت كثيرة منتشرة
في مشارق الأرض ومغاربها فلا بد من أحد الأمرين إما أن
يكون غير اللفظ من بعض النسخ وانتشرت النسخ المغيرة وإما أن
أن يكون ذكره في جميع النسخ كما استخرجه كثير من العلماء ممن
كان من أحبار اليهود والنصارى وممن لم يكن من أحبارهم
استخرجوا ذكره والبشارة به في مواضع كثيرة متعددة من التوراة
والإنجيل ونبوات الأنبياء كما هو مبسوط في موضع آخر⁶⁶⁴

* و علماء بني إسرائيل يعلمون ذكر إرسال محمد ونزول الوحي
عليه كما قال تعالى {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْنِغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ

⁶⁶³الجواب الصحيح ج: 5 ص: 147

⁶⁶⁴الجواب الصحيح ج: 3 ص: 51

رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } الأنعام 114 ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر فإنه أخبر عن توحيد الله وصفاته وعرشه وملائكته وخلقه السماوات والأرض وغير ذلك بمثل ما أخبرت به الرسل قبله وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا شريك له وبالعدل والصدق والصلاة والزكاة ونهى عن الشرك عن الشرك والظلم والفواحش كما أمرت ونهت الرسل قبله والسور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها الرسل التي لا بد منها وهي الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين ديناً غيره وأما السور لمدينة ففيها هذا وفيها ما يختص به محمد من الشريعة والمنهاج فإن دين الأنبياء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال إنا معشر الأنبياء ديننا واحد⁶⁶⁵

*قد تقدم الحديث الصحيح لما قيل لعبد الله بن عمرو وروي أنه عبد الله بن سلام أخبرنا ببعض صفة رسول الله في التوراة فقال إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن وذكر صفته موجودة في نبوة أشعياء وليست موجودة في نفس كتاب موسى وتقدم أن لفظ التوراة يقصدون به جنس الكتب التي عند أهل الكتاب لا يخصون بذلك كتاب موسى وإذا كان هذا معروفا عندهم في التوراة والإنجيل يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند أهل الكتاب يتناول ذلك كتاب موسى وزبور داود وصحف سائر الأنبياء سوى الإنجيل فإنه ليس عند أهل الكتاب وإنما هو عند النصارى خاصة وأما سائر كتب الأنبياء فالأمتان تقر بها ويؤيد ذلك أن الله كثيراً ما يقرن في القرآن بين التوراة والإنجيل وبين القرآن وإنما يذكر الزبور مفرداً كقوله تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ } الأعراف 157 وأهل الكتاب يجدونه مكتوباً في الكتب التي بأيديهم وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة فإذا أريد بالتوراة

⁶⁶⁵الجواب الصحيح ج: 5 ص: 340-342

جنس الكتب فلا يستريب عاقل في كثرة ذكره ونعته ونعت أمته في تلك الكتب ومعلوم أن الله أراد بذلك الاستشهاد بوجوده في تلك الكتب وإقامة الحجة بذكره فيها فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أكبر وأظهر عندهم كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى فإذا حمل لفظ التوراة في هذا على جنس الكتب كما هو موجود في لغة من تكلم بذلك من الصحابة والتابعين كان هذا في غاية البيان والمدح للقرآن والكتب المتقدمة وتصديق بعضها بعضاً وقد أمرنا أن نؤمن بما أوتي النبيون مطلقاً كما قال تعالى { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } البقرة 136⁶⁶⁶

* والله أنزل في الإنجيل الأمر باتباع محمد كما أمر به في التوراة فليحكموا بما أنزل الله في الإنجيل مما لم ينسخه محمد كما أمر أهل التوراة أن يحكموا بما أنزله مما لم ينسخه المسيح وما نسخه فقد أمروا فيها باتباع المسيح وقد أمروا في الإنجيل باتباع محمد فمن حكم من أهل الكتاب بعد مبعث محمد بما أنزل الله في التوراة والإنجيل لم يحكم بما يخالف حكم محمد إذ كانوا مأمورين في التوراة والإنجيل باتباع محمد كما قال تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157⁶⁶⁷

⁶⁶⁶ الجواب الصحيح ج: 5 ص: 242

⁶⁶⁷ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 427

* وقد دعا أهل الكتاب من اليهود والنصارى عموماً ثم كلاً من الطائفتين خصوصاً في غير موضع مع دعائه الناس كلهم أهل الكتاب وغيرهم إلى الإيمان به وبما جاء به واتباع ما بعث به من الكتاب والحكمة وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه⁶⁶⁸

لم يشرع الرسول صلى الله عليه وسلم ديناً لم يأذن

به الله

* فالدعوة إلى الله تتضمن الأمر بكل ما أمر الله به والنهي عن كل ما نهى الله عنه وهذا هو الأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر والرسول صلى الله عليه وسلم قام بهذه الدعوة فإنه أمر الخلق بكل ما أمر الله به ونهاهم عن كل ما نهى الله عنه أمر بكل معروف ونهى عن كل منكر قال تعالى { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } {157} الأعراف 156 - 157 ودعوته إلى الله هي بإذنه لم يشرع ديناً لم يأذن به الله كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } {45} وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا } {46} الأحزاب 45-46 خلاف الذين ذمهم في قوله { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } {الشورى 21} وقد قال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ } {يونس 59} ⁶⁶⁹

لا طريق إلى الله عز وجل لأحد من الخلق إلا

بمتابعته باطنا وظاهراً

⁶⁶⁸ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 376

⁶⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 161

* والله تعالى بعث الرسل وانزل الكتب ليكون الدين كله لله وقال
النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أنا معشر
الأنبياء ديننا واحد فالدين واحد وان تفرقت الشريعة والمنهاج
قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى { وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ
{ الزخرف 45 وقال الله تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 ومن حين بعث الله
محمدا ما يقبل من أحد بلغته الدعوة إلا الدين الذى بعثه به فان
دعوته عامة لجميع الخلائق قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
كَافَّةً لِلنَّاسِ } سبأ 28 وقال لا يسمع بى من هذه الامة يهودى
ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار قال الله تعالى {
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } 156 { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ
الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَعَزَّوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ } 157 { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَاَمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ } 158 { الاعراف 156-158 فعلى الخلق كلهم اتباع
محمد صلى الله عليه وسلم فلا يعبدون الا الله ويعبدونه بشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم لا بغيرها قال الله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ
عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ } 18 { إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } 19 { الجاثية 18- 19
ويجتمعون على ذلك ولا يتفرقون كما ثبت فى الصحيح عن النبى
صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ان تعبدوه

ولا تشرکوا به شیئا وان تعصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وان
 تناصحوا من ولاه الله أمرکم وعبادة الله تتضمن کمال محبة الله
 وکمال الذل لله فاصل الدين وقاعدته يتضمن ان يكون الله هو
 المعبود الذى تحبه القلوب وتخشاه ولا يكون لها اله سواه ولا الا له
 ما تأله القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والاجلال
 والاعظام ونحو ذلك⁶⁷⁰

*فان اصل الأصول تحقيق الايمان بما جاء به الرسول صلى الله
 عليه وسلم فلا بد من الايمان بالله ورسوله وبما جاء به الرسول
 صلى الله عليه وسلم فلا بد من الايمان بأن محمدا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الى جميع الخلق انسهم وجنهم وعربهم وعمهم
 علمائهم وعبادهم ملوکهم وسوقتهم وانه لا طريق الى الله عز وجل
 لأحد من الخلق الا بمتابعتة باطنا وظاهرا حتى لو ادركه موسى
 وعيسى وغيرهما من الأنبياء لوجب عليهم اتباعه كما قال تعالى
 {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحَكْمَةٍ تَمَّ جَاءَكُمْ
 رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ
 عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ
 {81} فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ {82} آل عمران 81-
 82- قال ابن عباس رضى الله عنهما ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه
 الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه وامره ان
 يأخذ على امته الميثاق لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به
 ولينصرنه وقد قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا
 بِمَا أَنزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى
 الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ
 ضَلَالًا بَعِيدًا {60} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ
 الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا {61} فَكَيْفَ إِذَا
 أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا

⁶⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 523-524

الْأِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا {62} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ وَقَلَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا {63} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا {64} فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا {65} النساء 60- 65 وكل من خالف شيئاً مما جاء به الرسول مقلداً في ذلك لمن يظن انه ولى الله فانه بنى امره على انه ولى الله وان ولى الله لا يخالف في شىء ولو كان هذا الرجل من اكبر اولياء الله كأكابر الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يقبل منه ما خالف الكتاب والسنة فكيف اذا لم يكن كذلك وقال تعالى {

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {157} قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {158} الأعراف 156-158⁶⁷¹

ضمان الهدى والفلاح لمن اتبع الكتاب والرسول

* إن الناس عليهم أن يؤمنوا بالله ورسوله فيصدقوه فيما أخبر ويطيعوه فيما أمر فهذا أصل السعادة وجماعها والقرآن كله يقرر هذا الأصل قال تعالى {الم} {1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ {2} الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

⁶⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 216

يُنْفِقُونَ {3} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {4} أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ {5} البقرة 1- 5 فقد وصف سبحانه بالهدى والفلاح
المؤمنين الموصوفين في هذه الآيات وقال تعالى لما أهبط آدم
من الجنة { فَأَمَّا يَا تِئِبْتِمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
تُنْسَى {126} طه 123- 126 فقد أخبر أن من اتبع الهدى الذي
أتانا منه وهو ما جاءت به الرسل فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض
عن ذكره وهو الذكر الذي أنزله وهو كتبه التي بعث بها رسله
بدليل أنه قال بعد ذلك كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم
تنسى والذكر مصدر يضاف تارة إلى الفاعل وتارة إلى
المفعول كما يقال دق الثوب ودق القصار ويقال أكل زيد وأكل
الطعام ويقال ذكر الله أي ذكر العبد ويقال ذكر الله أي ذكر الله
الذي ذكره هو مثل ذكره عبده ومثل القرآن الذي هو ذكره وقد
يضاف الذكر إضافة الأسماء المحضة فقوله ذكرى إن
أضيف إضافة المصادر كان المعنى الذكر الذي ذكرته وهو كلامه
الذي أنزله وإن أضيف إضافة الأسماء المحضة فذكره هو ما
اختص به من الذكر والقرآن مما اختص به من الذكر قال
تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ } الأنبياء 50 وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ
مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ } الأنبياء 2 وقال { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ
} يس 69 وقال { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } النحل 44 وقال فيما يذكره من ضمان الهدى والفلاح
لمن اتبع الكتاب والرسول { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ
وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157
وقال { الرِّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ { إبراهيم 1 ونظائره في
القرآن كثيرة 672

* هو خير خلق الله وأكرمهم على الله وسيد ولد آدم وصاحب لواء
الحمد الذي آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة وهو خطيب
الأنبياء إذا وفدوا على ربهم وإمام الأنبياء إذا اجتمعوا وهو صاحب
المقام المحمود يوم القيامة الذي يغبطه به الأولون والآخرون وهو
خاتم النبيين وأفضل المرسلين أرسله الله بأفضل شريعة إلى خير
أمة أخرجت للناس وأنزل عليه أفضل كتبه وجعله مصدقاً لما بين
يديه من الكتاب ومهيماً عليه الذي هدى الله به الخلق وأخرجهم به
من الظلمات إلى النور وهداهم به إلى صراط العزيز الحميد وهو
الذي فرق الله به بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال والغي
والرشاد وطريق الجنة وطريق النار وهو الذي قسم الله به عباده
إلى شقي وسعيد فالسعيد من آمن به وأطاعه والشقي من كذبه
وعصاه وعلق به النجاة والسعادة فلا سبب ينجو به العبد من عذاب
الله وينال السعادة في الدنيا والآخرة ممن بلغته دعوته وقامت عليه
الحجة برسالته إلا من آمن به واتبع النور الذي أنزل معه قال
تعالى { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } {156} { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ
النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ
عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {157} { الأعراف 156-157 } وقد بين الله
على لسانه ما يستحقه الله من الحقوق التي لا تصلح إلا لله وما
يستحقه الرسول من الحقوق فقال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } {8} { لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ

672 منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 157

وَتَسْبِخُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً {9} الفتح 8-9 فالإيمان بالله والرسول والتعزير والتوقير للرسول والتسبيح بكرة وأصيلاً لله وحده⁶⁷³

*والخير كله في متابعة النبي النبي الأُمى الذى {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الأعراف 157 واكثر الناس لا يعرفون حقائق ما جاء به إنما عندهم قسط من ذلك {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} محمد 17 وقال تعالى {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} العنكبوت 69 والجهاد يوجب هداية السبيل اليه وقال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} الأنفال 64 فكل من اتبع الرسول فان الله حسبه أى كافيه وهدايه وناصره أى كافيه كفايته وهدايته وناصره ورازقه⁶⁷⁴

{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}

*ورسول الله صلى عليه وسلم هو أفضل الخلائق وسيد ولد آدم وله الوسيلة فى المقامات كلها ولم يكن حاله أنه لا يريد شيئاً ولا أنه يريد كل واقع كما أنه لم يكن حاله أنه يتبع الهوى بل هو منزه عن هذا وهذا قال الله تعالى {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ} {3} {إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} {4} {النجم 3-4} وقال تعالى {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} {الجن 19} وقال تعالى {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} {البقرة 23} وقال {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا} {الإسراء 1} والمراد بعبده عابده المطيع لأمره وإلا فجميع المخلوقين عباد بمعنى أنهم معبدون مخلوقون مدبرون وقد قال الله لنبيه {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} {الحجر 99} قال الحسن

⁶⁷³ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 445-446

⁶⁷⁴ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 33-34

البصرى لم يجعل الله لعمل المؤمن أجلا دون الموت وقد قال الله تعالى له {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} {القلم 4} قال ابن عباس ومن وافقه كإبن عيينة وأحمد بن حنبل على دين عظيم و الدين فعل ما أمر به وقالت عائشة كان خلقه القرآن رواه مسلم وقد أخبرت أنه لم يكن يعاقب لنفسه ولا ينتقم لنفسه لكن يعاقب الله وينتقم لله وكذلك أخبر أنس أنه كان يعفو عن حظوظه وأما حدود الله فقد قال والذي نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها أخرجاه فى الصحيحين وهذا هو كمال الإرادة فإنه أراد ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والعمل الصالح وأمر بذلك وكره ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان ونهى عن ذلك كما وصفه الله تعالى بقوله { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْ بِهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا التَّوْرَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {157} الأعراف 156-157 وأما لحظ نفسه فلم يكن يعاقب ولا ينتقم بل يستوفى حق ربه ويعفو عن حظ نفسه وفى حظ نفسه ينظر إلى القدر فيقول لو قضى شىء لكان وفى حق الله يقوم بالأمر فيفعل ما أمر الله به ويجاهد فى سبيل الله أكمل الجهاد الممكن فجاهدهم أولا بلسانه بالقرآن الذى أنزل عليه كما قال تعالى {وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا} {51} فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا } {52} الفرقان 51-52 ثم لما هاجر إلى المدينة واذن له فى القتال جاهدهم بيده وهذا مطابق لما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة ⁶⁷⁵

*فمن الفرقان ما نعته الله به في قوله { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {157} {الاعراف 156-157} ففرق بين المعروف والمنكر أمر بهذا ونهى عن هذا وبين الطيب والخبيث أحل هذا وحرم هذا ⁶⁷⁶

*وقال تعالى { النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ } {الأحزاب 6} وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين وقال له عمر والله يارسول الله لأنت أحب الى من كل أحد إلا من نفسى فقال لا يا عمر حتى أكون أحب اليك من نفسك فقال فأنت أحب الى من نفسى قال الآن يا عمر فقد بين الله فى كتابه حقوق الرسول من الطاعة له ومحبتة وتعزيره وتوقيره ونصره وتحكيمه والرضى بحكمه والتسليم له وإتباعه والصلاة والتسليم عليه وتقديمه على النفس والأهل والمال ورد ما يتنازع فيه اليه وغير ذلك من الحقوق ⁶⁷⁷

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }

*المقالة الصحيحة لأهل السنة والجماعة والحق الذي يجب اعتقاده أن الله سبحانه إنما أرسل رسوله رحمة للعالمين وان إرسال الرسل وإنزال الكتب رحمة عامة للخلق أعظم من إنزال

⁶⁷⁶ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 12-13

⁶⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 68

المطر وإطلاع البذر وإن يحصل بهذه الرحمة ضرر لبعض النفوس ثم إنه سبحانه كما قال قتادة وغيره من السلف لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليه ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا منه بل أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم وفي الحديث الصحيح حديث أبي ذر عن النبي يا عبادي إني حرمت الظلم علي نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وكنم كانوا علي أتقي قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وكنم كانوا علي أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم واجتمعوا في صعيد واحد يسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألتة ما نقص ذلك من ملكي شيئاً إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة يا عبادي إنما هي أعمالكم ترد عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وقال تعالى في وصف النبي الأمي { يَاأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ } الأعراف 157 وقال تعالى لما ذكر الوضوء { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } المائدة 6 فأخبر أنه لا يريد أن يجعل علينا من حرج فيما أمرنا به وهذه نكرة مؤكدة بحرف من فهي تنفي كل حرج وأخبر أنه إنما يريد تطهيرنا وإتمام نعمته علينا وقال تعالى في الآية الأخرى { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ } الحج 78 فقد أخبر أنه ما جعل علينا في الدين من حرج نفيًا عاما مؤكداً فمن اعتقد أن فيما أمر الله به مثقال ذرة من حرج فقد كذب الله ورسوله فكيف بمن اعتقد أن المأمور به قد يكون فساداً

وضررا لا منفعة فيه ولا مصلحة لنا ولهذا لما لم يكن فيما أمر الله ورسوله حرج علينا لم يكن الحرج من ذلك إلا من النفاق كما قال تعالي { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } النساء 65⁶⁷⁸

*والله أغنى المسلمين بنبيهم الذي قال الله فيه { يَا مُرْهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ } الأعراف 157 أى يخلصهم من الأصار والأغلال ومن الدخول فى منكرات أهل الحيل⁶⁷⁹

فان الله علمه العلم بلا واسطة كتاب معجزة له

*قال الله تعالي { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ } الأعراف 157 فان اموته لم تكن من جهة فقد العلم والقراءة عن ظهر قلب فانه امام الأئمة فى هذا وانما كان من جهة انه لا يكتب ولا يقرأ مكتوبا كما قال الله فيه { وَمَا كُنْتُمْ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكُمْ } العنكبوت 48 وقد اختلف الناس هل كتب يوم الحديبية بخطه معجزة له أم لم يكتب وكان انتفاء الكتابة عنه مع حصول اكمل مقاصدها بالمنع من طريقها من أعظم فضائله واكبر معجزاته فان الله علمه العلم بلا واسطة كتاب معجزة له ولما كان قد دخل فى الكتب من التحريف والتبديل وعلم هو امته الكتاب والحكمة من غير حاجة منه الى أن يكتب بيده وأما سائر أكابر الصحابة كالخلفاء الأربعة وغيرهم فالغالب على كبارهم الكتابة لاحتياجهم اليها اذ لم يؤت احد منهم من الوحي ما أوتيها صارت اموته المختصة به كمالا فى حقه من جهة الغنى بما هو أفضل منها وأكمل ونقضا فى حق غيره من جهة فقده الفضائل التى لا تتم الا بالكتابة⁶⁸⁰

⁶⁷⁸قاعدة فى المحبة ج: 1 ص: 183-185

⁶⁷⁹مجموع الفتاوى ج: 33 ص: 64

⁶⁸⁰مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 172

"انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق"

* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله من الدين فان رساله الله اما إخبار وإما انشاء فالإخبار عن نفسه وعن خلقه مثل التوحيد والقصص الذي يندرج فيه الوعد والوعيد والانشاء والأمر والنهي والاباحة وهذا كما ذكر في أن قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن لتضمنها ثلث التوحيد اذ هو قصص وتوحيد وأمر وقوله سبحانه في صفة نبينا { **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ** } الأعراف 157 هو بيان لكمال رسالته فانه هو الذي امر الله على لسانه بكل معروف ونهى عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث ولهذا روى عنه أنه قال انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق وقال في الحديث المتفق عليه مثلى ومثل الانبياء كمثّل رجل بنى دارا فاتمها وأكملها الا موضع لبنة فكان الناس يطيفون بها ويعجبون من حسنها ويقولون لولا موضع اللبنة فأنا تلك اللبنة فبه كمل دين الله المتضمن للأمر بكل معروف والنهي عن كل منكر واحلال كل طيب وتحريم كل خبيث وأما من قبله من الرسل فقد كان يحرم على أممهم بعض الطيبات كما قال { **فَظَلِمَ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ** } النساء 160 وربما لم يحرم عليهم جميع الخبائث كما قال تعالى { **كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ** } آل عمران 93 وتحريم الخبائث يندرج في معنى النهي عن المنكر كما ان احلال الطيبات يندرج في الامر بالمعروف لأن تحريم الطيبات مما نهى الله عنه وكذلك الأمر بجميع المعروف والنهي عن كل منكر مما لم يتم الا للرسول الذي تم الله به مكاروم الاخلاق المندرجة في المعروف وقد قال الله تعالى { **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** } المائدة 3 فقد أكمل الله لنا الدين وأتم علينا النعمة

ورضى لنا الاسلام ديننا وكذلك وصف الأمة بما وصف به نبيها
حيث قال { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } آل عمران 110 وقال تعالى
{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ } التوبة 71 ولهذا قال أبو هريرة كنتم خير
الناس للناس تأتون بهم في الاقياد والسلاسل حتى تدخلوهم الجنة
فبين سبحانه أن هذه الامة خير الأمم للناس فهم أنفعهم لهم
وأعظمهم احسانا اليهم لأنهم كملوا أمر الناس بالمعروف ونهيهم
عن المنكر من جهة الصفة والقدر حيث أمروا بكل معروف ونهوا
عن كل منكر لكل أحد وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم
وأموالهم وهذا كمال النفع للخلق وسائر الأمم لم يأمروا كل أحد
بكل معروف ولا نهوا كل أحد عن كل منكر ولا جاهدوا على ذلك
بل منهم من لم يجاهد والذين جاهدوا كبنى اسرئيل فعامّة جهادهم
كان لدفع عدوهم عن أرضهم كما يقاتل الصائل الظالم لا لدعوة
المجاهدين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر كما قال موسى
لقومه { يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا
تُرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ } 21 { قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنِّي فِيهَا
قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا
فَأِنَّا دَاخِلُونَ } 22 { المائدة 21-22 الى قوله } قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن
نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ } المائدة 24 وقال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَا مِن بَنِي
إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا مَلَكًا نُقَاتِلْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا
لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَانِنَا فَلَمَّا كُتِبَ
عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } البقرة 246
فعللوا القتال بأنهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم ومع هذا فكانوا

ناكلين عما أمروا به من ذلك ولهذا لم تحل لهم الغنائم ولم يكونوا
يطؤون بملك اليمين⁶⁸¹

حاجة العبد الى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض الى الطب

* أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله ووجوب اتباعه وبيان
الاهتداء به في كل ما يحتاج إليه الناس من دينهم وأن النجاة
والسعادة في اتباعه والشقاء في مخالفته وما دل عليه من اتباع
السنة والجماعة قال الله تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى } {123} { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيرًا } {125} { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
تُنْسَى } {126} طه 123-126 قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ
القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم
قرأ هذه الآية وقال تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
{ الأعراف 157 }⁶⁸²

*فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى
عنه وما أعد له لأوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه
ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنی وصفاته العلیا
التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين
أرسلهم الله الى عباده فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم
المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في
الدنيا والآخرة وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم عن ربهم
ضالون محجوبون قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن

⁶⁸¹ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 121-124 و الاستقامة ج: 2 ص: 199-204

⁶⁸² مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 81

وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
ومثل هذا في القرآن كثير وهذا مما أجمع عليه جميع أهل الملل
من المسلمين واليهود والنصارى فإنهم يثبتون الوسائط بين الله
وبين عباده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أمره وخبره قال تعالى
{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ
الحج75} ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل
والسور التي أنزلها الله بمكة مثل الأنعام والأعراف وذوات الر
و حم و طس ونحو ذلك هي متضمنة لأصول الدين
كالإيمان بالله ورسله واليوم الآخر وقد قص الله قصص الكفار
الذين كذبوا الرسل وكيف أهلكهم ونصر رسله والذين آمنوا قال
تعالى {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} {171} {إِنَّهُمْ لَهُمُ
الْمَنْصُورُونَ} {172} {وَإِنَّا جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ} {173} الصفات
171-173 وقال {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} غافر51 فهذه الوسائط تطاع وتتبع ويقتدى
بها كما قال تعالى {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الأعراف157⁶⁸³

فان الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما
ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم
وبعثوا جميعا بالدعوة الى الله وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان
حالهم بعد الوصول اليه فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات
والتوحيد والقدر وذكر أيام الله في أوليائه واعدائه وهي القصص
التي قصها على عباده والأمثال التي ضربها لهم والأصل الثاني
يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهي والاباحة وبيان ما يحبه الله
وما يكرهه والأصل الثالث يتضمن الإيمان باليوم الآخر
والجنة والنار والثواب والعقاب وعلى هذه الأصول الثلاثة
مدار الخلق والأمر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى
معرفتها إلا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدى الى تفاصيلها

ومعرفة حقائقها وإن كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذي يدرك وجه الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدى الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض الى الطب فان آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان وأما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا أو شقى شقاوة لا سعادة معها أبدا فلا فلاح إلا باتباع الرسول فان الله خص بالفلاح اتباعه المؤمنين وأنصاره كما قال تعالى { **فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } الأعراف 157 أى لا مفلح إلا هم كما قال تعالى { **وَلَتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } آل عمران 104 فخص هؤلاء بالفلاح كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويطيرون الصلاة وينفقون مما رزقهم ويؤمنون بما انزل الى رسوله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة وبالهدى والفلاح فعلم بذلك ان الهدى والفلاح دائر حول ربع الرسالة وجودا وعدما وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء وبعث به جميع الرسل⁶⁸⁴

"انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"

*ان الله سبحانه أمرنا بالمعروف وهو طاعته وطاعة رسوله وهو الصلاح والحسنات والخير والبر ونهى عن المنكر وهو معصيته ومعصية رسوله وهو الفساد والسيئات والشر والفجور وقيد الايجاب بالاستطاعة والوسع وابهح مما حرم ما يضطر المرء اليه غير باغ ولا عاد فقال تعالى اتقوا الله حق تقاته سورة آل عمران 102 وقال فاتقوا الله ما استطعتم سورة التغابن 16 وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على

⁶⁸⁴مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 95-98

انبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم فأوجب مما امر به ما يستطاع وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث آخر انكم لن تحصوا او تستطيعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وقال تعالى في صفة هذا النبي

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {الأعراف 157} 685

*جملة مذاهب اهل المدينة النبوية راجحة في الجملة على مذاهب اهل المغرب والمشرق وذلك يظهر بقواعد جامعة منها قاعدة الحلال والحرام المتعلقة بالنجاسات في المياه فانه من المعلوم أن الله قال في كتابه { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} {157} {الأعراف 156-157} فالله تعالى أحل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث والخبائث نوعان ما خبثه لعينه لمعنى قام به كالدوم والميتة ولحم الخنزير وما خبثه لكسبه كالمأخوذ ظلما او بعقد محرم كالربا والميسر فاما الأول فكل ما حرم ملابسته كالنجاسات حرم أكله وليس كل ما حرم أكله حرمت ملابسته كالسوموم والله قد حرم علينا أشياء من المطاعم والمشارب وحرم أشياء من الملابس

ومعلوم أن مذهب أهل المدينة في الأشربة أشد من مذهب الكوفيين فان أهل المدينة وسائر الامصار وفقهاء الحديث يحرّمون كل مسكر وان كل مسكر خمر وحرام وان ما اسكر كثيره فقليله حرام ولم يتنازع في ذلك أهل المدينة لا أولهم ولا آخرهم سواء كان من الثمار أو الحبوب أو العسل أو لبن الخيل أو غير ذلك والكوفيون لا خمر عندهم الا ما اشتد من عصير العنب فان طبخ قبل الاشتداد حتى ذهب ثلثاه حل ونبذ التمر والزبيب محرم اذا كان مسكرا نبيئا فان طبخ ادنى طبخ حل وإن اسكر وسائر الأنبذة تحل وان اسكرت لكن يحرّمون المسكر منها وأما الأطعمة فأهل الكوفة اشد فيها من أهل المدينة فانهم مع تحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وتحريم اللحم حتى يحرّمون الضب والضبع والخيل تحرم عندهم في أحد القولين ومالك يحرم تحريما جازما ما جاء في القرآن فذوات الانياب اما أن يحرمها تحريما دون ذلك واما ان يكرهها في المشهور وروي عنه كراهة ذوات المخالب والطيور لا يحرم منها شيئا ولا يكرهه وان كان التحريم على مراتب والخيل يكرهها ورويت الاباحة والتحريم أيضا ومن تدبر الأحاديث الصحيحة في هذا الباب علم أن أهل المدينة اتبع للسنة فان باب الاشربة قد ثبت فيه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الاحاديث ما يعلم من علمها انها من ابلغ المتواترات بل قد صح عنه في النهي عن الخليطين والاوعية ما لا يخفى على عالم بالسنة واما الاطعمة فانه وان قيل ان مالكا خالف أحاديث صحيحة في التحريم ففي ذلك خلاف والأحاديث الصحيحة التي خالفها من حرم الضب وغيره تقاوم ذلك أو تربو عليه ثم ان هذه الأحاديث قليلة جدا بالنسبة الى أحاديث الأشربة وأيضاً فمالك معه في ذلك آثار عن السلف كابن عباس وعائشة وعبد الله بن عمر وغيرهم مع ما تأوله من ظاهر القرآن ومبيح الاشربة ليس معه لا نص ولا قياس بل قوله مخالف للنص والقياس وأيضاً فتحريم جنس الخمر اشد من تحريم اللحوم الخبيثة فانها يجب اجتنابها مطلقا ويجب على من شربها الحد ولا يجوز اقتناؤها وأيضاً فمالك جوز إتلاف عينها اتباعا لما جاء من السنة في ذلك ومنع من تخليلها وهذا كله فيه من اتباع السنة ما ليس

فى قول من خالفه من أهل الكوفة فلما كان تحريم الشارع للأشربة
 المسكرة اشد من تحريمه للأطعمة كان القول الذي يتضمن موافق
 الشارع أصح ومما يوضح هذا أن طائفة من أهل المدينة استحلّت
 الغناء حتى صار يحكى ذلك عن أهل المدينة وقد قال عيسى بن
 اسحاق الطباع سئل مالك عما يترخص فيه بعض أهل المدينة من
 الغناء فقال إنما يفعلونه عندنا الفساق ومعلوم أن هذا أخف مما استحلّه
 من استحلّ الأشربة فإنه ليس في تحريم الغناء من النصوص
 المستفيضة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما فى تحريم الأشربة
 المسكرة فعلم أن أهل المدينة اتبع للسنة ثم ان من أعظم المسائل
 مسألة اختلاط الحلال بالحرام لعينه كاختلاط النجاسات بالماء وسائر
 المائعات فأهل الكوفة يحرّمون كل ماء او مائع وقعت فيه نجاسة قليلا
 كان أو كثيرا ثم يقدرّون ما لا تصل إليه النجاسة بما لا تصل إليه
 الحركة ويقدرّونه بعشرة أذرع في عشرة أذرع ثم منهم من يقول ان
 البئر اذا وقعت فيها النجاسة لم تطهر بل تطمم والفقهاء منهم من يقول
 تنزح اما دلاء مقدرة منها واما جميعها على ما قد عرف لأجل قولهم
 ينجس الماء والمائع بوقوع النجاسة فيه وأهل المدينة بعكس ذلك
 فلا ينجس الماء عندهم الا اذا تغير لكن لهم فى قليل الماء هل يتنجس
 بقليل النجاسة قولان ومذهب أحمد قريب من ذلك وكذلك الشافعي لكن
 هذان يقدر أن القليل بما دون القلتين دون مالك وعن مالك فى الأطعمة
 خلاف وكذلك فى مذهب احمد نزاع فى سائر المائعات ومعلوم أن هذا
 أشبه بالكتاب والسنة فان اسم الماء باق والاسم الذي به أبيع قبل
 الوقوع باق وقد دلت سنة رسول الله فى بئر بضاعة وغيره على انه لا
 يتنجس ولم يعارض ذلك الا حديث ليس بصريح فى محل النزاع فيه
 وهو حديث النهي عن البول فى الماء الدائم فإنه قد يخص البول بالحكم
 وخص بعضهم ان يبالي فيه دون ان يجري إليه البول وقد يخص
 ذلك بالماء القليل وقد يقال النهي عن البول لا مستلزم التنجيس بل
 قد ينهى عنه لان ذلك يفضى الى التنجيس اذا كثر يقرر ذلك انه
 لاتنازع بين المسلمين ان النهي عن البول فى الماء الدائم لا يعم جميع
 المياه بل ماء البحر مستثنى بالنص والاجماع وكذلك المصانع الكبار

التى لا يمكن نزحها ولا يتحرك أحد طرفيها بتحرك الطرف الآخر لا
 ينجسه البول بالاتفاق والحديث الصحيح لا يعارضه حديث في هذا
 الاجمال والاحتمال وكذلك تنجس الماء المستعمل ونحوه مذهب
 اهل المدينة ومن وافقهم فى طهارته ثابت بالاحاديث الصحيحة عن
 النبي كحديث صب وضوئه على جابر ووقوله المؤمن لا ينجس
 وأمثال ذلك وكذلك بول الصبي الذي لم يطعم مذهب بعض أهل
 المدينة ومن وافقهم لهم فيه أحاديث صحيحة عن النبي لا يعارضها
 شيء وكذلك مذهب مالك وأهل المدينة في أعيان النجاسات
 الظاهرة في العبادات أشبه شيء بالاحاديث الصحيحة وسيرة الصحابة
 ثم أنهم لا يقولون بنجاسة البول والروث مما يؤكل لحمه وعلى ذلك
 بضع عشرة حجة من النص والاجماع القديم والاعتبار ذكرناها في
 غير هذا الموضع وليس مع المنجس إلا لفظ يظن عمومه وليس بعام
 او قياس يظن مساواة الفرع فيه للاصل وليس كذلك ولما كانت
 النجاسات من الخبائث المحرمة لا عيانها ومذهبهم في ذلك اخذ من
 مذهب الكوفيين كما فى الاطعمة كان ما ينجسونه اولئك اعظم واذا قيل
 له خالف حديث الولوغ ونحوه فى النجاسات فهو كما يقال انه خالف
 حديث سباع الطير ونحوه ولا ريب ان هذا اقل مخالفة للنصوص ممن
 ينجس روث ما يؤكل لحمه وبوله او بعض ذلك او يكره سؤر الهرة
 وقد ذهب بعض الناس الى أن جميع الاوراث والابوال طاهرة الا بول
 الانسى وعذرتة وليس هذا القول بابعد فى الحجة من قول من ينجس
 الذي يذهب اليه أهل المدينة من أهل الكوفة ومن وافقهم ومن تدبر
 مذهب أهل المدينة وكان عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تبين له قطعا ان مذهب أهل المدينة المنتظم للتيسير فى هذا الباب أشبه
 بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المذهب المنتظم للتعسير وقد
 قال فى الحديث الصحيح لما بال الاعرابى فى المسجد وأمرهم بالصب
 على بوله قال انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين وهذا مذهب

أهل المدينة وأهل الحديث ومن خالفهم يقول انه يغسل ولا يجزى
الصب وروى في ذلك حديثا مرسلا لا يصح⁶⁸⁶

الدعوة إلى الله واجبة على من اتبع الرسول وقد وصفهم الله بذلك

*قال تعالى {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ
يوسف 108 الآية} فالدعوة والعبادة اسم جامع لغاية الحب لله
وغاية الذل له فمن ذل له من غير حب لم يكن عابدا بل يكون هو
المحبوب المطلق فلا يحب شيئا إلا له ومن أشرك غيره في هذا
وهذا لم يجعل له حقيقة الحب فهو مشرك وإشراكه يوجب نقص
الحقيقة كقوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا
يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} البقرة 165 الآية} والحب يوجب الذل
والطاعة والاسلام أن يستسلم لله لا لغيره فمن إستسلم له ولغيره
فهو مشرك ومن لم يستسلم له فهو متكبر وكلاهما ضد الاسلام
والقلب لا يصلح إلا بعبادة الله وحده وتحقيق هذا تحقيق الدعوة
النبوية ومن المحبة الدعوة إلى الله وهي الدعوة إلى الايمان به
وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم بما أمروا
به فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى وما أبغضه الله ورسوله
فمن الدعوة إلى الله النهي عنه ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما
أحبه الله ورسوله ويترك ما أبغضه الله ورسوله من الأقوال
والأعمال الباطنة والظاهرة بما أخبر به الرسول من أسماء الله
وصفاته ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي والملائكة
والأنبياء وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما والدعوة
إلى الله واجبة على من اتبع الرسول وهم أمته وقد وصفهم الله بذلك
كقوله تعالى {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ

⁶⁸⁶مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 333-340

اِصْرَهُمْ وَالْأَعْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَأَلْذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
 وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
 {الأعراف 157 فهذه في حقه وفي حقهم قوله {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ
 أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ {آل عمران 110 الآية وقوله {وَالْمُؤْمِنُونَ
 وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ {التوبة 71 الآية وهذا الواجب واجب على مجموع
 الأمة وهو فرض كفاية يسقط عن البعض بالبعض كقوله {وَلَتَكُنَّ
 مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ {آل عمران 104 الآية فجميع الأمة
 تقوم مقامه في الدعوة فهذا إجماعهم حجة وإذا تنازعوا في شيء
 ردوه إلى الله ورسوله فإذا تقرر هذا الواجب على كل مؤمن أن
 يحب ما أحب الله ورسوله وأن يبغض ما أبغضه الله ورسوله مما
 دل عليه في كتابه فلا يجوز لأحد أن يجعل الأصل في الدين
 لشخص إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لقول إلا لكتاب الله
 عز وجل ومن نصب شخصا كائنا من كان فوالى وعادى على
 موافقته في القول والفعل فهو {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا
 {الروم 32 الآية وإذا تفقه الرجل وتأدب بطريقة قوم من المؤمنين
 مثل إتباع الأئمة والمشايخ فليس له أن يجعل قوته وأصحابه هم
 العيار فيوالي من وافقهم ويعادي من خالفهم فينبغي للانسان أن
 يعود نفسه التفقه الباطن في قلبه والعمل به فهذا زاجر وكمانن
 القلوب تظهر عند المحن وليس لأحد أن يدعو إلى مقالة او يعتقدها
 لكونها قول أصحابه ولا يناجز عليها بل لأجل أنها مما أمر الله به
 ورسوله أو أخبر الله به ورسوله لكون ذلك طاعة لله ورسوله
 وينبغي للداعي أن يقدم فيما استدلوا به من القرآن فانه نور وهدى
 ثم يجعل إمام الأئمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كلام الأئمة
 ولا يخلو أمر الداعي من أمرين الأول أن يكون مجتهدا او مقلدا
 فالمجتهد ينظر في تصانيف المتقدمين من القرون الثلاثة ثم يرجح
 ما ينبغي ترجيحه الثاني المقلد يقلد السلف إذ القرون المتقدمة
 أفضل مما بعدها فإذا تبين هذا فنقول كما أمرنا ربنا {قُولُوا
 آمَنَّا بِاللَّهِ {البقرة 136 إلى قوله {مُسْلِمُونَ {البقرة 136

ونأمر بما أمرنا به و ننهى عما نهانا عنه فى نص كتابه و على لسان نبيه كما قال تعالى { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ } الحشر 7 الآية فمبنى أحكام هذا الدين على ثلاثة أقسام الكتاب و السنة و الاجماع⁶⁸⁷

لا يلزم الرسول قول قاله غيره بإجتهاده

*قال تعالى { وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْتُمَهَا لَلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {157} الأعراف 156-157

فوصف رسوله بأنه يأمر بكل معروف وينهى عن كل منكر ويحل كل طيب ويحرم كل خبيث ويضع الأصار والأغلال التى كانت على من قبله وكل من خالف ما جاء به من الكتاب والحكمة من الأقوال المرجوحه فهى من الأقوال المبتدعة التى أحسن أحوالها أن تكون من الشرع المنسوخ الذى رفعه الله بشرع محمد صلى الله عليه وسلم أن كان قائله من أفضل الأمة وأجلها وهو فى ذلك القول مجتهد قد إنقى الله ما إستطاع وهو مثاب على إجتهاده وتقواه مغفور له خطؤه فلا يلزم الرسول قول قاله غيره بإجتهاده وقد ثبت عنه فى الصحيحين أنه قال إذا إجتهد الحاكم فاصاب فله أجران وإذا إجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر وثبت عنه فى الصحيح أنه كان يقول لمن بعثه أميرا على سرية وجيش وإذا حاصرت أهل حصن فسألوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله

⁶⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 6-8

فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك وهذا يوافق ما ثبت في الصحيح أن سعد بن معاذ لما حكمه النبي في بنى قريظة وكان النبي قد حاصرهم فنزلوا على حكمه فأنزلهم على حكم سعد بن معاذ لما طلب منهم حلفا وهم من الأنصار أن يحسن اليهم وكان سعد بن معاذ خلاف ما يظن به بعض قومه كان مقدما لرضى الله ورسوله على رضى قومه ولهذا لما مات إهتز له عرش الرحمن فرحا بقدم روجه فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى حريمهم وتقسم أموالهم فقال النبي لقد حكمت فيهم بحكم الملك وفى رواية لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات والعلماء ورثة الأنبياء وقد قال تعالى { وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } {78} فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } {79} الانبياء 78-79 فهذان نبيان كريمان حكما فى حكومة واحدة فخص الله أحدهما بفهمها مع ثنائه على كل منهما بأنه آتاه حكما وعلما فذلك العلماء المجتهدون رضى الله عنهم للمصيب منهم أجران وللآخر أجر وكل منهم مطيع لله بحسب استطاعته ولا يكلفه الله ما عجز عن علمه ومع هذا فلا يلزم الرسول قول غيره ولا يلزم ما جاء به من الشريعة شىء من الأقوال المحدثه لاسيما إن كانت شنيعة ولهذا كان الصحابة إذا تكلموا بإجتهادهم ينزهون شرع الرسول من خطئهم وخطأ غيرهم كما قال عبد الله بن مسعود فى المفوضة أقول فيها برأى فان يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه وكذلك روى عن الصديق فى الكلاله وكذلك عن عمر فى بعض الأمور مع أنهم كانوا يصيبون فيما يقولونه على هذا الوجه حتى يوجد النص موافقا لإجتهادهم كما وافق النص إجتهاد ابن مسعود وغيره وإنما كانوا أعلم بالله ورسوله وبما يجب من تعظيم شرع الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضيفوا اليه الا ما علموه منه وما أخطوا فيه وإن كانوا مجتهدين قالوا إن الله ورسوله بريئان منه وقد قال

الله تعالى { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } {النور 54} وقال {
فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ } {النور 54} وقال {فَلَنَسْأَلَنَّ
الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } {الأعراف 688}

الطيبات هي النافعة للعقول والأخلاق

*فمن محاسن الشريعة و ما فيها من الأمر بمصالح العباد و ما
ينفعهم من النهي عن مفسادهم و ما يضرهم و أن الرسول الذي
بعث بها بعث رحمة كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ } {الأنبياء 107} و قد و صفة الله تعالى بقول { وَكَتُبْنَا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ
بِهِ مَنْ أَشَاءَ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } {156} {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ
وَإِنجِيلٍ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } {157} {الأعراف 156-157} فأخبر
أنه يأمر بما هو معروف و ينهي عما هو منكر و يحل ما هو طيب
و يحرم ما هو خبيث ولو كان المعروف لا معنى له إلا
المأمور به و المنكر لا معنى له إلا ما حرم لكان هذا كقول القائل
يأمرهم بما يأمرهم عما ينهاهم و يحل لهم ما أحل لهم و يحرم
عليهم ما حرم عليهم و هذا كلام لا فائدة فيه فضلا عن أن يكون
فيه تفضيل له على غيره و معلوم أن كل من أمر بأمر يوصف
بذلك و كل نبي بعث فهذه حاله و قد قال تعالى { فَبِظُلْمٍ مِّنَ
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } {النساء 160} فعلم
أن الطيب و صف للعين و أن الله قد يحرمها مع ذلك عقوبة للعباد
كما قال تعالى لما ذكر ما حرمه على بني إسرائيل { ذَلِكَ
جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } {الأنعام 146} و قال تعالى

{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ} {المائدة4} فلو كان معنى الطيب هو ما أحل كان الكلام لا فائدة فيه فعلم أن الطيب و الخبيث و صف قائم بالأعيان و ليس المراد به مجرد التذاذ الأكل فإن الإنسان قد يلتذ بما يضره من السموم و ما يحميه الطيب منه و لا المراد به التذاذ طائفة من الأمم كالعرب و لا كون العرب تعودته فإن مجرد كون أمة من الأمم أكله و طاب لها أو كرهته لكونه ليس فى بلادها لا يوجب أن يحرم الله على جميع المؤمنين ما لم تعتده طباع هؤلاء و لا أن يحل لجميع المؤمنين ما تعودوه كيف و قد كانت العرب قد اعتادت أكل الدم و الميتة و غير ذلك و قد حرمه الله تعالى و قد قيل لبعض العرب ما تأكلون قال ما دب و درج إلا أم حبين فقال ليهن أم حبين العافية و نفس قريش كانوا يأكلون خبائث حرمها الله و كانوا يعافون مطاعم لم يحرمها الله و فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قدم له لحم ضب فرفع يده و لم يأكل فقيل أحرام هو يا رسول الله قال لا و لكنه لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه فعلم كراهة قريش و غيرها لطعام من الأطعمة لا يكون موجبا لتحريمه على المؤمنين من سائر العرب و العجم و أيضا فإن النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه لم يحرم احد منهم ما كرهته العرب و لم يبيح كل ما أكلته العرب و قوله تعالى **{وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}** {الأعراف157} إخبار عنه أنه سيفعل ذلك فأحل النبى صلى الله عليه و سلم الطيبات و حرم الخبائث مثل كل ذي ناب من السباع و كل ذي مخلب من الطير فإنها عادية باغية فإذا أكلها الناس و الغاذي شبيه بالمغتذي صار فى أخلاقهم شوب من أخلاق هذه البهائم و هو البيغي و العدوان كما حرم الدم المسفوح لأنه مجمع قوى النفس الشهوية الغضبية و زيادته توجب طغيان هذه القوى و هو مجرى الشيطان من البدن كما قال النبى صلى الله عليه و سلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم و لهذا كان شهر رمضان إذا دخل صفت الشياطين لأن الصوم جنة فالطيبات التى أباحها هي المطاعم النافعة للعقول و الأخلاق و

الخبائث هي الضارة للعقول و الأخلاق كما أن الخمر أم الخبائث لأنها تفسد العقول و الأخلاق فأباح الله للمتقين الطيبات التي يستعينون بها على عبادة ربهم التي خلقوا لها و حرم عليهم الخبائث التي تضرهم في المقصود الذي خلقوا له و أمرهم مع أكلها بالشكر و نهاهم عن تحريمها فمن أكلها و لم يشكر ترك ما أمر الله به و إستحق العقوبة و من حرمها كالرهبان فقد تعدى حدود الله فإستحق العقوبة قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} {البقرة 172} و فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها و يشرب الشربة فيحمده عليها و فى حديث آخر الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر و قال تعالى {ثُمَّ لِنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} {التكاثر 8} أي عن شكره فإنه لا يبيح شيئاً و يعاقب من فعله و لكن يسأله عن الواجب الذي أوجبه معه و عما حرمه عليه هل فرط بترك مأمور أو فعل محظور كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} {المائدة 87} فمنهاهم عن تحريم الطيبات كما كان طائفة من الصحابة قد عزموا على الترهيب فأنزل الله هذه الآية و فى الصحيحين أن رجلاً من الصحابة قال أحدهم أما أنا فأصوم لا أفطر و قال آخر أما أنا فأقوم لا أنام و قال آخر أما أنا فلا أقرب النساء و قال آخر أما أنا فلا أكل اللحم فقال النبى صلى الله عليه و سلم ما بال رجال يقول أحدهم كذا و كذا لكني أصوم و أفطر و أقوم و أنام و أتزوج النساء و أكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني و ليسط هذه الأمور موضع آخر و المقصود هنا أن الله بين في كتابه و على لسان رسوله حكمته فى خلقه و أمره كقوله {وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} {الإسراء 32} فعلى التحريم بأنها فاحشة بدون النهي و أن ذلك علة للنهي عنها و قوله {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} {الأعراف 28} فذكر

براءته من هذا على وجه المدح له بذلك و تنزيهه عن ذلك فدل على أن من الأمور ما لا يجوز أن يضاف إلى الله الأمر به ليست الأشياء كلها مستوية في أنفسها و لا عنده و أنه لا يخصص المأمور على المحذور لمجرد التحكم بل يخصص المأمور بالأمر و المحذور بالحظر لما اقتضته حكمته⁶⁸⁹

* والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به ومعرفة الباطل والتكذيب به ومعرفة النافع الملائم والمحبة له ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة وما كان حقا نافعا عرفته الفطرة فأحبهته واطمأنت إليه وذلك هو المعروف وما كان باطلا معدوما كذبت به الفطرة فأبغضته الفطرة فانكرته قال تعالى {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ} الأعراف 157⁶⁹⁰

* قال تعالى {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} الأعراف 157 فدللت هذه الآية وغيرها على أن ما أمرهم به هو معروف في نفسه تعرفه القلوب فهو مناسب لها يصلح لفسادها ليس معنى كونه معروفا أنه مأمور به إذ هذا قدر مشترك فعلم أنما يأمر به الرسول مختص وما نهى عنه مختص بأنه منكر محذور وما يحله مختص بأنه طيب وما يحرمه مختص بأنه خبيث ومثل هذا كثير في القرآن وغيره من الكتب كالتوراة والإنجيل والزيور والله سبحانه وتعالى أعلم⁶⁹¹

* على المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبية وما نهى الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبية وأن الله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ولا نهاهم عما نهاهم بخلا به عليهم بل أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم ولهذا

⁶⁸⁹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 177-181 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 71

⁶⁹⁰ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 32

⁶⁹¹ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 193

وصف نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأنه { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } { الأعراف 157

692

* فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالا مطلقا للأدميين وأن تكون طاهرة لا يحرم عليهم ملابستها ومباشرتها ومماستها ودل على ذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } { البقرة 29 } والخطاب لجميع الناس لافتتاح الكلام بقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } { البقرة 21 } ووجه الدلالة أنه أخبر أنه خلق جميع ما في الأرض للناس مضافا إليهم باللام واللام حرف الإضافة وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له وهذا المعنى يعم موارد استعمالها كقولهم المال لزيد والسرغ للدابة وما أشبه ذلك فيجب إذا أن يكون الناس مملكين ممكنين لجميع ما في الأرض فضلا من الله ونعمة وخص من ذلك بعض الأشياء وهي الخبائث لما فيها من الإفساد لهم في معاشهم أو معادهم فيبقى الباقي مباحا بموجب الآية والآية وقوله تعالى { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا } { الأنعام 145 } الآية فما لم يجد تحريمه ليس بمحرم وما لم يحرم فهو حل ومثل هذه الآية قوله { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَالْحَزِيرَ } { البقرة 173 } الآية لأن حرف إنما يوجب حصر الأول في الثاني فيجب انحصار المحرمات فيما ذكر أيضا أنها منفعة خالية عن مضرة فكانت مباحة كسائر ما نص على تحليله وهذا الوصف قد دل على تعلق الحكم به النص وهو قوله { وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } { الأعراف 157 } فكل ما نفع فهو طيب وكل ما ضر فهو خبيث والمناسبة الواضحة لكل ذي لب أن النفع

يناسب التحليل والضرر يناسب التحريم والدوران فإن التحريم يدور مع المضار وجودا في الميتة والدم ولحم الخنزير وذوات الأنبياب والمخالب والخمر وغيرها مما يضر بأنفس الناس وعد ما في الأنعام والألبان وغيرها ⁶⁹³

*ولان تحريم الاكل يقتضي كونه خبيثا لقوله تعالى {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ **الْخَبَائِثَ** } **الأعراف 157** ويقتضي نجاسته ⁶⁹⁴

*ان الله لم يأمر بأمر الا وقد خلق سببه ومقتضيه في جبلة العبد وجعله محتاجا اليه وفيه صلاحه وكماله فانه أمر بالايمان به وكل مولود يولد على الفطرة فالقلوب فيها اقوى الاسباب لمعرفة باريها والاقرار به وأمر بالعلم والصدق والعدل وصلة الارحام واداء الأمانة وغير ذلك من الامور التي في القلوب معرفتها ومحبتها ولهذا سميت معروفا ونهى عن الكفر الذي هو أصل الجهل والظلم وعن الكذب والظلم والبخل والجبن وغير ذلك من الامور التي تنكرها القلوب وانما يفعل الآدمي الشر المنهى عنه لجهله به أو حاجته اليه بمعنى انه يشتهييه ويلتذ بوجوده أو يستضر بعدمه والجهل عدم العلم ⁶⁹⁵

*أن الأحكام للأفعال ليست من الصفات اللازمة بل هي من العارضة للأفعال بحسب ملاءمتها ومنافرتها فالحسن والقبح بمعنى كون الشيء محبوبا ومكروها ونافعا وضارا وملائما ومنافرا وهذه صفة ثبوتية للموصوف لكنها تتنوع بتنوع أحواله فليست لازمة له ومن قال إن الأفعال ليس فيها صفات تقتضي الحسن والقبح فهو بمنزلة قوله ليس في الأجسام صفات تقتضي التسخين والتبريد والإشباع والإرواء فسلب صفات الأعيان المقتضية للأثار كسلب صفات الأفعال المقتضية للأثار وأما جمهور المسلمين الذين

⁶⁹³ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 119 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 541

⁶⁹⁴ شرح العمدة ج: 1 ص: 90

⁶⁹⁵ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 121

يثبتون طبائع الأعيان وصفاتها فهكذا يثبتون ما في الأفعال من حسن وقبح باعتبار ملاءمتها ومنافرتها كما قال تعالى { **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** } الأعراف 157 فدل ذلك على أن الفعل في نفسه معروف ومنكر والمطعوم طيب وخبيث ولو كان لا صفة للأعيان والأفعال إلا بتعلق الأمر والنهي لكان التقدير يأمرهم بما يأمرهم وينهاهم عما ينهاهم ويحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم والله منزه عن مثل هذا الكلام وكذلك قوله تعالى { **وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا** } الإسراء 32 وقال { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ** } الأعراف 28 ونظائر هذا كثيرة⁶⁹⁶

* أن التحريم والتحليل في مثل هذا إنما يضاف إلى الأعيان وإذا كان المراد أفعال المكلفين كقوله { **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحُمُّ الْخَنْزِيرِ** } المائدة 3 { **أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ** } المائدة 4 { **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ** } المائدة 1 { **غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ** } المائدة 1 { **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** } الأعراف 157⁶⁹⁷

التحليل والتحريم لا يتعلق بإستطابة العرب ولا

بإستخباتهم

* من قال من العلماء أنه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه العرب وأحل لهم ما تستطيبه فجمهور العلماء على خلاف هذا القول كمالك وأبي حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ولكن الخرقى وطائفة منهم وافقوا الشافعى على هذا القول وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحريم لا يتعلق بإستطابة العرب ولا بإستخباتهم بل كانوا يستطيبون أشياء حرمها الله كالدوم والميتة والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكيلة السبع وما أهل به

⁶⁹⁶ منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 178

⁶⁹⁷ شرح العمدة ج: 3 ص: 176

لغير الله وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي يكرهه وقال لم يكن بأرض قومي فأجندني أعافه وقال مع هذا أنه ليس بمحرم وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه لا آكله ولا أحرمه وقال جمهور العلماء الطيبات التي أحلها الله ما كان نافعاً لآكلة في دينه والخبيث ما كان ضاراً له في دينه وأصل الدين العدل الذي بعث الله الرسل بإقامته فما أورت الأكل بغياً وظلماً حرمه كما حرم كل ذى ناب من السباع لأنها باغية عادية والغاذى شبيهه بالمغتذى فإذا تولد اللحم منها صار فى الإنسان خلق البغى والعدوان وكذلك الدم يجمع قوى النفس من الشهوة والغضب فإذا اغتذى منه زادت شهوته وغضبه على المعتدل ولهذا لم يحرم منه الا المسفوح بخلاف القليل فانه لا يضر ولحم الخنزير يورث عامة الأخلاق الخبيثة إذ كان أعظم الحيوان فى أكل كل شىء لا يعاف شيئاً والله لم يحرم على أمة محمد شيئاً من الطيبات وإنما حرم ذلك على أهل الكتاب كما قال تعالى {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} النساء 160 وقال تعالى {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْعَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} الأنعام 146 وأما المسلمون فلم يحرم عليهم الا الخبائث كالدّم المسفوح فاما غير المسفوح كالذى يكون فى العروق فلم يحرمه بل ذكرت عائشة أنهم كانوا يضعون اللحم فى القدر فيرون آثار الدم فى القدر ولهذا عفى جمهور الفقهاء عن الدم اليسير فى البدن والثياب إذا كان غير مسفوح وإذا عفى عنه فى الأكل ففى اللباس والحمل أولى أن يعفى عنه⁶⁹⁸

الايجاب والتحرير قد يكون نعمة وقد يكون عقوبة وقد يكون محنة

* الايجاب والتحرير قد يكون نعمة وقد يكون عقوبة وقد يكون محنة فالأول كايجاب الايمان والمعروف وتحريم الكفر والمنكر وهو الذي أثبتته القائلون بالحسن والقبح العقليين والعقوبة كقوله {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} النساء160 وقوله {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا { الأنعام146 الى قوله { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ } الأنعام146 وقوله {وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} الأعراف157 فسامها أصارا وأغلالا والأصار فى الايجاب والأغلال فى التحريم وقوبه { وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } البقرة286 ويشهد له قوله {وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} الحج78 وقوله { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ } المائدة6 فان هذا النفي العام ينفي كل ما يسمى حرجا والحرَج الضيق فما أوجب الله ما يضيق ولا حرم ما يضيق وضده السعة والحرَج مثل الغل وهو الذى لا يمكنه الخروج منه مع حاجته الى الخروج وأما المحنة فمثل قوله { إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ } البقرة249 الآية ثم ذلك قد يكون بانزال الخطاب وهذا لا يكون الا فى زمن الأنبياء وقد انقطع وقد يكون باظهار الخطاب لمن لم يكن سمعه ثم سمعه وقد يكون باعتقاد نزول الخطاب أو معناه وإن كان إعتقادا مخطئا لأن الحكم الظاهر تابع لاعتقاد المكلف فالتكليف الشرعى إما أن يكون باطنا وظاهرا مثل الذى تيقن أنه منزل من عند الله وإما أن يكون ظاهرا مثل الذى يعتقد أن حكم الله هو الايجاب أو التحريم إما اجتهادا وإما تقليدا وإما جهلا مركبا بأن نصب سبب يدل على ذلك ظاهرا دون ما يعارضه تكليف ظاهر إذ المجتهد المخطىء مصيب فى الظاهر لما أمر به وهو مطيع فى ذلك هذا من جهة الشرع وقد يكون

من جهة الكون بأن يخلق سبحانه ما يقتضى وجود التحريم الثابت بالخطاب والوجوب الثابت بالخطاب كقوله {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقُرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ {الأعراف163 فأخبر أنه بلاهم بفسقهم حيث أتى بالحيثان يوم التحريم ومنعها يوم الاباحة كما يؤتى المحرم المبتلى بالصيد يوم إحرامه ولا يؤتى به يوم حله أو يؤتى بمن يعامله ربا ولا يؤتى بمن يعامله بيعا ومن ذلك مجيء الاباحة والاسقاط نعمة وهذا كثير كقوله {الآن خَفَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ} الأنفال66 وقد تقدم نظائرها ⁶⁹⁹

مناط الوجوب هو القدرة

*وإذا كان لا بد من طاعة أمر وناه فمعلوم أن دخول المرء في طاعة الله ورسوله خير له وهو الرسول النبي الأمي المكتوب في التوراة والانجيل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وذلك هو الواجب على جميع الخلق قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} 64 { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} 65 {النساء64-65 وقال {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} النساء69 وقال { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} 13 { وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} 14 {النساء13-14 وكان النبي يقول في خطبته للجمعة ان خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكان يقول في

خطبة الحاجة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولن يضر الله شيئاً وقد بعث الله رسوله محمداً بأفضل المناهج والشرائع وأنزل عليه أفضل الكتب فأرسله الى خير أمة أخرجت للناس وأكمل له ولأمته الدين وأتم عليهم النعمة وحرم الجنة الا على من آمن به وبما جاء به ولم يقبل من أحد الا الاسلام الذي جاء به فمن ابتغى غيره دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين⁷⁰⁰

وإذا كان جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف والنهي الذي بعثه به هو النهي عن المنكر وهذا نعت النبي والمؤمنين كما قال تعالى {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} التوبة 71 وهذا واجب على كل مسلم قادر وهو فرض على الكفاية ويصير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره والقدرة هو السلطان والولاية فذووا السلطان أقدر من غيرهم وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم فان مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل انسان بحسب قدرته قال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} التغابن 16⁷⁰¹

كل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لا يتبع الا دينا مبدلاً او منسوخاً

* ودين الأنبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير موضع وهو الإستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في

⁷⁰⁰ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 63

⁷⁰¹ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 65

ذلك الوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذلك واستقبال بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ وهكذا كل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لا يتبع الا دينا مبدلاً او منسوخاً فكل من خالف ما جاء به الرسول اما أن يكون ذلك قد كان مشروعاً لنبي ثم نسخ على لسان محمد واما أن لا يكون شرعاً قط فهذا كالأديان التي شرعها الشياطين على السنة أوليائهم قال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 وقال { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } الأنعام 121 وقال { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام 112 ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيئاً يقول ان كان صواباً فمن الله وان كان خطأ فمضى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبى بكر وعمر فالأقسام ثلاثة فانه اما ان يكون هذا القول موافقاً لقول الرسول اولا يكون و اما أن يكون موافقاً لشرع غيره واما أن لا يكون فهذا الثالث المبدل كأديان المشركين والمجوس وما كان شرعاً لغيره وهو لا يوافق شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذى ظفر وشحم الثرب والكلبيتين فان اتخاذا السبت عيداً وتحريم هذه الطيبات قد كان شرعاً لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح { وَلَا جِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ } آل عمران 50 فقد نسخ الله على لسان المسيح بعض ما كان حراماً فى شرع موسى وأما محمد فقال الله فيه { الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ

الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أَوْلِيَّكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { الأعراف 157 } والشرك كله من المبدل لم يشرع الله الشرك قط كما قال { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ { الزخرف 45 } وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 25 }⁷⁰²

ملة الإسلام وسط في الملل

* وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن اليهود والنصارى افتقرت على اثنتين وسبعين فرقة فيها واحدة ناجية⁷⁰³

* فمن كان على دينه الذي لم يبدل قبل أن يبعث أو بقي على ذلك إلى أن بعث محمد فأمن به فإن هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون وكذلك من كان على دين موسى الذي لم يبدل إلى أن بعث المسيح فأمن به فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون وقد قدمنا أن المسلمين هم عدل متوسطون لا ينحرفون إلى غلو ولا إلى تقصير وأما اليهود والنصارى فهم على طرفي نقيض هؤلاء ينحرفون إلى جهة وهؤلاء إلى الجهة التي تقابلها كما ذكرنا تقابلهم في النسخ وكذلك تقابلهم في التحريم والتحليل والطهارة والنجاسة فإن اليهود كما قال الله تعالى { فَظَلِمَ مَنِ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدَّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا { النساء 160 } فلا يأكلون ذوات الظفر مثل الإبل والبط ولا شحم الثرب والكلبيتين ولا الجدي في لبن أمه إلى غير ذلك مما حرم عليهم من الطعام واللباس وغيرهما حتى قيل إن المحرمات عليهم ثلاثمائة وستون نوعاً والواجب عليهم مئتان وثمانية وأربعون أمراً وكذلك شدد عليهم في النجاسات حتى لا يواكلوا الحائض ولا يجامعوها في البيوت وكانوا لا يرون إزالة النجاسة من الثوب بل يقرض موضعها

⁷⁰² مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 180-182

⁷⁰³ منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 15

ويستخرجون الدم من العروق إلى غير ذلك من الأصار والأغلال التي كانت عليهم وأما النصارى ففي مقابلتهم تجد عامتهم لا يرون شيئاً حراماً ولا نجساً إلا ما كرهه الإنسان بطبعه ويصلون مع الجنابة والحدث وحمل النجاسات ويأكلون الخبائث كالدم والميتة ولحم الخنزير إلا من كره منهم شيئاً فتركه والمسلمون وسط كما قال تعالى فيهم { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } البقرة 143 أي عدلاً خياراً قال تعالى { وَاَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُنَا أَلَيْنَا عَذَابِي أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءَ وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {157} الاعراف 156-157 ولهذا كان من انحراف

من المسلمين إلى شبه اليهود والنصارى مأموراً بترك ذلك الانحراف واتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً غير المغضوب عليهم كاليهود وغير الضالين كالنصارى وذلك مثل من يبالغ في اجتناب النجاسات فينجس ما لم ينجسه الله ورسوله ويحرم ما لم يحرمه الله ورسوله ويأخذه الوسواس في اجتناب النجاسات ويحرم طيبات أحلها الله للمسلمين مثل من يرى أن القياس أن النجاسة لا تزول لا بماء ولا بغيره أو يرى أنها وإن زالت فلم يبق لها أثر فالمحل نجس إذا لم تزل بما يشترطه هو من الماء أو غيره أو يرى أن الطيبات التي أحلها الله حرام خبيثة لأنها مستحيلة عن المحرم مع أن الخل حلال وإن كان قد كان خمراً باتفاق المسلمين إذا بدا إلى حالته أو يرى أن الماء الطيب والمائعات الطيبة التي ليس فيها اثر من الخبيث حرام لكون الخبيث

لأقارها أو أستهلك فيها مع انها من الطيبات لا من الخبائث أو يرى تحريم ما سوى موضع الدم الذي هو أذى إلى غير ذلك من أقوال قالها بعض العلماء ولكن غيرهم نازعهم في ذلك واتبع ما دل عليه الكتاب والسنة وأعظم من ذلك من يكفر من خالفه من المسلمين ويرى نجاسة الكفار كما عليه كثير من أهل البدع من الرافضة والخوارج وغيرهم فإذا أكل غيرهم من وعائهم نجسه عندهم وأما ما يفعله كثير من الناس من غير أن يقوله عالم مثل من يغسل يديه وثيابه وحصر بيته بتوهم نجاستها أو يأمر الحائض إذا طهرت أن تبدل ثيابها الأول أو تغسلها أو يمنع الجنب أن يأكل أو يشرب حتى يغتسل فهذا كثير فيمن يشبه اليهود بل يشبه سامرة اليهود وأما من يشبه النصارى فمثل من يحسن الظن بمن لا يتطهر ولا يصلي من المنسوبين إلى الفقر والزهد والعبادة مثل من يكون في مواضع الشياطين والنجاسات كالحمام والآتاتين والمزابل وهو متلوث بالبول والعدرة ويعاشر الكلاب ولا يتوضأ ولا يغتسل من الجنابة بل ولا يصلي أو يصلي بلا وضوء وقد علم بالأضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس فرض على كل أحد وأن الوضوء من الحدث والاعتسال من الجنابة فرض لا يصلي إلا به مع القدرة ولا يتيمم مع القدرة فمن أنكروا وجوب ذلك فهو كافر باتفاق المسلمين⁷⁰⁴

القرآن نفسه ليس عند بنى إسرائيل ولكن ذكره

*أن الأشياء لها وجود في أنفسها وهو وجودها العيني أولها ثبوتها في العلم ثم في اللفظ المطابق للعلم ثم في الخط وهذا الذي يقال وجود في الأعيان ووجود في الأذهان ووجود في اللسان ووجود في البيان ووجود عيني ووجود علمي ولفظي ورسمي ولهذا افتتح الله كتابه بقوله تعالى { أقرأ باسم ربك الذي خلق } 1 { خلق الإنسان من علق } 2 { أقرأ وربك الأكرم } 3 { الذي علم بالقلم } 4 { علم الإنسان ما لم يعلم } 5 { العلق 1-5 فذكر الخلق عموماً

⁷⁰⁴الجواب الصحيح ج: 2 ص: 137-139 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 373

وخصوصا وذكر التعليم عموما وخصوصا فالخط يطابق اللفظ واللفظ يطابق العلم والعلم يطابق المعلوم ومن هنا غلط من غلط فظن أن القرآن في المصحف كالأعيان في الورق فظن أن قوله { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ {77} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ {78} الواقعة 77-78 كقوله { الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ {الأعراف 157

فجعل إثبات القرآن الذي هو كلام الله في المصاحف كإثبات الرسول في المصاحف وهذا غلط وكإثبات اسم الرسول هذا كلام وهذا كلام وأما إثبات اسم الرسول فهذا كإثبات الأعمال أو كإثبات القرآن في زبر الأولين قال تعالى { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ {القمر 52 وقال تعالى { وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوْلِينَ {الشعراء 196 فثبوت الأعمال في الزبر وثبوت القرآن في زبر الأولين هو مثل كون الرسول مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ولهذا مثل سبحانه بلفظ الزبر والكتب زبر يقال زبرت الكتاب إذا كتبتة والزبور بمعنى المزبور أي المكتوب فالقرآن نفسه ليس عند بني إسرائيل ولكن ذكره كما أن محمدا ليس عندهم ولكن ذكره فثبوت الرسول في كتبهم كثبوت القرآن في كتبهم بخلاف ثبوت القرآن في اللوح المحفوظ وفي المصاحف فإن نفس القرآن أثبت فيها فمن جعل هذا مثل هذا كان ضلاله بينا⁷⁰⁵

*وأما الرب سبحانه أو رسوله أو غير ذلك من الأعيان فإنما في الصحف اسمه وهو من الكلام ولهذا قال { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ {الأعراف 157 وإنما في التوراة كتابته وذكره وصفته واسمه⁷⁰⁶

⁷⁰⁵الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 289 و مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 290 و دقائق التفسير ج: 2 ص: 195

⁷⁰⁶مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 386

من قام بما جاء به الكتاب والسنة أشرف على علم الأولين والآخريين

*وفي النسائي وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى بيد عمر بن الخطاب ورقة من التوراة فقال أمتهوكون يا ابن الخطاب كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتم بها بيضاء نقية لو كان موسى حيا ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتكم وفي مراسيل أبي داود كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابا غير كتابهم أنزل إلى نبي غير نبيهم ونحن نعلم يقينا بالإضطرار من دين الإسلام أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب الله تعالى علينا طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر ولم يأمر بطاعة غيره إلا إذا وافق طاعته لا نبيا ولا غير نبي فقد أكمل الله الدين لأمة على لسانه فلا يحتاجون إلا إلى من يبلغ الدين الكامل لا يحتاجون إلى محدث ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي فعمر فلم يجزم بأن في أمة محدثا كما جزم أنه قد كان في الأمم قبلنا مع أن أمتنا أفضل الأمم وأكمل ممن كان قبلهم وذلك لأن أمتنا مستغنية عن المحدثين كما استغنوا عن نبي يأخذون عنه سوى محمد وما علموه من أمور الأنبياء فبواسطة محمد هو الذي بلغهم ما بلغهم من أمور الأنبياء وما لم يبلغهم إياه من أمور الأنبياء فلا حاجة لأمة به ولهذا لم يحجب عليهم معرفة ذلك حتى يميزوا بين صدقه وكذبه كما ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا حدثكم أهل الكتاب بشيء فلا تصدقوه ولا تكذبوهم فإما أن يحدثكم بحق فتكذبوه وإما أن يحدثكم بباطل فتصدقوه قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم فأمر بالإيمان العام المتناول لجميع ما جاءت به الأنبياء وما لم يعلم أن ناقلا عنهم صدق أو كذب لا تصدق ولا تكذب وإذا كانت أمتنا مستغنية عن أن تأخذ من نبوة غير نبوة محمد فاستغناؤها عن المحدثين أولى ومن كانوا قبلنا كانوا محتاجين إلى الأنبياء فكذلك ربما احتاجوا إلى المحدثين وما

احتاجت الأمم إليه من الأخبار الإلهية فلا بد أن يكون محفوظا معصوما لتقوم به الحجة ويحصل به مقصود الدعوة وهذا مما دل على وجوب عصمة ما جاءت به الأنبياء وعصمة ما جاء به نبينا بعد موته فحفظ الله الذكر الذي أنزله وقد أنزل عليه الكتاب والحكمة والحكمة هي السنة فحفظ الله هذا وهذا والله الحمد والمنة ومن وجد من هذه الأمة محتاجا إلى شيء غير ما جاء به الرسول فضعف معرفته واتباعه لما جاء به الرسول مثل كثير منهم من يقول أنه يحتاج إلى الإسرائيليات وغيرها من أحوال أهل الكتاب وآخرون منهم من يقول أنهم محتاجون إلى حكمة فارس والروم والهند واليونان وغيرهم من الأمم وآخرون يقولون أنهم محتاجون إلى ذوقهم أو عقلهم أو رأيهم بدون اعتبار ذلك بالكتاب والسنة ولا تجد من يقول أنه محتاج إلى غير آثار الرسول إلا من هو ضعيف المعرفة والاتباع لآثاره وإلا فمن قام بما جاء به الكتاب والسنة أشرف على علم الأولين والآخرين وأغناه الله بالنور الذي بعث به محمدا عما سواه قال الله تعالى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ 707 أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157

أصل العلم و الإيمان

* أن معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بألفاظ القرآن و الحديث هو أصل العلم و الإيمان و السعادة و النجاة ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول و المعاني المخالفة لها و الألفاظ نوعان نوع يوجد في كلام الله و رسوله و

⁷⁰⁷ الصغدية ج: 1 ص: 261

نوع لا يوجد في كلام الله و رسوله فيعرف معنى الأول و يجعل
ذلك المعنى هو الأصل و يعرف ما يعنيه الناس بالثاني و يرد الى
الأول هذا طريق أهل الهدى و السنة و طريق أهل الضلال و البدع
بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدثوها و معانيها هي الأصل و
يجعلون ما قاله الله و رسوله تبعاً لهم فيردونها بالتأويل و التحريف
إلى معانيهم و يقولون نحن نفسر القرآن بالعقل و اللغة يعنون أنهم
يعتقدن معنى بعقلهم و رأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من
التأويلات و التفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه و
لهذا قال الإمام أحمد أكثر ما يخطيء الناس من جهة التأويل و
القياس و قال يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين المجمل و
القياس و هذه الطريق يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار و
الصغار فهي طريق الجهمية و المعتزلة و من دخل في التأويل
من الفلاسفة و الباطنية الملاحدة و أما حذاق الفلاسفة فيقولون
ان المراد بخطاب الرسول صلى الله عليه و سلم إنما هو أن يخيل
إلى الجمهور ما ينتفعون به في مصالح دنياهم و ان لم يكن ذلك
مطابقاً للحق قالوا و ليس مقصود الرسول صلى الله عليه و سلم
بيان الحق و تعريفه بل مقصوده أن يخيل إليهم ما يعتقدونه و
يجعلون خاصة النبوة قوة التخيل فهم يقولون أن الرسول صلى الله
عليه و سلم لم يبين و لم يفهم بل و لم يقصد ذلك و هم متنازعون
هل كان يعلم الأمور على ما هي عليه على قولين منهم من قال
كان يعلمها لكن ما كان يمكنه بيانها و هؤلاء قد يجعلون الرسول
أفضل من الفيلسوف و منهم من يقول بل ما كان يعرفها أو ما كان
حاذقاً في معرفتها و انما كان يعرف الأمور العملية و هؤلاء
يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي صلى الله عليه و سلم لأن الأمور
العلمية أكمل من العلمية فهؤلاء يجعلون خبر الله و خير الرسول
صلى الله عليه و سلم إنما فيه التخيل و أولئك يقولن لم يقصد به
التخيل و لكن قصد معنى يعرف بالتأويل و كثير من أهل الكلام
الجهمية يوافق أولئك على أنه ما كان يمكنه أن يبوح بالحق في
باب التوحيد فخطب الجمهور بما يخيل لهم كما يقولون إنه لو قال

إن ربكم ليس بداخل العالم و لا خارجه و لا يشار إليه و لا هو
 فوق العالم و لا كذا و لا كذا لنفرت قلوبهم عنه و قالوا هذا لا
 يعرف قالوا فخطبهم بالتجسيم حتى يثبت لهم ربا يعبدونه و ان
 كان يعرف أن التجسيم باطل و هذا يقوله طوائف من أعيان الفقهاء
 المتأخرين المشهورين الذين ظنوا أن مذهب النفاة هو الصحيح و
 احتاجوا أن يعتذروا عما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم من
 الإثبات كما يوجد في كلام غير و احد و تارة يقولون إنما
 عدل الرسول صلى الله عليه و سلم عن بيان الحق ليجتهدوا في
 معرفة الحق من غير تعريفه و يجتهدوا في تأويل ألفاظه فتعظم
 أجورهم على ذلك و هم إجتهادهم في عقلياتهم و تأويلاتهم و لا
 يقولون إنه قصد به إفهام العامة الباطل كما يقول أولئك المتفلسفة و
 هذا قول أكثر المتكلمين النفاة من الجهمية و المعتزلة و من سلك
 مسلكهم حتى ابن عقيل و أمثاله و أبو حامد و ابن رشد الحفيد و
 أمثالهما يوجد في كلامهم المعنى الأول و أبو حامد إنما ذم التأويل
 في آخر عمره و صنف الجام العوام عن علم الكلام محافظة
 على هذا الأصل لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم إلا بإبقاء
 الظواهر على ما هي عليه و إن كان هو يرى ما ذكره في كتبه
 المضمون بها أن النفي هو الثابت في نفس الأمر فلم يجعلوا
 مقصوده بالخطاب البيان و الهدي كما و صف الله به كتابه و نبيه
 حيث قال { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 و قال { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ
 } آل عمران 138 و قال { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
 تَعْقِلُونَ } يوسف 2 و قال { وَمَا عَلَي الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
 } العنكبوت 18 و قال { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
 الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } إبراهيم 1 و أمثال ذلك و قال النبي صلى الله
 عليه و سلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها
 بعدى إلا هالك و قال تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ
 وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153 و قال {
 قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } 15 { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ
 رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {16} المائدة 15-16 وقال { مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ أَتَّهَدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { الشورى 52 و قال { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ { الأعراف 157 ⁷⁰⁸

الأسماء قد يكون عمومها وخصوصها بحسب

الأفراد والتركيب

* عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد مثال ذلك اسم المعروف و المنكر اذا أطلق كما فى قوله تعالى {وَأَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { آل عمران 104 وقوله {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ { الأعراف 157 وقوله {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { آل عمران 110 وقوله { وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { آل عمران 114 وقوله {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { التوبة 71 يدخل فى المعروف كل خير و كل واجب وفي المنكر كل شر وكل قبيح والقبايح هي السيئات وهي المحظورات كالشرك والكذب والظلم والفواحش ثم قد يقرن بما هو أخص منه كقوله {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ { النساء 114 فغاير بين المعروف وبين الصدقة والإصلاح بين الناس وكذلك قوله تعالى { إِنْ الصَّلَاةَ تَنَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ { العنكبوت 45 غاير بينهما وقد دخلت الفحشاء فى المنكر فى قوله { وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { التوبة 71 ثم ذكر مع المنكر اثنين فى قوله { وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ { النحل 90 جعل البغى هنا مغايرا لهما وقد دخل فى المنكر فى ذلك

الموضعين و هذه الأسماء التي تختلف دلالتها بالاطلاق والتقييد والتجريد والاقتران تارة يكونان إذا أفرد أحدهما أعم من الآخر كاسم الايمان و المعروف مع العمل ومع الصدق و المنكر مع الفحشاء ومع البغى ونحو ذلك وتارة يكونان متساويين فى العموم والخصوص كلفظ الايمان و البر و التقوى ولفظ الفقير و المسكين فأياها أطلق تناول ما يتناوله الآخر

وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله {فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ} الأعراف 157 وقوله {اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} الأعراف 3 وقوله {فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 وقوله {وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وقد يقرن به غيره كقوله {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} الأنعام 155 وقوله {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام 106 وقوله {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} يونس 109⁷⁰⁹

* وذلك لأن الأسماء قد يكون عمومها وخصوصها بحسب الأفراد والتركيب كلفظ الفقير والمسكين فإن أحدهما إذا أفرد كان عاما لما يدلان عليه عند الإقتران بخلاف إقترانهما فإنه يكون معنى كل منهما هو معنى الآخر بل أخصه من معناه عند الأفراد وأيضا فقد يعطف على الإسم العام بعض أنواعه على سبيل التخصيص ثم قد قيل إن ذلك المخصص يكون مذكورا بالمعنى العام والخاص فإذا عرف هذا فإسم المنكر يعم كل ما كرهه الله ونهى عنه وهو

⁷⁰⁹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 162-168 و العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 176 و الجواب الصحيح ج: 3 ص: 117

المبغض وإسم المعروف يعم كل ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به فحيث أفراد بالذكر فإنهما يعمان كل محبوب في الدين ومكروه وإذا قرن المنكر بالفحشاء فإن الفحشاء مبناها على المحبة والشهوة و المنكر هو الذي تنكره القلوب فقد يظن أن ما في الفاحشة من المحبة يخرجها عن الدخول في المنكر وإن كانت مما تنكرها القلوب فإنها تشتهيها النفوس و المنكر قد يقال أنه يعم معنى الفحشاء وقد يقال خصت لقوة المقتضى لما فيها من الشهوة وقد يقال قصد بالمنكر ما ينكر مطلقاً والفحشاء لكونها تشتهي وتحب وكذلك البغى قرن بها لأنه أبعد عن محبة النفوس ولهذا كان جنس عذاب صاحبه أعظم من جنس عذاب صاحب الفحشاء ومنشؤها من قوة الغضب كما أن الفحشاء منشؤها عن قوة الشهوة ولكل من النفوس لذة بحصول مطلوبها فالفواحش والبغى مقرّون بالمنكر وأما الإشرak والقول على الله بلا علم فإنه منكر محض ليس في النفوس ميل إليهما بل إنما يكونان عن عناد وظلم فهما منكر وظلم محض بالفطرة فهذه الخصال فساد في القوة العلمية والعملية 710

هل تكون صفة الإيمان نورا يوقعه الله في قلب العبد ويعرف العبد عند وقوعه في قلبه الحق من الباطل؟

* فيقال له قد قال الله تعالى {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} {النور 35} قال أبي بن كعب وغيره مثل نوره في قلب المؤمن الى قوله {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} {النور 40} وقال تعالى {أَوْ مَنْ كَانَ مُبِينًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ} {الأنعام 122} فالإيمان الذي يهبه الله لعبده سماه نورا وسمى الوحي النازل من السماء الذي به يحصل الإيمان { نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا } {الشورى 52} وقال تعالى

{فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ
 {الأعراف 157} وأمثال ذلك ولا ريب أن المؤمن يفرق بين الحق
 والباطل بل يفرق بين أعظم الحق لكن لا يمكن أن يقال بأن كل من
 له إيمان يفرق بمجرد ما أعطيه من الإيمان بين كل حق وكل باطل
 711

اتخاذ ما ليس بمشروع ديناً أو تحريم ما لم يحرم دين الجاهلية والنصارى

* وأخبر أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات
 ويحرم الخبائث كما قال تعالى { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
 فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا
 يُؤْمِنُونَ } {156} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ
 مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ
 إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
 وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ } {157} الأعراف 156-167 وقد أمر الله الرسول
 بكل معروف ونهى عن كل منكر وأحل كل طيب وحرم كل خبيث
 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال ما بعث الله
 نبياً إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم
 عن شر ما يعلمه لهم وثبت عن العرباض بن سارية قال
 وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب
 وذرفت منها العيون قال فقلنا يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع
 فماذا تعهد إلينا فقال أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يعش منكم
 بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
 المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم
 ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وثبت عنه أنه قال ما

تركت من شيء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به وقال
تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك
وشواهد هذا الأصل العظيم الجامع من الكتاب والسنة كثيرة
وترجم عليه أهل العلم فى الكتب كتاب الاعتصام بالكتاب
والسنة كما ترجم عليه البخارى والبغوى وغيرهما فمن اعتصم
بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنده
الغالبين وكان السلف كمالك وغيره يقولون السنة كسفينة نوح من
ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وقال الزهرى كان من مضى من
علمائنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة إذا عرف هذا فمعلوم
أنما يهدى الله به الضالين ويرشد به الغاوين ويتوب به على
العاصين لا بد أن يكون فيما بعث الله به رسوله من الكتاب والسنة
وإلا فانه لو كان ما بعث الله به الرسول لا يكفى فى ذلك لكان دين
الرسول ناقصا محتاجا تنمة وينبغى أن يعلم أن الأعمال الصالحة
أمر الله بها أمر ايجاب أو استحباب والأعمال الفاسدة نهى الله عنها
والعمل اذ اشتمل على مصلحة ومفسدة فان الشارع حكيم فان
غلبت مصلحة على مفسدته شرعه وإن غلبت مفسدته على
مصلحته لم يشرعه بل نهى عنه كما قال تعالى { كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } البقرة 216
وقال تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ
وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا لَأَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا } البقرة 219 ولهذا
حرمهما الله تعالى بعد ذلك وهكذا ما يراه الناس من الأعمال
مقربا إلى الله ولم يشرعه الله ورسوله فانه لا بد أن يكون ضرره
أعظم من نفعه وإلا فلو كان نفعه أعظم غالبا على ضرره لم يهمله
الشارع فانه حكيم لا يهمل مصالح الدين ولا يفوت المؤمنين ما
يقربهم إلى رب العالمين⁷¹²

⁷¹² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 622-624

*فاتخاذ ما ليس بمشروع ديناً أو تحريم ما لم يحرم دين الجاهلية والنصارى الذي عابه الله عليهم كما قال تعالى { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 وقال تعالى فيما رواه مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً وقال في حق النصارى { وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ } التوبة 29 ومثال ذلك أن يحصل من بعضهم تقصير في الأمور أو اعتداء في المنهي إما من جنس الشبهات وإما من جنس الشهوات فيقابل ذلك بعضهم بالاعتداء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو بالتقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقصير والاعتداء إما في الأمور به والمنهي عنه شرعاً وإما في نفس أمر الناس ونهيهم هو الذي استحق به أهل الكتاب العقوبة حيث قال { لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } المائدة 78 فجعل ذلك بالمعصية والاعتداء والمعصية مخالفة الأمر وهو التقصير والاعتداء مجاوزة الحد وكذلك يضمن كل مؤتمن على مال إذا قصر وفرط في ما أمر به وهو المعصية إذا اعتدى بخيانة أو غيرها ولهذا قال تعالى { وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } المائدة 2 فالإثم هو المعصية والله أعلم وقال النبي إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم محارم فلا تنتهكوها وحد حدوداً فلا تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها فالمعصية تضييع الفرائض وانتهاك المحارم وهو مخالفة الأمر والنهي والاعتداء مجاوزة حدود المباحات إلى ما حرمه وقال تعالى { يَا أُمَّرُؤُمَّ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } الأعراف 157 فالمعصية مخالفة أمره ونهيه والاعتداء

مجاوزه ما احله إلى ما حرمه وكذلك قوله والله أعلم { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا } آل عمران 147 فالذنوب المعصية والإسراف الاعتداء ومجاوزه الحد واعلم أن مجاوزة الحد هي نوع من مخالفة النهي لأن اعتداء الحد محرم منهي عنه فيدخل في قسم المنهي عنه لكن المنهي عنه قسمان منهي عنه مطلقا كالكفر فهذا فعله إثم ومنهي عنه وقسم أبيح منه أنواع ومقادير وحرم الزيادة على تلك الأنواع والمقادير فهذا فعله عدوان وكذلك قد يحصل العدوان في الأمور به كما يحصل في المباح فإن الزيادة على الأمور به قد يكون عدوانا وقد يكون مباحا مطلقا وقد يكون مباحا إلى غاية فالزيادة عليها عدوان ولهذا التقسيم قيل في الشريعة هي الأمر والنهي والحلال والحرام والفراض والحدود والسنن والأحكام فالفرائض هي المقادير في الأمور به والحدود النهايات لما يجوز من المباح الأمور به وغير الأمور به⁷¹³

قول الثواب على قدر المشقة ليس بمستقيم على الإطلاق

* قول بعض الناس الثواب على قدر المشقة ليس بمستقيم على الإطلاق كما قد يستدل به طوائف على أنواع من الرهبانيات والعبادات المبتدعة التي لم يشرعها الله ورسوله من جنس تحريمات المشركين وغيرهم ما أحل الله من الطيبات ومثل التعمق والتنطع الذي ذمه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال هلك المتنطعون وقال لو مد لى الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم مثل الجوع أو العطش المفرط الذى يضر العقل والجسم ويمنع أداء واجبات أو مستحبات أنفع منه وكذلك الإحتفاء والعرى والمشى الذى يضر الإنسان بلا فائدة مثل حديث أبى اسرائيل الذى نذر أن يصوم وأن يقوم قائما ولا يجلس ولا

يستظل ولا يتكلم فقال النبي مروه فليجلس وليستظل وليتكلم
وليتم صومه رواه البخارى وهذا باب واسع وأما الأجر
على قدر الطاعة فقد تكون الطاعة لله ورسوله فى عمل ميسر كما
يسر الله على أهل الإسلام الكلمتين وهما أفضل الأعمال
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على
اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم أخرجاه فى الصحيحين ولو قيل الأجر على
قدر منفعة العمل وفائدته لكان صحيحا إتصاف الأول
باعتبار تعلقه بالأمر و الثانى باعتبار صفته فى نفسه
والعمل تكون منفعته وفائدته تارة من جهة الأمر فقط وتارة من
جهة صفته فى نفسه وتارة من كلا الأمرين فبالإعتبار الأول ينقسم
إلى طاعة ومعصية وبالتانى ينقسم إلى حسنة وسيئة والطاعة
والمعصية إسم له من جهة الأمر والحسنة والسيئة إسم له من جهة
نفسه وإن كان كثير من الناس لا يثبت إلا الأول كما تقوله
الأشعرية وطائفة من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم ومن الناس
من لا يثبت إلا الثانى كما تقوله المعتزلة وطائفة من الفقهاء
من أصحابنا وغيرهم والصواب إثبات الإعتبارين كما تدل عليه
نصوص الأئمة وكلام السلف وجمهور العلماء من أصحابنا
وغيرهم فأما كونه مشقا فليس هو سببا لفضل العمل ورجحانه
ولكن قد يكون العمل الفاضل مشقا ففضله لمعنى غير مشقته
والصبر عليه مع المشقة يزيد ثوابه وأجره فيزداد الثواب بالمشقة
كما أن من كان بعده عن البيت فى الحج والعمرة أكثر يكون أجره
أعظم من القريب كما قال النبي لعائشة فى العمرة أجرك على
قدر نصبك لأن الأجر على قدر العمل فى بعد المسافة وبالبعد
يكثر النصب فيكثر الأجر وكذلك الجهاد وقوله صلى الله عليه
وسلم الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة والذى يقرأه
ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران فكثيرا ما يكثر الثواب
على قدر المشقة والتعب لأن التعب والمشقة مقصود من العمل
ولكن لأن العمل مستلزم للمشقة والتعب هذا فى شرعنا رفعت عنا

فيه الأصار والأغلال ولم يجعل علينا فيه حرج ولا اريد بنا فيه العسر وأما في شرع من قبلنا فقد تكون المشقة مطلوبة منهم وكثير من العباد يرى جنس المشقة والألم والتعب مطلوباً مقرباً إلى الله لما فيه من نفرة النفس عن اللذات والركون إلى الدنيا وإنقطاع القلب عن علاقة الجسد وهذا من جنس زهد الصابئة والهند وغيرهم ولهذا تجد هؤلاء مع من شابههم من الرهبان يعالجون الأعمال الشاقة الشديدة المتعبة من أنواع العبادات والزهاديات مع أنه لا فائدة فيها ولا ثمرة لها ولا منفعة إلا ان يكون شيئاً يسيراً لا يقاوم العذاب الأليم الذي يجدونه ونظير هذا الأصل الفاسد مدح بعض الجهال بأن يقول فلان ما نكح ولا ذبح وهذا مدح الرهبان الذين لا ينكحون ولا يذبحون وأما الحنفاء فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لكنى أصوم وافطر وأتزوج النساء وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني وهذه الأشياء هي من الدين الفاسد وهو مذموم كما أن الطمأنينة إلى الحياة الدنيا مذموم والناس أقسام أصحاب دنيا محضة وهم المعرضون عن الآخرة وأصحاب دين فاسد وهم الكفار والمبتدعة الذين يتدينون بما لم يشرعه الله من أنواع العبادات والزهاديات و القسم الثالث وهم أهل الدين الصحيح أهل الإسلام المستمسكون بالكتاب والسنة والجماعة والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق⁷¹⁴

* وقال الله في صفته صلى الله عليه وسلم { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } {الأعراف 157} فأخبر الله سبحانه أن رسوله عليه الصلاة والسلام يضع الأصار والأغلال التي كانت على أهل الكتاب وكذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام يكره مشابهة أهل الكتابيين في هذه الأصار والأغلال وزجر أصحابه عن التبتل وقال لا رهبانية في الإسلام وأمر

بالسحور ونهى عن المواصلة وقال فيما يعيب أهل الكتابين
ويحذرنا عن موافقتهم فتلك بقاياهم في الصوامع وهذا باب واسع
جدا⁷¹⁵

*فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف ذلك فهو خطأ
وقد قال تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } {36} وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ
مُهْتَدُونَ } {37} حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ
فَبِئْسَ الْقَرِينُ } {38} {الزخرف 36-38} وذكر الرحمن هو ما
أنزله على رسوله قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ
أَنْزَلْنَاهُ } {الأنبياء 50} وقال تعالى { وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ
{القلم 52} وقال تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } {الأعراف 157} ⁷¹⁶

النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ

*الأميون نسبة الى الأمة قال بعضهم الى الأمة و ما عليه العامة
فمعنى الأمي العامي الذي لا تمييز له و قد قال الزجاج هو على
خلق الأمة التي لم تتعلم فهو على جبلته و قال غيره هو نسبة الى
الأمة لأن الكتابة كانت فى الرجال دون النساء و لأنه على ما و
لدته أمه و الصواب أنه نسبة الى الأمة كما يقال عامي نسبة الى
العامة التي لم تتميز عن العامة بما يمتاز به الخاصة و كذلك هذا لم
يتميز عن الأمة بما يمتاز به الخاصة من الكتابة و القراءة و يقال
الأمي لمن لا يقرأ و لا يكتب كتابا ثم يقال لمن ليس لهم كتاب
منزل من الله يقرأونه و إن كان قد يكتب و يقرأ ما لم ينزل و بهذا
المعنى كان العرب كلهم أميين فإنه لم يكن عندهم كتاب منزل من
الله قال الله تعالى { وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ

⁷¹⁵ اقتضاء الصراط ج: I ص: 48

⁷¹⁶ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 414

أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا { آل عمران 20 } وَ قَالَ { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي
 الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ } { الجمعة 2 } وَ قَدْ كَانَ فِي الْعَرَبِ كَثِيرٌ مِّمَّنْ
 يَكْتُبُ وَ يَقْرَأُ الْمَكْتُوبَ وَ كُلُّهُمْ أُمِّيُونَ فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ لَمْ يَبْقُوا
 أُمِّيِينَ بِإِعْتِبَارِ أَنَّهُمْ لَا يَقْرَأُونَ كِتَابًا مِنْ حِفْظِهِمْ بَلْ هُمْ يَقْرَأُونَ
 الْقُرْآنَ مِنْ حِفْظِهِمْ وَ أَنَا جِيلُهُمْ فِي صَدُورِهِمْ لَكِنْ بَقُوا أُمِّيِينَ بِإِعْتِبَارِ
 أَنَّهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى كِتَابَةِ دِينِهِمْ بَلْ قَرَأْتَهُمْ مَحْفُوظٌ فِي قُلُوبِهِمْ
 كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارِ الْمَجَاشِعِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ خَلَقْتُ عِبَادِي يَوْمَ خَلَقْتَهُمْ حَنَفَاءَ وَ قَالَ
 فِيهِ إِنِّي مَبْتَلِيكَ وَ مَبْتَلُ لَكَ وَ أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ
 تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَ يَقْضَانَا فَأَمْتَنَا لَيْسَتْ مِثْلَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ لَا
 يَحْفَظُونَ كِتَابَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ بَلْ لَوْ عَدِمَتْ الْمَصَاحِفُ كُلُّهَا كَانَ الْقُرْآنُ
 مَحْفُوظًا فِي قُلُوبِ الْأُمَّةِ وَ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ فَالْمُسْلِمُونَ أُمَّةٌ أُمِّيَةٌ بَعْدَ
 نَزُولِ الْقُرْآنِ وَ حِفْظُهُ كَمَا فِي الصَّحِيحِ عَنْ إِبْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ
 تَعَالَى عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّا أُمَّةٌ
 أُمِّيَةٌ لَا نَحْسِبُ وَ لَا نَكْتُبُ الشَّهْرَ هَكَذَا وَ هَكَذَا فَلَمْ يَقُلْ إِنَّا لَا نَقْرَأُ
 كِتَابًا وَ لَا نَحْفَظُ بَلْ قَالَ لَا نَكْتُبُ وَ لَا نَحْسِبُ فَدِينُنَا لَا يَحْتَاجُ أَنْ
 يَكْتُبَ وَ يَحْسِبَ كَمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابِ مِنْ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَوَاقِيتَ
 صَوْمِهِمْ وَ فَطْرَهُمْ بِكِتَابٍ وَ حِسَابٍ وَ دِينِهِمْ مَعْلُوقٌ بِالْكِتَابِ لَوْ عَدِمَتْ
 لَمْ يَعْرِفُوا دِينَهُمْ وَ لِهَذَا يَوْجَدُ أَكْثَرَ أَهْلِ السَّنَةِ يَحْفَظُونَ الْقُرْآنَ وَ
 الْحَدِيثَ أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَ أَهْلِ الْبِدْعِ فِيهِمْ شَبَهٌ بِأَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ
 بَعْضِ الْوُجُوهِ قَالَ تَعَالَى { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي
 يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
 وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
 وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ } { 157 } قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
 لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ } { 158 } الأعراف 157-158 وقوله { فَأَمِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ { الأعراف 158 هو أمي بهذا الإعتبار لأنه لا يكتب و لا يقرأ ما فى الكتب لا باعتبار أنه لا يقرأ من حفظه بل كان يحفظ القرآن أحسن حفظ و الأمي إصطلاح الفقهاء خلاف القارئ و ليس هو خلاف الكاتب بالمعنى الأول و يعنون به فى الغالب من لا يحس الفاتحة⁷¹⁷

{ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا }

* فان الله بعث محمدا الى جميع الخلق وقال { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } الأعراف 158 وقال { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } سبأ 28 وقال تعالى { الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } الفرقان 1 وقال { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء 107 فاسم الناس و العالمين يدخل فيه العرب وغير العرب من الفرس والروم والهند والبربر⁷¹⁸

* فأما محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب فهو رسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم دانيهم وقاصيهم ملوكهم ورعيتهم زهادهم وغير زهادهم قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } سبأ 28 وقال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } الأعراف 158 وقال النبي كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وهو خاتم الرسل ليس بعده نبي ينتظر ولا كتاب يرتقب بل هو آخر الأنبياء والكتاب الذى أنزل عليه مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه فمن إعتقد أن لأحد من جميع الخلق علمائهم وعبادهم وملوكهم خروجاً عن إتباعه وطاعته وأخذ ما بعث به من الكتاب والحكمة فهو كافر⁷¹⁹

⁷¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 435-437

⁷¹⁸ مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 207

⁷¹⁹ لب مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 59 و الجواب الصحيح ج: 1 ص: 445

*وأخرج مسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذي نعاه لأصحابه في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف وصلى عليه بل النجاشي آخر تملك بعده وأخرج مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الناس كافة وختم بي النبيون وقال صلى الله عليه وسلم كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وقال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} {158} سورة الأعراف الآية 158 وفي القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان وجميع الإنس والجن ما لا يحصى إلا بكلفة⁷²⁰

*قال نبينا صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بخمس جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأى رجل أدركته الصلاة فعنده مسجده وطهوره وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وقال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة وقد قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} {سبأ} 28 وقال تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} {الأعراف} 158 فمحمد صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى جميع الثقلين إنسهم وجنهم عربهم وعجمهم ملوكهم وزهادهم

⁷²⁰الجواب الصحيح ج: 1 ص: 336

الاولياء منهم وغير الاولياء فليس لأحد الخروج عن متابعتة باطنا
وظاهرا ولا عن متابعتة ما جاء به من الكتاب والسنة في دقيق ولا
جليل لا في العلوم ولا الاعمال⁷²¹

* هناك قسم منافقون وان اظهروا الاسلام وكان في بعضهم
زهادة وعبادة يظنون ان الى الله طريقا غير الايمان بالرسول
ومتابعته وان من اولياء الله من يستغنى عن متابعتة الرسول
كاستغناء الخضر عن متابعتة موسى وفي هؤلاء من يفضل شيخه
او عالمه او ملكه على النبي صلى الله عليه وسلم اما تفضيلا مطلقا
او في بعض صفات الكمال وهؤلاء منافقون كفار يجب قتلهم بعد
قيام الحجة عليهم فإن الله تعالى بعث محمدا الى جميع الثقلين
انسهم وجنهم وزهادهم وملوكهم وموسى عليه السلام انما بعث الى
قومه لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا كان يجب على الخضر اتباعه
بل قال له انى على علم من علم الله تعالى علمنيه الله لا تعلمه وانت
على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وقد قال النبي وكان
النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال الله
تعالى {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} الأعراف 158 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} سبأ⁷²² 28

القرآن مملوء من دعوة أهل الكتاب إلى اتباعه ويكفر من لم يتبعه منهم

* وهذا القرآن الذي يعرف كل أحد أنه الكتاب الذي جاء به مملوء
من دعوة أهل الكتاب إلى اتباعه ويكفر من لم يتبعه منهم ويذمه
ويلعنه والوعيد له كما في تكفير من لم يتبعه من المشركين وذمه

⁷²¹ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 234

⁷²² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 49

والوعد كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آوَوْا الْكِتَابَ آمِنُوا بَمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } النساء 47 وفي القرآن من قوله يا أهل الكتاب يا بني إسرائيل ما لا يحصى إلا بكلفة وقال تعالى { لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } البينة 1 إلى قوله { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ } {7} البينة 7 ومثل هذا في القرآن كثير جدا وقد قال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } الأعراف 158 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ } سبأ 28 واستفاض عنه فضلت على الأنبياء بخمس ذكر فيها أنه قال كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة بل تواتر عنه أنه بعث إلى الجن والإنسان فإذا علم بالإضطرار بالنقل المتواتر الذي تواتر كما تواتر ظهور دعوته أنه دعا أهل الكتاب إلى الإيمان به وأنه حكم بكفر من لم يؤمن به منهم وأنه أمر بقتالهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وأنه قاتلهم بنفسه وسراياه وأنه ضرب الجزية عليهم وقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وغنم أموالهم فحاصر بني قينقاع ثم أجلاهم إلى أذرعات وحاصر بني النضير ثم أجلاهم إلى خيبر وفي ذلك أنزل الله سورة الحشر ثم حاصر بني قريظة لما نقضوا العهد وقتل رجالهم وسبى حريمهم وأخذ أموالهم وقد ذكره الله تعالى في سورة الأحزاب وقاتل أهل خيبر حتى فتحها وقتل من رجالهم وسبى من سبى من حريمهم وقسم أرضهم بين المؤمنين وقد ذكرها الله تعالى في سورة الفتح وضرب الجزية على النصراني وفيهم أنزل الله سورة آل عمران وغزا النصراني عام تبوك وفيها أنزل الله سورة براءة وفي عامة السور المدنية مثل البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وغير ذلك من السور المدنية من دعوة أهل الكتاب وخطابهم مالا تتسع هذه الفتوى لعشره ثم خلفاؤه بعده أبو بكر وعمر ومن معهما من المهاجرين والأنصار

الذي يعلم أنهم كانوا أتبع الناس له وأطوعهم لأمره وأحفظهم لعهد
وقد غزوا الروم كما غزوا فارس وقاتلوا أهل الكتاب كما قاتلوا
المجوس فقاتلوا من قاتلهم وضربوا الجزية على من أداها منهم عن
يد وهم صاغرون ومن الأحاديث الصحيحة عنه قوله والذي نفسي
بيده لا يسمع بي من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي
إلا دخل النار قال سعيد بن جبير تصديق ذلك في كتاب الله
تعالى { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } هود: 17
ومعنى الحديث متواتر عنه معلوم بالإضطرار فإذا كان الأمر
كذلك لزم بأنه رسول الله إلى كل الطوائف فإنه يقرر بأنه رسول
الله لا يكذب ولا يقاتل الناس على طاعته بغير أمر الله ولا يستحل
دماءهم وأموالهم وديارهم بغير إذن الله⁷²³

طلب العلم فرض خصوصا أمر النبوة

* وطلب العلم فرض خصوصا أمر النبوة فإن النظر في أمر من
قال { **إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً** } الأعراف: 158 مقدم
على كل شيء إذ كان التصديق بهذا مستلزما لغاية السعادة
والتكذيب به مقتضيا لغاية الشقاوة فبالرسول يحصل الفرق بين
السعداء والأسقياء وبين الحق والباطل والهدى والضلال والفرق
بين أولياء الله وأعدائه⁷²⁴

* قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } التوبة: 33 والله سبحانه وتعالى
أرسل رسله بالعلم النافع والعمل الصالح فمن اتبع الرسل حصل له
سعادة الدنيا والآخرة وإنما دخل في البدع من قصر في اتباع
الأنبياء علما وعملا ولما بعث الله محمدا بالهدى ودين الحق
تلقى ذلك عنه المسلمون أمته فكل علم نافع وعمل صالح عليه

⁷²³ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 206

⁷²⁴ الجواب الصحيح ج: 5 ص: 134

أمة محمد أخذوه عن نبيهم مع ما يظهر لكل عاقل أن أمته اكمل
الأمم في جميع الفضائل العلمية والعملية ومعلوم أن كل كمال في
الفرع المتعلم هو من الأصل المعلم وهذا يقتضي أنه كان أكمل
الناس علما ودينا وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان
صادقا في قوله { إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً } الأعراف 158
لم يكن كاذبا مفتريا فإن هذا القول لا يقوله إلا من هو من خيار
الناس وأكملهم إن كان صادقا أو هو من شر الناس وأخبثهم إن كان
كاذبا وما ذكر من كمال علمه ودينه يناقض الشر والخبث
والجهل فتعين أنه متصف بغاية الكمال في العلم والدين وهذا
يستلزم أنه كان صادقا في قوله { إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً }
{ الأعراف 158 لأن الذي لم يكن صادقا إما أن يكون متعمدا
للكذب أو مخطئا والأول يوجب أنه كان ظالما غاويا والثاني
يقتضي أنه كان جاهلا ضالا وكمال علمه ينافي جهله وكمال دينه
ينافي تعمد الكذب فالعلم بصفاته يستلزم العلم بأنه لم يكن متعمدا
للكذب ولم يكن جاهلا يكذب بلا علم وإذا انتفى هذا وذاك تعين أنه
كان صادقا عالما بأنه صادق ولهذا نزهه الله عن هذين الأمرين
بقوله تعالى { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ } 1 { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا
غَوَىٰ } 2 { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ } 3 { إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } 4
النجم 1-4 وقال تعالى عن الملك الذي جاء به { إِنَّهُ لَقَوْلُ
رَسُولٍ كَرِيمٍ } 19 { ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ } 20 { مُطَاعٍ ثَمَّ
أَمِينٍ } 21 { التكوير 19-21 ثم قال عنه { وَمَا صَاحِبُكُمْ
بِمَجْنُونٍ } 22 { وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ } 23 { وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ
بِضَنِينٍ } 24 { التكوير 22-24 أي بمتهم أو بخيل كالذي لا يعلم إلا
بجعل أو لمن يكرمه { وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ } 25 { فَأَيْنَ
تَذْهَبُونَ } 26 { إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } 27 { التكوير 25-27
وقال تعالى { وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 192 { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ } 193 { عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } 194 { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ
مُبِينٍ } 195 { الشعراء 192-195 إلى قوله { هَلْ أُنبئُكُمْ عَلَىٰ مَن
نَنْزَلُ الشَّيَاطِينَ } 221 { تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ } 222 { يُلقون

السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ {223} الشعراء 221-223 بين
 سبحانه أن الشيطان إنما ينزل على من يناسبه ليحصل به غرضه
 فإن الشيطان يقصد الشر وهو الكذب والفجور ولا يقصد الصدق
 والعدل فلا يقترن إلا بمن فيه كذب إما عمدا وإما خطأ فإن الخطأ
 في الدين هو من الشيطان أيضا كما قال ابن مسعود لما سئل عن
 مسألة أقول فيها برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني
 ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه⁷²⁵

* أنه إذا علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله وأن الله
 تعالى مصدقه في قوله إني رسول الله إليكم فالرسول هو المخبر
 عن المرسل بما أمره أن يخبر به علم بذلك أنه صادق فيما يخبر
 به عن الله تعالى إذ الكاذب فيما يخبر به ليس برسول في ذلك كما
 أن الذي لم يرسل بشيء قط هو كاذب في كل ما يخبر به عن
 زعم أنه أرسله بالأمر كما قال صلى الله عليه وسلم إذا حدثتكم عن
 الله فلن أكذب على الله وكما يعلم أنه صادق في قوله إني رسول الله
 إليكم يعلم أنه صادق في قوله إن الله تعالى يقول لكم كذا ويأمركم
 بكذا فتكذبيه في هذا الخبر المعين كتكذبيه في الأخبار بأصل
 الرسالة والطرق التي بها يعلم صدقه في المطلق يعلم بها صدق في
 المعين وأولى فإن ما دل على الصدق في كل ما يخبر عن الله دل
 على الصدق في هذا الخبر المعين كالمعجزة وإن المعجزة دلت
 على صدقه في دعواه ودعواه أنني صادق على الله فيما أخبر به
 عنه لم يدع الصدق عليه في بعض الأمور التي يخبر بها عنه دون
 بعض بل قال الله فيما أخبر به عنه ولو تقول علينا بعض
 الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين⁷²⁶

{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }

⁷²⁵ الجواب الصحيح ج: 5 ص: 445-447

⁷²⁶ العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 215

* وهذا مدح مطلق لمن تمسك بالتوراة ليس في ذلك مدح لمن كذب المسيح ولا فيها مدح لمن كذب محمداً ونظيرها قوله تعالى {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} آل عمران 113 {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} الأعراف 159 وهذا يتناول من كان متصفاً منهم بهذا قبل النسخ فإنهم كانوا على الدين الحق الذي لم يبدل ولم ينسخ⁷²⁷

من كان في دار كفر ففعل ما يقدر عليه من الحق لا يواخذ بما عجز عنه

* فمن عرف أن دين الاسلام حق وهو بين النصارى فاذا فعل ما يقدر عليه من الحق لا يواخذ بما عجز عنه وهؤلاء كالجاشى وغيره وقد أنزل الله في هؤلاء آيات من كتابه كقوله تعالى {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ} آل عمران 199 وقوله {وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} الأعراف 159 وقوله {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} المائدة 83⁷²⁸

أتى الأنبياء من الآيات ما آمن على مثله البشر

* فجعل الله الانبياء والمرسلين من اهل بيت ابراهيم علي السلام وجعل لكل منهم خصائص ورفع بعضهم فوق بعض درجات وآتى كلا منهم من الآيات ما آمن على مثله البشر فجعل لموسى العصا حية حتى ابتلعت ما صنعت السحرة الفلاسفة من الحبال والعصى وكانت شيئاً كثيراً وفلق له البحر حتى صار يابساً والماء واقفاً

⁷²⁷ الجواب الصحيح ج: 2 ص: 212

⁷²⁸ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 74

حاجزا بين اثني عشر طريقا على عدد الاسباط وارسل معه القمل والضفادع والدم وظلل عليه وعلى قومه الغمام الأبيض يسير معهم وانزل عليهم صبيحة كل يوم المن والسلوى واذا عطشوا ضرب موسى بعصاه الحجر { فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ } البقرة 60⁷²⁹

* فموسى كان الله يطعمهم على يده المن والسلوى مع كثرة بني إسرائيل ويفجر لهم بضربه للحجر كل يوم اثني عشر عينا يكفيهم وهذا أعظم من إنزال المسيح عليه السلام للمائدة ومن قلب الماء خمرا ونحو ذلك مما يحكى عنه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين⁷³⁰

يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفَعوني

* قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفَعوني فالله أجل من أن يحتاج إلى عباده لينفعوه أو يخاف منهم أن يضره وإذا كان المخلوق العزيز لا يتمكن غيره من قهره فمن له العزة جميعا وكل عزة فمن عزته أبعد عن ذلك وكذلك الحكيم المخلوق إذا كان لا يفعل بنفسه ما يضرها فالحق جل جلاله أولى أن لا يفعل ذلك لو كان ممكنا فكيف إذا كان ممتنعا قال تعالى { وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } الأعراف 160 فقد بين أن العصاة لا يضرونه ولا يظلمونه كعصاة المخلوقين فان ممالك السيد وجند الملك وأعوان

⁷²⁹ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 605

⁷³⁰ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 19

الرجل وشركاءه اذا عصوه فيما يأمرهم ويطلبه منهم فقد يحصل له بذلك ضرر في نفسه أو ماله أو عرضه أو غير ذلك وقد يكون ذلك ظلماً له والله تعالى لا يقدر أحد على أن يضره ولا يظلمه وان كان الكافر على ربه ظهيرا فمظاهرتة على ربه ومعاداته له ومشاقته ومحاربتة عادت عليه بضرره وظلمه لنفسه وعقوبته في الدنيا والآخرة وأما النفع فهو سبحانه غني عن الخلق لا يستطيعون نفعه فينفعوه فما أمرهم به اذا لم يفعلوه لم يضره بذلك⁷³¹

ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب

* قال تعالى { وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } الأعراف 160 والتحقيق أن ظلم النفس جنس عام يتناول كل ذنب وفي الصحيحين أن أبا بكر قال يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم وفي صحيح مسلم وغيره أن النبي كان يقول في استفتاحه اللهم أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت وقد قال أبو البشر وزوجته { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 وقال موسى { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 وقال ذوالنون يونس { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنبياء 87 وقالت بلقيس { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي

⁷³¹ النبوات ج: 1 ص: 100

وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { النمل 44 } وقد قال عن
أهل القرى المعذبين { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
{ هود 101 }⁷³²

السجود اسم جنس وهو كمال الخضوع لله

*والسجود هو الخضوع قال تعالى { **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا** }
الأعراف 161 قال أهل اللغة السجود في اللغة هو الخضوع
وقال غير

واحد من المفسرين أمروا أن يدخلوا ركعا منحنين فإن الدخول مع
وضع الجبهة على الأرض لا يمكن وقد قال تعالى { **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ**
يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ } الحج 18 وقال
تعالى { **وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا**
{ الرعد 15 } ومعلوم أن سجود كل شيء بحسبه ليس سجود هذه
المخلوقات وضع جباهها على الأرض وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث أبي ذر لما غربت الشمس إنها تذهب
فتسجد تحت العرش رواه البخاري ومسلم فعلم أن السجود اسم
جنس وهو كمال الخضوع لله وأعز ما في الإنسان وجهه فوضعه
على الأرض لله غاية خضوعه ببدنه وهو غاية ما يقدر عليه من
ذلك ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد
من ربه وهو ساجد وقال تعالى { **وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** } العلق 19
فصار من جنس أذكار الصلاة التي تشرع خارج الصلاة كالتسبيح
والتحميد والتكبير والتهليل وقراءة القرآن وكل ذلك يستحب له
الطهارة ويجوز للمحدث فعل ذلك بخلاف ما لا يفعل إلا في
الصلاة كالركوع فإن هذا لا يكون إلا جزءا من الصلاة وأفضل
أفعال الصلاة السجود وأفضل أقوالها القراءة وكلاهما مشروع في

⁷³² مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 693

غير الصلاة فيسرت العبادة لله لكن الصلاة أفضل الأعمال فاشتراط لها أفضل الأحوال واشتراط للفرض ما لم يشترط للنفل من القيام والاستقبال مع القدرة والركوع هو سجود خفيف كما قال تعالى { **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا** } البقرة 58 قالوا ركعا ⁷³³

أمرُوا بالخضوع لله والاستغفار

* قال تعالى { **وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ** } الاعراف 161 فهنا لما أمرهم بالسكنى وهي

المقام قال { **وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ** } الاعراف 161 ولم يحتج أن يقال رعدا فإن الساكن المقيم مطمئن وهناك قال { **ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ** } البقرة 58 قال { **فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَعْدًا** } البقرة 58 فبين أنهم يأكلون رعدا فيتهنون لا يخافون الخروج وبسط الكلام في البقرة وذكر الدخول لأنه قبل السكنى ولهذا قال رعدا وقال وسنزيد وقال { **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ** } البقرة 58 وقدم السجود لأنه أهم وقد اختلفوا في هذا السجود فقيل هو الركوع كما روى ابن أبي حاتم من وجهين ثابتين عن سفيان الثوري عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس في قوله { **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا** } الاعراف 161 قال ركعا من باب صغير فدخلوا من قبل أستاذهم وقالوا حنطة وقيل بل هو السجود بالأرض ثم قيل ما رواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس قال سجدا قال كان سجود أحدهم على خده وروى عن وهب بن منبه قال إذا دخلتموه فاسجدوا شكرا لله فكأن صاحب هذا القول جعل السجود بعد الدخول ومن قال بهذا أو قال بأنهم أمروا بالركوع فهو يقول دخولهم وهم سجد بالأرض فيه صعوبة وقد يؤدي أحدهم ولكن هو ممكن فإن الإنسان يمكنه حال السجود

⁷³³ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 73 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 284

أن يزحف إذا كانت الأرض لا تؤذيه وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لهم ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون حبة في شعرة فهذا هو الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما في ذلك أقوالا تخالف هذا فقال خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فدخلوا على شق وروى السدي عن أبي سعد الأزدي عن أبي الكنود عن ابن مسعود فدخلوا مقتعي رؤوسهم قال ابن أبي حاتم اختلف التابعون فروى عن مجاهد نحو قول عكرمة عن ابن عباس وروى عن السدي نحو ما روى عن ابن مسعود وعن مقاتل أنهم دخلوا منكفئين وأما القول فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا حبة في شعره وإذا ثقبت الحبة وأدخلت فيها الشعرة فإنه يقال حبة في شعرة ويقال شعرة في حبة وهذا معنى ما رواه السدي عن مرة عن ابن مسعود أنه قال إنهم قالوا هطى سمقاتا أزبه مزبا وهي بالعربية حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعرة سوداء فذلك قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم وكذلك رواه السدي عن أبي سعد الأزدي عن أبي الكنود عن ابن مسعود وهذا موافق لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لكن النبي صلى الله عليه وسلم إنما تكلم بالعربية وهذا اللفظ أخذه ابن مسعود عن أهل الكتاب وهذا أصح من قول ابن عباس أنهم قالوا حنطة مع أن هذا مروى عن غير واحد قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك والحسن والربيع ويحيى بن رافع نحو ذلك لكن قد يقال الحبة هي الحنطة وهم لم يقولوا بالعربية بل بلسانهم وهم إذا قالوا بلسانهم ما معناه حبة حنطة جاز أن يقال حنطة وحديث ابن مسعود وقد ذكر أنهم قالوا حبة حنطة فلا يكون في القول خلاف وأبو الفرج ذكر خمسة أقوال وهي ترجع إلى هذا ذكر الحديث المرفوع والثاني حنطة والثالث أنهم قالوا حبة حنطة حمراء فيها شعرة سوداء قاله ابن مسعود والرابع كذلك إلا أنهم قالوا مثقوبة قاله السدي عن أشياخه قلت كلاهما رواه السدي عن ابن

مسعود وهما قول واحد قال والخامس أنهم قالوا استقلبا قاله أبو صالح قلت هذا الذي ذكره ابن مسعود بلسانهم سمقتا وقد فسره بذلك قال الأقوال كلها واحدة بخلاف صفة الدخول فإن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنهم دخلوا يزحفون على أستاههم وفي لفظ على أوراكهم والمعنى واحد وما نقل خلاف هذا فإنما أخذ عن أهل الكتاب وقد كان يؤخذ عنهم الحق والباطل وقول ابن مسعود مقتعي رؤوسهم لا يناقض الزحف على أستاههم وابن عباس قال يزحفون على أستاههم كالمرفوع وقال قيل ادخلوا ركعا فلو جزمنا أن هذا مأخوذ عن النبي صلى الله عليه وسلم لجزمنا بأن الله أمرهم بالركوع لكن ظاهر القرآن هو السجود والسجود المطلق هو السجود المعروف وكون الباب جعل صغيرا إنما يكون لمن يكره على الدخول منه ليحتاج أن ينحني وهؤلاء قصدت طاعتهم فأمروا بالخضوع لله والإستغفار فدخولهم سجدا هو خضوع لله وقولهم حطه أي احطط عنا خطايانا هو استغفارهم

ملاحظة في قوله تعالى {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} البقرة 58 وقدم السجود لأنه أهم كما اشار الى ذلك ابن تيمية وباجتهاد مني انه قدم السجود لانه قال {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} البقرة 58 ومن الطبيعي عند الدخول يدخلوا سجدا وبعد ذلك يداوموا على قول حطة بينما في قوله تعالى {وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} الأعراف 161 قدم قولوا حطة على السجود لانهم هنا سكنوا فينبغي ان يداوموا على قول حطة وان خرجوا و دخلوا ان يدخلوا ساجدين والله اعلم⁷³⁴

أن الله يحب الايمان و العمل الصالح و يرضى ذلك

*فإن مذهب السلف و الأئمة أن الله يخلق لحكمة و يأمر لحكمة و مذهب السلف و الأئمة أن الله يحب الايمان و العمل الصالح و يرضى ذلك و لا يحب الكفر و الفسوق و العصيان و ان كان قد شاء وجود ذلك و قد بسط هذا في موضع آخر { وقد قال تعالى { وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً } البقرة 58 فإن نفس السجود خضوع لله و لو فعله الانسان لله مع عدم علمه أنه أمر به انتفع كالسحرة الذين سجدوا قبل الامر بالسجود وكذلك قول العبد حط عنا خطايانا دعاء لله و خضوع و قد قال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } البقرة 186

735

الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله و يجمع الإتيان

بالفعل الحسن

* قال تعالى { وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ } الاعراف 161 و أما الإحسان فقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قد قيل أن الإحسان هو الإخلاص و التحقيق أن الإحسان يتناول الإخلاص و غيره و الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله و يجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله قال تعالى { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 112 و قال تعالى { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النساء 125⁷³⁶

⁷³⁵ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 147

⁷³⁶ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 622

*والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازماً لصاحبه أو متعدياً إلى الغير ⁷³⁷

الآيات التي يجعلها الله دلالة على صدق الأنبياء هي مما ينزله

* والآيات التي يجعلها الله دلالة على صدق الأنبياء هي مما ينزله كما قال { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً } { الأنعام 37 } وقال { إِنَّ نَسْأَ نُنَزِّلُ عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ } { الشعراء 4 } وقال تعالى { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ } { الاعراف 162 } ⁷³⁸

أغلب ما أوقع الناس في الحيل الظلم و الجهل

* و لقد تأملت أغلب ما أوقع الناس في الحيل فوجدته أحد شيئين إما ذنوب جوزوا عليها بتضييق في أمورهم فلم يستطيعوا دفع هذا الضيق إلا بالحيل فلم تزدهم الحيل إلا بلاء كما جرى لأصحاب السبب من اليهود كما قال تعالى { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } { النساء 160 } وهذا الذنب ذنب عملي و إما مبالغة في التشديد لما اعتقدوه من تحريم الشارع فاضطرهم هذا الاعتقاد الى الاستحلال بالحيل و هذا من خطأ الاجتهاد و إلا فمن اتقى الله و أخذ ما أحل له و أدى ما و جب عليه فإن الله لا يحوجه الى الحيل المبتدعة أبدا فإنه سبحانه لم يجعل علينا في الدين من حرج و إنما بعث نبينا صلى الله عليه و سلم بالحنيفية السمحة فالسبب الأول هو الظلم و السبب الثاني هو عدم العلم و

⁷³⁷ مجموع الفتاوى ج: 30 ص: 370

⁷³⁸ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 278

الظلم و الجهل هما و صف للانسان المذكور في قوله { وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } الأحزاب 72⁷³⁹

* وقد عاتب الله من أسقط الواجبات و استحل المحرمات بالحيل
و المخادعات كما ذكر في سورة ن و في قصة اهل السبت
و في الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لا ترتكبوا
ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل و قال أيوب
السختياني يخادعون الله كما يخادعون الصبيان لو أتوا الأمر على
وجهه لكان أهون علي⁷⁴⁰

* وقد عذب الله أهل الجنة الذين احتالوا على أن لا يتصدقوا و عذب الله
القرية التي كانت حاضرة البحر لما استحلوا المحرم بالحيلة بان
مسخهم قرده و خنازير و عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لا
ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل⁷⁴¹

التحريم قد يكون حمية وقد يكون عقوبة

* أن الحسنات سبب للتحليل دينا وكونا و السيئات سبب للتحريم
دينا وكونا فان التحريم قد يكون حمية وقد يكون عقوبة و الاحلال
قد يكون سعة وقد يكون عقوبة و فتنة قال تعالى { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 الآية و هي بينة في الاصلاح و التقوى
و الاحسان موجبة لرفع الحرج و ان المؤمن العامل الصالحات
المحسن لا حرج عليه ولا جناح فيما طعم فان فيه عون له وقوة
على الايمان و العمل الصالح و الاحسان و من سواهم على الحرج
و الجناح لان النعم إنما خلقها الله ليستعان بها على الطاعة و الآية

⁷³⁹ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 45-46

⁷⁴⁰ مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 336

⁷⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 393

مدنية وهي من آخر ما نزل من القرآن وقال تعالى عن إبراهيم {
 وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 } البقرة 126 واما الطرف الآخر فقال تعالى {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ
 الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ
 سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا
 يَفْسُقُونَ } الأعراف 163 ⁷⁴²

"إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه "

*فإن الذي يتعدى حدود الله هو الظالم و تارك الإنكار عليه قد
 يجعل غير ظالم لكونه لم يشاركه و قد يجعل ظالما باعتبار ما ترك
 من الإنكار الواجب و على هذا قوله {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
 أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا
 كَانُوا يَفْسُقُونَ } الأعراف 165 فأنجى الله الناهين و أما أولئك
 الكارهون للذنب الذين قالوا { لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا } الأعراف 164
 فالأكثرين على أنهم نجوا لأنهم كانوا كارهين فأنكروا بحسب
 قدرتهم و أما من ترك الإنكار مطلقا فهو ظالم يعذب كما قال
 النبي صلى الله عليه وسلم إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه
 أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه و هذا الحديث موافق للآية ⁷⁴³

صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

*ان صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فأن صلاح
 المعاش والعباد فى طاعة الله ورسوله ولا يتم ذلك الا بالأمر

⁷⁴² مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 154

⁷⁴³ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 390

بالمعروف والنهي عن المنكر وبه صارت هذه الأمة خير أمة
 أخرجت للناس قال الله تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
 تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} آل عمران 110 وقال
 تعالى {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} آل عمران 104 وقال تعالى
 {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} التوبة 71 وقال تعالى عن بني اسرائيل
 {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
 { المائدة 79 وقال تعالى {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا
 الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 يَفْسُقُونَ} الأعراف 165 فأخبر الله تعالى ان العذاب لما نزل
 نجى الذين ينهون عن السوء وأخذ الظالمين بالعذاب الشديد
 وفي الحديث الثابت ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه خطب
 الناس على منبر رسول الله فقال ايها الناس انكم تقرءون هذه
 الآية وتضعونها في غير موضعها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ
 أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} المائدة 105 وانى سمعت
 رسول الله يقول إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك ان
 يعمهم الله بعقاب من عنده وفي حديث آخر ان المعصية اذا
 خفيت لم تضر الا صاحبها ولكن اذا ظهرت فلم تنكر ضرت
 العامة فالأمر بالمعروف مثل الصلاة والزكاة والصيام والجمعة
 والصدق والأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام وحسن العشرة مع
 الأهل والجيران ونحو ذلك فالواجب على ولي الأمر أن يامر
 بالصلوات المكتوبات جميع من يقدر على أمره ويعاقب التارك
 بإجماع المسلمين⁷⁴⁴

⁷⁴⁴ السياسة الشرعية ج: 1 ص: 64 و مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 306-310

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} {165}
فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِيِينَ} {166} الاعراف 165-166

الأعمال هي سبب في الثواب و العقاب

* الأعمال هي سبب في الثواب و العقاب فلو قال قائل إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب و أنه قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا توبة و إنه علم ذلك كان هذا كذبا و بهتاناً بخلاف ما إذا قال {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} {البقرة 37} {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} طه 121 فإنه يكون صادقا في ذلك و الله سبحانه علم ما يكون من آدم قبل أن يكون و هو عالم به بعد أن كان و كذلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح و عاد و ثمود و فرعون و لوط و مدين و غيرهم بذنوبهم و أنه نجى الأنبياء و من إتبعهم بإيمانهم و تقواهم كما قال {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} {الأعراف 165} و قال {فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} {العنكبوت 40} ⁷⁴⁵

الإيمان بالقدر من أصول الإيمان

* و القرآن و السنة تثبت القدر و تقدير الأمور قبل أن يخلقها و أن ذلك في كتاب و هذا أصل عظيم يثبت العلم و الإرادة لكل ما

سيكون و يزيل إشكالات كثيرة ضل بسببها طوائف في هذا المكان
في مسائل العلم و الإرادة فالإيمان بالقدر من أصول الإيمان
كما ذكره النبي صلى الله عليه و سلم في حديث جبريل قال
الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و بالبعث بعد
الموت و تؤمن بالقدر خيره و شره و قد تبرأ ابن عمر و غيره
من الصحابة من المكذبين بالقدر و مع هذا فطائفة من أهل
الكلام و غيرهم لا تثبت القدر إلا علما أزليا و إرادة أزلية فقط و
إذا أثبتوا الكتابة قالوا إنها كتابة لبعض ذلك و أما من يقول إنه
قدرها حينئذ كما في صحيح مسلم عن عبدالله ابن عمرو عن النبي
صلى الله عليه و سلم أنه قال قدر الله مقادير الخلائق قبل أن
يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة و كان عرشه على
الماء فقد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع و هو
كقوله **{وَإِذْ تَأْتِي رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ {الأعراف 167}** و قوله **{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ
تَّبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ {ص 85}** و قوله **{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لُكَانَ لِرِزَامٍ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى {طه 129}** و قوله **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا
لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ {171}** **{إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ {172}** **{وَإِنَّ جُنَدَنَا
لَهُمُ الْعَالِيُونَ {173}** **{الصفات 171- 173}** و قوله **{لَوْلَا كِتَابٌ مِّنْ
اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {الأنفال 68}** و الكتاب في
نفسه لا يكون أزليا و في حديث رواه حماد بن سلمة عن الأشعث
بن عبدالرحمن الجرمي عن أبي قلابة عن أبي الأشعث
الصنعاني عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه و سلم
قال إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات و الأرض بالفى
سنة أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة رواه الترمذي و قال
غريب و هو سبحانه أنزل القرآن ليلة القدر من اللوح المحفوظ
إلى بيت العزة في السماء الدنيا و كثير من الكتب المصنفة في

أصول الدين و الكلام يوجد فيها الأقوال المبتدعة دون القول الذي
جاء به الكتاب و السنة ⁷⁴⁶

يمتع أن يكون شيء على خلاف ما علم الله سبحانه و أخبر به و كتبه و قدره

* أن الأمر و النهي و الثواب و العقاب و المعاد مما لا بد منه و ينكر على من ظن أو حسب أن ذلك لا يكون و هو يقتضي وجوب وقوع ذلك وأنه يمتع أن لا يقع و هذا متفق عليه بين أهل الملل المصدقين للرسول من المسلمين و غيرهم من جهة تصديق الخبر فإن الله أخبر بذلك و خبره صدق فلا بد من وقوع مخبره و هو واجب بحكم وعده و خبره فإنه إذا علم أن ذلك سيكون و أخبر أنه سيكون فلا بد أن يكون فيمتع أن يكون شيء على خلاف ما علمه و أخبر به و كتبه و قدره و أيضا فإنه قد شاء ذلك و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و لا بد أن يقع كل ما شاءه لكن هل يقال إن المشيئة موجبة فيه نزاع و كذلك يقال إن ذلك و جب لإيجابه له على نفسه أو لإقتضاء حكمته ذلك فيه أيضا نزاع و ما أقسم ليفعله فلا بد أن يقع و القسم متضمن معنى الخبر و معنى الحض و الطلب لكن في ثبوت الثاني في حق الله نزاع بين الناس كقوله {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 85 و قوله {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} {الأعراف 167} والذين قالوا إن حكمته أو حكمه أو مشيئته توجب ذلك يقولون إن ذلك قد يعرف بالعقل فيقولون أنه قد يعرف بالعقل أنه لا بد من إرسال الرسول و أن ذلك واجب في حكمه و حكمته و هذا قول كثير من الطوائف أو أكثرهم و منهم من

يقول لا يعلم شيء من ذلك إلا بالخبر و هذا قول الجهمية و
الأشعرية وذاك قول المعتزلة و الكرامية و الحنفية أو أكثرهم
و أما أصحاب مالك و الشافعي و أحمد فمنهم من يقول بهذا و لكن
جمهور الفقهاء مع السلف يثبتون الحكمة و التعليل و إنما ينفي ذلك
منهم من وافق الجهمية المجبرة كالأشعري و من وافقه و كذلك
جمهورهم يثبتون للأفعال صفات بها كانت حسنة أو سيئة قبيحة لا
يجعلون حسنها و قبحها ترجيحاً لأحد الأمرين بلا مرجح بل
لمحض المشيئة كما تقوله الجهمية و من وافقهم هذا قول الأئمة
و الجمهور كما أن الأئمة و الجمهور على إثبات القدر و الإيمان
به و أن الله خالق كل شيء و أنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن لا
يقولون بقول من أنكر القدر من المعتزلة و نحوهم و لا يقول من
أنكر حكمة الرب من الجهمية المجبرة و نحوهم فلا يقولون
بقول القدرية النفاة للقدر و لا بقول القدرية المجبرة الذين يستلزم
قولهم إنكار الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و الجزاء بالثواب و
العقاب لا سيما من أفصح منهم بذلك أو قال إن من شهد القدر سقط
عنه الأمر و النهي و الوعد و الوعيد فأمروا بما جاءت به
الرسل في الجملة و أوجبوا ما أوجبه الله و حرموا ما حرمه الله و
أمروا بالجنة و النار و اجتهدوا في متابعة الرسل لكن أخطأوا حيث
نفوا القدر و ظنوا أن إثباته يناقض الأمر و النهي و الوعد و
الوعيد و أنه لا يتم إيمانهم بأن الله عادل صادق حتى يكذبوا بالقدر
و بإخراج أهل الكبائر من النار ظناً منهم أن الله أخبر بأن كل من
كان له ذنب يستحق به العذاب لا يخرج من النار و لا يرحمه أبداً
فلم يجوزوا أن يعذب بذنبه ثم يرحم بل عندهم من كان له ذنب
يستحق به العذاب لم يرحم أبداً و هم و إن كانوا لم يتعمدوا
تكذيب الرسل فقولهم هذا يتضمن مخالفة الأخبار المتواترة عند
أهل العلم بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في خروج أهل
الذنوب من النار و شفاعة الشفعاء فيهم و يتضمن أنهم آيسوا الخلق
من رحمة الله مع تكذيبهم بعموم خلق الله و مشيئته و قدرته حيث
زعموا أن من الحوادث ما لا يقدر عليه و لا يشاؤه و لا يخلقه و

تشبهوا بالمجوس من هذا الوجه حتى قيل القدرية مجوس هذه الأمة
 و قابلهم أولئك فتوقفوا في خبر الله مطلقا حتى أنكروا صنفى
 العموم فلم يعلموا بخبره ما أخبر به من الوعد و الوعيد فلا
 يجزمون بالنجاة للصنف الذين يعلم الله أنهم آمنوا و عملوا
 الصالحات و كانوا من أعظم الناس طاعة لله إذا كان لأحدهم سيئة
 واحدة صغيرة و لا بالعذاب للصنف الذين يعلم الله أنهم أفجر أهل
 القبلة و شرها بل يجوزون مع علم الله بهذا و بهذا أن يعذب أهل
 الحسنات الكبيرة على سيئة صغيرة عذابا ما يعذبه أحدا من أهل
 القبلة و أن يدخل فجار أهل القبلة الجنة مع السابقين الأولين و
 بسط الكلام على هؤلاء و هؤلاء له مقام آخر⁷⁴⁷

الشر لم يرد فى أسماء الله سبحانه و إنما و رد فى مفعولاته

*قالت طوائف من المسلمين و أهل الكلام و الفقه و غيرهم من
 الحنفية و الحنبلية و غيرهم و من الكرامية و الصوفية و كثير من
 المتفلسفة جميع ما يحدثه الله عز و جل فى الوجود من الضرر فلا
 بد فيه من حكمة قال الله تعالى { صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ
 { النمل 88 و قال { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ { السجدة 7 و الضرر
 الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شرا مطلقا و إن كان شرا
 بالنسبة إلى من تضرر به و لهذا لا يجيء فى كلام الله تعالى و كلام
 رسوله صلى الله عليه و سلم إضافة الشر و حده إلى الله بل لا يذكر
 الشر إلا على أحد و جوه ثلاثة إما أن يدخل فى عموم
 المخلوقات فإنه إذا دخل فى العموم أفاد عموم القدرة و المشيئة و
 الخلق و تضمن ما إشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم و إما أن
 يضاف إلى السبب الفاعل و إما أن يحذف فاعله فالأول كقوله
 تعالى { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ { الزمر 62 و نحو ذلك و من هذا

⁷⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 497-501

الباب أسماء الله المقترنة كالمعطي المانع و الضار النافع المعز
المدل الخافض الرافع فلا يفرد الإسم المانع عن قرينه و لا
الضار عن قربنه لإن إقترانهما يدل على العموم و كل ما فى الوجود
من رحمة و نفع و مصلحة فهو من فضله تعالى و ما فى الوجود
من غير ذلك فهو من عدله فكل نعمة منه فضل و كل نقمة منه
عدل كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال
يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل و النهار أرأيتم ما أنفق
منذ خلق السموات و الأرض فإنه لم يغيض ما فى يمينه و بيده
الأخرى القسط يخفض و يرفع فأخبر أن يده اليمنى فيها
الإحسان إلى الخلق و يده الأخرى فيها العدل و الميزان الذى به
يخفض و يرفع فحفضه و رفعه من عدله و إحسانه إلى خلقه من
فضله و أما حذف الفاعل فمثل قول الجن {وَأَنَا لَا نَدْرِي
أَشْرٌ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} الجن 10 و
قوله تعالى فى سورة الفاتحة {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 و نحو ذلك و إضافته
إلى السبب كقوله {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} الفلق 2 و قوله {فَأَرَدْتُ
أَنْ أَعْيِبَهَا} الكهف 79 مع قوله {فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
وَيَسْتَخِرَّ جَا كَنْزَهُمَا} الكهف 82 و قوله تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ
حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} النساء 79 و قوله
{رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا} الأعراف 23 و قوله تعالى {أَوْلَمَّا
أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ
أَنفُسِكُمْ} آل عمران 165 و أمثال ذلك ولهذا ليس من أسماء
الله الحسنى أسم يتضمن الشر و إنما يذكر الشر فى مفعولاته كقوله
{نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} 49} و أَنْ عَدَابِي هُوَ الْعَذَابُ
الْأَلِيمُ} 50} الحجر 49-50 و قوله {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} الأعراف 167 و قوله {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} المائدة 98 و قوله {إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} 12} {إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ} 13} وَهُوَ الْغَفُورُ
الْوَدُودُ} 14} البروج 12-14 فبين سبحانه أن بطشه شديد و أنه

هو الغفور الودود وقوله { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } الرعد6 وقوله { غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ } غافر3

وهذا لأن ما يخلقه من الأمور التي فيها شر بالنسبة إلى بعض الناس فله فيها حكمة هو بخلقه لها حميد مجيد له الملك وله الحمد فليست بالإضافة إليه شرا ولا مذمومة فلا يضاف إليه ما يشعر بنقيض ذلك كما أنه سبحانه خالق الأمراض والأوجاع والروائح الكريهة والصور المستقبحة والأجسام الخبيثة كالحيات والعذرات لما له في ذلك من الحكمة البالغة ⁷⁴⁸

* وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعاء الإستفتاح و الخير ببيدك و الشر ليس إليك و سواء أريد به أنه لا يضاف إليك و لا يتقرب به إليك أو قيل إن الشر إما عدم و إما من لوازم العدم و كلاهما ليس إلى الله فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه الخير و أسماؤه تدل على صفاته و ذلك كله خير حسن جميل ليس فيه شر و إنما وقع الشر في المخلوقات قال تعالى { نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } {49} وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ } {50} الحجر 49-50 و قال تعالى { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } المائدة98 و قال تعالى { إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } الأعراف167 فجعل المغفرة و الرحمة من معاني أسمائه الحسنی التي يسمى بها نفسه فتكون المغفرة و الرحمة من صفاته و أما العقاب الذي يتصل بالعباد فهو مخلوق له و ذلك هو الأليم فلم يقل و إني أنا المعذب ⁷⁴⁹

أهل الكتاب تفرقوا و اختلفوا قبل إرسال محمد إليهم

⁷⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 8 ص:95-96 و منهاج السنة النبوية ج: 3 ص:143-144

⁷⁴⁹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 95

* فإن أهل الكتاب تفرقوا و اختلفوا قبل إرسال محمد إليهم كما أخبر الله بذلك في غير موضع فقال تعالى { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } المائدة 14 و قال عن اليهود { وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } المائدة 64 وقال { وَقَطَعْنَا هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ } الأعراف 168

و قد جاءت الأحاديث في السنن و المسند من و جوه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال تفرقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة و ستفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة و إن كان بعض الناس كابن حزم يضعف هذه الأحاديث فأكثر أهل العلم قبلوها و صدقوها و في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم و إختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه و إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم و في الصحيحين عنه أنه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا و أوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له الناس لنا فيه تبع غدا لليهود و بعد غد للنصارى و هذا معلوم بالتواتر أن أهل الكتاب اختلفوا و تفرقوا قبل إرسال محمد صلى الله عليه و سلم بل اليهود اختلفوا قبل مجيء المسيح ثم لما جاء المسيح اختلفوا فيه ثم اختلف النصارى اختلفا آخر⁷⁵⁰

المراد بالحسنات والسيئات

*والذي عليه عامة المفسرين أن الحسنات و السيئات يراد بهما النعم و المصائب ليس المراد مجرد ما يفعله الانسان باختياره باعتباره من الحسنات أو السيئات و لفظ الحسنات و

⁷⁵⁰ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 493-490

السِّيَّاتِ فِي كِتَابِ اللَّهِ يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا قَالَ تَعَالَى {وَبَلَّوْنَاَهُمْ
بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} {الأعراف 168} قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنِ الْمُنَافِقِينَ {إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ
يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} {آل
عمران 120} وَكَقَوْلِهِ {إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ} {50}
قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ} {51} التوبة 50- 51 كما قال تعالى { وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ
وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} {الأنبياء 35} أَي بِالنَّعْمِ وَالْمَصَائِبِ وَقَالَ تَعَالَى
فِي حَقِّ الْكُفَّارِ الْمُتَطَيِّرِينَ بِمُوسَى وَمِنْ مَعَهُ {فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ
قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيِّرُوا بِمُوسَى وَمِنْ مَعَهُ
{الأعراف 131} ذَكَرَ هَذَا بَعْدَ قَوْلِهِ {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ} {الأعراف 130} وَأَمَّا
الْأَعْمَالُ الْمَأْمُورُ بِهَا وَالْمَنْهَى عَنْهَا فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى {مَنْ
جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا
{الأنعام 160} وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَانِ الْمَرَادُ بِهَا الطَّاعَةُ وَالْمَعْصِيَةُ وَفِي
كُلِّ مَوْضِعٍ مَا يَبِينُ الْمَرَادُ بِاللَّفْظِ فَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ بِحَمْدِ اللَّهِ
تَعَالَى أَشْكَالٌ بَلْ هُوَ مُبِينٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قَالَ مَا أَصَابَكَ وَمَا مَسَكَ
وَنَحْوُ ذَلِكَ كَانَ مِنْ فِعْلِ غَيْرِكَ بِكَ كَمَا قَالَ {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ
فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} {النساء 79} وَكَمَا قَالَ
تَعَالَى {إِنْ تُصِيبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ} {50} التوبة 50 وَقَالَ تَعَالَى
{وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} {الشورى 48} وَإِذَا قَالَ
{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ} {الأنعام 160} كَانَتْ مِنْ فِعْلِهِ لِأَنَّهُ هُوَ الْجَائِي
بِهَا فَهَذَا يَكُونُ فِعْمًا فَعْلُهُ الْعَبْدُ لَا فِعْمًا فَعْلُ بِهِ ⁷⁵¹

*قَالَ تَعَالَى {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ
مُشِيدَةً وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ
يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُوْلَاءِ الْقَوْمِ لَا

⁷⁵¹ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 237 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 117 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 442

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا {78} مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ {79} النساء 78-79 والمراد بالحسنات والسيئات هنا النعم والمصائب كما قد سمي الله ذلك حسنات وسيئات في غير هذا الموضع من القرآن كقوله **{وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** الأعراف 168 أي بالسراء والضراء ولهذا قال **{وَمَا أَصَابَكَ}** النساء 79 ولم يقل ما أصبت وهكذا قال السلف ففي رواية أبي صالح عن ابن عباس أن الحسنة الخصب والمطر والسيئة الجذب والغلاء وفي رواية الوالبي عنه أن الحسنة الفتح والغنيمة والسيئة والهزيمة والجراح ونحو ذلك وقال في هذه الرواية ما أصابك من حسنة ما فتح الله عليه يوم بدر والسيئة ما أصابه يوم أحد وكذلك قال ابن قتيبة الحسنة الغنيمة والنعمة والسيئة البلية وروى ذلك عن أبي العالية وروى عنه أن الحسنة الطاعة والسيئة المعصية ⁷⁵²

إن الله يبتلي بالحلو والمر

* قوله **{مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** النساء 79 فقد دخل في ذلك نعم الدنيا كلها كالعافية والرزق والنصر وتلك حسنات يبتلي الله العبد بها كما يبتليه بالمصائب هل شكر أم لا وهل يصبر أم لا كما قال تعالى **{وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ}**

وَالسَّيِّئَاتِ} الأعراف 168 أي إمتحناهم و إختبرناهم بالسراء والضراء وقال **{وَنَبَّلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْيَرِ فَنَتَّهَ}** الأنبياء 35 **{فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ}** {15} **وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ}** {16} الفجر 15
16- الآيات ⁷⁵³

* قال تعالى **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}** {42} **{فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا}**

⁷⁵² منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 139 و منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 140 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 57

⁷⁵³753753 مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 100 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 239

وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {43} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ {44} فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {45} الانعام 42-45 فهنا أخبر أنه بالعذاب الأدنى ما استكانوا وما تضرعوا حتى أخذهم بالإهلاك كما قال فقد ذمهم أنهم لم يتضرعوا لما أخذهم بالبأساء والضراء فإنه بعد هذا بدل الحالة السيئة بالحالة الحسنة فلم يطيعوا فأخذهم بالعذاب بغتة فهنا أخذهم أولا بالضراء ليضرعوا فلم يتضرعوا فابتلاهم الله بالسراء ليطيعوا فلم يطيعوا فأخذهم بالعذاب وهذا كقوله تعالى **{ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** {الأعراف 168} فهؤلاء ابتلوا بالضراء أولا ثم بالسراء ثانيا وقد أخبر أنه ما أرسل في قرية من نبي إلا كانوا هكذا⁷⁵⁴

*فإن الله يبتلي بالحو والمرك كما قال تعالى { وَنَبَلُوكُم بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } الأنبياء 35 وقال **{ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } {الأعراف 168}** فمن ابتلاه الله بالمر بالبأساء والضراء والبأس وقدر عليه رزقه فليس ذلك إهانة له بل هو ابتلاء فإن أطاع الله في ذلك كان سعيدا وإن عصاه في ذلك كان شقيا كما كان مثل ذلك سببا للسعادة في حق الأنبياء والمؤمنين وكان شقاء وسببا للشقاء في حق الكفار والفجار وقال تعالى { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ } البقرة 177 وقال تعالى { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزَلُوا } البقرة 214 { وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ } التوبة 101 وقال تعالى { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة 21

⁷⁵⁴رسالة في لفظ السنة في القرآن ج: 1 ص: 57

وقال تعالى {وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} المؤمنون 76 وكما أن الحسنات وهي المسار الظاهرة التي يبنتلي بها العبد تكون عن طاعات فعلها العبد فكذلك السيئات وهي المكاره التي يبنتلي بها العبد تكون عن معاصي فعلها العبد كما قال تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} النساء 79 وقال تعالى {أَوَلَمَّْا أَصَابَكُم مَّصِيبَةٌ فَمَا تُصِيبُوا قُلُوبَكُمْ مِمَّا آتَاكُمْ مِنْهُ وَقُلُوا هَذَا هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} آل عمران 165 وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} الشورى 30 وقال تعالى {فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ {النساء 62} وقال تعالى وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ} الشورى 48 ثم تلك المسار التي هي من ثواب طاعته إذا عصي الله فيها كانت سببا لعذابه والمكاره التي هي عقوبة معصيته إذا أطاع الله فيها كانت سببا لسعادته فتدبر هذا لتعلم أن الأعمال بخواتيمها وأن ما ظاهره نعمة هو لذة عاجلة قد تكون سببا للعذاب وما ظاهره عذاب وهو ألم عاجل قد يكون سببا للنعيم وما هو طاعه فيما يري الناس قد يكون سببا لهلاك العبد برجوعه عن الطاعة إذا ابتلي في هذه الطاعة وما هو معصية فيما يري الناس قد يكون سببا لسعادة العبد بتوبته منه وتصبره على المصيبة التي هي عقوبة ذلك الذنب فالأمر والنهي يتعلق بالشيء الحاصل فيؤمر العبد بالطاعة مطلقا وينهي عن المعصية مطلقا ويؤمر بالشكر على كل ما يتنعم به وأما القضاء والقدر وهو علم الله وكتابه وما طابق ذلك من مشيئته وخلقه فهو باعتبار الحقيقة الآجلة فالأعمال بخواتيمها والمنعم عليهم في الحقيقة هم الذين يموتون على الإيمان⁷⁵⁵

لا يقتضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له

⁷⁵⁵ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 167-169

*وما روى مسلم في صحيحه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يقتضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيرا له وليس ذلك لأحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان كل قضاء يقضيه الله للمؤمن الذى يصبر على البلاء ويشكر على السراء فهو خير له قال تعالى { **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** } إبراهيم 5 وذكرهما فى اربعة مواضع من كتابه فأما من لا يصبر على البلاء ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم ان يكون القضاء خيرا له ولهذا اجيب من اورد هذا على ما يقضى على المؤمن من المعاصى بجوابين احدهما ان هذا انما يتناول ما اصاب العبد لا ما فعله العبد كما فى قوله تعالى { **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ** } النساء 79 اى من سراء { **وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ** } النساء 79 اى من ضراء وكقوله تعالى { **وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** } الأعراف 168 اى بالسراء والضراء كما قال تعالى { **وَتَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً** } الأنبياء 35 وقال تعالى { **إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَأَيُضْرِكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً** } آل عمران 120 فالحسنات والسيئات يراد بها المسار والمضار ويراد بها الطاعات والمعاصى والجواب الثانى ان هذا فى حق المؤمن الصبار الشكور والذنوب تنقض الايمان فاذا تاب العبد أحبه الله وقد ترتفع درجته بالتوبة قال بعض السلف كان داود بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة فمن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير أن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة وذلك انه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه ويعجب بها ويعمل السيئة فتكون نصب عينه فيستغفر الله ويتوب اليه منها وقد ثبت فى الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال **الاعمال بالخواتيم** والمؤمن اذا فعل سيئة فان عقوبتها تندفع عنه بعشرة أسباب أن يتوب فيتوب الله عليه فان التائب من الذنب كمن

لأذنب له أو يستغفر فيغفر له أو يعمل حسنات تمحوها فان الحسنات يذهبن السيئات أو يدعو له اخوانه المؤمنون ويستغفرون له حيا وميتا أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به أو يشفع فيه نبيه محمد أو يبتليه الله تعالى في الدين بمصائب تكفر عنه أو يبتليه في البرزخ بالصعقة فيكفر بها عنه أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما يكفر عنه أو يرحمه ارحم الراحمين فمن اخطأته هذه العشرة فلا يلومن الا نفسه كما قال تعالى فيما يروى عنه رسول الله يا عبادى انما هي اعمالكم احصيتها لكم ثم او فيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه⁷⁵⁶

النعم والرحمة والخير كله من الله فضلا وجودا

*والمراد بالسيئات ما يسوء العبد من المصائب وبالحسنات ما يسره من النعم كما قال { وَبَلَّوْنَاَهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ } الأعراف168 فالنعم والرحمة والخير كله من الله فضلا وجودا من غير أن يكون لأحد من جهة نفسه عليه حق وإن كان تعالى عليه حق لعباده فذلك الحق هو أحقه على نفسه وليس ذلك من جهة المخلوق بل من جهة الله كما قد بسط هذا في مواضع⁷⁵⁷

*قال تعالى { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَّا لَهُوْلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } {78} مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } {79} النساء78-79 وان المراد بالحسنات والسيئات في هذه الآية النعم والمصائب كما في قوله

⁷⁵⁶ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 45

⁷⁵⁷ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 42

تعالى {وَبَلَّوْنَاَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ {الأعراف168 وقوله تعالى {فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ {الأعراف131 وقوله تعالى {إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ نَسُّوهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا {آل عمران120 وقوله تعالى {وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ {غافر9 ونحو ذلك وهذا كثير وهذه الآية ذم الله بها المنافقين الذين ياكلون عما أمر الله به من الجهاد وغيره فإذا نالهم رزق ونصر وعافية قالوا {هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ {النساء78 وإن نالهم فقر وذل ومرض قالوا {هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ {النساء78 يامحمد بسبب الدين الذي أمرتنا به كما قال قوم فرعون لموسى وذكر الله ذلك عنهم بقوله تعالى {فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ {الأعراف131 وكما قال الكفار لرسول عيسى {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ {يس18 فالكفار والمنافقون إذا أصابتهم المصائب بذنوبهم تطيروا بالمؤمنين فبين الله سبحانه أن الحسنه من الله ينعم بها عليهم وأن السيئه أنا تصيبهم بذنوبهم ولهذا قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ {الأنفال33 فأخبر أنه لا يعذب مستغفرا لأن الإستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب فيندفع العذاب كما فى سنن أبى داود وابن ماجه عن النبى أنه قال من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقد قال تعالى {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ {2} وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ {3} {هود2-3 فبين أن من وحده واستغفره متعه متاعا حسنا إلى أجل مسمى ومن عمل بعد ذلك خيرا زاده من فضله وفى الحديث يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا إله إلا الله والإستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم بذنوب ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولهذا قال تعالى {فَأَخَذْنَاَهُمْ

بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ {الأنعام 42 أي فهلا إذ جاءهم
بأسنا تضرعوا فحقهم عند مجيء البأس التضرع وقال تعالى
{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ
{المؤمنون 76 قال عمر بن عبد العزيز ما نزل بلاء إلا بنذب ولا
رفع إلا بتوبة ولهذا قال تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ
جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
{آل عمران 173 {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ
فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ {173}
فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ {174} إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا
تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ {175} آل عمران 173-175
فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان وأمرهم بخوفه وخوفه
يوجب فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والإستغفار من الذنوب
وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداد فلماذا قال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه لا يخافن عبد إلا ذنبه وإن سلط عليه مخلوق
فما سلط عليه إلا بذنوبه فليخف الله وليتب من ذنوبه التي ناله بها
ما ناله كما في الأثر يقول الله أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك
ونواصيهم بيدي من اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني
جعلتهم عليه نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك وأطيعوني أعطف
قلوبهم عليكم⁷⁵⁸

بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب الاستئصال

*وكان قبل نزول التوراة يهلك الله المكذبين للرسول بعذاب
الاستئصال عذابا عاجلا يهلك الله به جميع المكذبين كما أهلك قوم
نوح وكما أهلك عادا وثمود وأهل مدين وقوم لوط وكما أهلك قوم
فرعون وأظهر آيات كثيرة لما أرسل موسى ليبقى ذكرها وخبرها
في الأرض إذ كان بعد نزول التوراة لم يهلك أمة بعذاب

الاستئصال بل قال تعالى {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} القصص 43 بل كان بنو إسرائيل لما يفعلون ما يفعلون من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقى بعضهم إذ كانوا لم يتفقوا على الكفر ولهذا لم يزل في الأرض أمة من بني إسرائيل باقية قال تعالى لما ذكر بني إسرائيل {وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} الأعراف 168⁷⁵⁹

*قال تعالى { وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } 168 { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } 169 { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } 170 { الأعراف 168-170 وهذا يتناول من كان متصفا منهم بهذا قبل النسخ فإنهم كانوا على الدين الحق الذي لم يبدل ولم ينسخ فهذا خبر من الله عن من كان متصفا بهذا الوصف قبل مبعث محمد ومن أدرك من هؤلاء محمدا فأمن به كان له أجره مرتين⁷⁶⁰

لفظ العقل في القرآن

*ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لعلمكم تعقلون وقوله {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 وقوله {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ} آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على

⁷⁵⁹الجواب الصحيح ج: 6 ص: 442

⁷⁶⁰الجواب الصحيح ج: 2 ص: 213

ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك 10 وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا} الحج 46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها الانسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الاسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الانسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء⁷⁶¹

*الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضرة وهذا من العقل الذى ميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ العقل فى القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضرة⁷⁶²

{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ}

⁷⁶¹مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

⁷⁶²مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 311

*فالذي جاء به الكتاب والسنة النهي عن أمور منها القول على الله بلا علم كقوله {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف33 ومنها أن يقال عليه غير الحق كقوله {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} الأعراف169 وقوله {لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} النساء171 الواجب أن لا يقال إلا الحق⁷⁶³

*لا يجوز لأحد أن يقفو ما ليس له به علم ولا يقول على الله ما لا يعلم قال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} الإسراء36 وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف33 وقال تعالى {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} الأعراف169 وقد قالت الملائكة لما قال لهم {أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {31} قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} {32} البقرة31-32 وقد قال موسى للخضر {أَتَّبِعْكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا} الكهف66 وقال الحضر لموسى لما نفر العصفور في البحر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر⁷⁶⁴

"من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"

⁷⁶³ الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 453 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 309 و دره التعارض ج: 1 ص: 47 و منهاج السنة النبوية

ج: 1 ص: 300

⁷⁶⁴ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 230

* ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم ولهذا قال الفقهاء الأسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله { وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ } النساء 19 ونحو ذلك وروى عن ابن عباس أنه قال تفسير القرآن أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب فاسم الصلاة والزكاة والصيام والحج ونحو ذلك قد بين الرسول ما يراد بها في كلام الله ورسوله وكذلك لفظ الخمر وغيرها ومن هناك يعرف معناها فلو أراد أحد أن يفسرها بغير ما بينه النبي لم يقبل منه واما الكلام في اشتقاقها ووجه دلالتها فذلك من جنس علم البيان وتعليل الأحكام هو زيادة في العلم وبيان حكمة ألفاظ القرآن لكن معرفة المراد بها لا يتوقف على هذا واسم الإيمان والاسلام والنفاق والكفر هي أعظم من هذا كله فالنبي قد بين المراد بهذه الألفاظ بيانا لا يحتاج إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق وشواهد استعمال العرب ونحو ذلك فهذا الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله فإنه شاف كاف بل معرفة هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامة بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول ويضطر بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنبا كافرا ويعلم أنه لو قدر أن قوما قالوا للنبي نحن نؤمن بما جئنا به بقلوبنا من غير شك ونقر بألسنتنا بالشهادتين إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرنا به ونهيت عنه فلا نصلى ولا نصوم ولا نحج ولا نصدق الحديث ولا نؤدى الأمانة ولا نفى بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئا من الخير الذي أمرت به ونشرب الخمر وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ونأخذ أموالهم بل نقتلك أيضا ونقاتلك مع أعدائك هل كان يتوعد عاقل أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم أنتم مؤمنون كاملوا الإيمان وأنتم أهل شفاعتي يوم القيامة ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار بل كل مسلم يضر بالاضطرار أنه يقول لهم أنتم أكفر الناس بما جئت به ويضرب رقابهم ان لم يتوبوا من ذلك وكذلك كل مسلم يعلم أن شارب الخمر والزاني والقاذف

والسارق لم يكن النبي يجعلهم مرتدين يجب قتلهم بل القرآن والنقل المتواتر عن
 يبين أن هؤلاء لهم عقوبات غير عقوبة المرتد عن الاسلام كما ذكر الله في القرآن
 جلد القاذف والزاني وقطع السارق وهذا متواتر عن النبي ولو كانوا مرتدين
 لقتلهم فكلا القولين مما يعلم فساد بالاضطرار من دين الرسول وأهل البدع
 إنما دخل عليهم الداخل لانهم أعرضوا عن هذه الطريق وصاروا بينون دين
 الاسلام على مقدمات يظنون صحتها اما في دلالة الالفاظ وإما في المعاني
 المعقولة ولا يتأملون بيان الله ورسوله وكل مقدمات تخالف بيان الله ورسوله فإن
 تكون ضلالا ولهذا تكلم أحمد في رسالته المعروفة في الرد على من يتمسك بما
 يظهر له من القرآن من غير استدلال ببيان الرسول والصحابة والتابعين وكذلك
 ذكر في رسالته الى ابي عبدالرحمن الجرجاني في الرد على المرجئة وهذه
 طريقة سائر أئمة المسلمين لا يعدلون عن بيان الرسول إذا وجدوا الى ذلك سبيل
 ومن عدل عن سبيلهم وقع في البدع التي مضمونها أنه يقول على الله ورسوله
 لا يعلم أو غير الحق وهذا مما حرمه الله ورسوله وقال تعالى في الشيطان
 {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} {168} إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا
 لَا تَعْلَمُونَ} {169} البقرة 168-169 وقال تعالى { أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ
 الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ } الأعراف 169 وهذا من تفسير القرآن
 بالرأى الذي جاء فيه الحديث من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار
 765

* وأمره وایانا في غير موضع ان نتبع ما انزل الينا دون ما خالفه
 فقال { المص } {1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ
 مِنْهُ لِنُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ
 وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } {3} الأعراف 1-3 وبين
 حال الذين ورثوا الكتاب فخالفوه والذين استمسكوا به فقال
 { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى
 وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا } الأعراف 169 الى قوله { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ

بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ
{الأعراف 170} 766

أدلة الحق لا تتناقض

* {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ
وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33} وقال تعالى {إِنَّمَا
يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ
} البقرة 169 وقال تعالى {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
} الإسراء 36 وقال تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} النساء 171 وقال تعالى {أَلَمْ يُؤْخَذْ
عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ} {الأعراف 169
وكما أن الانسان لا يجوز له أن يثبت شيئا الا بعلم فلا يجوز له أن
ينفي شيئا الا بعلم ولهذا كان النافي عليه الدليل كما ان المثبت عليه
الدليل ومما يجب ان يعرف أن أدلة الحق لا تتناقض
فلا يجوز اذا اخبر الله بشيء سواء كان الخبر اثباتا أو نفيًا ان يكون
في اخباره ما يناقض ذلك الخبر الاول ولا يكون فيما يعقل بدون
الخبر ما يناقض ذلك الخبر المعقول فالادلة المقتضية للعلم لايجوز
أن تتناقض سواء كان الدليلان سمعيين أو عقليين أو كان أحدهما
سمعيًا والآخر عقليًا ولكن التناقض قد يكون فيما يظنه بعض الناس
دليلا وليس بدليل كمن يسمع خبرا فيظنه صحيحا ولا يكون كذلك
او يفهم منه ما لا يدل عليه او تقوم عنده شبهة يظنها دليلا عقليا
وتكون باطلة التبس عليه فيها الحق بالباطل فيكذب بها ما أخبر الله
به ورسوله وهذا من اسباب ضلال من ضل من مكذبي الرسل اما
مطلقا كالذين كذبوا جميع الرسل كقوم نوح وشمود وعاد ونحوهم
واما من آمن ببعض وكفر ببعض كمن آمن من اهل الكتاب ببعض
الرسل دون بعض ومن آمن من الفلاسفة ببعض ما جاءت به

الرسول دون بعض ومن أهل البدع من أهل الملل المسلمين واليهود والنصارى من اتوا من هذا الوجه فانه قامت عندهم شبهات ظنوا انها تنفي ما أخبرت به الرسول من اسماء الله تعالى وصفاته وظنوا ان الواجب حينئذ تقديم ما رأوه على النصوص لشبهات قد بسط الكلام عليها في غير هذا الموضوع وبين ضلال من ضل من الجهمية المتفلسفة والمعتزلة ومن وافقهم من بعض ضلالهم⁷⁶⁷

مدح الله وأثنى على من كان له عقل

*قال تعالى { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَى خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } الاعراف 169 وقال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لَأُولِي النُّهَى } طه 54 أى العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حُجْرٍ } الفجر 5 أى لذي عقل وقال تعالى { وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } البقرة 197 وقال { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } الأنفال 22 وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فأما من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل قال تعالى عن أهل النار { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الملك 10 وقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } الاعراف 179 وقال { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44⁷⁶⁸

⁷⁶⁷ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 514-515

⁷⁶⁸ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 437

تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة

*أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله ووجوب اتباعه وبيان
الاهتداء به في كل ما يحتاج إليه الناس من دينهم وأن النجاة
والسعادة في اتباعه والشقاء في مخالفته وما دل عليه من اتباع
السنة والجماعة قال الله تعالى { قَالَ اهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى } {123} { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيراً } {125} { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
تُنْسَى } {126} طه 123-126 قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ
القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم
قرأ هذه الآية وقال تعالى { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا
مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ
مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } {52} { صِرَاطِ
اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ
الْأُمُورُ } {53} الشورى 52-53 وقال تعالى { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ
بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ
{ الأعراف 170⁷⁶⁹

إقامة الصلاة من أعظم التمسك بالكتاب

*قال تعالى { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
{ الأعراف 170 ان الصلاة هي أعرف المعروف من
الأعمال وهي عمود الاسلام وأعظم شرائعة وهي قرينة الشهادتين
وانما فرضها الله ليلة المعراج وخاطب بها الرسول بلا واسطة لم
يبعث بها رسولا من الملائكة وهي آخر ما وصى به النبي أمته
وهي المخصوصة بالذكر في كتاب الله تخصيصا بعد تعميم كقوله

تعالى { **وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** } الأعراف 170
وقوله { **أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ** } العنكبوت 45
وهي المقرونه بالصبر وبالزكاة وبالنسك وبالجهاد فى مواضع من
كتاب الله كقوله تعالى { **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** } البقرة 45
وقوله { **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** } البقرة 43 وقوله { **إِنَّ صَلَاتِي**
وَنُسُكِي } الأنعام 162 وقوله { **أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ**
تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا } الفتح 29 وقوله { **وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ**
الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا
فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ
وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ } النساء 102 الى وقوله { **فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا**
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا } النساء 103
وأمرها أعظم من ان يحاط به فاعتناء ولاة الامر بها يجب أن
يكون فوق اعتنائهم بجميع الاعمال ولهذا كان أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب رضى الله عنه يكتب الى عماله ان أهم أمركم عندي
الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما
سواها أشد إضاعة رواه مالك وغيره وهي أول ما أوجبه الله من
العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة
المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته
وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم
وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وآخر ما يفقد من الدين
فإذا ذهبت ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهبت سقط الدين
قال النبي رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد
فى سبيل الله وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فإنها قوام
الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها فى كتابه فوق جميع العبادات فإنه
سبحانه يخصصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة
وبالنسك تارة⁷⁷⁰

⁷⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 70 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 430

* فإن قيل فإذا كان جميع ما يحبه الله داخلا في اسم العبادة لماذا عطف عليها غيرها كقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 وقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وقول نوح {أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا} نوح 3 وكذلك قول غيره من الرسل قيل هذا له نظائر كما في قوله {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} العنكبوت 45 والفحشاء من المنكر وكذلك قوله {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ} النحل 90 وإيتاء ذي القربى هو من العدل والاحسان كما ان الفحشاء والبغى من المنكر وكذلك قوله {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} الأعراف 170 واقامة الصلاة من اعظم التمسك بالكتاب وكذلك قوله {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} الأنبياء 90 ودعأؤهم رغبا ورهبا من الخيرات وامثال ذلك في القرآن كثير وهذا الباب يكون تارة مع كون احدهما بعض الاخر فيعطف عليه تخصيصا له بالذكر لكونه مطلوبا بالمعنى العام والمعنى الخاص وتارة تكون دلالة الاسم تنتوع بحال الانفراد والاقتران فاذا افرد عم واذا قرن بغيره خص كاسم الفقير و المسكين لما افرد احدهما في مثل قوله {لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} البقرة 273 وقوله {إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ} المائدة 89 دخل فيه الاخر ولما قرن بينهما في قوله {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ} التوبة 60 صارا نوعين وقد قيل ان الخاص المعطوف على العام لا يدخل في العام حال اقتران بل يكون من هذا الباب والتحقيق ان هذا ليس لازما قال تعالى {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} البقرة 98 وقال تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الأحزاب 7 وذكر الخاص مع العام يكون لأسباب متنوعة تارة لكونه له خاصية ليست لسائر أفراد العام كما في نوح و ابراهيم وموسى وعيسى وتارة لكون العام فيه اطلاق قد لا يفهم منه العموم كما في قوله {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} 2 {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِالْغَيْبِ وَيُؤْمِنُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ {3} وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ {4} البقرة 2-4 ف قوله { يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ {3} البقرة 3 يتناول الغيب الذي يجب الايمان به لكن فيه
اجمال فليس فيه دلالة على ان من الغيب ما انزل اليك وما انزل
من قبلك وقد يكون المقصود انهم يؤمنون بالمخبر به وهو الغيب
وبالاجبار بالغيب وهو ما انزل اليك وما انزل من قبلك ومن هذا
الباب قوله تعالى { اَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
{ العنكبوت 45 قال أحمد بن حنبل وغيره تلاوة الكتاب العمل
بطاعة الله كلها ثم خص الصلاة بالذكر وقوله { وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ { الأعراف 170 و تلاوة
الكتاب هي اتباعه كما قال ابن مسعود في قوله تعالى { الَّذِينَ
آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ { البقرة 121 قال يحلون حاله
ويحرمون حرامه ويؤمنون بمتشابهة ويعملون بمحكمه فاتباع
الكتاب يتناول الصلاة وغيرها لكن خصها بالذكر لمزيتها وكذلك
قوله لموسى { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
لِذِكْرِي { طه 14 واقامة الصلاة لذكره من اجل عبادته وكذلك قوله
تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ { المائدة 35 وقوله { اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ { التوبة 119 فإن هذه الامور هي ايضا من
تمام تقوى الله وكذلك قوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ { هود 123 فان
التوكل والاستعانة هي من عبادة الله لكن خصت بالذكر ليقصدها
المتعبد بخصوصها فانها هي العون على سائر انواع العبادة اذ هو
سبحانه لا يعبد الا بمعونته اذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق
عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت
درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه
او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واصلهم قال تعالى
{ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ {26} لَا

يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ {27} الانبياء 26-27 الى قوله
{ وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ } {28} الانبياء 28⁷⁷¹

إقامة الصلاة تتضمن إتمامها بحسب الإمكان

* قال تعالى {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
{الأعراف 170 جعل الله الاسلام مبينا على أركان خمسة ومن
أكدها الصلاة وهي خمسة فروض وقرن معها الزكاة فمن أكد
العبادات الصلاة وتليها الزكاة ففي الصلاة عبادته وفي الزكاة
الاحسان الى خلقه فكرر فرض الصلاة في القرآن في غير آية ولم
يذكرها إلا قرن معها الزكاة من ذلك قوله تعالى {وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} البقرة 43 وقال {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} التوبة 11 وقال {وَمَا أُمِرُوا
إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا
الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} البينة 5 وفي الصحيحين من حديث أبي
هريرة رواه مسلم من حديث عمر أن جبريل سأل النبي عن
الاسلام فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وعنه قال أمرت
أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول
الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا من
دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ولما بعث معاذ الى
اليمن قال له إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم
إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فان هم أطاعوك لذلك
فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة
فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ
من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوك لذلك فخذ منهم
وتوق كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله

771771 مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 174 - 176 والفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 376 و مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 169

حجاب فصل وجاء ذكر الصلاة في القرآن مجملا فبينه الرسول وان بيانه أيضا من الوحي لأنه سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة قال حسان بن عطية كان جبريل ينزل على النبي بالسنة يعلمه إياها كما يعلمه القرآن⁷⁷²

*وان الله سبحانه و تعالى أمر في كتابه بإقامة الصلاة و ذم المصلين الساهين عنها المضيعين لها فقال تعالى {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} {الأعراف 170} وقال تعالى في غير موضع {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} و إقامتها تتضمن إتمامها بحسب الإمكان كما سيأتي في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقيموا الركوع و السجود فإني أراكم من بعد ظهري و في رواية أتموا الركوع و السجود و سيأتي تقرير دلالة ذلك وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين وأخرج أصحاب السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأصحاب المسانيد كمسند احمد وغير ذلك من أصول الإسلام عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فدخل رجل ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ارجع فصل فإنك لم تصل فرجع الرجل فصلى كما كان صلى ثم سلم عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ثم قال ارجع فصل فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات فقال الرجل والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني قال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعا ثم ارفع حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم اعمل ذلك في صلاتك كلها وفي رواية للبخاري إذا قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر و اقرأ بما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راکعا ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا

⁷⁷²⁷⁷² مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 6-8

ثم ارفع حتى تستوي وتطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تستوي قائما ثم افعل ذلك في صلاتك كلها و في رواية له ثم اركع حتى تطمئن راکعا ثم ارفع حتى تستوي قائما و باقيه مثله و في رواية و إذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك و ما انتقصت من هذا فإنما انتقصته من صلاتك وعن رفاع بن رافع رضي الله عنه أن رجلا دخل المسجد فذكر الحديث و قال فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء مواضعه ثم يكبر و يحمد الله عز و جل و يثني عليه و يقرأ بما شاء من القرآن ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى يطمئن راکعا ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى يستوي قائما ثم يسجد حتى يطمئن ساجدا ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى يطمئن قائما ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله ثم يرفع رأسه فيكبر فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته و في رواية إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمر الله عز و جل فيغسل وجهه و يديه إلى المرفقين و يمسح برأسه و رجليه إلى الكعبين ثم يكبر الله و يحمده ثم يقرأ من القرآن ما أذن له و تيسر و ذكر نحو اللفظ الأول و قال ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه و ربما قال جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله و تسترخي ثم يكبر فيستوي قاعدا على مقعدته و يقيم صلبه فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاة لأحدكم حتى يفعل ذلك رواه أهل السنن أبو داود و النسائي و ابن ماجه و الترمذي و قال حديث حسن و الروايتان لفظ أبي داود و في رواية ثالثة له قال إذا قمت فتوجهت إلى القبلة فكبر ثم اقرأ بأم القرآن و بما شاء الله أن تقرأ فإذا ركعت فضع راحتك على ركبتيك و امدد ظهرك و قال إذا سجدت فمکن لسجودك فإذا رفعت فاقعد على فخذك اليسرى و في رواية أخرى قال إذا أنت قمت في صلاتك فكبر الله عز و جل ثم اقرأ ما تيسر عليك من القرآن و قال فيه فإذا جلست في وسط الصلاة فاطمئن و افترش فخذك اليسرى ثم تشهد ثم إذا قمت فمثل ذلك حتى تفرغ من صلاتك و في رواية أخرى قال فتوضأ كما

أمرك الله ثم تشهد فأتّم ثم كبير فإن كان معك قرآن فاقرأ به و إلا فاحمد الله عز و جل و كبره و هله و قال فيه و إن انتقصت منه شيئاً انتقصت من صلاتك فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر ذلك المسيء في صلاته بأن يعيد الصلاة و أمر الله و رسوله إذا أطلق كان مقتضاه الوجوب و أمره إذا قام إلى الصلاة بالطمأنينة كما أمره بالركوع و السجود و أمره المطلق على الإيجاب و أيضا قال له فإنك لم تصل فنفي أن يكون عمله الأول صلاة و العمل لا يكون منفيًا إلا إذا انتفى شيء من واجباته فأما إذا فعل كما أوجبه الله عز و جل فإنه لا يصح نفيه لانتفاء شيء من المستحبات التي ليست بواجبة⁷⁷³

الشارع استعمل الاسماء مقيدة لا مطلقة

*قال تعالى { **وَالَّذِينَ يُؤَسِّسُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ** } الأعراف 170 و بسبب الكلام في مسألة الايمان تنازع الناس هل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة أو أنها باقية في الشرع على ما كانت عليه في اللغ لكن الشارع زاد في أحكامها لا في معنى الاسماء وهكذا قالوا في اسم الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج إنها باقية في كلام الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في أحكامها ومقصودهم ان الايمان هو مجرد التصديق وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهبت طائفة ثالثة الى أن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف فهي بالنسبة الى اللغة مجاز وبالنسبة الى عرف الشارع حقيقة والتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلق كما يستعمل نظائرها ولفظ الايمان أمر به مقيدا بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذلك لفظ الإسلام بالإستسلام لله رب العالمين وقد بين الرسول تلك الخصائص والاسم دل عليها فلا يقال أنها منقولة ولا أنه زيد في الحكم دون الاسم بل الاسم انما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع لم

⁷⁷³⁷⁷³ القواعد النورانية ج: 1 ص: 26

يستعمل مطلقا وهو إنما قال {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} بعد أن عرفهم الصلاة المأمرا بها فكان التعريف منصرفا الى الصلاة التي يعرفونها لم يرد لفظ الصلاة وهم يعرفون معناه ولهذا كل من قال في لفظ الصلاة أنه عام للمعنى اللغوي أو أنه مجمل لتردده بين المعنى اللغوي والشرعي ونحو ذلك فأقوالهم ضعيفة فإن هـ اللفظ إنما ورد خبرا أو أمرا فالخبر كقوله { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {9} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {10} } العلق 9-10 وسورة اقرأ من أول ما نزل من القرآن وكان بعض الكفار أما أبو جهل أو غيره قد نهى النبي عن الصلاة وقال لئن رأيتني يصلي لأطأن عنقه فلما رآه ساجدا رأى من الهول ما أوجب نكوصه على عقبيه فإذا قيل { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {9} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {10} } العلق 9-10 فعلمت تلك الصلاة الواقعة بلا إجمال في اللفظ ولا عموم ثم أنه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج أقام النبي لهم الصلوات بمواقبتها صبيحة ذلك اليوم وكان جبرائيل يؤم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يأتون بالنبي فيقول لهم {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} عرفوا أنها تلك الصلاة وقيل أنه قبل ذلك كان له صلاتان طرفي النهار فكانت أيضا معروفة فلم يخاطبوا بإسم من هذه الأسماء الا ومسماه معلوم عندهم فلا اجمال في ذلك ولا يتناول كل ما يسمى حجا وودعا وصوما فإن هذا إنما يكون إذا كان اللفظ مطلقا وذلك لم يرد

{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُنُوا
مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ} الأعراف 171⁷⁷⁴

لطائف لغوية

1- قال تعالى { إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ } الأعراف 155 والفتنة هي الامتحان والاختبار أي امتحانك واختبارك تضل بها من خالف الرسل وتهدي بها من اتبعهم والفتنة للإنسان كفتنة الذهب إذا أدخل كير الامتحان فإنها تميز جيده من رديئه فالحق كالذهب الخالص كلما امتحن

ازداد جودة والباطل كالمغشوش المضيء إذا امتحن ظهر فساده

775

2- قال تعالى { **إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ** } الأعراف 155 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى إذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله { **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { **هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ** } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا** } الأعراف 43 وإنما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما فى قوله { **وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } الأنعام 87 وكما فى قوله { **شَاكِرًا لِّلْأَنْعَمِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ** } النحل 121 { **اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ** } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ** } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { **إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ** } 69 { **فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ** } 70 { **وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ** } 71 { **الصفات 69- 71** } وقوله { **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا** } 67 { **رَبَّنَا أَنْتُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُوهُمْ لَعْنَا كَبِيرًا** } 68 { **الأحزاب 67- 68** } وقوله { **فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى** } طه 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما فى قوله { **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**

{ النجم 2 وفي قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ }
{ الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر 47⁷⁷⁶

3- قال تعالى { **وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** }
الأعراف 155 والإختيار في لغة القرآن يراد به التفضيل
والإنتقاء والإصطفاء⁷⁷⁷

4- قال تعالى { **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ } الأعراف 156 وأصل
الزكاة الزيادة في الخير ومنه يقال زكا الزرع وزكا المال اذا نما
ولن ينمو الخير الا بترك الشر والزرع لا يزكو حتى يزال عنه
الدغل فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها
ولا يكون الرجل متزكيا الا مع ترك الشر فإنه يندس النفس
ويدسيها قال الزجاج دساها جعلها ذليلة حقيرة خسيصة⁷⁷⁸

5- قال تعالى { **يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**
{ الأعراف 157 } والمعروف اسم جامع لكل ما يحبه الله من
الإيمان والعمل الصالح والمنكر اسم جامع لكل ما كرهه الله
ونهى عنه⁷⁷⁹

6- المعروف طاعة الله وطاعة رسوله وهو الصلاح والحسنات
والخير والبر و المنكر معصية الله ومعصية رسوله وهو الفساد
والسيئات والشر والفجور⁷⁸⁰

7- تتنوع دلالة اللفظ في عمومته وخصوصه بحسب الإفراد
والاقتران كلفظ المعروف والمنكر فإنه قد قال { **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ**

⁷⁷⁶ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

⁷⁷⁷ رسالة في معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص: 137-138

⁷⁷⁸ الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 62

⁷⁷⁹ ب اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 36

⁷⁸⁰ الاستقامة ج: 2 ص: 311

أُخْرِجَتِ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { آل عمران 110 وقال { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ { التوبة 71 وقال { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ { الأعراف 157 فالمنكر يدخل فيه ما كرهه الله كما يدخل في المعروف ما يحبه الله وقد قال في موضع آخر { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ { العنكبوت 45 فعطف المنكر على الفحشاء ودخل في المنكر هنا البغي وقال في موضع آخر { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ { النحل 90 فقرن بالمنكر الفحشاء والبغي⁷⁸¹

8- كل من عصى النهي فقد عصى الأمر لأن الأمر استدعاء الفعل بالقول على وجه الاستعلاء والناهي مستدع من النهى فعلا اما بطريق القصد أو بطريق اللزوم فان كان نوعا منه فالأمر اعم والأعم أفضل وان لم يكن نوعا منه فهو أشرف القسمين ولهذا اتفق العلماء على تقديمه على النهي وبذلك جاء الكتاب والسنة قال تعالى { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ { الأعراف 157 وقال { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ { النحل 90⁷⁸²

9- وقوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ { الأنفال 24 وهو لا يدعو الا الى ذلك والتقييد هنا لا مفهوم له فانه لا يقع دعاء لغير ذلك وهذا كقوله تعالى { وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا { النور 33 فانهن اذا لم يردن تحصنا امتنع الاكراه ولكن في هذا بيان الوصف المناسب للحكم ومنه قوله تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ

⁷⁸¹ الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 326 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 275

⁷⁸² مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 120

{المؤمنون 117 وقوله { وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ } البقرة 61 فالتقييد في جميع هذا للبيان والايضاح لا لإخراج في وصف آخر ولهذا يقول من يقول من النحاة الصفات في المعارف للتوضيح لا للتخصيص وفي النكرات للتخصيص يعنى في المعارف التي لا تحتاج الى تخصيص كقوله { سَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } {1} {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى } {2} {الاعلى 1-2 وقوله {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ } {الأعراف 157 وقوله {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {2} {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } {3} الفاتحة 2-3 والصفات في النكرات اذا تميزت تكون للتوضيح أيضا⁷⁸³

10- أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت هي مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقا منها أو كان كل واحد منهما مشتقا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضايفة كالأبوة والبنوة أو كالأخوة من الجانبين ونحو ذلك فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرا مطلوباً للأمر مقصوداً له كما في قوله { وَاتَّقُوا اللَّهَ } البقرة 189 { وَأَحْسِنُوا } وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 وفي قوله { فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } {الأعراف 158 وفي قوله { اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ } المائدة 72 وفي قوله { فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا } يونس 84 فإن نفس التقوى والإحسان والإيمان والعبادة والتوكل أمور مطلوبة مقصودة بل هي نفس المأمور به⁷⁸⁴

11- عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك اذا أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت

⁷⁸³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 61

⁷⁸⁴ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 51

طاعة الرسول داخلة في طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محذور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {54} فِي مَفْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُفْتَدِرٍ {55} القمر 54- 55 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } {2} { وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } {3} الطلاق 2- 3 وقوله { فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } النساء 9 وقوله { اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } التوبة 119 وأمثال ذلك فقوله { فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } النساء 9 مثل قوله { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ } الحديد 7 وقوله { آمِنِ الرَّسُولَ فَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } البقرة 285 فعطف قولهم على الايمان كما عطف القول السديد على التقوى ومعلوم أن التقوى اذا اطلقت دخل فيها القول السديد وكذلك الايمان اذا اطلق دخل فيه السمع والطاعة لله وللرسول وكذلك قوله { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } الحديد 7 واذا اطلق الايمان بالله في حق امة محمد دخل فيه الايمان بالرسول وكذلك قوله { كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ } البقرة 285 واذا اطلق الايمان بالله دخل فيه الايمان بهذه التوابع وكذلك قوله { وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ } البقرة 4 وقوله { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا } البقرة 136 الآية واذا قيل { فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ } الأعراف 158 دخل في الايمان برسوله الايمان بجميع الكتب والرسل والنبیین وكذلك اذا قيل { وَأْمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ } الحديد 28 واذا قيل { آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ } الحديد 7 دخل في الايمان بالله ورسوله الايمان بذلك كله والانفاق يدخل في

قوله فى الآفة الأخرى { فَامِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ } الأعراف158
 كما ىءل القول السىءى فى مثل قوله { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكُتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ } النساء131 ⁷⁸⁵

12- المضاف الى الله سبحانه فى الكتاب والسنة كان منه
 اضافة المخلوقات كقوله { نَاقَةُ اللهِ } هود64 وقوله { أَنِ طَهَّرَا
 بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ } البقرة125 وقوله { رَسُولُ اللهِ
 } الأعراف158 و { عِبَادَ اللهِ } الصافات40 وقوله { ذُو
 الْعَرْشِ } غافر15 وقوله { وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
 } البقرة255 فهذا القسم لا خلاف بين المسلمين فى انه مخلوق ⁷⁸⁶

13- قال تعالى { وَمِن قَوْمٍ مُّوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ }
 { الأعراف159 } عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقيىء
 وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به
 رسوله والعمل به جميعا فىءل فىه كل ما أمر الله به كما فى قوله
 { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة6 والمراد طلب العلم بالحق
 والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة2 والمراد
 به أنهم يعلمون ما فىه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك
 قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف43 وانما
 هءاهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى
 اما بالاجتباء كما فى قوله { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ
 مُّسْتَقِيمٍ } الأنعام87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِّلنَّعْمِ اجْتَبَاهُ }
 وهءاه { النحل121 } { اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن
 يُنِيبُ } الشورى13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
 بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة33 والهدى هنا هو الايمان ودين

⁷⁸⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

⁷⁸⁶ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 144

الحق هو الاسلام واذا اطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا⁷⁸⁷

14- والإبدال من الشيء يقتضي ترك المبدل منه إذ لا يجمع بين البديل والمبدل منه كقوله تعالى {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} الأعراف⁷⁸⁸ 162

15- قال تعالى {وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} {161} {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ} {162} {وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينًا لَهُمْ يَوْمٌ سَبْتُهُمْ شُرْعًا وَيَوْمٌ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} {163} الأعراف 161-163 لفظ القرية والمدينة

والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى {وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مُّطْمَئِنَّةً} النحل 112 وقوله {وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} {4} {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ} {5} الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ} الأعراف 97 فجعل القرى هم السكان وقال {وَكَايِنَ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا تَاصِرَ لَهُمْ} محمد 13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا} الكهف 59 وقال تعالى

⁷⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

⁷⁸⁸ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 185

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا} البقرة 259
 فهذا المكان لا السكان لكن لا بد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى
 قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع
 ومنه قولهم قرية الماء في الحوض اذا جمعت فيه ونظير ذلك
 لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة
 وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا
 خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر
 كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله {وَاسْأَلِ
 الْقَرْيَةَ} يوسف 82 مثل قوله { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً
 {النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا
 حذف⁷⁸⁹

16- وقوله { **وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** } {الأعراف 164} اللام لام التعليل
 (لامات كي)⁷⁹⁰

17- أن الحسنات والسيئات في الآية المراد بها المسار والمضار
 دون الطاعات والمعاصي كما في قوله تعالى { **وَبَلَّوْنَاَهُمُ**
بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } {الأعراف 168} وهو الشر
 والخير في قوله { **وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فَنُنَّةَ** } {الأنبياء 35} وكذلك
 قوله { **إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا** } آل
 عمران 120 وقوله تعالى { **وَلَئِن أَدْقْنَا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسَّئَةٍ**
لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي } {هود 10}⁷⁹¹

⁷⁸⁹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

⁷⁹⁰ الصفدية ج: 1 ص: 148

⁷⁹¹ مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 208

18- ولفظ العرض فى اللغة له معنى وهو ما يعرض
ويزول كما قال تعالى { يَاخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى }
792 { الأعراف 169 }

19- اسم الإيمان فإنه تارة يذكر مفردا مجردا لا يقرن بالعمل
الواجب فيدخل فيه العمل الواجب تضمنا ولزوما وتارة يقرن
بالعمل فيكون العمل حينئذ مذكورا بالمطابقة والنص ولفظ الإيمان
يكون مسلوب الدلالة عليه حال الاقتران أو دالا عليه كما فى قوله
تعالى { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ
الْمُصْلِحِينَ } الأعراف 170 793

20- قال تعالى { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ } الأعراف 170 لفظ الصلاح و
الفساد فإذا أطلق الصلاح تناول جميع الخير وكذلك الفساد
يتناول جميع الشر وكذلك اسم المصلح والمفسد قال تعالى فى
قصة موسى { أترِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ
إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ
{ القصص 19 } وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي
وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } الأعراف 142 794

21- فى قوله تعالى { أيعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا
أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ } المؤمنون 35 طال الفصل بين أن وإسمها
وخبرها فأعاد أن لتقع على الخبر لتأكيد به ونظير هذا
قوله تعالى { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
{ التوبة 63 لما طال الكلام أعاد أن هذا قول الزجاج وطائفة
وأحسن من هذا أن يقال كل واحدة من هاتين الجملتين شرطية
مركبة من جملتين جزائيتين فأكدت الجملة الشرطية بأن

792 مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 300

793 العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 176

794 مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 83

على حد تأكيدها في قول الشاعر إن من يدخل الكنيسة يوماً
يلق فيها جاذراً وظباءً ثم أكدت الجملة الجزائية ب أن
إذ هي المقصودة على حد تأكيدها في قوله تعالى {وَالَّذِينَ
يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ
{الأعراف 170⁷⁹⁵

22- قال تعالى {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا
نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ {الأعراف 170 و لم يقل أجرهم تعليقا لهذا
الحكم بالوصف و هو كونهم مصلحين و ليس في الضمير ما يدل على
الوصف المذكور⁷⁹⁶

⁷⁹⁵ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 279

⁷⁹⁶ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 93

الأعراف 172-206

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
 وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن
 تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {172} أَوْ
 تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ
 أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ {173} وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ
 وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {174} وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا
 فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ {175}
 وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
 فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ
 ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ {176} سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ {177} مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي
 وَمَن يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ {178} وَلَقَدْ دَرَأْنَا
 لِحَبَّتِهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا
 وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آدَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا
 أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ {179}
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ
 فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {180} وَمِمَّنْ
 خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ {181} وَالَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ {182}
 وَأَمَلِي لَهُمْ إِنْ كَيْدِي مَتِينٌ {183} أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا
 بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {184} أَوْلَمْ
 يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ
 شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ

بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ {185} مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {186} يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ
مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ
ثَقُلْتُ فِي السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ
كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ {187} قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا
شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا
مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {188}
هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا حَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ
فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنْ
الشَّاكِرِينَ {189} فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا
آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ {190} أَيُشْرِكُونَ مَا لَا
يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ {191} وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ
نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ {192} وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى
الهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ
صَامِتُونَ {193} إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ
أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {194}
أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ
أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا
شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ {195} إِنْ وَلِيِّيَ اللَّهُ
الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ {196} وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسُهُمْ
يَنْصُرُونَ {197} وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا
وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ {198} خُذِ الْعَفْوَ
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ {199} وَإِمَّا

يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ {200} إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ
 تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ {201} وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي
 الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ {202} وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا
 اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ
 مِن رَّبِّكُمْ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {203} وَإِذَا قُرِئَ
 الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {204}
 وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
 الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ {205} إِنَّ
 الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ
 يَسْجُدُونَ {206}

{ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا }

*ليس في الرسل من قال أول ما دعا قومه إنكم مأمورون بطلب
 معرفة الخالق فانظروا و استدلوا حتى تعرفوه فلم يكلفوا أولا بنفس
 المعرفة ولا بالأدلة الموصلة إلى المعرفة إذ كانت قلوبهم تعرفه
 وتقر به وكل مولود يولد على الفطرة لكن عرض للفطرة ما غيرها
 والإنسان إذا ذكر ذكر ما في فطرته و لهذا قال الله في خطابه
 لموسى { فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ } طه 44 ما في فطرته
 من العلم الذي به يعرف ربه و يعرف إنعامه عليه و إحسانه إليه و
 إفتقاره إليه فذلك يدعو إلى الإيمان { أَوْ يَخْشَى } طه 44 ما ينذره
 به من العذاب فذلك أيضا يدعو إلى الإيمان كما قال تعالى
 { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } النحل 125
 فالحكمة تعريف الحق فيقبلها من قبل الحق بلا منازعة و من
 نازعه هواه و عظ بالترغيب والترهيب فالعلم بالحق يدعو
 صاحبه إلى إتباعه فإن الحق محبوب في الفطرة وهو أحب إليها

وأجل فيها وألذ عندها من الباطل الذي لا حقيقة له فإن الفطرة لا تحب ذلك فإن لم يدعه الحق و العلم به خوف عاقبة الجحود والعصيان وما فى ذلك من العذاب فالنفس تخاف العذاب بالضرورة فكل حى يهرب مما يؤذيه بخلاف النافع فمن الناس من يتبع هواه فيتبع الأدنى دون الأعلى كما أن منهم من يكذب بما خوف به أو يتغافل عنه حتى يفعل ما يهواه فإنه إذا صدق به و استحضره لم يبعث نفسه إلى هواها بل لابد من نوع من الغفلة و الجهل حتى يتبعه و لهذا كان كل عاص لله جاهلا كما قد بسط هذا فى مواضع إذ المقصود هنا التنبيه على أن قوله { أَقْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ } { العلق 1 } فيه تنبيه على أن الرب معروف عند المخاطبين و أن الفطر مقررة به و على ذلك دل قوله { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } { الأعراف 172 } الآية كما قد بسط الكلام عليها فى غير هذا الموضوع و كذلك قول الرسل { أَفِي اللَّهِ شَكٌّ } { إبراهيم 10 } هو نفي أي ليس فى الله شك و هو إستفهام تقرير يتضمن تقرير الأمم على ما هم مقرون به من أنه ليس فى الله شك فهذا إستفهام تقرير

797

*كما قال { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } { الأعراف 172 } فإن هذه الآية بينه فى إقرارهم وشهادتهم على أنفسهم بالمعرفة التي فطروا عليها أن الله ربهم وقال صلى الله عليه وسلم كل مولود مولد على الفطرة وطائفة من العلماء جعلوا هذا الإقرار لما استخرجوا من صلب آدم وأنه أنطقهم وأشهدهم لكن هذا لم يثبت به خبر صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم والآية لا تدل عليه وإنما الذي جاءت به الأحاديث المعروفة أنه استخرجهم وأراهم لآدم وميز بين أهل

الجنة وأهل النار منهم فعرفوا من يومئذ هذا فيه مأثور من حديث أبي هريرة رواه الترمذي وغيره بإسناد جيد وهو أيضا من حديث عمر بن الخطاب الذي رواه أهل السنن ومالك في الموطأ وهو يصلح للإعتضاد وأما إنطاقهم وإشهادهم فروى عن بعض السلف وقد روى عن أبي وابن عباس وبعضهم رواه مرفوعا من طريق ابن عباس وغيره وروى ذلك الحاكم في صحيحه لكن هذا ضعيف وللحاكم مثل هذا يروى أحاديث موضوعة في صحيحه مثل حديث زريب بن برثلمي وهامة بن الهيم وغير ذلك وبسط هذا له موضع آخر⁷⁹⁸

* والنفس بطبعها متحولة فانها حية و الارادة و الحركة الارادية من لوازم الحياة و لهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم فى الحديث الصحيح أصدق الأسماء حارث و همام فكل آدمي حارث و همام أي عامل كاسب و هو همام أي يهم و يريد فهو متحرك بالارادة وقد جاء فى الحديث مثل القلب مثل ريشة ملقاة بأرض فلاة و للقلب أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا فلما كانت الارادة و العمل من لوازم ذاتها فاذا هداها الله علمها ما ينفعها و ما يضرها فأرادت ما ينفعها و تركت ما يضرها والله سبحانه قد تفضل على بنى آدم بأمرين هما أصل السعادة أحدهما أن كل مولود يولد على الفطرة كما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو نصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } الروم 30 قال تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } الروم 30 وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه و سلم

⁷⁹⁸رسالة في فنون الأشياء ج: 1 ص: 11

قال يقول الله تعالى خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين و
 حرمت عليهم ما أحللت لهم و أمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به
 سلطانا فالنفس بفطرتها إذا تركت كانت مقرة لله بالالهية
 محبة له تعبده لا تشرك به شيئا و لكن يفسدها ما يزين لها شياطين
 الانس و الجن بما يوحى بعضهم إلى بعض من الباطل قال تعالى
 {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا
 عَنْ هَذَا غَافِلِينَ {172} أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا
 ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ {173} الأعراف 172 -

173 وتفسير هذه الآية مبسوط في غير هذا الموضوع

الثاني أن الله تعالى قد هدى الناس هداية عامة بما جعل فيهم
 بالفطرة من المعرفة و أسباب العلم و بما أنزل إليهم من الكتب و
 أرسل إليهم من الرسل قال تعالى { أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
 خَلَقَ {1} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ {2} أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ {3} الَّذِي
 عَلَّمَ بِالْقَلَمِ {4} عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ {5} العلق 1-5 و قال
 تعالى { الرَّحْمَنُ {1} عَلَّمَ الْقُرْآنَ {2} خَلَقَ الْإِنْسَانَ {3} عَلَّمَهُ
 الْبَيَانَ {4} الرحمن 1-4⁷⁹⁹

السلامة من الإعتقادات الباطلة والقبول للعقائد

الصحيحة

*أما قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه
 يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فالصواب أنها فطرة الله التي فطر
 الناس عليها وهي فطرة الإسلام وهي فطرم عليها يوم قال {أَلَسْتُ
 بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى {الأعراف 172} وهي السلامة من الإعتقادات
 الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة فإن حقيفة الإسلام أن يستلم
 لله لا لغيره وهو معنى لا إله إلا الله وقد ضرب رسول الله مثل ذلك
 فقال كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء بين

⁷⁹⁹الحسنة والسبئية ج: 1 ص: 66 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 296

ان سلامة القلب من النقص كسلامة البدن وأن العيب حادث
طارىء وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول
الله فيما يروى عن الله إني خلقت عبادى حنفاء فاجتلتهم الشياطين
وحرمت عليهم ما احلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به
سلطانا ولهذا ذهب الإمام احمد رضى الله عنه في المشهور عنه
غلى أن الطفل متى مات أحد ابويه الكفار حكم بإسلامه لزوال
الموجب للتغيير عن أصل الفطرة وقد روى عنه وعن ابن المبارك
وعنهما أنهم قالوا يولد على ما فطر عليه من شقاء وسعادة وهذا
القول لا ينافى الأول فإن الطفل يولد سليما وقد علم الله أنه سيكفر
فلا بد أن يصير إلى ما سبق له في أم الكتاب كما تولد البهيمة
جمعاء وقد علم الله أنها ستجدع وهذا معنى ما جاء في صحيح
مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله في الغلام
الذى قتله الخضر طبع يوم طبع كافر ولو ترك لأرهب أبويه طغيانا
وكفرا يعنى طبعة الله في أم الكتاب أى كتبه وأثبتته كافرا أى أنه ان
عاش كفر بالفعل ولهذا لما سئل رسول الله عن يموت من أطفال
المشركين وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين أى الله
يعلم من يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا ثم أنه قد جاء فى حديث
إسناده مقارب عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى قال إذا
كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولا فى عرصة
القيامة فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار فهناك
يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه ويجزيهم على ما ظهر من العلم
وهو إيمانهم وكفرهم لا على مجرد العلم وهذا أجود ما قيل فى
أطفال المشركين وعليه تنتزل جميع الأحاديث ومثل الفطرة
مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس وكل ذى عين لو ترك بغير
حجاب لرأى الشمس والإعتقادات الباطلة العارضة من تهود
وتنصر وتمجس مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس
وكذلك أيضا كل ذى حس سليم يحب الحلو إلا أن يعرض فى
الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو فى فمه مرا ولا يلزم من
كونهم مولدين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام

بالفعل فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئاً ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق الذى هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلماً وهذه القوة العلمية العملية التى تقتضى بذاتها الإسلام مالم يمنعها مانع هى فطرة الله التى فطر الناس عليها⁸⁰⁰

الإلتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد و محو الأسباب أن تكون أسبابا نقص فى العقل و الإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع

*سئل شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس عن الحديث الذى ورد إن الله قبض قبضتين فقال هذه للجنة و لا أبالي و هذه للنار و لا أبالي فهل هذا الحديث صحيح و الله قبضها بنفسه أو امر أحدا من الملائكة بقبضها و الحديث الآخر فى إن الله لما خلق آدم أراه ذريته عن اليمين و الشمال ثم قال هؤلاء إلى النار و لا أبالي و هؤلاء إلى الجنة و لا أبالي و هذا فى الصحيح فأجاب رضي الله عنه نعم هذا المعنى مشهور عن النبي صلى الله عليه و سلم من و جوه متعددة مثل ما فى موطأ مالك و سنن أبى داود و النسائى و غيره عن مسلم بن يسار و فى لفظ عن نعيم بن ربيعة أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية **﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ سَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾** الأعراف 172 الآية فقال عمر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى لفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل عنها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فإستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة و يعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فإستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء

للنار و بعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله إذا خلق الرجل
للجنة إستعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال
أهل الجنة فيدخله به الجنة إذا خلق الرجل للنار إستعمله بعمل أهل
النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار
وفى حديث الحكم بن سفيان عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قبض قبضة فقال إلى
الجنة برحمتى و قبض قبضة فقال إلى النار و لا أبالي و هذا
الحديث و نحوه فيه فصلان أحدهما القدر السابق و هو أن
الله سبحانه علم أهل الجنة من أهل النار من قبل أن يعملوا الأعمال
و هذا حق يجب الإيمان به بل قد نص الأئمة كمالك و الشافعي و
أحمد أن من جحد هذا فقد كفر بل يجب الإيمان أن الله علم ما
سيكون كله قبل أن يكون و يجب الإيمان بما أخبر به من أنه كتب
ذلك و أخبر به قبل أن يكون كما فى صحيح مسلم عن عبد الله بن
عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله قدر مقادير
الخلائق قبل أن يخلق السموات و الأرض بخمسين ألف سنة و كان
عرشه على الماء و فى صحيح البخارى و غيره عن عمران بن
حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كان الله و لا
شيء غيره و كان عرشه على الماء و كتب فى الذكر كل شيء و
خلق السموات و الأرض و فى لفظ ثم خلق السموات و الأرض
وفى المسند عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه و
سلم أنه قال إنى عند الله مكتوب بخاتم النبيين و أن آدم لمنجدل
فى طينته و سأبئكم بأول ذلك دعوة أبى إبراهيم و بشرى عيسى و
رؤيا أمى رأيت حين و لدتني أنه خرج منها نور أضاءت له قصور
الشام و فى حديث ميسرة الحر قلت يارسول الله متى كتبت نبيا
و فى لفظ متى كنت نبيا قال و آدم بين الروح و الجسد
وفى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال
حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو الصادق المصدوق إن
خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة

مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع
 كلمات فيقال أكتب رزقه و عمله و أجله و شقي أو سعيد ثم ينفخ
 فيه الروح قال فوالذي نفس بيده أو قال فوالذي لا إله غيره إن
 أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع
 فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وفي
 الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كنا مع
 رسول الله صلى الله عليه و سلم ببقيع الغرقد في جنازة فقال ما
 منكم أحد إلا قد كتب مقعده من النار و مقعده من الجنة فقالوا
 يارسول الله أفلا نتكل على الكتاب و ندع العمل قال إعملوا فكل
 ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل
 السعادة و أما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة
 ثم قرأ قوله تعالى { فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى } {5} وَصَدَقَ
 بِالْحُسْنَى } {6} فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى } {7} وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى } {8}
 وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى } {9} فَسَنِيْسِرُهُ لِلْعُسْرَى } {10} الليل 5-10 وفي
 الصحيح أيضا أنه قيل له يارسول الله أعلم أهل الجنة من أهل
 النار فقال نعم فقيل له ففيم العمل قال إعملوا فكل ميسر لما خلق له
 فبين النبي صلى الله عليه و سلم أن الله علم أهل الجنة من أهل النار
 و أنه كتب ذلك و نهاهم أن يتكلوا على هذا الكتاب و يدعوا العمل
 كما يفعله الملحدون و قال كل ميسر لما خلق له و أن أهل السعادة
 ميسرون لعمل أهل السعادة و أهل الشقاوة ميسرون لعمل أهل
 الشقاوة و هذا من أحسن ما يكون من البيان وذلك أن الله سبحانه
 و تعالى يعلم الأمور على ما هي عليه و هو قد جعل للأشياء أسبابا
 تكون بها فيعلم أنه تكون بتلك الأسباب كما يعلم أن هذا يولد له بأن
 يطاء امرأة فيحبها فلو قال هذا إذا علم الله أنه يولد لي فلا حاجة إلى
 الوطاء كان أحق لأن الله علم أن سيكون بما يقدره من الوطاء و
 كذلك إذا علم أن هذا ينبت له الزرع بما يسقيه من الماء و يبذره
 من الحب فلو قال إذا علم أن سيكون فلا حاجة إلى البذر كان
 جاهلا ضالا لأن الله علم أن سيكون بذلك و كذلك إذا علم الله أن
 هذا يشبع بالأكل و هذا يروي بالشرب و هذا يموت بالقتل فلا بد من

الأسباب التي علم الله أن هذه الأمور تكون بها وكذلك إذا علم أن هذا يكون سعيدا في الآخرة و هذا شقيا في الآخرة قلنا ذلك لأنه يعمل بعمل الأشقياء فالله علم أنه يشقى بهذا العمل فلو قيل هو شقي و إن لم يعمل كان باطلا لأن الله لا يدخل النار أحدا إلا بذنبه كما قال تعالى {لَأْمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص85 فأقسم أنه يملؤها من إبليس و أتباعه و من إتبع إبليس فقد عصى الله تعالى و لا يعاقب الله العبد على ما علم أنه يعمل حتى يعمل و لهذا لما سئل النبي صلى الله عليه و سلم عن أطفال المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين يعنى أن الله يعلم ما يعملون لو بلغوا و قد روى أنهم فى القيامة يبعث إليهم رسول فمن أطاعه دخل الجنة و من عصاه دخل النار فيظهر ما علمه فيهم من الطاعة و المعصية و كذلك الجنة خلقها الله لأهل الإيمان به و طاعته فمن قدر أن يكون منهم يسره للإيمان و الطاعة فمن قال أنا أدخل الجنة سواء كنت مؤمنا أو كافرا إذا علم أنى من أهلها كان مفتريا على الله في ذلك فإن الله إنما علم أنه يدخلها بالإيمان فإذا لم يكن معه إيمان لم يكن هذا هو الذى علم الله أنه يدخل الجنة بل من لم يكن مؤمنا بل كافرا فإن الله يعلم أنه من أهل النار لا من أهل الجنة و لهذا أمر الناس بالدعاء و الإستعانة بالله و غير ذلك من الأسباب و من قال أنا لا أدعوا و لا أسأل إتكالا على القدر كان مخطئا أيضا لأن الله جعل الدعاء و السؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرته و رحمته و هذاه و نصره و رزقه و إذا قدر للعبد خيرا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء و ما قدره الله و علمه من أحوال العباد و عواقبهم فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت فليس فى الدنيا و الآخرة شيء إلا بسبب و الله خالق الأسباب و المسببات و لهذا قال بعضهم الإلتفات إلى الأسباب شرك فى التوحيد و محو الأسباب أن تكون أسبابا نقص فى العقل و الإعراض عن الأسباب بالكلية قدح فى الشرع و مجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب فإن المطر إذا نزل و بذر الحب لم يكن ذلك كافيا فى حصول النبات بل لابد من ريح مربية

بإذن الله و لا بد من صرف الإنتفاء عنه فلا بد من تمام الشروط و زوال الموانع و كل ذلك بقضاه الله و قدره و كذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء فى الفرج بل كم من إنزل و لم يولد له بل لا بد من أن الله شاء خلقه فتحبل المرأة و تربيته فى الرحم و سائر ما يتم به خلقه من الشروط و زوال الموانع و كذلك أمر الأخره ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة بل هي سبب و لهذا قال النبي صلى الله عليه و سلم أنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا و لا أنت يا رسول الله قال و لا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه و فضل و قد قال { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } النحل 32 فهذه باء السبب أى بسبب أعمالكم و الذى نفاه النبي صلى الله عليه و سلم باء المقابلة كما يقال إشتريت هذا بهذا أى ليس العمل عوضاً و ثمنا كافياً فى دخول الجنة بل لا بد من عفو الله و فضله و رحمته فبعفوه يمحو السيئات و برحمته يأتى بالخيرات و بفضله يضاعف البركات و فى هذا الموضع ضل طائفتان من الناس فريق آمنوا بالقدر و ظنوا أن ذلك كافى فى حصول المقصود فأعرضوا عن الأسباب الشرعية و الأعمال الصالحة و هؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله و رسله و دينه و فريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر متكلين على حولهم و قوتهم و عملهم و كما يطلبه المماليك و هؤلاء جهال ضلال فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه و لا نهاهم عما نهاهم عنه بخلا به و لكن أمرهم بما فيه صلاحهم و نهاهم عما فيه فسادهم و هو سبحانه كما قال يا عبادى إنكم لن تبغوا ضري فتضروني و لن تبغوا نفعي فتنفعونني فالملك إذا أمر مملوكيه بأمر أمرهم لحاجته إليهم و هم فعلوه بقوتهم التى لم يخلقها لهم فيطالبون بجزاء ذلك و الله تعالى غني عن العالمين فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم و إن أسأوا فلها لهم ما كسبوا و عليهم ما اكتسبوا { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } فصلت 46 و فى الحديث الصحيح عن الله تعالى أنه قال يا عبادى أني حرمت الظلم على نفسي

وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا يا عبادي أنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآرركم وإنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآرركم وإنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآرركم وإنسكم و جنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألته ما نقص ذلك في ملكي شيئاً إلا كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسة واحدة يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن و جد خيراً فليحمد الله و من و جد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم و أرسل إليهم رسولا بينهم لهم ما يسعدهم و ما يشقيهم ثم أنه هدى عباده المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فمن عليهم بالإيمان و العمل الصالح فخلقه بفضله و إرساله الرسول بفضله و هدايته لهم بفضله و جميع ما ينالون به الخيرات من قواهم و غير قواهم هي بفضله كذلك الثواب و الجراء هو بفضله و إن كان أوجب ذلك على نفسه كما حرم على نفسه الظلم و وعد بذلك كما قال { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 54 و قال تعالى { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } الروم 47 فهو و اقع لامحالة و اجب بحكم إيجابه و وعده لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئاً أو يحرمون عليه شيئاً بل هم أعجز من ذلك و أقل من ذلك و كل نعمة منه فضل و كل نقمة منه عدل كما في الحديث المتقدم إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن و جد خيراً فليحمد الله و من و جد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وفي الحديث الصحيح سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك و وعدهك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء

لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فقوله أبوء لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي إعراف بإنعام الرب و ذنب العبد كما قال بعض السلف أني أصبح بين نعمة تنزل من الله علي و بين ذنب يصعد مني إلى الله فأريد أن أحدث للنعمة شكرا و للذنب إستغفارا فمن أعرض عن الأمر و النهي و الوعد و الوعيد ناظرا إلى القدر فقد ضل و من طلب القيام بالأمر و النهي معرضا عن القدر فقد ضل بل المؤمن كما قال تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فنعبده إتباعا للأمر و نستعينه إيماننا بالقدر و في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال المؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف و في كل خير أحرص على ما ينفعك و استعن بالله و لا تعجزن و إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا و كذا و لكن قل قدر الله و ما شاء فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمره النبي صلى الله عليه و سلم بشيئين أن يحرص على ما ينفعه و هو إمتثال الأمر و هو العبادة و هو طاعة الله و رسوله و أن يستعين بالله و هو يتضمن الإيمان بالقدر أنه لا حول و لا قوة إلا بالله و أنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن فمن ظن أنه يطيع الله بلا معونته كما يزعم القدرية و المجوسية فقد جحد قدرة الله التامة و مشيئته النافذة و خلقه لكل شيء و من ظن أنه إذا أعين على ما يريد و يسر له ذلك كان محمودا سواء و افق الأمر الشرعي أو خالفه فقد جحد دين الله و كذب بكتبه و رسله و وعده و وعيده و إستحق من غضبه و عقابه أعظم ما يستحقه الأول فإن العبد قد يريد ما يرضاه و يحبه و يأمر به و يقرب إليه و قد يريد ما يبغضه الله و يكرهه و يسخطه و ينهى عنه و يعذب صاحبه فكل من هذين قد يسر له ذلك كما قال النبي صلى الله عليه و سلم كل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة و أما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة و قد قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ

جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصِلَافًا مَذْمُومًا مَذْحُورًا {18} وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
 وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا {19} كَلَّا
 نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
 مَحْظُورًا {20} الإسراء 18-20 و قال تعالى { فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا
 مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ {15} وَأَمَّا إِذَا مَا
 ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ {16} الفجر 15-16 بين
 سبحانه أنه ليس كل من ابتلاه في الدنيا يكون قد أهانه بل هو يبتلى
 عبده بالسراء و الضراء فالمؤمن يكون صبارا شكورا فيكون هذا
 و هذا خيرا له كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه
 قال لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له و ليس ذلك
 لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له و إن أصابته
 ضراء صبر فكان خيرا له و المنافق هلوع جزوع كما قال
 تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا {20}
 وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا {21} إِلَّا الْمُصَلِّينَ {22} الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
 صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ {23} وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ {24} لِلسَّائِلِ
 وَالْمَحْرُومِ {25} المعارج 19-25 إلى قوله { أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتِ
 مُكْرَمُونَ {35} المعارج 35 ولما كان العبد ميسرا لمالا ينفعه
 بل يضره من معصية الله و البطر و الطغيان و قد يقصد عبادة الله
 و طاعته و العمل الصالح فلا يتأتى له ذلك أمر في كل صلاة بأن
 يقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 و قد صح عن النبي
 صلى الله عليه و سلم أنه قال يقول الله عز وجل قسمت الصلاة
 بيني و بين عبدي نصفين نصفها لي و نصفها لعبدي و لعبدي ما
 سألت فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي فإذا
 قال الرحمن الرحيم قال أثنى علي عبدي فإذا قال مالك
 يوم الدين قال مجدني عبدي فإذا قال إياك نعبد و إياك
 نستعين قال هذه الآية بيني و بين عبدي و لعبدي ما سألت فإذا قال
 إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب
 عليهم و لا الضالين قال فهو لاء لعبدي و لعبدي ما سألت و قال
 بعض السلف أنزل الله عز وجل مائة كتاب و أربعة كتب جمع

علمها فى الكتب الأربعة التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان و جمع الأربعة فى القرآن و علم القرآن فى المفصل و علم المفصل فى الفاتحة و علم الفاتحة فى قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فكل عمل يعمله العبد و لا يكون طاعة لله و عبادة و عملا صالحا فهو باطل فإن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله و إن نال بذلك العمل رئاسة و مالا فغاية المترئس أن يكون كفرعون و غاية المتمول أن يكون كقارون و قد ذكر الله فى سورة القصص من قصة فرعون و قارون ما فيه عبرة لأولى الألباب و كل عمل لا يعين الله العبد عليه فإنه لا يكون و لا ينفع فما لا يكون به لا يكون و ما لا يكون له لا ينفع و لا يدوم فلذلك أمر العبد أن يقول {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 والعبد له فى المقدر حالان حال قبل القدر و حال بعده فعليه قبل المقدر أن يستعين بالله و يتوكل عليه و يدعوه فإذا قدر المقدر بغير فعله فعليه أن يصبر عليه أو يرضى به و إن كان بفعله و هو نعمة حمد الله على ذلك و إن كان ذنبا استغفر إليه من ذلك وله فى الأمور حالان حال قبل الفعل و هو العزم على الإمتثال و الاستعانة بالله على ذلك و حال بعد الفعل و هو الاستغفار من التقصير و شكر الله على ما أنعم به من الخير و قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} غافر 55 أمره أن يصبر على المصائب المقدرة و يستغفر من الذنب و إن كان استغفار كل عبد بحسبه فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين و قال تعالى {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} آل عمران 186 و قال يوسف { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف 90 فذكر الصبر على المصائب و التقوى بترك المعائب و قال النبى صلى الله عليه و سلم إحرص على ما ينفعك و استعن بالله و لا تعجزن و إن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا و كذا و لكن قل قدر الله و ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمره إذا أصابته المصائب أن ينظر إلى القدر و لا يتحسر على الماضى بل يعلم أن ما أصابه لم يكن

ليخطئه و أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه فالنظر إلى القدر عند المصائب و الإستغفار عند المعائب قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } {22} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {23} الحديد 22-23 و قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11 قال علقمة و غيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلم و الله سبحانه و تعالى أعلم

801

* وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال جاء سراقه بن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيم العمل اليوم أفيما جفت به الأقلام و جرت به المقادير أم فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الأقلام و جرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر و فى لفظ كل عامل ميسر لعمله و في السنن عن ابن أبي خزيمة عن أبيه قال قلت يا رسول الله أرأيت رقى نسترقبها ودواء ننداوى به و تقة ننتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً قال هي من قدر الله فهذه السنن و غيرها تبين أن الله سبحانه و إن كان قد تقدم علمه و كتابيه و كلامه بما سيكون من السعادة و الشقاوة فمما قدره أن يكون ذلك بالأسباب التي قدرها فالسعادة بالأعمال الصالحة و الشقاوة بالفجور و كذلك سائر ما يقدر من أمر الدنيا و الآخرة يقدره بالأدوية و الرقى و كذلك سائر ما يقدر من أمر الدنيا و الآخرة

802

أصل المعرفة قد يقع ضروريا فطريا وقد يحتاج فيه إلى النظر و الإستدلال

801 مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 65-77

802 الاستقامة ج: 1 ص: 174

*قال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ
الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} الأعراف172 لكن كون الخلق

مفطورين على الإقرار بالخالق أمر دل عليه الكتاب والسنة وهو
معروف بدلائل العقول كما قد بسط في مواضع وبين أن الإقرار
بالخالق فطري ضروري في جبال الناس لكن من الناس من
فسدت فطرته فاحتاج إلى دواء بمنزلة السفسطة التي تعرض لكثير
من الناس في كثير من المعارف الضرورية كما قد بسط في غير
هذا الموضوع وهؤلاء يحتاجون إلى النظر وهذا الذي عليه
جمهور الناس أن أصل المعرفة قد يقع ضروريا فطريا وقد يحتاج
فيه إلى النظر والاستدلال وكثير من أهل الكلام يقول إنه لا
يجوز أن تقع المعرفة ضرورية بل لا تقع إلا بنظر وكسب قالوا
لأنها لو وقعت ضرورة لارتفع التكليف والإمتحان ومنهم من
ادعى انتفاء ذلك في الواقع وهذا ضعيف لأن الإمتحان والتكليف
الذي جاءت به الرسل كان بأن يعبدوا الله وحده لا يشركون به إلى
هذا دعا عامة الرسل ومن كان من الناس جاحدا دعوه إلى
الإعتراف بالصانع كفرعون ونحوه مع أنه كان في الباطن عارفا
وإنما جحد ظلما وعلوا كما قال تعالى {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا
أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} النمل14
وقال له موسى {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لِأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا
{الإسراء102 وخاتم الرسل دعا الناس إلى الشهادتين فقال أمرت
أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا
قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وقال لمعاذ في
الحديث الصحيح إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم
إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا
لك بذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم
والليلة فإن هم أطاعوا لك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة
تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ولهذا قالت الرسل لقومهم

ما أخبر الله تعالى به في قوله عز وجل { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } {9} قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } {10} قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } {11} إبراهيم 9- 11 وأيضا فإن المعارف لا

بد أن تنتهي إلى مقدمات ضرورية وهم لا يؤمرون بتحصيل الحاصل بل يؤمرون بالعمل بموجبها وبعلم أخرى يكتسبونها بها وأيضا فإن أكثر الناس غافلون عما فطروا عليه من العلم فيذكرون بالعلم الذي فطروا عليه وأصل الإقرار من هذا الباب ولهذا توصف الرسل بأنهم يذكرون ويصف الله تعالى آياته بأنها تذكرة وتبصرة كما في قوله { تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ } ق8 فإذا كان من المعارف ما هو ضروري بالإتفاق ولم يكن ذلك مانعا من الأمر والنهي إما بتذكرة وإما بالإستدلال فيؤمر الناس تارة بالتذكرة وتارة بالتبصرة ثم يؤمر الناس أن يقرؤا بما علموه ويشهدوا به فلا يعاندوه ولا يجحدوه وأكثر الكفار جحدوا ما علموه والإعتراف بالحق الذي يعلم والشهادة به والخضوع لصاحبه لا بد منه في الإيمان وإبليس وفرعون وغيرهما كفروا للعناد والإستكبار كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه ولكن الجهمية لما ظنت أن مجرد معرفة القلب هي الإيمان أرادوا أن يجعلوا ذلك مكتسبا وزعموا أن من كفره الشرع كإبليس وفرعون لم يكن في قلبه من الإقرار شيء كما زعموا أنه يمكن أن يقوم بقلب العبد إيمان تام مع كونه يعادي الله ورسوله ويسب الله ورسوله في الظاهر من غير إكراه ولهذا كفر وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة من قال بقولهم كما هو مبسوط في مواضعه والمقصود

هنا بيان قول من قال من السلف كعكرمة وأبي مالك { كَلُّ لَهْ قَانِئُونَ } البقرة 116 أي مقرون له بالعبودية قال ابن أبي حاتم والوجه الرابع ثم روى بإسناده المعروف عن الربيع بن أنس { كَلُّ لَهْ قَانِئُونَ } الروم 26 قال كل له قائم يوم القيامة والخامس ثم روى بإسناده من حديث عبدالله بن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير كل له قانتون بقول الإخلاص قلت وهذا إن أراد به اعترافهم بأنه ربهم وأنهم إذا اضطروا دعوا الله 803

الرد على استدلال الرافضي بقوله تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ } على إمامة علي

*قال الرافضي المنهج الثاني في الأدلة المأخوذة من القرآن والبراهين الدالة على إمامة علي من الكتاب العزيز كثيرة قوله تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } الأعراف 172 في كتاب الفردوس لابن شيرويه يرفعه عن حذيفة بن اليمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس متى سمي علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله سمي أمير المؤمنين و آدم بين الروح و الجسد قال تعالى و إذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم و أشهدهم على انفسهم الست بربكم قالت الملائكة بلى فقال تبارك و تعالى أنا ربكم و محمد نبيكم و علي أميركم و هو صريح في الباب و

803 رسالة في فنون الأشياء ج: 1 ص: 14-17

الجواب من وجوه أحدها منع الصحة و المطالبة بتقريرها و قد
اجمع أهل العلم بالحديث على أن مجرد رواية صاحب الفردوس لا
تدل على أن الحديث صحيح فابن شيرويه الديلمي الهمداني ذكر
في هذا الكتاب أحاديث كثيرة صحيحة و أحاديث حسنة و أحاديث
موضوعة و أن كان من أهل العلم و الدين و لم يكن ممن يكذب هو
لكنه نقل ما في كتب الناس و الكتب فيها الصدق و الكذب ففعل كما
فعل كثير من الناس في جمع الأحاديث أما بالأسانيد و أما محذوفة
الأسانيد الثاني أن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم
بالحديث الثالث أن الذي في القرآن انه قال { **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا**
بَلَىٰ { الأعراف 172 ليس فيه ذكر النبي و لا الأمير و فيه قوله
{ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ
{ الأعراف 173 فدل على أنه ميثاق التوحيد خاصة ليس فيه ميثاق
النبوة فكيف ما دونها الرابع أن الأحاديث المعروفة في هذا
التي في المسند و السنن و الموطأ و كتب التفسير و غيرها ليس
فيها شيء من هذا و لو كان ذلك مذكورا في الأصل لم يهمله جميع
الناس و ينفرد به من لا يعرف صدقه بل يعرف انه كذب
الخامس أن الميثاق اخذ على جميع الذرية فيلزم أن يكون علي
أميرا على الأنبياء كلهم من نوح إلى محمد صلى الله عليه و سلم و
هذا كلام المجانين فان أولئك ماتوا قبل أن يخلق الله عليا فكيف
يكون أميرا عليهم و غاية ما يمكن أن يكون أميرا على أهل
زمانه أما الإمارة على من خلق قبله و على من يخلق بعده فهذا من
كذب من لا يعقل ما يقول و لا يستحي فيما يقول و من العجب
أن هذا الحمار الرافضي الذي هو احمر من عقلاء اليهود الذين قال
الله فيهم { **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ**
يَحْمِلُ أَسْفَارًا { الجمعة 5 و العامة معذرون في قولهم الرافضي
حمار اليهودي و ذلك أن عقلاء اليهود يعلمون أن هذا ممتنع عقلا
و شرعا و أن هذا كما يقال خر عليهم السقف من تحتهم فيقال لا
عقل و لا قران و كذلك كون علي أميرا على ذرية آدم كلهم و
إنما ولد بعد موت آدم بألوف السنين و أن يكون أميرا على الأنبياء

الذين هم متقدمون عليه في الزمن و المرتبة و هذا من جنس قول ابن عربي الطائي و أمثاله من ملا حدة المتصوفة الذين يقولون أن الأنبياء كانوا يستفيدون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء الذي وجد بعد محمد بنحو ستمائة سنة فدعوى هؤلاء في الإمامة من جنس دعوى هؤلاء في الولاية و كلاهما يبني أمره على الكذب و الغلو و الشرك و الدعاوي الباطلة و مناقضة الكتاب و السنة و إجماع سلف الأمة ثم أن هذا الحمار الرافضي يقول و هو صريح في الباب فهل يكون هذا حجة عند أحد من أولي الألباب أو يحتج بهذا من يستحق أو يؤهل للخطاب فضلا عن أن يحتج به في تفسير خيار هذه الأمة و تضليلهم و تكفيرهم و تجهيلهم و لولا أن هذا المعتدي الظالم قد اعتدى على خيار أولياء الله و سادات أهل الأرض خير خلق الله بعد النبيين اعتداء يقدر في الدين و يسلط الكفار و المنافقين و يورث الشبه و الضعف عند كثير من المؤمنين لم يكن بنا حاجة إلى كشف أسرارهم و هناك أستاره و الله حسيبه و حسيب أمثاله 804

الأصول الثلاثة أمور متلازمة

*قال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ } الأعراف 38 كذلك قال { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } غافر 82 إلى قوله { وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } {85} غافر 85 فأخبر هنا بمثل ما أخبر به في الأعراف أن هؤلاء المعرضين عما جاءت به الرسل لما رأوا بأس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم ينفعهم ذلك وكذلك أخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد وبالرسالة انه

لما ادركه الغرق قال { قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يونس 90 قال الله { الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } يونس 91 وقال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَسْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } 172 { أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُنَظَّرُونَ } 173 { الأعراف 172- 173 } وقال تعالى { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } 9 { قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَةَ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } 10 { إبراهيم 9- 10 } وهذا في القرآن في مواضع آخر يبين فيها أن الرسل كلهم امرؤا بالتوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو اتخاذه لها ويخبر ان اهل السعادة هم اهل التوحيد وأن المشركين هم اهل الشقاوة وذكر هذا عن عامة الرسل وبيين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والايمان بالرسل متلازمان وكذلك الايمان باليوم الآخر هو والايمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينها في مثل قوله { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 150⁸⁰⁵

الارواح مخلوقة

*وقال الشيخ أبو سعيد الخراز أحد اكابر المشائخ الإئمة من أقران الجنيد فيما صنفه في أن الارواح مخلوقة وقد احتج بأمر منها لو لم تكن مخلوقة لما أقرت بالربوبية وقد قال لهم حين أخذ الميثاق وهم أرواح في أشباح كالذر { **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا** } الأعراف 172 وإنما خاطب الروح مع الجسد وهل يكون الرب إلا لمربوب قال ولأنها لو لم تكن مخلوقة ما كان على النصرارى لوم في عبادتهم عيسى ولا حين قالوا إنه ابن الله وقالوا هو الله قال ولأنه لو كان الروح غير مخلوق ما دخلت النار ولأنها لو كانت غير مخلوقة لما حجبت عن الله ولا غيبت في البدن ولا ملكها ملك الموت ولما كانت صورة توصف ولأنها لو لم تكن مخلوقة لم تحاسب ولم تعذب ولم تتعبد ولم تخف ولم ترج ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ وأرواح الكفار سود مثل الحمم وقال أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترتع في الجنة وتأوي في فناء العرش وأرواح الكفار في برهوت⁸⁰⁶

مرض القلب

*فمرض الجسم يكون بخروج الشهوة والنفرة الطبيعية عن الاعتدال إما بشهوة مالا يحصل أو يفقد الشهوة النافعة وينفر به عما يصلح ويفقد النفرة عما يضر ويكون بضعف قوة الإدراك والحركة كذلك مرض القلب يكون بالحب والبغض الخارجين عن الاعتدال وهي الأهواء التي قال الله فيها { **وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا** } وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } الأعراف 176 و كما يكون الجسد خارجا عن الاعتدال إذا فعل ما يشتهييه الجسم بلا قول الطبيب ويكون لضعف إدراك القلب وقوته حتى لا يستطيع أن يعلم ويريد ما ينفعه ويصلح له⁸⁰⁷

⁸⁰⁶806 مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 221

⁸⁰⁷807 أمراض القلوب ج: 1 ص: 30

* والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء ومعلوم أن الحي العالم لا يختار أن يحب ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية⁸⁰⁸

الغي والضلال يجمع جميع سيئات بني آدم

* وقال تعالى { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ } {175} وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يُلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يُلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } {176} الاعراف 175-176 وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن فإن الغي والضلال يجمع جميع سيئات بني آدم والغاوي الذي يتبع هواه وشهواته مع علمه بأن ذلك **خلاف الحق**⁸⁰⁹

* المستكبر هو الذي لا يقبل ما لا يهواه فإن النبي قد فسر الكبر في الحديث الصحيح بأنه بطر الحق وغمط الناس ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه

⁸⁰⁸ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 16

⁸⁰⁹ رسالة في التوبة ج: 1 ص: 229

حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذاك فقال لا إن الله جميل يحب
الجمال ولكن الكبر بطر الحق وغمط الناس وبطر الحق جده
ودفعه وغمط الناس إحتقارهم وازدراؤهم وكذلك ذكر الله
الكبر في قوله بعد أن قال {وَكُنَّبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
{الأعراف145 الى أن قال {سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ
يَنْكَبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا {الأعراف146 وهذا حال الذي لا يعمل بعلمه بل يتبع
هواه وهو الغاوى كما قال {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا
فَانسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَالِينَ {175} وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ {176}
الأعراف175-176 الآية وهذا مثل علماء السوء وقد قال لما
رجع موسى اليهم {وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ
الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ
{الأعراف154 فالذين يرهبون ربهم خلاف الذين يتبعون
أهواءهم كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ {41} النازعات40-41
فأولئك المستكبرون المتبعون أهواءهم مصروفون عن آيات الله لا
يعلمون ولا يفهمون لما تركوا العمل بما علموه إستكبارا وإتباعا
لأهوائهم عوقبوا بأن منعوا الفهم والعلم فان العلم حرب للمتعالى
كما أن السيل حرب للمكان العالي والذين يرهبون ربهم عملوا بما
علموه فأتاهم الله علما ورحمة إذ من عمل بما أورثه الله علم ما
لم يعلم⁸¹⁰

احذروا فتنة العالم الفاجر والعايد الجاهل

* وقد روى الترمذى وغيره عن عدى بن حاتم عن النبى
صلى الله عليه وسلم أنه قال اليهود مغضوب عليهم والنصارى

ضالون قال الترمذى حديث صحيح وقال سفیان بن عيينة كانوا يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى وكان غير واحد من السلف يقول احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون فإن الغى اتباع الهوى والضلال عدم الهدى⁸¹¹

ليس لأحد أن يخرج عن حكم الله وحكم رسوله في

شيء

* فان الله سبحانه وتعالى هو الحكم الذى يحكم بين عباده والحكم له وحده وقد أنزل اللة الكتب وارسل الرسل ليحكم بينهم فمن اطاع الرسول كان من أوليائه المتقين وكانت له سعادة الدنيا والآخرة ومن عصى الرسول كان من اهل الشقاء والعذاب قال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} البقرة 213 وفى صحيح مسلم عن عائشة أن النبى كان إذا قام يصلى من الليل يقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون إهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم وقال تعالى { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } آل عمران 19 فبين سبحانه وتعالى أنه هداهم وبين لهم الحق لكن بعضهم يبغى على بعض مع معرفته بالحق فيتبع هواه ويخالف أمر الله وهو الذى يعرف الحق ويزيغ عنه كما قال تعالى { وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ } {175} وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثَ
ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

يَتَفَكَّرُونَ {176} الاعراف 175-176 فقد بين سبحانه وتعالى أنه

بعث الرسل وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه
وقال تعالى { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ

رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } الشورى 10 وقال يوسف { يَا

صَاحِبِي السِّجْنِ أَرَأَيْتَ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ الْوَّاحِدَ الْفَهَّارُ {39} مَا

تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا

مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ {40} يوسف 39-40 فالحكم لله وحده

ورسله يبلغون عنه فحكمهم حكمه وأمرهم أمره وطاعتهم طاعته

فما حكم به الرسول وأمرهم به وشرعه من الدين وجب على جميع

الخلائق إتباعه وطاعته فإن ذلك هو حكم الله على خلقه

والرسول يبلغ عن الله قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا {64} فَلَا وَرَبِّكَ لَا

يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا {65} النساء 64-65 فعلى

جميع الخلق أن يحكموا رسول الله خاتم النبيين وأفضل المرسلين

وأكرم الخلق على الله ليس لأحد أن يخرج عن حكمه في شيء

سواء كان من العلماء أو الملوك أو الشيوخ أو غيرهم⁸¹²

الذين لم يزنوا المحبة بميزان العلم و الكتاب و السنة دخل فيها نوع من الشرك

*وكلا الطائفتين الذين يسلكون إلى الله محض الإرادة والمحبة والذنو والقرب منه من غير إعتبار بالأمر والنهي المنزليين من عند الله الذين ينتهون إلى الفناء في توحيد الربوبية يقولون بالجمع والإصطلام في توحيد الربوبية ولا يصلون الى الفرق الثاني ويقولون أن صاحب الفناء لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة ويجعلون هذا غاية السلوك والذين يفرقون بين ما يستحسنونه ويستقبحونه ويحبونه ويكرهونه ويأمرون به وينهون عنه ولكن بإرادتهم ومحبتهم وهواهم لا بالكتاب المنزل من عند الله كلا الطائفتين متبع لهواه بغير هدى من الله وكلا الطائفتين لم يحققوا شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضى أن لا يحب إلا الله ولا يبغض إلا الله ولا يوالى إلا الله ولا يعادي إلا الله وأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما أبغضه ويأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه وإنك لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا الله ولا تسأل إلا الله وهذا ملة إبراهيم وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين والفناء في هذا هو الفناء المأمور به الذي جاءت به الرسل وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه فيكون مع الحق بلا خلق كما قال الشيخ عبد القادر كن مع الحق بلا خلق ومع الخلق بلا نفس وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله يوجب أن تكون طاعته طاعة الله وإرضاءه إرضاء الله ودين الله ما أمر به فالحلال ما حله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولهذا طالب الله المدعين لمحبتهم بمتابعتهم فقال {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} آل عمران 31 وضمن لمن إتبعه أن الله يحبه بقوله {يُحِبُّكُمُ اللَّهُ} آل عمران 31 وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله ولا كارها إلا لما

كرهه الله ورسوله وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبى يسمع و بى يبصر و بى يبطش و بى يمشي و لئن سألتني لأعطينه و لئن إستعاذني لأعيدنه و ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت و أكره مساءته و لا بد له منه فهذا محبوب الحق و من إتبع الرسول فهو محبوب الحق و هو المتقرب إلى الله بما دعا إليه الرسول من فرض و نفل و معلوم أن من كان هكذا فهو يحب طاعة الله و رسوله و ييغض معصية الله و رسوله فإن الفرائض و النوافل كلها من العبادات التي يحبها الله و رسوله ليس فيها كفر و لا فسوق و الرب تعالى أحبه لما قام بمحسوب الحق فإن الجزاء من جنس العمل فلما لم يزل متقربا إلى الحق بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الحق فإنه إستفرغ وسعه في محبوب الحق فصار الحق يحبه المحبة التامة التي لا يصل إليها من هو دونه في التقرب إلى الحق بمحوباته حتى صار يعلم بالحق ويعمل بالحق فصار به يسمع و به يبصر و به يبطش و به يمشي ⁸¹³

قال تعالى { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ } الجاثية 23 فمن كان يعبد ما يهواه فقد إتخذ إلهه هواه فما هويه هوية إلهه فهو لا يتأله من يستحق التأله بل يتأله ما يهواه و هذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لألهتهم و محبة عباد العجل له و هذه محبة مع الله لا محبة لله و هذه محبة أهل الشرك و النفوس قد تدعي محبة الله و تكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه و قد أشركته في الحب مع الله و قد يخفى الهوى على النفس فإن حبك الشيء يعمى و يصم و هكذا الأعمال التي يظن الإنسان أنه يعملها لله و في نفسه شرك قد خفي عليه و هو

يعمله إما لحب رياضة وإما لحب مال وإما لحب صورة ولهذا قالوا يارسول الله الرجل يقاتل شجاعة وحمية ورياء فأبي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرين يدعون المحبة ولم يزنوها بميزان العلم والكتاب والسنة دخل فيها نوع من الشرك وإتباع الأهواء والله تعالى قد جعل محبته موجبة لإتباع رسوله فقال {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} آل عمران 31 وهذا لأن الرسول هو الذي يدعو إلى ما يحبه الله وليس شيء يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه وليس شيء يدعو إليه الرسول إلا والله يحبه فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته وإن تنوعت الصفات فكل من ادعى أنه يحب الله ولم يتبع الرسول فقد كذب ليست محبته لله وحده بل إن كان يحبه فهي محبة شرك فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود والنصارى محبة الله فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين وهكذا أهل البدع فمن قال أنه من المريدين لله المحبين له وهو لا يقصد إتباع الرسول والعمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبته فيها شوب من محبة المشركين واليهود والنصارى بحسب ما فيه من البدعة فإن البدع التي ليست مشروعة وليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف ونهى عن كل منكر وأيضاً فمن تمام محبة الله ورسوله بغض من حاد الله ورسوله والجهاد في سبيله لقوله تعالى {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ} المجادلة 22 وقال تعالى {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} {80} وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ

إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ {81} المائدة:80-81
 81 و قال تعالى {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ
 مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا
 بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ
 {الممتحنة:4 فامر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم و من معه حيث
 أبدوا العداوة و البغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله و حده فأين
 هذا من حال من لا يستحسن حسنة و لا يستقبح و هؤلاء سلكوا
 طريق الإرادة و المحبة مجملا من غير إعتصام بالكتاب و السنة
 كما سلك أهل الكلام و الرأي طريق النظر و البحث من غير
 إعتصام بالكتاب و السنة فوقع هؤلاء في ضلالات و هؤلاء في
 ضلالات كما قال تعالى { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ
 فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً
 ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي
 أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ
 الْيَوْمَ تُنْسَى {126} طه:123-126 و قال {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي
 مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ
 {الأنعام:153 و قال {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ
 {الإسراء:9 و قال {قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا
 يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا {يونس:108 و مثل هذا
 كثير في القرآن و قد بسط الكلام على هذا الأصل في غير هذا
 الموضوع 814

إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد و عن كمال الطاعة

* قيل إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد و عن كمال الطاعة
 لأنه عقب آية الدعاء بقوله { فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي
 {البقرة:186 و الطاعة و العبادة هي مصلحة العبد التي فيها

سعادته و نجاته و أما إجابة دعائه و إعطاء سؤاله فقد يكون منفعة و قد يكون مضرة قال تعالى { وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا } الإسراء 11 و قال تعالى { وَائْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَالِيِينَ } {175} { وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهَا بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } {176} { الأعراف 175- 176} و قال النبي صلى الله عليه و سلم لما دخل على أهل جابر فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون⁸¹⁵

الله سبحانه شبه الإنسان بالكلب والحمار ونحوهما في معرض الذم له

* إن الله سبحانه إنما شبه الإنسان بالكلب والحمار ونحوهما في معرض الذم له كقوله { فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } {176} { سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ } {177} { الأعراف 176-177 } و قال تعالى { مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَاتِ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا } { الجمعة 5 } و قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح العائد في هبته كالعائد في قيئه ليس لنا مثل السوء ولهذا يذكر أن الشافعي وأحمد تناظرا في هذه المسألة فقال له الشافعي الكلب ليس بمكلف فقال له أحمد ليس لنا مثل السوء وهذه الحجة في نفس الحديث فإن النبي لم يذكر هذا المثل إلا ليبين أن الإنسان إذا شابه الكلب كان مذموما وإن لم يكن الكلب مذموما في ذلك من جهة التكليف ولهذا ليس لنا مثل السوء والله سبحانه قد بين بقوله ساء مثلا إن التمثيل بالكلب مثل سوء والمؤمن منزه عن مثل السوء فإذا كان له مثل سوء من الكلب كان مذموما بقدر ذلك المثل السوء⁸¹⁶

⁸¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 34

⁸¹⁶ مجموع الفتاوى ج: 32 ص: 258

الله سبحانه هو الذي حبب إلى المؤمنين الإيمان و زينه في قلوبهم

* إن كل ما فى الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته و قدرته و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغني و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقا كأنما يصعد فى السماء و هو يقرب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيغه أزاعه و هو الذي حبب إلى المؤمنين الإيمان و زينه فى قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان أولئك هم الراشدون وهو الذي جعل المسلم مسلما و المصلي مصليا قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ } البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون { وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا } 19 { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا } 20 { وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } 21 { المعارج 19-21 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } هود 37 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ } هود 38 و الفلك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله { وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } يس 42 و قال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم و قال تعالى { أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُمُونَ } 95 { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 { الصافات 95-96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبنى دل على أنه

خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى { مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ
وَمَن يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا } {الكهف 17} و قال {فَمَن
يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ
صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } {الأنعام 125} و هو سبحانه خالق كل شيء و
ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابغة و رحمة
عامة و خاصة و هو لا يسأل عما يفعل و هم يسألون لا لمجرد
قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه
سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الراحمين و هو أرحم
بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى
{ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي
أَثَقَ كُلَّ شَيْءٍ } {النمل 88} و قد خلق الله سبحانه تعالى الأشياء
بأسباب كما قال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا
بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } {البقرة 164} و قال { فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ
فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ } {الأعراف 57} و قال تعالى { يَهْدِي
بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ } {المائدة 16} ⁸¹⁷

الإيمان بالقدر هدى و الإحتجاج به على الله ضلال

وغى

*و جلب المنفعة و دفع المضررة أما أن يكون في الدين أو في الدنيا
فصارت أربعة أقسام الهداية و المغفرة و هما جلب المنفعة و دفع
المضررة في الدين و الطعام و الكسوة و هما جلب المنفعة و دفع
المضررة في الدنيا و إن شئت قلت الهداية و المغفرة يتعلقان بالقلب
الذي هو ملك البدن و هو الأصل في الأعمال الإرادية و الطعام
و الكسوة يتعلقان بالبدن الطعام لجلب منفعة و اللباس لدفع مضرته
و فتح الأمر بالهداية فإنها و إن كانت الهداية النافعة هي المتعلقة
بالدين فكل أعمال الناس تابعة لهدي الله إياهم كما قال سبحانه {

⁸¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 78-80

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى {1} الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى {2} وَالَّذِي قَدَّرَ
فَهَدَى {3} {الاعلى 1-3} وقال موسى {رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ
شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} طه 50 وقال تعالى {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
{البلد 10} وقال {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا
{الإنسان 3} ولهذا قيل الهدى أربعة أقسام أحدها الهداية إلى
مصالح الدنيا فهذا مشترك بين الحيوان الناطق والأعجم وبين
المؤمن والكافر والثاني الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ماينفعهم
وأمرهم بذلك وهم نصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب فهذا
أيضا يشترك فيه جميع المكلفين سواء آمنوا أو كفروا كما قال
تعالى {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى
{فصلت 17} وقال تعالى { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ {الرعد 7
وقال تعالى { وَانِّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {الشورى 52} فهذا
مع قوله { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ {القصص 56} يبين أن الهدى
الذي أثبتته هو البيان والدعاء والأمر والنهي والتعليم وما يتبع ذلك
ليس هو الهدى الذي نفاه وهو القسم الثالث الذي لا يقدر عليه إلا الله
والقسم الثالث الهدى الذي هو جعل الهدى في القلوب وهو الذي
يسميه بعضهم بالإلهام والإرشاد وبعضهم يقول هو خلق القدرة
على الإيمان كالتوفيق عندهم ونحو ذلك وهو بناء على أن
الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل فمن قال ذلك من أهل الإثبات
جعل التوفيق والهدى ونحو ذلك خلق القدرة على الطاعة أما من
قال إنهما استطاعتان إحداهما قبل الفعل وهي الاستطاعة
المشروطة في التكليف كما قال تعالى {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ
الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} آل عمران 97 وقال النبي صلى
الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فإن لم تستطع
فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب وهذه الإستطاعة يقترن بها
الفعل تارة والترك أخرى وهي الإستطاعة التي لم تعرف القدرية
غيرها كما أن أولئك المخالفين لهم من أهل الإثبات لم يعرفوا إلا
المقارنة وأما الذي عليه المحققون من أئمة الفقه والحديث والكلام
وغيرهم فإثبات النوعين جميعا كما قد بسطناه في غير هذا

الموضع فإن الأدلة الشرعية والعقلية تثبت النوعين جميعاً والثانية المقارنة للفعل وهي الموجبة له وهي المنفية عن لم يفعل في مثل قوله { مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ } هود 20 وفي قوله { لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا } الكهف 101 وهذا الهدى الذي يكثر ذكره في القرآن في مثل قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 وقوله { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 وفي قوله { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } الكهف 17 وفي قوله { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } الاعراف 178 وأمثال ذلك وهذا هو الذي تنكر القدرية أن يكون الله هو الفاعل له ويزعمون أن العبد هو الذي يهدي نفسه وهذا الحديث وأمثاله حجة عليهم حيث قال يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم فأمر العباد بأن يسألوه الهداية كما أمرهم بذلك في أم الكتاب في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 وعند القدرية أن الله لا يقدر من الهدى إلى على ما فعله من إرسال الرسل ونصب الأدلة وإراحة العلة ولا مزية عندهم للمؤمن على الكافر في هداية الله تعالى ولا نعمة له على المؤمن أعظم من نعمته على الكافر في باب الهدى وقد بين الاختصاص في هذه بعد عموم الدعوة في قوله { وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } يونس 25 والقسم الرابع الهدى في الآخرة كما قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } {23} وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ {24} الْحج 23-24 وقال { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } يونس 9 فقوله { يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } يونس 9 كقوله { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ } الطور 21 على أحد

القولين في الآية وهذا الهدى ثواب الاهتداء في الدنيا كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال الدنيا وكما أن قصد الشر في الدنيا جزاؤه الهدى إلى طريق النار كما قال تعالى { أَحْسِرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ } {22} مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ {23} الصافات 22-23 وقال { وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا } الإسراء 72⁸¹⁸

*الله خالق كل شيء و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و فى إستعادة النبى صلى الله عليه و سلم أعوذ بكلمات الله التامة التى لا يجاوزها بر و لا فاجر من شر ما ذرأ و برأ و أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه و شر عباده فكلماته التامة هي التى كون بها الأشياء كما قال تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 لا يجاوزها بر و لا فاجر و لا يخرج أحد عن القدر المقدور و لا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور و هذا المعنى قد دل عليه القرآن فى غير موضع كقوله { وَوَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ } الأعراف 179 الآية و قوله { مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } الأنعام 111 { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70 و قوله فى السحر { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } البقرة 102 { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و نحو ذلك⁸¹⁹

*أن الله رب كل شيء و خالقه و مليكه لارب غيره و لا خالق سواه و إنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن لا حول و لا قوة إلا به و لا ملجأ منه إلا إليه و أنه على كل شيء قدير فجميع ما فى

⁸¹⁸الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 424-426

⁸¹⁹مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 58

السموات و الأرض من الأعيان و صفاتها و حركاتها فهي مخلوقة
 له مقدورة له مصرفة بمشيئته لا يخرج شيء منها عن قدرته و
 ملكه و لا يشركه في شيء من ذلك غيره بل هو سبحانه لا إله إلا
 هو و حده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على كل شيء
 قدير فالعبد فقير الى الله في كل شيء يحتاج إليه في كل شيء لا
 يستغنى عن الله طرفة عين فمن يهده الله فلا مضل له و من يضل
 فلا هادي له فنقول إذا ألهم العبد أن يسأل الله الهداية و
 يستعينه على طاعته أعانه و هداه و كان ذلك سبب سعادته في
 الدنيا و الآخرة و إذا خذل العبد فلم يعبد الله و لم يستعن به و لم
 يتوكل عليه و كل الى حوله و قوته فيوليه الشيطان و صد عن
 السبيل و و شقي في الدنيا و الآخرة و كل ما يكون في الوجود هو
 بقضاء الله و قدره لا يخرج أحد عن القدر المقدر و لا يتجاوز ما
 خط له في اللوح المحفوظ ليس لأحد على الله حجة بل { قَلَّهِ
 الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } الأنعام 149 كل نعمة منه
 فضل و كل نقمة منه عدل و على العبد أن يؤمن بالقدر و ليس
 له أن يحتج به على الله فالإيمان به هدى و الإحتجاج به على الله
 ضلال و غي بل الإيمان بالقدر يو جب أن يكون العبد صبارا
 شكورا صبوراً على البلاء شكورا على الرخاء إذا أصابته نعمة
 علم أنها من عند الله فشكره سواء كانت النعمة حسنة فعلها أو
 كانت خيراً حصل بسبب سعيها فإن الله هو الذي يسر عمل
 الحسنات و هو الذي تفضل بالثواب عليها فله الحمد في ذلك كله و
 إذا أصابته مصيبة صبر عليها و إن كانت تلك المصيبة قد جرت
 على يد غيره فالله هو الذي سلط ذلك الشخص و هو الذي خلق
 أفعاله و كانت مكتوبة على العبد كما قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ
 مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا
 إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } {22} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا
 بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ {23} الحديد 22-23 و
 قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ
 يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11 قالوا هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها

من عند الله فيرضى و يسلم و عليه إذا أذنب أن يستغفر و يتوب و لا يحتج على الله بالقدر و لا يقول أي ذنب لي و قد قدر على هذا الذنب بل يعلم أنه هو المذنب العاصي الفاعل للذنب و إن كان ذلك كله بقضاء الله و قدره و مشيئته إذ لا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته و خلقه لكن العبد هو الذي أكل الحرام و فعل الفاحشة و هو الذي ظلم نفسه كما أنه هو الذي صلى و صام و حج و جاهد فهو الموصوف بهذه الأفعال و هو المتحرك بهذه الحركات و هو الكاسب بهذه المحدثات له ما كسب و عليه ما إكتسب و الله خالق ذلك و غيره من الأشياء لما له في ذلك من الحكمة البالغة بقدرته التامة و مشيئته النافذة قال تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } غافر 55 فعلى العبد أن يصبر على المصائب و أن يستغفر من المعائب و الله تعالى لا يأمر بالفحشاء و لا يرضى لعباده الكفر و لا يحب الفساد و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن فمن يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و مشيئة العبد للخير و الشر موجودة فإن العبد له مشيئة للخير و الشر وله قدرة على هذا و هذا و هو العامل لهذا و هذا و الله خالق ذلك كله و ربه و مليكه لا خالق غيره ولا رب سواه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و قد أثبت الله المشيئتين مشيئة الرب و مشيئة العبد و بين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب في قوله تعالى { إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } 29 { وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } 30 { الانسان 29-30 و قال تعالى { إِنَّ هُوَ إِلَّا نَزَرٌ لِّلْعَالَمِينَ } 27 { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } 28 { وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } 29 { التكوير 27-29 و قد قال تعالى { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَّا لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } 78 { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ

نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا {79} النساء 78-
820 79

من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه

*قد مدح الله العلم والعقل والفقه وهذا كثير في القرآن يأمر ويمدح التفكير والتدبر والتذكر والنظر والاعتبار والفقه والعلم والعقل والسمع والبصر والنطق ونحو ذلك من انواع العلم واسبابه وكماله ويذم اضرار ذلك⁸²¹

*قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ } طه 54 أى العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حُجْرٍ } الفجر 5 أى لذى عقل وقال تعالى { وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } البقرة 197 وقال { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ } الأنفال 22 وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فأما من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل قال تعالى عن أهل النار { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الملك 10 وقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف 179 وقال { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44⁸²²

*فإنه قد عرف من سنة الله في عباده وإكرامه لأهل الخير وإهانته لأهل الشر ما فيه عبرة لأولى الأبصار فإن الناس قد عرفوا بالآثار الموجودة المعانية في الأرض والأخبار المتواترة عاقبة نوح

⁸²⁰ مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 236-238

⁸²¹ الاستقامة ج: 2 ص: 158

⁸²² مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 437 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 266

وإبراهيم وموسى وعيسى وأتباعهم وعاقبة من كذب هؤلاء
وعلموا إكرام الله لهؤلاء ونصره لهم وعقوبته لهؤلاء وإهانتهم لهم
وعلموا أيضاً عاقبة أهل العدل والإحسان من الولاة والرعايا
وعاقبة أهل الظلم والشر من هؤلاء وهؤلاء وهذا أمر موجود في
جميع الأمم عربهم وعجمهم على اختلاف أصناف العجم من
الفرس والروم والترك والهند والحبشة والبربر وغيرهم وقد قال
تعالى { قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } {137} ال عمران 137 وهذا باب واسع
ولهذا دعا الله الخلق إلى الإعتبار بالعقل المستند إلى الحس وبين
أن ذلك موافق لما جاءت به الرسل من السمع وقال عن أصحاب
النار { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا
أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } {الأعراف 179

823

* أن مجرد سلب هذه الصفات نقص لذاته سواء سميت عمى
وصمما وبكما أو لم تسم والعلم بذلك ضرورى فأما اذا قدرنا
موجودين أحدهما يسمع ويبصر ويتكلم والآخر ليس كذلك كان
الاول اكمل من الثانى ولهذا عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفى
فيه هذه الصفات فقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ
وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ
آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ
الْعَافِلُونَ } {الأعراف 179} 824

* وان الذين يستحقون العذاب هم الذين لا يسمعون ولا يعقلون كما
قال الله تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ
لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا

823 الصغوية ج: 1 ص: 227

824 مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 88

أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ { الأعراف 179
 وقال { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ { النحل 65 وقال { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ { ق 37 فقد
 بين القرآن أن من كان يعقل أو كان يسمع فانه يكون ناجيا وسعيدا
 ويكون مؤمنا بما جاءت به الرسل وقد بسطت هذه الامور فى غير
 موضع والله أعلم⁸²⁵

إذا استعمل العضو فيما خلق له واعد لاجله فذلك هو الحق القائم والعدل

*فان البصر يرى غير مباشرة المرئي والذوق والشم واللمس لا
 يحصل له الاحساس إلا بمباشرة المحسوس والسمع وإن كان يحس
 الأصوات فالمقصود الأعظم به معرفة الكلام وما يخبر به
 المخبرون من العلم وهذا سبب تفضيل طائفة من الناس ل
 السمع على البصر كما ذهب إليه ابن قتيبية وغيره وقال الأكثرون
 البصر أفضل من السمع والتحقيق أن إدراك البصر أكمل كما قاله
 الأكثرون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاین
 لكن السمع يحصل به من العلم لنا أكثر مما يحصل ب البصر ف
 البصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل وهاتان الحاستان هما
 الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الانسان عن البهائم
 استطراد ولهذا يقرن الله بينهما الفؤاد في مواضع كقوله
 تعالى { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً
 { الإسراء 36 وقال تعالى { **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ**
وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

أَذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ
 الْعَافُونَ { الأعراف 179 }⁸²⁶

*ثم إن سبحانه وتعالى خلق القلب للانسان يعلم به الأشياء كما خلق له العين يرى بها الأشياء والاذن يسمع بها الأشياء كما خلق سبحانه كل عضو من أعضائه لأمر من الأمور وعمل من الأعمال فاليد للبطش والرجل للسعى واللسان للنطق والفم للذوق والانف للشم والجلد للمس وكذلك سائر الباطنة والظاهرة فإذا استعمل العضو فيما خلق له واعد لاجله فذلك هو الحق القائم والعدل الذي قامت به السموات والارض وكان ذلك خيرا وصلاحا لذلك العضو ولربه وللشئ الذي استعمل منه وذلك الانسان الصالح هو الذي استقام حاله و { أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } لقمان 5 وإذا لم يستعمل العضو في حقه بل ترك بطالا فذلك خسران وصاحبه مغبون وإن استعمل في خلاف ما خلق له فهو الضلال وصاحبه من الذين بدلوا نعمة كفرا ثم ان سيد الاعضاء ورأسها هو القلب كما سمي قلبا قال النبي صلى الله إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وغذا فسدت علانيه والايمان كله الا وهي القلب وقال صلى الله عليه وسلم الاسلام علانيه والايمان في القلب ثم اشار بيده الى صدره وقال الا إن التقوى ها هنا الا إن التقوى ها هنا وإذ قد خلق القلب لان يعلم به فتوجهه نحو الأشياء ابتغاء العلم بها هو الفكر والنظر كما ان اقبال الاذن على الكلام ابتغاء سمعه هو الاصغاء والاستماع وانصراف الطرف الى الأشياء طلبا لرؤيتها هو النظر فالفكر للقلب كالاصغاء للأذن ومثله نظر العينين فيما سبق وإذا علم ما نظر فيه فذلك مطلوبه كما أن الأذن كذلك إذا سمعت ما اصغت اليه او العين إذا ابصرت ما نظرت إليه وكم من ناظر مفكر لم ليحصل العلم ولم ينله كما انه كم من ناظر إلى الهلال لا يبيصره ومستمع

⁸²⁶ الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 96

إلى صوت لا يسمعه وعكسه من يؤتى علماً بشيء لم ينظر فيه ولم تسبق منه إليه سابقة تفكير فيه كمن فاجأه رؤية الهلال من غير قصد عليه أو سمع قولاً من غير قصد إليه أو سمع قولاً من غير أن يصغى إليه وذلك كله لا لأن القلب بنفسه يقبل العلم وإنما الأمر موقوف على شرائط واستعداد قد يكون فعلاً من الإنسان فيكون مطلوباً وقد يأتي فضلاً من الله فيكون موهوباً فصلاح القلب وحقه والذي خلق من أجله هو أن يعقل الأشياء لا أقول أن يعملها فقط فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلاً له بل غافلاً عنه ملغياً له والذي يعقل الشيء هو الذي يقيدده ويضبطه ويعيه ويثبته في قلبه فيكون وقت الحاجة إليه غنياً فيطابق عمله قوله وباطنه ظاهره وذلك هو الذي أوتى الحكمة { وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } البقرة 269 وقال أبو الدرداء إن من الناس من يؤتى علماً ولا يؤتى حكماً وإن شداد بن أوس ممن أوتى علماً وحكماً وهذا مع أن الناس متباينون في نفس عقولهم الأشياء من بين كامل وناقص وفيما يعقلونه من بين قليل وكثير وجليل ودقيق وغير ذلك ثم هذه الأعضاء الثلاثة هي امهات ما ينال به العلم ويدرك أعنى العلم الذى يمتاز به البشر سائر الحيوانات دون ما يشاركها فيه من الشم والنوق واللمس وهنا يدرك به ما يحب ويكره وما يميز به بين من يحسن إليه ومن يشيء إليه الى غير ذلك قال الله تعالى { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } النحل 78 وقال { ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } السجدة 9 وقال { وَلَا تَفْقَهُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ كَأَن تَوَلَّى سَوَاءً } الإسراء 36 وقال { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً } الأحقاف 26 وقال { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } البقرة 7 وقال فيما لكل عضو من هذه الأعضاء من العمل والقوة { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا

يَسْمَعُونَ بِهَا { الأعراف 179 } ثم ان العين تقصر عن القلب والأذن

وتفارقهما في شيء وهو انها إنما يرى صاحبها بها الاشياء
الحاضرة والامور الجسمانية مثل الصور والاشخاص فاما القلب
والاذن فيعلم الانسان بهما ما غاب عنه وما لا مجال للبصر فيه من
الاشياء الروحانية والمعلومات المعنوية ثم بعد ذلك يفترقان فالقلب
يعقل الاشياء بنفسه إذ كان العلم هو غذاء وخاصيته اما الاذن فإنها
تحمل الكلام المشتمل على العلم الى القلب فهي بنفسها إنما تحمل
القول والكلام فإذا وصل ذلك إلى القلب اخذ منه ما فيه من العلم
فصاحب في حقيقة الامر هو ال قلب وإنما سائر الاعضاء حجب له
توصل إليه من الاخبار مالم يكن ليأخذه بنفسه حتى ان من فقد شيئاً
من هذه الاعضاء فانه يفقد بفقده من العلم ما كان هو الواسطة فيه
فالأصم لا يعلم ما في الكلام من العلم والضرير لا يدري ما تحتوى
عليه الاشخاص من الحكمة البالغة وكذلك من نظر الى الاشياء
بغير قلب او استمع الى كلمات اهل العلم بغير قلب فإنه لا يعقل
شيئاً فمدائر الامر على القلب وعند هذا تسبين الحكمة في قوله
تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ
أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا } الحج 46 حتى لم يذكر هنا العين كما في
الآيات السوابق فإن قياس الكلام هنا في امور غائبة وحكمة معقولة
من عواقب الامور لا مجال لنظر العين فيها ومثله قوله { أَمْ
تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ } الفرقان 44 وتبين حقيقة
الامر في قوله { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } ق 37 فإن من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم
على منزلتين اما رجل رأى الحق بنفسه فقبله فاتبعه ولم يحتاج إلى
من يدعوه فذلك صاحب القلب او رجل لم يعقله بنفسه بل هو
محتاج إلى من يعلمه ويبينه له ويعظه ويؤدبه فهذا اصغى { أَلْقَى
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } ق 37 اى حاضر القلب ليس بغائبه كما قال
مجاهد او أوتي العلم وكان له ذكرى وتبين قوله { وَمِنْهُمْ مَنْ
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } يونس 42
{ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا

يَعْقِلُونَ {42} وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ {43} {يونس 42-43} وقوله {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} {الأنعام 25} ثم إذا كان حق القلب ان يعلم الحق فان الله هو الحق المبين {فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} {يونس 32} إذ كان كل ما يقع عليه لمحة ناظر او يجول في لفته خاطر فالله ربه ومنشئه وفاطره ومبدئه لا يحيط علما إلا بما هو من آياته البينة في ارضه وسمائه واصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شيء ما خلا الله باطل أي ما من شيء من الأشياء إذا نظرت إليه من جهة نفسه إلا وجدته الى العدم وما هو فقير إلى الحي القيوم فإذا نظرت إليه وقد تولته يد العناية بتقدير من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى رأيته حينئذ موجودا مكسوا حل الفضل والاحسان فقد استبان ان القلب إنما خلق لذكر الله سبحانه ولذلك قال بعض الحكماء المتقدمين من أهل الشام اظنه سليمان الخواص رحمه الله قال الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا أو كما قال فإذا كان القلب مشغولا بالله عاقلا للحق متفكرا في العلم فقد وضع في موضعه كما ان العين إذا صرفت إلى النظر في الأشياء فقد وضعت في موضعها إما إذا لم يصرف إلى العلم ولم يوع فيه الحق فقد نسي ربه فلم يوضع في موضع بل هو ضائع ولا يحتاج ان نقول قد وضع في موضع غير موضعه بل لم يوضع اصلا فإن موضعه هو الحق وما سوى الحق باطل فإذا لم يوضع في الحق لم يبق إلا الباطل والباطل ليس بشيء أصلا وما ليس بشيء احرى أن لا يكون موضعا والقلب هو نفسه لا يقبل الا الحق فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق له سنة الله { وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } {الفتح 23} وهو مع ذلك ليس بمتروك مخلى فإنه لا يزال في أودية الأفكار وأقطار الأماني لا يكون على حال التي تكون عليها العين والأذن من الفراغ والتخلي فقد وضع في غير موضع لا مطلق ولا معلق

موضوع لا موضع له وهذا من العجب فسبحان ربنا العزيز الحكيم
وإنما تتكشف للانسان هذه الحال عند رجوعه إلى الحق اما في
الدنيا عند الانابة أو عند المنقلب إلى الآخرة فيرى سوى الحال
التي كان عليها وكيف كان قلبه ضالا عن الحق هذا إذا صرف في
الباطل فأما لو ترك وحاله التي فطر عليها فارغا عن كل ذكر
خاليا عن كل فكر فقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه ويرى الحق
الذي لا ريب فيه فيؤمن بربه وينيب إليه فإن كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة
بهيمة جمعاء لا يحس فيها من جدع { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } الروم 30 وإنما يحول
بينه وبين الحق في غالب الحال شغله بغيره من فتن الدنيا ومطالب
الجسد وشهوات النفس فهو في هذه الحال كالعين الناضرة إلى وجه
الأرض لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلال أو هو يميل إليه فيصده
عن اتباع الحق فيكون كالعين التي فيها قذى لا يمكنها رؤية
الأشياء ثم الهوى قد يعترض له قبل معرفة الحق فيصده عن
النظر فيه فلا يتبين له الحق كما قيل حبك الشيء يعمى ويصم
فيبقى في ظلمة الأفكار وكثيرا ما يكون ذلك عن كبر يمنعه عن ان
يطلب الحق { فَأَلْذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ
مُسْتَكْبِرُونَ } النحل 22 وقد يعرض له الهوى بعد أن عرف الحق
فيجده ويعرض عنه كما قال ربنا سبحانه فيهم { سَأَصْرَفُ عَنْ
آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا
يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ
الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 ثم القلب للعلم كالاناء
للماء والوعاء للعسل والوادي للسيل كما قال تعالى { أَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا } الرعد 17 الآية وقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله به الهدى والعلم كمثل غيث
اصاب ارضا فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب
الكثير وكانت منها اجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا
واصاب منها طائفة إنما قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك

مثل من فقه في دين الله ونفعه ما ارسلت به ومثل من لم يرفع بذلك
 رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به وفي حديث كميل بن
 زياد عن علي رضي الله عنه قال القلوب اوعية فخيرها اواعاها
 وبلغنا عن بعض السلف قال القلوب آنية الله في ارضه فأحبها إلى
 الله تعالى أرقها واصفاها وهذا مثل حسن فان القلب إذا كان رقيقا
 لينا كان قبوله للعلم سهلا يسيرا ورسخ العلم فيه وثبت واثر وأن
 كان قاسيا غليظا كان قبوله للعلم صعبا عسيرا ولا بد مع ذلك
 أن يكون زكيا صافيا سليما حتى يزكو فيه العلم ويثمر ثمرا طيبا
 والا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث افسد ذلك العلم وكان
 كالدغل في الزرع ان لم يمنع الحب من ان ينبت منعه من أن يزكو
 ويطيب وهذا بين لأولى الأبصار و تلخيص هذه الجملة
 أنه إذا استعمل في الحق فله وجهان وجه مقبل على
 الحق ومن هذا الوجه يقال له وعاء واء لأن ذلك يستوجب ما
 يوعى فيه ويوضع فيه وهذه الصفة صفة وجود وثبوت و
 وجه معرض عن الباطل ومن هذا الوجه يقال له زكي وسليم
 أحدهما تشغل عن الحق ولا تعانده مثل الأفكار والهموم التي
 في علائق الدنيا وشهوات النفس و الثانية تعاند الحق
 وتصد عنه مثل الآراء الباطلة والأهواء المردية من الكفر والنفاق
 والبدع وشبه ذلك بل القلب لم يخلق الا لذكر الله فما سوى ذلك
 فليس موضعا له ثم ذكر ثانيا وصف العدم فيه فقال بغير
 إناء ثم يقول إذا وضعته بغير إناء ضعته ولا إناء معك كما تقول
 حضرت المجلس بلا محبرة فالكلمة حال من الواضع لا من
 الموضوع والله أعلم وبيان هذه الجملة والله أعلم أنه يقول إذا ما
 وضعت قلبك في غير موضع فقد شغل بالباطل ولم يكن معك إناء
 يوضع فيه الحق وينزل إليه الذكر والعلم الذي هو حق القلب فقلبك
 إذا مضى ضعته من وجهي التضييع وان كانا متحدين من جهة
 انك وضعته في غير موضع ومن جهة أنه لا إناء معك يكون وعاء
 للحق الذي يجب ان يعطاه كما لو قيل لملك قد اقبل على اللهو إذا
 اشتغلت بغير المملكة وليس في المملكة من يدبرها فهو ملك ضائع

لكن الاناء هنا هو القلب بعينه وإنما كان ذلك كذلك لأن القلب لا ينوب عنه غيره فيما يجب أن يوضع فيه { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } الأنعام 164 وإنما خرج الكلام في صورة اثنين بذكر نعتين لشيء واحد كما جاء نحوه في قوله تعالى { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } {3} من قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ } {4} آل عمران 3-4 قال قتادة والربيع هو القرآن فرق بين الحلال والحرام والحق والباطل وهذا لأن الشيء الواحد إذا كان له وصفان كبيران فهو مع وصف واحد كالشيء الواحد ومع الوصفين بمنزلة الاثنين حتى لو كثرت صفاته لتنزل منزلة اشخاص ألا ترى أن الرجل الذي يحسن الحساب والطب يكون بمنزلة حاسب وطبيب والرجل الذي يحسن النجارة والبناء بمنزلة نجار وبناء والقلب لما كان يقبل الذكر والعلم فهو بمنزلة الاناء الذي يوضع فيه الماء وإنما ذكر في هذا البيت الاناء من بين سائر اسماء القلب لأنه هو الذي يكون رقيقا وصافيا وهو الذي يأتي به المستطعم المستعطى في منزلة البائس الفقير ولما كان ينصرف عن الباطل فهو زكي وسليم فكأنه اثنان وليتبين في الصورة أن الاناء غير القلب فهو يقول إذا وضعت قلبك في غير موضع وهو الذي يوضع فيه الذكر والعلم ولم يكن معك اناء يوضع فيه المطلوب فمثلك مثل رجل بلغه ان غنيا يفرق على الناس طعاما وكان له زبدية أو سكرجة فتركها ثم اقبل يطلب طعاما فقيل له هات اناء نعطيك طعاما فأما إذا اتيت وقد وضعت زبديتك مثلا في البيت وليس معك اناء نعطيك فلا تاخذ شيئا فرجعت بخفي حنين وإذا تأمل من له بصيرة بأساليب البيان وتصاريف اللسان وجد موقع هذا الكلام من العربية والحكمة كليهما موقعا حسنا بليغا فإن نقيض هذه الحال المذكورة ان يكون القلب مقبلا على الحق والعلم والذكر معرضا عن غير ذلك وتلك هي الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام فإن الحنف هو اقبال القدم وميلها إلى اختها فالحنف الميل عن الشيء بالاقبال على آخر فالدين الحنيف هو الاقبال على الله وحده والاعراض عما سواه

وهو الاخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة لا إله إلا الله اللهم ثبتنا عليها في الدنيا والآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله وهذا آخر ما حضر في هذا الوقت والله أعلم وصلى الله على محمد 827

أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه

* ولا ريب أن الحق نوعان حق موجود وبه يتعلق الخبر الصادق وحق مقصود وبه يتعلق الأمر الحكيم والعمل الصالح وضد الحق الباطل ومن الباطل الثاني قول النبي كل لهو يلهو الرجل به فهو باطل لإرميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته امرأته فانهن من الحق والحق الموجود إذا أخبر عنه بخلافه كان كذباً وهؤلاء لا يميزون بين الحق والباطل بين الحق الموجود الذي ينبغي اعتقاده والباطل المعدم الذي ينبغي نفيه في الخبر عنهما ولا بين الحق المقصود الذي ينبغي اعتماده والباطل الذي ينبغي إجتنابه بل يقصدون ماهوده وأمكنهم منهما وأصدق الحق الموجود ما أخبر الله بوجوده والخبر الحق المقصود ما أمر الله به وإن شئت قلت أصدق خبر عن الحق الموجود خبر الله وخير أمر بالحق المقصود أمر الله والإيمان يجمع هذين الأصلين تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر وإذا قرن بينهما قيل { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } البقرة 277 والعمل خير من القول كما قال الحسن البصرى ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل⁸²⁸

*قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من

⁸²⁷مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 307-319 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 332-337

⁸²⁸مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 102

غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهى وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون⁸²⁹

*أن المسمع وإن كان أصله نفس السمع الذي يشبه الإدراك لكن اذا كان المسموع طلبا لفائدته وموجبه الاستجابة والقبول واذا كان المسموع خبرا لفائدته التصديق والاعتقاد فصار يدخل مقصوده وفائدته في مسماه نفيا وإثباتا فيقال فلان يسمع لفلان أى يطيعه فى أمره أو يصدقه فى خبره وفلان لا يسمع ما يقال له أى لا يصدق الخبر ولا يطيع الأمر كما بين الله السمع عن الكفار فى غير موضع كقوله { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ } البقرة 171 وقوله { وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ } الأنبياء 45 وذلك لأن سمع الحق يوجب قبوله ايجاب الاحساس الحركة وايجاب علم القلب حركة القلب فان الشعور بالملائم يوجب الحركة اليه والشعور بالمنافر يوجب النفرة عنه فحيث انتفى موجب ذلك دل على إنتفاء مبدئه ولهذا قال تعالى { إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ } الأنعام 36 ولهذا جعل سمع الكفار بمنزلة سمع البهائم لأصوات الرعاة أى يسمعون مجرد الأصوات سمع الحيوان لا يسمعون ما فيها من تأليف الحروف المتضمنة للمعانى السمع الذى لا بد أن يكون بالقلب مع الجسم⁸³⁰

⁸²⁹ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

⁸³⁰ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 195

* فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمل القلب كما يقتضي الحس الحركة الإرادية لأن النفس فيها قوتان قوة الشعور بالملائم والمنافى والإحساس بذلك والعمل والتصديق به وقوة الحب للملائم والبغض للمنافى والحركة عن الحس بالخوف والرجاء والموالاة والمعاداة وإدراك الملائم يوجب اللذة والفرح والسرور وإدراك المنافى يوجب الألم والغم وقد قال النبي كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء فالقلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقا به ودينا له لكن يعرض لها ما يفسدها ومعرفة الحق تقتضي محبته ومعرفة الباطل تقتضي بغضه لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل لكن قد يعرض لها ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه ولهذا أمرنا الله أن نقول في الصلاة { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} الفاتحة 6-7 وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته والنصارى لهم عبادة وفي قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها لكن بلا علم فهم ضلال هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح وهؤلاء لهم قصد في الخير بلا معرفة له وينضم إلى ذلك الظن وإتباع الهوى فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } {10} الملك وقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَاقِلُونَ } {الأعراف 179}

فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك كما أنه لا يكون

إيماننا بمجرد ظن وهوى بل لابد فى أصل الإيمان من قول القلب
وعمل القلب⁸³¹

الفقه التام يستلزم تأثيره فى القلب

*قال تعالى { فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى {9} سَيَذَكِّرُ مَنْ
يَخْشَى {10} وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى {11} الَّذِي يَصْلَى النَّارَ
الْكُبْرَى {12} } الاعلى 9-12 فأخبر ان من يخشاه يتذكر
والتذكر هنا مستلزم لعبادته قال الله تعالى { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ
وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } غافر 13
وقال { تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ } ق 8 ولهذا قالوا فى قوله
{ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى } الاعلى 10 سيتعظ بالقرآن من يخشى الله
وفى قوله { وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } غافر 13 انما يتعظ من
يرجع الى الطاعة وهذا لان التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره
فان تذكر محبوبا طلبه وان تذكر مرهوبا هرب منه ومنه قوله
تعالى { وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } يس 10
وقال سبحانه { إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ
{يس 11} فنفى الانذار عن غير هؤلاء مع قوله { وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } يس 10 فأثبت لهم الانذار من
وجه ونفاه عنهم من وجه فان الانذار هو الاعلام بالمخوف فالانذار
مثل التعليم والتخويف فمن علمته فتعلم فقد تم تعليمه وآخر يقول
علمته فلم يتعلم وكذلك من خوفته فخاف فهذا هو الذى تم تخويفه
واما من خوف فما خاف فلم يتم تخويفه وكذلك من هديته فاهتدى
تم هداه ومنه قوله تعالى { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 ومن هديته
فلم يهتد كما قال { وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى
الهُدَى } فصلت 17 فلم يتم هداه كما تقول قطعته فانقطع وقطعته
فما انقطع فالمؤثر التام يستلزم اثره فمتى لم يحصل اثره لم يكن

⁸³¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 528

تاما والفعل اذا صادف محلا قابلا تم والا لم يتم والعلم بالمحسوب
 يورث طلبه والعلم بالمكروه يورث تركه ولهذا يسمى هذا العلم
 الداعى ويقال الداعى مع القدرة يستلزم وجود المقدور وهو العلم
 بالمطلوب المستلزم لارادة المعلوم المراد وهذا كله انما يحصل مع
 صحة الفطرة وسلامتها وأما مع فسادها فقد يحس الانسان باللذيق
 فلا يجد له لذة بل يؤلمه وكذلك يلتذ بالمؤلم الفساد الفطرة و
 الفساد يتناول القوة العلمية والقوة العملية جميعا كالممرور الذى
 يجد العسل مرأ فانه فسد نفس إحساسه حتى كان يحس به على
 خلاف ما هو عليه للمرة التى مازجته وكذلك من فسد باطنه قال
 تعالى { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَنُقَلِّبُ
 أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ } {110} الأنعام 109 وقال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
 قُلُوبَهُمْ } الصف 5 وقال { وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ
 عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } النساء 155 وقال فى الآية الأخرى { وَقَالُوا
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 88 و الغلف جمع
 أغلف وهو ذو الغلاف الذى فى غلاف مثل الأفلج كأنهم جعلوا
 المانع خلقة أى خلقت القلوب وعليها أغطية فقال الله تعالى { بَلْ
 لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 88 و { طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا
 يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } النساء 155 وقال تعالى { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ
 إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنفَا
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } محمد 16
 وكذلك قالوا { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ } هود 91
 قال { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ } الأنفال 23 أى لأفهمهم
 ما سمعوه ثم قال ولو أفهمهم مع هذه الحال التى هم عليها { لَتَوَلَّوْا
 وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } الأنفال 23 فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو
 فهموا لم يعملوا فنفى عنهم صحة القوة العلمية وصحة القوة العملية
 وقال { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
 بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44 سبيلا وقال { وَوَلَقَدْ ذَرَأْنَا
 لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ

لَا يَبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
 أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ { الأعراف 179 } وقال { وَمَثَلُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَى
 فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ { البقرة 171 } وقال عن المنافقين { صُمُّ بُكُمْ عُمَى
 فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ { البقرة 18 } ومن الناس من يقول لما لم ينتفعوا
 بالسمع والبصر والنطق جعلوا صما بكما عمليا أو لما أعرضوا
 عن السمع والبصر والنطق صاروا كالصم العمى البكم وليس
 كذلك بل نفس قلوبهم عميت وصمت وبكمت كما قال الله تعالى {
 فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ
 { الحج 46 } والقلب هو الملك والأعضاء جنوده وإذا صلح صلح
 سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى يسمع بالأذن الصوت
 كما تسمع البهائم والمعنى لا يفقهه وان فقه بعض الفقه لم يفقه فقها
 تاما فان الفقه التام يستلزم تأثيره في القلب محبة المحبوب وبغض
 المكروه فمتى لم يحصل هذا لم يكن التصور التام حاصلًا 832

حياة القلب

*وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته لذلك ذكر الله حياة
 القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله ياسين
 لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وفي الحديث
 الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل
 الحي والميت وفي الصحيح أيضا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم
 ولا تتخذها قبورا وفي الدعاء المأثور اجعل القرآن ربيع قلوبنا
 ونور صدورنا والربيع هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به
 النبات قال النبي صلى الله عليه وسلم إن مما ينبت الربيع ما يقتل
 حبطا أو يلم والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسميه العرب
 الربيع لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه وغيرهم يسمى الربيع

الفصل الذي يلي الشتاء فإن منه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار وتنبت الاوراق على الاشجار و القلب الحي المنور فإنه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر { **وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَبَّتِهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ { الأعراف 179**

فأبدانهم حية تسمع الأصوات وترى الأشخاص لكن حياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم لها سمع وبصر وهي تأكل وتشرب وتنكح فطائفة من المفسرين تقول في هذه الآيات وما أشبهها كقوله يونس وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره مسه وأمثالها مما ذكر الله في عيوب الإنسان وذمها فيقول هؤلاء هذه الاية في الكفار والمراد بالإنسان هنا الكافر فيبقى من يسمع ذلك يظن أنه ليس لمن يظهر الإسلام في هذا الذم والوعيد نصيب بل يذهب وهمه إلى من كان مظهرا للشرك من العرب او إلى من يعرفهم من مظهري الكفر كاليهود والنصارى ومشركي الترك والهند ونحو ذلك فلا ينتفع بهذه الآيات التي أنزلها الله ليهتدي بها عباده فيقال أولا المظهرون للإسلام فيهم مؤمن ومنافق والمنافقون كثيرون في كل زمان والمنافقون في الدرك الأسفل من النار ويقال ثانيا الإنسان قد يكون عنده شعبة من نفاق وكفر وإن كان معه إيمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا اتتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر فأخبر أنه من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق وقد ثبت في الحديث الصحيح أنه قال لأبي ذر إنك امرؤ فيك جاهلية وأبو ذر رضي الله عنه من أصدق الناس إيمانا وقال في الحديث الصحيح أربع في أمتي من أمر الجاهلية الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم وقال في الحديث الصحيح لتتبعن سنن

من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن وقال أيضا في الحديث الصحيح لتأخذن أمتي ما أخذت الأمم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا فارس والروم قال ومن اناس إلا هؤلاء وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه⁸³³

حياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم

*والقلب الحى المنور فانه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت فانه لا يسمع ولا يبصر قال تعالى {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} البقرة 171 وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} {42} وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ} {43} يونس 42 - 43 وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا تَأْتِيهِمْ لِيُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} {الأنعام 25} الآيات فأخبر انهم لا يفقهون بقلوبهم ولا يسمعون بأذانهم ولا يؤمنون بما رأوه من النار كما اخبر عنهم حيث قالوا {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَدْمُونَ} فصلت 5 فذكروا الموانع على القلوب والسمع والابصار وابدانهم حية تسمع الاصوات وترى الاشخاص لكن حياة البدن بدون حياة القلب من جنس حياة البهائم لها سمع وبصر وهى تأكل وتشرب وتتكح ولهذا قال تعالى {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ} {البقرة 171} فشبههم بالغنم الذى ينعق بها الراعى

⁸³³امراض القلوب ج: 1 ص: 10-11

وهي لا تسمع الا نداء كما قال في الآية الأخرى { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44 وقال تعالى { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَادَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف 179 فطائفة من المفسرين تقول في هذه الآيات وما اشبهها كقوله { وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ } يونس 12 وأمثالها مما ذكر الله في عيوب الانسان وذمها فيقول هؤلاء هذه الآية في الكفار والمراد بالانسان هنا الكافر فيبقى من يسمع ذلك يظن انه ليس لمن يظهر الاسلام في هذا الذم والوعيد نصيب بل يذهب وهمه الى من كان مظهرا للشرك من العرب او الى من يعرفهم من مظهرى الكفر كاليهود والنصارى ومشركى الترك والهند ونحو ذلك فلا ينتفع بهذه الآيات التى أنزلها الله ليهتدى بها عباده فيقال اولا المظهرون للاسلام فيهم مؤمن ومنافق والمنافقون كثيرون فى كل زمان والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار ويقال ثانيا الانسان قد يكون عنده شعبة من نفاق وكفر وان كان معه ايمان كما قال النبى فى الحديث المتفق عليه اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا اؤتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر فأخبر أنه من كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق وقد ثبت فى الحديث الصحيح أنه قال لابي ذر رضى الله عنه انك امرؤ فيك جاهلية وابو ذر رضى الله عنه من أصدق الناس ايمانا وقال فى الحديث الصحيح اربع فى امتى من امر الجاهلية الفجر بالاحساب والطعن فى الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم وقال فى الحديث الصحيح لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن وقال أيضا فى الحديث الصحيح لتأخذن أمتى ما

أخذت الامم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا فارس والروم
قال ومن الناس الا هؤلاء وقال ابن ابي مليكة أدركت
ثلاثين من اصحاب محمد كلهم يخاف النفاق على نفسه وعن علي
او حذيفة رضى الله عنهما 0 قال القلوب اربعة قلب اجرد
فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اغلف فذاك قلب الكافر
وقلب منكوس فذاك قلب المؤمن المنافق وقلب فيه مادتان مادة تمده
الاريمان ومادة تمده النفاق فأوليك قوم خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا وإذا عرف هذا علم ان كل عبد ينتفع بما ذكر الله في
الايمان من مدح شعب الايمان وذم شعب الكفر وهذا كما يقول
بعضهم في قوله { اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة فيقولون
المؤمن قد هدى الى الصراط المستقيم فأى فائدة في طلب الهدى ثم
يجيب بعضهم بأن المراد ثبتنا على الهدى كما تقول العرب للنائم
نم حتى آيتك او يقول بعضهم الزم قلوبنا الهدى فحذف المزوم
ويقول بعضهم زدنى هدى وإنما يوردون هذا السؤال لعدم
تصورهم الصراط المستقيم الذى يطلب العبد الهداية اليه فان
المراد به العمل بما امر الله به وترك ما نهى الله عنه فى جميع
الأمر والانسان وإن كان أقر بان محمدا رسول الله وان
القرآن حق على سبيل الاجمال فاكثرا ما يحتاج اليه من العلم بما
ينفعه ويضره وما امر به وما نهى عنه فى تفاصيل الأمور
وجزئياتها لم يعرفه وما عرفه فكثير منه لم يعمل بعلمه ولو قدر
أنه بلغه كل أمر ونهى فى القرآن والسنة فالقرآن والسنة إنما تذكر
فيهما الامور العامة الكلية لا يمكن غير ذلك لا نذكر ما يخص به
كل عبد ولهذا امر الانسان فى مثل ذلك بسؤال الهدى الى الصراط
المستقيم والهدى الى الصراط المستقيم يتناول هذا كله يتناول
التعريف بما جاء به الرسول مفصلا ويتناول التعريف بما يدخل
فى او امره الكليات ويتناول الهام العمل بعلمه فإن مجرد العلم
بالحق لا يحصل به الإهتداء أن لم يعلم بعمله ولهذا قال لنبىه بعد
صلح الحديبية { اِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا } 1 { لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ
مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا {2} {الفتح 1-2} وقال في حق موسى وهرون { وَآتَيْنَاهُمَا
الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ {117} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {118} }
الصفات 117-118 والمسلمون قد تنازعا فيما شاء الله من
الامور الخبرية والعلمية الا اعتقادية والعملية مع أنهم كلهم متفقون
على أن محمدا حق والقرآن حق فلو حصل لكل منهم الهدى إلى
الصراط المستقيم فيما اختلفوا فيه لم يختلفوا ثم الذين علموا ما أمر
الله به أكثرهم يعصونه ولا يحتذون حذوه فلو هدوا الى الصراط
المستقيم فى تلك الأعمال لفعلوا ما أمروا به وتركوا ما نهوا عنه
والذين هداهم الله من هذه الأمة حتى صاروا من أولياء الله المتقين
كان من أعظم أسباب ذلك دعائهم الله بهذا الدعاء فى كل صلاة مع
علمهم بحاجتهم وفاقتهم الى الله دائما فى أن يهديهم الصراط
المستقيم فبدوام هذا الدعاء والافتقار صاروا من أولياء الله
المتقين قال سهل ابن عبد الله التستري ليس بين العبد وبين ربه
طريق أقرب إليه من الافتقار وما حصل فيه الهدى فى الماضى
فهو محتاج الى حصول الهدى فيه فى المستقبل وهذا حقيقة قول
من يقول ثبتنا واهدنا لزوم الصراط ⁸³⁴

*فإن في الناس الكفار والفجار والجاهلين والمستكبرين والمؤمنين
وفيهم وفيهم من هو مثل البهائم والأنعام السائمة بل الأنعام أحسن
حالا من هؤلاء كما نطق بذلك القرآن فى مواضع مثل قوله تعالى
{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ { الأنفال 55 }
والدواب جمع دابة وهو كل ما دب فى سماء وأرض من إنس وجن
وملك وبهيمة ففى القرآن ما يدل على تفضيل البهائم على كثير من
الناس فى خمس آيات وقد وضع ابن المرزبان كتاب
تفضيل الكلاب على كثير ممن ليس الثياب وقد جاء فى ذلك من
المأثور ما لا نستطيع إحصاءه مثل ما فى مسند أحمد رب
مركوبة أكثر ذكرا من ركبها وفضل البهائم عليهم من وجوه
أحدها أن البهيمة لا سبيل لها الى كمال وصلاح أكثر مما تصنعه

والإنسان له سبيل لذلك فإذا لم يبلغ صلاحه وكماله الذى خلق له بان نقصه وخسرانه من هذا الوجه وثانيها أن البهائم لها أهواء وشهوات بحسب احساسها وشعورها ولم تؤت تمييزاً وفرقانا بين ما ينفعها ويضرها والإنسان قد أوتى ذلك وهذا الذى يقال الملائكة لهم عقول بلا شهوات والبهائم لها شهوات بلا عقول والإنسان له شهوات وعقل فمن غلب عقله شهوته فهو أفضل من الملائكة أو مثل الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه وثالثها أن هؤلاء لهم العقاب والنكال والخزى على ما يأتونه من الأعمال الخبيثة فهذا يقتل وهذا يعاقب وهذا يقطع وهذا يعذب ويحبس هذا في العقوبات المشروعة وأما العقوبات المقدره فقوم أغرقوا وقوم أهلكوا بأنواع العذاب وقوم ابتلوا بالملوك الجائرة تحريقاً وتغريقاً وتمثيلاً وخنقاً وعمى البهائم في أمان من ذلك ورابعها أن لفسقة الجن والأنس في الآخرة من الأهوال والنار والعذاب والأغلال وغير ذلك ممن أمنت منه البهائم ما بين فضل البهائم على هؤلاء إذا أضيف إلى حال هؤلاء خامسها أن البهائم جميعاً مؤمنة بالله ورسوله مسبحة بحمده قانتة له وقد قال النبي انه ليس على وجه الأرض شيء إلا وهو يعلم أنى رسول الله إلا فسقة الجن والإنس⁸³⁵

لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة

*فإن ما ذم الله به اليهود والنصارى في كتابه مثل تكذيب الحق المخالف للهوى والاستكبار عن قبوله وحسد أهله والبغي عليهم واتباع سبيل الغي والبخل والجبن وقسوة القلوب ووصف الله سبحانه وتعالى بمثل عيوب المخلوقين ونقائصهم وجد ما وصف به نفسه من صفات الكمال المختصة به التي لا يماثله فيها مخلوق ويمثل الغلو في الأنبياء والصالحين والإشراك في العبادة لرب

⁸³⁵ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 351-352 و الجواب الصحيح ج: 4 ص: 314

العالمين والقول بالحلول والاتحاد الذي يجعل العبد المخلوق هو رب العباد والخروج في أعمال الدين عن شرائع الأنبياء والمرسلين والعمل بمجرد هوى القلب وذوقه ووجده في الدين من غير اتباع العلم الذي أنزله الله في كتابه المبين واتخاذ أكابر العلماء والعباد أربابا يتبعون فيما يبتدعون من الدين المخالف للأنبياء عليهم السلام كما قال تعالى { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } {31} يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } {32} سورة التوبة الآية 32 ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول بما

يظن أنه من التنزلات الإلهية والفتوحات القدسية مع كونه من وساوس اللعين حتى يكون صاحبها ممن قال الله فيه { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ } {179} سورة الأعراف الآية 179

إلى غير ذلك من أنواع البدع والضلالات التي ذم الله بها أهل الكتابين فإنها مما حذر الله منه هذه الأمة الأخيار وجعل ما حل بها عبرة لأولي الابصار وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا بد من وقوعها في بعض هذه الأمة وإن كان قد أخبر صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال في أمته أمة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وأن أمته لا تجتمع على ضلالة ولا يغلبها من سواها من الأمم بل لا تزال منصوره متبعة لنبينا المهدي المنصور لكن لا بد أن يكون فيها من يتتبع سنن اليهود والنصارى والروم والمجوس كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وفي الصحيحين أيضا عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لتأخذ أمتي مأخذ الأمم قبلها شبرا بشبرا وذراعا

بذراع قالوا يا رسول الله فارس والروم قال فمن الناس إلا أولئك
وفي المظهرين للإسلام منافقون والمنافقون في الدرك الأسفل من
النار تحت اليهود والنصارى فهذا كان ما ذم الله به اليهود
والنصارى قد يوجد في المنافقين المنتسبين للإسلام الذين يظهرون
الإيمان بجميع ما جاء به الرسول ويبطنون خلاف ذلك كالملاحدة
الباطنية فضلا عن يظهر الإلحاد منهم⁸³⁶

الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل

* وظهر تحقيق قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الغناء
ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل بل أفضى الأمر إلى
أن يجتمع في هذا السماع على الكفر بالرحمن والاستهزاء بالقرآن
والذم للمساجد والصلوات والطعن في أهل الإيمان والقربات
والاستخفاف بالأنبياء والمرسلين والتحريض على جهاد المؤمنين
ومعاونة الكفار والمنافقين واتخاذ المخلوق إليها من دون رب
العالمين وشرب أبوال المستمعين وجعل ذلك من أفضل أحوال
العارفين ورفع الأصوات المنكرات التي أصحابها شر من البهائم
السائمت الذين قال الله في مثلهم {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ
الْحِجْنِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا
وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ {الأعراف 179⁸³⁷

{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا}

* كان النبي يقول في دعائه يا الله يا رحمن فقال
المشركون محمد ينهانا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين فقال الله
تعالى {قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ {الإسراء 110 أي المدعو إله واحد وإن

⁸³⁶الجواب الصحيح ج: 1 ص: 92-95

⁸³⁷الاستقامة ج: 1 ص: 308

تعددت أسماؤه كما قال تعالى { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا** } **وَدَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ { الأعراف 180** ⁸³⁸

قال تعالى { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ { الأعراف 180** } كان المراد أنه نفسه له الأسماء الحسنى ومنها اسمه الله كما قال { **قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ { الإسراء 110** } فالذى له الأسماء الحسنى هو المسمى بها ولهذا كان فى كلام الامام أحمد أن هذا الإسم من أسمائه الحسنى وتارة يقول الاسماء الحسنى له اى المسمى ليس من الأسماء ولهذا فى قوله { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ { الأعراف 180** } لم يقصد أن هذا الاسم له الأسماء الحسنى بل قصد أن المسمى له الأسماء الحسنى ⁸³⁹

*قال تعالى { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَدَرُّوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ { الأعراف 180** } فأسماؤه الحسنى مثل الرحمن الرحيم و الغفور الرحيم فهذه الاقوال هى أسماؤه الحسنى وهى اذا ذكرت فى الدعاء والخبر يراد بها المسمى اذا قال { **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ { الشعراء 217** } فالمراد المسمى ليس المراد أنه يتوكل على الأسماء التى هى أقوال كما فى سائر الكلام كلام الخالق وكلام المخلوقين ⁸⁴⁰

*قال { **قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ { الإسراء 110** } فاذا كان يدعى بجميع أسمائه الحسنى وبأى اسم دعاه فقد دعا الذى له الأسماء الحسنى ⁸⁴¹

⁸³⁸ مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 487

⁸³⁹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 198

⁸⁴⁰ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 19

⁸⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 150

* قال الله تعالى { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110 وقال تعالى { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**

{ الأعراف 180 وقال الله تعالى { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } 22 { هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } 23 { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } 24 { الحشر 22-24 فأسماؤه كلها متفقه فى الدلالة على

نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذى دل عليه الاسم الآخر فالعزیز يدل على نفسه مع عزته والخالق يدل على نفسه مع خلقه والرحيم يدل على نفسه مع رحمته ونفسه تستلزم جميع صفاته فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى أحدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم⁸⁴²

* ان فعل الله كله حسن جميل قال الله عز وجل { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } السجدة 7 وقال تعالى { **صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَرَ كُلَّ شَيْءٍ { النمل 88 وقال تعالى { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ****

{ الأعراف 180 وقال النبي ان الله جميل يحب الجمال وهو حكم عدل قال الله تعالى { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } آل عمران 18 وقال تعالى { **إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا { النساء 40 وقال تعالى { **وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ****

{ الأنعام 18⁸⁴³

⁸⁴² مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 185

⁸⁴³ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 351

المؤمن يجتنب الإلحاد في أسماء الله الحسنى وآياته

*وسورة قل هو الله أحد فيها إثبات الذات وما لها من الأسماء والصفات التي يتميز بها مثبتو الرب الخالق الأحد الصمد عن المعطلين له بالحقيقة نفاة الأسماء والصفات المضاهين لفرعون وأمثاله ممن أظهر التعطيل والجحود للإله المعبود وإن كان في الباطن يقر به كما قال تعالى {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} النمل 14 وقال موسى {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} الإسراء 102 والله سبحانه بعث أنبياءه بإثبات مفصل ونفي مجمل فأثبتوا له الأسماء والصفات ونفوا عنه مماثلة المخلوقات ومن خالفهم من المعطلة المتفلسفة وغيرهم عكسوا القضية فجاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل يقولون ليس كذا لس كذا ليس كذا فإذا أرادوا إثباته قالوا وجود مطلق بشرط النفي أو بشرط الإطلاق وهم يقرون في منطقهم اليوناني أن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون في الخارج فليس في الخارج حيوان مطلق بشرط الإطلاق ولا إنسان مطلق بشرط الإطلاق ولا موجود مطلق بشرط الإطلاق بخلاف المطلق لا بشرط الذي يطلق على هذا وهذا وينقسم إلى هذا وهذا فإن هذا يقال إنه في الخارج لا يكون إلا معيناً مشخفاً أو يقولون إنه الوجود المشروط بنفي كل ثبوت عنه منه فيكون مشاركاً لسائر الموجودات في مسمى الوجود متميزاً عنها بالعدم وكل موجود متميزاً بأمر ثبوتي والوجود خير من العدم فيكون أحقر الموجودات خيراً من العدم وذلك ممتع لأن المتميز بين الموجودين لا يكون عدماً محضاً بل لا يكون إلا وجوداً فهؤلاء الذين يدعون أنهم أفضل المتأخرين من الفلاسفة المشائين يقولون في وجود واجب الوجود ما يعلم بصريح المعقول الموافق لقوانينهم المنطقية أنه قول بامتناع وجود الواجب وأنه جمع بين النقيضين

وهذا هو في غاية الجهل والضلال وأما الرسل صلوات الله عليهم فطريقتهم طريقة القرآن قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} الصفات 180- 182 والله تعالى يخبر في كتابه أنه حي قيوم عليم حكيم غفور رحيم سميع بصير علي عظيم خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش وكلم موسى تكليماً وتجلى للجبل فجعله دكا يرضى عن المؤمنين ويغضب على الكافرين إلى أمثال ذلك من الأسماء والصفات ويقول في النبي ليس كمثل شيء ولم يكن له كفوا أحد هل تعلم له سمياً فلا تجعلوا لله أندادا فنفي بذلك أن تكون صفاته كصفات المخلوقين وأنه ليس كمثل شيء لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته ولا في شيء من صفاته ولا أفعاله {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا} {43} تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} {44} الإسراء 43- 44 فالؤمن يؤمن بالله وما له من الأسماء الحسنى ويدعوه بها ويجتنب الإلحاد في أسمائه وآياته قال تعالى **{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** {الأعراف 180} وقال تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا}** {فصلت 844}

* وهذا يؤول إلى قول القرامطة الباطنية ونحوهم نفاة أسماء الله تعالى الذين يقولون لا يقال حي ولا عالم ولا قادر وهذا كله من الإلحاد في أسماء الله وآياته قال تعالى **{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}** {الأعراف 180} وإذا كان من الإلحاد إنكار اسمه الرحمن كما قال تعالى **{وَإِذَا قِيلَ**

لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ
نُفُوراً { الفرقان 60 845

بيان بطلان حجة نفاة الصفات

* فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب اثباته له من صفات الكمال وينفى عنه ما يجب نفيه عنه مما يصاد هذه الحال ولا بد له في أحكامه من أن يثبت خلقه وأمره فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل ويؤمن بشرعه وقدره إيمانا خاليا من الزلل وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول كما دل على ذلك سورة قل هو الله احد ودل على الآخر سورة قل يأيها الكافرون وهما سورتا الإخلاص وبهما كان النبي يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك فأما الأول وهو التوحيد في الصفات فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفايا وإثباتا فيثبت لله ما اثبته لنفسه وينفى عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم أن طريقة سلف الامة وأئمتها إثبات ما اثبته من الصفات من غير تكليف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما اثبته من الصفات من غير الحاد لا في أسمائه ولا في آياته فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } الأعراف 180 وقال تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا سَأَلْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** } فصلت 40 فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفى مماثلة

المخلوقات اثباتاً بلا تشبيه وتنزيهاً بلا تعطيل كما قال تعالى {
 لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 ففي
 قوله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } { الشورى 11 رد للتشبيه والتمثيل
 وقوله { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } { الشورى 11 رد للإلحاد
 والتعطيل والله سبحانه بعث رسله باتبات مفصل ونفى
 مجمل فاثبتوا لله الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا
 يصلح له من التشبيه والتمثيل⁸⁴⁶

سمى الله نفسه باسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك الاسماء
 مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى بعض
 مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك الاسماء اذا
 قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق الاسمين
 وتمائل مساهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن الاضافة
 والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الاضافة والتخصيص
 فضلا عن ان يتحد مساهما عند الاضافة والتخصيص فقد
 سمي الله نفسه حيا فقال { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ
 { البقرة 255 وسمى بعض عباده حيا فقال { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ
 الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ
 تُخْرَجُونَ } الروم 19 وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي
 إسم لله مختص به وقوله { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ } { الروم 19 اسم
 للحي المخلوق مختص به وإنما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن
 التخصيص ولكن ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن
 العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند
 الاختصاص يقيد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق
 عن الخالق ولا بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم
 منها ما دل عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق وما دل عليه بالإضافة
 والاختصاص المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من

⁸⁴⁶ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 3

خصائصه سبحانه وتعالى وكذلك سمي صفاته بأسماء وسمى
 صفات عبادته بنظير ذلك فوصف نفسه بالإرادة وعبده بالإرادة
 فقال { تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
 { الأنفال 67 } ومعلوم أن إرادة الله ليست مثل إرادة العبد فلا بد من
 إثبات ما أثبتته الله لنفسه ونفى مماثلته بخلقه فمن قال ليس لله علم
 ولا قوة ولا رحمة ولا كلام ولا يحب ولا يرضى ولا نادى ولا
 ناجى ولا استوى كان معطلا جاحدا ممثلا لله بالمعدومات
 والجمادات ومن قال له علم كعلمي أو قوة كقوتي أو حب كحبي
 أو رضاء كرضائي أو يدان كيدي أو استواء كاستوائي كان مشبها
 ممثلا لله بالحيوانات بل لا بد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل
 ويتبين هذا بأصلين شريفيين ومثلين مضرابين { وَاللَّهُ
 الْمَثَلُ الْأَعْلَى } النحل 60 فأما الاصلان فأحدهما أن يقال القول
 في بعض الصفات كالقول في بعض فإن كان المخاطب ممن
 يقول بأن الله حي بحياة عليم بعلم قدير بقدره سميع بسمع بصير
 ببصر متكلم بكلام مرید بإرادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في
 محبته ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره إما
 بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات فيقال له
 لافرق بين ما نفيته وبين ما أثبتته بل القول في أحدهما كالقول في
 الآخر فإن قلت إن ارادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته
 ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وإن قلت إن له إرادة تليق به
 كما ان للمخلوق إرادة تليق به قيل لك وكذلك له محبة تليق به
 وللمخلوق محبة تليق به وله رضا وغضب يليق به وللمخلوق
 رضا وغضب يليق به وإن قلت الغضب غليان دم القلب لطلب
 الانتقام فيقال له والإرادة ميل النفس الى جلب منفعة أو دفع مضرة
 فإن قلت هذه إرادة المخلوق قيل لك وهذا غضب المخلوق
 وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته ان نفى
 عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص
 المخلوقين فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات
 وإن قال أنه لا حقيقة لهذا الا ما يختص بالمخلوقين فيجب نفيه عنه

قيل له وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة فهذا
 المفروق بين بعض الصفات وبعض يقال له فيما نفاه كما يقوله هو
 لمنزعه فيما أثبتته فإذا قال المعتزلى ليس له إرادة ولا كلام
 قائم به لأن هذه الصفات لا تقوم إلا بالمخلوقات فانه يبين للمعتزلى
 أن هذه الصفات يتصف بها القديم ولا تكون كصفات المحدثات
 فهكذا يقول له المثبتون لسائر الصفات من المحبة والرضا ونحو
 ذلك فإن قال تلك الصفات أثبتها بالعقل لأن الفعل الحادث دل
 على القدرة والتخصيص دل على الإرادة والاحكام دل على العلم
 وهذه الصفات مستلزمة للحياة والحي لا يخلو عن السمع والبصر
 والكلام أو ضد ذلك قال له سائر أهل الاثبات لك جوابان
 أحدهما أن يقال عدم الدليل المعين لا يستلزم عدم المدلول المعين
 فهب أن ما سلكت من الدليل العقلى لا يثبت ذلك فانه لا ينفيه
 وليس لك أن تنفيه بغير دليل لأن النافى عليه الدليل كما على
 المثبت والسمع قد دل عليه ولم يعارض ذلك معارض عقلى ولا
 سمعى فيجب اثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم
 الثانى أن يقال يمكن اثبات هذه الصفات بنظير ما أثبت به تلك من
 العقليات فيقال نفع العباد بالاحسان اليهم يدل على الرحمة
 كدلالة التخصيص على المشيئة وإكرام الطائعين يدل على محبتهم
 وعقاب الكافرين يدل على بغضهم كما قد ثبت بالشهادة والخبر من
 إكرام أوليائه وعقاب أعدائه والغايات المحمودة فى مفعولاته
 ومأموراته وهى ما تنتهى اليه مفعولاته ومأموراته وهى ما تنتهى
 اليه مفعولاته ومأموراته من العواقب الحميدة تدل على حكمته
 البالغة كما يدل التخصيص على المشيئة وأولى لقوة العلة الغائية
 ولهذا كان ما فى القرآن من بيان ما فى مخلوقاته من النعم والحكم
 اعظم مما فى القرآن من بيان ما فيها من الدلالة على محض
 المشيئة وان كان المخاطب ممن ينكر الصفات ويقر بالاسماء
 كالمعتزلى الذى يقول انه حى عليم قدير وينكر أن يتصف بالحياة
 والعلم والقدرة قيل له لا فرق بين اثبات الاسماء وإثبات
 الصفات فإنك ان قلت إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضى تشبيهاً أو

تجسيما لأننا لا نجد في الشاهد متصفا بالصفات الا ما هو جسم قيل لك ولا نجد في الشاهد ما هو مسمى حى عليم قدير الا ما هو جسم فان نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد الا للجسم فانف الأسماء بل وكل شيء لأنك لا تجده في الشاهد الا للجسم فكل ما يحتج به من نفى الصفات يحتج به نافي الأسماء الحسنى فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتى الصفات وإن كان المخاطب من الغلاة نفاة الأسماء والصفات وقال لا أقول هو موجود ولا حى ولا عليم ولا قدير بل هذه الأسماء لمخلوقاته إذ هي مجاز لأن اثبات ذلك يستلزم التشبيه بالموجود الحى العليم قيل له وكذلك إذا قلت ليس بموجود ولا حى ولا عليم ولا قدير كان ذلك تشبيها بالمعدومات وذلك اقبح من التشبيه بالموجودات فإن قال أنا أنفى النفس والإثبات قيل له فيلزمك التشبيه بما اجتمع فيه النقيضان من الممتنعات فإنه يمتنع أن يكون الشيء موجودا معدوما أولا موجودا ولا معدوما ويمتنع أن يكون يوصف ذلك باجتماع الوجود والعدم أو الحياة والموت أو العلم والجهل أو يوصف بنفى الوجود والعدم ونفى الحياة والموت ونفى العلم والجهل فإن قلت انما يمتنع نفي النقيضين عما يكون قابلا لهما وهذان يتقابلان تقابل العدم والملكة لا تقابل السلب والإيجاب فإن الجدار لا يقال له أعمى ولا بصير ولا حى ولا ميت إذ ليس بقابل لهما قيل لك أولا هذا لا يصح فى الوجود والعدم فانهما متقابلان تقابل السلب والإيجاب باتفاق العقلاء فيلزم من رفع أحدهما ثبوت الآخر وأما ما ذكرته من الحياة والموت والعلم والجهل فهذا اصطلاح إصطلحت عليه المتفلسفة المشاءون والاصطلاحات اللفظية ليست دليلا على نفي الحقائق العقلية وقد قال الله تعالى { وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ } {20} أمواتٌ غيرُ أحياءٍ ومَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ } {21} النحل 20-21 فسمى الجماد ميتا وهذا مشهور فى لغة العرب وغيرهم وقيل لك ثانيا فما لا يقبل الاتصاف بالحياة والموت والعمى والبصر ونحو ذلك من المتقابلات أنقص مما يقبل ذلك فالأعمى الذى يقبل الاتصاف

بالبصر أكمل من الجماد الذى لا يقبل واحدا منهما فأنت فررت من تشبيهه بالحيوانات القابلة لصفات الكمال ووصفته بصفات الجامدات التى لا تقبل ذلك وأيضا فما لا يقبل الوجود والعدم أعظم امتناعا من القابل للوجود والعدم بل ومن اجتماع الوجود والعدم ونفيهما جميعا فما نفيت عنه قبول الوجود والعدم كان أعظم امتناعا مما نفيت عنه الوجود والعدم وإذا كان هذا ممتنعا فى صرائح العقول فذاك أعظم امتناعا فجعلت الوجود الواجب الذى لا يقبل العدم هو أعظم الممتنعات وهذا غاية التناقض والفساد وهؤلاء الباطنية منهم من يصرح برفع التقيضين الوجود والعدم ورفعهما كجمعهما ومن يقول لا أثبت واحدا منهما فامتناعه عن اثبات احدهما فى نفس الأمر لا يمنع تحقق واحد منهما فى نفس الأمر وانما هو كجهل الجاهل وسكوت الساكت الذى لا يعبر عن الحقائق وإذا كان

ما لا يقبل الوجود ولا العدم أعظم امتناعا مما يقدر قبوله لهما مع نفيهما عنه فما يقدر لا يقبل الحياة ولا الموت ولا العلم ولا الجهل ولا القدرة ولا العجز ولا الكلام ولا الخرس ولا العمى ولا البصر ولا السمع ولا الصمم أقرب الى المعدوم الممتنع مما يقدر قابلا لهما مع نفيهما عنه وحينئذ فنفيهما مع كونه قابلا لهما أقرب الى الوجود والممكن وما جاز لواجب الوجود قابلا وجب له لعدم توقف صفاته على غيره فإذا جاز القبول وجب وإذا جاز وجود القبول وجب وقد بسط هذا فى موضع آخر وبين وجوب اتصافه بصفات الكمال التى لا نقص فيها بوجه من الوجوه وقيل له أيضا اتفاق المسميين فى بعض الأسماء والصفات ليس هو التشبيه والتمثيل الذى نفته الأدلة السمعية والعقلية وانما نفت ما يستلزم اشتراكهما فيما يختص به الخالق مما يختص بوجوبه أو جوازه أو امتناعه فلا يجوز أن يشركه فيه مخلوق ولا يشركه مخلوق فى شىء من خصائصه سبحانه وتعالى وأما ما نفيته فهو ثابت بالشرع والعقل

وتسميتك ذلك تشبيها وتجسيما تمويه على الجهال الذين يظنون أن كل معنى سماه مسم بهذا الاسم يجب نفيه ولو ساع هذا لكان كل مبطل يسمى الحق بأسماء ينفر عنها بعض الناس ليكذب الناس بالحق المعلوم بالسمع والعقل وبهذه الطريقة أفسدت الملاحظة على طوائف الناس عقلهم ودينهم حتى أخرجوهم الى أعظم الكفر والجهالة وأبلغ الغي والضلالة وإن قال نفاة الصفات اثبات العلم والقدرة والإرادة مستلزم تعدد الصفات وهذا تركيب ممتنع قيل وإذا قلت هو موجود واجب وعقل وعاقل ومعقول وعاشق ومعشوق ولذيذ وملتذ ولذة أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا فهذه معان متعددة متغايرة في العقل وهذا تركيب عندكم وانتم تثبتونه وتسمونه توحيدا فإن قالوا هذا توحيد في الحقيقة وليس هذا تركيبا ممتنعا قيل لهم واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هو تركيبا ممتنعا وذلك أنه من المعلوم في صريح العقول أنه ليس معنى كون الشيء عالما هو معنى كونه قادرا ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالما قادرا فمن جوز أن تكون هذه الصفة هي الموصوف فهو من أعظم الناس سفسطة ثم إنه متناقض فانه ان جوز ذلك جاز أن يكون وجود هذا هو وجود هذا فيكون الوجود واحدا بالعين لا بالنوع وحينئذ فاذا كان وجود الممكن هو وجود الواجب كان وجود كل مخلوق يعدم بعدم وجوده ويوجد بعد عدمه هو نفس وجود الحق القديم الدائم الباقي الذي لا يقبل العدم واذا قدر هذا كان الوجود الواجب موصوفا بكل تشبيهه وتجسيم وكل نقص وكل عيب كما يصرح بذلك أهل وحدة الوجود الذين طردوا هذا الأصل الفاسد وحينئذ فتكون أقوال نفاة الصفات باطلة على كل تقدير وهذا باب مطرد فان كل واحد من النفاة لما أخبر به الرسول من الصفات لا ينفي شيئا فرارا مما هو محذور إلا وقد أثبت ما يلزمه فيه نظير ما فر منه فلا بد في آخر الأمر من أن يثبت موجودا واجبا قديما متصفا بصفات تميزه عن غيره ولا يكون فيها مماثلا لخلقه فيقال له هكذا القول في جميع الصفات وكل ما تثبته من الأسماء والصفات فلا بد أن يدل

على قدر تتواطأ فيه المسميات أولاً ذلك لما فهم الخطاب ولكن نعم
أن ما اختص الله به وامتاز عن خلقه أعظم مما يخطر بالبال أو
يدور في الخيال وهذا يتبين بالأصل الثاني وهو أن
يقال القول في الصفات كالقول في الذات { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }
{ الشورى 11 } فان الله ليس كمثل شئ لا في ذاته ولا في صفاته
ولا في أفعاله فاذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات فالذات
متصفة بصفات حقيقة لا تماثل سائر الصفات فاذا قال السائل
كيف استوى على العرش قيل له كما قال ربيعه ومالك وغيرهما
رضى الله عنهما الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به
واجب والسؤال عن الكيفية بدعة لأنه سؤال عما لا يعلمه البشر
ولا يمكنهم الاجابة عنه وكذلك إذا قال كيف ينزل ربنا
السماء الدنيا قيل له كيف هو فاذا قال لا أعلم كيفيته قيل له ونحن
لا نعلم كيفية نزوله اذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية
الموصوف وهو فرع له وتابع له فكيف تطالبنى بالعلم بكيفية سمعه
وبصره وتكليمه واستوائه ونزوله وأنت لا تعلم كيفية ذاته وإذا
كنت تقر بأن له حقيقة ثابتة في نفس الأمر مستوجبه لصفات
الكمال لا يماثلها شئ فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه
ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه
فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم
وهذا الكلام لازم لهم في العقليات وفي تأويل السمعيات فان من
أثبت شيئاً ونفى شيئاً بالعقل اذا ألزم فيما نفاه من الصفات التي جاء
بها الكتاب والسنة نظير ما يلزمه فيما أثبتته ولو طولب بالفرق بين
المحذور في هذا وهذا لم يجد بينهما فرقاً ولهذا لا يوجد لنفاة
بعض الصفات دون بعض الذين يوجبون فيما نفوه اما التفويض
واما التأويل المخالف لمقتضى اللفظ قانون مستقيم فاذا قيل لهم لم
تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد لم يكن لهم جواب
صحيح فهذا تناقضهم في النفي وكذا تناقضهم في الإثبات فان
من تأول النصوص على معنى من المعانى التي يثبتها فانهم اذا
صرفوا النص عن المعنى الذى هو مقتضاه الى معنى آخر لزمهم

فى المعنى المصروف اليه ما كان يلزمهم فى المعنى المصروف عنه فاذا قال قائل تأويل محبته ورضاه وغبه وسخطه هو ارادته للثواب والعقاب كان ما يلزمه فى الارادة نظير ما يلزمه فى الحب والمقت والرضا والسخط ولو فسر ذلك بمفعولاته وهو ما يخلقه من الثواب والعقاب فانه يلزمه فى ذلك نظير ما فر منه فان الفعل لابد أن يقوم اولا بالفاعل والثواب والعقاب المفعول انما يكون على فعل ما يحبه ويرضاه ويسخطه ويبغضه المثيب المعاقب فهم إن أثبتوا الفعل على مثل الوجه المعقول فى الشاهد للعبد مثلوا وإن أثبتوه على خلاف ذلك فكذلك الصفات⁸⁴⁷

* فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع والعقل وبه يظهر الفرق بين ما يدعى الله به من الأسماء الحسنى وبين ما يخبر به عنه عز وجل مما هو حق ثابت لإثبات ما يستحقه سبحانه من صفات الكمال ونفى ما تنزه عنه عز وجل من العيوب والنقائص فإنه الملك القدوس السلام سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} الأعراف 180 مع قوله {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} الأنعام 19 ولا يقال فى الدعاء يا شيء⁸⁴⁸

مذهب السلف بين مذهبين وهدى بين ضاللتين

*فان الله تعالى سمي نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات سمي نفسه حيا عليما حكيما قديرا سميعا بصيرا غفورا رحيفا الى سائر أسمائه الحسنى قال الله تعالى {إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى} طه 46 وامثال ذلك فالقول فى بعض هذه الصفات كالقول فى بعض ومذهب سلف الأمة وأئمتها ان يوصف الله بما وصف به

⁸⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 13-25

⁸⁴⁸ درة التعارض ج: 1 ص: 298

نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا
تكييف ولا تمثيل فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها
نفسه ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه { لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 ليس كمثل شئ
لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وقال نعيم بن حماد
الخرزاعى من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به
نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها
ومذهب السلف بين مذهبين وهدى بين ضاللتين اثبات الصفات
ونفى مماثلة المخلوقات فقوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }
{ الشورى 11 رد على أهل التشبيه والتمثيل وقوله { وَهُوَ
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 رد على أهل النفى والتعطيل
فالممثل اعشى والمعتل أعمى الممثل يعبد صنما والمعتل يعبد
عدما وقد اتفق جميع اهل الاثبات على ان الله حى حقيقة عليم
حقيقة قدير حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة مرید حقيقة متكلم
حقيقة حتى المعتزلة النفاة للصفات قالوا ان الله متكلم حقيقة كما
قالوا مع سائر المسلمين ان الله عليم حقيقة قدير حقيقة بل ذهب
طائفة منهم كأبى العباس الناشى الى أن هذه الاسماء حقيقة لله
مجاز للخلق واما جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية من
الاشعرية الكلابية والكرامية والسالمية واتباع الائمة الاربعة من
الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الحديث والصوفية
فانهم يقولون ان هذه الاسماء حقيقة للخالق سبحانه وتعالى وان
كانت تطلق على خلقه حقيقة أيضا ويقولون ان له علما حقيقة
وقدرة حقيقة وسمعا حقيقة وبصرا حقيقة وانما ينكر ان تكون هذه
الاسماء حقيقة النفاة من القرامطة الاسماعيلية الباطنية ونحوهم من
المتفلسفة الذين ينفون عن الله الاسماء الحسنى ويقولون ليس بحى
ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز ولا موجود ولا معدوم
فهؤلاء ومن ضاهاهم ينفون ان تكون له حقيقة ثم يقول بعضهم ان
هذه الاسماء لبعض المخلوقات وانها ليست له حقيقة ولا مجازا
وهؤلاء الذين يسميهم المسلمون الملاحدة لأنهم الحدوا فى اسماء

الله وآياته وقد قال الله تعالى { **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } الأعراف 180 وقال تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا** } فصلت 40 وهؤلاء شر من المشركين الذين أخبر الله عنهم بقوله { **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا** } الفرقان 60 وقال تعالى { **كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَّتَتَّبِعُوهُمُ الَّذِينَ أُوحِيَنا إِلَيْكَ وَهُمْ يُكَفِّرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ** } الرعد 30 فان أولئك المشركين انما انكروا اسم الرحمن فقط وهم لا ينكرون اسماء الله وصفاته ولهذا كانوا عند المسلمين اكفر من اليهود والنصارى ولو كانت اسماء الله وصفاته مجازا يصح نفيها عند الاطلاق لكان يجوز ان الله ليس بحى ولا عليم ولا قدير ولا سميع ولا بصير ولا يحبهم ولا يحبونه ولا استوى على العرش ونحو ذلك ومعلوم بالاضطرار من دين الاسلام أنه لا يجوز اطلاق النفى على ما اثبتته الله تعالى من الأسماء الحسنى والصفات بل هذا جحد للخالق وتمثيل له بالمعدومات وقد قال أبو عمر بن عبدالبر أهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات الواردة كلها فى القرآن والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز الا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة واما أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها ولا يحملونها على الحقيقة ويزعمون أن من أقر بها مشبه وهم عند من أقر بها نافون للمعبود لا مثبتون والحق فيما قاله القائلون بما نطق به الكتاب والسنة وهم أئمة الجماعة وهذا الذى حكاه ابن عبدالبر عن المعتزلة ونحوهم هو فى بعض ما ينفونه من الصفات وأما فيما يثبتونه من الأسماء والصفات كالحى والعليم والقدير والمتكلم فهم يقولون ان ذلك حقيقة ومن أنكر أن يكون شىء من هذه الأسماء والصفات حقيقة انما أنكره لجهله مسمى الحقيقة او لكفره وتعطيله لما يستحقه رب العالمين وذلك أنه قد يظن أن اطلاق ذلك يقتضى

أن يكون المخلوق مماثلاً للخالق فيقال له هذا باطل فإن الله موجود
 حقيقة والعبد موجود حقيقة وليس هذا مثل هذا والله تعالى له ذات
 حقيقة والعبد له ذات حقيقة وليس ذاته كذوات المخلوقات
 وكذلك له علم وسمع وبصر حقيقة وللعبد علم وسمع وبصر حقيقة
 وليس علمه وسمعه وبصره مثل علم الله وسمعه وبصره والله كلام
 حقيقة وللعبد كلام حقيقة وليس كلام الخالق مثل كلام المخلوقين
 والله تعالى استواء على عرشه حقيقة وللعبد استواء على الفلك
 حقيقة وليس استواء الخالق كاستواء المخلوقين فإن الله لا يفتقر إلى
 شيء ولا يحتاج إلى شيء بل هو الغنى عن كل شيء والله
 تعالى يحمل العرش وحملته بقدرته ويمسك السموات والأرض أن
 تزولا فمن ظن أن قول الأئمة أن الله مستو على عرشه حقيقة
 يقتضى أن يكون استوائه مثل استواء العبد على الفلك والأنعام
 لزمه أن يكون قولهم أن الله له علم حقيقة وسمع حقيقة وبصر
 حقيقة وكلام حقيقة يقتضى أن يكون علمه وسمعه وبصره وكلامه
 مثل المخلوقين وسمعه وبصرهم وكلامهم وأما قول السائل ما
 معنى كون ذلك حقيقة فالحقيقة هو اللفظ المستعمل فيما وضع
 له وقد يراد بها المعنى الموضوع للفظ الذى يستعمل اللفظ فيه
 فالحقيقة أو المجاز هي من عوارض الالفاظ فى اصطلاح أهل
 الأصول وقد يجعلونه من عوارض المعانى لكن الأول اشهر وهذه
 الاسماء والصفات لم توضع لخصائص المخلوقين عند الاطلاق
 ولا عند الاضافة الى الله تعالى ولكن عند الاضافة اليهم فاسم
 العلم يستعمل مطلقا ويستعمل مضافا الى العبد كقوله {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران 18 ويستعمل مضافا الى الله كقوله {
 وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ} البقرة 255 فاذا
 اضيف العلم الى المخلوق لم يصلح أن يدخل فيه علم الخالق
 سبحانه ولم يكن علم المخلوق كعلم الخالق واذا اضيف الى الخالق

كقوله {أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ} النساء 166 لم يصلح أن يدخل فيه علم
المخلوقين ولم يكن علمه كعلمهم⁸⁴⁹

الرد على من يقول لا يجوز الدعاء إلا بالتسعة والتسعين اسما

* أن أسماء الله تبارك وتعالى متعددة كثيرة وفي الصحيحين عن النبي أنه قال إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وهذا معناه في أشهر قولي العلماء وأصحهما أن من أسماه تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وإلا فأسماؤه تبارك وتعالى أكثر من ذلك⁸⁵⁰

* الحمد لله هذا القول وإن كان قد قاله طائفة من المتأخرين كأبي محمد بن حزم وغيره فإن جمهور العلماء على خلافه وعلى ذلك مضى سلف الأمة وأئمتها وهو الصواب لوجوه أحدها أن التسعة والتسعين اسما لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة وحفاظ أهل الحديث يقولون هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث وفيها حديث ثان أضعف من هذا رواه ابن ماجه وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف وهذا القائل الذي حصر أسماء الله في تسعة وتسعين لم يمكنه استخراجها من القرآن وإذا لم يقم على تعيينها دليل يجب القول به لم يمكن أن يقال هي التي يجوز الدعاء بها دون غيرها لأنه لا سبيل إلى تمييز الأمور من المحذور فكل اسم يجهل حاله يمكن أن يكون من الأمور ويمكن أن يكون من المحذور وإن قيل لا تدعوا إلا باسم له ذكر في الكتاب والسنة قيل هذا أكثر من تسعة وتسعين الوجه

⁸⁴⁹ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 197-200

⁸⁵⁰ الجواب الصحيح ج: 3 ص: 224

الثاني أنه إذا قيل تعيينها على ما في حديث الترمذي مثلا ففي الكتاب والسنة أسماء ليست في ذلك الحديث مثل اسم الرب فإنه ليس في حديث الترمذي وأكثر الدعاء المشروع إنما هو بهذا الإسم كقول آدم {قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا {الأعراف23} وقول نوح { رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ {هود47} وقول نوح { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ {نوح28} وقول موسى { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي {القصص16} وقول المسيح { اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ {المائدة114} وأمثال ذلك حتى أنه يذكر عن مالك وغيره أنهم كرهوا أن يقال يا سيدي بل يقال يا رب لأنه دعاء النبيين وغيرهم كما ذكر الله في القرآن وكذلك اسم المنان ففي الحديث الذي رواه أهل السنن أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع داعيا يدعو اللهم إني أسألك بأن لك الملك أنت الله المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وهذا رد لقول من زعم أنه لا يكون في أسمائه المنان وقد قال الإمام أحمد رضي الله عنه لرجل ودعه قل يا دليل الحائرين دلني على طريق الصادقين واجعلني من عبادك الصالحين وقد أنكر طائفة من أهل الكلام كالقاضي أبي بكر وأبي الوفاء بن عقيل أن يكون من أسمائه الدليل لأنهم ظنوا أن الدليل هو الدلالة التي يستدل بها والصواب ما عليه الجمهور لأن الدليل في الأصل هو المعرف للمدلول ولو كان الدليل ما يستدل به فالعبد يستدل به أيضا فهو دليل من الوجهين جميعا وأيضا فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله وتر يحب الوتر وليس هذا الإسم في هذه التسعة والتسعين وثبت عنه في الصحيح أنه قال إن الله جميل يحب الجمال وليس هو فيها وفي الترمذي وغيره أنه قال إن الله نظيف يحب النظافة وليس هذا فيها وفي الصحيح عنه أنه قال إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وليس هذا فيها وتتبع هذا يطول ولفظ التسعة والتسعين المشهورة عند

الناس في الترمذي الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام
 المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور
 الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض
 الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير
 الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب
 الجليل الجميل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحليم الودود المجيد
 الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي
 المبدئ المعيد المحي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد
 الأحد ويروى الواحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الأول
 الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو
 الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني
 المغني المعطي المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي
 الوارث الرشيد الصبور الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير
 ومن أسمائه التي ليست في هذه التسعة والتسعين اسمه السبوح
 وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول
 سبوح قدوس واسمه الشافي كما ثبت في الصحيح أنه
 كان يقول أذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شافي
 إلا أنت شفاء لا يغادر سقما وكذلك أسمائه المضافة مثل أرحم
 الراحمين وخير الغافرين ورب العالمين ومالك يوم الدين وأحسن
 الخالقين وجامع الناس ليوم لا ريب فيه ومقلب القلوب وغير ذلك
 مما ثبت في الكتاب والسنة وثبت في الدعاء بها بإجماع المسلمين
 وليست من هذه التسعة والتسعين الوجه الثالث ما احتج به
 الخطابي وغيره وهو حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال ما أصاب عبدا قط هم ولا حزن فقال اللهم إني
 عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل
 في قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في
 كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك
 أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي وشفاء صدري وجلاء حزني
 وذهاب غمي وهمي إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله مكانه فرحا

قالوا يا رسول الله أفلا نتعلمهن قال بلى ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن رواه الإمام أحمد في المسند وأبو حاتم بن حبان في صحيحه قال الخطابي وغيره فهذا يدل على أن له أسماء استأثر بها وذلك يدل على أن قوله إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وإن في أسمائه تسعة وتسعين من أحصاها دخل الجنة كما يقول القائل إن لي ألف درهم أعدتها للصدقة وإن كان ماله أكثر من ذلك والله في القرآن قال {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} {الأعراف 180} فأمر أن يدعى بأسماء الحسنی مطلقا ولم يقل ليست أسماءه الحسنی إلا تسعة وتسعين اسما والحديث قد سلم معناه والله أعلم⁸⁵¹

الدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة

* قال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} {الأعراف 180} لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ} {الشعراء 213} وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} {المؤمنون 117} وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} {القصص 88} وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} {الجن 19} وقال {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا} {النساء 117} ولفظ الصلاة في اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر اولاً لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل

⁸⁵¹الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 216-219 و مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 486

كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} الأنبياء 90 وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع⁸⁵²

المشروع المستحب في ذكر الله ودعائه

* قد دل الكتاب والسنة وأثار سلف الأمة على جنس المشروع المستحب في ذكر الله ودعائه كسائر العبادات وبين النبي مراتب الأنكار كقوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره عن سمرة بن جندب أفضل الكلام بعد القرآن اربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت وفي صحيحه عن أبي ذر قال سئل رسول الله أي الكلام أفضل قال ما إصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده

وفى كتاب الذكر لإبن أبي الدنيا وغيره مرفوعا إلى النبي
أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله وفى الموطأ
وغيره حديث طلحة بن عبدالله بن كريب عن النبي أفضل ما
قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك
وله الحمد وهو على كل شىء قدير وفى السنن حديث الذى قال
يا رسول الله إني لا أستطع أن آخذ من القرآن شيئا فعلمنى ما
يجزئنى فى صلاتى فقال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا
الله والله أكبر ولهذا قال الفقهاء إن من عجز عن القراءة فى
الصلاة إنتقل إلى هذه الكلمات الباقيات الصالحات وفضائل هذه
الكلمات ونحوها كثير ليس هذا موضعه وإنما الغرض
من الذكر والدعاء ما ليس بمشروع الجنس أو هو منهى عنه أو
عن صفته كما قال تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ} الأعراف 55 وقال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
فَادْعُوهُ بِهَا} الأعراف 180 فلا يدعى إلا بأسمائه الحسنى
ومن المنهى عنه ما كانوا يقولونه فى الجاهليه فى تلبيتهم لبيك لا
شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك ومثل قول بعض
الأعراب للنبي إنا نستشفع بالله عليك فقال النبي صلى الله عليه
وسلم شأن الله أعظم من ذلك إن الله لا يستشفع به على أحد من
خلقه ومثل ما كانوا يقولون فى أول الإسلام السلام على الله قبل
عباده فقال النبي إن الله هو السلام فإذا قعد أحدكم فليقل التحيات
لله والصلوات والطيبات أشار بذلك إلى أن السلام
إنما يطلب لمن يحتاج إليه والله هو السلام فالسلام يطلب منه
لا يطلب له بل يثنى عليه فإنه له فيقال التحيات لله والصلوات
والطيبات فالحق سبحانه يثنى عليه ويطلب منه وأما المخلوق
فيطلب له فيقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {56} مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رَّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُونِ } {57} الذاريات 56-57 والرزق يعم كلما ينتفع به
المرتزق فالإنسان يرزق الطعام والشراب واللباس وما ينتفع

بسمعه وبصره وشمه ويرزق ما ينتفع به باطنه من علم وإيمان
وفرح وسرور وقوة ونور وتأييد وغير ذلك والله سبحانه ما يريد
من الخلق من رزق فإنهم لن يبلغوا ضره فيضروه ولن يبلغوا نفعه
فينفعوه بل هو الغنى وهم الفقراء و قد سمع الله قول الذين قالوا
إن الله فقير ونحن أغنياء وهو الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد وكذلك الدعاء المكروه مثل الدعاء ببغى أو
قطيعة رحم أو دعاء منازل الأنبياء أو دعاء الأعرابي الذى قال
اللهم ما كنت معذبي به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا ومثل قوله
صلى الله عليه وسلم للمصابين بميت لما صاحوا لا تدعوا على
انفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون وقد قال
تعالى { وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ
أَجَلُهُمْ } يونس 11 وقال تعالى { وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ
بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً } الإسراء 11 وهذا باب واسع ليس
الغرض هنا إستيعابه وإنما نبهنا على جنس المكروه وإنما
الغرض هنا أن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاما
تاماً مفيداً مثل لا إله إلا الله ومثل الله أكبر ومثل
سبحان الله والحمد لله ومثل لا حول ولا قوة إلا بالله ومثل
تبارك اسم ربك تبارك الذى بيده الملك سبح لله ما فى
السموات والأرض تبارك الذى نزل الفرقان فأما
الإسم المفرد مظهراً مثل الله الله أو مضمراً مثل
هو هو فهذا ليس بمشروع فى كتاب ولا سنة ولا هو مأثور
ايضا عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى بهم
وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين وربما إتبعوا فيه حال
شيخ مغلوب فيه مثلما يروى عن الشبلى أنه كان يقول الله الله
فقيل له لم تقول لا إله إلا الله فقال أخاف أن أموت بين النفى
والإثبات وهذه من زلات الشبلى التى تغفر له لصدق إيمانه وقوة
وجده وغلبة الحال عليه فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى
المارستان ويحلق لحيته وله أشياء من هذا النمط التى لا يجوز
الإقتداء به فيها وإن كان معذوراً أو مأجوراً فإن العبد لو أراد أن

يقول لا إله إلا الله ومات قبل كمالها لم يضره ذلك شيئا إذ الأعمال بالنيات بل يكتب بل يكتب له ما نواه وربما غلا بعضهم في ذلك حتى يجعلوا ذكر الإسم المفرد للخاصة وذكر الكلمة التامة للعامة وربما قال بعضهم لا إله إلا الله للمؤمنين و الله للعارفين و هو للمحققين وربما إقتصر أحدهم في خلوته أو في جماعته على الله الله الله أو على هو أو ياهو أو لا هو إلا هو وربما ذكر بعض المصنفين في الطريق تعظيم ذلك وإستدل عليه تارة وتارة برأى وتارة بنقل مكذوب كما يروى بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم لقن علي بن أبي طالب أن يقول الله الله الله فقالها النبي ثلاثا ثم أمر عليا فقالها ثلاثا وهذا حديث موضوع بإتفاق أهل العلم بالحديث وإنما كان تلقين النبي للذكر المأثور عنه ورأس الذكر لا إله إلا الله وهى الكلمة التى عرضها على عمه أبى طالب حين الموت و وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وقال أنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله والأحاديث كثيرة فى هذا المعنى⁸⁵³

أن المسلمين فى أسماء الله تعالى على طريقتين

* قال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} {الأعراف 180} وقال تعالى {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} {الإسراء 110} وقال تعالى {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} {طه 8}

وقال تعالى { هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الحشر 24 و الحسنى المفضلة على الحسنة والواحد الاحاسن ثم هنا ثلاثة أقوال اما ان يقال ليس له من الاسماء الا الأحسن ولا يدعى الا به واما ان يقال لا يدعى الا بالحسنى وان سمي بما يجوز وان لم يكن من الحسنى وهذان قولان معروفان واما ان يقال بل يجوز فى الدعاء والخبر وذلك ان قوله { وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } الأعراف 180 وقال { ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110 أثبت له الاسماء الحسنى و امر بالدعاء بها فظاهر هذا ان له جميع الاسماء الحسنى وقد يقال جنس الاسماء الحسنى بحيث لا يجوز نفيها عنه كما فعله الكفار و امر بالدعاء بها و امر بدعائه مسمى بها خلاف ما كان عليه المشركون من النهى عن دعائه باسمه الرحمن فقد يقال قوله { فَادْعُوهُ بِهَا } الأعراف 180 امر ان يدعى بالاسماء الحسنى وان لا يدعى بغيرها كما قال { ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ } الأحزاب 5 فهو نهى ان يدعوا لغير آبائهم ويفرق بين دعائه والايخبار عنه فلا يدعى الا بالاسماء الحسنى واما الاخبار عنه فلا يكون باسم سيء لكن قد يكون باسم حسن او باسم ليس بسيء وان لم يحكم بحسنه مثل اسم شىء وذات وموجود اذا اريد به الثابت واما اذا اريد به الموجود عند الشدائد فهو من الاسماء الحسنى وكذلك المريد والمتكلم فان الارادة والكلام تنقسم الى محمود ومذموم فليس ذلك من الاسماء الحسنى بخلاف الحكيم والرحيم والصادق ونحو ذلك فان ذلك لا يكون الا محمودا وهكذا كما فى حق الرسول حيث قال { لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا } النور 63 فأمرهم ان يقولوا يا رسول الله يا نبي الله كما خاطبه الله بقوله { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ } الأنفال 64 { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ } المائدة 41 لا يقول يا محمد يا أحمد يا أبا القاسم وان كانوا يقولون فى الاخبار كالأذان ونحوه اشهد ان محمدا رسول الله كما قال تعالى { مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ } الفتح 29 وقال { وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنَ بَعْدِي }

اسْمُهُ أَحْمَدُ {الصف 6} وقال {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ} الأحزاب 40 فهو سبحانه لم يخاطب محمدا الا بنعت التشريف كالرسول والنبى والمزمل والمدثر وخاطب سائر الانبياء بأسمائهم مع انه فى مقام الاخبار عنه قد يذكر اسمه فقد فرق سبحانه بين حالتى الخطاب فى حق الرسول وامرنا بالتفريق بينهما فى حقه وكذلك هو المعتاد فى عقول الناس اذا خاطبوا الاكابر من الامراء والعلماء والمشايخ والرؤساء لم يخاطبوهم ويدعوهم الا باسم حسن وان كان فى حال الخبر عن أحدهم يقال هو انسان وحيوان ناطق وجسم ومحدث ومخلوق ومربوب ومصنوع وابن انثى ويأكل الطعام ويشرب الشراب لكن كل ما يذكر من اسمائه وصفاته فى حال الاخبار عنه يدعى به فى حال مناجاته ومخاطبته وان كانت اسماء المخلوق فيها ما يدل على نقصه وحدوثه واسماء الله ليس فيها ما يدل على نقص ولا حدوث بل فيها الاحسن الذى يدل على الكمال وهى التى يدعى بها وان كان اذا اخبر عنه يخبر باسم حسن او باسم لا ينفى الحسن ولا يجب ان يكون حسنا وأما فى الاسماء المأثورة فما من اسم الا وهو يدل على معنى حسن فينبغى تدبر هذا للدعاء وللخبر المأثور وغير المأثور الذى قيل لضرورة حدوث المخالفين للتفريق بين الدعاء والخبر وبين المأثور الذى يقال او تعريفهم لما لم يكونوا به عارفين وحينئذ فليس كل اسم نكر فى مقام يذكر فى مقام بل يجب التفريق⁸⁵⁴

*أن المسلمين فى أسماء الله تعالى على طريقتين فكثير منهم يقول إن أسماءه سمعية شرعية فلا يسمى إلا بالأسماء التى جاءت بها الشريعة فإن هذه عبادة والعبادات مبناها على التوفيق والاتباع ومنهم من يقول ما صح معناه فى اللغة وكان معناه ثابتا له لم يحرم تسميته به فإن الشارع لم يحرم علينا ذلك فيكون عفوا والصواب وهو أن يفرق بين أن يدعى بالأسماء أو يخبر بها عنه فإذا دعي لم

يدع إلا بالأسماء الحسنى كما قال تعالى **{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** {الأعراف 180} واما الإخبار عنه فهو بحسب الحاجة فإذا احتيج في تفهيم الغير المراد إلى أن يترجم أسماؤه بغير العربية أو يعبر عنه باسم له معنى صحيح لم يكن ذلك محرماً⁸⁵⁵

*وإن العبد إذا قال رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور كان قد أحسن في مناجاة ربه وإذا قال اغفر لي وتب علي إنك أنت الجبار المتكبر الشديد العقاب لم يكن محسناً في مناجاته وأن الله أنكر على المشركين الذين امتنعوا من تسميته بالرحمن فقال تعالى **{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ}** {الأعراف 180}⁸⁵⁶

{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}

*قال تعالى **{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ}** {الأعراف 181} وهذا يتناول من كان متصفاً منهم بهذا قبل النسخ فإنهم كانوا على الدين الحق الذي لم يبدل ولم ينسخ فهذا خبر من الله عن من كان متصفاً بهذا الوصف قبل مبعث محمد ومن أدرك من هؤلاء محمداً فأمن به كان له أجره مرتين⁸⁵⁷

الله سبحانه يرزق المؤمن والكافر وقد يجيب

دعاءهم

* فمن دعاه موقناً أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه وقد يكون مشركاً وفاسقاً فإنه سبحانه هو القائل **{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ**

⁸⁵⁵الجواب الصحيح ج: 5 ص: 8

⁸⁵⁶العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 106

⁸⁵⁷الجواب الصحيح ج: 2 ص: 213

دَعَانَا لَجَنِبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {يونس 12}

ولكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لإقرارهم بربوبيته وأنه يجيب دعاء المضطر إذا دعاه إذا لم يكونوا مخلصين له الدين في عبادته ولا مطيعين له ولرسوله كان ما يعطيهم بدعائهم متاعا في الحياة الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق وقال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا {18} وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا {19} كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا {20}

الإسراء 18 وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لأهل الإيمان فقال { وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } البقرة 126 فقال الله تعالى { وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } البقرة 126 فليس كل من متعه الله برزق ونصر إما إجابة لدعائه وإما بدون ذلك يكون ممن يحبه الله ويواليه بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر وقد يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤلهم في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء معتديا فيه إما بطلب ما لا يصلح أو بالدعاء الذي فيه معصية الله من شرك أو غيره فإذا حصل بعض غرضه ظن أن ذلك دليل على أن عمله صالح بمنزلة من أملى له وأمهه بالمال والبنين فظن أن ذلك مسارعة له في الخيرات قال تعالى { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ {182} وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ {183} } الاعراف 182-183 والاملاء اطالة العمر وما في ضمنه من رزق ونصر

858

{أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ {الأعراف 184}

يَأْمُرُ الْقُرْآنُ بِأَسْبَابِ الْعِلْمِ وَكَمَالِهِ

*قال تعالى {أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } الأعراف 185 قد مدح الله العلم والعقل والفقه وهذا كثير في القرآن يأمر ويمدح التفكير والتدبر والتذكر والنظر والاعتبار والفقه والعلم والعقل والسمع والبصر والنطق ونحو ذلك من انواع العلم واسبابه وكماله ويذم اضداد ذلك⁸⁵⁹

*قال تعالى {مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأعراف 186 واعلم أن المذهب إذا كان باطلاً في نفسه لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً فإن هذا لا يكون الا للحق فأما القول الباطل فإذا بين فبيانه يظهر فساده حتى يقال كيف اشتبه هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم اياه ولا ينبغي للإنسان أن يعجب فما من شيء يتخيل من أنواع الباطل الا وقد ذهب إليه فريق من الناس ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنهم أموات وأنهم صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ وأنهم لا يفقهون وأنهم لا يعقلون وأنهم في قول مختلف يؤفك عنه من أفك وأنهم في ريبهم يترددون وأنهم يعمهون⁸⁶⁰

العبد فقير الى الله في كل شيء لا يستغنى عن الله طرفة عين

*أن الله رب كل شيء وخالقه وملكه لارب غيره و لا خالق سواه و إنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن لا حول و لا قوة إلا به

⁸⁵⁹ الاستقامة ج: 2 ص: 158

⁸⁶⁰ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 145

و لا ملجأ منه إلا إليه و أنه على كل شيء قدير فجميع ما فى السموات و الأرض من الأعيان و صفاتها و حركاتها فهي مخلوقة له مقدورة له مصرفة بمشيئته لا يخرج شيء منها عن قدرته و ملكه و لا يشركه فى شيء من ذلك غيره بل هو سبحانه لا إله إلا هو و حده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير فالعبد فقير الى الله فى كل شيء يحتاج إليه فى كل شيء لا يستغنى عن الله طرفة عين فمن يهده الله فلا مضل له و من يضل فلا هادي له ⁸⁶¹

* إن كل ما فى الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته و قدرته و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغني و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقا كأنما يصعد فى السماء و هو يقبل القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيغه أزاعه و هو الذي حبب إلى المؤمنين الإيمان و زينه فى قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان أولئك هم الراشدون وهو الذي جعل المسلم مسلما و المصلي مصليا قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ } البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعَلْنِي مُّقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون { وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا } {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا } {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } {21} المعارج 19-21 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } هود 37 و قال { وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ } هود 38 و الفلك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله { وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } يس 42

و قال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم وقال تعالى { أَنْعِبُدُونَ مَا تَنَحُّتُونَ } {95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ {96} الصافات 95- 96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبني دل على أنه خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } الكهف 17 و قال { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابغة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما يفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الراحمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 و قد خلق الله سبحانه تعالى الأشياء بأسباب كما قال تعالى { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } البقرة 164 و قال { فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ } الأعراف 57 و قال تعالى { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ } المائدة 16⁸⁶²

علم الساعة أخفاها الله عن جميع خلقه

*و علم الساعة أخفاها الله عن جميع خلقه كما محمد صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك لما سئل عنها قال تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا

هُوَ تَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْتَهُ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ
 حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
 يَعْلَمُونَ { 187 } { الأعراف 187 } تَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ {
 أي خفيت على أهل السموات والأرض وفي الصحيح عن النبي
 صلى الله عليه وسلم أنه قال تسألوني عن الساعة وإنما علمها عند
 الله⁸⁶³

* فان وقت الساعة لا يعلمه ملك مقرب و لا نبي مرسل⁸⁶⁴

* فأخبر أنه ليس علمها الا عند الله وانما هو علم وقتها المعين
 وحقيقتها والا فنحن قد علمنا من صفاتها ما اخبرنا به⁸⁶⁵

* ليس عن النبي في تحديد وقت الساعة نص اصلا بل قد قال
 تعالى { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي
 لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ تَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

{ الأعراف 187 } اي خفى على أهل السموات والارض وقال
 تعالى لموسى { إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا } طه 15 قال ابن
 عباس وغيره أكاد اخفيها من نفسي فكيف اطلع عليها وفي
 الصحيحين من حديث أبي هريرة وهو في مسلم من حديث عمر أن
 النبي قيل له متى الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل
 فأخبر انه ليس بأعلم بها من السائل وكان السائل في صورة
 أعرابي ولم يعلم انه جبريل الا بعد ان ذهب وحين أجابه لم يكن
 يظنه إلا اعرابيا فاذا كان النبي قد قال عن نفسه إنه ليس بأعلم
 بالساعة من اعرابي فكيف يجوز لغيره ان يدعى علم ميفاتها وانما

⁸⁶³ الجواب الصحيح ج: 1 ص: 420

⁸⁶⁴ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 489

⁸⁶⁵ مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 300

أخبر الكتاب والسنة بأشراتها وهي علامتها وهي كثيرة تقدم بعضها وبعضها لم يأت بعد⁸⁶⁶

* وقد إستدل بعضهم بأن الله لم ينف عن غيره علم شيء إلا كان منفردا به كقوله { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ } النمل 65 وقوله { لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ } الأعراف 187 وقوله { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } المدثر 31 فيقال ليس الأمر كذلك بل هذا بحسب العلم المنفى فإن كان مما إستأثر الله به قيل فيه ذلك و إن كان مما علمه بعض عباده ذكر ذلك كقوله { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ } البقرة 255 وقوله { عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا } الجن 26 الى قوله { رَصَدًا } الجن 27 وقوله { قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ } الرعد 43 وقوله { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْأَلْبَابِ } آل عمران 18 وقوله { لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ } النساء 166 الى قوله { شَهِيدًا } النساء 166 وقوله { قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ } الكهف 22 وقال للملائكة { إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } البقرة 30 وقالت الملائكة { لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا } البقرة 32 وفي كثير من كلام الصحابة الله ورسوله أعلم وفي الحديث المشهور أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو إستأثرت به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } النساء 59 وأول النزاع النزاع في معاني القرآن فإن لم يكن الرسول عالما بمعانيه إمتنع الرد إليه وقد إتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة الدين أن السنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبير عن مجمله وأنها تفسر مجمل القرآن من الأمر والخبر⁸⁶⁷

⁸⁶⁶ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 341

⁸⁶⁷ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 430

صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة

*صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة العلم والقدرة والغنى وان شئت ان تقول العلم والقدرة والقدرة إما على الفعل وهو التأثير وإما على الترك وهو الغنى والأول اجود وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال الا الله وحده فانه الذى احاط بكل شىء علما وهو على كل شىء قدير وهو غنى عن العالمين وقد امر الرسول ان يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمُونِي بِبُرْهَانٍ مِنَ اللَّهِ أَتَى بِهِ لَا تُصَدِّقُونَنِي بِدُونِ الْبُرْهَانِ} الأنعام 50 وكذلك قال نوح عليه السلام {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} هود 31 فهذا أول أولى العزم وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولى العزم كلاهما يتبرأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبون الرسول تارة بعلم الغيب كقوله {وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الأنبياء 38 و {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي} الأعراف 187 وتارة بالتأثير كقوله {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} {90} أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خَلَالَهَا فَتُجِيرُوا} {91} أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِنَاثٍ وَأَلْمَائِكَةٌ فَيَبِئْسَ الْقَبِيلُ} {92} أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} {93} الإسراء 90-93 وتارة يعيبون عليه الحاجة البشرية كقوله {وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا} {7} أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا} {8} الفرقان 7-8 فأمره ان يخبر انه لا يعلم الغيب ولا يملك خزائن الله ولا هو ملك غنى عن الاكل والمال ان هو الا متبع لما اوحى اليه واتباع ما اوحى اليه هو الدين وهو طاعة الله وعبادته علما وعملا بالباطن والظاهر وانما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علمه اياه

ويقدر منه على ما اقدره الله عليه ويستغنى عما اغناه الله عنه من الامور المخالفة للعادة المطردة او لعادة غالب الناس⁸⁶⁸

"لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"

*قال تعالى {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الأعراف 188 وقد قال الله تعالى له {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} يونس 49 وقال تعالى {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} القصص 56 وقال تعالى {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} آل عمران 128 وهذا تحقيق التوحيد مع أنه أكرم الخلق على الله وأعلامهم منزلة عند الله قال صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله متفق عليه وقال لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد بل ما شاء الله ثم شاء محمد وقال له بعض الأعراب ما شاء الله وشئت فقال أجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده وقد روى الطبراني في معجمه الكبير أن منافقا كان يؤذى المؤمنين فقال أبو بكر قوموا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال له النبي إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله وفي صحيح مسلم في آخره أنه قال قبل أن يموت بخمس إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك وفي صحيح مسلم أيضا وغيره أنه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وله طرق متعددة عن غيرهما أنه قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد

الحرام والمسجد الأقصى وسئل مالك عن رجل نذر أن يأتي
قبر النبي فقال مالك ان كان أراد القبر فلا يأتيه وان أراد المسجد
فليأته ثم ذكر الحديث لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد
ذكره القاضي إسماعيل في مبسوطه⁸⁶⁹

{ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ }

* قال الله تعالى { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ
وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الأعراف 188 إفراد الرب تعالى
بالأمر وأنه ليس لغيره أمر⁸⁷⁰

* وقوله { يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ }
الحج 12 هو نفي لكونه المدعو المعبود من دون الله يملك نفعاً أو
ضراً وهذا يتناول كل ما سوى الله من الملائكة والبشر والجن
والكواكب والأوثان كلها فإنما سوى الله لا يملك لا لنفسه ولا لغيره
ضراً ولا نفعاً كما قال تعالى في سياق نهيه عن عبادة المسيح { لَقَدْ
كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ
يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } {73} أَفَلَا
يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ وَغُفُورٌ رَحِيمٌ } {74} مَا الْمَسِيحُ ابْنُ
مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ
الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } {75} قُلْ
أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ } {76} المائدة 73-76 وقد قال لخاتم الرسل { قُلْ لَا أَمْلِكُ
لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ } الأعراف 188 وقال { قُلْ
إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا } الجن 21 وقال على العموم { مَا

⁸⁶⁹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 303

⁸⁷⁰ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 331 و الجواب الصحيح ج: 5 ص: 307

يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ
 مِنْ بَعْدِهِ { فاطر 2 } وقال { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ
 إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ } يونس 107 وقال { قُلْ
 أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
 ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ
 عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38 وقال صاحب يس { وَمَا لِي
 لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } { 22 } أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ
 يُرِدُنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُقْدِرُونَ } { 23 }
 إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } { 24 } إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ } { 25 }
 يس 22-25 وقوله { يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا
 يَنْفَعُهُ } الحج 12 نفى عام كما فى قوله { وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً
 وَلَا نَفْعاً } طه 89 فهو لا يقدر أن يضر أحدا سواء عبده أو لم
 يعبده ولا ينفع أحدا سواء عبده أو لم يعبده وقول من قال لا ينفع أن
 عبد ولا يضر إن لم يعبد بيان لإنتفاء الرغبة والرغبة من جهته
 بخلاف الرب الذى يكرم عابديه ويرحمهم ويهين من لم يعبده
 ويعاقبه التحقيق انه لا ينفع ولا يضر مطلقا فإن الله سبحانه
 وسعت رحمته كل شىء وهو ينعم على كثير من خلقه وإن لم يعبده
 ففعله للعباد لا يختص بعابديه وإن كان فى هذا تفصيل ليس هذا
 موضعه وما دونه لا ينفع لا من عبده ولا من لم يعبده وهو سبحانه
 الضار النافع قادر على أن يضر من يشاء وإن كان ما ينزله من
 الضر بعابديه هو رحمة فى حقهم كما قال أيوب { مَسَّنِيَ الضُّرُّ
 وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } الأنبياء 83 وقال تعالى { وَإِنْ يَمْسَسْكَ
 اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ } الأنعام 17 وقال أيضا لرسوله
 محمد صلى الله عليه وسلم { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً إِلَّا
 مَا شَاءَ اللَّهُ } الأعراف 188 وقال تعالى { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ } البقرة 177 وهو سبحانه يحدث ما يحدثه
 من الضر بمن لا يوصف بمعصية من الأطفال والمجانين

والبهائم لما فى ذلك منة الحكمة والنعمة والرحمة كما هو مبسوط
فى غير هذا الموضع ⁸⁷¹

*وقد أمر تعالى أفضل الخلق ان يقول إنه لا يملك لنفسه ضرا ولا
نفعا ولا يملك لغيره ضرا ولا رشدا فقال تعالى {قُلْ لَا أَمْلِكُ
لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} {الأعراف 188} وقال {
قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} {21} {قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ
اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} {22} {إِلَّا بِلَاغٍ مِّنَ اللَّهِ
وَرِسَالَاتِهِ} {23} {الجن 21-23} يقول لن يجيرنى من الله احد إن
عصيته كما قال تعالى {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ} {الزمر 13} {وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} {الجن 22} اى ملجأ
الجا اليه إلا بلاغا من الله ورسالاته اى لا يجيرنى منه احد الا
طاعته ان أبلغ ما أرسلت به اليكم فبذلك تحصل الاجاره والأمن
وقيل أيضا لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لا املك الا تبليغ ما ارسلت
به منه ومثل هذا فى القرآن كثير فتبين أن الأمن من عذاب الله
وحصول السعادة إنما هو بطاعته تعالى لقوله {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ
إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} {النساء 147} وقال تعالى {قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي
لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ} {الفرقان 77} اى لو لم تدعوه كما أمر فتطيعوه
فتعبدوه وتطيعوا رسله فانه لا يعبأ بكم شيئا ⁸⁷²

بدعة تسمية القطب الغوث الجامع

*إذا كان فى الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته
بالقطب الغوث الجامع بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ولا تكلم
بهذا أحد من سلف الأمة وأئمتها وما زال السلف يظنون فى بعض
الناس أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه
الأسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان لا سيما أن من المنتحلين

⁸⁷¹ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 275

⁸⁷² مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 433

لهذا الإسم من يدعى أن أول الأقطاب هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ثم يتسلل الأمر إلى ما دونه إلى بعض مشايخ المتأخرين وهذا لا يصح على مذهب أهل السنة ولا على مذهب الرافضة فأين ابو بكر وعمر وعثمان وعلى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والحسن عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز والإحتلام وقد حكى عن بعض الأكابر من الشيوخ المنتحلين لهذا أن القطب الفرد الغوث الجامع ينطبق علمه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك وإن هذا إنتقل عنه إلى الحسن وتسلسل إلى شيخه⁸⁷³

* فمن يزعم ان نبي او شخص ما ينطبق علمه على علم الله تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كذلك وأن هذا انتقل عنه إلى الحسن وتسلسل إلى شيخه فبينت أن هذا كفر صريح وجهل قبيح وإن دعوى هذا فى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كفر دع ما سواه وقد قال الله تعالى {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعِ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} الأنعام 50 وقال تعالى {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} الأعراف 188 وقال الله تعالى {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنًا نَّعَاسًا يُغْشَىٰ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ

وَلِيْمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ { آل عمران 154
874

ان الله سمي كلا من محمد صلى الله عليه وسلم والقران بشيرا و نذيرا

*قال الله تعالى { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ
وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكُنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الأعراف 188 فان الله سمي كلا من
محمد صلى الله عليه وسلم والقران بشيرا و نذيرا فقال في رسول
الله { إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الأعراف 188 و قال
تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } الفتح 8 و قال تعالى
في القران { كِتَابٌ فَصَّلْتَ آيَاتُهُ فُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } {3}
بَشِيرًا وَنَذِيرًا } {4} فصلت 3-4 و هما متلازمان⁸⁷⁵

سميت الزوجة سكنا

*والحركة والسكون والطمأنينة التي توصف بها النفس ليست
مماثلة لما يوصف به الجسم قال تعالى { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ } الرعد 28 والاطمئنان هو السكون قال الجوهري اطمأن
الرجل اطمئنانا وطمأنينة أى سكن قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ } {27} ارجعي إلى ربك راضية مرضية {28} الفجر
27-28 وكذلك للقلوب سكونة تناسبها قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ
السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } الفتح 4
وكذلك الريب حركة النفس للشك ومنه الحديث أن النبي
مر بظبي حاقف فقال لا يريبه أحد ويقال رابني منه ريب و
دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال الكذب ريبة والصدق
طمأنينة فجعل الطمأنينة ضد الريبة وكذلك اليقين ضد الريب

⁸⁷⁴ زيارة القبور ج: 1 ص: 75

⁸⁷⁵ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 303

واليقين يتضمن معنى الطمأنينة والسكون ومنه ماء يقن وكذلك يقال انزعج وازعجه فانزعج أى أفلقه ويقال ذلك لمن قلقت نفسه ولمن قلق بنفسه وبدنه حتى فارق مكانه وكذلك يقال قلقت نفسه واضطربت نفسه ونحو ذلك من أنواع الحركة ويسمى ما يألفه جنس الانسان ويحبه سكنا لأنه يسكن اليه ويقال فلان يسكن الى فلان ويطمئن اليه ويقال القلب يسكن الى فلان ويطمئن اليه اذا كان مأمونا معروفا بالصدق فان الصدق يورث الطمأنينة والسكون وقد سميت الزوجة سكنا قال تعالى { خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا } الروم 21 وقال { وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا } الأعراف 189 فيسكن الرجل الى المرأة بقلبه وبدنه جميعا وقد يكون بدن الشخص ساكنا ونفسه متحركة حركة قوية وبالعكس قد يسكن قلبه وبدنه متحرك والمحبة للشئ المشتاق اليه يوصف بأنه متحرك اليه ولهذا يقال العشق حركة نفس فارغة فالقلوب تتحرك الى الله تعالى بالمحبة والانابة والتوجه وغير ذلك من أعمال القلوب وان كان البدن لا يتحرك الى فوق فقد قال النبي أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ومع هذا فبدنه أسفل ما يكون فينبغي أن يعرف ان الحركة جنس تحته أنواع مختلفة باختلاف الموصوفات بذلك وما يوصف به نفس الانسان من ارادة ومحبة وكراهة وميل ونحو ذلك⁸⁷⁶

الله متعال ليس كمثله شيء

* قال تعالى { فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } الأعراف 190 فقد تضمن العلو الذي ينعت به نفسه فى كتابه أنه متعال عما لا يليق به من الشركاء و الأولاد فليس كمثله شيء و هذا يقتضى ثبوت صفات الكمال له دون ما سواه و أنه لا يماثله غيره فى شيء من صفات الكمال بل هو متعال عن أن يماثله شيء و تضمن أنه عال على كل ما سواه قاهر

له قادر عليه نافذة مشيئته فيه و أنه عال على الجميع فوق عرشه فهذه ثلاثة أمور في إسمه العلى و إثبات علوه علوه على ما سواه و قدرته عليه و قهره يقتضي ربوبيته له و خلقه له و ذلك يستلزم ثبوت الكمال و علوه عن الأمثال يقتضي أنه لا مثل له في صفات الكمال و هذا و هذا يقتضي جميع ما يوصف به في الإثبات و النفي ففي الإثبات يوصف بصفات الكمال و فى النفي ينزه عن النقص المناقض للكمال و ينزه عن أن يكون له مثل في صفات الكمال كما قد دلت على هذا و هذا سورة الإخلاص {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} {اللَّهُ الصَّمَدُ {2} {الإخلاص 1-2} و تعاليه عن الشركاء يقتضي إختصاصه بالإلهية و أنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده 877

الله سبحانه احق بالكمال من غيره

* وقد بين الله سبحانه انه احق بالكمال من غيره وان غيره لا يساويه في الكمال في مثل قوله تعالى {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ {النحل 17} وقد بين ان الخلق صفة كمال وان الذى يخلق افضل من الذى لا يخلق وان من عدل هذا بهذا فقد ظلم⁸⁷⁸ ومثل هذا في القرآن متعدد من وصف الاصنام بسلب صفات الكمال كعدم التكلم والفعل وعدم الحياة ونحو ذلك مما يبين ان المتصف بذلك منتقص معيب كسائر الجمادات وان هذه الصفات لا تسلب الا عن ناقص معيب واما رب الخلق الذى هو اكمل من كل موجود فهو احق الموجودات بصفات الكمال وانه لا يستوى المتصف بصفات الكمال والذى لا يتصف بها وهو يذكر ان الجمادات فى العادة لا تقبل الاتصاف بهذه الصفات فمن جعل الواجب الوجود لا يقبل الاتصاف فقد جعله من جنس الاصنام الجامدة التى عابها الله تعالى و عاب عابديها ولهذا

⁸⁷⁷ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 124

⁸⁷⁸ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 79

كانت القرامطة الباطنية من اعظم الناس شركا وعبادة لغير الله اذ كانوا لا يعتقدون في الههم انه يسمع او يبصر او يغنى عنهم شيئا والله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير صفات الكمال له بل ذكرها لبيان انه المستحق للعبادة دون ما سواه فأفاد الاصلين اللذين بهما يتم التوحيد وهما اثبات صفات الكمال ردا على اهل التعطيل وبيان انه المستحق للعبادة لا اله الا هو ردا على المشركين والشرك في العالم اكثر من التعطيل ولا يلزم من اثبات التوحيد المنافي للاشراك ابطال قول اهل التعطيل ولا يلزم من مجرد الاثبات المبطل لقول المعطلة الرد على المشركين الا ببيان اخر والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالرد على فرعون وامثاله ويذكر فيه الرد على المشركين وهذا اكثر لان القرآن شفاء لما في الصدور ومرض الاشراك اكثر في الناس من مرض التعطيل⁸⁷⁹

*فإن الفعل و الكلام صفة كمال فإن من يتكلم أكمل ممن لا يتكلم و من يخلق أكمل ممن لا يخلق قال تعالى { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } النحل 17⁸⁸⁰

استفهم إستفهام إنكار و جحود لطرق الإدراك التام

*ذكر الله سبحانه على لسان محمد في الشرك عموما و خصوصا فقال { أَيَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يَخْلُقُونَ } {191} وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ } {192} وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ } {193} إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {194} أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَاطُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ

⁸⁷⁹ مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 83

⁸⁸⁰ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 384

أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونَ {195} إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ {196} وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ {197} الأعراف 191-197 و استفهم إستفهام إنكار و جحود لطرق الإدراك التام و هو السمع و البصر و العمل التام و هو اليد و الرجل كما أنه سبحانه لما أخبر فيما روى عنه رسوله عن أحبابه المتقربين إليه بالنوافل فقال و لا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به و يده التى يبطش بها و رجله التى يمشي بها و أهل السنة و الجماعة المتبعون لإبراهيم و موسى و محمد صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله و محبته و رحمته و سائر ما له من الأسماء و المثل الأعلى و ينزهونه عن مشابهة الأجساد التى لا حياة فيها فإن الله قال {وَالْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} ص34 و قال {وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} الأنبياء 8 و قال {عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ} طه 88 فوصف الجسد بعدم الحياة فإن الموتان لا يسمع و لا يبصر و لا ينطق و لا يغنى شيئاً⁸⁸¹

*قال تعالى {أَلْهَمُّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونَ} الأعراف 195 وللناس فى هذه الآية قولان أحدهما أنه وصفهم بهذه النقائص ليبين أن العابد أكمل من المعبود الثانى أنه ذكر ذلك لأن المعبود يجب أن يكون موصوفاً بنقيض هذه الصفات⁸⁸²

المشركون يخشون إلههم ويرجونها

⁸⁸¹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 216

⁸⁸² مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 223

*المشركون يخشون ألهتهم ويرجونها ولهذا لما قالوا لهود عليه السلام {إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} {54} مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ} {55} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} {56} هود 54-55 ولما حاجوا إبراهيم عليه السلام قال لهم {أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} {82} الاتعام 80-82 ولما خوفوا محمدا عليه الصلاة والسلام بمن دون الله قال الله تعالى {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} {36} وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} {37} وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} {38} الزمر 36-38 وقال تعالى {قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونَ} {195} إِنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} {196} الاعراف 195-196⁸⁸³

الدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة والاستعانة

*لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ

إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ
 {المؤمنون 117} وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ} {القصص 88} وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا
 يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} {الجن 19} وقال {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا
 إِنَاتًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا} {النساء 117} ولفظ الصلاة في
 اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء
 وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل
 ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من
 يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له
 فذكر اول لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل
 كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب
 للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما
 فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا
 سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
 {البقرة 186} وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل
 عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل
 عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده
 عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب
 المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من
 يطلب ذلك بامتنال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال
 والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب
 راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى {
 إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
 {الأنبياء 90} وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ
 رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} {السجدة 16} ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء
 عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع 884

*والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسئلة والإستعانة كما قال تعالى {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} غافر 14 و ذم الذين يدعون الملائكة والأنبياء وغيرهم فقال {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الأعراف 194 وقال {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} الأعراف 197⁸⁸⁵

الصالح هو الذي استوت سريرته وعلانيته على ما

يرضى ربه

* قال الله تعالى {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} الأعراف 196 و لفظ الصالح و الشهيد و الصديق يذكر مفردا فيتناول النبيين قال تعالى في حق الخليل {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} العنكبوت 27 وقال {وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} النحل 122 وقال الخليل {رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} الشعراء 83 وقال يوسف {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} يوسف 101 وقال سليمان {وَأَدْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} النمل 19 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المتفق على صحته لما كانوا يقولون في آخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام على فلان فقال لنا رسول الله ذات يوم ان الله هو السلام فاذا قعد أحدكم في الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاذا قالها أصابت كل عبد صالح لله في السماء والأرض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله تعالى { فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا { النساء 69 قال الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده ولفظ الصالح خلاف الفاسد فاذا أطلق فهو الذي أصلح جميع امره فلم يكن فيه شيء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته وأقواله وأعماله على ما يرضى ربه وهذا يتناول النبيين ومن دونهم⁸⁸⁶

الكتاب هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا

*والكتاب هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا وينصر القائم نصرا وقدرا وقد قال الله تعالى { **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** } الأعراف 196 وقال تعالى { **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا** } الجاثية 18 الى قوله { **وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** } الجاثية 19 وقال تعالى { **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** } الحديد 25 الى قوله { **إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ** } الحديد 25 و الميزان هو العدل به يعرف العدل وأنزل الحديد لينصر الكتاب فان قام صاحبه بذلك كان سعيدا مجاهدا في سبيل الله فان الله نصر الكتاب بأمر من عنده وانتقم ممن خرج عن حكم الكتاب كما قال تعالى { **إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ** } التوبة 40 الى قوله { **وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** } التوبة 40 وقوله لأبي بكر { **إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** } التوبة 40 وقال تعالى { **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ** } النحل 128 وقال تعالى { **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** } البقرة 153 وكل من وافق الرسول في أمر خالف فيه غيره فهو من الذين اتبعوه في ذلك وله نصيب من قوله { **لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** } التوبة 40 فان المعية الالهية المتضمنة للنصر هي لما جاء به الى يوم القيامة وهذا قد دل عليه القرآن وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه وقال تعالى { **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ**

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ { فصلت 53 الى آخر السورة
وقال تعالى { وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } { القصص 83⁸⁸⁷

* قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
{ الأنفال 64 أى هو حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين
وقال تعالى { إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
{ الأعراف 196 ذكر هذا بعد قوله { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {194}
لَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ
بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا
تُنظَرُونَ } {195} { إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ } {196} { الأعراف 194-196 عن ابن عباس قال هم الذين
لا يعدلون بالله فيتولاهم وينصرهم ولا تضرهم عداوة من عاداهم
كما قال تعالى { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } { غافر 51⁸⁸⁸

* وقال تعالى { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } { الزمر 36 وقال { وَمَنْ
يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } {2} { وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } {3} { الطلاق 2-3 فالمسلم المتبع
لرسول الله تعالى حسبه وكافيه وهو وليه حيث كان ومتى كان
ولهذا يوجد المسلمون المتمسكون بالإسلام فى بلاد الكفر لهم
السعادة كلما كانوا أتم تمسكا بالإسلام فإن دخل عليهم شر كان
بذنوبهم حتى إن المشركين وأهل الكتاب إذا رأوا المسلم القائم
بالإسلام عظموه وأكرموه وأعفوه من الأعمال التى يستعملون بها
المنتسبين إلى ظاهر الإسلام من غير عمل بحقيقته لم يكرم
وكذلك كان المسلمون فى أول الإسلام وفى كل وقت فإنه لا بد

⁸⁸⁷ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 37

⁸⁸⁸ مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 429

أن يحصل للناس في الدنيا شر و لله على عباده نعم لكن الشر الذي
يصيب المسلم اقل والنعم التي تصل إليه أكثر فكان المسلمون في
أول الإسلام وإن ابتلوا بأذى الكفار والخروج من الديار فالذي
حصل للكفار من الهلاك كان أعظم بكثير والذي كان يحصل
للكفار من عز أو مال يحصل للمسلمين أكثر منه حتى من الأجانِب
فرسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما كان المشركون يسعون في
أذاه بكل طريق كان الله يدفع عنه ويعزه ويمنعه وينصره من حيث
كان أعز قریش ما منهم إلا من كان يحصل له من يؤذيه ويهينه
من لا يمكنه دفعه إذ لكل كبير كبير يناظره ويناويه ويعاديه وهذه
حال من لم يتبع الإسلام يخاف بعضهم بعضا ويرجو بعضهم
بعضا وأتباعه الذين هاجروا إلى الحبشة أكرمهم ملك الحبشة
وأعزهم غاية الإكرام والعز والذين هاجروا إلى المدينة فكانوا
أكرم وأعز والذي كان يحصل لهم من أذى الدنيا كانوا يعوضون
عنه عاجلا من الإيمان وحلاوته ولذته ما يحتملون به ذلك الأذى
وكان أعداؤهم يحصل لهم من الأذى والشر أضعاف ذلك من غير
عوض لا عاجلا ولا عاجلا إذ كانوا معاقبين بذنوبهم وكان
المؤمنون ممتحنين ليخلص إيمانهم وتكفر سيئاتهم وذلك أن المؤمن
يعمل لله فإن أودى إحتسب أذاه على الله وإن بذل سعيا أو مالا بذله
لله فإحتسب أجره على الله والإيمان له حلاوة في القلب ولذة لا
يعدلها شيء ألبتة وقد قال النبي ﷺ ثلاث من كن فيه وجد بهن
حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان
يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ
أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار أخرجاه في الصحيحين
وفي صحيح مسلم ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا
وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وكما أن الله نهى نبيه أن يصيبه
حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر فكذلك في
آخره فالمؤمن منهى أن يحزن عليهم أو يكون في ضيق من مكرهم
وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام
جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهى عن هذا بل

هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر إن وعد الله حق وليستغفر لذنبه وليسبح بحمد ربه بالعشى والأبكار⁸⁸⁹

عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفى فيه هذه الصفات

* أن مجرد سلب هذه الصفات نقص لذاته سواء سميت عمى وصمما وبكما أو لم تسم والعلم بذلك ضرورى فأما اذا قدرنا موجودين أحدهما يسمع ويبصر ويتكلم والآخر ليس كذلك كان الاول اكمل من الثانى ولهذا عاب الله سبحانه من عبد ما تنتفى فيه هذه الصفات فقال تعالى {وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} الأعراف 198⁸⁹⁰

وجوب الصبر على فعل الحسن وترك السيء

* فلا بد من الصبر على فعل الحسن والمأمور وترك السيء المحظور ويدخل في ذلك الصبر على الاذى وعلى ما يقال والصبر على ما يصيبه من المكاره والصبر عن البطر عند النعم وغير ذلك من انواع الصبر ولا يمكن العبد ان يصبر ان لم يكن له ما يطمئن له ويتنعم به ويغتذى به وهو اليقين كما في الحديث الذي رواه ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ايها الناس سلوا الله اليقين والعافية فانه لم يعط احد بعد اليقين خيرا من العافية فسلوهما الله وكذلك اذا امر غيره بحسن او احب موافقته له على ذلك او نهى غيره عن شيء فيحتاج ان يحسن الى ذلك الغير إحسانا يحصل به مقصود من حصول المحبوب واندفاع المكروه فإن النفوس لا تصبر على المر الا بنوع من الحلو لا يمكن غير ذلك ولهذا امر الله تعالى

⁸⁸⁹ دقائق التفسير ج: 3 ص: 115 ومجموع الفتاوى ج: 18 ص: 293

⁸⁹⁰ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 88

بتأليف القلوب حتى جعل للمؤلفة قلوبهم نصيبا في الصدقات وقال
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف 199⁸⁹¹

الانبياء عليهم السلام يعفون ويصفحون

*كان النبي وغيره من الانبياء عليهم السلام يعفون ويصفحون
عن قاله امثالا لقوله تعالى { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ
عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف 199 ولقوله تعالى { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ } المؤمنون 96 وقوله { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا
السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ } {34} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نُوْحًا
عَظِيمٌ } {35} فصلت 34- 35 ولقوله تعالى { وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَإِنْفَضُوهَا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي
الْأَمْرِ } آل عمران 159 ولقوله تعالى { وَلَا تَطْعَمِ الْكَافِرِينَ
وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ } الأحزاب 48 ذلك لان درجة الحلم
والصبر على الاذى والعفو عن الظلم افضل اخلاق اهل الدنيا
والاخرة يبلغ الرجل بها ما لا يبلغه بالصيام والقيام قال تعالى {
وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } آل
عمران 134 وقال تعالى { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ } الشورى 40 وقال تعالى { إِنْ تُبْدُوا
خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا
} النساء 149 وقال { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } النحل 126 والاحاديث في هذا
الباب كثيرة مشهورة ثم الانبياء احق الناس بهذه الدرجة لفضلهم
واحوج الناس اليها لما ابتلوا به من دعوة الناس ومعالجتهم وتغيير
ما كانوا عليه من العادات هو امر لم يات به احد الا عودي فالكلام

⁸⁹¹ الاستقامة ج: 2 ص: 261

الذي يؤذيههم يكفر به الرجل فيصير به محاربا ان كان ذا عهد
ومرتدا او منافقا ان كان ممن يظهر الاسلام ولهم فيه ايضا حق
الادمي فجعل الله لهم ان يعفوا عن مثل هذا النوع ووسع عليهم ذلك
لما فيه من حق الادمي تغليباً لحق الادمي على حق الله كما جعل
لمستحق القود وحد القذف ان يعفو عن القاتل والقاذف واولى لما
في جواز عفو الانبياء ونحوهم من المصالح العظيمة المتعلقة
بالنبي والامة وبالدين وهذا معنى قول عائشة رضي الله عنها ما
ضرب رسول الله بيده خادما له ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط الا
ان يجاهد في سبيل الله ولا انتقم لنفسه قط وفي لفظ ما نيل منه شئ
فانقم من صاحبه الا ان تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم
يقم لغضبة شئ حتى ينتقم الله متفق عليه ومعلوم ان النيل منه
اعظم من انتهاك المحارم لكن لما دخل فيها حقه كان الامر اليه في
العفو او الانتقام فكان يختار العفو وربما امر بالقتل اذا راي
المصلحة في ذلك بخلاف ما لاحق له فيه من زنى او سرقة او ظلم
لغيره فانه يجب عليه القيام به وقد كان اصحابه اذا راوا من
يؤذيه ارادوا قتله لعلمهم بانه يستحق القتل فيعفو هو عنه ويبين لهم
ان عفوه اصلح مع اقراره لهم على جواز قتله ولو قتله قاتل قبل
عفو النبي لم يعرض له النبي لعلمه بانه قد انتصر لله ورسوله بل
يحمده على ذلك ويثني عليه كما قتل عمر رضي الله عنه الرجل
الذي لم يرضى بحكمه وكما قتل رجل بنت مروان واخر اليهودية
السابة فاذا تعذر عفوه بموته بقي حقا محضا لله ولرسوله
وللمؤمنين لم يعف عنه مستحقة فتجب اقامته ويبين ذلك ما
روى ابراهيم بن الحكم بن ابان حدثني ابي عن عكرمه عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان اعرابيا جاء الى النبي يستعينه في شئ
فاعطاه شيئا ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت قال
فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم ان كفوا ثم قام فدخل
منزله ثم ارسل الى الاعرابي فدعاه الى البيت يعني فاعطاه
فرضي فقال انك جئتنا فسالتنا فاعطيناك فقلت ما قلت وفي
انفس المسلمين شئ من ذلك فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين

يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء قال رسول الله ان صاحبكم هذا جاء فسالنا فاعطيناه فقال ما قال وانا دعوناه الى البيت فاعطيناه فزعم انه قد رضي كذلك قال الاعرابي نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال النبي الا ان مثلي ومثل هذا الاعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدها الا نفورا فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فجاءت فاستتاحت فشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم حين قال ارجل ما قال فقتلتموه دخل النار ورواه ابو احمد العسكري بهذا الاسناد قال جاء اعرابي الى النبي فقال يا محمد اعطني فانك لا تعطي من مالك ولا من مال ابيك فاغظ للنبي فوثب اليه اصحابه فقالوا يا عدو الله تقول هذا لرسول الله وذكره فهذا يبين لك ان قتل ذلك الرجل لاجل قوله ما قال كان جائزا قبل الاستتابة وانه صار كافرا بتلك الكلمة ولو لا ذلك لما كان يدخل النار اذا قتل على مجرد تلك الكلمة بل كان يدخل الجنة لانه مظلوم شهيد وكان قاتله يدخل النار لانه قتل مؤمنا متعمدا وكان النبي يبين ان قتله لم يحل لان سفك الدم بغير حق من اكبر الكبائر وهذا الاعرابي كان مسلما ولهذا قال صاحبكم ولهذا جاءه الاعرابي يستعينه ولو كان كافرا محاربا له لما جاء يستعينه في شئ ولو كان النبي اعطاه ليسلم لذكر في الحديث انه اسلم فلما لم يجر للاسلام ذكر دل على انه كان ممن دخل الاسلام وفيه جفاء الاعراب وممن دخل في قوله تعالى {فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} التوبة 58 ومما يوضح ذلك انه كان يعفو عن المنافقين الذين لا يشك في نفاقهم حتى قال لو اعلم اني لو زدت على السبعين غفر له لزدت حتى نهاه الله عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم وامره بالاغلاظ عليهم فكثير مما كان يحتمله من المنافقين من الكلام وما يعاملهم من الصفح والعفو والاستغفار كان قبل نزول براءة لما قيل له {وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ} الأحزاب 48

لاحتياجه اذ ذاك الى استعطافهم وخشية نفور العرب عنه اذا قتل احدا منهم وقد صرح لما قال ابن ابي { لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأدل } المنافقون 8 ولما قال ذو الخويصرة اعدل فانك لم تعدل وعند غير هذه القضية انه انما لم يقتلهم لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فان الناس ينظرون الى ظاهر الامر فيرون واحدا من الصحابة قد قتل فيظن الظان انه يقتل بعض اصحابه على غرض او حقد او نحو ذلك فينفر الناس عن الدخول في الاسلام واذا كان من شريعته ان يتألف الناس على الاسلام بالاموال العظيمة ليقوم دين الله وتعلو كلمته فلان يتألفهم بالعفو اولى واحرى فلما انزل الله براءة ونهاه عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم وامره ان يجاهد الكفار والمنافقين ويغالب عليهم نسخ جميع ما كان المنافقون يعاملون به من العفو كما نسخ ما كان الكفار يعاملون به من الكف عن سالم ولم يبق الا اقامة الحدود واعلاء كلمة الله في حق الانسان⁸⁹²

{ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ }

* لا يكون العفو عن الظالم ولا قليله مقسطا لأجر المظلوم عند الله ولا منقصا له بل العفو عن الظالم يصير أجره على الله تعالى فإنه إذا لم يعف كان حقه على الظالم فله أن يقتص منه بقدر مظلّمته وإذا عفا وأصلح فأجره على الله وأجره الذي هو على الله خير وأبقى قال تعالى { وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } الشورى 40 فقد أخبر أن جزاء السيئة سيئة مثلها بلا عدوان وهذا هو القصاص في الدماء والأموال والأعراض ونحو ذلك ثم قال { فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } الشورى 40 وقد ذكر عن الإمام أحمد لما ظلم في محنته المشهورة أنه لم يخرج حتى حل

⁸⁹² الصارم المسلول ج: 2 ص: 434- 441

من ظلمه وقال ذكرت حديثا ذكر عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم من وجب أجره على فلا يقوم إلا من عفا وأصلح وقد قال تعالى { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } النحل126 وأباح لهم سبحانه وتعالى إذا عاقبوا الظالم أن يعاقبوه بمثل ما عاقب به ثم قال { وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ } النحل126 فعلم أن الصبر عن عقوبته بالمثل خير من عقوبته فكيف يكون مسقطا للأجر أو منقصا له وقد قال تعالى { وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ } المائدة45 فجعل الصدقة بالقصاص الواجب على الظالم وهو العفو عن القصاص كفارة للعافى والإقتصاص ليس بكفارة له فعلم أن العفو خير له من الإقتصاص وهذا لأن ما أصابه من المصائب مكفر الذنوب ويؤجر العبد على صبره عليها و ويرفع درجته برضاه بما يقضيه الله عليه منها قال الله تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ } التغابن11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وفي الصحيحين عن النبي أنه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياهم وفي المسند أنه لما نزل قوله تعالى { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } النساء123 قال أبو بكر يا رسول الله نزلت قاصمة الظهر وأينا لم يعمل سوءا فقال يا أبا بكر ألسنت تنصب ألسنت تحزن ألسنت تصيبك اللأواء فذلك ما تجزون به وفيه أيضا المصائب حطة تحط الخطايا عن صاحبها كما تحط الشجرة القائمة ورقها والدلائل على أن المصائب كفارات كثيرة إذا صبر عليها أثيب على صبره فالثواب والجزاء إنما يكون على العمل وهو الصبر وأما نفس المصيبة فهي من فعل الله لا من فعل العبد وهي من جزاء الله للعبد على ذنبه وتكفيره ذنبه بها وفي المسند أنهم دخلوا على أبي عبيدة بن الجراح وهو مريض فذكروا أنه يؤجر على مرضه فقال مالى من الأجر ولا مثل هذه

ولكن المصائب حطة فبين لهم أبو عبيدة رضى الله عنه أن نفس المرض لا يؤجر عليه بل يكفر به عن خطاياها وكثيرا ما يفهم من الأجر غفران الذنوب فيكون فيه أجر بهذا الاعتبار ومن الناس من يقول لا بد فيه من التعويض والأجر والإمتنان وقد يحصل له ثواب بغير عمل كما يفعل عنه من أعمال البر وأما الصبر

على المصائب ففيها أجر عظيم قال تعالى { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } {155} الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ } {156} أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } {157} البقرة 155-157 فالرجل إذا ظلم بجرح

ونحوه فتصدق به كان الجرح مصيبة يكفر بها عنه ويؤجر على صبره وعلى إحسانه إلى الظالم بالعفو عنه فإن الإحسان يكون بجلب منفعة وبدفع مضرة ولهذا سماه الله صدقة وقد قال تعالى

{ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } {133} الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ } {134} آل عمران 133-134 فذكر أنه يحب المحسنين والعافين عن الناس وتبين بهذا أن هذا من الإحسان والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازما لصاحبه أو متعديا إلى الغير ومنه قوله {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } القصص 84 وقال {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا } الأنعام 160 فالكاظم للغیظ والعافی عن الناس قد أحسن إلى نفسه وإلى الناس فإن ذلك عمل حسنة مع نفسه ومع

الناس ومن أحسن إلى الناس فإلى نفسه كما يروى عن بعض السلف أنه قال ما أحسنت إلى أحد وما أسأت إلى أحد وإنما أحسنت إلى نفسي وأسأت إلى نفسي قال تعالى {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا } الإسراء 7 وقال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا } فصلت 46 ولو لم يكن الإحسان إلى الخلق إحسانا إلى المحسن يعود نفعه عليه لكان فاعلا إثمًا أو

ضرراً فإن العمل الذي لا يعود نفعه على فاعله إما حيث لم يكن فيه فائدة وإما شر من العيب إذا ضر فاعله والعفو عن الظالم أحد نوعي الصدقة المعروف والإحسان إلى الناس وجماع ذلك الزكاة والله سبحانه دائماً يأمر بالصلاة والزكاة وهي الصدقة وقد ثبت في الصحيح عن النبي من غير وجه أنه قال كل معروف صدقة وذلك نوعان أحدهما اتصال نفع إليه الثاني دفع ضرر عنه فإذا كان المظلوم يستحق عقوبة الظلم ونفسه تدعوه إليه فكف نفسه عن ذلك ودفع عنه ما يدعوه إليه من إضراره فهذا إحسان منه إليه وصدقة عليه والله تعالى {يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} يوسف 88 و{لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} التوبة 120 فكيف يسقط أجر العاقب وهذا عام في سائر ما للعبد من الحقوق على الناس ولهذا إذا ذكر الله في كتابه حقوق العباد وذكر فيه العدل ندب فيها إلى الإحسان فإنه سبحانه يأمر بالعدل والإحسان كما قال تعالى {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} البقرة 280 فجعل الصدقة على المدين المعسر إسقاط الدين عنه خيراً للمتصدق من مجرد إنظاره وقال تعالى {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا} النساء 92 فسمى إسقاط الدية صدقة وقال تعالى {وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} البقرة 237 فجعل العفو عن نصف الصداق الواجب على الزوج بالطلاق قبل الدخول أقرب للتقوى من إستيفائه وعفو المرأة إسقاط نصف الصداق باتفاق الأمة وأما عفو الذي بيده عقدة النكاح فليل هو عفو الزوج وأنه تكميل للصداق للمرأة وعلى هذا يكون هذا العفو من جنس ذلك العفو فهذا العفو إعطاء الجميع وذلك العفو إسقاط الجميع والذي حمل من قال هذا القول عليه انهم رأوا أن غير المرأة لا تملك إسقاط حقها الواجب كما لا تملك إسقاط سائر ديونها وقيل الذي بيده عقدة النكاح هو ولي المرأة المستقل بالعقد بدون استئذنها

كأب للبر الصغيرة وكالسيد للأمة وعلى هذا يكون العفوان من جنس واحد ولهذا لم يقل إلا أن يعفون أو يعفوهم والخطاب في الآية للأزواج وقال تعالى حكاية عن لقمان أنه قال لابنه { وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } لقمان 17 وقال تعالى { وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ } 41 { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } 42 { وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } 43 الشورى 41-43 فهناك فى قول لقمان ذكر الصبر على المصيبة فقال { إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } لقمان 17 وهنا ذكر الصبر والعفو فقال { إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } الشورى 43 وذكر ذلك بعد قوله { وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ } 41 { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } 42 الشورى 41-42 فذكر سبحانه الأصناف الثلاثة فى باب الظلم الذى يكون بغير اختيار المظلوم وهم العادل والظالم والمحسن فالعادل من انتصر بعد ظلمه وهذا جزاؤه انه ما عليه من سبيل فلم يكن بذلك ممدوحا ولكن لم يكن بذلك مذموما وذكر الظالم بقوله { إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } الشورى 42 فهو لاء عليهم السبيل للعقوبة والإقتصاص وذكر المحسنين فقال { وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } الشورى 43 والقرآن فيه جوامع الكلم وهذا كما ذكر فى آخر البقرة أصناف الناس فى المعاملات التى تكون باختيار المتعاملين وهم ثلاثة محسن وظالم وعادل فالمحسن هو المتصدق والظالم هو المربى والعادل هو البائع فذكر هنا حكم الصدقات وحكم الربا وحكم المبايعات والمداينات وكما أن من توهم أنه بالعفو يسقط حقه أو ينقص غلط جاهل ضال بل بالعفو يكون أجره أعظم فكذلك من توهم أنه بالعفو يحصل له ذل ويحصل للظالم عز واستطالة عليه فهو غلط فى ذلك كما ثبت فى الصحيح وغيره عن النبى أنه قال ثلاث إن كنت لحالفا عليهن

ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما نقصت صدقة من مال وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله فبين الصادق المصدوق إن الله لا يزيد العبد بالعفو إلا عزا وأنه لا تنقص صدقة من مال وأنه ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله وهذا رد لما يظنه من يتبع الظن وما تهوى الأنفس من أن العفو يذله والصدقة تنقص ماله والتواضع يخفضه وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما ضرب رسول الله خادما له ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا نيل منه قط شيء فانتقم لنفسه إلا أن تنتهك محارم الله فإذا إنتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله وخلق رسول الله القرآن أكمل الأخلاق وقد كان من خلقه أنه لا ينتقم لنفسه وإذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله فيعفو عن حقه ويستوفى حق ربه والناس في الباب أربعة أقسام منهم من ينتصر لنفسه ولربه وهو الذى يكون فيه دين وغضب ومنهم من لا ينتصر لا لنفسه ولا لربه وهو الذى فيه جهل وضعف دين ومنهم من ينتقم لنفسه لا لربه وهم شر الأقسام وأما الكامل فهو الذى ينتصر لحق الله ويعفو عن حقه كما قال أنس ابن مالك خدمت رسول الله عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لى لشيء فعلته لم أفعله ولا لشيء لم أفعله لم لا فعلته وكان بعض أهله إذا عتبنى على شيء يقول دعوه لو قضي شيء لكان فهذا فى العفو عما يتعلق بحقوقه وأما فى حدود الله فلما شفع عنده أسامة بن زيد وهو الحب ابن الحب وكان هو أحب إليه من أنس وأعز عنده فى امرأة سرقت شريفة أن يعفو عن قطع يدها غضب وقال يا أسامة أتشفع فى حد من حدود الله إنما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع يدها فغضب على أسامة لما شفع فى حد الله وعفا عن أنس فى حقه وكذلك لما أخبره أسامة أنه قتل رجلا بعد أن قال لا إله إلا الله قال أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله فما زال يكررها حتى قلت ليته سكت والأحاديث والآثار فى إستحباب

العفو عن الظالم وأن أجره بذلك أعظم كثيرة جدا وهذا من العلم المستقر في فطر الأدميين وقد قال تعالى لنبيه { **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** } { الأعراف 199 } فأمره أن يأخذ بالعفو في أخلاق الناس وهو ما يقر من ذلك قال ابن الزبير أمر الله نبيه أن يأخذ بالعفو من أخلاق الناس وهذا كقوله { **وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ** } { البقرة 219 } من أموالهم هذا من العفو ويأمر بالمعروف ويعرض عن الجاهلين وهذه الآية فيها جماع الأخلاق الكريمة فإن الإنسان مع الناس إما أن يفعلوا معه غير ما يحب أو ما يكره فأمر أن يأخذ منهم ما يحب ما سمحوا به ولا يطالبهم بزيادة وإذا فعلوا معه ما يكره أعرض عنهم وأما هو فيأمرهم بالمعروف وهذا باب واسع ⁸⁹³

أعظم عون لولى الأمر ولغيره

* وأعظم عون لولى الأمر خاصة ولغيره عامة ثلاثة أمور أحدها الاخلاص لله والتوكل عليه بالدعاء وغيره وأصل ذلك المحافظة على الصلوات بالقلب والبدن الثانى الاحسان الى الخلق بالنفع والمال الذى هو الزكاة الثالث الصبر على أذى الخلق وغيره من النوائب ولهذا يجمع الله بين الصلاة والصبر كثيرا كقوله تعالى { **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** } { البقرة 45 } وكقوله تعالى { **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ** } { 114 } { **وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** } { 115 } { **هُود** 114-115 } وقوله تعالى { **فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** } { طه 130 } وكذلك فى سورة ق { **فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ** } { ق 39 } وقال تعالى { **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ** } { 97 } { **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ** } { 98 } { الحجر 97-98 } وأما قرنه بين

الصلاة والزكاة فى القرآن فكثير جدا فبالقيام بالصلاة والزكاة والصبر يصلح حال الراعى والرعية إذا عرف الانسان ما يدخل فى هذه الاسماء الجامعة يدخل فى الصلاة ذكر الله تعالى ودعاؤه وتلاوه كتابه واخلاص الدين له والتوكل عليه وفى الزكاة الاحسان الى الخلق بالمال والنفع من نصر المظلوم وإغاثة الملهوف وقضاء حاجة المحتاج ففى الصحيحين عن النبى انه قال كل معروف صدقة فيدخل فيه كل إحسان ولو ببسط الوجه والكلمة الطيبة ففى الصحيحين عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم مامنكم من احد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه فينظر أمامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقى النار ولو بشق تمره فليفعل فان لم يجد فبكلمة طيبة وفى السنن عن النبى قال لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو ان تلقى أخاك ووجهك اليه منبسط ولو ان تفرغ من دلوك فى إناء المستفى وفى السنن عن النبى ان أثقل ما يوضع فى الميزان الخلق الحسن وروى عنه انه قال لأم سلمة يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة وفى الصبر احتمال الأذى وكظم الغيظ والعفو عن الناس ومخالفة الهوى وترك الأشر والبطر كما قال تعالى { وَلَئِن أَدْفَنَّا الْإِنْسَانَ مِمَّا رَحْمَةً نَّمْ نَزَعْنَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤُوسٌ كَفُورٌ } {9} { وَلَئِن أَدْفَنَّا نَعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ } {10} { إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } {11} { هود 9-11 } وقال لنبىه { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } الأعراف 199 وقال تعالى { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } {133} { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } {134} آل عمران 133 - 134 وقال تعالى { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } {34} وَمَا

يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {35} وَإِمَّا
يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {36}
فصلت 34-36 وقال تعالى {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الشورى 40
قال الحسن البصرى رحمة الله عليه إذا كان يوم القيامة نادى مناد
من بطنان العرش ألا ليقم من وجب أجره على الله فلا يقوم إلا من
عفا وأصلح⁸⁹⁴

*فالإحسان إلى الناس بالمال و المنفعة و إحتمال أذاهم كالسخاء
المحمود كما جمع بينهما فى قوله { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ
وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } الأعراف 199 فى أخذ العفو من
أخلاقهم إحتمال أذاهم و هو نوعان ترك مالك من الحق عليهم فأخذ
العفو أن لا تطلب ما تركوه من حَقِّك و أن لا تتهاهم فيما تعدوا فيه
الحد فيك و إذا لم تأمرهم ولم تنتهم فيما يتعلق⁸⁹⁵

من عمل بخلاف الحق فهو جاهل

*تقول طائفة جاهلية وشاعر جاهلي وذلك نسبة إلى الجهل الذي
هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل
جهلا بسيطا فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركبا فإن قال
خلاف الحق عالما بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضا كما قال
تعالى { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } الفرقان 63 وقال
النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا
يفسق ولا يجهل ومن هذا قول بعض الشعراء ألا لا يجهلن أحد
علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وهذا كثير وكذلك
من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق كما
قال سبحانه { لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ } النحل 119 قال أصحاب

⁸⁹⁴ مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 361-364 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 112

⁸⁹⁵ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 71

محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل
وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه
ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب
عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض
حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار⁸⁹⁶

{وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ }

* قال تعالى **{وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** الاعراف 200 وكثيرا ما تعرض للمؤمن لشعبة من شعب
النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما يوجب النفاق
ويدفعه الله عنه والمؤمن يبتهل بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر
التي يضيق بها صدره كما قالت الصحابة يا رسول الله إن أحدنا
ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء الى الأرض أحب اليه من أن
يتكلم به فقال ذلك صريح الايمان وفي رواية ما يتعاضم
ان يتكلم به قال الحمد لله الذي رد كيده الى الوسوسة أى
حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب
هو من صريح الايمان كالمجاهد الذى جاءه العدو فدافعه حتى غلبه
فهذا أعظم الجهاد و الصريح الخالص كاللبن الصريح وانما
صار صريحا لما كرهوا تلك الوسواس الشيطانية ودفعوها فخلص
الايمان فصار صريحا ولا بد لعامة الخلق من هذه الوسواس
فمن الناس من يجيئها فصير كافرا أو منافقا ومنهم من قد غمر قلبه
الشهوات والذنوب فلا يحس بها الا اذا طلب الدين فإما أن يصير
مؤمنا واما أن يصير منافقا ولهذا يعرض للناس من الوسواس فى
الصلاة ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا لأن الشيطان يكثر تعرضه
للعبد إذا أراد الانابة الى ربه والتقرب اليه والاتصال به فلماذا
يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم ويعرض لخاصة أهل العلم
والدين أكثر مما يعرض للعامة ولهذا يوجد عند طلاب العلم

⁸⁹⁶ اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 7

والعبادة من الوسوس والشبهات ما ليس عند غيرهم لانه لم يسلك شرع الله ومنهاجه بل هو مقبل على هواه فى غفلة عن ذكر ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين الى ربهم بالعلم والعبادة فانه عدوهم يطلب صدهم عن الله قال تعالى { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } فاطر6 ولهذا أمر قارئ القرآن أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم فان قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الايمان العظيم وتزيده يقينا وطمأنينة وشفاء وقال تعالى { وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } الإسراء82 وقال تعالى { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } آل عمران138 وقال تعالى { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة2 وقال تعالى { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَاتَهُمْ إِيْمَانًا } التوبة124 وهذا مما يجده كل مؤمن من نفسه فالشيطان يريد بوسوسه أن يشغل القلب عن الانتفاع بالقرآن فأمر الله القارئ اذا قرأ القرآن أن يستعيز منه قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } {98} إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100} النحل98-100 فان المستعيز بالله مستجير به لاجىء اليه مستغيث به من الشيطان فالعائد بغيره مستجير به فاذا عاذ العبد بربه كان مستجيرا به متوكلا عليه فيعيذه الله من الشيطان ويجيره منه ولذلك قال الله تعالى { ادْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } {34} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } {35} وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {36} فصلت34 - 36 وفى الصحيحين عن النبي أنه قال انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فأمر سبحانه بالاستعاذة عند طلب العبد الخير لئلا يعوقه الشيطان عنه وعندما يعرض عليه من الشر ليدفعه عنه عند إرادة العبد للحسنات وعندما يأمره الشيطان بالسئئات ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الشيطان يأتى أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق

كذا حتى يقول من خلق الله فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته
فأمر بالاستعاذة عندما يطلب الشيطان أن يوقعه في شر أو يمنعه
من خير كما يفعل العدو مع عدوه وكلما كان الإنسان أعظم
رغبة في العلم والعبادة واقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته
على ذلك أقوى ورغبته وإرادته في ذلك أتم كان ما يحصل له أن
سلمه الله من الشيطان أعظم وكان ما يفتتن به إن تمكن منه
الشيطان أعظم ولهذا قال الشعبي كل أمة علماءها شرارها إلا
المسلمين فإن علماءهم خيارهم وأهل السنة في الإسلام كأهل
الإسلام في الملل وذلك ان كل أمة غير المسلمين فهم ضالون وانما
يضلهم علماءهم فعلماءهم شرارهم والمسلمون على هدى وانما
يتبين الهدى بعلمائهم فعلماءهم خيارهم وكذلك أهل السنة أئمتهم
خيار الأمة وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب ولهذا
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاة
الظلمة وأولئك لهم نهمة في العلم والعبادة فصار يعرض لهم من
الوساوس التي تضلهم وهم يظنونها هدى فيطيعونها ما لا يعرض
لغيرهم ومن سلم من ذلك منهم كان من أئمة المتقين مصابيح
الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لأصحابه كونوا ينابيع العلم
مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب احلاس البيوت خلقان
التياب تعرفون في أهل السماء وتخفون على أهل الأرض⁸⁹⁷

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ

*وقد قال غير واحد من الصحابة كأبي بكر و ابن مسعود فيما
يقولونه بإجتهداهم إن كان صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني و
من الشيطان فجعلوا ما يلقي في النفس من الإعتقادات التي ليست
مطابقة من الشيطان و إن لم يكن صاحبها آثما لأنه إستفرغ و سعه
كما لا يأتهم بالوسواس الذي يكون في الصلاة من الشيطان و لا بما

يحدث به نفسه و قد قال المؤمنون {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ
أَخْطَأْنَا} البقرة 286 و قد قال الله قد فعلت و النسيان للحق
من الشيطان و الخطأ من الشيطان قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ
يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ
وَإِمَّا يَنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
{الأنعام 68 و قد قال صلى الله عليه و سلم من نام عن
صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها و لما نام هو و أصحابه
عن الصلاة في غزوة خيبر قال لأصحابه إرتحلوا فإن هذا
مكان حضرنا فيه شيطان و قال إن الشيطان أتى بلالا فجعل
يهديه كما يهدي الصبي حتى نام و كان النبي صلى الله عليه و سلم
و كل بلالا أن يوقظهم عند الفجر و النوم الذي يشغل عما أمر به و
النعاس من الشيطان و إن كان معفوا عنه و لهذا قيل النعاس في
مجلس الذكر من الشيطان و كذلك الإحتلام في المنام من الشيطان
و النائم لا قلم عليه و قد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى
الله عليه و سلم أنه قال الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله و رؤيا من
الشيطان و رؤيا ما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في النوم
و قد قيل أن هذا من كلام ابن سيرين لكن تقسيم الرؤيا الى نوعين
نوع من الله و نوع من الشيطان صحيح عن النبي صلى الله عليه و
سلم بلا ريب فهذان النوعان من و سواس النفس و من و سواس
الشيطان و كلاهما معفو عنه فإن النائم قد لرفع القلم عنه و
و سواس الشيطان يغشي القلب كطيف الخيال فينسيه ما كان معه
من الإيمان حتى يعمى عن الحق فيقع في الباطل فإذا كان من
المتقين كان كما قال الله {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ
الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} الأعراف 201 فإن الشيطان
مسهم بطيف منه يغشي القلب و قد يكون لطيفا و قد يكون كثيفا إلا
أنه غشاوة على القلب تمنعه إبصار الحق قال النبي صلى الله عليه
و سلم إن العبد إذا أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب و
نزع و استغفر صقل قلبه و إن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فذلك
الران الذي قال الله تعالى {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ {المطففين 14} لكن طيف الشيطان غير رين
الذنوب هذا جزاء على الذنب و الغين أطف من ذلك كما في
الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه و سلم قال أنه ليغان على
قلبي و إنني لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة فالشيطان يلقي في
النفس الشر و الملك يلقي الخير و قد ثبت في الصحيح عن النبي
صلى الله عليه و سلم أنه قال ما منكم من أحد إلا و قد كل به
قرينه من الملائكة و قرينه من الجن قالوا و إياك يا رسول الله قال
و إياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم و في رواية فلا يأمرني
إلا بخير أي إستسلم و إنقاد و كان ابن عيينة يرويه
فأسلم بالضم و يقول إن الشيطان لا يسلم لكن قوله في الرواية
الأخرى فلا يأمرني إلا بخير دل على أنه لم يبق يأمره بالشر و هذا
إسلامه و إن كان ذلك كناية عن خضوعه و ذلته لا عن إيمانه بالله
كما يقهر الرجل عدوه الظاهر و يأسره و قد عرف العدو المقهور
أن ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر فلا يقبله بل يعاقبه
على ذلك فيحتاج لإنقهاره معه الى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذلته
و عجزه لا لصلاحه و دينه و لهذا قال صلى الله عليه و سلم إلا
أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير و قال ابن مسعود أن
للملك لمة و أن الشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بالخير و تصديق
بالحق و لمة الشيطان إيعاد بالشر و تكذيب بالحق و قد قال تعالى
{إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} آل عمران 175 أي يخوفكم
أولياؤه بما يقذف في قلوبكم من الوسوسة المرعبة كشيطان الإنس
الذي يخوف من العدو فيرجف و يخذل و عكس هذا قوله
تعالى {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَبَيَّنُّوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ} الأنفال 12 و قال تعالى
{يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
{إِبْرَاهِيمَ} 27 و قال تعالى {وَلَوْلَا أَن تَبَتَّنَاكَ لَقَدِ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ
شَيْئًا قَلِيلًا} الإسراء 74 و التثبت جعل الإنسان ثابتا لأمر تابا و ذلك
بالقاء ما يثبتته من التصديق بالحق و الوعد بالخير كما قال ابن
مسعود لمة الملك و عد بالخير و تصديق بالحق فمتى علم القلب أن

ما أخبر به الرسول حق صدقه و إذا علم أن الله قد و عده بالتصديق و ثق بوعد الله فثبت فهذا يثبت بالكلام كما يثبت الإنسان الإنسان في أمر اضطرب فيه بأن يخبره بصدقه و يخبره بما يبين له أنه منصور فيثبت و قد يكون التثبت بالفعل بأن يمسك القلب حتى يثبت كما يمسك الإنسان الإنسان حتى يثبت وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم من سأل القضاء و استعان عليه و كل إليه و من لم يسأل القضاء و لم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده فهذا الملك يجعله سديد القول بما يلقي في قلبه من التصديق بالحق و الوعد بالخير⁸⁹⁸

*قال تعالى { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } 14 { كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } 15 { المطففين 14-15 و في الترمذي و غيره عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن تاب و نزع و استغفر صقل قلبه و إن زاد زيد فيها حتى تعلق قلبه فذلك الران الذي قال الله { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } { المطففين 14 قال الترمذي حديث حسن صحيح و منه قوله تعالى { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ } البقرة 88 و قال { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } { الأعراف 201 فالمتقون إذا أصابهم هذا الطيف الذي يطيف بقلوبهم يتذكرون ما علموه قبل ذلك فيزول الطيف و يبصرون الحق الذي كان معلوما و لكن الطيف يمنعهم عن رؤيته قال تعالى { وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ } { الأعراف 202 فإخوان الشياطين تدمهم الشياطين في غيهم { ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ } { الأعراف 202 لا تقصر الشياطين عن المدد و الإمداد ولا الإنس عن الغي فلا يبصرون مع ذلك الغي ما هو

معلوم لهم مستقر في فطرهم لكنهم ينسونه و لهذا كانت الرسل
 إنما تأتي بتذكير الفطرة ما هو معلوم لها و تقويته وإمداده و نفي
 المغير للفطرة فالرسل بعثوا بتقرير الفطرة و تكميلها لا بتغيير
 الفطرة و تحويلها والكمال يحصل بالفطرة المكملة بالشرعة
 المنزلة 899

الشهوة والغضب مبدأ السيئات

*قال تعالى { فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى {9} سَيَذَكِّرْ مَنْ
 يَخْشَى {10} وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى {11} الَّذِي يَصْلَى النَّارَ
 الْكُبْرَى {12} } الا على 9-12 فأخبر ان من يخشاه يتذكر
 والتذكر هنا مستلزم لعبادته قال الله تعالى { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ
 وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } غافر 13
 وقال { تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ } ق 8 ولهذا قالوا فى قوله
 { سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى } الا على 10 سيتعظ بالقرآن من يخشى الله
 وفى قوله { وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } غافر 13 انما يتعظ من
 يرجع الى الطاعة وهذا لان التذكر التام يستلزم التأثر بما تذكره
 فان تذكر محبوبا طلبه وان تذكر مرهوبا هرب منه ومنه قوله
 تعالى { وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } يس 10
 وقال سبحانه { إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ
 } يس 11 فنفى الانذار عن غير هؤلاء مع قوله { وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
 أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } يس 10 فأثبت لهم الانذار من
 وجه ونفاه عنهم من وجه فان الانذار هو الاعلام بالمخوف فالانذار
 مثل التعليم والتخويف فمن علمته فتعلم فقد تم تعليمه وآخر يقول
 علمته فلم يتعلم وكذلك من خوفته فخاف فهذا هو الذى تم تخويفه
 واما من خوف فما خاف فلم يتم تخويفه وكذلك من هديته فاهتدى

تم هداه ومنه قوله تعالى { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 ومن هديته
 فلم يهتد كما قال { وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
 الْهُدَىٰ } فصلت 17 فلم يتم هداه كما تقول قطعته فانقطع وقطعته
 فما انقطع فالموثر التام يستلزم اثره فمتى لم يحصل اثره لم يكن
 تاما والفعل اذا صادف محلا قابلا تم والا لم يتم والعلم بالمحسوب
 يورث طلبه والعلم بالمكروه يورث تركه ولهذا يسمى هذا العلم
 الداعي ويقال الداعي مع القدرة يستلزم وجود المقدور وهو العلم
 بالمطلوب المستلزم لارادة المعلوم المراد وهذا كله انما يحصل مع
 صحة الفطرة وسلامتها وأما مع فسادها فقد يحس الانسان باللذيق
 فلا يجد له لذة بل يؤلمه وكذلك يلتذ بالمؤلم الفساد الفطرة و
 الفساد يتناول القوة العلمية والقوة العملية جميعا كالممرور الذي
 يجد العسل مرأ فانه فسد نفس إحساسه حتى كان يحس به على
 خلاف ما هو عليه للمرة التي مازجته وكذلك من فسد باطنه قال
 تعالى { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } 109 { وَتَقَلَّبُ
 أَفْنَدْتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَدَّرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ } 110 { الأنعام 109 وقال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ
 قُلُوبَهُمْ } الصف 5 وقال { وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ
 عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } النساء 155 وقال في الآية الأخرى { وَقَالُوا
 قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 88 و الغلف جمع
 أغلف وهو ذو الغلاف الذي فى غلاف مثل الأقفال كأنهم جعلوا
 المانع خلقة أى خلقت القلوب وعليها أغطية فقال الله تعالى { بَلْ
 لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 88 و { طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا
 يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } النساء 155 وقال تعالى { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ
 إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا
 أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } محمد 16
 وكذلك قالوا { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ } هود 91
 قال { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ } الأنفال 23 أى لأفهمهم
 ما سمعوه ثم قال ولو أفهمهم مع هذه الحال التى هم عليها { لَتَوَلَّوْا
 وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } الأنفال 23 فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو

فهموا لم يعملوا فنفي عنهم صحة القوة العلمية وصحة القوة العملية
وقال { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44 سبيلا وقال { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا
لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ
أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف 179 وقال { وَمَثَلُ الَّذِينَ
كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي
فَهُمْ لَّا يَعْقِلُونَ } البقرة 171 وقال عن المنافقين { صُمُّ بِكُمْ عُمِّي
فَهُمْ لَّا يَرْجِعُونَ } البقرة 18 ومن الناس من يقول لما لم ينتفعوا
بالسمع والبصر والنطق جعلوا صما بكما عمليا أو لما أعرضوا
عن السمع والبصر والنطق صاروا كالصم العمى البكم وليس
كذلك بل نفس قلوبهم عميت وصمت وبكمت كما قال الله تعالى {
فَإِنَّهَا لَّا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ
} الحج 46 والقلب هو الملك والأعضاء جنوده وإذا صلح صلح
سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى يسمع بالأذن الصوت
كما تسمع البهائم والمعنى لا يفقهه وان فقه بعض الفقه لم يفقه فقها
تاما فان الفقه التام يستلزم تأثيره في القلب محبة المحبوب وبغض
المكروه فمتى لم يحصل هذا لم يكن التصور التام حاصلًا فجاز
نفيه لأن ما لم يتم ينفي كقوله للذي أساء في صلاته صل فانك
لم تصل فنفي الايمان حيث نفي من هذا الباب وقد جمع الله بين
وصفهم بوجل القلب اذا ذكر وبزيادة الايمان اذا سمعوا آياته قال
الضحاك زادتهم يقينا وقال الربيع بن أنس خشية وعن ابن عباس
تصديقا وهكذا قد ذكر الله هذين الأصلين في مواضع قال تعالى
{ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ
وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ
قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } الحديد 16 و الخشوع يتضمن
معنيين أحدهما التواضع والذل والثاني السكون
والطمأنينة وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة فخشوع القلب
يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضا ولهذا كان الخشوع في الصلاة

يُتضمن هذا وهذا التواضع والسكون وعن ابن عباس في قوله
{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} {المؤمنون} 2 قال مخبتون أذلاء
وعن الحسن وقتادة خائفون وعن مقاتل متواضعون وعن علي
الخشوع في القلب وان تلين للمرء المسلم كنفك ولا تلتفت يمينا ولا
شمالا وقال مجاهد غض البصر وخفض الجناح وكان الرجل من
العلماء اذ قام الى الصلاة يهاب الرحمن ان يشد بصره أو أن
يحدث نفسه بشيء من أمر الدنيا وعن عمرو بن دينار ليس
الخشوع الركوع والسجود ولكنه السكون وحب حسن الهيئة في
الصلاة وعن ابن سيرين وغيره كان النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه يرفعون أبصارهم في الصلاة الى السماء وينظرون يمينا
وشمالا حتى نزلت هذه {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} {1} {الَّذِينَ هُمْ فِي
صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} {2} {المؤمنون} 1-2 الآية فجعلا بعد ذلك
أبصارهم حيث يسجدون وما روى أحد منهم بعد ذلك ينظر الا الى
الأرض وعن عطاء هو أن لا تعبت بشيء من جسدك وأنت في
الصلاة وأبصر النبي رجلا يعبت بلحيته في الصلاة فقال
لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ولفظ الخشوع ان شاء
الله يبسط في موضع آخر و خشوع الجسد تبع لخشوع القلب
اذا لم يكن الرجل مرانيا يظهر ما ليس في قلبه كما روى
تعوذوا بالله من خشوع النفاق وهو أن يرى الجسد خاشعا
والقلب خاليا لاهيا فهو سبحانه استبطأ المؤمنين بقوله {أَلَمْ يَأْنِ
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ
{الحديد} 16 فدعاهم الى خشوع القلب لذكره وما نزل من كتابه
ونهاهم أن يكونوا كالذين طال عليهم الامد فقست قلوبهم وهؤلاء
هم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم
ايمانا وكذلك قال في الآية الأخرى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ
وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} {الزمر} 23 و {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ
{الزمر} 23 هم الذين اذا ذكر الله تعالى وجلت قلوبهم فان قيل
فخشوع القلب لذكر الله وما نزل من الحق واجب قيل نعم لكن

الناس فيه على قسمين مقتصد وسابق فالسابقون
يختصون بالمستحبات والمقتصدون بالإبرار هم عموم المؤمنين
المستحقين للجنة ومن لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء فهو ظالم لنفسه
وفي الحديث الصحيح عن النبي اللهم انى أعوذ بك من علم
لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وقد ذم الله
قسوة القلوب المنافية للخشوع فى غير موضع فقال تعالى
{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
{البقرة 74} قال الزجاج قست فى اللغة غلظت وبيست وعسيت
فقسوة القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه والقاسى والعاسى
الشديد الصلابة وقال ابن قتيبة قست وعست وعتت أى بيست وقوة
القلب المحمودة غير قسوته المذمومة فانه ينبغى أن يكون قويا من
غير عنف ولينا من غير ضعف وفى الأثر القلوب أنية الله فى
أرضه فأحبها الى الله أصلبها وارقها وأصفاها وهذا كاليد فانها
قوية لينة بخلاف ما يقسو من العقب فانه يابس لا لين فيه وان كان
فيه قوة وهو سبحانه ذكر وجل القلب من ذكره ثم ذكر زيادة
الايمان عند تلاوة كتابه علما وعملا ثم لابد من التوكل على الله
فيما لا يقدر عليه ومن طاعته فيما يقدر عليه واصل ذلك
الصلاة و الزكاة فمن قام بهذه الخمس كما أمر لزم أن
يأتى بسائر الواجبات بل الصلاة نفسها اذا فعلها كما أمر
فهى تنهى عن الفحشاء والمنكر كما روى عن ابن مسعود وابن
عباس أن فى الصلاة منتهى ومزدجرا عن معاصى الله فمن لم تنهه
صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بصلاته من الله الا بعدا
وقوله لم يزد الا بعدا اذا كان ما ترك من الواجب منها أعظم
مما فعله أبعد ترك الواجب الأكثر من الله أكثر مما قربه فعل
الواجب الأقل وهذا كما فى الصحيح عن النبي أنه قال
تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يرقب
الشمس حتى اذا كانت بين قرنى شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله
فيها الا قليلا وقد قال تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ
خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا

يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا { النساء 142 } وفى السنن عن عمار عن
النبى أنه قال ان العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له
منها الا نصفها الا ثلثها حتى قال الا عشرها وعن ابن عباس
قال ليس لك من صلاتك الا ما عقلت منها وهذا وان لم يؤمر
بإعادة الصلاة عند أكثر العلماء لكن يؤمر بأن يأتى من التطوعات
بما يجبر نقص فرضه ومعلوم أن من حافظ على الصلوات
بخشوعها الباطن وأعمالها الظاهرة وكان يخشى الله الخشية التى
أمره بها فانه يأتى بالواجبات ولا يأتى كبيرة ومن أتى الكبائر مثل
الزنا أو السرقة أو شرب الخمر وغير ذلك فلا بد أن يذهب ما فى
قلبه من تلك الخشية والخشوع والنور وان بقى أصل التصديق فى
قلبه وهذا من الايمان الذى ينزع منه عند فعل الكبيرة كما
قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزنى الزانى حين يزنى
وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن فان
المتقين كما وصفهم الله بقوله { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ
مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } الأعراف 201 فاذا طاف
بقلوبهم طائف من الشيطان تذكروا فيبصرون قال سعيد بن جبير
هو الرجل يغضب الغضبة فيذكر الله فيكظم الغيظ وقال ليث عن
مجاهد هو الرجل يهيم بالذنب فيذكر الله فيدعه والشهوة والغضب
مبدأ السيئات فاذا أبصر رجع ثم قال { وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي
الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ } الأعراف 202 أى واخوان الشياطين تمدهم
الشياطين فى الغى ثم لا يقصرون قال ابن عباس لا الانس تقصر
عن السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم فاذا لم يبصر بقى قلبه فى
غى والشيطان يمد فى غيه وان كان التصديق فى قلبه لم يكذب
فذلك النور والابصار وتلك الخشية والخوف يخرج من قلبه وهذا
كما أن الانسان يغمض عينيه فلا يرى شيئا وان لم يكن أعمى
فكذلك القلب بما يغشاه من رين الذنوب لا يبصر الحق وان لم يكن
أعمى كعمى الكافر وهكذا جاء فى الآثار قال أحمد بن حنبل فى
كتاب الايمان حدثنا يحيى عن أشعث عن الحسن عن النبى
قال ينزع منه الايمان فان تاب أعيد اليه وقال حدثنا يحيى

عن عوف قال قال الحسن يجانبه الايمان ما دام كذلك فان راجع راجعه الايمان وقال أحمد حدثنا معاوية عن أبي اسحاق عن الاوزاعي قال وقد قلت للزهري حين ذكر هذا الحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فانهم يقولون فان لم يكن مؤمنا فما هو قال فأنكر ذلك وكره مسألتى عنه وقال أحمد حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال لغلمانه من أراد منكم الباءة زوجته لا يزني منكم زان الا نزع الله منه نور الايمان فان شاء ان يردده وان شاء ان يمنعه منعه وقال أبو داود السجستاني حدثنا عبدالوهاب بن نجدة حدثنا بقرية بن الوليد حدثنا صفوان بن عمرو عن عبدالله بن ربيعة الحضرمي أنه اخبره عن أبي هريرة أنه كان يقول إنما الايمان كثوب أحكم يلبسه مرة ويقلعه أخرى وكذلك رواه باسناده وروى عن الحسن عن النبي مرسلا وفي حديث عن أبي هريرة مرفوع الى النبي اذا زنى الزاني خرج منه الايمان فكان كالظلة فاذا انقطع رجع اليه الايمان وهذا ان شاء الله يبسط في موضع آخر⁹⁰⁰

إن البصر إنما هو بنور الايمان والعلم

*وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته قال تعالى {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّناً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} الأنعام 122 لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله {لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَجْعَلَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ} يس 70 وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} الأنفال 24 ثم قال {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} الأنفال 24 وقال تعالى {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} يونس 31 ومن انواعه انه يخرج

المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وفى الحديث الصحيح مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت وفى الصحيح ايضا اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وقد قال تعالى {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ} الأنعام 39 وذكر سبحانه آية النور آية الظلمة

فقال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ} النور 35 فهذا مثل نور الايمان فى قلوب المؤمنين ثم قال {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} {39} أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} {40} النور 39-40 فالأول مثل الاعتقادات الفاسدة

والأعمال التابعة لها يحسبها صاحبها شيئا ينفعه فاذا جاءها لم يجدها شيئا ينفعه فوفاه الله حسابه على تلك الاعمال و الثانى مثل للجهل البسيط وعدم الايمان والعلم فان صاحبها فى ظلمات بعضها فوق بعض لا يبصر شيئا فان البصر إنما هو بنور الايمان والعلم قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} الأعراف 201⁹⁰¹

*وفى الصحيح أنه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس أبو بكر الصديق فقال من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت وقرأ قوله تعالى {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا

⁹⁰¹ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 100-101 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 8

وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ { آل عمران 144 } وكان الناس ما سمعوها حتى تلاها أبو بكر فلا يوجد أحد من الناس إلا وهو يتلوها والناس تغيب عنهم معاني القرآن عند الحوادث فإذا ذكروا بها عرفوها وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } {201} وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ } {202} الاعراف 201-202⁹⁰²

"تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة"

* أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله ووجوب اتباعه وبيان الاهتداء به في كل ما يحتاج إليه الناس من دينهم وأن النجاة والسعادة في اتباعه والشقاء في مخالفته وما دل عليه من اتباع السنة والجماعة قال الله تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَبِئَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَمَا كَانَ الْيَوْمَ تُنْسَى } {126} طه 123-126 قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية وقال تعالى { الم } {1} ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } {2} البقرة 1-2 وقال { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } آل عمران 138 وقال { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } {201} وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ } {202} وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بَآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } {203} الاعراف 201-203

وقال تعالى { وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } {الإسراء 82} 903

*إن ما يبنتلى به العبد من الذنوب الوجودية و إن كانت خلقا لله فهو عقوبة له على عدم فعله ما خلقه الله له و فطره عليه فان الله إنما خلقه لعبادته و حده لا شريك له و دله على الفطرة كما قال النبي صلى الله عليه و سلم كل مولود يولد على الفطرة و قال تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } {الروم 30} فهو لما لم يفعل ما خلق له و ما فطر عليه و ما أمر به من معرفة الله و حده و عبادته و حده عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك و المعاصي قال تعالى للشيطان { أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَأُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا } {الإسراء 63} الى قوله { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا } {الإسراء 65} و قال تعالى { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} {100} {النحل 99-100} و قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ } {201} {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْعَیِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} {202} {الأعراف 201-202} فقد تبين أن إخلاص الدين لله يمنع من تسلط الشيطان و من ولاية الشيطان التي توجب العذاب كما قال تعالى { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } {يوسف 24} فاذا أخلص العبد لربه الدين كان هذا مانعا له من فعل ضد ذلك و من إيقاع الشيطان له في ضد ذلك و إذا لم يخلص لربه الدين و لم يفعل ما خلق له و فطر عليه عوقب على ذلك و كان من عقابه تسلط الشيطان عليه حتى يزين له فعل السيئات و كان إلهامه لفجوره عقوبة له على كونه لم

يتق الله و عدم فعل الحسنات ليس أمرا موجودا حتى يقال إن الله خلقه و من تدبر القرآن تبين له أن عامة ما يذكر الله فى خلق الكفر و المعاصي يجعله جزاء لذلك العمل كقوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 125 الآية و قال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5 و قال { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى } {8} و كَذَبَ بِالْحَسَنَى } {9} فَسُنِّيَسْرُهُ لِلْعُسْرَى } {10} الليل 8-10 و هذا و أمثاله يذكر فيه أعمالا عاقبهم بها على فعل محذور و ترك مأمور و لا بد لهم من حركة و إرادة فلما لم يتحركوا بالحسنات حركوا بالسيئات عدلا من الله كما قيل نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل و هذا الوجه إذا حقق يقطع مادة كلام طائفتى القدرية المكذبة و المجررة الذين يقولون خلقها لذلك و التعذيب لهم ظلم يقال لهم إنما أوقعهم فيها و طبع على قلوبهم عقوبة لهم فما ظلمهم و لكن ظلموا أنفسهم يقال ظلمته إذا نقصته حقه قال تعالى { كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا } الكهف 33 و كثير منهم يسلمون أن الله خلق من الأعمال ما يكون جزاء على عمل متقدم و يقولون خلق طاعة المطيع لكن ما خلق شيئا من الذنوب ابتداء بل جزاء فيقولون أول ما يفعل العبد لم يحدثه الله و ما ذكرنا يوجب أن يكون الله خالق كل شيء لكن أولها عقوبة على عدم فعله لما خلق له و العدم لا يضاف الى الله فما أحدثه فأوله عقوبة على هذا العدم و سائرهما قد يكون عقوبة على ما و جد و قد يكون عقوبة على إستمراره على العدم فما دام لا يخلص لله لا يزال مشركا و الشيطان مسلط عليه ثم تخصيصه سبحانه لمن هداه بأن إستعمله ابتداء فيما خلق له تخصيص بفضله و هذا منه لا يوجب الظلم و لا يمنع العدل و لهذا يقول تعالى { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ } البقرة 105 و كذلك الفضل هو أعلم به كما خص بعض الأبدان بقوى لا توجد فى غيرها و بسبب عدم القوة قد تحصل له أمراض و جودية و غير ذلك من حكمته و تحقيق هذا يدفع شبهات هذا

الباب ومما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان قوله تعالى
 {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
 { الأنعام 110 هذا من تمام قوله { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
 لَا يُؤْمِنُونَ { الأنعام 109 فذكر أن هذا التقلب يكون لمن لم يؤمنوا
 به أول مرة و هذا عدم الإيمان لكن يقال هذا بعد دعاء الرسول
 صلى الله عليه و سلم لهم و قد كذبوا و تركوا الإيمان و هذه أمور
 و جودية لكن الموجب هو عدم الإيمان و ما ذكر شرط في التعذيب
 كإرسال الرسول فإنه قد يشتغل عن الإيمان بما جنسه مباح لا
 يستحق به العقوبة إلا لأنه شغله عن الإيمان و من الناس من يقول
 ضد الإيمان هو تركه و هو أمر و جودى لا ضده إلا ذلك⁹⁰⁴

* والمعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى فتكون من سيئات
 الجزاء مع أنها من سيئات العمل قال النبي صلى الله عليه و سلم
 فى الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود رضي الله عنه عن
 النبي صلى الله عليه و سلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى
 الى البر و البر يهدى الى الجنة و لا يزال الرجل يصدق و يتحرى
 الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً و إياكم و الكذب فإن الكذب
 يهدى الى الفجور و الفجور يهدى الى النار و لا يزال الرجل يكذب
 و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً و قد ذكر فى غير
 موضع من القرآن ما يبين أن الحسنه الثانية قد تكون من ثواب
 الأولى و كذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى⁹⁰⁵

الغى اتباع الشهوات

* قال تعالى {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ
 { الأعراف 202 و الغى فى الاصل مصدر غوى يغوى غيا
 كما يقال لوى يلوى ليا و هو ضد الرشد كما قال تعالى { وَإِنْ يَرَوْا
 سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا

⁹⁰⁴ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 332-333 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 222-224 و الحسنه والسيئة ج: 1 ص: 93-94

⁹⁰⁵ مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 243

{ الأعراف 146 و الرشد العمل الذى ينفع صاحبه والغى العمل الذى يضر صاحبه فعمل الخير رشد وعمل الشر غى ولهذا قالت الجن { وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } الجن 10 فقابلوا بين الشر وبين الرشد وقال فى آخر السورة { قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا } الجن 21 ومنه الرشيد الذى يسلم إليه ماله وهو الذى يصرف ماله فيما ينفع لا فيما يضر وقال الشيطان { لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } { 82 } إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ } { 83 } ص 82-83 وهو أن يأمرهم بالشر الذى يضرهم فيطيعونه كما قال تعالى { وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } إبراهيم 22 وقال { وَبَرَزْتَ الْأَجْهِمِ لِلْغَاوِينَ } الشعراء 91 إلى أن قال { فَكَبِكْبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ } { 94 } وَجُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ } { 95 } الشعراء 94-95 وقال { قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا } القصص 63 وقال { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 ثم إن الغى إذا كان إسما لعمل الشر الذى يضر صاحبه فإن عاقبة العمل أيضا تسمى غيا كما أن عاقبة الخير تسمى رشدا كما يسمى عاقبة الشر شرا وعاقبة الخير خيرا وعاقبة الحسنات حسنات وعاقبة السيئات سيئات⁹⁰⁶

* قال تعالى { وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوَنَّهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ } الأعراف 202 والغى اتباع الشهوات لأنه يحرك الناس حركة الشهوة والنفرة والفرح والحزن بلا علم⁹⁰⁷

أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين بسبب طهارة قلوبهم

⁹⁰⁶ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 570

⁹⁰⁷ مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 43

* فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال على الا فهما يؤتية الله عبدا في كتابه وفي الأثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كقوله { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } {66} وَإِذَا لَاتَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } {67} وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } {68} النساء 66-68 فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به يهديه الله صراطا مستقيما وقال تعالى {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ} {المائدة 16} وقال تعالى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} {محمد 17} وقال {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} {الكهف 13} وقال تعالى {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} {البقرة 2} وقال تعالى {هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ يُوقِنُونَ} {الجاثية 20} وقال تعالى {هَذَا بَصَائِرُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْقَوْمِ يُؤْمِنُونَ} {الأعراف 203} وأخبر أن اتباع ما يكرهه يصرف عن العلم والهدى كقوله { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } {الصف 5} وقوله {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَنَقَلْبُ أَفْنَدْتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَدَّرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } {110} {الأنعام 109-110} أى وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون بها ونقل أفندتهم أى يتركون الايمان ونحن نقلب أفندتهم لكونهم لم يؤمنوا أول مرة أى ما يدريكم أنه لا يكون هذا وهذا حينئذ ⁹⁰⁸

* و قال النبي ص في الحديث الصحيح ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة و تنزلت عليهم السكينة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده

وقد ذكر الله في غير موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن كقوله تعالى {وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} الأعراف 203⁹⁰⁹

تأثير الأصوات في النفوس من أعظم التأثير

* فصار السماع المحدث دائرا بين الكفر والفسوق والعصيان ولا حول ولا قوة إلا بالله وكفره من أغلظ الكفر وأشدّه وفسوقه من اعظم الفسوق وذلك أن تأثير الأصوات في النفوس من أعظم التأثير يغنيها ويغذيها حتى قيل إنه لذلك سمي غناء لأنه يغني النفس وهو يفعل في النفوس أعظم من حميا الكؤوس حتى يوجب للنفس أحوالا عجيبة يظن أصحابها أن ذلك من جنس كرامات الأولياء وإنما هو من الأمور الطبيعية الباطلة المبعدة عن الله إذ الشياطين تمدهم في هذا السماع بأنواع الإمداد كما قال تعالى {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} الأعراف 202 فربما يخف أحدهم حتى يرقص فوق رؤوسهم ويكون شيطانه هو المغوى لنفوسهم⁹¹⁰

الرحمة تحصل باستماع القرآن

* فأتى على أهل السماع والوجد للحديث الذي نزله وهو أحسن الحديث و على أهل ذكره والاستماع لحديثه كما جمع بينهما في قوله وقال تعالى {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {204} {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} {205} الأعراف 204- 205 وهو ان الله في كتابه إنما حمد استماع

⁹⁰⁹ الاستقامة ج: 1 ص: 396

⁹¹⁰ الاستقامة ج: 1 ص: 309

القرآن و ذم المعرضين عن استماعه وجعلهم أهل الكفر والجهل
الصم البكم⁹¹¹

*فذكر أن استماع القرآن سبب الرحمة و قال النبي ص في الحديث الصحيح ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه بينهم إلا غشيتهم الرحمة و تنزلت عليهم السكينة و حفتهم الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده و قد ذكر الله في غير موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن كقوله تعالى و ننزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين سورة الإسراء⁹¹²

حكم القراءة خلف الإمام

*القراءة خلف الإمام فنقول إذا جهر الإمام استمع لقراءته فإن كان لا يسمع لبعده فإنه يقرأ في أصح القولين و هو قول أحمد وغيره و إن كان لا يسمع لصممه أو كان يسمع همهمة الإمام ولا يفقه ما يقول ففيه قولان في مذهب أحمد وغيره والأظهر أنه يقرأ لأن الأفضل أن يكون إما مستمعا وإما قارئاً وهذا ليس بمستمع ولا يحصل له مقصود السماع فقراءته أفضل من سكوته فنذكر الدليل على الفصلين على أنه في حال الجهر يستمع وأنه في حال المخافتة يقرأ فالدليل على الأول الكتاب والسنة والاعتبار أما الأول فإنه تعالى قال **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** {الأعراف 204} وقد استفاض عن السلف أنها نزلت في القراءة في الصلاة وقال بعضهم في الخطبة وذكر أحمد بن حنبل الإجماع على أنها نزلت في ذلك وذكر الإجماع على أنه لا تجب القراءة على المأموم حال الجهر ثم يقول قوله تعالى **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** {الأعراف 204} لفظ عام فأما أن يختص القراءة في الصلاة أو في القراءة في غير

⁹¹¹ الاستقامة ج: 1 ص: 224

⁹¹² الاستقامة ج: 1 ص: 396

الصلاة أو يعمهما والثاني باطل قطعاً لأنه لم يقل أحد من المسلمين أنه يجب الاستماع خارج الصلاة ولا يجب في الصلاة ولأن استماع المستمع إلى قراءة الإمام الذي يأتيه به ويجب عليه متابعتها أولى من استماعه إلى قراءة من يقرأ خارج الصلاة داخلة في الآية إما على سبيل الخصوص وإما على سبيل العموم وعلى التقديرين فالآية دالة على أمر المأموم بالإنصات لقراءة الإمام وسواء كان أمر إيجاب أو استحباب فالمقصود حاصل فإن المراد أن الاستماع أولى من القراءة وهذا صريح في دلالة الآية على كل تقدير والمنازع يسلم أن الاستماع مأمور به دون القراءة فيما زاد على الفاتحة والآية أمرت بالإنصات إذا قرئ القرآن والفاتحة أم القرآن وهي التي لا بد من قراءتها في كل صلاة والفاتحة أفضل سور القرآن وهي التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها فيمتنع أن يكون المراد بالآية الاستماع إلى غيرها دونها مع إطلاق لفظ الآية وعمومها مع أن قراءتها أكثر وأشهر وهي أفضل من غيرها فإن قوله **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ}** {الأعراف 204} يتناولها كما يتناول غيرها وشموله لها أظهر لفظاً ومعنى والعدل عن استماعها إلى قراءتها إنما يعدل لأن قراءتها عنده أفضل من الاستماع وهذا غلط يخالف النص والاجماع فإن الكتاب والسنة أمرت المؤتم بالاستماع دون القراءة والأمة متفقة على أن استماعه لما زاد على الفاتحة أفضل من قراءته لما زاد عليها فلو كانت القراءة لما يقرأه الإمام أفضل من الاستماع لقراءته لكان قراءة المأموم أفضل من قراءته لما زاد على الفاتحة وهذا لم يقل به أحد وإنما نازع من نازع في الفاتحة لظنه أنها واجبة على المأموم مع الجهر أو مستحبة له حينئذ وجوابه أن المصلحة الحاصلة له بالقراءة يحصل بالاستماع ما هو أفضل منها بدليل استماعه لما زاد على الفاتحة فلو لا أنه يحصل له بالاستماع ما هو أفضل من القراءة لكان الأولى أن يفعل أفضل الأمرين وهو القراءة فلما دل الكتاب والسنة والاجماع على أن الاستماع أفضل له من القراءة علم أن المستمع يحصل له أفضل

مما يحصل للقارئ وهذا المعنى موجود في الفاتحة وغيرها
 فالمستمع لقراءة الإمام يحصل له أفضل مما يحصل بالقراءة
 وحينئذ فلا يجوز أن يؤمر بالأدنى وينهى عن الأعلى وثبت أنه في
 هذه الحال قراءة الإمام له قراءة كما قال ذلك جماهير السلف
 والخلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفي ذلك الحديث
 المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من كان له
 إمام فقراءة الإمام له قراءة وهذا الحديث روي مرسلًا ومسنودًا
 لكن أكثر الأئمة الثقة روه مرسلًا عن عبد الله بن شداد عن النبي
 صلى الله عليه وسلم وأسنده بعضهم ورواه ابن ماجه مسندًا وهذا
 المرسل قد عضده ظاهر القرآن والسنة وقال به جماهير أهل العلم
 من الصحابة والتابعين ومرسله من أكابر التابعين ومثل هذا
 المرسل يحتج به باتفاق الأئمة الأربعة وغيرهم وقد نص الشافعي
 على جواز الاحتجاج بمثل هذا المرسل فتبين أن الاستماع إلى
 قراءة الإمام أمر دل عليه القرآن دلالة قاطعة لأن هذا من الأمور
 الظاهرة التي يحتاج إليها جميع الأمة فكان بيانها في القرآن ممن
 يحصل به مقصود البيان وجاءت السنة موافقة للقرآن ففي
 صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال إن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خطبنا فبين لنا سنتنا وعلما صلواتنا فقال أقيموا
 صفوفكم ثم ليؤمكم أحدكم فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا
 وهذا من حديث أبي موسى الطويل المشهور لكن بعض الرواة
 زاد فيه على بعض فمنهم من لم يذكر قوله وإذا قرأ فأنصتوا
 ومنهم من ذكرها وهي زيادة من الثقة لا تخالف المزيد بل توافق
 معناه فإن الانصات إلى قراءة القارئ من تمام الائتتمام به فإن من
 قرأ على قوم لا يستمعون لقراءته لم يكونوا مؤتمين به وهذا مما
 يبين حكمة سقوط القراءة على المأموم فإن متابعتة لإمامه مقدمة
 على غيرها حتى في الأفعال فإذا أدركه ساجدا سجد معه وإذا
 أدركه في وتر من صلاته تشهد عقب الوتر وهذا لو فعله منفردا لم
 يجز وإنما فعله لأجل الائتتمام فيدل على أن الائتتمام يجب به ما لا
 يجب على المنفرد ويسقط به ما يجب على المنفرد ولهذا روى

مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا وإذا قرأ فأنتوا رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه قيل لمسلم بن الحجاج حديث أبي هريرة صحيح يعني وإذا قرأ فأنتوا قال هو عندي صحيح فليل له لما لا تضعه ههنا يعني في كتابه فقال ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه وروى الزهري عن ابن أكيمة الليثي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاة جهر فيها فقال هل قرأ معي أحد منكم أنا فقال الرجل نعم يا رسول الله قال إني أقول مالي أنازع القرآن قال فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلوات حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي وقال حديث حسن قال أبو داود سمعت محمد بن يحيى بن فارس يقول قوله فانتهى الناس من كلام الزهري وروى عن البخاري نحو ذلك فقال في الكنى من التاريخ وقال أبو صالح حدثني الليث حدثني يوسف عن ابن شهاب سمعت ابن أكيمة الليثي يحدث أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة يقول صلى لنا النبي صلى الله عليه وسلم صلاة جهر فيها بالقراءة ثم قال هل قرأ منكم أحد معي قلنا نعم قال إني أقول مالي أنازع القرآن قال فانتهى الناس عن القراءة فيما جهر الإمام قال الليث حدثني ابن شهاب ولم يقل فانتهى الناس وقال بعضهم هو قول الزهري وقال بعضهم هو قول ابن أكيمة والصحيح أنه قول الزهري وهذا إذا كان من كلام الزهري فهو من أدل الدلائل على أن الصحابة لم يكونوا يقرأون في الجهر مع النبي صلى الله عليه وسلم فإن الزهري من أعلم أهل زمانه أو أعلم أهل زمانه بالسنة وقراءة الصحابة خلف النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانت مشروعة واجبة أو مستحبة تكون من الأحكام العامة التي يعرفها عامة الصحابة والتابعين لهم بإحسان فيكون الزهري من

أعلم الناس بها فلو لم يبينها لاستدل بذلك على انتفائها فكيف إذا قطع الزهري بأن الصحابة لم يكونوا يقرأون خلف النبي صلى الله عليه وسلم في الجهر فإن قيل قال البيهقي ابن أكيمة رجل مجهول لم يحدث إلا بهذا اليث وحده ولم يحدث عنه غير الزهري قيل ليس كذلك بل قد قال أبو حاتم الرازي فيه صحيح الحديث حديثه مقبول وحكي عن أبي حاتم البستي أنه قال روى عنه الزهري وسعيد بن أبي هلال وابن أبيه عمر وسالم بن عمار بن أكيمة بن عمر وقد روى مالك في موطنه عن وهب بن كيسان أنه سمع جابر بن عبد الله يقول من صلى ركعة لم يقرأ فيها لم يصل إلا وراء الإمام وروى أيضا عن نافع أن عبد الله بن عمر كان إذا سئل هل يقرأ خلف الإمام يقول إذا صلى أحدكم خلف الإمام تجزئه قراءة الإمام وإذا صلى وحده فليقرأ قال وكان عبد الله بن عمر لا يقرأ خلف الإمام وروى مسلم في صحيحه عن عطاء بن يسار أنه سأل زيد بن ثابت عن القراءة مع الإمام فقال لا قراءة مع الإمام في شيء وروى البيهقي عن أبي وائل أن رجلا سأل ابن مسعود عن القراءة خلف الإمام فقال انصت للقرآن فإن في الصلاة شغلا وسيكفيك ذلك الإمام وابن مسعود وزيد بن ثابت هما ففيها أهل المدينة وأهل الكوفة من الصحابة وفي كلامهما تنبيه على أن المانع إنصاته لقراءة الإمام وكذلك البخاري في كتاب القراءة خلف الإمام عن علي بن أبي طالب قال وروى الحارث عن علي يسبح في الأخيرين قال ولم يصح وخالفه عبيد الله بن أبي رافع حدثنا عثمان بن سعيد سمع عبيد الله بن عمرو عن إسحق بن راشد عن الزهري عن عبيد الله بن أبي رافع مولى بني هاشم حدثه عن علي بن أبي طالب إذا لم يجهر الإمام في الصلوات فاقراً بأمر الكتاب وسورة أخرى في الأوليين من الظهر والعصر وفاتحة الكتاب في الأخيرين من الظهر والعصر وفي الآخرة من المغرب وفي الأخيرين من العشاء وأيضا ففي إجماع المسلمين على أنه فيما زاد على الفاتحة يؤمر بالاستماع دون القراءة دليل على أن استماعه لقراءة الإمام خير له من قراءته معه بل على أنه

مأمور بالاستماع دون القراءة مع الإمام وأيضا فلو كانت القراءة في الجهر واجبة على المأموم للزم أحد أمرين إما أن يقرأ مع الإمام وإما أن يجب على الإمام أن يسكت له حتى يقرأ ولا نعلم نزاعا بين العلماء أنه لا يجب على الإمام أن يسكت لقراءة المأموم بالفاتحة ولا غيرها وقراءته معه منهي عنها بالكتاب والسنة فثبت أنه لا تجب عليه القراءة معه في حال الجهر بل نقول لو كانت قراءة المأموم في حال الجهر مستحبة لاستحب للإمام أن يسكت لقراءة المأموم ولا يستحب للإمام السكوت ليقرأ المأموم عند جماهير العلماء وهذا مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد بن حنبل وغيرهم وحجتهم في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يسكت ليقرأ المأمومون ولا نقل هذا أحد عنه بل ثبت عنه في الصحيح سكوته بعد التكبير للاستفتاح وفي السنن أنه كان له سكتتان سكتة في أول القراءة وسكتة بعد الفراغ من القراءة وهي سكتة لطيفة للفصل لا تتسع لقراءة الفاتحة وقد روي أن هذه السكتة كانت بعد الفاتحة ولم يقل أحد منهم إنه كان له ثلاث سكتات ولا أربع سكتات فمن نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سكتات أو أربع فقد قال قولا لم ينقله عنه أحد من المسلمين والسكتة التي عقب قوله { وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 من جنس السكتات التي عند رؤوس الآي ومثل هذا لا يسمى سكوتا ولهذا لم يقل أحد من العلماء إنه يقرأ في مثل هذا وكان بعض من أدركنا من أصحابنا يقرأ عقب السكوت عند رؤوس الآي فإذا قال الإمام { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 وإذا قال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 قال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وهذا لم يقله أحد من العلماء وقد اختلف العلماء في سكوت الإمام على ثلاثة أقوال فقيل لا سكوت له في الصلاة بحال وهو قول مالك وقيل فيها سكتة واحدة للاستفتاح كقول أبي حنيفة وقيل فيها سكتتان وهو قول الشافعي وأحمد وغيرهما لحديث سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له سكتتان سكتة حين يفتح الصلاة

وسكته إذا فرغ من السورة الثانية قبل أن يركع فذكر ذلك لعمران بن حصين فقال كذب سمرة رواه أحمد واللفظ له وأبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية أبي داود سكته إذا كبر وسكته إذا فرغ من { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وأحمد رجح الرواية الأولى واستحب السكته الثانية لأجل الفصل ولم يستحب أحمد أن يسكت الإمام لقراءة المأموم ولكن بعض أصحابه استحب ذلك ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يسكت سكته تتسع لقراءة الفاتحة لكان هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فلما لم ينقل هذا أحد علم أنه لم يكن والسكته الثانية في حديث سمرة قد نفاها عمران بن حصين وذلك أنها سكته يسيرة قد لا ينضبط مثلها وقد روي أنها بعد الفاتحة ومعلوم أنه لم يسكت إلا سكتين فعلم أن إحداها طويلة والأخرى بكل حال لم تكن طويلة متسعة لقراءة الفاتحة وأيضا فلو كان الصحابة كلهم يقرأون الفاتحة خلفه إما في السكته الأولى وإما في الثانية لكان هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فكيف ولم ينقل هذا أحد عن أحد من الصحابة أنهم كانوا في السكته الثانية خلفه يقرأون الفاتحة مع أن ذلك لو كان مشروعا لكان الصحابة أحق الناس بعلمه وعمله فعلم أنه بدعة وأيضا فالمقصود بالجهر استماع المأمومين ولهذا يؤمنون على قراءة الإمام في الجهر دون السر فإذا كانوا مشغولين عنه بالقراءة فقد أمر أن يقرأ على قوم لا يستمعون لقراءته وهو بمنزلة من يحدث من لم يستمع لحديثه ويخطب من لم يستمع لخطبته وهذا سفه تنزهه عنه الشريعة ولهذا روي في الحديث مثل الذي يتكلم والإمام يخطب كمثّل الحمار يحمل أسفارا فهكذا إذا كان يقرأ والإمام يقرأ عليه

فصل وإذا كان المأموم مأمورا بالاستماع والإنصات لقراءة الإمام لم يشتغل عن ذلك بغيرها لا بقراءة ولا ذكر ولا دعاء ففي حال جهر الإمام لا يستفتح ولا يتعوذ وفي هذه المسألة نزاع وفيها ثلاثة أقوال هي ثلاث روايات عن أحمد قيل إنه حال الجهر

يستفتح ويتعوذ ولا يقرأ لأنه بالاستماع يحصل له مقصود القراءة بخلاف الاستفتاح والاستعاذة فإنه لا يسمعهما وقيل يستفتح ولا يتعوذ لأن الاستفتاح تابع لتكبيرة الإحرام بخلاف التعوذ فإنه تابع للقراءة فمن لم يقرأ لا يتعوذ وقيل لا يستفتح ولا يتعوذ حال الجهر وهذا أصح فإن ذلك يشغل عن الاستماع والانصات للمأمور به وليس له أن يشتغل عما أمر به بشيء من الأشياء ثم اختلف أصحاب أحمد فمنهم من قال هذا الخلاف إنما هو في حال سكوت الإمام هل يشتغل بالاستفتاح أو الاستعاذة أو بأحدهما أو لا يشتغل إلا بالقراءة لكونها مختلفا في وجوبها وأما في حال الجهر فلا يشتغل بغير الإنصات والمعروف عند أصحابه أن هذا النزاع هو في حال الجهر لما تقدم من التعليل وأما في حال المخافة فالأفضل له أن يستفتح واستفتاحه حال سكوت الإمام أفضل من قراءته في ظاهر مذهب أحمد وأبي حنيفة وغيرهما لأن القراءة يعتاض عنها بالاستماع بخلاف الاستفتاح وأما قول القائل إن قراءة المأموم مختلف في وجوبها فيقال وكذلك الاستفتاح هل يجب فيه قولان مشهوران في مذهب أحمد ولم يختلف قوله إنه لا يجب على المأموم القراءة في حال الجهر واختار ابن بطة وجوب الاستفتاح وقد ذكر ذلك روايتين عن أحمد فعلم أن من قال من أصحابه كأي الفرج بن الجوزي أن القراءة حال المخافة أفضل في مذهبه من الاستفتاح فقد غلط على مذهبه ولكن هذا يناسب قول من استحب قراءة الفاتحة حال الجهر وهذا ما علمت أحدا قاله من أصحابه قبل جدي أبي البركات وليس هو مذهب أحمد ولا عامة أصحابه مع أن تعليل الأحكام بالخلاف علة باطلة في نفس الأمر فإن الخلاف ليس من الصفات التي يعلق الشارع بها الأحكام في نفس الأمر فإن ذلك وصف حادث بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن يسلكه من لم يكن عالما بالأدلة الشرعية في نفس الأمر لطلب الاحتياط وعلى هذا ففي حال المخافة هل يستحب له مع الاستفتاح الاستعاذة إذا لم يقرأ على روايتين والصواب أن الاستعاذة لا تشرع إلا لمن قرأ فإن اتسع الزمان للقراءة استعاذ وقرأ وإلا أنصت وأما الفصل

الثاني وهو القراءة إذا لم يسمع قراءة الإمام كحال مخافتة الإمام وسكوته فإن الأمر بالقراءة والترغيب فيها يتناول المصلي أعظم مما يتناول غيره فإن قراءة القرآن في الصلاة أفضل منها خارج الصلاة وما ورد من الفضل لقارئ القرآن يتناول المصلي أعظم مما يتناول غيره لقوله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف قال الترمذي حديث حسن وقد ثبت في خصوص الصلاة قوله في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج ثلاثاً أي غير تمام ف قيل لأبي هريرة إنني أحياناً أكون وراء الإمام فقال اقرأ بها في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 قال الله حمدني عبدي فإذا قال { الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } الفاتحة 3 قال الله أتى علي عبدي فإذا قال { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } الفاتحة 4 قال مجدني عبدي وقال مرة فوض إلي عبدي فإذا قال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } 6 { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } 7 { الفاتحة 6-7 قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل وروى مسلم في صحيحه عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر فجعل رجل يقرأ خلفه ب { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } الأعلى 1 فلما انصرف قال أيكم قرأ أو أيكم القارئ قال رجل أنا قال قد ظننت أن بعضكم خالجنيتها رواه مسلم فهذا قد قرأ خلفه في صلاة الظهر ولم ينهه ولا غيره عن القراءة لكن قال قد ظننت أن بعضكم خالجنيتها أي نازعنيها كما قال في الحديث الآخر إنني أقول مالي أنازع القرآن وفي المسند عن ابن مسعود قال كانوا يقرأون

خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال خلطتم علي القرآن فهذا كراهة منه لمن نازعه وخالجه وخلط عليه القرآن وهذا لا يكون ممن قرأ في نفسه بحيث لا يسمعه غيره وإنما يكون ممن أسمع غيره وهذا مكروه لما فيه من المنازعة لغيره لا لأجل كونه قارئاً خلف الإمام وأما مع مخالفته الإمام فإن هذا لم يرد حديثاً بالنهي عنه ولهذا قال أيكم القارئ أي القارئ الذي نازعني لم يرد بذلك القارئ في نفسه فإن هذا لا ينازع ولا يعرف أنه خالج النبي صلى الله عليه وسلم وكراهة القراءة خلف الإمام إنما هي إذا امتنع من الإنصات المأمور به أو إذا نازع غيره فإذا لم يكن هناك إنصات مأمور به ولا منازعة فلا وجه للامتناع من تلاوة القرآن في الصلاة والقارئ هنا لم يعترض عن القراءة باستماع فيفوته الإستماع والقراءة جميعاً مع الخلاف المشهور في وجوب القراءة في مثل هذه الحال فخلاف وجوبها في حال الجهر فإنه شاذ حتى نقل أحمد الإجماع على خلافه وأبو هريرة وغيره من الصحابة فهموا من قوله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 أن ذلك يعم الإمام والمأموم وأيضا فجميع الأذكار التي يشرع للإمام أن يقولها سرا يشرع للمأموم أن يقولها سرا كالتسبيح في الركوع والسجود وكالتشهد والدعاء ومعلوم أن القراءة أفضل من الذكر والدعاء فلا ي معنى لا تشرع له القراءة في السر وهو لا يسمع قراءة السر ولا يؤمن على قراءة الإمام في السر وأيضا فإن الله سبحانه لما قال { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } الأعراف 204 وقال { وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } الأعراف 205 وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم ولأئمة فإنه ما خوطب به خوطبت به الأمة ما لم يرد نص بالتخصيص كقوله { فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا } طه 130 وقوله { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ } هود 114 وقوله { أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ

{الإسراء78 ونحو ذلك وهذا أمر يتناول الإمام والمأموم والمنفرد بأن يذكر الله في نفسه بالغدو والأصال وهو يتناول صلاة الفجر والظهر والعصر فيكون المأموم مأمورا بذكر ربه في نفسه لكن إذا كان مستمعا كان مأمورا بالإستماع وإن لم يكن مستمعا كان مأمورا بذكر ربه في نفسه والقرآن أفضل الذكر كما قال تعالى {وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ {الأنبياء50 وقال تعالى { وَفَدُّ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا {طه99 وقال تعالى { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {طه124 وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ {الأنبياء2 وأيضا فالسكوت بلا قراءة ولا ذكر ولا دعاء ليس عبادة ولا مأمورا به بل يفتح باب الوسوسة فالاشتغال بذكر الله أفضل من السكوت وقراءة القرآن من أفضل الخير وإذا كان كذلك فالذكر بالقرآن أفضل من غيره كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر رواه مسلم في صحيحه وعن عبد الله بن أبي أوفى قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئا فعلمني ما يجزئني منه فقال قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله فقال يا رسول الله هذا لله فما لي قال قل اللهم ارحمني وارزقني وعافني واهدني فلما قام قال هكذا بيديه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد ملأ يديه من الخير رواه أحمد وأبو داود والنسائي والذين أوجبوا القراءة في الجهر احتجوا بالحديث الذي في السنن عن عبادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كنتم ورائي فلا تقرأوا إلا بفاتحة الكتاب فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها وهذا الحديث معلل عند أئمة الحديث بأمر كثيرة ضعفه أحمد وغيره من الأئمة وقد بسط الكلام على ضعفه في غير هذا الموضوع وبين أن الحديث الصحيح قول النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة إلا بأم القرآن فهذا هو الذي أخرجاه في الصحيحين

ورواه الزهري عن محمود بن الربيع عن عبادة وأما هذا الحديث فغلط فيه بعض الشاميين وأصله أن عبادة كان يؤم ببيت المقدس فقال هذا فاشتبه عليهم المرفوع بالموقوف على عبادة وأيضا فقد تكلم العلماء قديما وحديثا في هذه المسألة وبسطوا القول فيها وفي غيرها من المسائل وتارة أفردوا القول فيها في مصنفات مفردة وانتصر طائفة للإثبات في مصنفات مفردة كالبخاري وغيره وطائفة للنفي كأبي مطيع البلخي وكرام وغيرهما ومن تأمل مصنفات الطوائف تبين له القول الوسط فإن عامة المصنفات المفردة تتضمن صور كل من القولين المتباينين قول من ينهى عن القراءة خلف الإمام حتى في صلاة السر وقول من يأمر بالقراءة خلفه مع سماع جهر الإمام والبخاري ممن بالغ في الانتصار للإثبات بالقراءة حتى مع جهر الإمام بل يوجب ذلك كما يقوله الشافعي في الجديد وابن حزم ومع هذا فحججه ومصنفه إنما تتضمن تضعيف قول أبي حنيفة في هذه المسألة وتوابعها⁹¹³

حكم قراءة الفاتحة خلف الإمام حال الجهر

*فإن للعلماء في قراءة الفاتحة خلف الإمام حال الجهر ثلاثة أقوال قيل ليس له أن يقرأ حال جهر الإمام إذا كان يسمع لا بالفاتحة ولا غيرها وهذا قول الجمهور من السلف والخلف وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة وغيرهم وأحد قولى الشافعى وقيل بل يجوز الأمران والقراءة أفضل ويروى هذا عن الأوزاعى وأهل الشام والليث بن سعد وهو إختيار طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم وقيل بل القراءة واجبة وهو القول الآخر للشافعى وقول الجمهور هو الصحيح فإن الله سبحانه قال **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** {الأعراف 204} قال أحمد أجمع الناس على أنها نزلت فى الصلاة وقد ثبت فى الصحيح من حديث

⁹¹³الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 168 و مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 268-275

أبى موسى عن النبي أنه قال إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر
فكبروا وإذا قرأ فأنصتوا وإذا كبر وركع فكبروا وإركعوا فإن
الإمام يركع قبلكم ويرفع قبلكم فتلك بتلك الحديث إلى آخره
وروى هذا اللفظ من حديث أبى هريرة أيضا وذكر مسلم أنه ثابت
فقد أمر الله ورسوله بالإنصات للإمام إذا قرأ وجعل النبي صلى الله
عليه وسلم ذلك من جملة الإلتزام به فمن لم ينصت له لم يكن قد
إنتم به ومعلوم أن الإمام يجهر لأجل المأموم ولهذا يؤمن المأموم
على دعائه وإذا لم يستمع لقراءته ضاع جهره ومصلحة متابعة
الإمام مقدمة على مصلحة ما يؤمر به المنفرد ألا ترى أنه لو أدرك
الإمام فى وتر من صلاته فعل كما يفعل فينشهد عقيب الوتر
ويسجد بعد التكبير إذا وجده ساجدا كل ذلك لأجل المتابعة فكيف لا
يستمع لقراءته مع أنه بالإستماع يحصل له مصلحة القراءة فإن
المستمع له مثل أجر القارىء ومما يبين هذا إتفاقهم كلهم على
أنه لا يقرأ معه فيما زاد على الفاتحة إذا جهر فلو لا أنه يحصل له
أجر القراءة بإنصاته له لكانت قراءته لنفسه أفضل من إستماعه
للإمام وإذا كان يحصل له بالإنصات أجر القارىء لم يحتج إلى
قراءته فلا يكون فيها منفعة بل فيها مضرة شغلته عن الإستماع
المأمور به وقد تنازعوا إذا لم يسمع الإمام لكون الصلاة صلاة
مخافتة أو لبعد المأموم أو طرشه أو نحو ذلك هل الأولى له أن
يقرأ أو يسكت والصحيح أن الأولى له أن يقرأ فى هذه المواضع
لأنه لا يستمع قراءة يحصل له بها مقصود القراءة فإذا قرأ لنفسه
حصل له أجر القراءة وإلا بقى ساكتا لا قارئاً ولا مستمعا ومن
سكت غير مستمع ولا قارىء فى الصلاة لم يكن مأمورا بذلك ولا
محمودا بل جميع أفعال الصلاة لا بد فيها من ذكر الله تعالى
كالقراءة والتسبيح والدعاء أو الإستماع للذكر وإذا قيل بأن
الإمام يحمل عنه فرض القراءة فقراءته لنفسه أكمل له وأنفع له

وأصلح لقلبه وأرفع له عند ربه والإنصات لا يؤمر به حال الجهر
فأما حال المخافتة فليس فيه صوت مسموع حتى ينصت له⁹¹⁴

السمع الذي شرعه الله تعالى لعباده

*فان الله سبحانه لما قال {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} الأعراف 204 وقال {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ
تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ
مِّنَ الْغَافِلِينَ} الأعراف 205 وهذا أمر للنبي ولأُمَّته فانه ما
خوِّط به خوِّطت به الأمة ما لم يرد نص بالتخصيص كقوله
{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} ق 39
وقوله {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ} هود 114
وقوله {أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ} الإسراء 78
ونحو ذلك وهذا أمر يتناول الامام والمأموم والمنفرد بأن يذكر الله
في نفسه بالغدو والآصال وهو يتناول صلاة الفجر والظهر
والعصر فيكون المأموم مأمورا بذكر ربه في نفسه لكن إذا كان
مستمعا كان مأمورا بالاستماع وإن لم يكن مستمعا كان مأمورا
بذكر ربه في نفسه والقرآن أفضل الذكر كما قال تعالى {وَهَذَا
ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ} الأنبياء 50⁹¹⁵

*أصل هذه المسألة أن يفرق بين السماع الذي ينتفع به في
الدين وبين ما يرخص فيه رفعا للخرج وبين سماع المتقربين وبين
سماع المتلعبين فأما السماع الذي شرعه الله تعالى لعباده وكان
سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصلاح
قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله تعالى وهو سماع النبيين
والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة قال الله تعالى لما ذكر من
ذكره من الأنبياء في قوله {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ}

⁹¹⁴ مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 295-296 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 492 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 20-21

⁹¹⁵ مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 284

مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ
 وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا
 وَبُكِيًّا { مريم 58 } وقال { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ
 قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
 { الأنفال 2 } وقال تعالى { قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا { 107 }
 وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا { 108 } وَيَخِرُّونَ
 لِلأَذْقَانِ يَنْكَبُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا { 109 } { الإسرائاء 107- 109 } وقال
 تعالى { وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ
 { المائدة 83 } وبهذا السماع أمر الله تعالى كما قال تعالى { وَإِذَا
قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ { الأعراف 204
 وعلى أهله أثنى كما فى قوله تعالى { فَبَشِّرْ عِبَادِ { 17 } الَّذِينَ
 يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ { 18 } { الزمر 17- 18 } وقال فى
 الآية الأخرى { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ
 الْأُولِينَ { المؤمنون 68 } فالقول الذى أمروا بتدبره هو القول الذى
 أمروا باستماعه وقد قال تعالى { أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ
 قُلُوبِ أَفْقَالٍهَا { محمد 24 } وقال تعالى { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
 لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ { ص 29 } وكما أثنى على هذا السماع ذم
 المعرضين عن هذا السماع فقال تعالى { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلَىٰ
 مُسْتَكْبِرًا كَانُوا لَمْ يَسْمَعُهَا كَانُوا فِي أذُنَيْهِ وَقُرْأَ { لقمان 7 } وقال
 تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ
 تَعْلَمُونَ { فصلت 26 } وقال تعالى { وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ
 قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا { 30 } وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ
 عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا { 31 } { الفرقان 30-
 31 } وقال تعالى { فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ { 49 } كَانَهُمْ حُمُرٌ
 مُّسْتَنْفِرَةٌ { 50 } فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ { 51 } { المدثر 49- 51 } وقال
 تعالى { وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ
 بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ { فصلت 5 } وقال تعالى { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ

جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا {45} وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا {46} الإسراء 45 - 46 وهذا هو السماع الذي شرعه الله لعباده في صلاة الفجر والعشائين وغير ذلك وعلى هذا السماع كان أصحاب رسول الله يجتمعون وكانوا إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ والباقيون يستمعون وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأبى موسى يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وهذا هو السماع الذى كان النبى يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم كما فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال النبى إقرأ على القرآن قلت أقرأه عليك وعليك أنزل فقال إني أحب أن أسمع من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا} النساء 41 قال حسبك فنظرت فاذا عيناه تذر فان وهذا هو الذى كان النبى يسمعه هو وأصحابه كما قال تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} آل عمران 164 و الحكمة هى السنة وقال تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } 91 { وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ } 92 { النمل 91-92 وكذلك غيره من الرسل قال تعالى { يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } الأعراف 35 وبذلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } الأنعام 130 وقال تعالى { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فَفَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ

يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ
{ الزمر 71 وقد أخبر أن المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح
والمعرض عنه ضال شقى قال تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا
بِعُضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأِمَّا يَاأَيُّكُمْ مَتَّى هُدَىٰ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِن لَّهُ مَعِيشَةً سَنَكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ
كُنْتُ بَصِيرًا } {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ
تُنْسَى } {126} طه 126-123 وقال تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ
الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } { الزخرف 36 و
ذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربه ويراد به الذكر الذي أنزله
الله كما قال تعالى { وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ } { الأنبياء 50 وقال
نوح { أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ
{ الأعراف 63 وقال { وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ
لَمَجْنُونٌ } { الحجر 6 وقال { مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا
اسْتَمَعُوهُ } { الأنبياء 2 وقال { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ } { الزخرف 44
وقال { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } {27} لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ
يَسْتَقِيمَ } {28} { التكويد 27-28 وقال { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا
يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ } {يس 69 وهذا
السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية
يطول شرحها ووصفها وله في الجسد آثار محمودة من خشوع
القلب ودموع العين واقشعروا الجلد وهذا مذکور في القرآن وهذه
الصفات موجودة في الصحابة ووجدت بعدهم آثار ثلاثة
الاضطراب والصراخ والاعماء والموت في التابعين و
بالجملة فهذا السماع هو أصل الايمان فان الله بعث محمدا إلى
الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربه فمن سمع ما بلغه الرسول
فأمن به وأتبعه اهتدى وأفلح ومن أعرض عن ذلك ضل وشقى
وأما سماع المكاء والتصديّة وهو التصفيق بالأيدي والمكاء
مثل الصفيير ونحوه فهذا هو سماع المشركين الذي ذكره الله تعالى
في قوله { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ

{الأنفال35 فأخبر عن المشركين أنهم كانوا يتخذون التصفيق باليد والتصويت بالفم قرابة ودينا ولم يكن النبي وأصحابه يجتمعون على مثل هذا السماع ولا حضوره قط ومن قال إن النبي حضر ذلك فقد كذب عليه باتفاق أهل المعرفة بحديثه وسنته⁹¹⁶

وقال سبحانه وتعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} {الزمر 23} وقال سبحانه وتعالى {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} {الزمر 18} وهذا كثير في القرآن وكما انتهى سبحانه وتعالى على هذا السماع فقد ذم المعرضين عنه كما قال {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ} {22} وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ} {23} {الأنفال 22-23} وقال سبحانه وتعالى {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآلَى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ} {لقمان 7} وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع ويحبه ويرغب فيه ويذمون من يعرض عنه ويبغضه ولهذا شرع الله للمسلمين في صلاتهم ولطسهم (غير واضحة يسئل) شرع سماع المغرب والعشاء الآخر وأعظم سماع في الصلوات سماع الفجر الذي قال الله فيه وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا وقال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه يمدح النبي صلى الله عليه وسلم وفيما رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع يبيت يجافى جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالمشركين المضاجع أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع وهو مستحب لهم خارج الصلوات وروى عن النبي أنه خرج على أهل الصفة وفيهم واحد يقرأ وهم يستمعون فجلس معهم وكان أصحاب رسول الله إذا

⁹¹⁶ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 558-563

اجتمعوا أمروا واحد منهم يقرأ والباقون يستمعون وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون ومر النبي بأبى موسى وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال لقد أوتى هذا مزمار من مزامير داود وقال يا أبا موسى لقد مررت بك البارحة وأنت تقرأ فجعلت استمع لقراءتك فقال لو علمت أنك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيراً أى حسنته لك تحسیناً وقال النبي ليس منا من لم يتغن بالقرآن زينوا القرآن بأصواتكم وقال الله أشد أذناً للرجل حسن الصوت من صاحب القينة إلى قينته وقوله ما أذن الله إذناً أى سمع سمعاً ومنه قوله {وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} {الانشقاق 2} أى سمعت والآثار فى هذا كثيرة وهذا سماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها ووصفها وله فى الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ودموع العين واقشعروا الجلد وقد ذكر الله هذه الثلاثة فى القرآن وكانت موجودة فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أثنى عليهم فى القرآن ووجد بعدهم فى التابعين آثار ثلاثة الاضطراب والاختلاج والاعماء أو الموت والهيام فأنكر بعض السلف ذلك إما لبدعتهم وإما لحبهم وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك فان السبب إذا لم يكن محظوراً كان صاحبه فيما تولد عنه معذوراً لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين كما نم الله الذين قال فيهم {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ} البقرة 74 وقال {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} الحديد 16 ولو أثر فيهم آثاراً محمودة لم يجذبهم عن حد العقل لكانوا كمن أخرجهم إلى حد الغلبة كانوا محمودين أيضاً ومعذورين فإما سماع القاصدين لصلاح القلوب فى الاجتماع على ذلك إما نشيد مجرد نظير الغبار وإما بالتصفيق ونحو ذلك فهو السماع المحدث فى الاسلام فانه أحدث بعد ذهاب القرون

الثلاثة الذين اتى عليهم النبي حيث قال خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد كرهه أعيان الأمة ولم يحضره أكابر المشايخ وقال الشافعي رحمه الله خلفت ببغداد شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التعبير يصدون به الناس عن القرآن وسئل عنه الامام أحمد بن حنبل فقال هو محدث أكرهه قيل له أنه يرق عليه القلب فقال لا تجلسوا معهم قيل له أيهجرون فقال لا يبلغ بهم هذا كله فبين أنه بدعة لم يفعلها القرون الفاضلة لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في مصر ولا في العراق ولا خراسان ولو كان للمسلمين به منفعة في دينهم لفعله السلف⁹¹⁷

* فلو كان الرجل ماراً فسمع القرآن من غير أن يستمع إليه لم يؤجر على ذلك وإنما يؤجر على الاستماع الذي يقصد كما قال تعالى {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {الأعراف 204} وقال لموسى { فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ } طه 13⁹¹⁸

سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الأفراح للنساء والصبيان

* وشرع الله سبحانه وتعالى لنا الصلوات الخمس وقراءة القرآن فيها والاستماع له والاجتماع لسماع القرآن خارج الصلاة أيضاً فأول سورة أنزلها على نبيه (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} 1} {العلق 1} أمر في أولها بالقراءة وفي آخرها بالسجود بقوله تعالى { وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } {19} {العلق 19} ولهذا كان أعظم الأذكار التي في الصلاة قراءة القرآن وأعظم الأفعال السجود لله وحده لا شريك له وقال تعالى { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً } {الإسراء 78} وقال تعالى {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ

⁹¹⁷ مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 588

⁹¹⁸ مجموع الفتاوى ج: 30 ص: 214

وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ { الأعراف 204 وكان أصحاب رسول الله إذا اجتمعوا أمروا واحدا منهم أن يقرأ والباقي يستمعون وكان عمر بن الخطاب يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون ومر النبي بأبي موسى رضي الله عنه وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته فقال يا أبا موسى مررت بك البارحة فجعلت أستمع لقراءتك فقال لو علمت لحبرته لك تحبيرا وقال الله أشد أذنا أي استماعا إلى الرجل يحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته وهذا هو سماع المؤمنين وسلف الأمة وأكابر المشائخ كمعروف الكرخي والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني ونحوهم وهو سماع المشائخ المتأخرين الأكابر كالشيخ عبدالقادر والشيخ عدي بن مسافر والشيخ أبي مدين وغيرهم من المشائخ رحمهم الله وأما المشركون فكان سماعهم كما ذكره الله تعالى في كتابه بقوله تعالى { وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً { الأنفال 35 قال السلف المكاء الصفير والتصدية التصفيق باليد فكان المشركون يجتمعون في المسجد الحرام يصفقون ويصوتون يتخذون ذلك عبادة وصلاة فذمهم الله على ذلك وجعل ذلك من الباطل الذي نهى عنه فمن اتخذ نظير هذا السماع عبادة وقربة يتقرب بها إلى الله فقد ضاهى هؤلاء في بعض أمورهم وكذلك لم تفعله القرون الثلاثة التي أتت عليها النبي ولا فعله أكابر المشائخ وأما سماع الغناء على وجه اللعب فهذا من خصوصية الأفراس للنساء والصبيان كما جاءت به الآثار فإن دين الإسلام واسع لا حرج فيه وعماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة⁹¹⁹

⁹¹⁹ مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 426-427

خير الذكر الخفي وخير الرزق ما كفى

(والسنة في الدعاء كله المخافتة إلا أن يكون هناك سبب يشرع له بالجهر قال تعالى {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} الأعراف55 وقال تعالى عن زكريا {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} مريم3 بل السنة في الذكر كله ذلك كما قال تعالى {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} الأعراف205 وفي الصحيحين أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معه في سفر فجعلوا يرفعون أصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا وإنما تدعون سميعًا قريبًا إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وفي الحديث خير الذكر الخفي وخير الرزق ما كفى وهذا الذي ذكرناه في الصلاة عليه والدعاء مما اتفق عليه العلماء فكلهم يأمرون العبد إذا دعا أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كما يدعو لا يرفع صوته بالصلاة عليه أكثر من الدعاء سواء كان في صلاة كالصلاة التامة وصلاة الجنازة أو كان خارج الصلاة حتى عقيب التلبية فإنه يرفع صوته بالتلبية ثم عقيب ذلك يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو سرا وكذلك بين تكبيرات العيد إذا ذكر الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فإنه وإن جهر بالتكبير لا يجهر بذلك وكذلك لو اقتصر على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم خارج الصلاة مثل أن يذكر فيصلي عليه فإنه لم يستحب أحد من أهل العلم رفع الصوت بذلك فقايل ذلك مخطئ مخالف لما عليه علماء المسلمين وأما رفع الصوت بالصلاة أو الرضى الذي يفعله بعض المؤذنين قدام بعض الخطباء في الجمع فهذا مكروه أو محرم باتفاق الأمة لكن منهم من يقول يصلي عليه سرا ومنهم من يقول يسكت والله أعلم⁹²⁰

⁹²⁰الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 198 و مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 25 و مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 469

*أن رفع الأصوات في الذكر المشروع لا يجوز إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ونحو ذلك فالسنة للذاكرين والداعين ألا يرفعوا أصواتهم رفعاً شديداً⁹²¹

كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله

*فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومن توهم ان المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه او ان الخروج عنها اكمل فهو من اجهل الخلق واضلهم قال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} {26} لَا يَسْئِفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} {27} الأنبياء 26-27 إلى قوله { وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ} الانبياء 28 وقال تعالى في المسيح {إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ} الزخرف 59 وقال تعالى وقال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر 60 وقال تعالى {وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} {37} فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} {38} فصلت 37-38 وقال تعالى {وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً} الأعراف 205 إلى قوله {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} الأعراف 206 وهذا ونحوه مما فيه وصف اكابر المخلوقات بالعبادة وذم من خرج عن ذلك متعدد في القرآن وقد اخبر انه ارسل جميع الرسل بذلك⁹²²

⁹²¹ الاستقامة ج: 1 ص: 322

⁹²² الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 377 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 177

"من عبده الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن"

”

* أن الدعاء هو ذكر للمدعو سبحانه وتعالى متضمن للطلب والثناء عليه بأوصافه وأسمائه فهو ذكر وزيادة كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه للطلب كما قال النبي أفضل الدعاء الحمد لله فسمى الحمد لله دعاء وهو ثناء محض لأن الحمد متضمن الحب والثناء والحب أعلى أنواع الطلب فالحامد طالب للمحبوب فهو أحق أن يسمى داعياً من السائل الطالب لنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب فهو دعاء حقيقة بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذي هو دونه المقصود إن كان واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه وقد قال تعالى **{وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ۝ الْأَعْرَافُ 205}** فأمر تعالى نبيه أن يذكره في نفسه قال مجاهد وابن جريج أمروا أن يذكروه في الصدور بالتضرع والإستكانة دون رفع الصوت والصياح وتأمل كيف قال في آية الذكر **{وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝ الْأَعْرَافُ 205}** وفي آية الدعاء **{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ۝ الْأَعْرَافُ 55}** فذكر التضرع فيها معاً وهو التذلل والتمسكن والإنكسار وهو روح الذكر والدعاء وخص الدعاء بالخفية لما ذكرنا من الحكم وغيرها وخص الذكر بالخفية لحاجة الذاكر إلى الخوف فإن الذكر يستلزم المحبة ويثمرها ولا بد لمن أكثر من ذكر الله أن يثمر له ذلك محبته والمحبة مالم تقترب بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها بل تضره لأنها توجب التواني والإنبساط وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أن إستغنوا بها عن الواجبات وقالوا المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على الله ومحبته له فإذا حصل المقصود بالإشتغال بالوسيلة باطل ولقد حدثني رجل أنه أنكر على بعض هؤلاء خلوة له ترك فيها الجمعة فقال له الشيخ أليس الفقهاء يقولون

إذا خاف على شيء من ماله فإن الجمعة تسقط فقال له بلى فقال له
فقلب المرید أعز عليه من عشرة دراهم أو كما قال وهو إذا خرج
ضاع قلبه فحفظه لقلبه عذر مسقط للجمعة في حقه فقال له هذا
غرور بك الواجب الخروج إلى أمر الله عز وجل فتأمل هذا
الغرور العظيم كيف أدى إلى الإنسلاخ عن الإسلام جملة فإن من
سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام كإنسلاخ الحية من قشرها
وهو يظن أنه من خاصة الخاصة وسبب هذا عدم اقتران
الخوف من الله بحبه وإرادته ولهذا قال بعض السلف من عبد الله
بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري
ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجيء ومن عبده بالحب والخوف
والرجاء فهو مؤمن والمقصود أن تجريد الحب والذكر عن
الخوف يوقع في هذه المعاطب فإذا اقترن الخوف جمعه على
الطريق وردة إليها كلما كلها شيء كالخائف الذي معه سوط
يضرب به مطيته لئلا تخرج عن الطريق والرجاء حاد يحدوها
يطلب لها السير والحب قائدتها وزمامها الذي يشوقها فإذا لم يكن
للمطية سوط ولا عصى يردّها إذا حادت عن الطريق خرجت عن
الطريق وظلت عنها فما حفظت حدود الله ومحارمه ووصل
الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته فمتى خلا القلب من هذه
الثلاث فسد فسادا لا يرجى صلاحه أبدا ومتى ضعف فيه شيء من
هذه ضعف إيمانه بحسبه فتأمل أسرار القرآن وحكمته في اقتران
الخفية بالذكر والخفية بالدعاء مع دلالاته على اقتران الخفية بالدعاء
والخفية بالذكر أيضا وذكر الطمع الذي هو الرجاء في آية الدعاء
لأن الدعاء مبنى عليه فإن الداعي ما لم يطمع في سؤاله ومطلوبه
لم تتحرك نفسه لطلبه إذا طلب ما لا طمع له فيه ممتنع وذكر
الخوف في آية الذكر لشدة حاجة الخائف إليه فذكر في كل آية ما
هو اللائق بها من الخوف والطمع فتبارك من أنزل كلامه شفاء لما
في الصدور⁹²³

ذکر الله المشروع

* قال الله تعالى { **وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** } الأعراف 205 فأمر بذكر الله في نفسه فقد يقال هو ذكر في قلبه بلا لسانه لقوله بعد ذلك { **وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ** } الأعراف 205 وقد يقال وهو أصح بل ذكر الله في نفسه باللسان مع القلب وقوله { **وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ** } الأعراف 205 كقوله { **وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا** } الإسراء 110 وفي الصحيح عن عائشة قالت نزلت في الدعاء وفي الصحيح عن ابن عباس قال كان النبي يجهر بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه فقال الله لا تجهر بالقرآن فيسمعه المشركين فيسبوا القرآن ولا تخافت به عن أصحابك فلا يسمعه منها عن الجهر والمخافتة فالمخافتة هي ذكره في نفسه والجهر المنهي عنه هو الجهر المذكور في قوله { **وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ** } الأعراف 205 فإن الجهر هو الأظهار الشديد يقال رجل جهوري الصوت ورجل جهير وكذلك قول عائشة في الدعاء فإن الدعاء كما قال تعالى { **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً** } الأعراف 55 وقال إذ نادى ربه نداءً خفياً { **مريم 3** } فالإخفاء قد يكون بصوت يسمعه القريب وهو المناجاة والجهر مثل المناداة المطلقة وهذا كقوله لما رفع أصحابه أصواتهم بالتكبير فقال أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلتها ونظير قوله { **وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ** } الأعراف 205 قوله فيما روى عن ربه من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منه وهذا يدخل فيه ذكره باللسان في نفسه فإنه جعله قسيم الذكر في الملاء وهو نظير قوله { **وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ** } الأعراف 205 والدليل على ذلك أنه قال { **بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** } الأعراف 205 ومعلوم أن ذكر الله المشروع بالغدو

والأصل في الصلاة وخارج الصلاة هو باللسان مع القلب مثل صلاتي الفجر والعصر والذكر المشروع عقب الصلاتين وما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه وفعله من الأذكار والأدعية المأثورة من عمل اليوم والليلة المشروعة طرفي النهار بالغدو والأصل وقد يدخل في ذلك أيضا ذكر الله بالقلب فقط لكن يكون الذكر في النفس كاملا وغير كامل فالكامل باللسان مع القلب وغير الكامل بالقلب فقط ويشبه ذلك قوله تعالى { وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ } {المجادلة} 8 فإن القائلين بأن الكلام المطلق كلام النفس استدلوا بهذه الآية وأجاب عنها أصحابنا وغيرهم بجوابين أحدهما أنهم قالوا بألسنتهم قولا خفيا والثاني أنه قيده بالنفس وإذا قيد القول بالنفس فإن دلالة المقيد خلاف دلالة المطلق وهذا كقوله إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم به أو تعمل به فقوله حدثت به أنفسها مالم تتكلم به دليل على أن حديث النفس ليس هو الكلام المطلق وأنه ليس باللسان وقد احتج بعض هؤلاء بقوله { وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } {الملك} 13 وجعلوا القول المسر في القلب دون اللسان لقوله { إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } {الملك} 13 وهذه حجة ضعيفة جدا لأن قوله { وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ } {الملك} 13 يبين أن القول يسر به تارة ويجهر به أخرى وهذا إنما هو فيما يكون في القول الذي هو بحروف مسموعة وقوله بعد ذلك { إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } {الملك} 13 من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى فإنه إذا كان عليما بذات الصدور فعلمه بالقول المسر والمجهور به أولى ونظيره قوله { سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ } {الرعد} 10⁹²⁴

⁹²⁴ مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 33-35

الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق

* ذكر الإنسان بقلبه ما أمره الله به واستحضاره لذلك بحيث لا يكون غافلاً عنه أكمل ممن صدق به وغفل عنه فإن الغفلة تضاد كمال العلم والتصديق والذكر والاستحضار يكمل العلم واليقين ولهذا قال عمر بن حبيب من الصحابة اذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته واذا غفلنا ونسينا وضيعنا فتلك نقصانه وهو كذلك وكان معاذ بن جبل يقول لأصحابه اجلسوا بنا ساعة نؤمن قال تعالى { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ } الكهف 28 وقال تعالى { وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } الذاريات 55 وقال تعالى { سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى } 10 { وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى } 11 { الأعلیٰ 10- 11 } ثم كلما تذكر الانسان ما عرفه قبل ذلك وعمل به حصل له معرفة شئ آخر لم يكن عرفه قبل ذلك وعرف من معانى أسماء الله وآياته ما لم يكن عرفه قبل ذلك كما فى الأثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وهذا أمر يجده فى نفسه كل مؤمن وفى الصحيح عن النبى مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت قال تعالى { وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا } الأنفال 2 وذلك أنها تزيدهم علم ما لم يكونوا قبل ذلك علموه وتزيدهم عملاً بذلك العلم وتزيدهم تذكراً لما كانوا نسوه وعملاً بتلك التذكرة وكذلك ما يشاهده العباد من الآيات فى الآفاق وفى أنفسهم قال تعالى { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ } فصلت 53 أى ان القرآن حق ثم قال تعالى { أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } فصلت 53 فإن الله شهيد فى القرآن بما أخبر به فأمن به المؤمن ثم اراهم فى الآفاق وفى انفسهم من الآيات ما يدل على مثل ما أخبر به فى القرآن فبينت لهم هذه الآيات ان القرآن حق مع ما كان قد حصل لهم قبل ذلك وقال تعالى { أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا

لَهَا مِنْ فُرُوجٍ {6} وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ {7} تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ {8} ق6-8 فالآيات المخلوقة والملتوة فيها تبصرة وفيها تذكرة تبصرة من العمى وتذكرة من الغفلة فيبصر من لم يكن عرف حتى يعرف ويذكر من عرف ونسى والإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبير بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه ثم كلما فعل شيئاً مما أمر به استحضر أنه امر به فصدق الامر فحصل له في تلك الساعة من التصديق في قلبه ما كان غافلاً عنه وإن لم يكن مكذباً منكر⁹²⁵

*فقد ثبت أن ابا بكر الصديق قرأ في الفجر بسورة البقرة فلما سلم قيل له كادت الشمس تطلع فقال لو طلعت لم تجدنا غافلين فهذا خطاب الصديق للصحابة يبين أنها لو طلعت لم يضرهم ذلك ولم تجدهم غافلين بل وجدتهم ذاكرين الله ممتثلين لقوله {وَأذْكُرَ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} الأعراف205⁹²⁶

وصف الله تعالى نفسه بالعلو والاستواء على العرش وال فوقية

*قد وصف الله تعالى نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بالعلو والاستواء على العرش وال فوقية في كتابه في آيات كثيرة حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على ان الله تعالى عال على الخلق وأنه فوق عباده وقال غيره فيه ثلاثمائة دليل تدل على ذلك مثل قوله {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ} الأعراف206 {وَلَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ

⁹²⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 232

⁹²⁶ مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 179

وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ {الأنبياء 19} فلو كان المراد بأن معنى عنده في قدرته كما يقول الجهمي لكان الخلق كلهم عنده فانهم كلهم في قدرته ومشيتته ولم يكن فرق بين من في السموات ومن في الأرض ومن عنده كما أن الاستواء على العرش لو كان المراد به الاستيلاء عليه لكان مستويا على جميع المخلوقات وكان مستويا على العرش قبل أن يخلقه دائما والاستواء مختص بالعرش بعد خلق السموات والأرض كما أخبر بذلك في كتابه فدل على أنه تارة كان مستويا عليه وتارة لم يكن مستويا عليه ولهذا كان العلو من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل والشرع عند الأئمة المثبتة واما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع فقط دون العقل والمقصود أنه تعالى وصف نفسه بالمعية وبالقرب والمعية معيتان عامة وخاصة فالأولى قوله تعالى {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيَّنَّ مَا كُنْتُمْ} الحديد 4 والثانية قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل 128 الى غير ذلك من الآيات وأما القرب فهو كقوله {فَإِنِّي قَرِيبٌ} البقرة 186 وقوله {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ} الواقعة 85⁹²⁷

* وقال الامام أبو عبدالله الحارث بن اسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى فهم القرآن قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار قال لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء إلى أن قال وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الاصوات ولا قدره له ولا يتكلم ولا كلام كان منه وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فاذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فان تلوت آية في ظاهر تلاوتها

⁹²⁷ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 122 ومجموع الفتاوى ج: 5 ص: 226 و مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 232

تحسب أنها ناسخة لبعض اخباره وكذلك قوله تعالى { وَهُوَ
الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } الأنعام 18 وقوله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
اسْتَوَى } طه 5 وقوله { أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16
وقوله { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }
فاطر 10 وقال { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ
إِلَيْهِ } السجدة 5 وقال { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ
} المعارج 4 وقال لعيسى { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } آل عمران 55 الآية وقال { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ
} النساء 158 وقال { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ } الأعراف 206 وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لابتغوا الى
ذی العرش سبيلا حيث هو فقال { قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ
إِذَا لَأَبْتَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } الإسراء 42 أى طلبه وقال
{ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } الأعلى 1 قال أبو عبدالله فلن ينسخ
ذلك لهذا أبدا كذلك قوله { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي
الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ } الزخرف 84 وقوله { وَنَحْنُ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } ق 16 وقوله { وَهُوَ اللَّهُ فِي
السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ } الأنعام 3 وقوله
{ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ } المجادلة 7 الآية فليس
هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد لذلك وأعلم أن هذه الآيات ليس
معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء أو ينتقل
فيها لانتقالها ويتبعض فيها على أقدارها ويزول عنها عند فنائها
جل وعز عن ذلك وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن
الله تعالى في كل مكان بنفسه كائنا كما هو على العرش لا فرقان
بين ذلك ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما
نفوه لأن كل من يثبت شيئا في المعنى ثم نفاه بالقول لم يخن عنه
نفيه بلسانه واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه
كائنا ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا لا كالأشياء في الشيء قال
ابو عبدالله لنا قوله { حَتَّى نَعْلَمَ } محمد 31 { وَسَيَرَى اللَّهُ
} التوبة 94 { إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ } الشعراء 15 فانما معناه

حتى يكون الموجود فيعلمه موجودا ويسمعه مسموعا ويبصره مبصرا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر وأما قوله {وَإِذَا أَرَدْنَا {الإسراء16 إذا جاء وقت كون المراد فيه وان قوله { عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى {طه5 {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ {الأنعام18 الآية {أَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ {الملك16 { إِذَا لَأَتَّبَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا {الإسراء42 فهذا وغيره مثل قوله {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ {المعارج4 {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ {فاطر10 هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزله عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده لأنه قال {أَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ {الملك16 يعنى فوق العرش والعرش على السماء لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء وقد قال مثل ذلك في قوله {فَسَبِّحُوا فِي الْأَرْضِ {التوبة2 يعنى على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله {يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ {المائدة26 يعنى على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله {وَأَصْلَبْنَاكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ {طه71 يعنى فوقها عليها وقال {أَأْمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ {الملك16 ثم فصل فقال {أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ {الملك16 ولم يصل فلم يكن لذلك معنى اذا فصل قوله {مَنْ فِي السَّمَاءِ {الملك16 ثم استأنف التخويف بالخسف إلا أنه على عرشه فوق السماء وقال تعالى {يُذَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ {السجدة5 وقال {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ {المعارج4 فبين عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة اليه فقال {فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ {المعارج4 فقال صعودها إليه وفصله من قوله إليه كقول القائل اصعد الى فلان فى ليلة أو يوم وذلك أنه فى العلو وان صعودك إليه فى يوم فاذا صعدوا الى العرش فقد صعدوا الى الله عز وجل وان كانوا لم يروه ولم يساوه فى الإرتفاع فى علوه فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر

الى العلو قال تعالى { بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } النساء 158 ولم يقل
عنده⁹²⁸

"إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"

*فإن الله تعالى يقول { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ
وَيَسْبَحُونََهُ وَلَهُ يُسْجُدُونَ } الأعراف 206 وقال النبي صلى الله
عليه وسلم في الأحاديث المستفيضة إنكم سترون ربكم كما ترون
الشمس والقمر والله موصوف في الكتاب والسنة وإجماع سلف
الأمّة بأن المخلوق يكون أمامه وبين يديه في غير موضع فلا
يجوز نفي ذلك عنه⁹²⁹

الذين يذكرون أسماء الله يعرفونه ويعبدونه ويحبونه ويذكرونه

* فالاسم يظهر به المسمى ويعلو فيقال للمسمى سمة اى اظهره
واعله اى اعل ذكره بالاسم الذى يذكر به لكن يذكر تارة بما يحمده
به ويذكر تارة بما يذمه به كما قال تعالى { وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ
فِي الْآخِرِينَ } الشعراء 84 وقال فى النوع المذموم { وَأَتَّبِعْنَاهُمْ فِي
هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ } القصص 42 وقال
تعالى { نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
} القصص 3 فكلاهما ظهر ذكره لكن هذا امام فى الخير وهذا
امام فى الشر وما ليس له اسم فانه لا يذكر ولا يظهر ولا يعلو

⁹²⁸ مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 69

⁹²⁹ الاستقامة ج: 1 ص: 131

ذكره بل هو كالشيء الخفى الذى لا يعرف ولهذا يقال الاسم دليل على المسمى وعلم على المسمى ونحو ذلك ولهذا كان أهل الاسلام والسنة الذين يذكرون أسماء الله يعرفونه ويعبدونه ويحبونه ويذكرونه ويظهرون ذكره والملاحدة الذين ينكرون اسماءه وتعرض قلوبهم عن معرفته وعبادته ومحبته وذكره حتى ينسوا ذكره { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ } التوبة 67 { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ } الحشر 19 { **وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ** } الأعراف 205 والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور فى القلب وقد يراد به مجرد اللفظ وقد يراد به مجرد المعنى فانه من الكلام والكلام اسم لفظ والمعنى وقد

يراد به أحدهما ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره لكن ذكره بهما أتم والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه وأمر بالتسبيح باسمه كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى فيدعى بأسمائه الحسنى ويسبح اسمه وتسبيح اسمه هو تسبيح له اذ المقصود بالاسم المسمى كما أن دعاء هو دعاء المسمى قال تعالى { قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110 والله تعالى يأمر بذكره تارة وبذكر اسمه تارة كما يأمر بتسبيحه تارة وتسبيح اسمه تارة فقال { ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } الأحزاب 41 { **وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ** } الأعراف 205 وهذا كثير وقال { **وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا** } المزمّل 8

930

وصفت الملائكة بالتسبيح والعبادة لله

*فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله كما قال تعالى { جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا } فاطر 1 فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض وأمره الديني الذي تنزل به الملائكة فإنه قال { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ } الحج 75 وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله ومن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ووصفهم في القرآن بالتسبيح والعبادة لله أكثر من أن يذكر هنا كما ذكر تعالى في خطابه للملائكة وأمره لهم بالسجود لآدم وقوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ } الأعراف 206⁹³¹

* وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربها قال يسدون الاول فالاول ويتراصون في الصف وهذا موافق لقوله تعالى { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا } {1} فالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا } {2} فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا } {3} الصافات 1-3 ولقوله عنهم { وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ } {164} وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ } {165} وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ } {166} الصافات 164-166⁹³²

لم يصلح السجود الا لله فمن سجد لغيره فهو مشرك ومن لم يسجد له فهو مستكبر عن عبادته

* وأما قوله عن داود عليه السلام { وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } ص 24 لا ريب أنه سجد كما ثبت بالسنة واجماع المسلمين أنه سجد لله والله سبحانه مدحه بكونه خر راعيا وهذا أول السجود وهو خروره فذكر سبحانه أول فعله وهو خروره راعيا ليبين أن هذا عبادة مقصودة وان كان هذا الخرور كان ليسجد كما اتى على النبيين

⁹³¹ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 121

⁹³² الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 497

بأنهم كانوا { إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا }
 { مريم 58 } و { الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ } { الإسراء 107 } انهم
 { إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ يُخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا } { الإسراء 107 } { وَيَخْرُونَ
 لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ } { الإسراء 109 } وذلك لأن الخرور هو أول
 الخضوع المنافي للكبر فان المتكبر يكره أن يخر ويحب أن لا
 يزال منتصبا مرتفعا اذا كان الخرور فيه ذل وتواضع وخشوع
 ولهذا يأنف منه أهل الكبر من العرب وغير العرب فكان أحدهم اذا
 سقط منه الشيء لا يتناوله لئلا يخر وينحني فان الخرور
 انخفاض الوجه والرأس وهو أعلى ما فى الانسان وأفضله وهو قد
 خلق رقيقا منتصبا فاذا خفضه لا سيما بالسجود كان ذلك غاية ذله
 ولهذا لم يصلح السجود الا لله فمن سجد لغيره فهو مشرك ومن لم
 يسجد له فهو مستكبر عن عبادته وكلاهما كافر من أهل النار قال
 تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
 عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } { غافر 60 } وقال تعالى { وَمِنْ
 آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
 وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } { فصلت 37 } وقال
 فى قصة بلقيس { وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا
 يَهْتَدُونَ } { 24 } { أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ } { 25 } { اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ
 الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } { 26 } { النمل 24-26 } والشمس أعظم ما يرى فى
 عالم الشهادة وأعمه نفعا وتأثيرا فالنهي عن السجود لها نهى عما
 دونها طريق الأولى من الكواكب والاشجار وغير ذلك وقوله
 { وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ } { فصلت 37 } دلالة على أن السجود
 للمخلوق لا للمخلوق وان عظم قدره بل لمن خلقه وهذا لمن يقصد
 عبادته وحده كما قال { إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } { فصلت 37 } لا
 يصلح له أن يسجد لهذه المخلوقات قال تعالى { فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا
 فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ }
 { فصلت 38 } فانه قد علم سبحانه أن فى بنى آدم من يستكبر عن

السجود له فقال الذين هم أعظم من هؤلاء لا يستكبرون عن عبادة ربهم بل يسبحون له بالليل والنهار ولا يحصل لهم سامة ولا ملالة بخلاف الأدميين فوصفهم هنا بالتسبيح له ووصفهم بالتسبيح والسجود جميعا في قوله **{ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ }** الأعراف 206 وهم يصفون له صفوفا كما قالوا **{ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ }** {165} **{ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ }** {166} الصافات 165-166 وفي الصحيح عن النبي أنه قال الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قالوا وكيف تصف الملائكة عند ربها قال يسدون الأول فالأول ويتراصون في الصف ⁹³³

*** (يبدو انه في البداية نقص الرجوع الى نفس المرجع) وقوله { وَلَهُ يَسْجُدُونَ }** الأعراف 206 فإنه إن سلم أنه يفيد الحصر فالقصد منه والله أعلم الفضل بينهم وبين البشر الذين يشركون بربهم ويعبدون غيره فأخبرهم أن الملائكة لا تعبد غيره ثم هذا عام وتلك الآية خاصة فيستثنى آدم ثم يقال السجود على ضربين سجود عبادة محضة وسجود تشریف فأما الأول فلا يكون إلا الله وأما الثاني فلم قلت إنه كذلك والآية محمولة على الأول توفيقا بين الدلائل ⁹³⁴

العبادة هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له التي خلق الخلق لها

***العبادة** هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وامثال

⁹³³ مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 147

⁹³⁴ مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 361

ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة إليه
واخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمة والرضا بقضائه
والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وامثال ذلك هي من
العبادة لله وذلك ان العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية
له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ
إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 وبها ارسل جميع الرسل كما قال نوح
لقومه { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ } الأعراف 59 وكذلك
قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى { وَلَقَدْ
بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ
هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ } النحل 36 وقال تعالى
{ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى { إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا
رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 92 كما قال في الآية الاخرى { يَا أَيُّهَا
الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
} المؤمنون 51 وجعل ذلك لازماً لرسوله الى الموت قال
{ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } الحجر 99 وبذلك وصف
ملائكته وانبياءه فقال تعالى { وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ
عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } 19 { يُسَبِّحُونَ
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } 20 { الأنبياء 19 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ
عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ
} الأعراف 206 ودم المستكبرين عنها بقوله وقال { وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ
جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال
تعالى { عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا } الإنسان 6

935

عبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلهيته

سبحانه وتعالى

* ولما كانت كل حركة وعمل في العالم فأصلها المحبة والإرادة وكل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهي باطلة فاسدة كان كل عمل لا يراد به وجهه باطلا فأعمال الثقلين الجن والإنس منقسمة منهم من يعبد الله ومنهم من لا يعبد بل قد يجعل معه إلهاً آخر وأما الملائكة فهم عابدون لله وجميع الحركات الخارجة عن مقدور بني آدم والجن والبهائم فهي من عمل الملائكة وتحريكها لما في السماء والأرض وما بينهما فجميع تلك الحركات والأعمال عبادات لله متضمنة لمحبهته وإرادته وقصده وجميع المخلوقات عابدة لخالقها إلا ما كان من مرده الثقلين وليست عبادتها إياه قبولها لتدبيره وتصريفه وخلقه فإن هذا عام لجميع المخلوقات حتى كفار بني آدم فلا يخرج أحد عن مشيئته وتدبيره وذلك بكلمات الله التي كان النبي يستعيز بها فيقول أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وهذا من عموم ربو بيته وملكه وهذا الوجه هو الذي أدركه كثير من أهل النظر والكلام حتى فسروا ما في القرآن والحديث من عبادة الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك وهم غالطون في هذا التخصيص شرعاً وعقلاً أيضاً فإن المعقول الذي لهم يعرفهم أن كل شيء وكل متحرك وأن كان له مبدأ فلا بد له من غاية ومنتهى كما يقولون لها علتان فاعلية وغائية والذي ذكروه إنما هو من جهة العلة الفاعلية وبعض المخلوقين كذلك يجعلونه من جهة العلة الغائية وهذا غلط فلا يصلح أن يكون شيء من المخلوقات علة

فاعلية ولا غائية إذ لا يستقل مخلوق بأن يكون علة تامة قط ولهذا لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط ولا يصدر شيء في الآثار إلا عن اثنين من المخلوقات كما قد بينا هذا في غير هذا الموضوع وكذلك لا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون علة غائية تامة إذ ليس في شيء من المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء فالمخلوقات بأسرها يجتمع فيها هذان النقصان أحدهما أنه لا يصلح شيء منها أن تكون علة تامة لا فاعلية ولا غائية والثاني أن ما كان فيها علة فله علة سواء كان علة فاعلية أو غائية فأنه سبحانه رب كل شيء ومليكه وهو رب العالمين لا رب لشيء من الأشياء إلا هو وهو إله كل شيء وهو في السماء إله وفي الأرض إله وهو الله في السموات وفي الأرض لو كان فيهما إلهة إلا الله أفسدنا وما من إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا فعبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى وهو الغاية المقصودة منها ولها وأما في الشرع فإن الله فصل بين هذا وبين هذا فقال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } الحج 18 فهذا السجود الذي فصل بين كثير من الناس الذي يفعلونه وكثير من الناس الذين لا يفعلونه طوعا وهم الذين حق عليهم العذاب ليس هو ما يشترك فيه جميع الناس من خلق الله وربوبية الله تعالى إياهم وتدبيرهم وكذلك فصل بين الصنفين في قوله تعالى { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبِغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } آل عمران 83 وكذلك في قوله { وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظُلْماً لَهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ } الرعد 15 وهو سبحانه ذكر في الآية الأخرى سجود المخلوقات إلا الكثير من الناس لأنه ذكر الطوع فقط كما ذكر في التي قبلها أديان الناس فقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ

بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ {الحج 17} فتضمنت هذه الآية حال المخلوقات إلا الجن فإنهم لم يذكرها باللفظ الخاص لكنهم يندرجون في الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين فإنهم كما قالوا {وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا} الجن 11 وقد ذكر طائفة من أهل العربية أنهم يدخلون في لفظ الناس أيضا وقال سبحانه {أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَقَّهُونَ ظُلُمًا ظُلُمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ} {48} {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ} {49} {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} {50} النحل 48-50 وفي الصحيحين حديث أبي ذر في سجود الشمس تحت العرش إذا غابت وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} النور 41 وقال تعالى {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} الحديد 1 {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَدَّسَاتُ الْعَزِيزَاتُ الْحَكِيمَاتُ} الجمعة 1 قال تعالى {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} الإسراء 44 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} الأعراف 206⁹³⁶

سجود القرآن

⁹³⁶ قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 25-26

* فى سجود القرآن وهو نوعان خبر عن أهل السجود ومدح لهم أو أمر به وذم على تركه فالأول سجدة الأعراف {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} الأعراف 206 وهذا ذكره بعد الأمر بإستماع القرآن والذكر فالسنة الأولى الى الأولى من الحج خبر ومدح والتسع البواقي من الثانية من الحج أمر وذم لمن لم يسجد الا ص فنقول قد تنازع الناس فى وجوب سجود التلاوة قيل يجب وقيل لا يجب وقيل يجب اذا قرئت السجدة فى الصلاة وهو رواية عن أحمد والذى يتبين لى أنه واجب فان الآيات التى فيها مدح لا تدل بمجردا على الوجوب لكن آيات الأمر والذم والمطلق منها قد يقال إنه محمول على الصلاة كالثانية من الحج والفرقان واقراً وهذا ضعيف فكيف وفيها مقرون بالتلاوة كقوله {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} السجدة 15 فهذا نفى للايمان بالآيات عن لا يخر ساجدا اذا ذكر بها واذا كان سامعا لها فقد ذكر بها وكذلك سورة الانشقاق {فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} 20 {وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ} 21 {الانشقاق 20-21 وهذا ذم لمن لا يسجد اذا قرىء عليه القرآن كقوله {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ} المدثر 49 {وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ} الحديد 8 {فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا} النساء 78 وكذلك سورة النجم قوله {أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ} 59 {وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ} 60 {وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} 61 {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} 62 {النجم 59-62 أمر بالغا عقب ذكر الحديث الذى هو القرآن يقتضى أن سماعه سبب الأمر بالسجود لكن السجود المأمور به عند سماع القرآن كما أنه ليس مختصا بسجود الصلاة فليس هو مختصا بسجود التلاوة فمن ظن هذا أو هذا فقد غلط بل هو متناول لهما جميعا كما بينه الرسول فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه فالسجود عند سماع آية السجدة هو سجود مجرد عند سماع آية السجدة سواء تليت مع سائر

القرآن أو وحدها ليس هو سجوداً عند تلاوة مطلق القرآن فهو سجود عند جنس القرآن وعند خصوص الأمر بالسجود فالأمر يتناولوه وهو أيضاً متناول لسجود القرآن أيضاً وهو أبلغ⁹³⁷

التسبيح يقتضي التنزيه و التعظيم

*والأمر بتسبيحه يقتضي أيضاً تنزيهه عن كل عيب و سوء و إثبات صفات الكمال له فإن التسبيح يقتضي التنزيه و التعظيم و التعظيم يستلزم إثبات المحامد التي يحمد عليها فيقتضي ذلك تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيده⁹³⁸

لطائف لغوية

1- فإن الغى اتباع الهوى قال تعالى قال تعالى { وَائْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ } {175} وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } {176} الأعراف 176-176⁹³⁹

2- و الغى فى الاصل مصدر غوى يغوى غيا كما يقال لوى يلوى ليا وهو ضد الرشده كما قال تعالى { وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 و الرشده العمل الذى ينفع صاحبه والغى العمل الذى يضر صاحبه فعلم الخير رشده وعمل الشر غى ولهذا قالت الجن { وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } الجن 10 فقابلوا بين الشر وبين الرشده وقال فى آخر السورة { قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا } الجن 21 ومنه

⁹³⁷ مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 139-140

⁹³⁸ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 126

⁹³⁹ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 198

الرشيد الذي يسلم إليه ماله وهو الذي يصرف ماله فيما ينفع لا فيما يضر وقال الشيطان {لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {82} إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} {83} ص 82-83 وهو أن يأمرهم بالشر الذي يضرهم فيطيعونه كما قال تعالى { وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي } إبراهيم 22 وقال {وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ} الشعراء 91 إلى أن قال { فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ } {94} وَخُنُودٌ أَيْنِسَ أَجْمَعُونَ } {95} الشعراء 94-95 وقال { قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا } القصص 63 وقال { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 ثم إن الغي إذا كان إسما لعمل الشر الذي يضر صاحبه فإن عاقبة العمل أيضا تسمى غيا كما أن عاقبة الخير تسمى رشدا كما يسمى عاقبة الشر شرا وعاقبة الخير خيرا وعاقبة الحسنات حسنات وعاقبة السيئات سيئات⁹⁴⁰

3- قال تعالى {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} الاعراف 178 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال إذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله {إِنَّهُمْ أَلْفَاؤُا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ} {69} فَهُمْ عَلَىٰ أَنَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ} {71} الصافات 69-71 وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنَا كَبِيرَا} {68} الأحزاب 67-68 وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفى قوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} القمر 47 وكذلك لفظ الهدى إذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به

رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله {اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} البقرة2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما فى قوله {وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام87 وكما فى قوله {شَاكِرًا لِّلنَّعْمَةِ اجْتَبَاهُ وَهَذَا} النحل121 {اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} الشورى13 وكذلك قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} التوبة33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا⁹⁴¹

4- اللام لبيان الجملة الشرعية المتعلقة بالإرادة الشرعية كما فى قوله تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ} النساء26 وقد تكون لبيان العاقبة الكونية كما فى قوله تعالى {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ} الأعراف179⁹⁴²

5- قال تعالى {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} الأعراف181 وقال تعالى {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} الأعراف198 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله {اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} البقرة2 والمراد به أنهم يعلمون ما

⁹⁴¹ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

⁹⁴² مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 237

فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة
 { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن أهمهم
 العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما
 فى قوله { وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87
 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَنِبَاهُ وَهَذَا } النحل 121 }
 اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ { الشورى 13 وكذلك
 قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
 { التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذ
 أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا⁹⁴³

6- قال تعالى { مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ
 يَعْمَهُونَ } الأعراف 186 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق
 والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى
 سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا
 آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } {69} فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ {70} وَلَقَدْ ضَلَّ
 قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } {71} الصافات 69- 71 وقوله { وَقَالُوا
 رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } {67} رَبَّنَا آتِهِمْ
 ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } {68} الأحزاب 67- 68
 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 ثم
 يقرن بالغي والغضب كما فى قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى
 { النجم 2 وفى قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ
 { الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر 47⁹⁴⁴

7- لفظ العلم يضاف تارة إلى العلم وتارة إلى المعلوم والثاني
 كقوله { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي
 { فالساعة هنا معلومة لا عالمة⁹⁴⁵

⁹⁴³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

⁹⁴⁴ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

⁹⁴⁵ الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 137

8- قال تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِن آتَيْنَا صَلَاحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

{ الأعراف 189 } و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } الأعراف 55⁹⁴⁶

9- فى الصحيح عن النبى أنه قال ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله الحديث إلى آخره فذكر أربعة غشيان الرحمة وهى أن تغشاهم كما يغشى اللباس لابسه كما يغشى الرجل المرأة والليل النهار ثم قال ونزلت عليهم السكينة وهو انزالها فى قلوبهم وحفتهم الملائكة أى جلست حولهم وذكرهم الله فىمن عنده من الملائكة وذكر الله الغشيان فى مواضع مثل قوله تعالى { يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ } الأعراف 54 وقوله { فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا } الأعراف 189 وقوله { وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى {53} فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى {54} } النجم 53-54 وقوله { أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } هود 5 هذا كله فيه احاطة من كل وجه⁹⁴⁷

10- قال تعالى { وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ } الأعراف 193 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6

⁹⁴⁶ شرح العمدة ج: 4 ص: 28

⁹⁴⁷ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 250

والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدَى
لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به
ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع
والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما فى قوله
{ وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما فى
قوله { شَاكِرًا لِّلنَّعْمِ اجْتَنِبَاهُ وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي
إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله
تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33
والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى
كان كالايمن المطلق يدخل فيه هذا وهذا⁹⁴⁸

قال تعالى { وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ
أَدْعَوْتُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ } الأعراف 193 و التسوية جعل
الشيئين سواء⁹⁴⁹

11- ولفظ العبد فى القرآن يتناول من عبد الله فأما عبد لا يعبد فلا
يطلق عليه لفظ عبده ونحو هذا كثير وقد يطلق لفظ العبد على
المخلوقات كلها كقوله { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا
أَمْثَلَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الأعراف 194
{ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي
أَوْلِيَاءَ } الكهف 102 قد يقال فى هذا أن المراد به الملائكة والأنبياء
إذا كان قد نهى عن اتخاذهم أولياء فغيرهم بطريق الأولى فقد قال
{ إِنْ كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا
{ مريم 93 وفى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى الدجال
فيوحى الله الى المسيح أن لي عبادا لا يدان لأحد بقتالهم وهذا
كقوله { بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا } الإسراء 5 فهؤلاء لم يكونوا

⁹⁴⁸ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

⁹⁴⁹ مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 133

مطيعين لله لكنهم معبدون مذللون مقهورون يجرى عليهم قدره وقد يكون كونهم عبيدا هو اعترافهم بالصانع وخضوعهم له وإن كانوا كفارا كقوله { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } يوسف 106 وقوله { إِلَّا آتَى الرَّحْمَنُ عَبْدًا } مريم 93 أي ذليلا خاضعا ومعلوم أنهم لا يأتون يوم القيامة الا كذلك وإنما الإستكبار عن عبادة الله كان في الدنيا ثم قال { لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا } 94 { وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } 95 مريم 94-95 فذكر بعدها أنه يأتي منفردا كقوله { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ } الأنعام 94⁹⁵⁰

12- و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُمْتَأَلُّكُمْ فَاذْعُوهُمْ فَلَيْسَتْ جِبُوبًا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الأعراف 194 و قوله تعالى { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ } الأعراف 197⁹⁵¹

13- قال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } 1 { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } 2 { الْكَافِرُونَ } 1-2 جاء الخطاب فيه ب ما و لم يجيء ب من فقيل { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } الْكَافِرُونَ 2 لم يقل لا أعبد من تعبدون لأن من لمن يعلم و الأصنام لا تعلم و هذا القول ضعيف جدا فإن معبود المشركين يدخل فيه من يعلم كالملائكة و الأنبياء و الجن و الإنس و من لم يعلم و عند الإجماع تغلب صيغة أولي العلم كما في قوله { فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ }

⁹⁵⁰ مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 44

⁹⁵¹ شرح العمدة ج: 4 ص: 28

مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ {النور 45} فإذا أخبر عنهم بحال من يعلم
عبر عنهم بعبادته كما في قوله {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {194} {أَلَمْ
أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا} {195} {الأعراف 194-
195} الآية فعبر عنهم بضمير الجمع المذكور وهو لأولى العلم و
أما ما لا يعلم فجمعه مؤنث كما تقول الأموال جمعتها و الحجارة
قذفتها⁹⁵²

14- لفظ الصلاح و الفساد فإذا أطلق الصلاح تناول
جميع الخير وكذلك الفساد يتناول جميع الشر وكذلك اسم المصلح
والمفسد وقال تعالى {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى
الصَّالِحِينَ} {الأعراف 196}⁹⁵³

15- قال تعالى {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ} {الأعراف 200} سميع منزه عن الصم عليم منزه عن
الجهل⁹⁵⁴

16- قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ
تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} {201} {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا
يُقْصِرُونَ} {202} {الأعراف 201-202} عامة الأسماء يتنوع
مسماهما بالاطلاق والتقييد وكذلك إذا أفرد اسم طاعة الله
دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت طاعة الرسول داخلة في
طاعته وكذا اسم التقوى إذا أفرد دخل فيه فعل كل أمور به
وترك كل محذور قال طلق بن حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله
على نور من الله ترجو رحمة الله وأن تترك معصية الله على نور
من الله تخاف عذاب الله وهذا كما في قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ

⁹⁵² مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 596

⁹⁵³ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 84

⁹⁵⁴ الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

وَنَهَرَ {54} فِي مَفْعَدِ صِنْقٍ عِنْدَ مَلِيكِ مُقْتَدِرٍ {55} القمر 54-55
 وقد يقرن بها اسم آخر كقوله {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً
 {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّكِلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ
 حَسْبُهُ} {3} الطلاق 2-3 وقوله {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ
 {يُؤَسِّدْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} {4} يوسف 90 وقوله {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ
 {النساء} 1⁹⁵⁵

17- قال تعالى {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ
 {الأعراف} 202 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقيد
 وكذلك لفظ الغي إذا أطلق تناول كل معصية لله كما في قوله
 عن الشيطان {لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} {82} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ
 الْمُخْلِصِينَ} {83} ص 82-83 وقد يقرن بالضلال كما في قوله {مَا
 ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} {النجم} 2⁹⁵⁶

18- قال تعالى {هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ
 {يُؤْمِنُونَ} {الأعراف} 203 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار
 الرحمة الخالصة هي الجنة⁹⁵⁷

19- القرآن قد يراد به المصدر وقد يراد به الكلام المقروء
 وقال تعالى {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} {17} {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ
 قُرْآنَهُ} {18} {القيامة} 17-18 والقرآن هنا مصدر كما في الآية عن
 ابن عباس قال علينا أن نجعله في صدرك ثم أن تقرأه بلسانك فإذا
 قرأه جبريل فاستمع لقراءته {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} {19} {القيامة} 19 وقد
 يراد بـ القرآن نفس الكلام المقروء كما قال {وَإِذَا قُرِئَ
 الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} {الأعراف} 204 وقوله
 {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} {الإسراء} 9⁹⁵⁸

⁹⁵⁵ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

⁹⁵⁶ مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

⁹⁵⁷ مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

⁹⁵⁸ مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 198

20- اهل السنة متفقون على أن القرآن المنلو هو القرآن العربي الذي نزله روح القدس من الله بالحق وهو كلام الله الذي تكلم به ولكن تنازعوا في تلاوة العباد له هل هي القرآن نفسه أم هي الفعل لذي يقرأ به القرآن والتحقيق أن لفظ التلاوة يراد به هذا وهذا ولفظ القرآن يراد به المصدر ويراد به الكلام قال الله تعالى { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } {17} فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } {18} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ } {19} القيامة 17-19 وفي الصحيحين عن ابن عباس قال إن علينا أن نجعله في قلبك وتقرأه بلسانك وقال أهل العربية يقال قرأت الكتاب قراءة وقرأنا و منه قول حسان ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحا وقرأنا وقد قال تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } النحل 98 و قال تعالى { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْثُورًا } الإسراء 45 و قال تعالى { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا } {الأعراف 204} و هم إنما يستمعون الكلام نفسه ولا يستمعون مسمى المصدر الذي هو الفعل فإن ذلك لا يسمع وقال { فَإِذَا قَرَأْتَهُ } {القيامة 18} قال ابن عباس أي قراءة جبريل { فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } {القيامة 18} فاستمع له حتى يقضي قراءته والمشهور في قوله { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ } {النحل 98} أنه منصوب على المفعول به لكن فيها معنى المصدر أيضا كما تقدم ففيه معنى المفعول به ومعنى المصدر جميعا وقد يغلب هذا كما في قوله { إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ } {القيامة 17} فالمراد هنا نفس مسمى المصدر وقد يغلب هذا تارة كما في قوله { فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا } {الأعراف 204} وقوله { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ } {الإسراء 88} وقوله { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ } {الإسراء 9} وغالب ما يذكر لفظ القرآن إنما يراد به نفس الكلام لا يراد به التكلم بالكلام الذي هو مسمى

المصدر ومثل هذا كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائما وإما غالبا فيطلق الإسم عليهما ويغلب هذا تارة وهذا تارة و قد يقع على أحدهما مفردا كلفظ النهر و القرية و الميزاب ونحو ذلك مما فيه حال ومحل فالإسم يتناول مجرى الماء والماء الجاري وكذلك لفظ القرية يتناول المساكن والسكان ثم تقول حفر النهر فالمراد به المجرى و تقول جرى النهر فالمراد به الماء وتقول جرى الميزاب تعنى الماء ونصب الميزاب تعنى الخشب و قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } النحل 112 والمراد السكان فى المكان وقال تعالى { وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ } الأعراف 4 و قال تعالى { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا } يوسف 82 و قال تعالى { وَتِلْكَ الْقَرْيَ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا } الكهف 59 و قال تعالى { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ } هود 102 وقال تعالى { لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } الشورى 7 وقال تعالى { فَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبُئِرٌ مُّعَطَّلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ } الحج 45 و الخاوي على عروشه المكن لا السكان وقال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } البقرة 259 لما كان المقصود بالقرية هم السكان كان إرادتهم أكثر فى كتاب الله وكذلك لفظ النهر لما كان المقصود هو الماء كان إرادته أكثر كقوله { وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ } الأنعام 6 وقوله { وَفَجَّرْنَا خِلَالَهَا نَهْرًا } الكهف 33 فهذا كثير أكثر من قولهم حفرنا النهر و كذلك إطلاق لفظ القرآن على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على نفس التكلم وكذلك لفظ الكلام والقول والقصص و سائر أنواع الكلام

يراد بها نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم وهذه الأمور
لبسطها موضع آخر⁹⁵⁹

⁹⁵⁹ مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 36

الحمد لله رب العالمين

###